

شهادة طبع ونشر

يشهد مدير مطبعة سامي للطباعة والنشر بالوادي بطبع كتاب بالموصفات التالية:

عنوان الكتاب: آليات توظيف الأدوات المنهجية في البحث السوسيولوجي
الأكاديمي بين التنظير والأجراً.

عدد الصفحات: 490.

حجم الكتاب: 25*16.5 سم.

الإيداع القانوني: جوان 2026.

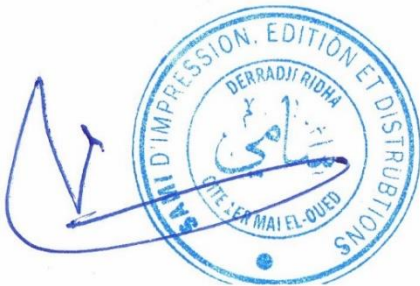
ردمك: 978-9969-681-09-3

اسم المؤلف: د. فيصل بوراس.

سلمت له هذه الشهادة لاستعمالها في حدود ما يسمح به القانون.

الوادي في: 2026-06-07

الختم والإمضاء



مستخرج من محضر اجتماع مكتب المجلس العلمي للكلية

بتاریخ: 2026/06/03

في يوم الأربعاء الثالث من شهر جوان من عام ألفين وست وعشرين ، وعلى الساعة 09:30 صباحا، انعقد مكتب المجلس العلمي لكلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية برئاسة السيد: الأستاذ الدكتور محمد عبد الرؤوف ثامر رئيس المجلس العلمي للكلية.

- وبناء على اجتماع المجلس العلمي لمخبر التنمية الإجتماعية و خدمة المجتمع تمت المصادقة على محتوى المؤلف الجماعي بعنوان :

" آليات توظيف الأدوات المنهجية في البحث السوسيولوجي الأكاديمي بين التنظير و الأجراء "

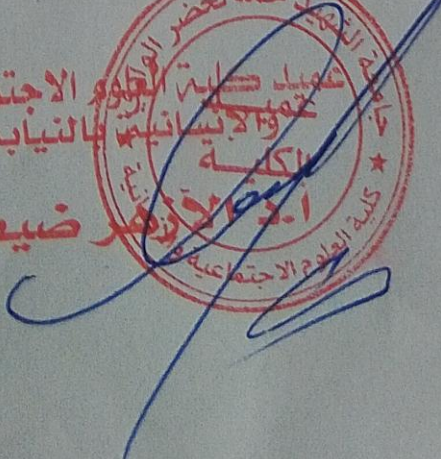
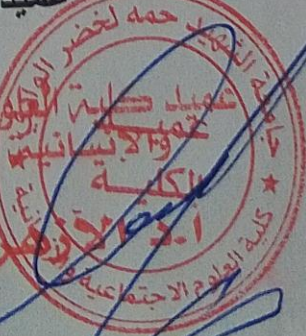
و بناءا عليه فإن مكتب المجلس العلمي للكلية يصادق على محتوى هذا المؤلف المقدم من قبل مجموعة من الأساتذة تحت إشراف الدكتور فيصل بوراس و الأستاذ محمد براى من جامعة تبسة

11:00 رفعت الجلسة في حدود الساعة

رئيس المجلس العلمي للكلية

عميد الكلية

عميد الكلية
جامعة الكويت
كلية العلوم الاجتماعية
الرياضة واللياقة البدنية
الكلية
الدكتور / زهير ضيف



رئيس المجلس العلمي لكلية
 وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
 المجلس العلمي
 الكلية الإنسانية والاجتماعية
 جامعة الموصل
 الأستاذ المساعد
 الدكتور محمد ناصر عبد الرؤوف

آليات توظيف الأدوات المنهجية في البحث السوسيولوجي الأكاديمي بين التنظير والأجراة

إشراف وتنسيق

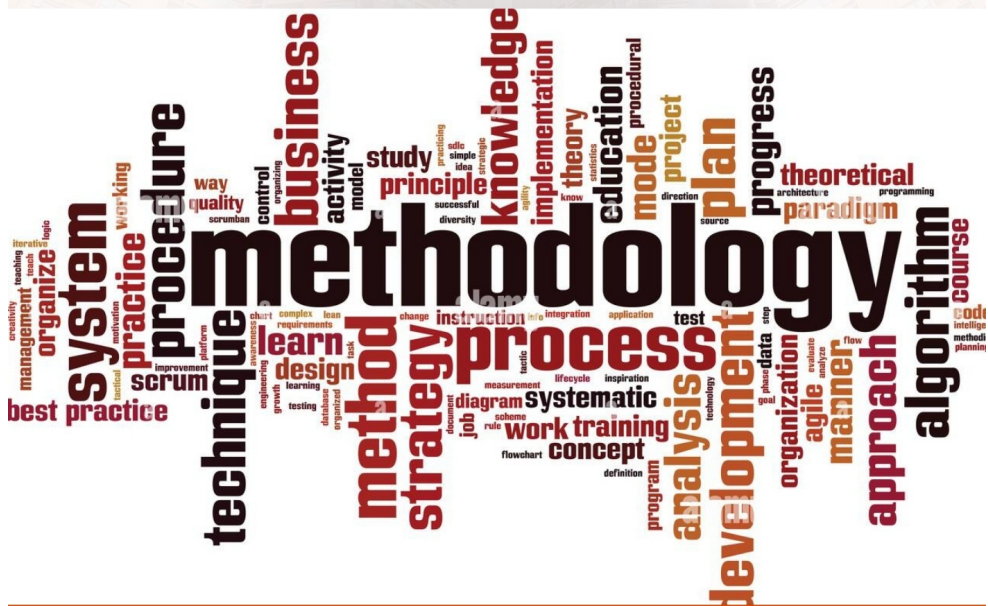
د. محمد برای
جامعه تبسته

د. فيصل بوراس
جامعة الوادي

تقديم

أ.د. نادية سعيد عيشور - جامعة سطيف -

أ.د. بلال بوترة - جامعة الوادي -



عنوان الكتاب

آليات توظيف الأدوات المنهجية
في البحث السوسيولوجي الأكاديمي
بين التنظير والأجراة

إشراف وتنسيق

د.محمد براي
جامعة تبسة

د.فيصل بوراس
جامعة الوادي

تقديم

أ.د. نادية سعيد عيشور - جامعة سطيف -
أ.د. بلال بوترة - جامعة الوادي -

ISBN :

978-9969-681-09-3

الإيداع القانوني

جوان 2026

الطبعة



اللجنة العلمية للكتاب

رئيس اللجنة العلمية : الأستاذ الدكتور رابح بن عيسى

أعضاء اللجنة العلمية

الرقم	الاسم واللقب	مؤسسة الانتماء
01	أ.د عبد الباسط هويدي	جامعة الوادي
02	أ.د.الأزهر ضيف	جامعة الوادي
03	أ.د.بلال بوترة	جامعة الوادي
04	أ.د شوقي قدارة	جامعة الوادي
05	أ.د لطيفة عريق	جامعة الوادي
06	أ.د إبراهيم الذهبي	جامعة الوادي
07	أ.د بوبيدي لامية	جامعة الوادي
08	أ.د نادية سعيد عيشور	جامعة سطيف
09	أ.د بختة بن فرج الله	جامعة الوادي
10	أ.د نبار ريحة	جامعة الوادي
11	أ.د لوحيدي فوزي	جامعة الوادي
12	أ.د سلطان بلغيث	جامعة تبسة
13	أ.د بورزق نوار	جامعة تبسة
14	أ.د نصر الدين بهتون	جامعة خنشلة
15	أ.د شوقي مرابط	جامعة الوادي
16	أ.د صالح العقون	جامعة الوادي
17	أ.د جمال كانون	جامعة غرداية
18	أ.د الطيب البار	جامعة أم البواقي
19	د.عبد الغني قتالي	جامعة أم البواقي
20	د. نسيمة بن دار	جامعة تبسة
21	د. خديجة قفاف	جامعة تبسة
22	أ.د سليم دحة	جامعة الوادي
23	د. إبراهيم هياق	جامعة الوادي
24	د.محمدي كريمة	جامعة الوادي
25	د. فاطمة الزهراء مكلاطي	جامعة تبسة
26	د.سالم يعقوب	جامعة الوادي
27	د. قصي عطية	جامعة الوادي
28	أ.د عمر حمداوي	جامعة ورقلة
29	د.عصام براهيم	جامعة الوادي
30	د. محمد ذيب	جامعة سوق أهراس

31	أ.د علي عليوة	جامعة سوق أهراس
32	د. كنزة عيشور	جامعة سطيف
33	د. عبد الرزاق سلطاني	جامعة سوق أهراس
34	أ.د سهى حمزاوي	جامعة خنشلة
35	د. الطاهر بلعيساوي	جامعة جيجل
36	د. سليم سهلي	جامعة الوادي
37	أ.د ليلي العرباوي	جامعة سكيكدة
38	أ.د السعيد بن يمينه	جامعة المسيلة
39	أ.د بوبكر بوخرisse	جامعة عنابة
40	أ.د على نبيل	جامعة سكيكدة
41	أ.د أنور مقراني	جامعة سطيف
42	د. فيصل ذيب	جامعة قسنطينة
43	أ.د ايناس بوسحلة	جامعة ورقلة
44	أ.د بوزغاية باية	جامعة الوادي
45	أ.د لبيهي خديجة	جامعة الوادي
46	أ.د يوسف بالنور	جامعة الوادي
47	أ.د قرليفة حميد	جامعة غرداية

ديباجة:

يحضى البحث العلمي بأهمية بالغة، باعتباره محركا للفعل التنموي في مختلف مجالات الحياة، ومفتاح المستقبل المشرق، فلا يمكن التحدث عن تقدم دون بحوث علمية جادة، ذلك أن حاجة المجتمعات الى البحث العلمي مرتبطة بتطلعاتها وطموحاتها في تحسين نوعية حياتها والوصول إلى الرفاه المعيشي، لذلك انصبحت الجهود على زيادة فعالية البحث العلمي في الواقع المعيش. إن نجاعة مخرجات البحث العلمي ذات علاقة وطيدة بالتحكم في الخطوات الإجرائية للبحث العلمي، هذه الأخيرة عند الانتقال بها من التجريد النظري إلى العمل الميداني كثيرا ما تتنازعها اتجاهات ورؤى مختلفة في الحكم على جودتها ودقتها وفق مبررات منهجية، وخاصة إذا ما تعلق الأمر بالبحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، ولعل أن ذلك يتأثر بطبيعة موضوعها وتصورات المهتمين والمختصين فيها. وهي عبارة عن عوائق تقف حائلا دون حدوث توافق علمي حولها، ناهيك عن المزالق المنهجية التي كثيرا ما يقع فيها الباحثين خاصة غير المتمرسين منهم.

والواقع البحثي الأكاديمي من خلال الممارسات البيداغوجية وعملية تأطير المذكرات والدراسات، والمناقشات العلمية لأطروحات الدكتوراه، كثير ما تكشف عن عيوب منهجية مصاحبة لكل مراحل انجاز البحوث، ويقف الباحث حائرا أمام جملة من التساؤلات التي تبدأ انطلاقا من تصورات لماهية البحث العلمي، وأساسياته التي يفترض أن يتشبع بها كل باحث، وكل خطوات البحث وما يلزمها من مهارات يستوجب اكتسابها، انطلاقا من مرحلة اختياره لموضوع البحث مروراً بمرحلة رصد مجالات البحث وجرد التراث النظري والإحاطة بالدراسات السابقة، ثم بناء الإشكالية، وصياغة تساؤلاته البحثية وفرضياته ومفاهيمه، وصولاً للمرحلة الميدانية وما يرتبط بها من تحديد نوع الدراسة واختيار المنهج المناسب لها، وعينة البحث وكيفية معاينتها، وأدوات جمع البيانات وطرائق تصميمها وتوظيفها، وختاماً تحليل البيانات ومناقشتها قصد الوصول إلى نتيجة يترجمها في قانون أو في صياغة معاني.

وانطلاقاً من الواقع البحثي الذي يحتاج إلى توضيح والفرجات التي نحتاج إلى سدها بإرشادات منهجية رصينة مبنية على الحجة والإقناع العلمي، جاءت فكرة هذا الاستكتاب الجماعي والعمل التشاركي لتسليط الضوء على منهجية البحث السوسيولوجي من التنظير إلى الاجراء، من خلال تقديم نماذج تطبيقية عن كل خطوة تكون مثالا للباحثين للاقتداء بها. راجين من الله عز وجل أن يكون هذا الكتاب بمثابة المرجع العلمي الهادف، والسند المنهجي للطلاب والباحث السوسيولوجي.

أهداف الكتاب:

➤ تدارك الضعف المنهجي والعلمي لدى الطالب والباحث على مستوى:

- بناء الإشكالية البحثية من خلال نماذج تطبيقية
- بناء الفرضيات العلمية وشروط صياغتها
- المعالجة المفاهيمية و التنظيرية للبنية المفاهيمية
- اختيار الإجراءات المنهجية للدراسة و تصويب البطالب او الباحث في اختيار المنهج ، المجتمع ، والعينة
- كيفية اسقاط المقاربات النظرية و التعامل معها
- مناقشة و تفسير نتائج الدراسة في ظل المقاربات النظرية و الرؤى الواقعية.

- التعرف على أهم المستجدات المنهجية في البحوث والدراسات السوسيولوجية الأكاديمية.
- الإحاطة الشاملة بالأدوات المنهجية في مجال البحوث والدراسات السوسيولوجية خاصة فيما تعلق بإجراءاتها الميدانية.
- توحيد الرؤى البحثية فيما تعلق بالتقنيات المنهجية المطبقة في مجال البحث السوسيولوجي الأكاديمي.
- الرفع من مستوى الدقة والفاعلية – الموثوقية- في البحث السوسيولوجي الأكاديمي.
- توفير دليل علمي أكاديمي للطلاب والباحث يستند إليه ميدانيا في البحث السوسيولوجي الأكاديمي.
- الإجابة عن الانشغالات المنهجية الإجرائية للباحثين والطلبة في مجال علم الاجتماع.

محاور الكتاب

المحور الأول: بين الاقتراب النظري و التنظير للظواهر الاجتماعية

- 1- محددات اختيار الموضوع وبناء الإشكالية البحثية (الدراسة الاستطلاعية و تقصي المشكلة البحثية)
- 2- المفاهيم و المصطلحات البحثية (بين وضعية البناء و الصياغة البحثية)، المؤشرات والأبعاد البحثية.
- 3- الفرضيات (أنواعها، كيفية توظيفها في البحث الاجتماعي، الانتقال من وضعية البناء إلى الإجرائية)
- 4- المقاربة النظرية (القطيعة بشقها – الابستمولوجي و النظري-، التوظيف و الاستدلال للمقاربة النظرية في البحث السوسيولوجي، إسقاطاتها البحثية)
- 5- الدراسات السابقة (أهميتها البحثية، معايير تصنيفها وتوظيفها، أوجه الاستفادة منها نظريا وميدانيا).

المحور الثاني: رحلة الميدان البحثي- محطات الاقتراب والعودة

- 1- مناهج البحث الاجتماعي(أنواعها وخطواتها، آليات توظيفها، نماذج ميدانية واقعية)
- 2- تحديد مجالات الدراسة (أهميتها في البحث، آليات توظيفها العملية).
- 3- العينة والمعاينة (نوعها، حجمها، أهميتها البحثية، نماذج تطبيقية في العينات الاحتمالية وغير الاحتمالية).
- 4- أساليب وأدوات جمع البيانات – بين الكمي و الكيفي
- الملاحظة و شبكة الملاحظة: (أهميتها البحثية، أنواعها وشروطها، مميزاتها، إجراءاتها و خطواتها، مجالات استخدامها، نماذج واقعية).
- الاستمارة البحثية: (أنواعها، خطوات تصميمها، شروط صياغة أسئلتها، مجالات استخدامها، تحكيمها، نماذج واقعية).
- المقابلة كأداة و تقنية بحثية: (أهميتها البحثية، أنواعها، خصائصها، شروط تصميمها، مجالات استخدامها، نماذج واقعية).
- تحليل المحتوى مفارقة الأداة و المنهج: (تعريفه، أنواعه، استخداماته، أهميته، خطواته، نماذج واقعية)
- دراسة الحالة

المحور الثالث: التحليل الكمي – التحليل الإحصائي والنوعي

- الجداول البيانية (أنواعها، قراءتها وضوابط تحليلها سوسيولوجيا)
- المحور الرابع: استخلاص النتائج (مراحلها، آليات ومنهجية مناقشتها سوسيولوجيا)
- المحور الخامس: الملاحق البحثية (تصنيفها، أهميتها في البحث، طريقة توظيفها والاستفادة منها)

فهرس المداخلات

الصفحة	عنوان المقال	اسم الباحث
32 -19	بناء إشكالية البحث السوسيولوجي توجيهات نظرية لترشيد وتجويد الممارسات الميدانية	أ.د. بورزق نوار
40 - 33	ضوابط إعداد إشكالية بحث علمي وصياغتها .	د. الطيب بولنوار
56 -41	Sociological concepts between semantic ambiguity and procedural precision in academic research: Problems of theory and mechanisms of translation into measurable indicators	أ.د. خماد محمد
65 -57	Fundamentals of Scientific Research and Methodologies in the Humanities and Social Sciences: Concepts, Objectives, and AI-Augmented Approaches	د. قتال عبد الغني د. أمال الجربي
73 -66	بناء وصياغة المفاهيم في البحوث العلمية: من المفهوم إلى المؤشر رحلة الوصول إلى نتائج علمية موثوقة	أ.د. حمزاوي سمي
85 -74	الدراسة الاستطلاعية: الأبعاد المنهجية والتطبيقات الميدانية	د. بالنور سلمي
94 -86	التحليل المفاهيمي لفرضيات البحث العلمي	د. عجايبي أسماء
108 -95	من التراكم إلى الابتكار: كيف ترسم أدبيات علم الاجتماع ملامح التوجه الفكري للباحث (الدراسات السابقة)	د. شادية عيدودي
118 -109	الدراسات السابقة : أهميتها البحثية وأغراضها، مراحلها وكيفية توظيفها، وأوجه الاستفادة منها في البحوث السوسيولوجية	أ.د. بن راج عيسى د. فيصل بوراس
128 -119	مراجعة الدراسات السابقة واستخراج الفجوة البحثية في البحوث الاجتماعية	د. ميهوب نورالدين
142 -129	الدراسات السابقة في البحوث الاجتماعية – الرؤى والنماذج التطبيقية	د . كنزة عيشور

157 - 143	تفعيل المقاربة النظرية في بناء الموضوع العلمي	د. الطيب صيد
168 - 158	بين التوظيف المنهجي والإسقاط على الواقع مسألة دور المقاربة النظرية في البحث السوسيولوجي	د. نور الدين ناصر
175 - 169	إشكالية بناء المقاربة النظرية في السوسيولوجيا: بين الضبط المفاهيمي ومتطلبات التفسير الاجتماعي	د. مبارك بوعلي
189 - 176	المراجع العلمية وإنتاج المعرفة السوسيولوجية- قراءة في جودة الأبعاد المنهجية والتحليلية-	د. محمد ذيب
200 - 190	نحو إطار نظري لتجاوز : تقنية الملاحظة الحسية المركزية البصرية في البحث السوسيولوجي الكيفي	د. سهلي سليم
213 - 201	المقابلة الحرة في البحث الاجتماعي: شروط الاختيار ومهارات التنفيذ	أ.د. دروات وحيد
253 - 214	من أنطولوجيا المقابلة إلى إبستمولوجيا التفسير التحليل الموضوعي الانعكاسي لبيانات المقابلات البحثية	أ.د. بلال بوترة
267 - 254	The Geography of Cognitive Immersion: Towards a Procedural Framework for Defining Field Boundaries in Transborder Digital Realms	د. لبني فتيحة
276 - 268	العينة في البحث السوسيولوجي مع أمثلة توضيحية	أ.د. صالح العقون د. إيمان لغراب
288 - 277	طرائق المعاينة في الدراسات الاجتماعية	د. سلمي نعيمة
303 - 289	الاستبيان بين النظرية والميدان	د. زموري زينب
319 - 304	الاستبيان تصميمه، اختبار صدقه وثباته	د. عبان عبد القادر

327 -320	الاستمارة البحثية	أ.د. مهتوم نصر الدين أ.د. لندة شنافي
338 -328	الفرضيات في البحث الاجتماعي	د. غطاس محمد السعيد
349 -339	المنهج المختلط مفهومه و خصائصه- أهميته و أنماطه	ط.د. بن حنة غنية
359 -350	Toward an Anthropological Methodological Hybridity in Contemporary Sociological Research:Participant Observation with a Renewed Spirit in Interrogating Latent Meaning	د. هيبة بروعروج
375 -360	البحث الاجتماعي بين المنهج الكمي والكيفي: من جدلية التعارض إلى براديفم التكامل المنهجي والمعرفي.	د. هدى قيزح
383 -376	جدلية الكمي والكيفي في البحث الاجتماعي من الأرقام إلى المعاني	د. بوزيان خير الدين
395 -384	الإثنوغرافيا الرقمية الانتقال من الملاحظة التقليدية إلى الملاحظة بالمشاركة عبر الشاشة	د. سميرة سنوسي
405 -396	وهم الحياد الكمي وسلطة التأويل الكيفي أي منهج لفهم الواقع الاجتماعي؟	د. حافي فاطمة د. براي توفيق
419 -406	البحوث الاجتماعية من الوصف والتفسير العلمي إلى التصميم والتطبيق التقني نحو منهج سوسيو تقني جديد	د. بية برناوي أ.عائشة برناوي
429 -420	التحليل النقدي للخطاب في البحث الاجتماعي: الأسس النظرية وآليات التوظيف والنماذج التطبيقية.	د. علي حامد
439 -430	تحليل المحتوى عبر البرامج الرقمية دراسة نظرية تطبيقية	د. لشهب عائشة

451 -440	منهجية تحليل المحتوى: الأسس النظرية والتطبيقات العملية	د. إيهاب الأخضر د. لطيفة بن حسن
460 -452	تحليل المعطيات السوسيولوجية	أ.د. قرليفة حميد
471 -461	محطات ابستمولوجية للتحليل النوعي في الدراسات الإنسانية والاجتماعية	د. بن دارنسيمة
480 -472	من الأرقام إلى المعنى : قراءة وتحليل سوسيولوجي للجداول الإحصائية والبيانية	د. ميادة خاوي
488 -481	منهجية كتابة ملخص بحث علمي	د. سمية عزابي

تقديم عام

الأهداف المركزية للمؤلف الجماعي:

- 1- التعريف بخطوات تنفيذ البحث العلمي في ميدان العلوم الانسانية والاجتماعية
- 2- تدّارك جوانب القصور وأشكال الضّعف المنهجي للبحوث.
- 3- التّعرف على المستجدّات في ميدان منهجيات البحث العلمي
- 4- رسم لوحة جامعة ومشتركة لتخطيط وتنفيذ البحث الاجتماعي في مسّويات التكوين البيداغوجي القاعدي (ليسانس-ماستر ودكتوراه) في مؤسسات التعليم الوطني.
- 5- ترسيخ ثقافة الأمانة والنزاهة الأكاديمية لدى طلبة العلم والباحثين
- 6- إجابة على انشغالات منهجية تهّم طلبة علم الاجتماع

محاوّر الكتاب:

- 1- الاقتراب النظري والتّنبّط للظواهر الاجتماعية (المفاهيم، الفرضيات، المقاربات، الدراسات السابقة تفسير النتائج).
- 2- رحلة الميدان البحثي: محطات الاقتراب والعودة (المناهج الكمية والكيفية، العينات، الأدوات، الأساليب الاحصائية).
- 3- التّجليل الكمي والتّجليل الكيفي. تحليل ومناقشة البيانات ورصد الاستنتاجات والنتائج (التصنيف والجدولة والترتيب والتفسير...)

تقديم

مرتكزات التقديم:

1. اشكالية منهجية البحث في علوم الإنسان والمجتمع
2. الأهمية المتزايدة للبحث الاجتماعي والسوسيولوجي في زمن المجتمع التقني
3. أهمية الكتاب الحالي في التكوين البيداغوجي للطلّاب والباحث الاجتماعي
4. تعريف شمولي للمداخلات في ضوء أهداف ومحاوّر الكتاب.

تقديم

في عالم يصدح بالاختلافات والتميّيزات والتغيرات فضلاً عن التوافقات والتوازنات؛ يكشف البحث العلمي باستمرار عن تطور خاصية التفاعل البشري عبر ثنائية تميز قطبية: " الاستقرار-الصيرار" كحقيقة اجتماعية ينظم حولها الفكر والسلوك-الأفعال وردود الأفعال، عبر دراسة تطور أشكال بنية الارتباط والدينامية بين المعطى الواقعي للظواهر الاجتماعية والمعطى المعرفي بوصفه الموجه والمفسر والخاضع للتعديل والتطور في نهاية المطاف، هكذا تنمو العلاقة التلاحمية بين المعرفة العلمية والواقع الاجتماعي عبر حلقة البحث العلمي في ميدان علوم الإنسان والمجتمع.

لعل إسقاطات معظم المدارس الفكرية والاتجاهات النظرية والمداخل المقارباتية في ميدان العلوم الاجتماعية وفي حقول السوسولوجيا على وجه الخصوص؛ قد عكست على مرّ التاريخ، جانباً مهماً وواسعاً حول طبيعة هذه الخاصية، بيد أنها من زاوية أخرى طرحت - ولا تزال تطرح- إشكالات معقدة على الصعيد الاستيمولوجي تحديداً تتعلق بقيمة النتائج وتوقعاتها العلمية على الصعيد المبريقي في صورة المردود المعرفي الملامس لجوهر التدخل السوسولوجي على نحو إجرائي؛ يمتلك القدرة على المساهمة في تقييم الخبرة بإعادة البناء أو التشكيل أو الترميم للواقع المجتمعي محل الاهتمام البحثي.



لم تعد تنحصر أهمية البحث العلمي في الفعل التنموي وفق الاستراتيجيات التقليدية المألوفة فحسب؛ بل تتخطى إلى تنمية القدرة على التفكير العقلاني والنقدي والمهارات الفائقة وإعادة تشكيل الصورة النمطية لرؤية الواقع وخطوات التفاعل معه على أساس منهجي جديد؛ يعكس مستوياتها بلغته المدنية الإنسانية في سياق العولمة من النضج الفكري والوعي والإدراك الجمعي لحقيقتي: اقتصاد المعرفة وإدارتها وكذا الحاجات البشرية المتأصلة ومتطلبات جودة الحياة في مرحلة تاريخية لحظية؛ صار أبلغ ما يميزها إنما هو الفاعلية الابتكارية بتدخل التقنية عبر الذكاء الاصطناعي في مجال قولبة أنماط التفكير وأشكال الاستجابة التنافسية على صعيد شمولي إقليمي وعالمي.

ضمن هذا الإطار لا يسع الجهود المتتالية للقائمين على ترقية "البحث العلمي السوسيولوجي في الجزائر" إلا أن تروم تشكيل دينامي للوحة وطنية موحدة المعالم لتخطيط نماذج وهندسة مسارات بحثية (تشق سبيلها من الجذور نحو التمدد في مستوى الفروع) موجّهة للبحث الاجتماعي الميداني على غرار السوسيولوجيا للتدريب الميداني في المستويات القاعدية على الأقل (ليسانس، ماستر ودكتوراه)، وبالتأكيد فهكذا رؤية رسالية تحمل في ثناياها مؤشرات الإجراء الميداني إمبريقيا؛ ستعكس بجدية كبيرة تجسيد هذا المسعى النبيل، بيد أن الالتزام بأخلاقيات المهنة والنزاهة الأكاديمية على مستوى التفكير والتحرير والبناء والضبط والتوثيق والصرامة المنهجية والبحثية ستؤسس مستقبلا؛ لاستمرارها - كعملية- ستطبع المنتج العلمي المعرفي الوطني في هذا الميدان من العلوم، لتمنحه عبر اعتماد معايير الجودة؛ ميزة الثبات والتمكين لترسيخ ثقافة الكتابة العلمية الرصينة واتقان لغة التحرير التخصصي والبيئي.

قد يكون أصعب ما سيواجهه هؤلاء الباحثون هو حجم الثغرات المعرفية والعوائق الابدستيمولوجية، وعُجالة ديناميكية التحوّلات المجتمعية، وكذلك الارتطام بوقائع صاخبة ومفاجئة، في مقابل حجم المعارف والبحوث المنتجة سلفا والمستهلكة والمُهرتة معرفيا ومفاهيميا عبر عقود من الزمن. من هنا تسطع أهمية **المؤلف الجماعي الحالي** الموسوم ب: "آليات توظيف الأدوات المنهجية في البحث السوسيولوجي الأكاديمي بين التنظير والأجراة": كمنتج تم تحديثه وتحيين معارفه وقواعده المنهجية في مجال البحث السوسيولوجي، يمكن أن يسهم في التقليل من حجم هذه الصدمات المرتبة وتيسير التداؤل السلس لقواعد المعرفة المنهجية بعيدا عن التكرار والتماثل و الاجترار المثل والعقم المثل.

إن نظرة خاطفة تستعرض مجمل المقالات العلمية المتنوعة المقدرة ب (40) انجازا علميا من باحثين ممثلين لعشرة جامعات وطنية ومشاركيتين من دول شقيقة (تونس)؛ تصب جلها في تغطية محاور وتحقيق أهداف هذا المؤلف الجماعي؛ بيد أن قراءة متمعنة لمضامينها تترجم في غاليتها محاولة جدية على قدر كبير من القيمة العلمية والجودة الأكاديمية للارتقاء بمستوى البحث العلمي السوسيولوجي في الجزائر ودعم جهود سياسة الدولة في مجال إشراك العلوم الاجتماعية: تفعيلا واستجابة وتدخلا، في مجال التحاور البناء والمشاريع الاقتصادية ودعم التنمية المحلية واشباع الحاجات المتجددة للمواطنين والجماعات المحلية، شعارها «العلم في خدمة الوطن»، وعنوانها: "الميزة التنافسية والشفافية والاجرائية أساس تكامل البناء المعرفي الحضاري الخلاق: «الإنس-حضاري، الإنس- اقتصادي والإنس-تكنولوجي»، تلك التي يمكن أن تفضي إلى نشوء فكر جديد وثقافة علمية نوعية جديدة؛ تعيد النظرة إلى دلالة ومفهوم العلم السوسيولوجي والبحث الميداني، كما تُراجع الكيفيات المعهودة في ثنايا تنفيذ البحوث الميدانية بانتقاء طرائق التفاعل ومهارات التعامل مع الأدوات المنهجية (الكمية والكيفية) فضلا عن انتقاء أفضل المقاربات التنظيرية بل وتطويعها لهوية البحث الميداني بعد اسكتشاف جدوى الاسهام في إثراء النظرية السوسيولوجية على صعيد الإنتاج الأكاديمي «الإنس- عالمي»، طالما أن النظرية هي منتج مرهون بهوية جغرافية وسوسيو اقتصادية وحضارية؛ لها مواصفات نوعية لا يمكن أن تكون لها

قابلية الاستنساخ والتصدير لعوالم أخرى إلا إذا احتكمت إلى أصول ومبادئ وحاجات توافق «المشترك الإنساني» المتمدد ضمن فضاءات عدة. وطالما أن هذه الهوية العملية الأحادية آخذة في التراجع والانحصار مقابل تمدد التيار متعدد التنوع على صعيد السياسات الدولية والاستراتيجيات التنموية والأمنية؛ فهي تمنح «حيّز زمني» لإمكانية اختبار جدوى الفاعلية في تحقيق أهداف إنسانية تقدمية تعكس خصوصية الإنسان والجماعة والمجتمع مراعاة حيّز المكان والزمان تحت تصنيف متطور؛ يعالج قضايا واشكالات «المجتمع الرقبي»، فيما تمنح مكانة غير نمطية للمتألقين من الطلبة الباحثين والمتخرجين في هذا المجال، أي مجال الابداع والابتكار البحثي.

على صعيد المؤلف الجماعي؛

فقد تضمن المحور الأول ساهمت الأعمال بصفة عامة في تقديم صورة واضحة للقارئ (طلبة وباحثين ومؤطرين) حول أساسيات البحث السوسولوجي في إطاره النظري. حيث شملت تغطية خاصة بخطوات بناء الإشكالية، وصياغة الجهاز المفاهيمي، مع اشتقاق المفاهيم الإجرائية وبناء الفرضيات بعد تحليل المفاهيم التجريدية والأطر والمقاربات النظرية وتوظيف نتائج الدراسات السابقة.

فكان من أهم مقدمات نجاعة المعادلة المنهجية؛ إنما هو التأكيد على ضرورة ربط الأداء البحثي بالأداء البيداغوجي خلال مراحل التكوين القاعدي للطلاب الجامعي في مرحلة تأسيسية سابقة عن تنفيذ بحوث التخرج، فيما تمنح للباحث تواليًا وضوح الرؤية الاستشكالية واتجاه البوصلة البحثية في ضوء ضبط مؤشرات وأبعاد موضوع البحث ومدرجات حدوده (المأكرو- الميكرو) سوسولوجية، فضلًا عن محددات الزمان والمكان والزمنة البشرية.

فيما تضمن المحور الثاني من خلاله، تم رصد رحلة الميدان البحثي ومحطات الاقتراب ثم العودة عبر ثنائيًا الإجراءات المنهجية المعروفة من المناهج والعينات، والأدوات المنهجية مثل شبكتي: الملاحظة والمقابلة، ثم أدوات الاستبيان والقياس السوسومترية لكن بنكهات غير مألوفة؛ تطعم باستثمار مجمل المهارات العقلية والاجتماعية والفنية التي يتعين على الطلبة والباحثين الاجتهاد في تنميتها ذاتيًا واعتمادها واستغلالها وتوظيفها على أحسن صورة.

بيد أن التحليل الكمي والكمي التوعوي لبيانات البحث الميداني ومناقشة وتفسير نتائج الفرعية والنهائية على مستوى مراحل البحث الاستطلاعي الأولي ثم تواليًا النهائي؛ تتضح قيمته العلمية ضمن المحور الثالث من جهة ارتباطه التوافقي ونوع المناهج الكمية أو الكفية أو كلاهما معًا حسب ما تقتضيه طبيعة موضوعات البحث ذاته اوباحترام مداخلها الاستيمولوجية. فيما تتضح جدواه الاجرائية من جهة ارتباطه بما سيفضي إليه من نتائج اجرائية بوصفها حركات تنفيذية في أرض الواقع؛ تسهم في الانفراج عن كل جديد مفيد لعامة الناس في المجتمع المحلي، هذا الذي جسّد مضامين المحور الرابع: من حيث محاولة تمحيص الحقائق الاجتماعية عبر قراءة موضوعية للنتائج النهائية بعد تحليل مؤشراتها وتفسير أبعادها ضمن الأطر الفكرية والتراث المعرفي النظري السوسولوجي لأهم المدارس والاتجاهات التنظيرية الكلاسيكية وفروعها الحديثة، فضلًا عن مناقشتها وربطها بسياق نتائج الدراسات السابقة على صعيد محلي، إقليمي وعالمي، بيد

أنَّ المحرور الخامس قدّم صورة نموذجية لتوظيف الملاحق البحثية ومنحها الأهمية بإماطة اللثام عن جواهر القيمة العلمية الخالصة والأمريكية لبياناتها الميدانية على المدى اللّحظي والمستقبلي، وتبيان مجالات استخداماتها المختلفة وحسن استثمارها لتطوير بناء العمارة المعرفية. في ختام هذا التقديم، كلمة شكر وتقدير لا تَبَد منها؛

نوجّـهـا لأعضاء اللجّـة الشرفية للكتاب كل باسمه تشمل السّادة الكرام: الأستاذ الدكتور عمر فرحاتي، مدير جامعة حماة لخضر الوادي، والأستاذ الدكتور ضيف الأزر، عميد كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، والأستاذ الدكتور بلال بوترعة، مدير مخبر التنمية الاجتماعية وخدمة المجتمع.

كلمة شكر وتقدير نوجّـهـا لكل المشرفون الأفاضل على مبادرة التّأليف الجماعي وتحويله من مجرد فكرة، إلى مشروع مأمول فكتاب منشور، وهم: رئيس المشروع الدكتور محمد براي من جامعة تبسة، و الدكتور فيصل بوراس من جامعة الوادي، ورئيس اللجنة العلمية الأستاذ الدكتور رابح بن عيسى.

كلمة شكر وتقدير لكل أعضاء الهيئة العلمية التي أشرفت على تحكيم الأعمال العلمية طّي هذا الكتاب.

كما نوجّه كلمة شكر وتقدير خاص إلى الدكتور محمد براي ومن خلاله إلى كل مسؤول على كرم الاستكتاب لتحريـر هذه الكلمة المتواضعة وعلى جهوده وجهودهم الطّيبة في مجال ترقية البحث العلمي وخدمة مجتمع الجامعة الوطنية.

نسأل المولى القدير أن يكون هذا الكتاب مرجعاً مُهماً للغاية يضاف إلى المراجع السابقة، وبنية معرفية جديدة تؤسّس لبناء معرفي أكثر ارتقاء واشباعاً لحاجة الطلبة والباحثين في مجال المنهجية، وينبوعاً علمياً يَهْل منه وينتفع جميع طلاب العلم في الوطن الحبيب وربوع الوطن العربي ككل. فيما أتمنى من قلبي بعد تحرير هذه الكلمة المتواضعة أن أكون عند حُسن ظنّ الجميع، فإنّ أصبت فمن الله وحده، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان. والله من وراء القصد.

أ د/ نادية سعيد عيشور
سطيف في 29 ماي 2026

كلمة رئيس المخبر

السادة القراء الكرام،

يسعدني وإياكم أن يتقدم مخبر التنمية الاجتماعية وخدمة المجتمع بهذا العمل الجماعي الرائد، الذي يجمع نخبة متميزة من الأساتذة والباحثين من مختلف الجامعات والمؤسسات البحثية، ليقدموا لنا هذا المنتج القيم الذي يأتي في وقته المناسب، ليسد فراغاً معرفياً ومنهجياً ملموساً في المكتبة العلمية العربية، لاسيما في حقل المنهجية والبحث السوسيولوجي.

لقد جاءت فكرة هذا الكتاب الجماعي من إيمان راسخ بأهمية تكامل الجهود وتلاقح الأفكار والرؤى المنهجية، فالبحث العلمي الرصين لا يبنى بجهود فردية معزولة، وإنما هو نتاج تراكمي لنقاشات علمية عميقة، وتجارب ميدانية متنوعة، وتأملات نقدية مستمرة. وهذا ما تجسد بوضوح في الكتاب الذي بين أيديكم، والذي يغطي أهم المحاور الأساسية التي تشكل عصب أي عمل بحثي جاد، بدءاً من بناء الإشكالية وصياغتها، مروراً بالتعامل مع المفاهيم والدراسات السابقة والمقاربات النظرية، وصولاً إلى تقنيات جمع البيانات وتحليلها، بل ويتجاوز ذلك إلى استشراف آفاق جديدة بفعل التطورات التكنولوجية الرقمية والذكاء الاصطناعي.

إن ما يميز هذا الاستكتاب هو تنوعه الغني وتكامله العضوي حيث يضم:

- تأصيلاً نظرياً رصيناً لأسس البحث العلمي وضوابطه الإجرائية.
- معالجة متعمقة للإشكاليات الكبرى كجدلية الكمي والكمي، وتحديات ترجمة المفاهيم النظرية إلى مؤشرات قابلة للقياس.
- مقاربات تطبيقية ونماذج عملية في مختلف تقنيات البحث كالملاحظة، المقابلة، الاستبيان، وتحليل المحتوى بشقيه التقليدي والرقمي.
- طروحات مبتكرة تتجاوز المؤلف، كالإثنوغرافيا الرقمية، والمنهج السوسيو-تقني، والهجين الأنثروبولوجي في البحث السوسيولوجي المعاصر.

إن هذا الثراء والتنوع لم يأت من فراغ، بل هو ثمرة جهد كبير بذله الأساتذة الباحثون الذين ساهموا بأوراقهم العلمية الأصيلة، وتحت إشراف لجنة علمية محكمة حرصت على الانتقاء والتحكيم وفق أعلى المعايير الأكاديمية. كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر والتقدير لكل من ساهم في إخراج هذا العمل إلى النور، من منسقين ومحررين وهيئة تحرير، وجميع العاملين في المخبر الذين لم يألوا جهداً في دعم هذا المشروع العلمي الطموح.

إنني إذ أتبنى هذا الاستكتاب باسم مخبرنا، وأقدمه للباحثين والطلبة والأكاديميين، لأدعو الجميع إلى الاستفادة من مضامينه الغنية، والتعامل معه كمادة علمية ومنهجية مرجعية تعينهم على تجويد ممارساتهم البحثية، وتفتح أمامهم آفاقاً جديدة في رحاب العلم والمعرفة.

والله ولي التوفيق،،،

أد. بلال بوترة

مدير مخبر التنمية الاجتماعية وخدمة المجتمع

الوادي في 2026/05/30

كلمة المشرفين على الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله الكريم.

تكتسي المنهجية أهمية بالغة في البحوث العلمية، لاسيما البحوث السوسيولوجية، باعتبارها الموجه الأساسي، الذي يعتمد عليه الباحث للوصول الى حقائق علمية، و تحويل الرؤى النظرية الى نتائج ذات قيمة، اذ لا يمكن أن نتصور بحثا سوسيولوجيا دون منهج، الا مجرد سرد، أو أدب اجتماعي.

انطلاقا من أهمية البحث العلمي، وارتباطه بالمنهج العلمي، يمثل هذا المؤلف الجماعي الموسوم بـ: آليات توظيف الأدوات المنهجية في البحث السوسيولوجي الأكاديمي (بين التنظير و الأجراء)، محاولات علمية جادة تسير بالباحث والطالب الجامعي و توجههم في بحوثهم، ودراساتهم، خطوة بخطوة، من مرحلة تحديد الإشكالية و ضوابطها إلى تحديد المفاهيم والفرضيات و بناء نموذج التحليل، و كيفية تحديد الآداة المناسبة في الدراسة، وصولا إلى المهارات المتقدمة في قراءة و تحليل نتائج الدراسات الميدانية، في تسلسل منطقي عمل على ايجاده المشرفين على هذا العمل الدكتور فيصل بوراس، والدكتور محمد براي، من خلال هندسة محاور هذا الاستكتاب، وتحكيم المداخلات تحكيما رصينا، عند مجموعة من خيرة الأساتذة الجامعيين المعروفين في الساحة الأكاديمية، الذين يمثلون صمام أمان يضمن للقارئ جودة المحتوى وعمق الطرح، ثم التوجيه المنهجي الذي يضمن تقديم مادة علمية منهجية تتعدى السرد الوصفي، وتقدم المنهج العلمي في قوالب نمطية، الى التحليل السوسيولوجي و الابتكار و التجديد، والتفكير النقدي المنهجي المعمق. ان هذا الاستكتاب الجماعي ينطلق من فكرة تراكمية المعرفية، والتجديد والاستفادة من التجارب لذلك فهو يشكل باقة من المقالات العلمية التي قام بتقديمها نخبة من الباحثين والباحثات الأكاديميين والأكاديميات، الذين حاولوا قدر المستطاع تأطير الدراسات والبحوث الاجتماعية تاطيرا جماعيا ليكونوا مرجعا علميا يحتذى به، ويوجه طلبة الدراسات العليا والباحثين في مجال العلوم الاجتماعية التي تهتم بدراسات الظواهر والقضايا الناتجة عن التفاعل الاجتماعي، خاصة في زمن يحتم ضرورة التجديد، ومواكبة التطورات الاجتماعية والتقنية، وتأثر عملية التفاعل والعلاقات الاجتماعية بالواقع الافتراضي.

في الأخير ليس لي إلا أن أتقدم بجزيل الشكر الى:

- جامعة حمة لخضر - الوادي ممثلة في السيد المدير الأستاذ الدكتور عمر فرحاتي
 - السيد عميد كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية أ.د: ضيف لزه
 - رئيس قسم العلوم الاجتماعية ورئيس مخبر التنمية الاجتماعية وخدمة المجتمع أ.د: بلال بوترة
 - رئيس اللجنة العلمية أ.د: رابع بن عيسى
 - الأستاذ القديرة أ.د هيشور نادية من جامعة سطيف على تقديمها لهذا الكتاب
 - الزميل المشرف الدكتور محمد براي من جامعة تبسة
 - كل من ساهم من بعيد او قريب (متدخلين و محكمين) في اخراج هذا الكتاب
- ونسأل الله عزوجل ان ننفع بهذا الاستكتاب، وان يكون بادرة خير يفتح الباب امام مساهمات أخرى علمية ومنهجية.

الدكتور فيصل بوراس

الوادي في 2026/05/30

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد.

يسرنا في البداية أن نقدم هذا الكتاب الجماعي الموسوم بـ: آليات توظيف الأدوات المنهجية في البحث السوسولوجي الأكاديمي (بين التنظير و الأجراء) ، الذي جاء ثمرة تعاون علي بين نخبة من الباحثين والأكاديميين في تخصص علم الاجتماع وبعض التخصصات الأخرى ذات الصلة، إسهاماً في خدمة المعرفة وإثراء للبحث العلمي.

لا يمكن إعتبار البحث العلمي بحثاً مكتمل الصفات والشروط والمعايير ما لم يقرن توظيفه بأدوات منهجية ضابطة تسهم في توجيه الباحث، وتعمل على تنظيم مساره وخطواته، بغية تحقيق أهدافه وغاياته العلمية المنشودة، ولا شك أن لكل تخصص علمي آلياته وأدواته ومقارباته المنهجية التي تؤطر حركته وتضبط سيرورته ضمن إطار علمي منظم وهادف. وبعد علم الاجتماع من أبرز هذه التخصصات، بالنظر إلى انشغاله بدراسة القضايا والمشكلات الاجتماعية المعقدة والمتشابكة، التي تتطلب قدراً عالياً من الدقة والتركيز خاصة فيما يتعلق بالإجراءات الإمبريقية والتحليلية.

ونظراً لما تتسم به الظواهر الاجتماعية من تعقيد وتسارع في الانتشار والتأثير والتحول من جهة، وما يواجهه الباحث في علم الاجتماع من صعوبات مرتبطة بتطبيق وضبط الأدوات المنهجية من جهة أخرى، جاءت فكرة إصدار هذا الكتاب الجماعي الذي سعيانا من خلال عناصر محاوره، وإسهامات نخبة من الزملاء الباحثين في الميدان، إلى تسليط الضوء على جملة من القضايا والإشكالات المنهجية التي كانت بحاجة إلى مزيد من التوضيح والتأصيل، أمليين بذلك إنارة الطريق أمام الطلبة والباحثين والمختصين في علم الاجتماع، وتيسير مسارهم العلمي بما يساعدهم على بلوغ أهدافهم البحثية بكفاءة وموضوعية.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان لكل من أسهم في إنجاز هذا العمل العلمي وإخراجه إلى النور، ونخص بالذكر إدارة جامعة الشهيد حمة لخضر – الوادي، وعلى رأسها السيد مدير الجامعة الأستاذ الدكتور عمر فرحاتي، كما نتوجه بالشكر الجزيل إلى السيد عميد كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية الأستاذ الدكتور ضيف لزهري، وإلى السيد الأستاذ الدكتور بلال بوترة رئيس قسم العلوم الاجتماعية ورئيس مخبر التنمية الاجتماعية وخدمة المجتمع ، على ما بذلوه من جهود في سبيل إنجاح هذا المشروع العلمي.

ونعبر عن بالغ تقديرنا للسيد رئيس اللجنة العلمية الأستاذ الدكتور راجح بن عيسى، لما قدمه من متابعة علمية وإشراف أكاديمي أسهم في الارتقاء بمستوى هذا العمل.

كما نتقدم بجزيل الشكر والتقدير للأستاذة الدكتور هيشور نادية من جامعة سطيف، لتفضلها بكتابة تقديم هذا الكتاب وإثرائه برؤيتها العلمية القيمة..

ولا ننسى أن نعبر عن امتناننا لكل الأساتذة الباحثين والمحكمين والمتدخلين، وكل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذا الكتاب وإخراجه في صورته الحالية.

ونسأل الله عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يحقق الفائدة المرجوة للباحثين والمهتمين، وأن يكون لبنة علمية تفتح آفاقاً جديدة لمزيد من المبادرات البحثية والإسهامات الأكاديمية والمنهجية الهادفة.

والله ولي التوفيق.

د. محمد براي

بئر العاتر في 25 ماي 2026

كلمة رئيس اللجنة العلمية للكتاب

الزملائي الأساتذة، الباحثون الكرام السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

في تقديم هذا الاستكتاب الجماعي، أقول:

أن البحث العلمي، خاصة السوسيولوجي في عصرنا الحالي، عصر الرقمة والتكنولوجيات، ومواقع التواصل الاجتماعي تجاوز صعوبات الحصول على المعطيات، والمعلومات، ليصطدم بفجوة متزايدة بين التمكن النظري من المناهج وبين الممارسة الميدانية (الأجراً)، فإذا كنا بالأمس نتعامل مع بحوث ودراسات تستهدف مجتمعات كائنة ولملموسة، فإننا اليوم نتجه نحو موضوعات وقضايا اجتماعية، ولدت نتيجة التفاعل الإلكتروني الذي يتخذ من مواقع التواصل الاجتماعي مجالا له، حيث يكون الفاعل الإلكتروني والخبر الإلكتروني والمجتمع كذلك الإلكتروني، لذلك كان لابد من إعادة النظر، وتجديد المنهج، ولما لا ابتكار مناهج تعمل على توأمة المجالات الاجتماعية المرتبطة بالإنسان على غرار المنهج السوسيوثقفي الذي يجمع بين الظاهرة الاتصالية والتقنية، كما طرحت أساسياته أحد الزميلات المشاركات في هذا الاستكتاب.

من هنا جاءت فكرة هذا العمل الجماعي الذي يتتبع خطوات المنهج في البحوث السوسيولوجية، وكيفية الانتقال بالطالب أو الباحث من صياغة الإشكالية إلى استنطاق المبحوث بأدوات قادرة على سبر غوار الظواهر الاجتماعية بكفاءة وعلمية، حيث كان هدف اللجنة العلمية محاولة الربط بين الخلفيات الإبيستيمولوجية والتقنيات الإجرائية، وتشجيع المبادرات التي تبتكر طرقاً جديدة لتطويع المناهج الكلاسيكية مع المستجدات الرقمية والتحولت المجتمعية المعاصرة، في ظل الصرامة التي تضمن الرصانة الأكاديمية، حيث تخضع كافة المشاركات التي يتقدم بها الزملاء والزميلات من مختلف الجامعات لعملية "تحكيم علمي" من قبل خبراء متخصصين، من أجل تجاوز التكرار والسرد النظري، وتحقيق إضافات معرفية في الحقل المنهجي، وتجارب ميدانية توضح الأخطاء المنهجية التي يقع فيها طلبتنا في الجامعة الجزائرية عند انجاز بحوثهم ومذكرات تخرجهم.

ختاماً، نتوجه بالشكر والتقدير إلى الرؤساء الشرفيين لهذا الاستكتاب، والمشرفين عليه، وكل أعضاء اللجنة العلمية كل باسمه وجميل اسمه، هؤلاء الذين لم يبخلوا بجهدهم، ووقتهم في تحكيم المقالات واثراء هذا الاستكتاب، أدامهم الله ذخرا.

الأستاذ الدكتور/ رابع بن عيسى

الوادي في: 2026/05/30

بناء إشكالية البحث السوسيولوجي

ضوابط منهجية لترشيد الممارسة البحثية وتجويدها

أ.د. بورزق نوار

جامعة الشهيد الشخ العربي التبسي، تبسة - الجزائر

ملخص

يهدف هذا المقال إلى الاسهام في ترشيد بناء الإشكالية في البحث السوسيولوجي بوصفها نقطة الانطلاق التي يتحدد من خلالها مسار البحث ونتائجه. وينطلق المقال من مقارنة تركيبية تجمع بين التأصيل النظري في أدبيات المنهجية السوسيولوجية، وبين الخبرة الميدانية المتراكمة في الإشراف الأكاديمي وتحكيم ومناقشة البحوث. ويهدف إلى تقديم تصور منهجي يوضح مراحل بناء الإشكالية، كما يعرض المقال ضوابط جودة اختيار المشكلة البحثية، ويكشف عن أبرز الهفوات اللغوية والشكلية والإبستمولوجية التي تعيق بناء إشكالية رصينة. ويخلص إلى أن مستوى التحكم المنهجي والمعرفي للباحثين عكس على جودة الإشكالية.

Abstract

This article aims to contribute to the rationalization of constructing the sociological research problematic, conceived as the foundational step that determines the trajectory and outcomes of any scientific inquiry. It adopts a synthetic approach that combines theoretical grounding in sociological methodological literature with accumulated field-based experience in supervising, examining, and reviewing academic research. The article seeks to develop a methodological framework that clarifies the stages of problematic construction, establishes criteria for assessing the quality of research problem selection, and identifies the most common linguistic, formal, and epistemological shortcomings that hinder the development of a robust research problematic. The study concludes that the researcher's level of methodological and epistemological mastery is directly reflected in the quality, coherence, and scientific validity of the research problematic.

Keywords; Problematic; Sociological research; Methodology; Scientific quality; Epistemology

مقدمة:

يعد بناء إشكالية البحث السوسيولوجي مرحلة مفصلية هامة في سيرورة إنتاج المعرفة العلمية الرصينة، وركيزة مركزية يقوم عليها البناء المنهجي لأي دراسة أكاديمية، فالأمر لا يتعلق بإجراء ميكانيكي تقني روتيني شكلي فرضته القوالب الجامعية، بقدر ما يتعلق بإطار علمي يتم من خلاله تحويل ظاهرة اجتماعية مستمدة من واقع اجتماعي معطى إلى موضوع علم اجتماعي قابل للمساءلة العلمية والتحليل السوسيولوجي. ومن خلال هذه العملية يتم تفكيك الظاهرة الاجتماعية وبعاد تركيبها ضمن بناء نظري ومنهجي يسمح بفهم أبعادها وعلاقاتها وسياقاتها المختلفة، مما يجعلها مؤشرا وازنا لمستوى النضج الفكري والمعرفي للباحث وجودة بحثه، وذات ثقل منهجي وعلمي ضمن تصميم البحث.

ومن هذا المنطلق، تستمد الإشكالية أهميتها بوصفها نقطة الانطلاق الحقيقية في البحث العلمي، ومجالا حيويا يستوجب الإثراء والتأمل المنهجي المستمر؛ وبالعودة إلى الأدبيات المنهجية

المتخصصة، يتضح أن جودة البحث العلمي لا تقاس بوفرة المعلومات أو بعدد الصفحات أو بتوظيف لغة متكلفة ومفاهيم غامضة ومعقدة، وإنما تقاس أساساً بمدى قدرة الباحث على اختيار مشكلة علمية واقعية ذات قيمة معرفية ومجتمعية، ومعالجتها ضمن رؤية نظرية واضحة وخطة منهجية دقيقة ومنسجمة تربط بين مختلف مكونات البحثوسياقه العلمي والاجتماعي. ولذلك، فإن التذكير الدائم ببناء الإشكالية بوصفه ممارسة علمية دقيقة يظل ضرورة أكاديمية لمختلف الباحثين، إذ يساهم في تكوين المبتدئين منهم، ويعزز مهارات المتمرسين منهم، ويفتح المجال أمام مبدعهم لتطوير أدوات البحث والتفكير السوسيولوجي ومنهجية انتاج معرفة متميزة. ويكون ذلك باستحضار الأسس المنهجية، والضوابط النظرية المتعددة التي أرساها التراث السوسيولوجي، وآليات التعامل بصرامة ومرونة في الآن نفسه مع ما تستبطنه الممارسات البحثية من اختلافات وتباينات في الاتجاهات والتصورات، وما ينجم عنها من استفسامات كثيراً ما يصطدم بها الباحثون، ويسجلها الخبراء عند تقويم الأعمال العلمية.

وفي هذا السياق فإن الخبرة الأكاديمية المتراكمة ميدانياً من الاشراف على مذكرات الماجستير وأطاريح الدكتوراه ومناقشتها، وتحكيم المقالات العلمية، والمناقشات أثناء الملتقيات والندوات العلمية، تكشف عن الكثير من مواطن الضعف على المستوى الابستمولوجي، وعلى المستوى الاجرائي المنهجي، وحتى على المستوى الشكلي، التي يستدعي تقويمها جملة من التوجهات قصد ترشيد العملية البحثية وتجويدها، ولهذا جاء هذا المقال يسع لمعالجة مسألة بناء إشكالية البحث السوسيولوجي، وذلك من زاوية نظرية إبستمولوجية تبرز منطقها الداخلي وشروطها العلمية، وزاوية نقدية تطبيقية لعيوب الممارسات، وذلك من خلال محاولة الاجابة عن التساؤل التالي:

ما الضوابط المنهجية الكفيلة بترشيد بناء إشكالية بحث سوسيولوجي ذات جودة علمية؟

1. البحث العلمي: يعرف البحث العلمي على أنه :

" طريقة منظمة أو فحص استفساري منظم لاكتشاف حقائق جديدة و التثبت من حقائق قديمة و العلاقات التي تربط فيما بينها و القوانين التي تحكمها "(فوزي، نعيم، يحي، خالد، و هاني، 1981، صفحة 05)

هذا التعريف ينظر إلى البحث العلمي باعتباره وسيلة لاكتشاف "الحقائق" و "القوانين" الموضوعية التي تحكم الظواهر، وهو منظور وضعي.

" عبارة عن استقصاء دقيق ومنظم لظاهرة ما باستخدام المنهج العلمي وبتقنياته المختلفة الكمية والكيفية. وذلك بهدف اكتشاف حقائق وقواعد عامة يمكن التحقق منها مستقبلاً، ويمكن الاستفادة منها في الحياة العلمية والعملية"(دليو، 1997، صفحة 15).

هذا التعريف يغطي ما أهمله التعريف السابق من خلال الإشارة إلى تعدد الأدوات والمقاربات، وغاية البحث العلمي.

" المحاولة الدقيقة و الناقدة للوصول إلى حلول للمشكلات التي تؤرق الانسان و تحيره"(فاطمة و صابر، 2002، صفحة 26).

وهذا التعريف يشير إلى البعد النقدي للبحث العلمي، بشكل عام فإن هذه التعاريف أجمعت على ضرورة وجود طريقة علمية منظمة وواضحة ودقيقة، وهي ما يعرف بتقنيات وآليات البحث، يعتمد عليها الباحث في اكتشاف جديد الحقائق أو التأكد منها. لإزالة كل الغموض الذي يحيط بحياته في كل المجالات. من خلال السعي الحثيث وراء المعلومة والتنقيب عنها للوصول إلى حياة إنسانية سعيدة و هنيئة. ، غير أن كل هذه التعريف أهملت بعدا مهما وهو الضوابط التي على الباحث أن يتقيد بها حتى لا يحيد البحث العلمي و يصبح منغصا للحياة، بل وخارجا عن نوااميس الطبيعة.

و بهذا نصل إلى صياغة هذا التعريف الخاص بالبحث العلمي " هو نشاط إنساني يعتمد تقنيات ومناهج علمية لفهم أو تفسير أو تحليل موقف أو مشكلة أو ظاهرة والاستفادة منه في حياته في إطار ضوابط اخلاقية تؤمن الحياة الانسانية .

2. مفهوم الجودة في البحث العلمي

على الرغم من حداثة هذا المفهوم في التوظيف العلمي، إلا أنه جذورا لغوية وأخرى اصطلاحية في التراث المعرفي الانساني، يمكن ايجازها فيمايلي

لغة، في اللغة العربية، وحسب المعجم الوسيط فإن الجودة من أجاد، بمعنى صار جيدا، ويقال جاد المتاع، وجاد العمل، فهو جيد. وأجاد يعني أتى بالجيد من قول أو عمل، ويقال تجود في العمل، أي تأنق فيه. وتعود الشيء، تخيره وطلب أن يكون جيدا (مجمع اللغة العربية، 2004، صفحة 145)

وأجاد الشيء: أي جعله جيدا، والجيد نقيض الرديء، والجودة هي درجة الاتقان والتميز والأفضلية وهي نتيجة الاهتمام أساسا بالكيف والنوع لا بالكم. وفي اللغة الإنجليزية يوظف لفظ QUALITY للدلالة عليه.

وانطلاقا من هذا الأصل اللغوي الذي يربط الجودة بالإتقان والتحسين، يتضح أن المفهوم قد تطور لاحقاً ليأخذ بعدا اصطلاحيا أكثر تركيبا ودقة، خاصة في الحقول العلمية والإدارية.

إذ تعرف هيئة المواصفات البريطانية BSI الجودة على أنها مجموعة صفات وملامح وخواص المنتج أو الخدمة التي تحمل نفسها عبء ارضاء الاحتياجات الملحة والضرورية (جوادي و عمور، 2009، صفحة 13)

أما المنظمة الأوروبية لضبط الجودة EOQC فتعرفها على أنها مجموعة من الصفات التي يتميز بها منتج أو خدمة معينة تحدد قدراته لتلبية حاجات الزبائن

وتعرفها الجمعية الأمريكية للرقابة على الجودة ASQC مجموعة مزايا وخصائص المنتج أو الخدمة القادرة على تلبية حاجات المستهلكين (بلية، 2019، صفحة 13).

ومن خلال هذه التعاريف يتضح أن الجودة مفهوم ديناميكي متغير، ارتبط في بداياته بالمجال الإنتاجي، غير أنه تطور ليصبح معيارا مركزيا لقياس الفعالية والملاءمة، وهو ما مهد لانتقاله إلى مجالات أخرى، لاسيما المجال التربوي والتعليمي.

وفي هذا السياق جاء مؤتمر اليونسكو للتعليم والذي أقيم في باريس، أكتوبر (1998) لينص على أن "الجودة في التعليم العالي مفهوم متعدد الأبعاد ينبغي أن يشمل جميع وظائف التعليم

وأنشطته مثل :- المناهج الدراسية - البرامج التعليمية - البحوث العلمية - الطلاب - المباني والمرافق والأدوات - توفير الخدمات للمجتمع المحلي - التعليم الذاتي الداخلي - تحديد معايير مقارنة للجودة معترف بها دولياً" (فاشي، 2022، صفحة 553).

وانطلاقاً من هذا التصور الشمولي للجودة في التعليم العالي، يمكن فهم جودة البحث العلمي باعتبارها أحد أبرز تجليات هذا المفهوم داخل الجامعة، حيث تخضع بدورها لجملة من المعايير الأساسية، أهمها:

وهذه المعايير في عمومها هي:

- البحث الجيد منظم: وهذا يعني أن يركز البحث على خطوات محددة يتعين اتخاذها في تسلسل محدد وفقاً لمجموعة من القواعد المحددة جيداً، السمة المنهجية للبحث لا تستبعد التفكير الإبداعي لكنها بالتأكيد ترفض استخدام التخمين والحدس في التوصل إلى استنتاجات.
- البحث الجيد منطقي: وهذا يعني أن يتم توجيه البحوث وفقاً لقواعد التفكير المنطقي، لأن عملية الاستقراء والاستنباط المنطقي تعتبر ذات قيمة في إجراء البحوث، وفي الواقع أن التفكير المنطقي يجعل البحث نجد أكثر وضوحاً سياق عملية صنع القرار،
- البحث الجيد تجريبي: وهذا يعني أن البحث يتعلق أساساً بواحد أو أكثر من جوانب وضع حقيقي ويتعامل مع بيانات ملموسة توفر أساساً لصحة نتائج البحث (لونيس، 2019، صفحة 307.308).

تكشف تعريفات جودة البحث العلمي ومعاييرها عن ارتباط الجودة بمدى التزام البحث بالتنظيم المنهجي، والمنطق العلمي، والطابع التجريبي أو الدراسة الميدانية، بما يضمن إنتاج معرفة دقيقة وموثوقة وقابلة للتحقق والتطبيق. كما تؤكد أن جودة البحث لا تقتصر على النتائج فقط، بل تشمل مختلف مراحل العملية البحثية من صياغة الإشكالية إلى تحليل البيانات وفق معايير أكاديمية معترف بها.

وعليه يمكن القول بجودة البحث العلمي يقصد بها مستوى التزام البحث للمعايير العلمية والمنهجية المعتمدة في إعدادها، من حيث وضوح إشكاليته، ودقة تصميمه المنهجي، وموضوعية جمع بياناته وتحليلها، وأصالة نتائجها، وقابليتها للتطبيق أو الاستفادة العلمية وفق معايير تنافسية ومقتضيات التميز.

ملاحظة تجدر الإشارة إلى أن لكل مرحلة من مراحل البحث معايير خاصة بجودتها، وهو ما تؤكد أغلب مراجع المنهجية، غير أنه في هذا المقام سيتم الاقتصار على معايير جودة إشكالية البحث، على أن يفصل ذلك لاحقاً.

3. مشكلة البحث وإشكاليته

مفهوم المشكلة هو ترجمة حرفية للمصطلح الإنجليزي Problem، ولها نظائرها في الحقول العلمية المختلفة، حيث يقابل أحياناً كلمة (مسألة) في لغة الرياضيات، ومرادف لكلمة (قضية) في العلوم السياسية والقانونية (لونيس، 2019، صفحة 310).

وفي اللغة العربية، يشتق لفظ مشكلة من الاسم «مُشْكِل»، وجذرها اللغوي «ش ك ل»، وجمعها «مشكلات» و«مشاكل»، وتدل على قضية أو صعوبة تتطلب معالجة أو حلاً، كقولنا: مشكلة المرور أو مشكلة الشرق الأوسط. كما تشير إلى عائق ينبغي تجاوزه من أجل الوصول إلى نتيجة معينة (الجامع، 2026).

أما لفظ إشكالية، فهو مصدر صناعي مشتق من الجذر نفسه «ش ك ل»، ويقصد به قضية فكرية أو اجتماعية أو ثقافية تتضمن قدراً من الغموض والالتباس، وتستدعي التفكير والتحليل والتأمل من أجل الوصول إلى تفسير أو حل ممكن، وجمعها «إشكاليات» (المعاني، 2026). وعليه، فإن المشترك بين المفهومين يكمن في الأصل اللغوي والدلالة العامة المرتبطة بوجود وضعية غير مستقرة أو غير محسومة، غير أن الاختلاف بينهما يظهر على مستوى الدرجة والوظيفة المعرفية؛ فالمشكلة تحيل إلى عائق أو صعوبة قابلة للحل المباشر أو التقني، في حين تحيل الإشكالية إلى المستوى أعمق من التفكير العلمي، لأنها لا تكتفي بوصف الظاهرة، بل تسعى إلى مساءلتها وتحليل أبعادها وسياقاتها وتناقضاتها.

ومن الناحية الاصطلاحية، تعود جذور المفهومين للمشكلة والإشكالية - إلى الفلسفة الاغريقية، ويأخذان في الأصل معنى ما هو ملقى في الواجهة أو في الأمام أو مطروح في المقدمة، على أساس أنهما مشتقان من الأصل اليوناني proballein المتكون من كلمة pro وتعني الأمام أو الواجهة أو المقدمة، ومن ballein بمعنى الالقاء أو الطرح، كما يأخذان دلالة أيضاً العقبة التي تهدد إيقاعنا، وفي أحسن الأحوال الظاهرة الملفتة للنظر، والتي تجبرنا على إبطاء خطواتنا قصد بذل جهد لتجاوزها أو عبورها، أو في أسوأ الأحوال العائق الذي يستوجب المقاطعة مع ما هو سائد (موساسب، 2020، صفحة 438).

إن هذا النص يشير إلى تطابق الدلالة الاصطلاحية بين المشكلة والإشكالية، وهو ما تتبناه الأدبيات الأنجلوسكسونية، على عكس الأدبيات اللاتينية التي ترى بوجود فارق بين المفهومين (دليو، مدخل إلى منهجية البحث العلمي، 2024، صفحة 93).

وعليه سيتم إبراز هذا الفارق من استعراض بعض التعاريف الاصطلاحية لكل مفهوم. فمشكلة البحث السوسولوجي: ماهي في الواقع إلا تساؤل لا توجد عليه إجابات في ذهن الباحث، وهو في العادة يتضمن مسائل بعيدة عن الحياة الشخصية، أو قريبة أحياناً يلزم الإجابة عنها، لتحقيق فائدة معينة، أو نفع خاص للمجتمع، أو إضافة للعلم أو للتراث النظري (عبد الكريم، 1982، صفحة 29).

وتعرف أيضاً بأنها: فجوة واعية بين ما نعرفه وما يجب أن نعرفه (Jaques, 2009, p. 55).

مشكلة أي بحث هي تساؤل بحاجة إلى إجابة أو توضيح، أو موقف غامض يحتاج إلى تفسير، (عليان، 2001، صفحة 69).

عرفها كرينجر بأنها: "جملة استفسارية تسأل عن العلاقة الموجودة بين متغيرين أو أكثر". وعرفها قاموس وبستر بأنها: "تساؤل يتطلب حل أو انتباه" (علي، 2008).

هذه التعريفات تشير إلى أن المشكلة البحثية تمثل نقطة الانطلاق الأساسية لأي بحث علمي، باعتبارها تعبيراً عن حالة غموض أو نقص معرفي يستوجب الفحص والتفسير.

لعل استخدام مصطلح المشكلة وإطلاقه على المواضيع العلمية الجديدة بالبحث والدراسة، يعكس أهميتها، وضرورة الوصول إلى حل بشأنها، فالمشكلة تتعلق بموقف معقد وصعب وغامض، ويخلق لدى الباحث هما وقلقا بحثيا، يسيطر على تفكيره ووجوده، ويجعله يندفع نحو العمل على حله، فالموضوعات البحثية الجديدة بالدراسة هي مشكلات علمية حقيقية يقود البحث فيها إلى الاجابة على التساؤلات الغامضة المرتبطة بها، والتي تظل تنتظر من يفك غموضها من الباحثين الجديرين بذلك (مسعود، 2018، صفحة 89)

أما الإشكالية فتعرف بأنها التحديد العلمي للمشكلة، بينما يرى البعض، وهي السياق المكون من مجموعة من المشاكل والذي تستخرج منها المشكلة الخاصة بالبحث... أي أن إشكالية البحث هي موضوعه والمشكلة جزء منه (دليو، مدخل إلى منهجية البحث العلمي، 2024، صفحة 93). ويعرف غوتيي Gouthier الإشكالية بأنها بناء من المعلومات يؤدي ربطها إلى إحداث فجوة لدى الباحث تترجم بحالة من الدهشة، أو يثير لديه تساؤلا من القوة بحيث يدفعه إلى القيام بالبحث (الآن و برنار، 2004، صفحة 127)

وحسب ريمون كوفي ولوك فان كابنهود فهي: المقاربة أو المنظور النظري المعتمد في معالجة المشكلة التي يطرحها سؤال الانطلاق، وهي الزاوية التي سترس من خلالها الظاهرة، والكيفية التي ستمم مساءلتها بها (Luc Van & Raymond , 2011, p. 81).

وحسب ميشال بودو BEAUD Michel فإن الإشكالية هي نسق فكري يبنى حول سؤال رئيسي، ويتضمن فرضيات البحث ومسارات التحليل الكفيلة بمعالجة الموضوع المختار (BEAUD , 1999, p. 32) وانطلاقاً من ذلك، يمكن القول إن الإشكالية تتجاوز مجرد طرح المشكلة، لتتحول إلى بناء نظري ومنهجي منظم يوجه البحث، ويحدد زاوية النظر، ويؤطر الفرضيات، ويضبط مسارات التحليل، مما يسمح بالانتقال من مستوى الوصف إلى مستوى الفهم والتفسير العلمي العميق للظاهرة المدروسة.

ويمكن تلخيص الفرق بين الإشكالية والمشكلة في الجدول التالي:

جدول رقم 01: يوضح الفرق بين المشكلة البحثية والاشكالية

الاشكالية	المشكلة البحثية
الإشكالية صفة ثابتة يلزم التعامل معها.	المشكلة عقبة طارئة يجب إزالتها.
تتطلب الإشكالية معالجة ولا تتطلب حلا.	تتطلب المشكلة حلا ولا تتطلب معالجة.
لا يمكن الانتهاء إلى طريقة واحدة للمعالجة بشكل نهائي.	يمكن الانتهاء إلى حل جذري يقضي على أصول المشكلة.
قد تكون الإشكالية سببا في وجود المشكلات	يصعب أن تكون المشكلة سببا في وجود الإشكالية، بينما تتولد منها مشكلات أخرى.
الإشكالية بطبيعتها أكبر وأعم من الإشكالية	المشكلة أصغر وأخص من الإشكالية

المصدر: (الرويني، 2018)

4. ضوابط جودة اختيار مشكلة البحث السوسيولوجي

من الناحية النظرية يستطيع الباحث الاجتماعي أن يدرس أي مسألة اجتماعية، فقد يكون موضوع البحث أشخاص ومجموعات وأفكار وآراء وأيديولوجيات واتجاهات وبنى وعمليات وطرائق وممارسات وأسباب الحوادث الاجتماعية وأثارها، ويمكن اختيار وحدات الدراسة من أي مستوى، مستوى من الفرد إلى الفرد، أو من الفرد إلى المجتمع أو من المجتمع إلى المجتمع، ويمكن أن ينفذ البحث على مستوى واحد من أو أكثر (سوتريوس، 2017، صفحة 256).

أما من الناحية العملية، فإن اختيار مشكلة البحث السوسيولوجي يخضع لمجموعة من الضوابط المنهجية التي تهدف إلى ضمان جودة البناء البحثي وفعاليته العلمية، ويمكن تلخيص أهم هذه الضوابط فيما يلي:

- أن تكون المشكلة قابلة للبحث وليست خيالية أو مستحيلة، ويمكن أن ينبثق عنها أسئلة وفرضيات قابلة للإثبات أو النفي.
- أن تتسم بالأصالة العلمية، بحيث لا تكون تكراراً مباشراً لدراسات سابقة، بل تقدم إضافة معرفية جديدة، سواء من حيث الموضوع أو زاوية المعالجة أو الإطار النظري.
- أن تكون المشكلة ضمن اهتمامات الباحث العلمية، حتى تكون النتائج عالية الدقة.
- أن تكون المشكلة المدروسة متناسبة مع الإمكانيات المادية والزمنية والمعرفية المتاحة للباحث.
- أن تكون المشكلة ملائمة للبيئة التي يجري فيها البحث ومن مختلف النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ولا تتضارب مع قيم المجتمع (فايز جمعة، نبيل، و ماجد، 2009، صفحة 13).

وفي هذا السياق، ينبغي التمييز بين الطابع العلمي للمشكلة وبين الطابع القيمي أو الأخلاقي لها، إذ يجب أن تصاغ المشكلة البحثية صياغة تحليلية محايدة، بعيدة عن الأحكام المعيارية أو الاتهامية، بما يحافظ على الموضوعية العلمية للبحث السوسيولوجي، ولا تتحول من سؤال علمي إلى موقف معياري.

ولإيضاح الفكرة جيداً يمكن أن نطرح المثالين الآتيين:

- التحرر من القيم الأسرية التقليدية لدى الشباب،
- مشروعية السلوك المنحرف داخل الجامعة.

حيث يتبين أن هاتين الصيغتين تحملان حمولة تقييمية مباشرة قد تؤثر على حياد الباحث، وتفهم على أنها إصدار أحكام ضمنية على الظواهر المدروسة. لذلك، يمكن إعادة صياغتهما بطريقة تحليلية محايدة كما يلي:

- تحولات القيم الأسرية لدى الشباب.
- تمثيلات السلوك المنحرف في الوسط الجامعي.

وبهذا الانتقال، تصبح المشكلة أكثر ملاءمة للبحث العلمي، لأنها تتحول من صياغة معيارية ذات حمولة قيمية إلى صياغة تحليلية وصفية قابلة للدراسة السوسيولوجية. مما يعزز موضوعية البحث ويضمن انسجامه مع متطلبات الجودة.

5. الممارسة المنهجية الرشيدة في بناء إشكالية البحث في علم الاجتماع

يمر بناء إشكالية البحث السوسيولوجي بعدة مراحل متدرجة، لا تخضع أي منها لوصفة جاهزة، إذ تفرض كل مرحلة متطلبات خاصة تؤثر مباشرة في دقة الإشكالية ووضوحها وتميزها. لذلك، فإن نجاح الباحث في صياغة إشكالية رصينة يظل مرتبطا بمهارته في ترجمة مكتسباته النظرية والمنهجية إلى ممارسة فعلية، بما يفضي في النهاية إلى بناء إشكالية ذات جودة علمية عالية. وهو ما سيتم العمل عليه في الآتي:

باعتبار أن الإشكالية هي المرفأ الذي تنطلق منه بقية البحث، فوق ذلك، تشكل الإشكالية الأسس القاعدية للبحث، كما تشكل أيضا مدلول البحث ومداه، لأنه لما كان بالإمكان إقامة عدد من البحوث حول موضوع واحد، فإن الإشكالية الخاصة بكل بحث هي التي تميزه عن غيره من البحوث، وهي التي تصف وجهة النظر التي منها تتم معالجة المشكلة، وهو ما يحدد اتجاه البحث ... فضلا على أن الإشكالية هي نتاج مسار فكري ونشاط عقلي واجراء خاص بالذهن من شأنه أن ينتهي إلى تفاعل مع الوضعية التي نود معرفتها. (آلن و برنار، 2004، صفحة 127-128)، وهو ما يؤكد على أهمية العناية ببناء إشكالية بحث، وضرورة التمرن عليها، وفي هذا السياق يرى موريس أنجزرس أن صياغة مشكلة البحث هي مرحلة مهمة تكشف عن روح المساءلة العلمية لدى الباحث. فعلا يتميز الباحث بالتساؤلات التي يعرف طرحها حول الواقع أكثر مما يتميز بامتلاك المعارف المتراكمة (موريس، 2006، صفحة 145).

ولأن بناء إشكالية البحث، لم يختصر في وصفة جاهزة، بل في توجهات منهجية تؤطر جهود الباحثين، ومنها :

المنطق القمعي في بناء الاشكالية، أي من العام إلى الخاص، إذ أن الإشكالية هي تعميق لمشكلة عامة نحو تساؤل عام، ثم تطوير مشكلة خاصة نحو سؤال خاص. (آلن و برنار، 2004، صفحة 129)

رؤية موريس أنجزرس، حيث يرى بأن يتم طرح المشكلة البحثية في ثلاث مراحل كمايلي:

- أولا: لابد من اختيار موضوع ذو فائدة مؤكدة تشعر الباحث بالاستعداد للشروع فيالبحث بكل قوة.
- ثانيا: ضرورة الاطلاع على أدبيات الموضوع .
- ثالثا: مرحلة تدقيق مشكلة البحث: أي طرح سؤال متصل بالموضوع وجعله جديرا بالتقصي في الواقع، ويتحقق ذلك بطرح الأسئلة الأربعة التالية:
 - لماذا نهتم بهذا الموضوع؟ لتبيان القصد من وأسباب اختياره.
 - ما الذي نطمح لبلوغه؟ حيث نحدد الهدف.
 - ماذا نعرف لحد الآن؟ لحوصلة المعارف المكتسبة خلال مرحلة الاطلاع على الأدبيات.
 - أي سؤال بحث سنطرح؟ والذي يسمح بالطرح الدقيق لسؤال البحث الذي سيوجه كل طريقة البحث المقبلة. (موريس، 2006، صفحة 145-146)

وهناك رؤية أخرى تطرح حتى هي بناء الإشكالية في ثلاث مراحل، وهي:

- أولاً: نعيد النظر في المسألة التي طرحها السؤال المبدئي، على ضوء النتائج التي استخلصت من القراءات والمقابلات.
- ثانياً: ربط البحث بالأطر النظرية السوسيولوجية، واستنباط إشكالية مناسبة. وعلى ضوء الإشكالية التي يختارها الباحث يأخذ السؤال المبدئي معنى مميزاً.
- ثالثاً: إيضاح الإشكالية بصورتها النهائية عن طريق عرض وتحديد المفاهيم النظرية (عبد الغني، 2002، صفحة 41)

وفي ذات السياق يطرح الأستاذ فضيل دليو رؤيته في بناء الإشكالية، يرى أن الإشكالية تنقسم إلى جملة من الأقسام كمايلي:

القسم الأول: وفيه تحدد المشكلة يتناول أهمية الموضوع من النواحي النظرية والاجتماعية وتحديد مجالاته الزمنية أو التاريخية والمكانية مع الإشارة إلى موقع البحث من التخصص العلمي الذي ينتمي إليه الموضوع والإطار أو الأطر النظرية التي قد توجهه وتفسر الإشكالية التي يطرحها لمن يؤمن بالمنهج الاستنباطي، (مع عدم إلزامية ذكر جميع النواحي وبالترتيب نفسه).

القسم الثاني يتضمن إخضاع المشكلة لعملية التحليل بالحدوث عن ظروف ظهور المشكلة وعن أهمية متغيراتها أو أبعادها بأوزانها المختلفة وعلاقاتها المتبادلة في حدود موضوع البحث. وقد تتعدد وتطول فقرات هذا الجزء أو تقصر تبعاً لعدد متغيرات المشكلة أو أبعاد الموضوع، مع الإشارة إلى أنه يمكن أن نتحدث هنا -بدلاً من القسم الأول- عن التفسيرات النظرية المحتملة التي أعطيت للمشكلة وعن النموذج/ الإطار النظري الذي قد يفسرها، قبل الانتقال إلى طرح التساؤل (دليو، مدخل إلى منهجية البحث العلمي، 2024، صفحة 97.96)

في حين يطرح ريمون كيفي وكانه يهدف رؤية أخرى ينطلق في بنائها بداية من المرحلة الاستكشافية، حيث تأخذ الأسئلة الأولية في التشكل تدريجياً، ومع القراءات وأجراء المقابلات الاستكشافية تبدأ الخطوط العريضة للإشكالية تتبلور، وبالإستعانة بالمعرفة النظرية يكون الباحث مؤهلاً على صياغة سؤال مثير للاهتمام. كمرحلة ثانية، يختار الباحث وبوضوح إشكاليته الخاصة وهو على بينة من أمره؛ أي اختيار إطار نظري متناسب مع المسألة المدروسة، وبعيد صياغة سؤال الانطلاق بحيث يغدو السؤال الرئيس للبحث (ريمون و لوك فان، 1997، صفحة 128. 129)،

هذه بعض الارشادات النظرية المساعدة على انتاج إشكالية جيدة، نلاحظ عنها نوعاً من التباين، والتداخل فيما، وبالوقوف عندها بالنقد، واعتماداً على خبراتنا الميدانية، فقد حاولت تقديم رؤية توفيقية بين ما طرح في السابق كمايلي، هذه الرؤية فصلت فيما بين مراحل نضج الإشكالية، وخطوات بنائها، كمايلي:

أ- مرحلة الاستقرار على موضوع بحث (سؤال الانطلاق)

في هذه المرحلة على الباحث أن يختار مشكلة يمكنه البحث فيها، وستوجب احترامها للشروط التي سبق ذكرها في هذا المقال في عنصر ضوابط جودة اختيار مشكلة البحث السوسيولوجي. لأنه ما

إن يوفق الباحث في الاستقرار على موضوع يحوز على ما سبق من شروط، ستسهل عليه بقية المراحل.

ب- مرحلة الدراسة الاستطلاعية

وهي مرحلة تمهيدية في البحث السوسيولوجي تهدف إلى جمع معلومات أولية حول الظاهرة المدروسة قبل الشروع في البحث الأساسي، تساعد هذه المرحلة الباحث في التأكد من قابلية الدراسة الميدانية للموضوع، تحديد معالم الاشكالية، والتحديات المحتملة أثناء الدراسة نظريا وميدانيا... والدراسة الاستطلاعية تشمل مايلي: رصد مجال البحث وجرى التراث النظري، القيام بالقراءة المعمقة حول الموضوع والناقدة، اجراء المقابلات الاستقصائية.... ونجاح الباحث وجديته في هذه المرحلة هما مدخل تحكمه في الموضوع والسيطرة عليه.

ج- تفكيك الموضوع وضبط المتغيرات وأبعادها ومؤشرات

بعد الاستطلاع الأولي والاحتكاك بمجال البحث، يستطيع الباحث:

- البرهنة على وجود مشكلة ذات أهمية عملية وعلمية، وهي قابلة للدراسة، وهو يملك كل مقومات النجاح في ذلك.

- تحديد متغيرات دراسته ونوع كل متغير ووظيفته في البحث، هل هو متغير مستقل، أم

متغير تابع أم متغير وسيط.... الخ، ثم الانتقال إلى مرحلة أعمق وهي تفكيك المتغيرات إلى أبعاد وبلغة علمية ومتخصصة ومستمدة من التراث النظري لكل متغير، أيضا تفكيك الأبعاد إلى مؤشرات اجرائية تمكن الباحث فيما هو آت من النزول الميداني بأريحية.

وعند هذه المرحلة يكون الباحث قد تمكن من تحديد الأفكار المشكلة للبحث (ضبط موضوعه) وعزل الأفكار البعيدة عن موضوع بحثه، ولا يترك مجالا للتأويلات المتعددة، وهي مرحلة متقدمة من تحقيق خاصية الوضوح والدقة.

د- مرحلة تحرير الاشكالية

بالانطلاق مما جاء سابقا، وبالاستئناس وبتصرف بما ذكره الاستاذ غربي على في كتابه أبعديات منهجية، والذي كان يردد على مسامعنا ونحن طلاب عنده، بأنه في الاشكالية يجب أن تقول كل شيء ولا تقول أي شيء، يمكننا ارشاد الباحثين إلى الإجراءات التالية عند الشروع في تحرير الإشكالية:

نص الإشكالية عبارة عن أربعة أجزاء متسلسلة ومتراصة ومنسجمة ومتكاملة، وكل جزء يتضمن فقرة أو أكثر،

- ✓ الجزء الأول: يخصص كمدخل للموضوع يتضمن علاقة الموضوع بالتخصص ومدى

احساس الباحث بالإشكال المطروح بشكل عام.

- ✓ الجزء الثاني: يخصص لمتغيرات الدراسة حيث يشرح فيه دلائلهم وأبعادهم والمنطلقات

النظرية التي يمكن أن تمثل مقاربة نظرية للموضوع. وهذا الجزء أقل عمومية من الجزء الأول.

✓ الجزء الثالث: يخصص لمجالات الدراسة الميدانية؛ أي التطرق للمجال المكاني للظاهرة ومن العام إلى الخاص، والمجال الزماني والبشري.

✓ الجزء الرابع: يخصص لطرح الاشكال المراد الاجابة عنه وهو عبارة عن علاقة بين متغيرات الدراسة، وتجزئته إلى إشكالات فرعية والتي في الأصل هي العلاقة بين أبعاد المتغيرات فيما بينها، وضرورة أن يعكس متغيرات الدراسة ومجالاتها المكانية والبشرية. ملاحظة طرح الإشكالية يمكن أن يكون بصورة انشائية تقريرية، أو بصيغة استفهامية.

6. هفوات شائعة في بناء الإشكالية السوسولوجية: قراءة نقدية في ضوء الخبرة الميدانية

أتاحت الخبرة التي راكمها الباحث، من خلال ممارسته للبحث العلمي وإشرافه على البحوث الأكاديمية ومناقشتها وتحكيمها، الوقوف على مجموعة من الهفوات المنهجية المتكررة في بناء الإشكالية البحثية. وقد لوحظت هذه المظاهر بدرجات متفاوتة في مذكرات الماستر وأطاريح الدكتوراه والمقالات العلمية، كما أن جانباً منها يجد ما يؤيده في الأدبيات المنهجية التي تناولت صعوبات بناء الإشكالية وإكراهاتها. ومن هذا المنطلق، تبدو الإشارة إلى أبرز هذه المظاهر مفيدة لترشيد الممارسة البحثية والإسهام في تعزيز جودة بناء الإشكالية. وسيتم عرضها مصنفة كمايلي:

أ- هفوات لغوية تتمثل هذه الهفوات في:

- ضعف التحكم في اللغة الأكاديمية أثناء صياغة الإشكالية، حيث يلاحظ استخدام عبارات إنشائية أو تعميمات غير دقيقة وفي صيغة التعظيم، مثل وصف الموضوع بأنه "رائد" أو "حديث" دون سند علمي.
- الإفراط في استخدام ضمائر المتكلم أو الجماعة، بما يضعف الطابع الموضوعي المطلوب في الكتابة العلمية، في حين تفضل الصياغة المحايدة أو غير الشخصية.
- عدم تحكم الباحث في القواعد النحوية والصرفية مما يجعل النصوص ركيكة فتشوه مبانيها، وتختل معانيها.
- ضعف اللغة السوسولوجية المتخصصة.

ب- هفوات شكلية في بناء الإشكالية: تتجلى هذه الهفوات في:

- ضعف تنظيم الإشكالية من حيث البناء الداخلي، حيث تعرض أحيانا في فقرة واحدة طويلة دون تقسيم منطقي، مما يجعلها غامضة،
- غياب الترابط بين الأفكار أو تكرارها بصيغ مختلفة دون إضافة معرفية.
- في بعض الحالات يتم الجمع بين عناصر غير متجانسة داخل نفس الإشكالية، بما يؤدي إلى اضطراب في وحدة الموضوع البحثي، ويخل بها.
- عدم ترقيم الصفحات، أو استخدام نمط ترقيم واحد بين العناصر الأساسية والثانوية.

- عدم التحكم في حجم الإشكالية، حيث قد تكون مطولة بشكل مفرط أو مختصرة بشكل مغل.
- تتداخل الإشكالية أحيانا مع عناصر أخرى من البحث مثل الأهداف والدوافع والأهمية، مما يؤدي إلى غموض في الحدود المنهجية بين مكونات الدراسة.
- ج- هفوات إبستمولوجية ومنهجية: ترتبط هذه الأخطاء:
 - غياب التأصيل النظري أو الخلفية المفاهيمية التي تؤطر الإشكالية، مما يجعلها أقرب إلى وصف عام للظاهرة منها إلى سؤال معرفي إشكالي.
 - إغفال بعض الدراسات ذكر المجال المكاني والزمني والبشري، الأمر الذي يضعف القدرة التفسيرية للإشكالية ويحد من دقتها العلمية
 - عدم التوفيق بين المقاربة النظرية والمفاهيم المستخدمة
 - عدم احترام للافتراضات التي يقوم عليها المقاربة النظرية المتبناة، وصياغة فرضيات بشكل اعتباطي.
 - يظهر أحيانا عدم انسجام بين طبيعة الإشكالية والمقاربة النظرية أو المنهجية المعتمدة، حيث تصاغ إشكاليات ذات طابع كيفي مع اعتماد أدوات كمية، أو العكس. وهذا يعكس ضعفا في ضبط العلاقة بين السؤال البحثي والأداة المنهجية، وهي علاقة أساسية في البحث السوسيولوجي
 - تضمين الإشكالية لإجابات مسبقة مما يقلل من موضوعيتها
 - تضمين الإشكالية أحكام معيارية، بما يفرغها من طابعها العلمي.
 - ضعف التمييز بين التساؤل الرئيس والتساؤلات الفرعية، أو غياب الانسجام بينهما.
 - بعض الحالات لا يتم ضبط العلاقة المنهجية بين الإشكالية والفرضيات، مما يضعف البناء التحليلي للبحث
 - القفز المباشر إلى صياغة التساؤلات دون المرور بمرحلة ضبط المشكلة وتحديد الفجوة البحثية. في حين أن البناء العلمي السليم يفترض مسارا تدريجيا يبدأ من الاطلاع على الأدبيات والدراسات السابقة وصولا إلى تحديد موضع الإشكال بدقة.
 - إغفال البعد البنائي للعلاقات بين المتغيرات، سواء في صياغة الإشكالية أو في تفكيك أبعادها، بما ينعكس على صياغة التساؤلات والفرضيات

يخلص هذا المقال إلى أن بناء إشكالية البحث السوسيولوجي لا يمثل مجرد خطوة تقنية ضمن تصميم البحث، بل يشكل عملية معرفية مركبة تتداخل فيها الأبعاد النظرية والمنهجية والإبستمولوجية. وقد تبين من خلال التحليل أن الإشكالية الجيدة ليست نتاج صياغة لغوية فحسب، بل هي حصيلة مسار تدريجي يبدأ من اختيار الموضوع، ويمر عبر الدراسة الاستطلاعية وتفكيك المتغيرات، لينتهي إلى بناء سؤال بحثي منسجم مع المقاربة النظرية والأدوات المنهجية.

كما أظهر المقال، في ضوء الخبرة الميدانية، أن العديد من الصعوبات التي يواجهها الباحثون لا ترتبط فقط بضعف التكوين النظري، بل أيضا بتعدد التصورات المنهجية حول كيفية بناء الإشكالية، مما يؤدي إلى ارتباك في الممارسة البحثية. ومن هنا تبرز أهمية اعتماد مقاربة معيارية مرنة، تجمع بين التوجيه المنهجي الصارم والقدرة على التكيف مع خصوصية الموضوعات المدروسة.

وفي ضوء ذلك، يمكن التأكيد على أن تحسين جودة البحث السوسيولوجي يمر حتمًا عبر الارتقاء بمهارات بناء الإشكالية، باعتبارها البنية المؤسسة لبقية عناصر البحث، والمرآة التي تعكس عمق الباحث وقدرته على تحويل الواقع الاجتماعي إلى سؤال علمي قابل للفحص والتفسير

قائمة المراجع

- (1) أنجريس موريس. (2006). *منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية، تدريبات عملية*. (الإصدار 2). (بوزيد صحراوي، كمال بوشرف، و سعيد سبعون، المترجمون) الجزائر: دار القصة للنشر.
- (2) جوادي، خ. & عمور، ع. (2009, 05 01). دور وأهمية الجودة في عملية التقويم التربوي، *مجلة منتدى الأستاذ* , 5(1). Récupéré sur <https://asjp.cerist.dz/en/article/19501>
- (3) حسين التائب مسعود. (2018). *البحث العلمي قواعده،- اجراءاته - مناهجه* (الإصدار ط 1). القاهرة، مصر: المكتب العربي للمعارف.
- (4) ربيعي مصطفى عليان. (2001). *البحث العلمي: أسسه، مناهجه وأساليبه، اجراءاته*. عمان، الأردن: بيت الأفكار الدولية.
- (5) زهير موساسب. (2020). مقارنة نظرية لمفهوم اشكالية البحث في العلوم الاجتماعية. *المجلة الأكاديمية للبحث القانوني*, 11 (01).
- (6) سارانتكوس سوترينوس. (2017). *البحث الاجتماعي* (الإصدار 2). (فارع شحدة ، المترجمون) الدوحة، قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- (7) سعيد السمك محمد أزهري. (2008). *طرق البحث العلمي، أسس وتطبيقات*. الموصل، العراق: دار ابن الأثير لطبع والنشر.
- (8) سعيدة لونيس. (2019, 10 01). التدقيق المفاهيمي للمشكلة البحثية ومقوماتها في ضوء جودة البحث العلمي. *مجلة العلوم النفسية والتربوية*, 5(3)، صفحة 308 . 308. تم الاسترداد من <https://asjp.cerist.dz/en/article/102309>
- (9) صالح النجار فايز جمعة، جمعة النجار نبيل، و راضي الزعبي ماجد. (2009). *أساليب البحث العلمي، منظور تطبيقي*. عمان، الأردن: دار حامد.

- (10) عبد الله ابن سليم الرشيد. (2020). *كتابة / بحث العلمي، مبادئ ونظرات وتجارب* (الإصدار 1). الرياض، السعودية: طبعة رقمية.
- (11) علال فاشي. (ديسمبر، 2022). الجودة في البحث العلمي الأكاديمي. *مجلة أبحاث قانونية وسياسية*، 07(02). تم الاسترداد من <https://asjp.cerist.dz/en/article/210054>
- (12) عماد عبد الغني. (2002). *البحث الاجتماعي: منهجيته ومراحله وتقنياته* (الإصدار 2). طرابلس، لبنان: جروس برس.
- (13) عوض فاطمة، و علي خفاجة صابر. (2002). *أسس و مبادئ البحث العلمي*. الاسكندرية : مكتبة و مطبعة الاشعاع الفنية.
- (14) غرابية فوزي، دهمش نعيم، الحسن يحي، أمين عبدالله خالد، و أبو جبارة هاني. (1981). *أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والانسانية* (الإصدار 2). عمان، الأردن: الجامعة الأردنية، كلية الاقتصاد والتجارة.
- (15) فضيل دليو. (1997). *أسس البحث و تقنياته في العلوم الاجتماعية*. قسنطينة، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- (16) فضيل دليو. (مارس، 2024). *مدخل إلى منهجية البحث العلمي*. الجزائر.
- (17) كفي ريمون، و كاميهود لوك فان. (1997). *دليل الباحث في العلوم الاجتماعية*. (يوسف الجبائي، المترجمون) بيروت، لبنان: المكتبة العصرية.
- (18) لازامي آلان، و فالي برنار. (2004). *البحث في الاتصال عناصر منهجية*. (ميلود سفاري، المترجمون) قسنطينة، الجزائر: مخبر علم الاجتماع الاتصال للبحث والترجمة.
- (19) لحبيب بليّة. (2019). *إدارة الجودة الشاملة: المفهوم. الأساسيات شروط التطبيق*. القاهرة، مصر.
- (20) مجمع اللغة العربية. (2004). *معجم الوسيط* (الإصدار 4). القاهرة، مصر: مكتبة الشروق الدولية.
- (21) محمد الغريب عبد الكريم. (1982). *البحث العلمي، التصميم والمنهج والإجراءات* (الإصدار 2). الاسكندرية، مصر: المكتب الجامعي الحديث..
- (22) معمر عبد المومن علي. (2008). *مناهج البحث في العلوم الاجتماعية: الأساسيات والتقنيات والأساليب* (الإصدار ط 1). القاهرة، مصر: منشورات جامعة 7 أكتوبر.
- (23) المعاني. (2026، 04 25). *المعاني*. (المعاني الجامع، المنتج) تاريخ الاسترداد 04 25، 2026، من المعاني: <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-%D8%A5%D8%B4%D9%83%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A9/>
- (24) المعاني الجامع. (25 أبريل، 2026). *المعاني*. تاريخ الاسترداد 04 25، 2026، من المعاني: <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B4%D9%83%D9%84%D8%A9/>
- (25) محمد الرويني. (04 12، 2018). *مناقشة مفاهيمية لمصطلحي (الإشكال والمشكلة) وتطبيقها على قضايا العربية للناطقين بغيرها*. تاريخ الاسترداد 04 24، 2026، من المجلس العلمي الألوكة:: <https://majles.alukah.net/showthread.php?t=170329>
- (26) BEAUD , M. (1999). *L'art de la thèse*,. Paris, france: La Découverte.
- (27) Jaques , C. (2009). La spécification de la problématique. Dans G. bonoit, *Recherche sociale; de la problématique a le collecte des données* (éd. 5, p. 55). québec, CANADA: PResseS de l'UniveRsité dU QUébec.
- (28) Luc Van , C., & Raymond , Q. (2011). *Manuel de recherche en sciences sociales* (éd. 4). Paris, France: Dunod.

ضوابط إعداد وصياغة إشكالية بحث علمي سوسيولوجي

د، الطيب بولنوار- أستاذ محاضر أ

مخبر الدراسات حول العنف والصدمات في المجتمع الجزائري

جامعة سوق أهراس- الجزائر

t.boulanouar@univ-soukahras. dz

ملخص :

يعد البحث العلمي بصفة عامة، والبحث السوسيولوجي بصفة خاصة، نتاج عملية يُبرز من خلالها الباحث قدراته كفاعل يسعى لتطبيق المقاربات النظرية والمنهجية التي اكتسبها في الجامعة، إلا أن هذه العملية لا يمكن أن تكون اعتباطيا، بل تتم عن طريق مجموعة من الخطوات والمراحل والإجراءات التي تشكل في مجملها ما يسمى المنهج العلمي، الذي يعتبر الطريق الواضح والسليم للوصول على معارف علمية وسوسيولوجية أكيدة، ذات مصداقية يمكن تعميمها. إن أهمية المنهج وخطواته في البحث العلمي السوسيولوجي وجه أهداف هاته الورقة البحثية في تناول الإشكالية كخطوة مهمة من خطوات البحث، والاحاطة بمختلف جوانبها وتحديد ضوابطها وكيفية صياغتها. الكلمات المفتاحية : البحث، العلمي، البحث السوسيولوجي، الإشكالية،

Abstract

Scientific research in general, and sociological research in particular, is the product of a process through which the researcher demonstrates their capacity as an agent seeking to apply the theoretical and methodological approaches acquired in academia. However, this process cannot be arbitrary; rather, it is conducted through a set of steps, stages, and procedures that collectively constitute the "Scientific Method." This method serves as the clear and sound path to attaining reliable scientific and sociological knowledge characterized by credibility and generalizability.

Given the significance of methodology and its procedural steps in sociological inquiry, this research paper aims to address the "**Problematic**" (Research Problem) as a pivotal stage of the research process. It seeks to explore its various dimensions, define its governing criteria, and demonstrate the mechanisms of its formulation.

Keywords: Research, Scientific Research, Sociological Research, Problematic (Research Problem).

مقدمة

تسعى المؤسسة الجامعية بكل تخصصاتها العلمية والتقنية، لتلقين الطلبة سواء أكانوا جدد، قد تحصلوا حديثا على البكالوريا أو أولئك الذين اجتازوا مسارا أكاديميا و اكتسبوا فيها جملة من المعارف العلمية، و التي تؤهلهم لاقتناء مجموعة من العوامل ، التي تمكينهم مستقبلا من القدرة على ولوج عالم البحث و التوسع في مجالاته من خلال إدراك أفاق مدلولاته المفاهيمية والموضوعية ذات الصلة بمناحي الدراسة المختلفة التي يتخصصون فيها، وغالبا ما تنتهي مسارات التحصيل الى خطوة مفصلية و حاسمة ، يُطلب فيها من الطالب انجاز بحث بمواصفات علمية تنمهي مع جملة ما تدرب عليه خلال السنوات ،التي قضاها في الجامعة او المعهد ، فيترتب عن ذلك ، اختيار موضوع، و العمل على رسم خطة بحث ثم إنجازه بالاعتماد على الزخم النظري و المنهجي المتلقي عبر عملية توظيف لتلك الملكات في مجالات ما يهدف إليه من الدراسة ،

التي لا تُستوفى إلا بإسقاط كل ما تمّ تجميعه من مادة علمية ثم تصفيفها وتصنيفها و الأخذ بما تنفع المعالجة البحثية و توليف أبرز أفكارها المنتقاة مع منحى الموضوع الإشكالي بما يتماهى و التخصص ، كل تلك الخطوات لا يمكن أن تكفل إلا إذا كانت اختيار الموضوع و السعي لتحقيقه قابلا لتقديم اضافة لمسار البحث ومشخصا لمشكلة بعينها دون غيرها، ومفسرا للإستفهام المطروح ضمن الموضوع، حيث يمكن تحييد مشكلة ما ضمن عدد من المشكلات ، التي قد يحتويها العنوان و من ثمة العمل على تهيئتها ودراستها بمفردها بهدف تفسير خلفيتها و مظاهرها وربما استشراف تطوراتها في المستقبل على المجتمع ، فالبحث هو عبارة عن تكريس لمبادئ علمية تسير الواقع الاجتماعي، فغالبا ما يمازج البحث السوسيولوجي بين شقين: احدهما نظري متدرج يعمل الباحث فيه على الاحاطة بالموضوع من ناحية الإشكال ، الذي يحتمله و جرد جملة المفاهيم و تعريفها تعريفا علميا يُسهل و يبسط على الباحث ضبط المسار التقني للمعالجة عبر توحيد الوجهة و الدلالة الاصطلاحية بحسب الهدف أو الأهداف المرسومة سلفا من طرف الباحث أو الهيئة الممولة للبحث ، فالبداية الحقيقية للبحث تكون عندما يطرح الباحث سؤال الانطلاق ثم مايلبث أن يرسم و يعدل و يُطالع و يستشير إلى غاية الإستقرار على قناعة و وجهة قد يُعدلها مرارا و تكرارا و ذلك بهدف الوصول لدرجة التفاضل مقارنة مع ما تم الإطلاع عليه من تراث فكر، ما قد يدفع به للتمايز الموضوعاتي عن ما هو موجود و ذلك سعيا منه للبحث عن تفسير (ات) للإشكال من خلال إنتهاج طريقة مستحدثة أو التوصل لتفسير يتفرد به عن غيره من الدراسات ربما في ذات الموضوع أو الظاهرة ، التي يسوقها عنوان البحث ، و عليه يكون من الضروري على الباحث ضبط العنوان ثم تأطيره تأطيرا يستوفي مقاصد الدراسة ثم الدأب على تفصيل بنائية العنوان وتحليل دينامياته لمجموعة من الأبعاد ومؤشرات ، يسعى فيها الباحث للكشف عن مكان من العلاقة بين عناصر الظاهرة ثم الاحاطة بها بمنظور نظري على الأقل من ما توصل اليه العلم من نظريات ذات المماس به ، بمعنى على الباحث قبل اختيار موضوع لبحثه الإلمام بمقاصد العنوان من خلال التزود الحذق بالأفكار والتحليلات المقتناة من التراث الفكري المُطلع عليه ، و التي تجعله على استعداد لمعالجة الظاهرة قبل او اثناء اجراء البحث ، وما قد يجعل البحث أكثر نفعا و صدقية هو محك الواقع الميداني ، الذي يكون عبارة عن المنعرج الحقيقي لفعالية ما يقوم به الباحث ، فالبحث ليس جهد فحسب من اجل البحث بل مفرزة لنتائج قد يستند عليها اصحاب القرار و يفهمون حجم الإشكال ، الذي قد تتضمنه تلك الظاهرة ، وربما يعمل فهمها على توفير دوافع إنطلاقة لتحسين حياة العامة مثلا او امكانية استشراف مسارات الظاهرة مستقبلا ، فالمقصود بتوأمة او دمج البحث السوسيولوجي لشقين (ربما يكونا متلازمين في نوع من البحوث) : نظري واخر ميداني هو تحصيل حاصل لما دأب عليه البرتكول الأكاديمي في تنشئة الطلبة و تأطيرهم إميريا بدءا من سنة اولى من ولاوج مقاعد الجامعة لى غاية استفاء مستوى الدراسات العليا و ذلك عبر المواضبة على حسن تدريب الطلبة بغية التمرس و الأخذ بالأسباب التحصيلية عبر فهم المسارات النظرية وحسن التعامل معها تقنيا عند البحث في موضوع او ظاهرة ما المراد تحليلها وتفسيرها فالتوقع البحثي قد يعمل على توحيد السياقات المنهجية على الرغم من الاختلافات بينها ذات الطابع الاجرائي، وضمن ما تقدم

يمكن اعتبار ان بناء الاشكالية هو في حد ذاته تحدى جوهري قد يعترض الباحث في حالة ما اذا لم يكن ملما الماما كافي بالموضوع ،الذي سوف يدرسه ، فقد لا يمكن القيام باجراء تصور إشكالي لظاهرة ما ، مالم يُضبط عنوان البحث ضبطا علميا سليما على خلفية الاطلاع المستفيض نظريا لكل زواياه وما يُنتظر منه من فائده ، قد يقدمها للمجتمع وللحركة العلمية والبحثية على العموم ، وعلى هذا الاساس يمكن طرح تساؤل مركزي التالي :كيف يمكن للباحث ان يبني اشكالية بحثه؟ قبل الاجابة عن هذا السؤال لابد ان نقف ولو باختصار عند بعض المفاهيم ومن ثمة الإجابة عن سؤال آخر يرتبط بالسؤال المحوري وهو : ماهي الخطوات التي تسبق القيام ببناء إشكالي للبحث ؟

1- المفاهيم الاساسية

البحث العلمي

يري " جود " أن تعريف البحث العلمي يختلف باختلاف أنواع البحوث و مجالاتها وأهدافها ووسائلها وأدواتها، الا انها تتفق في الشكل و الغاية مهما كانت المنطلقات الفكرية و التاريخية ومن التعريفات الأكاديمية للبحث العلمي مايلي :

- البحث العلمي :مجموعة من النشاطات و الجهود الهادفة الى اكتشاف المعارف و تنميتها و تحليلها و تركيبها ومحاولة الاستفادة منها. (ملحس ، 1960، ص24)

- "روفل " البحث العلمي هو تقص و فحص دقيق لاكتشاف معلومات أو علاقات جديدة ونمو المعرفة الحالية والتحقق منها،

- " فان دالين " يعرف البحث العلمي على أنه : المحاولة الدقيقة النافذة للتوصل إلي حلول للمشكلات التي تؤرق الإنسان وتحيره. (صوفان وآخرون ، 2012، ص4).

البحث السوسيولوجي:

البحث السوسيولوجي نوع من أنواع البحث العلمي، الحد بينهما التخصص ، اذا كانت الظاهرة مرتبطة بالتفاعل الاجتماعي و الحياة الاجتماعية عن ميدانها علم الاجتماع و انحازت الى البحث السوسيولوجي،

وعلى هذا يمكن تعريف البحث السوسيولوجي بأنه: استقصاء منظم يسعى الى الوصول الى حقائق جديدة، أو التحقق من حقائق قديمة، وتتابعها، وتفسيرها، ومعرفة العلاقات التي تربطها. (معن، 2004، ص35)

- البحث السوسيولوجي : هو البحث المخطط والمنظم، الذي الذي يكون موضوعه العلاقات المتبادلة بين الناس، والظواهر التي تنتج عن هذا التفاعل، حيث يتناولها بالدراسة والتحليل، بهدف الوصول إلى قوانين عامة تفسرها. (محمد الحسن، ص1999، ص112)،

الإشكالية (Problematique)

تعتبر الإشكالية العنصر الأساس في البحث العلمي السوسيولوجي، أذ لا يمكن ان نتصورها مجرد سؤال بسيط، بل لابد ان ننظر اليها على انها بناء عقلي ومنطقي يربط بين مجموعة من التساؤلات والفرضيات،

- هي مجموعة من الافتراضات النظرية التي تهدف إلى الكشف عن العلاقات الخفية وراء الظواهر الاجتماعية الملاحظة (كفي، فامبهود، 1998، ص85)

- الإشكالية : هي المنظور النظري الذي يختاره الباحث ، ويتناسب مع المعالجة العلمية لسؤال البحث،

- الإشكالية: هي اطار تصوري فكري عام ينطلق فيه الباحث، من العام الى الخاص في تدرج منطقي الى غاية الوصول الى لب الموضوع ومشكل الدراسة (بن عمار، 2020، ص141)

2- مفاتيح الإشكالية

يرى الكثير من المكهتمين بعلم المناهج وعلى رأسهم الكاتب رشيد زرواتي أن هناك مفاتيح للإشكالية وتقصد بمفاتيح اقتراح تقنيات لفهم مقصود الإشكالية من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:
إشكالية ماذا؟ وإشكال ماذا؟ ولماذا إشكال؟ وما الذي أحدث إشكال؟ وهل حل المشكل يتطلب حل الإشكال؟ وكيف؟

ونعرف الإجابة عن هذه الأسئلة عندما نفكك مصطلح الإشكالية، وذلك عن طريق الطرق التالية:

- الإشكالية= سبب المشكل
- الإشكالية=المشكل+الإشكال .
- المشكل:التعريف بالإشكالية
- الإشكال:هو أسئلة الإشكالية.(زرواتي، 2002، ص ص67-69)

3- ماهي ابرز الخطوات التي تسبق بناء الاشكالية :

بناء الإشكالية هو نتاج لعملية تحضيرية دقيقة تسمح للباحث بالانتقال من التصور الخام إلى البناء العلمي، من خلال مجموعة من الخطوات تسبق عملية بناء هاته الإشكالية هي :

- اختيار موضوع البحث : العملية بناءً على اهتمام الباحث، او حاجة المؤسسة ، او المجتمع يتم تحديد المجال العام للدراسة، ومن ثمة تحديد الموضوع تحديدا دقيقا يسمح بالتعمق.(عبيدات آخرون، ص39).
- القراءات الاستطلاعية: التي تكون من خلال اتصال الباحث بالتراث النظري والادبيات المتعلقة بالموضوع المراد دراسته. المصدر.(كيفي، فامينود، مرجع سابق، ص42). 3.تحديد مشكلة البحث : هنا يميز الباحث بين "الموضوع" و"المشكلة". المشكلة هي الفجوة أو التناقض الذي لاحظته الباحث في الواقع أو في النظريات السابقة والذي يستدعي حلاً علمياً (قنديلجي، 2002، ص62).
- الدراسات السابقة: تساعد الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع او اقترنت من جزئياته الباحث في تحديد "الفجوة البحثية التي سيبنى عليها إشكاليته.(عبيدات، وآخرون، 2014،ص75)
- حصروتحديد المفاهيم : المفاهيم الأساسية مفاتيح الدراسة ، ولابد على الباحث تحديدها يتضح قصده، ويزول اللبس، والخلط الدلالي في طرح التساؤلات(التير، 2002، ص108)

4- شروط ومحددات كفاءة الباحث وعملية اختيار الموضوع

يعتبر كثير من النقاد ومنظرو المنهجية بان الاشكالية هي خطوة جوهرية تسبقها عدة إجراءات، يصعب بناءها من دونها ، وقد نبرز بعض منها كالتالي (نبيل ، 2010 ، ص30-31):

أ-المؤهل العلمي: ينبغي في كل مجالات البحث العلمي ان يكون للباحث مؤهل علمي متخصص كاف، يجعله قادر على التعامل مع موضوعات مطروحة للمعالجة ؛

ب-التخصص: لا يكفي المستوى التأهيلي فقط في مجال الاقدام على البحث، بل ينبغي ان يكون هناك ملكة يستطيع المترشح ان يكون اكثر ادراك لماهية الظواهر التي سيدرسها في مساره البحثي ؛

ج-امتلاك منهجية علمية متخصصة: وذلك من خلال التدريب والتمرس طيلة سنوات الدراسة الجامعية و الميدانية

د-المطالعة والاستزادة النظرية : يكون الرصيد الفكري للباحث من أحد أهم العوامل الجوهرية في أهليته للبحث العلمي و ذلك من خلال الدأب على الاستزادة الفكرية و تنمية قدراته النقدية برصانة ، فالدلو الفارغ لا يجدي نفعا عن العطش.

ر-الاستعداد والحضور النفسي والذهني: للقيام بالبحوث ، يتطلب من الباحث التحلي بالصبر عن المشقات وصرف المال والوقت ؛

ز-ملائمة الظروف البيئية والاجتماعية للإجراء البحوث: قد يصعب اجراء البحوث في بيئة غير مستقرة ، لا تتوفر فيها ابسط مقومات البحث مثل :استقرار الباحث والقدرة المادية على التعامل مع متطلبات البحث،

2- كيفية اختيار موضوع البحث: يتطلب اختيار موضوع بحث في حد ذاته جملة من الخطوات مثل (صالح ، 2003 ، ص54) :

أ-اعتماد سؤال الانطلاق ؛

ب-هل بإمكان الباحث القيام ببحث علمي وفقه ؟ وهل انه قادر على ذلك ذهنيا وعلميا ؟؛

ج-جرده لجملة من الظواهر، تم تصنيفها بهدف غريبتها وموائمتها بما يرغب الباحث في معالجته بحسب موارده واهدافه ؛

د-الاستطلاع المرجعي بعدم قيام باحث اخر بدراسة الموضوع ذاته و الذي قد يستقر اختياره عليه ؟ وماهي الفائدة المرجوة من معالجته ؛

ر- هل لدى الباحث الاطار المرجعي الكاف بالإحاطة بموضوع البحث المختار (مصادر ، مراجع ، فيديوهات ،،،)؛

ز-قابلية البحث للمعالجة الميدانية من عدمها ،

فمن خلال انتهاج كل هذه الخطوات سواء الضمنية منها أو الاجرائية ، التي يعمل فيها الباحث على جرد مجموعة من الموضوعات ثم اختيار ما يتناسب واستعداداته في البحث فيه ، أين يمكن على أساسها بناء عنوان للبحث ، الذي قد يخضع هو بدوره لعدد من التعديلات والتحويلات الى غاية الاستقرار على صياغة نهائية ، يمكن من خلالها الانتقال لخطوات تالية مثل :رسم ثم صياغة اشكالية لموضوع البحث المختار؟

5- كيفية بناء اشكالية بحث: على اساس شرطية صياغة علمية للعنوان باعتباره المحدد الجوهري للدراسة ، يمكن للباحث ان يبني اشكالية للبحث وفق الخطوات التالية (عمار ، 2007 ، ص50-57):

أ- ماهية الاشكالية: تُعد الاشكالية رافدا لمجموعة من المشكلات ، التي قد يحتملها عنوان البحث ، فالإشكالية ليست مجرد مشكلة بسيطة يمكن فهمها و حلّها مباشرة ، بل انها ذات طابع متفرع ومتشعب ، فهي عبارة عن صياغة بحثية يضعها الباحث العلمي بطريقة استفسائية ، يعرض فيها الهدف من اعداده للبحث العلمي واسباب اختياره له ؛

ب- لا يمكن بناء الاشكالية بحث الا من خلال اجتماع عدد كبير من العوامل الفكرية والاجرائية منها:

- فهم الباحث لشكل ومضمون العنوان؛
- ادراك الاشكال الذي يثيره ؛
- ماهي الوجهة المراد معالجة الموضوع ضمنها ،
- بناء الاشكالية : يكون بناءها توافيقا من العام الى الخاص وذلك من خلال الاستثمار التراكمي المعرفي ذو العلاقة بموضوع البحث ؛
- الاحاطة بالمفاهيم الأساسية للموضوع فيها ثم إدراج المفاهيم المكملة في صياغتها عند عملية الامام والضبط النهائي لها (يبقى ضبط الاشكالية غير نهائي وقد يُعدّل في اي لحظة اذا ما استدعت الحاجة اليه دون الخروج عن المقاصد العامة في المعالجة)؛
- يمكن طرح قائمة من التساؤلات المركزية ، الاسئلة الفرعية ، الفرضيات تم اخضاع الكل منها للتخصص النظري و فرضية قابلية التحقيق الميداني المزمع القيام به ومن ثمة حذف تلك ، التي لا تتوافق و الإحتفاظ بما هو مطابق و وجهة البحث الذي اختارها الباحث ،

يتعين على الباحث طرح اسئلة على نفسه قبل واثناء صياغة الاشكالية وهي: على اساس ماذا نبحت ؟ كيف نبحت ؟ ما الهدف من البحث ؟ بمعنى عندما يتمكن الباحث من استلال الاشكالية من الموضوع ، يمكنه فهم الموضوع وتحديد سياقاته سواء أكان هو كباحث او الوجهة المراد سلكها فيما بعد ، فعندما لانفهم اشارة المرور لا يمكن المضي في السير على الطريق ؟ فعندما نتحدد الاشكالية وفق كل الشروط والخطوات والاجراءات المنهجية المُشار اليها أعلاه، وعليه يمكن التمييز وفق هذا المنظور لعدة تساؤلات مطروحة لابد ان يراعيها الباحث بحسب ما تقتضيه المعالجة المنهجية ، فيحتفظ بما هو قابل لتحقيق والاستغناء عن ما دونها فالإشكال المطروح يتطلب في اخر المطاف تفسيرا ، فاختيار موضوع للبحث يثير هو في حد ذاته موقف تساؤلي حول ماهية الوجهة والهدف من البحث (موريس ، 2004 ، 142-144) ، لكن كل الاسئلة التي يطرحها الباحث قبل واثناء البحث قد تتطلب منه اطلاع سبقي الرصين و متفتح على التراث المعرفي والعلمي ذو الصلة سواء بطريقة مباشرة او جانبية ، بمعنى على الباحث جمع المادة العلمية لبحثه ، التي قد تنتج له فرصة يوسع على أساسها آفاق اطلاعه والعمل ضمنه ، ما قد يمكنه من حصر نطاق العنوان

المراد البحث فيه وتضييق مجال التوجه الى غاية الوصول لحيز يقتنع فيه الباحث بإمكانية العمل ضمنه على خلفية قيامه بخطوات إجرائية منهجية تعمل على اختزال ما ليس مهم في التوجه و التخلص بالتالي من كل ما يحيط او يتعلق بالموضوع المحتمل دراسته ، ويذهب كثير من منظري المنهجية على اعتبار انه لا توجد طريقة واحدة موحدة لصياغة اشكالية بحث⁶ ، فللباحث الحق في صياغتها وفق الطريقة التي تناسب مع طبيعة معالجة الموضوع ، شرط أن تتطابق والمنهجية العلمية المعتمدة في الحقل العلمي للتخصص ، على ان تكون الاشكالية المصاغة ملائمة ومتطابقة لموضوع البحث واتجاهه⁷ ، وبعبارة اخرى ينبغي على الباحث عندما يرسم ثم يصوغ اشكالية للبحث ان ينبغي أن تكون مفهومة ذات لغة مبسطة ، ما يجعل القارئ أو المستمع يشعر بها كمشكلة حقيقية يتطلب دراستها ، فمن ابرز شروط كتابة الاشكالية ما يلي (منذر، 2007، ص 61-70) :

- 1- ضرورة كتابتها بوضوح بحيث يكون من مخرجاتها صياغة تساؤل يُلم بمضامين العنوان ؛
 - 2- يترتب عن كل ذلك، قيام الباحث في الاخير بالتعبير عن الاشكال بدقة ووضوح بهدف الوصول لاجابة (ات) عن التساؤل المطروح، فالشعور الباحث بالاشكالية يدفع لتكريس وقت وجهد كبيرين سعيا منه للإحاطة بموضوع بحثه والعمل بجدية وبمنهجية علمية للتوصل لإجابة (ات) تحل الإشكال، وقد تتنوع صياغة الاشكالية على خلفية ما يريده الباحث من وجهة للمعالجة والفائدة المرجو تحصيلها، فقد يكون للإشكالية عدة صياغات على شاكلة، استكشاف ظاهرة، تتبع مسار مشكلة ما، استشراف صيرورة تلك الظاهرة على كيان المجتمع (خالد، 2008، ص 97)،
- خاتمة :

يعتبر بناء الاشكالية في البحث العلمي بصفة عامة و البحث السوسيولوجي خاصة ، خطوة جوهرية و تُعد من أعقد الخطوات و أصعبها نظرا لإستراتيجيتها كما يمكن اعتبار الاشكالية الخطوة الثانية في البحث العلمي بعد صياغة العنوان ، والتي يعمل فيها الباحث على اظهار مجموع المشكلات ، التي ينطوي عليها الموضوع ثم ايجاد مشكلة بعينها دون غيرها ، حيث يخضع اختيار مشكلة محددة ضمن سياقات العنوان لدوافع موضوعية و أخرى ذاتية تخص الباحث ، و يتطلب من الباحث كذلك تقديم سرد اشكالي للموضوع بأسلوب سلس مبسط ، وقد تكون صياغتها عموما في فقرة نثرية من صفحة أو ضمن مجموعة صفحات ، فقد يسعى الباحث فيها جرد كل المفاهيم ، التي يتضمنها العنوان و اظهارها بطريقة مستصاغة من طرف متوسط العامة ، أين يمكن للقارئ او المستمع أو المهتم فهم مدلولاتها الإشكالية الاولى ، و يكون عرضها عرضا منطقيا يتطابق و الاشكال ، الذي يتمثله الباحث و الذي يحتمل إخضاعه للدراسة عبر ابراز المشكلات من خلال استقراء عام لمجموع المفاهيم او المتغيرات التي يحتملها ، وقد تنتهي الاشكالية عادة بطرح تساؤل بطريقة يتماها فيها الباحث بالإحاطة بمضامين الموضوع بصيغة سليمة علميا قد يتطلب تبسيطه مرة أخرى من خلال اقتراح الباحث لجملة من الاسئلة الفرعية، الافتراضات، الفرضيات، ما ان اجتمعت كلها تشكل لتشكل مرة أخرى جسم التساؤل المركزي ومنه عنوان البحث.

المراجع :

1. زرواتي رشيد (2002)، تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، ط1، دار هومة
2. احسان محمد الحسن، (1999)، موسوعة علم الاجتماع، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان،
3. بن عمار نوال، (2020)، منهجية بناء الإشكالية في البحث السوسيولوجي، مجلة سوسيولوجيا، العدد 02، المجلد 04، 2020،
4. ثريا عبد الفتاح ملحس، (1960)، منهج البحوث العلمية للطلاب الجامعيين، دط، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
5. حامد خالد، (2008)، منهجية البحث في العلوم الاجتماعية والانسانية، الجزائر: جسور للنشر والتوزيع
6. ذوقان عبيدات وآخرون، (2014)، البحث العلمي: مفهومه، أدواته، أساليبه، دار الفكر، عمان.
7. ريمون كيقي، لوك فان فامبهود، (1998)، دليل البحث في العلوم الاجتماعية، تر: يوسف شلحت، دار المكتبة العربية، بيروت، لبنان.
8. شروخ صلاح الدين، (2003)، منهجية البحث العلمي للجامعيين، الجزائر: دار العلوم للنشر والتوزيع،
9. الضامن منذر، (2007)، أساسيات البحث العلمي، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة
10. عامر قنديلجي، (2002)، البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات، دار اليازوري العلمية، عمان.
11. فايز جمعة النجار؛ ماجد راضي الزغبى، (2010)، أساليب البحث العلمي -منظور تطبيقي-، ط2، عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع،
12. كشود عمار الطيب، (2007)، البحث العلمي ومناهجه في العلوم الاجتماعية والسلوكية، عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع،
13. محمد عبيدات وآخرون، (1999)، منهجية البحث العلمي (القواعد والمراحل والتطبيقات)، دار وائل للنشر، عمان.
14. مصطفى عمر التير، (2002)، مبادئ وأسس البحث الاجتماعي، معهد الإنماء العربي، بيروت، 2002.
15. معن خليل العمر، (2004)، مناهج البحث في علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،
16. ممدوح عبد المنعم صوفان وآخرون، (2012)، دليل اخلاقيات البحث العلمي، كلية العلوم، فرع دمياط، دط.
17. موريس أنجرس، (2004)، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تر: بوزيد صحراوي؛ وآخرون، الجزائر: دار القصبه للنشر،

Sociological concepts between semantic ambiguity and procedural precision in academic research: Problems of theory and mechanisms of translation into measurable indicators

أ.د. خماد محمد

جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي- الجزائر

khemmad-mohammed@univ-eloued.dz

الملخص:

تُعد المفاهيم السوسيولوجية أداة مركزية في بناء المعرفة العلمية، إلا أنها تعاني غالباً من غموض دلالي نابع من طبيعة الموضوعات الاجتماعية المركبة، وتعدد المدارس النظرية، واختلاف السياقات الثقافية. يشكل هذا الغموض عقبة أمام الدقة الإجرائية التي تفرضها معايير البحث الأكاديمي، حيث يصعب الانتقال من مستوى التجريد النظري إلى مستوى المؤشرات القابلة للملاحظة والقياس. تهدف هذه المقالة إلى كشف طبيعة العلاقة الجدلية بين الغموض الدلالي والدقة الإجرائية، وتحليل آليات تحويل المفاهيم الكلية (كالرأس المال الثقافي، التهميش الاجتماعي، السلطة) إلى متغيرات قابلة للتشغيل. تعتمد الدراسة منهجاً تحليلياً نقدياً، مع تقديم نماذج تطبيقية معمقة من أبحاث سوسيولوجية كلاسيكية ومعاصرة، بالإضافة إلى دراسة حالة ميدانية من السياق الجزائري. توصلت الدراسة إلى أن الدقة الإجرائية لا تعني بالضرورة تبسيط المفاهيم، بل تتطلب وعياً منهجياً بحدود الغموض، وآليات ترجمته إلى لغة إجرائية مع الحفاظ على ثراء المفهوم الأصلي. تقدم المقالة في ختامها دليلاً إجرائياً للباحثين يتكون من سبع خطوات عملية لمواجهة الغموض الدلالي.

الكلمات المفتاحية: المفهوم السوسيولوجي، الغموض الدلالي، الدقة الإجرائية، التعريف الإجرائي، البحث الأكاديمي.

Abstract:

Sociological concepts are central to the construction of scientific knowledge; however, they often suffer from semantic ambiguity arising from the complex nature of social phenomena, the multiplicity of theoretical schools, and differing cultural contexts. This ambiguity poses an obstacle to the operational precision required by academic research standards, as it hinders the transition from the level of theoretical abstraction to that of observable and measurable indicators. This article aims to uncover the dialectical relationship between semantic ambiguity and operational precision, and to analyze the mechanisms for transforming macro-concepts (such as cultural capital, social marginalization, and power) into operable variables. The study adopts a critical analytical approach, presenting in-depth applied models from classical and contemporary sociological research, along with a field case study from the Algerian context. The study concludes that operational precision does not necessarily mean simplifying concepts; rather, it requires a methodological awareness of the limits of ambiguity and mechanisms for translating it into an operational language while preserving the richness of the original concept. The article concludes by offering researchers an operational guide consisting of seven practical steps to confront semantic ambiguity.

Keywords: Sociological concept, semantic ambiguity, operational precision, operational definition, academic research.

Introduction

The concept occupies a central position in any knowledge structure, as a scientific theory cannot be conceived without a conceptual framework that defines its parameters and guides its reasoning processes. We all recognize that in the social and behavioral sciences, a concept is not merely a passing

word, but rather a building block of knowledge that carries within it a theoretical, cultural, and methodological heritage. However, this central position of the concept is countered by a fundamental problem: the semantic ambiguity that accompanies most sociological concepts, compared to concepts in the natural sciences or mathematics.

The academic researcher -especially at the postgraduate level -faces a real dilemma: how can they use a concept like "education," "society," "development," or "identity," which, while seemingly self-evident in everyday usage, become vague entities once a procedural definition is demanded, one from which a measurement tool can be constructed? (Bourbour, 2010, p. 45). This dilemma is not incidental; rather, it is at the very heart of sociological methodology.

The central question of this article is: How can we reconcile the inherent semantic ambiguity of sociological concepts with the procedural precision demanded by academic research standards?

From this main question stem the following sub-questions:

- 1-What are the sources of ambiguity inherent in sociological concepts at the linguistic, theoretical, cultural, historical, and methodological levels?
- 2- How do the major sociological schools (functionalism, interactionism, critical sociology, phenomenology) address the problem of the concept and the limits of its precision?
- 3-What methodological techniques and mechanisms allow us to transform theoretical concepts into measurable, practical indicators (operational definitions, indicators, scales, factor analysis)?
- 4- What are the limits of procedural precision? And can a concept lose its theoretical richness when it is procedurally narrowed?
- 5-How can Arab researchers engage with concepts imported from different cultural contexts? This study adopts a synthetic analytical approach based on:

- A critical conceptual analysis of the most important classical and contemporary sociological definitions.
- A comparative approach to the treatment of the same concept by different schools of thought.
- An applied analysis of examples from previous research (theses, field studies) demonstrating the successes and failures of procedural rigor.
- A case study drawn from field research conducted in the Algerian context on the concept of "social justice".

This article aims to provide a methodological guide for sociological researchers, helping them overcome semantic ambiguity not by eliminating it—as it is inherent—but by being aware of it and addressing it procedurally within reasonable limits. We emphasize that good academic research is not that which is free of ambiguity, but rather that which acknowledges its limitations and develops its procedures accordingly.

First: The Theoretical Framework of the Sociological Concept

1.1 Defining the Concept from a Sociological Perspective

The term "concept" in Arabic is "a mental image of something or a meaning" (Arabic Language Academy, 2004, p. 650). In the social sciences,

a concept is defined as "an abstract mental construct used to organize experience and classify phenomena; it is a fundamental building block of theory" (Babbie, 2016, p. 45). Blumer (1954, p. 4) argues that sociological concepts exist on a continuum between "sensitizing concepts," which provide the researcher with a general direction without strict definition, and "definitive concepts," which are based on precise, measurable descriptions.

In classical sociology, we find Durkheim (1895-1982) emphasizing the necessity of defining social phenomena objectively, independent of individual mentality. The concept of "social reality" must be defined in observable, external terms (such as the suicide rate as an indicator of social cohesion). In contrast, Weber (1922-1978) focuses on the "ideal" type of concept, which does not describe reality but rather provides a mental model for comparison, and is inherently adaptable to context. A fundamental difference exists between these two perspectives: the first tends towards positivist precision, while the second leans towards productive explanatory ambiguity (Giddens, 1971, p. 152).

In contemporary sociology, however, new approaches have emerged. Bourdieu (1980) introduces the concepts of "field" and "symbolic violence" as flexible analytical tools that do not accept rigid procedural definitions but rather require a dialectical understanding. It is worth noting that Bourdieu was highly critical of simplistic procedural definitions that reduce social phenomena to mere instances (Bourdieu, 1992, p. 12). In contrast, Anthony Giddens (1984) proposed the concept of "structuralism," which is difficult to implement directly because it combines action and structure (Giddens, 1984, p. 25).

1.2 Distinctive Characteristics of the Sociological Concept

The sociological concept is characterized by several features that distinguish it from concepts in other sciences:

A. Abstraction: The sociological concept does not refer to a specific, tangible object, but rather to a category of phenomena. The concept of "power," for example, cannot be touched, but is inferred from its effects. This abstraction is both its strength and its weakness (Lazarsfeld, 2005, p. 56).

B. Generality: The concept transcends individual cases to encompass a category of phenomena. The concept of "family" is not limited to a specific family unit but rather encompasses a pattern of organization (Goode, 1964, p. 12).

C. Relationalism: Sociological concepts do not acquire their meaning in isolation. The concept of "marginalization" cannot be understood without the concepts of "centralization" or "integration" (Germain, 2017, p. 48).

D. Process: Many sociological concepts describe processes, not static states. Examples include "modernization," "globalization," and "democratic transition" (Eisenstadt, 2000, p. 33).

E. Dialectic: Concepts often contain internal contradictions. The concept of "freedom" can mean the absence of coercion (negative meaning) or the capacity for self-actualization (positive meaning) (Berlin, 1969, p. 121).

1.3 The Difference Between Concept, Variable, and Indicator

It is essential to distinguish between these three terms, which are often confused by novice researchers:

Term Definition Example

Concept: An abstract mental construct referring to a phenomenon or category of phenomena. Example: Social justice

Variable: A measurable characteristic that takes on different values.

Example: The degree of perceived justice (from 1 to 10)

Indicator: Empirical evidence demonstrating the presence or intensity of the concept. Example: Social security coverage rate. Example: Gini coefficient

Source: Adapted from Kerlinger & Lee, 2000, p. 42)

Therefore, the process of "operationalization" is the transition from concept to variable and indicator. This process is the focus of this article (Carmines & Zeller, 1979, p. 10).

Second: Sources of Semantic Ambiguity in Sociological Concepts: An In-Depth Analysis

The sources of ambiguity can be categorized into five main, overlapping levels:

2.1 Linguistic and Contextual Ambiguity

A single word may carry different meanings in everyday life than in sociological theory. For example, the concept of "order" means system and arrangement to most people, while to sociologists it means structural stability and reproduction (Parsons, 1951, p. 28). Similarly, the concept of "chaos" has a negative connotation in everyday language, but for some theorists (such as Krauteldahl), it may be a preparatory state for social renewal (Coser, 1956, p. 33)

Furthermore, the multiplicity of languages in which sociological theory is produced (English, French, German) adds an additional layer of ambiguity. Tönnies' concept of "Gesellschaft" (1887-2001) translates to "society" in Arabic and "society" in English, while "Gemeinschaft" translates to "community" or "traditional society." However, this translation is not entirely accurate, as it carries different connotations (Tönnies, 2001, p. 17)

2.2 Theoretical Ambiguity

This ambiguity arises from the differences between schools of thought and theoretical models. For Marx, "conflict" is the driving force of history and the basis of social change; for Simmel, it is an instrument of social integration; and for Coser, it has a positive function that maintains group cohesion (Coser, 1956, p. 31). Similarly, Marx's concept of "consciousness" (class consciousness) differs radically from Durkheim's concept of "consciousness" (collective representation) and Parsons' concept of "common values." This theoretical multiplicity makes it impossible to arrive at a single, fixed operational definition of the concept; rather, definitions vary according to the number of theories (Ritzer, 2015, p. 112)

2.3 Cultural Ambiguity

This ambiguity becomes acutely apparent when a concept originating in a specific cultural context is applied to another context with different values and institutions. For example, the concept of "self-interest," which is central to Western economic theory and social rationality, can lead to significant semantic confusion when applied in Arab and Islamic contexts that favor

collectivist values and solidarity (Hijazi, 2015, p. 90). Similarly, the concept of "individualism," which carries positive connotations in the West (independence, creativity), may carry negative connotations in our societies (selfishness, family disintegration) (Abdul Rahman, 2008, p. 110).

As for imported concepts like "social capital" (Putnam), Arab studies have shown that their Western indicators (such as club membership numbers) do not apply in the Arab context, where social relations are based on informal and tribal networks (Al-Abed, 2021, p. 222).

2.4 Historical and Evolutionary Ambiguity

Concepts such as "family," "state," and "religion" have undergone and continue to evolve throughout history. For example, is the family the framework based on marriage and blood ties? Or can it include same-sex families? Or extended families? Is it limited to the nuclear family only? (Goode, 1964, p. 55). Similarly, the concept of "state" encompasses modern governing institutions, or does it include ancient emirates and caliphates? This historical variability requires researchers to precisely define the specific historical moment and social system they are referring to (Tilly, 1990, p. 25).

2.5 Methodological Ambiguity

This occurs when two concepts are intertwined in ambiguous relationships (such as culture and society, the individual and the system, action and structure) without clear distinction. The concept of culture sometimes overlaps with society and at other times is considered part of it. The relationship between action and structure has been a subject of debate for decades (Giddens, 1984, p. 35). Many researchers fail to differentiate between "trend," "value," and "belief," leading to confusion and methodological fallacies (Abdul Rahman, 2008, p. 107).

Third: Addressing the Concept in Major Sociological Schools

3.1 The Positivist School (Durkheim, Lazarsfeld)

The positivist school tends to define concepts in a strictly operational and quantifiable manner. In his "Rules of Sociological Method" (Durkheim, 1895-1982), Durkheim advocated treating social phenomena as "things," that is, as external, observable, and measurable facts. In his famous study on suicide (Durkheim, 1897-1951), he defined "social cohesion" using the suicide rate as an indicator (the higher the rate, the weaker the cohesion) (Durkheim, 1951, p. 208). This is a clear operational definition, but it raised questions: Does suicide only measure cohesion? At the very least, there are psychological and economic factors as well (Douglas, 1967, p. 37).

On the other hand, Paul Lazarsfeld and his colleagues developed what is known as the "empirical research methodology," which relies on analyzing concepts into measurable dimensions and indicators using factor analysis and questionnaires (Lazarsfeld & Rosenberg, 1955, p. 14). This approach contributed significantly to achieving procedural accuracy, but it was criticized for its "excessive positivism," which reduces social phenomena to numbers and deprives them of their human essence (Adorno et al., 1976, p. 56).

3.2 The Interactionist and Phenomenological School (Blumer, Schutz, Garfinkel)

In contrast to positivism, these schools emphasize that ambiguity is not a flaw to be overcome, but rather an inherent part of the nature of social reality itself, which depends on subjective meanings and interpretations. Blumer (1969, p. 28) argues that sociological concepts can be "sensitizing" rather than "definitive," meaning they provide the researcher with a general direction for the investigation without predetermining all indicators. This position aligns with the principle of "symbolic interaction," which posits that meanings are formed and transformed in everyday social interaction and therefore cannot be frozen in fixed procedural definitions (Blumer, 1969, p. 45).

The phenomenological approach (Schutz, 1967), on the other hand, distinguishes between "first-order concepts" (the concepts of ordinary actors in everyday life) and "second-order concepts" (the sociologist's concepts). The sociologist must begin with first-order concepts and then build upon them with their own concepts without distorting their meaning. This necessitates a kind of precision that respects inherent ambiguity (Schutz, 1967, p. 59). In practice, this approach rejects quantitative procedural definitions, favoring in-depth interviews and participatory observation that allow for the uncovering of meanings as constructed by the participants themselves.

3.3 The Critical School (Frankfurt School, Bourdieu)

The critical school focuses on revealing the hidden power relations underlying sociological concepts. In its view, concepts are not scientifically neutral but rather reflect class and ideological biases. Horkheimer and Adorno (1944-2002) criticized "instrumental reason," which transforms concepts into tools of control, and warned that excessive procedural precision can be a form of subjective domination (Horkheimer & Adorno, 2002, p. 38).

Bourdieu went even further, arguing that the operational definition (or rather, "operationalization") as understood in quantitative approaches is an "academic appropriation" of the true meaning of sociological concepts (Bourdieu, 1992, p. 12). Instead, Bourdieu proposes a method of "social construction of reality" that relies on a high degree of "cognitive awareness" of the limitations of concepts and the flexible use of different methods (quantitative and qualitative) to approach a phenomenon without reducing it (Bourdieu & Wacquant, 1992, p. 79). For example, Bourdieu's concept of "cultural capital" was never approached in a rigid, quantitative way, but other researchers have done so and misunderstood the concept (Swartz, 1997, p. 190).

Fourth: Operational Precision: From Conceptual to Operational Definition

4.1 The Nature and Components of Operational Precision

Operational precision is "the determination of the procedures and processes that must be followed to measure an abstract concept or observe it in empirical reality" (Kerlinger & Lee, 2000, p. 38). Precision is not an end in

itself, but rather a means to ensure validity and reliability in data collection and analysis. It is important to distinguish between three levels:

- **Conceptual Definition:** A logical and philosophical definition that establishes the meaning of the concept and its relationships to other concepts. It is usually based on theory and literature.

- **Operational Definition:** Translating the concept into observable and measurable indicators, and specifying the procedures that the researcher follows to collect data. This definition makes the concept "operate" in the research.

- **Operationalization Guide:** A guide explaining how to move from a conceptual to an operational definition, including the limits of accuracy and the justifications for choices (Tony, 2012, p. 67.)

Let's take an illustrative example of the concept of "work alienation:"

- **Conceptual Definition:** "A state in which human action is detached from its intrinsic and intrinsic meaning, as a result of the division of work into fragmented and routine tasks, and the worker loses their sense of control and creativity" (Marx, 1844/2005, p. 112; adapted from Seeman, 1959)

- **Operational Definition:** We adopt Seeman's (1959) scale, which consists of five dimensions: powerlessness, meaninglessness, isolation, self-estrangement, and normality. Each dimension is measured by a number of statements on a five-point Likert scale (1 = Strongly Agree, 5 = Strongly Disagree). The overall alienation score is the sum of the scores divided by the number of statements.

Directionalization: The scale is applied to a sample of industrial workers in a specific factory, after adapting the wording of the statements to the cultural and linguistic context. Cronbach's alpha is calculated to test internal consistency (Seeman, 1975, p. 93)

4.2 Detailed Operationalization Steps

The operationalization process can be divided into seven methodological steps:

Step 1: Defining the Concept and its Boundaries

The researcher begins by reviewing the theoretical literature on the concept, determining which conceptual definition to adopt and the reason for preferring it over others. They also define what is included and excluded from the concept (the dividing lines). For example: the concept of "social deviance": does it include only statistical deviation or also deviation from values? (Becker, 1963, p. 45.)

Step Two: Dimension Specification

The overall concept is broken down into more specific sub-dimensions. For example, the concept of "social system" can be broken down into: structure (sub-systems), function (contributions to the system's continuity), and equilibrium (mechanisms of control and stability) (Merton, 1968, p. 127). This breakdown facilitates the subsequent construction of indicators for each dimension.

Step Three: Transforming Dimensions into Indicators

An indicator is empirical evidence that can be observed and measured, and it is assumed to accurately represent the dimension. For example, Bourdieu's indicators of "cultural capital" (Bourdieu, 1979) could be: parental

education level, number of books in the home, frequency of visits to museums and theaters, and the type of cultural activities practiced (Bourdieu, 1979, p. 115). Each indicator constitutes a question in the measurement tool.

Step Four: Determining Scale Levels

The researcher must decide on the scale level to be used: nominal (e.g., gender or religion), ordinal (e.g., order of preference), interval (e.g., measuring temperature or trends with equal differences), or ratio (e.g., income and age). The choice determines the possible statistical analyses.

Step Five: Instrument Construction

Here, the researcher designs the instrument (questionnaire, interview guide, observation checklist) that will collect the data. The questions or items are formulated in a way that does not compromise validity. It is preferable to have multiple items for each dimension to allow for the calculation of reliability.

Step Six: Validity and Reliability Testing

- Face Validity: Presenting the instrument to a panel of experts to assess whether it measures what it is supposed to measure.

- Content Validity: The extent to which the instrument items cover all aspects of the concept.
- Construct validity: The extent to which the instrument correlates with other measures of the same concept (concurrent validity) and its lack of correlation with different concepts (discriminative validity)

- Reliability: Calculating Cronbach's alpha coefficient for internal consistency, or test-retest reliability (DeVellis, 2017, p. 62).

Step 7: Pilot Study: Administering the instrument to a small sample (20-30 individuals) that will not be included in the final sample, to identify problems with the wording, the length of the instrument, and any residual ambiguity. Necessary adjustments are made, and then the main study is conducted (Al-Samadi, 2016, p. 250).

4.3 Validity and Reliability in Sociological Research: Specific Challenges

Sociological research faces challenges in achieving validity and reliability due to the nature of the subject matter (changing human beings and the influence of the researcher's own perspective) (Denzin & Lincoln, 2018, p. 26). Some suggested approaches to address these challenges include:

- Triangulation: Using multiple data sources, researchers, and theories.

- Quantitative-Qualitative Combination: Combining quantitative and qualitative data to deepen understanding and refine accuracy.

- Disclosing the Researcher's Position: Instead of claiming complete objectivity, researchers should describe their social position, background, and potential biases, influenced by Bourdieu's concept of "intrinsic objectivity" (Bourdieu & Wacquant, 1992, p. 68.)

Fifth: Applied Models from Sociological Research (Case Studies)

5.1 Model 1: The Concept of "Social Marginalization" in the Algerian Urban Context

This concept ranges from ambiguity in common usage (meaning collective exclusion) to the precision that requires specification: Who is marginalized? In what sphere? By what mechanism? And how is it measured? A field study (Quraishi, 2019, pp. 112-135) operationalized the concept as follows:

A. The adopted conceptual definition:

"Social marginalization is a process that pushes individuals or groups to the margins of society, where they are deprived of access to basic resources (economic, social, symbolic), excluded from participating in decision-making, and face negative stereotypes that reduce their chances of integration" (adapted from Germain, 2017, p. 45).

B. Analyzing the concept into dimensions (after reviewing the literature)

- Economic dimension: poverty, unemployment, job insecurity.
- Social dimension: weak social networks, lack of participation, isolation.
- Symbolic dimension: social stigma, lack of recognition, weak representation.

C. Developing the indicators (with a preliminary test)

The researcher developed a three-dimensional scale comprising 21 statements (7 statements per dimension) distributed on a four-point Likert scale (to avoid neutrality)

Example of an economic dimension: "I find it difficult to secure my basic needs (food, medicine, housing)"; "I experience recurring periods of unemployment".

Example of a symbolic dimension: "I feel that society looks down on me"; "There is no entity that represents my needs".

D. Validity and reliability verification:

- The scale was presented to 7 experts, and the face validity rate reached 89%.
- Cronbach's alpha coefficient was calculated at 0.87, indicating good reliability.
- In-depth interviews were conducted with 10 marginalized individuals to test construct validity, and the researcher found a strong correlation between their high scores on the scale and their expressed feelings.

The study concluded that the scale is valid for use in the Algerian context, noting that the symbolic dimension was given greater weight than in the Western context (Quraishi, 2019, p. 132)

5.2Model 2: The Concept of "Social Trust" in Algerian Society

Trust is a complex concept because it is simultaneously functional, emotional, and cognitive. In a well-known international survey (Putnam, 2000, p. 137), two main questions were posed: "Do you generally believe that most people can be trusted?" and "Do you believe that people would try to take advantage of you if given the opportunity?" This simple operational definition has been criticized for being overly simplistic and failing to consider the context (Tarrow, 2016, p. 42).

Therefore, Arab researchers, such as Al-Abed (2021, p. 218), developed a multidimensional scale of trust in Algerian society. The researcher conducted extensive research:

A. Conceptual Definition: "Social trust is an individual's expectation that others (individuals and institutions) will act in ways that respect their interests and rights, even in the absence of supervision or coercion" (Al-Abed, 2021, p. 219).

B. Dimensions (derived from a preliminary ethnography)

- Interpersonal/Implicit Trust: within the family, among relatives, and with neighbors.
- Public Institutional Trust: in the police, courts, administration, and schools.
- Abstract Trust: in strangers and people in general.
- Digital Trust: in electronic transactions and communication channels.

C. Scale Construction:

Thirty-two items were developed (eight per dimension) and administered to a national sample of 856 individuals. After exploratory factor analysis, 24 items were retained, distributed across the four dimensions as suggested.

Results and Comparison:

- Overall reliability coefficient: 0.91.
- The researcher found that personal trust in Algeria is high (average 4.2 out of 5), while institutional trust is low (1.8 out of 5), reflecting a pattern different from Western societies where the distribution is more balanced.
- These results confirm that a simplified operational definition (the Putnam question) would have masked this important distinction.

5.3 Model 3: The Concept of "Power" in Local Communities

The concept of power is one of the most ambiguous and problematic concepts. Much has been written about it (Lukes, 2005; Foucault, 1975). We reviewed a study by Belkacem (2018, pp. 55-90) that attempted to apply the concept of power within the context of municipal councils in Algeria.

A. Conceptual Definition: The study adopted the three-dimensional approach to power as described by Lukes (2005)

- The first dimension (Decision-Making): The ability to make others do what you want in situations of apparent conflict.
- The second dimension (Negotiation): The ability to control what is put forward for discussion (the agenda)
- The third dimension (Domination): The ability to shape the desires of others to such an extent that they are unaware of their oppression (the thought of Gramsci and Foucault)

B. The Problem of Procedure: How do we measure the third dimension? (Because it is hidden and unstated).

The researcher employed a triangulation strategy that included:

- Content analysis of municipal council meeting minutes over a three-year period.
- In-depth interviews with council members.
- Non-participatory observation of open sessions.
- Finally, a projective question in a questionnaire asking, "What decisions are you afraid to propose?" and "Who do you believe has unspoken influence"?

C. Results: The study demonstrated that the Lux triangulation can be adapted to the Algerian context, and that the third dimension (dominance) is the most influential but also the most difficult to measure. Many council

members exercise power unconsciously or are subject to the cultural hegemony of the mayor (Belkacem, 2018, p. 82)

Sixth: Practical Mechanisms for Addressing Semantic Ambiguity in Academic Research

Based on the theoretical and applied discussion, we propose a procedural checklist for the sociological researcher, consisting of seven main mechanisms to achieve a balance between theoretical depth and methodological rigor:

Mechanism One: Self-Acceptance of Ambiguity as a First Step

Instead of denying or impatiently dismissing ambiguity, the researcher acknowledges it, stating: "This concept is complex and multifaceted, and this is the source of its strength and significance." The researcher then decides not to eliminate it, but rather to temporarily manage it within the scope of their research (Bouazza, 2014, p. 95). This requires a degree of intellectual humility.

Mechanism Two: Critical Examination of the Literature

The researcher does not adopt the first definition they encounter, but rather studies the multiple definitions of the same concept (preferably consulting foreign sources if possible), compares them, explains why they chose a particular definition over others, and determines which parts of the definition they will implement (or perhaps omit dimensions that are not essential to their research question). This "declared choice methodology" increases the credibility of the research (Creswell, 2014, p. 155).

Third Mechanism: Determining the Logical Level of the Operational Definition

Do we need a narrow quantitative definition (statistics, tables, numbers) or an open qualitative definition (genres, patterns, narratives)? The decision depends on the nature of the research question. Questions of "how often" and "to what extent" are suitable for quantitative definitions. Questions of "how," "why," and "what is meant" are suitable for qualitative definitions. They can also be combined (Creswell, 2014, p. 202).

Fourth Mechanism: Conceptual Triangulation

Using more than one definition and more than one research tool ensures that the shortcomings of each are compensated for individually. If the researcher uses only a quantitative measure of confidence, they may miss subtle aspects of contextual meaning, and if they use only in-depth interviews, they may be unable to generalize. Triangulation allows for a balanced approach to the concept (Flick, 2018, p. 122).

Fifth Mechanism: Face and Content Validity Report with Experts

The operational definition is accompanied by a review by a panel of experts (5 to 9 specialists in the field of the concept) to assess the extent to which the indicators conform to the theoretical concept. A Likert scale can be used (1 = non-conforming, 5 = perfectly conforming), and the percentage of agreement is calculated. It must exceed 80%; otherwise, the indicators should be modified (Al-Samadi, 2016, p. 252)

Sixth Mechanism: Pilot Study

The operational definition is applied to a small sample (20-30 units) that is not included in the final sample. The pilot test can reveal any remaining

ambiguities: unclear questions, unreliable indicators, or missing important dimensions. Error in the pilot test is a thousand times cheaper than error in the main study (Tony, 2012, p. 210).

The seventh mechanism: Declaring the limits of procedural precision.

The researcher concludes the description of their procedure by explicitly acknowledging what their definition does not measure, which aspects of the concept they have omitted, and how the context (cultural, temporal, spatial) has influenced the definition. This acknowledgment is not a weakness, but rather evidence of methodological maturity. For example: "The definition of functional alienation we have adopted does not include the physical dimension of alienation, which may be important but is outside the scope of our study."

Seventh: A Critical Discussion of Procedural Precision: Are We More Concerned with Form Than Substance?

7.1 The Obsession with Procedural Precision as an Extension of an Inferiority Complex

Some critical theorists, most notably Pierre Bourdieu (2003), argue that the obsession with procedural precision in modern sociology reflects an inferiority complex toward the natural sciences, and toward economics and psychology, which have "successfully" developed precise measures. Sociology attempts to emulate physics and chemistry in precision, but it studies beings with consciousness, freedom, and history—the latter not subject to rigid numerical modeling (Hacking, 1999, p. 65). Increased precision can lead to "tunnel vision," where the researcher meticulously studies what is easily measurable and ignores what is difficult to measure but important.

7.2 The Procedural Problem of "Identity" and the "Sacred"

Some sociological concepts resist any serious procedural process. Consider "identity": A researcher might use a scale consisting of direct questions (To what extent do you feel Algerian?), but studies show that identity is situational (varies according to context) and relational (determined by the person in front of me). Reducing identity to a question in a questionnaire is a gross distortion (Brubaker & Cooper, 2000, p. 10). Similarly, consider Durkheim's concept of the "sacred"—how do you measure it? You might measure the frequency of attending church or a mosque, but the sacred transcends outward practice to encompass a profound emotional experience (Durkheim, 1912/2008, p. 55). In this case, the solution lies not in quantitative precision but in ethnographic methods and phenomenological analysis.

7.3 Precision or Accuracy: The Relationship Between Quality and Measurability

It is worth recalling the famous saying: "Not everything that can be measured is important, and not everything that is important can be measured." Many of the most important sociological phenomena (such as love, dignity, freedom, and meaning) elude quantitative measurement. But this doesn't mean we should abandon them altogether. Rather, we should approach them with qualitative methods that vary in their criteria of

accuracy (conceptual validity, phenomenological consistency, and transferability). The researcher must decide what kind of accuracy they want: statistical accuracy or interpretive depth? Both are legitimate, but neither is reducible (Denzin & Lincoln, 2018, p. 32)

7.4 Charles Wright Mills's View: Sociological Imagination as a Solution

In this regard, Wright Mills (1959) proposes what he calls "sociological imagination," the ability to connect "personal concerns" with "public issues" without sacrificing theoretical sensitivity for the sake of excessive precision. Successful concepts in sociology are those that remain "sufficiently vague" (to encompass the complexity of human life) and, at the same time, "sufficiently specific" (to guide systematic research). This middle ground approach respects ambiguity but doesn't succumb to it.

Eighth: Summary, Conclusions, and Recommendations

8.1 Summary

This article presented a systematic analysis of the dialectical relationship between semantic ambiguity and procedural precision in academic sociological research. It concluded with several key findings:

- 1- Semantic ambiguity is not a flaw in sociological concepts, but rather a necessity stemming from the fact that social phenomena have interpretive, historical, and cultural dimensions that cannot be reduced to simple numerical models. In turn, sociology cannot exist without "productive ambiguity".
- 2- Procedural precision remains necessary, but on the condition that it is not an end in itself, and that it does not stifle the richness of the theoretical concept for the sake of a false illusion of accuracy. The most dangerous mistake a researcher can make is to define a concept in a way that loses its essence and depth simply to achieve a high reliability coefficient.
- 3- A successful researcher is one who possesses a methodological awareness of the limitations of their procedural definition and acknowledges them transparently in their study. A public admission of shortcomings, biases, and selectivity in the definition is a sign of maturity.
4. Techniques such as dimensional analysis, indicator construction, multi-scale measurement, and in-depth interviews help adapt the concept to reality without over- or under-referencing it. The choice between these techniques depends on the research question and its objectives.
- 4- Field studies from the Algerian context (such as the study of marginalization, trust, and power) have shown that combining procedural rigor with interpretive flexibility can be achieved with sound methodological training and by making contextual adjustments that respect cultural specificity.
- 5- Triangulation is the most effective strategy for addressing ambiguity, as it combines class-based precision with interpretive depth.

8.2 General Conclusions

Sociology—if it wants to be a science without becoming social physics—must celebrate and manage its ambiguity, not deny it. The complete absence of ambiguity means that we are studying simple, mechanical beings, and our social being is not like that. What is required of the researcher is not to

eliminate ambiguity, but to make it transparent and productive in terms of knowledge.

Conversely, excessive ambiguity (i.e., a complete lack of procedure) reduces sociology to mere social philosophy or fine literature, failing to produce cumulative, testable knowledge. A certain degree of procedure is necessary to distinguish one study from another and to allow for scholarly debate regarding its accuracy.

8.3 Recommendations for Researchers and Academic Institutions

Based on the above, we recommend the following:

A. Recommendations for Individual Researchers:

- Begin with a detailed theoretical study of the concept (its sources, debates) before considering its implementation.
- Align your time between library research and fieldwork, and do not copy others' definitions without critical analysis.
- Document each step in the implementation process meticulously (what you chose and why you rejected others).
- If there are multiple definitions of the concept, declare which one you adopt and provide the justification.
- Use more than one tool whenever possible (e.g., questionnaire + interview).

B. Recommendations for Academic Institutions (Universities, Laboratories, Scientific Committees):

- Include a course on "Concept Construction in Sociological Research and its Operational Transformation" in Master's and Doctoral programs, with practical applications and small projects.
- Create an open Arabic electronic database of procedural scales and tools (scales, questionnaires, interview guides) that have been peer-reviewed in an Arabic context, with documentation of their psychometric properties.
- Encouraging research that addresses the "critique of measures," not just their use, to continuously improve their accuracy and adapt them to local contexts.
- Organizing regular workshops on "Measurement Problems in the Social Sciences," involving multidisciplinary research teams.

C. Recommendations for Spreading a Methodological Culture:

- Refereed-to-educational journals in the social sciences should require researchers to submit a section on the "procedural framework of key concepts," explaining in detail how to move from theory to experiment.
- Master's and doctoral theses should include a full chapter titled "Conceptual Procedure" or "From Theory to Indicators," explaining each step in detail.
- Researchers should be encouraged to conduct "measurement evaluation" studies that re-examine previously used instruments and reveal their strengths and weaknesses.

Conclusion:

We conclude this article with the following statement: "A researcher will not reach mastery until they realize that procedural accuracy is not an end in itself, but a means; and that ambiguity is not the sociologist's enemy, but their constant partner. True skill lies in managing this relationship, not in denying either side." May God grant success to all in what He loves and is

pleased with, and may He place this work on the scale of good deeds, and benefit researchers, students, and those interested in the social sciences.

References

- 1- Adorno, T. W., Albert, H., Dahrendorf, R., Habermas, J., Pilot, H., & Popper, K. R. (1976). *The positivist dispute in German sociology*. London: Heinemann.
- 2- Al-Abed, Suleiman. (2021). Measuring Social Trust in Algerian Society: Constructing a Multidimensional Scale in an Arab Context. *Journal of Social Research, University of Algiers 3*, Vol. 9, No. 2, pp. 218-239.
- 3- Al-Samadi, Rami. (2016). *Research Methodologies in Media and Communication*. Amman: Dar Safaa Publishing.
- 4- Arabic Language Academy. (2004). *Al-Mu'jam Al-Wasit* (4th Edition). Cairo: Al-Shorouk International Library.
- 5- Babbie, E. (2016). *The practice of social research* (14th ed.). Boston: Cengage Learning.
- 6- Becker, H. S. (1963). *Outsiders: Studies in the sociology of deviance*. New York: Free Press.
- 7- Belkacem, Nour El Houda. (2018). *Authority and Local Councils: A Sociological Study of Decision-Making Mechanisms* (Unpublished doctoral dissertation). University of Algiers 2, Algeria.
- 8- Berlin, I. (1969). *Four essays on liberty*. Oxford: Oxford University Press.
- 9- Blumer, H. (1954). What is wrong with social theory? *American Sociological Review*, 19(1), 3-10.
- 10- Blumer, H. (1969). *Symbolic interactionism: Perspective and method*. Englewood Cliffs: Prentice-Hall.
- 11- Bouazza, Mohamed. (2014). *Scientific Research Methodology in the Social Sciences*. Algeria: University Publications Office.
- 12- Bourbour, Abdelhamid. (2010). The Problem of the Concept in Contemporary Sociological Thought. *Journal of Social Sciences, Kuwait University*, Issue 12, pp. 45-62.
- 13- Bourdieu, P. (1979). *La distinction: Critique sociale du jugement*. Paris: Minuit.
- 14- Bourdieu, P. (1980). *Le sens pratique*. Paris: Minuit.
- 15- Bourdieu, P. (1992). *Réponses: Pour une anthropologie réflexive*. Paris: Seuil.
- 16- Bourdieu, P. (2003). *Méditations pascaliennes*. Paris: Seuil.
- 17- Bourdieu, P., & Wacquant, L. (1992). *An invitation to reflexive sociology*. Chicago: University of Chicago Press.
- 18- Brubaker, R., & Cooper, F. (2000). Beyond "identity". *Theory and Society*, 29(1), 1-47.
- 19- Carmines, E. G., & Zeller, R. A. (1979). *Reliability and validity assessment*. Beverly Hills: Sage.
- 20- Coser, L. (1956). *The functions of social conflict*. London: Routledge.
- 21- Creswell, J. W. (2014). *Research design: Qualitative, quantitative, and mixed methods approaches* (4th ed.). Thousand Oaks: Sage.
- 22- Denzin, N. K., & Lincoln, Y. S. (Eds.). (2018). *The Sage handbook of qualitative research* (5th ed.). London: Sage.
- 23- DeVellis, R. F. (2017). *Scale development: Theory and applications* (4th ed.). Los Angeles: Sage.
- 24- Douglas, J. D. (1967). *The social meanings of suicide*. Princeton: Princeton University Press.
- 25- Durkheim, É. (1951). *Suicide: A study in sociology* (J. A. Spaulding & G. Simpson, Trans.). New York: Free Press. (Original work published 1897)
- 26- Durkheim, É. (1982). *The rules of sociological method* (W. D. Halls, Trans.). New York: Free Press. (Original work published 1895)
- 27- Durkheim, É. (2008). *The elementary forms of religious life* (C. Cosman, Trans.). Oxford: Oxford University Press. (Original work published 1912)
- 28- Eisenstadt, S. N. (2000). *Multiple modernities*. New Brunswick: Transaction Publishers.

- 29- Flick, U. (2018). *An introduction to qualitative research* (6th ed.). London: Sage.
- 30- Foucault, M. (1975). *Surveiller et punir: Naissance de la prison*. Paris: Gallimard.
- 31- Germain, A. (2017). Social marginalization: Towards an operational definition for contemporary urban research. *Journal of Social Issues*, 73(2), 44-62.
- 32- Giddens, A. (1971). *Capitalism and modern social theory*. Cambridge: Cambridge University Press.
- 33- Giddens, A. (1984). *The constitution of society*. Cambridge: Polity Press.
- 34- Goode, W. J. (1964). *The family*. Englewood Cliffs: Prentice-Hall.
- 35- Hacking, I. (1999). *The social construction of what?* Cambridge, MA: Harvard University Press.
- 36- Hegazi, El Sayed. (2015). *Reference in Modern Sociological Theories*. Alexandria: University Knowledge House. • Abdel Rahman, Taha. (2008). *The Arab and Islamic Right to Dissent*. Casablanca: Arab Cultural Center.
- 37- Horkheimer, M., & Adorno, T. W. (2002). *Dialectic of enlightenment* (E. Jephcott, Trans.). Stanford: Stanford University Press. (Original work published 1944)
- 38- Kerlinger, F. N., & Lee, H. B. (2000). *Foundations of behavioral research* (4th ed.). Fort Worth: Harcourt College Publishers.
- 39- Lazarsfeld, P. F. (2005). On the articulation of concepts. In M. Bulmer (Ed.), *The uses of social research* (pp. 52-68). London: Routledge. (Reprinted from 1954)
- 40- Lazarsfeld, P. F., & Rosenberg, M. (Eds.). (1955). *The language of social research*. Glencoe: Free Press.
- 41- Lukes, S. (2005). *Power: A radical view* (2nd ed.). London: Palgrave Macmillan.
- 42- Marx, Karl. (2005). *Economic and Philosophical Manuscripts* (1844) (Translated by Fouad Ayoub). Beirut: Dar Al-Tali'a. (The original work was published in 1844).
- 43- Merton, R. K. (1968). *Social theory and social structure* (enlarged ed.). New York: Free Press.
- 44- Parsons, T. (1951). *The social system*. London: Routledge.
- 45- Putnam, R. D. (2000). *Bowling alone: The collapse and revival of American community*. New York: Simon & Schuster.
- 46- Quraishi, Fatima Zahra. (2019). *Social Marginalization in Urban Areas: A Field Study in Constantine Province* (Unpublished Doctoral Dissertation). University of Constantine 2, Algeria.
- 47- Ritzer, G. (2015). *Sociological theory* (9th ed.). New York: McGraw-Hill.
- 48- Schutz, A. (1967). *The phenomenology of the social world* (G. Walsh & F. Lehnert, Trans.). Evanston: Northwestern University Press.
- 49- Seeman, M. (1959). On the meaning of alienation. *American Sociological Review*, 24(6), 783-791.
- 50- Seeman, M. (1975). Alienation studies. *Annual Review of Sociology*, 1, 91-123.
- 51- Swartz, D. (1997). *Culture and power: The sociology of Pierre Bourdieu*. Chicago: University of Chicago Press.
- 52- Tarrow, S. (2016). *War, states, and social trust*. Cambridge: Cambridge University Press.
- 53- Tilly, C. (1990). *Coercion, capital, and European states, AD 990–1990*. Oxford: Blackwell.
- 54- Tönnies, F. (2001). *Community and civil society* (J. Harris & M. Hollis, Trans.). Cambridge: Cambridge University Press. (Original work published 1887)
- 55- Touni, Hamdi. (2012). *Measuring Concepts in Behavioral Sciences: Foundations and Applications*. Cairo: Anglo-Egyptian Library.
- 56- Weber, M. (1978). *Economy and society* (G. Roth & C. Wittich, Eds.). Berkeley: University of California Press. (Original work published 1922)
- 57- Wright Mills, C. (1959). *The sociological imagination*. New York: Oxford University Press.

Fundamentals of Scientific Research and Methodologies in the Humanities and Social Sciences: Concepts, Objectives, and AI-Augmented Approaches

-GUTTALI ABDELGHANI

-Larbi Ben M'hidi University, Oum El Bouaghi
Community and Family Laboratory, University of Batna

Email: guettali.abdelghani@univ-oeb.dz

ORCID: 0009-0006-9928-473

-Amal Al-Jarbi,

Institute: Higher Institute of Fine Arts of Sousse - Tunisia,

Email : amaljb28@gmail.com

Abstract:

Scientific research in the humanities and social sciences (HSS) fundamentally seeks to discover the root causes of social phenomena and complex human behaviors. As the digital age accelerates the production of scholarly data, traditional methodologies are increasingly being augmented by computational techniques and artificial intelligence. This paper explores the foundational concepts and objectives of HSS methodologies, synthesizing classical epistemological frameworks with modern data-driven approaches. By proposing an AI-augmented collaborative workflow, this study aims to scale qualitative analytics while preserving the interpretive depth essential to humanistic inquiry.

Keywords: Scientific Research, Research Methodologies, Humanities and Social Sciences, Research Objectives, Artificial Intelligence (AI)

المخلص:

يسعى البحث العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية بشكل أساسي إلى اكتشاف الأسباب الجذرية للظواهر الاجتماعية والسلوكيات البشرية المعقدة. ومع تسارع إنتاج البيانات العلمية في العصر الرقمي، تتزايد أهمية التقنيات الحاسوبية والذكاء الاصطناعي في تعزيز المنهجيات التقليدية. تستكشف هذه الورقة المفاهيم والأهداف الأساسية لمنهجيات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مُدمجةً الأطر المعرفية الكلاسيكية مع المناهج الحديثة القائمة على البيانات. ومن خلال اقتراح سير عمل تعاوني مُعزز بالذكاء الاصطناعي، تهدف هذه الدراسة إلى توسيع نطاق التحليلات النوعية مع الحفاظ على العمق التفسيري الضروري للبحث الإنساني.

الكلمات المفاحية: البحث العلمي، منهجيات البحث، العلوم الإنسانية والاجتماعية، أهداف البحث، الذكاء الاصطناعي.

1.Introduction :

Science and scientific research are fundamentally driven by an organized social effort to discover the root causes of phenomena, ultimately explaining and predicting them within the context of socioeconomic adaptation (Coccia, 2018). In the humanities and social sciences, these foundational concepts involve investigating complex historical, cultural, and behavioral systems through rigorous empirical and theoretical methods (Glazunov, 2012). The primary objective in these fields is to generate factual information that accurately represents observed social objects, their properties, and their interrelated networks (Beretta, 2024). Consequently, defining the scope of HSS research requires acknowledging its inherently horizontal and interdisciplinary nature, which contrasts sharply with the strictly vertical reasoning often found in the natural sciences (Kang et al., 2025).

Despite the rich tradition of qualitative and mixed-methods research, existing methodological paradigms face significant operational bottlenecks. First, traditional manual approaches to qualitative coding and thematic analysis are highly time-consuming, failing to scale adequately in an era characterized by massive, cross-media scholarly outputs (Wang et al., 2022)(Karjus, 2023). Second, early digital humanities tools and standard computational models frequently impose rigid, STEM-oriented algorithmic architectures that struggle to grasp the nuanced, abstract concepts inherent to HSS research (Kang et al., 2025). Furthermore, without a transparent methodological division of labor, the indiscriminate adoption of generative technologies risks introducing opacity and methodological instability into the research pipeline (Huang, 2026).

To address these critical gaps, this paper reconceptualizes the methodological framework for HSS research by integrating human interpretative expertise with scalable computational architectures. By establishing a clear division of labor, this study ensures that technological integration enhances rather than obscures scholarly rigor. Specifically, the contributions of this paper are formally defined as follows:

- We introduce a hybrid methodological framework that synthesizes traditional ontological mapping with an AI-agent collaborative workflow to augment qualitative reasoning.

- We propose a structured, hypothetical evaluation plan designed to benchmark the effectiveness of machine-assisted quantizing in capturing interdisciplinary HSS knowledge.

2.Related Work:

The first category of related literature focuses on the epistemological foundations and socioeconomic drivers of scientific inquiry. Foundational texts argue that scientific research utilizes general ontologies and algebraic structures to systematically apply methods of empirical and theoretical investigation (Glazunov, 2012). Moreover, the socioeconomic perspective posits that science functions as a vital determinant of social power and wealth creation, driven by the need to adapt to new environmental and economic bases (Coccia, 2018). While these theoretical frameworks offer profound conceptual depth, their primary weakness lies in a lack of operational mechanisms for handling the massive datasets generated in

contemporary digital environments. Our work bridges this gap by operationalizing these classical foundations through modern, scalable computational workflows.

A second prominent subtopic involves semantic data integration and the digital dissemination of scholarly outputs. Researchers have proposed extensive ecosystems of domain ontologies, such as Semantic Data for Humanities and Social Sciences (SDHSS), to ensure research data aligns with FAIR principles and accurately maps factual information (Beretta, 2024). Concurrently, studies highlight the altmetric advantages of Open Access publishing, noting that open monographs and chapters achieve significantly higher engagement on social networks and policy documents (Taylor, 2020), alongside nuanced dissemination patterns on platforms like Twitter (Raamkumar et al., 2018). Although these semantic and open-access networks enhance interoperability and public engagement, manually curating knowledge graphs remains highly resource-intensive, a limitation our AI-assisted approach directly mitigates.

The third category addresses the benchmarking and augmentation of qualitative research through artificial intelligence. Recent benchmarking initiatives highlight that multimodal large language models (MLLMs) face unique challenges when processing the horizontal, interdisciplinary knowledge native to HSS disciplines (Kang et al., 2025). Concurrently, scholars advocate for machine-assisted quantizing designs that allow large language models to automate complex qualitative tasks, thereby scaling up analytics without replacing human researchers (Karjus, 2023). While this AI augmentation is highly promising, it carries inherent risks, such as the generation of "tortured phrases" by unscrupulous actors using paraphrasing tools to manipulate academic literature (Clausse et al., 2025). This paper builds upon these insights by embedding strict human-in-the-loop validation steps to prevent such academic distortion while maximizing analytical scalability.

3. Related Work:

To effectively synthesize large-scale data analytics with humanistic inquiry, we propose an AI-Augmented Collaborative Workflow (ACW). This structured framework relies on a distinct human-AI division of labor, combining foundational semantic modeling with modern generative AI capabilities (Huang, 2026). The core rationale behind this design is to leverage the machine's capacity for processing vast textual corpora while relying on human researchers for critical ethical judgments and complex theoretical interpretations (Karjus, 2023). By strictly compartmentalizing tasks, the proposed architecture safeguards the epistemological integrity of HSS research while exponentially increasing analytical throughput.

The methodological pipeline consists of multiple sequential modules designed to streamline research execution. This pipeline heavily emphasizes an iterative process, ensuring that machine outputs are continually vetted by domain experts. The specific procedural steps are structured as follows:

1. Conceptualization and Ontological Mapping: Human researchers define the theoretical constructs and align them with established foundational

ontologies to ensure semantic interoperability across domains (Beretta, 2024).

2. Machine-Assisted Quantitizing and Retrieval: AI agents execute automated cross-media retrieval and perform qualitative coding, translating unstructured textual or visual data into quantifiable, thematic datasets (Wang et al., 2022)(Karjus, 2023).

3. Iterative Refinement and Verification: Human experts manually review the machine-generated outputs, correcting instances of conceptual misalignment and synthesizing the findings into cohesive academic narratives (Huang, 2026).

To rigorously assess the efficacy of this proposed methodology, we outline a comprehensive evaluation plan utilizing a hypothetical benchmark dataset. This hypothetical dataset, titled "HSS-MultiModal-Scale," comprises 10,000 heterogeneous artifacts, including digitized historical texts, sociological survey transcripts, and cross-media cultural artifacts. The evaluation will measure the AI agent's precision in semantic annotation against a gold-standard subset coded entirely by independent human experts. Furthermore, the overall performance will be evaluated based on the workflow's ability to maintain high inter-coder reliability and effectively identify nuanced horizontal linkages across disparate social science disciplines (Kang et al., 2025).

4. Discussion:

The practical implications of deploying this AI-augmented methodology are substantial for academic institutions and research centers. By adopting scalable machine-assisted designs, researchers can transition from labor-intensive manual coding to a collaborative paradigm that drastically reduces the time required for comprehensive literature reviews and thematic analyses (Huang, 2026). Furthermore, deploying such frameworks in conjunction with open-access repositories can significantly boost the altmetric visibility of humanities research, fostering broader societal impact and dynamic scholarly communication across social networks (Taylor, 2020)(Raamkumar et al., 2018). Ultimately, institutionalizing these digital workflows can lead to more responsive, data-informed policymaking grounded in rich sociological insights.

Despite these distinct advantages, the proposed methodology is constrained by several critical limitations and failure modes. First, the inherent semantic gap between abstract philosophical concepts and rigid computational ontologies often results in an oversimplification of nuanced qualitative data (Beretta, 2024). Second, the integration of multimodal artifacts across historically disjointed archives poses persistent technical challenges, frequently leading to failed or incomplete cross-media retrievals (Wang et al., 2022). Third, current AI models frequently struggle with the horizontal reasoning demanded by HSS disciplines, which can cause the models to misinterpret interdisciplinary contexts and generate logically flawed inferences (Kang et al., 2025).

In addition to technical limitations, this methodological shift introduces significant ethical considerations and risks. One primary risk is the exacerbation of academic fraud, as generative tools can be easily misused to

mass-produce synthetic papers filled with "tortured phrases" that severely pollute the scientific record (Clausse et al., 2025). Another critical ethical concern involves the potential for algorithmic bias, wherein AI agents trained on predominantly Western datasets might systematically misrepresent or marginalize indigenous and minority cultural narratives during the automated coding process.

To mitigate these challenges, future research must pursue several vital directions to refine computational HSS methodologies. One necessary avenue for future work is the development of natively multimodal and interdisciplinary AI models explicitly pre-trained on high-quality, peer-reviewed humanities datasets to improve their horizontal reasoning capabilities (Kang et al., 2025). A second essential direction is the establishment of global, standardized metadata protocols for AI-assisted qualitative coding, ensuring that machine-generated annotations remain transparent, replicable, and universally verifiable across the global scientific community (Karjus, 2023).

5. Discussion:

The fundamentals of scientific research in the humanities and social sciences are deeply rooted in the rigorous pursuit of understanding complex social phenomena and human behavior (Glazunov, 2012)(Coccia, 2018). As the volume and modality of scholarly output continue to expand exponentially, traditional manual methodologies are no longer sufficient to capture the breadth of available factual information (Beretta, 2024). The integration of artificial intelligence and structured semantic frameworks presents a transformative opportunity to augment human intellect, enabling researchers to scale their qualitative methodologies without sacrificing analytical depth (Karjus, 2023).

The proposed AI-Augmented Collaborative Workflow demonstrates how a precise division of labor between algorithmic processing and human interpretative expertise can redefine HSS methodologies (Huang, 2026). By acknowledging the distinct horizontal reasoning required in these disciplines (Kang et al., 2025), and remaining vigilant against the ethical pitfalls of generative technologies (Clausse et al., 2025), the academic community can harness these digital advancements responsibly. Ultimately, balancing computational efficiency with epistemological rigor will ensure that the humanities and social sciences remain robust, socially impactful, and highly relevant in an increasingly automated world.

6. Topic: Successful Global Experiences in Employing Artificial Intelligence in Scientific Research in the Humanities and Social Sciences

The humanities and social sciences have witnessed a qualitative transformation with the emergence of artificial intelligence as a central tool in scientific research. These disciplines have shifted from reliance on traditional (descriptive and interpretive) methodologies to employing advanced analytical tools based on big data, algorithms, and computer modeling. This transformation was not merely a technological development, but rather touched the very core of scientific methodology, reshaping the methods of data collection, analysis, and interpretation.

In this context, a number of international universities have emerged as leading models in integrating artificial intelligence into scientific research in the humanities and social sciences. This topic aims to present and systematically analyze these experiences, highlighting their scientific implications and potential applications within the Arab context.

6.1 First: The Massachusetts Institute of Technology (MIT) Experience

The Massachusetts Institute of Technology (MIT) is one of the most prominent institutions that has integrated artificial intelligence into the study of social phenomena. Through its Media Lab, research projects have been developed that rely on big data analysis to understand human behavior. This experiment focused on:

- * Analyzing social interactions via smartphones
- * Studying urban mobility patterns
- * Using machine learning to predict social behavior.

The results demonstrated the ability of artificial intelligence to uncover subtle social patterns that are difficult to detect using traditional methods.

6.2 Methodological Significance: The shift towards data-driven research and scientific prediction.

Second: Stanford University's Experience in Digital Humanities

Stanford University contributed to the development of the field of digital humanities by employing artificial intelligence techniques in text analysis.

6.2 Key Applications:

- * Analyzing literary texts using machine learning algorithms
- * Studying cultural discourse through Natural Language Processing (NLP)
- * Mining digital historical archives

6.3 Key Findings:

- * Accelerating the text analysis process
- * Discovering new linguistic and cultural patterns
- * Enhancing the integration of quantitative and qualitative analysis

7. Methodological Significance: Developing text analysis methodologies towards algorithmic modeling.

Third: Oxford University's Experience in Studying Digital Societies

Oxford University presented an advanced model through its Internet Institute, where artificial intelligence was employed to study the impact of digital technology (Kitchin, 2014) on society. Research Areas:

- * Social Network Analysis
- * Studying the Spread of Fake News
- * Predicting Political Behavior
- * Understanding Public Opinion Dynamics
- * Analyzing the Impact of Social Media on Democracy
- * Developing Explanatory Models of Digital Behavior

8. Methodological Significance: Integrating the digital dimension into sociological and political research.

Fourth: Harvard University's Experience with Open Data Platforms

Harvard University developed the *Dataverse* platform as a digital environment for storing and sharing research data, contributing to the promotion of the principle of "open science."

8.1 Key Features:

- * Making data available to researchers globally
- * Supporting data reuse
- * Employing artificial intelligence in data analysis
- * Methodological Significance:
- * Enhancing scientific transparency
- * Developing collaborative research
- * Improving the quality of scientific studies

8.2 Fifth: Cambridge University's Experience in Computational Social Sciences

Cambridge University relied on computational modeling to simulate social phenomena. Research Tools:

- * Social Simulation
- * Big Data Analysis
- * Mathematical Modeling

8.3 Areas of Application:

- * Poverty
- * Migration
- * Inequality

Methodological Significance: Integrating quantitative and (Huang, Yi-Chih 2026) qualitative analysis within a comprehensive computational framework.

Sixth: Peking University's Experience in Analyzing Social Transformations
Peking University employed artificial intelligence to study social and economic transformations in China.

8.4 Key Applications:

- * Population Data Analysis
- * Urbanization Studies
- * Supporting Public Policy

9. Methodological Significance: Linking scientific research to political and developmental decision-making. Seventh: Comparative Analysis of Experiences

By analyzing these models, the following can be concluded:

1. Increased reliance on big data
2. Integration between disciplines (sociology + computer science)
3. Use of advanced analytical tools
4. Shift towards predictive research

9.1 Eighth: Prospects for Applying Experiences in the Arab World

These experiences can be utilized through:

- * Establishing national databases
- * Developing digital research centers
- * Using artificial intelligence in analyzing social phenomena
- * Supporting multidisciplinary research

9.2 They can also be applied to the study of:

- * Urban and rural transformations
- * Environmental sociology
- * Sustainable development

9.3 Conclusion

Global experiences indicate that artificial intelligence has become a fundamental element in the development of scientific research in the humanities and social sciences.(Blei, D. M. 2012)It has provided new tools for understanding complex social phenomena and has contributed to improving the accuracy and reliability of results.

Adopting these models in the Arab context is a scientific necessity to keep pace with global transformations and achieve a research renaissance based on innovation and knowledge integration.

. References:

- 1- Coccia, Mario (2018). Socioeconomic driving forces of scientific research. <https://arxiv.org/pdf/1806.05028v1>
<https://arxiv.org/pdf/1806.05028v1>
- 2- Glazunov, N. M. (2012). Foundations of scientific research (Foundations of Research Activities). <https://arxiv.org/pdf/1212.1651v1> <https://arxiv.org/pdf/1212.1651v1>
- 3- CBeretta, Francesco (2024). Semantic Data for Humanities and Social Sciences (SDHSS): an Ecosystem of CIDOC CRM Extensions for Research Data Production and Reuse. Thomas Riechert; Hartmut Beyer; Jennifer Blanke; Edgard Marx. ProfessoraleKarrieremuster Reloaded. Entwicklungeinerwissenschaftlichen Methode zur Forschung auf online verfügbaren und verteiltenForschungsdatenbanken der Universit{ä}tsgeschichte., HTW. <https://doi.org/10.33968/9783966270502-05>
<https://doi.org/10.33968/9783966270502-05>
- 4- Kang, Zhaolu, Gong, Junhao, Yan, Jiaxu, Xia, Wanke, Wang, Yian, Wang, Ziwen, Ding, Huaxuan, Cheng, Zhuo, Cao, Wenhao, Feng, Zhiyuan, He, Siqi, Yan, Shannan, Chen, Junzhe, He, Xiaomin, Jiang, Chaoya, Ye, Wei, Yu, Kaidong, & Li, Xuelong (2025). HSSBench: Benchmarking Humanities and Social Sciences Ability for Multimodal Large Language Models. <https://arxiv.org/pdf/2506.03922v3>
<https://arxiv.org/pdf/2506.03922v3>
- 5- Wang, Benzhi, Liang, Meiyu, & Li, Ang (2022). Cross-media Scientific Research Achievements Query based on Ranking Learning. <https://arxiv.org/pdf/2204.12121v1>
<https://arxiv.org/pdf/2204.12121v1>
- 6- Karjus, Andres (2023). Machine-assisted quantizing designs: augmenting humanities and social sciences with artificial intelligence. <https://arxiv.org/pdf/2309.14379v2>
<https://arxiv.org/pdf/2309.14379v2>
- 7- Huang, Yi-Chih (2026). From Labor to Collaboration: A Methodological Experiment Using AI Agents to Augment Research Perspectives in Taiwan's Humanities and Social Sciences. <https://arxiv.org/pdf/2602.17221v1>
<https://arxiv.org/pdf/2602.17221v1>
- 8- Taylor, Michael (2020). Open Access Books in the Humanities and Social Sciences: an Open Access Altmetric Advantage.

- <https://doi.org/10.1007/s11192-020-03735-8>
<https://doi.org/10.1007/s11192-020-03735-8>
- 9- Raamkumar, Aravind Sesagiri, Erdt, Mojisola, Vijayakumar, Harsha, Rasmussen, Edie, & Theng, Yin-Leng (2018). Understanding the Twitter Usage of Humanities and Social Sciences Academic Journals. <https://doi.org/10.1002/pr2.2018.14505501047>
<https://doi.org/10.1002/pr2.2018.14505501047>
 - 10- Clausse, Alexandre, Badalova, Fidan, Cabanac, Guillaume, & Mayr, Philipp (2025). Unveiling tortured phrases in Humanities and Social Sciences. ISSI 2025: 20th International Conference on Scientometrics and Informetrics. https://doi.org/10.51408/issi2025_105
https://doi.org/10.51408/issi2025_105
 - 11- Kitchin, R. (2014). *The Data Revolution: Big Data, Open Data, Data Infrastructures and Their Consequences*. Sage Publications.
 - 12- Mayer-Schönberger, V., & Cukier, K. (2013). *Big Data: A Revolution That Will Transform How We Live, Work, and Think*. Houghton Mifflin Harcourt.
 - 13- Russell, S., & Norvig, P. (2021). *Artificial Intelligence: A Modern Approach* (4th ed.). Pearson.
 - 14- Salganik, M. J. (2017). *Bit by Bit: Social Research in the Digital Age*. Princeton University Press.
 - 15- Lazer, D., et al. (2009). Computational social science. *Science*, 323(5915), 721–723.
 - 16- Blei, D. M. (2012). Probabilistic topic models. *Communications of the ACM*, 55(4), 77–84. Boyd, D., & Crawford, K. (2012). Critical questions for big data. *Information, Communication & Society*, 15(5), 662–679.
 - 17- Floridi, L., et al. (2018). AI4People—An ethical framework for a good AI society. *Minds and Machines*, 28(4), 689–707.
 - 18- Grimmer, J., & Stewart, B. M. (2013). Text as data: The promise and pitfalls. *Political Analysis*, 21(3), 267–297.

بناء وصياغة المفاهيم في البحوث العلمية: من المفهوم إلى المؤشر رحلة الوصول إلى نتائج علمية موثوقة

أ.د. حمزاوي سهى

جامعة عباس لغور - خنشلة

dzSouha.hamzaoui@univ-khenchela

ملخص:

تتناول هذه الورقة موضوع بناء المفاهيم والمصطلحات البحثية باعتبارها خطوة مهمة من خطوات البحث العلمي. حيث حاولت الاقتراب النظري والمنهجي من خلال الوقوف على أهمية تحديد الجهاز المفاهيمي، وتوضيح الإجراءات العملية اللازمة لبناء المفاهيم وصياغتها، ناهيك عن توافر معايير مضبوطة يستند إليها الباحث في صياغة بحثه بالاستناد إلى الدقة الموضوعية التي يجسدها كل من إزالة الغموض وتوحيد الفهم، بالإضافة إلى تحويل المفاهيم المجردة إلى مؤشرات قابلة للقياس بحيث تضمن في رحلتها من المفهوم إلى المؤشر الوصول إلى نتائج بحثية موثوقة وذات مصداقية.

الكلمات المفتاحية: البحث العلمي-المفهوم-البعد-المؤشر-مصادقية النتائج

Summary:

This paper addresses the topic of research concepts and terminology as an important step in scientific research. It attempted to approach the theory and methodology by emphasizing the importance of defining the conceptual apparatus and clarifying the practical procedures necessary for constructing and formulating concepts, not to mention the availability of precise standards upon which the researcher relies in formulating his research based on objective accuracy, which is embodied by both removing ambiguity and unifying understanding,

in addition to transforming abstract concepts into measurable indicators so that they ensure, on their journey from concept to indicator, the achievement of reliable and credible research results.

Keywords: scientific research - concept - dimension - indicator - credibility of result

مقدمة:

يتضمن العلم مجموعة من المفاهيم تعد بمثابة مصطلحات يستخدمها العلماء للإشارة إلى الموضوعات والظواهر التي يدرسونها، وتشكل هذه المصطلحات اللغة العلمية التي يتحدث بها العلماء، وكلما تطورت هذه اللغة بواسطة تطور صياغة المفاهيم، استطاع الباحثون تنمية تصورات جديدة تساهم في تقدم المعرفة وتطورها.

وتأتي صياغة وبناء المفاهيم كخطوة رئيسية في البحث العلمي كونها تؤثر في بقية الخطوات التي تليها. حيث يعد تحديد المصطلحات العلمية أمرا ضروريا في كل بحث. وكلما اتسم هذا التحديد بالدقة والموضوعية، كلما تمكن الباحث من إجراء بحثه بمنهجية سليمة تساعد على إدراك المعاني والأفكار دون تأويل أو فهم خاطئ لها. لذا من الضروري أن يولي الباحث هذه المرحلة عناية فائقة لأنها قائمة على مصطلح يعكس تصور مجرد يكتسب معناه من إطار نظري شامل مرتبط بالواقع.

إن ما يصبو إليه الباحث من بناء الجهاز المفاهيمي هو الدراسة المستفيضة ضمن طرح نظري عن طريق مسعى تجريدي يؤدي فيه الجهاز المفهومي دورا محوريا في توجيه البحث توجيها علميا نحو نتائج موثوقة وموضوعية. ومنه تتطلب موثوقية نتائج البحث ومصداقيتها دقة عملية بناء المفاهيم، حيث يتعين على الباحث تغطية الجهاز المفاهيمي بعدد كاف من المؤشرات يساعد على بناء نظام استدلال وتفسير موضوعي منطقي للظاهرة محل الدراسة، فكلما اتسم هذا التحديد بالقوة والوضوح تمكن القارئ من إدراك المعاني وتجنب التضارب في وجهات النظر. استنادا إلى ما سبق نصل إلى طرح الإشكال التالي: ما هي أهمية بناء وصياغة المفاهيم في البحوث العلمية؟ وكيف يتم الانتقال من المفهوم إلى المؤشر بحيث يضمن الباحث نتائج علمية موثوقة؟ وعليه تأتي هذه الورقة العلمية لتجيب عن الإشكال السابق من خلال التطرق للعناصر الآتي ذكرها:

1. المفاهيم، الأبعاد، والمؤشرات: تأطير نظري

تتميز المصطلحات في العلوم الإنسانية بالمرونة نظرا لتغير مدلول المفاهيم المستخدمة باختلاف الزمان والمكان من جهة، واختلاف الإيديولوجيات والبيئة الثقافية من جهة ثانية. لذا يستلزم على الباحث أن يضبطها بدقة، لأن حدوث أي خلل في تحديد المفاهيم أو توظيفها يؤدي إلى تجنب الصواب، ومنه التأثير على مصداقية التفسير وموثوقية نتائج البحث. ويشير المفهوم إلى: "تصورات ذهنية لمجموعة متنوعة من الظواهر التي نريد ملاحظتها" (أنجرس، 2004، ص 158). وتعرف المفاهيم كذلك في موضع آخر على أنها: "الوسيلة الرمزية التي يستند إليها الباحث للتعبير عن الأفكار والتصورات المختلفة بغرض إبلاغهما للآخرين" (عليان وآخر، 2023، ع 02، ص 733).

○ أما المتغير فيعبر عن كل ما يتغير ويقبل القياس الكمي والكيفي، وهو مفهوم إحصائي يقصد به التغير في

الظاهرة ضمن إطار بشري معين، بمعنى تغير في سلوك الأفراد يمكن الباحث من فهم الظاهرة (عماد، 2007، ص 133).

○ البعد: يعرف البعد على أنه أحد مكونات المفهوم ويشير إلى مستوى معين من واقع هذا الأخير" (مصباح، 2017، ص 89).

○ المؤشر: مقدار كمي ذو وحدات متصلة يعبر تراكمها عن حالة كيفية أو تغير كمي في مجال أو بعد أساسي من

جوانب البيئة الاجتماعية" (العقبى، 2017، ص 65). ومن جهة أخرى نجد أن المؤشرات هي خصائص واقعية خالية من التجريد توصل إليها الباحث عن طريق الملاحظة والمقابلات الاستطلاعية (مصباح، 2017، ص 87).

من خلال التعاريف السابقة الذكر، نصل إلى أن المفهوم يعبر عن صورة عقلية تتكون من الخبرات المتتابعة التي يمر بها الفرد، ويتميز بخاصتي التجريد والتعميم مركزا على الصورة الذهنية، كما أن المفاهيم تخضع لعملية تفكيك تولد مجموعة من الأبعاد تنتج بدورها عددا من المؤشرات قابلة موضوعيا للقياس والتحديد بحيث تغطي حدود البعد وتعبّر عنه، فلو أردنا

توضيح كيفية الانتقال من المفهوم إلى البعد ثم المؤشر نشير بهذا الصدد إلى مفهوم نظام الحوافز ثم الحوافز المادية كبعد للمفهوم، ليأتي فيما بعد عدد من المؤشرات تكون قابلة للقياس مثل: زيادة الأجر والمكافأة.

ويطلق على العلاقة: المفهوم - البعد - المؤشر ، عملية الأجرأة المنهجية للمفاهيم.

2. أهمية توصيف وتحديد المفاهيم في البحث العلمي:

تحتل المفاهيم مكانة بارزة في البحث العلمي حيث من غير الممكن أن نتجاوز تحديدها خاصة وأنها تمكن الباحث من استقرار واقع موضوع بحثه وتشخيص متغيراته واستخراج مؤشرات. إن تحقيق المصادقية والوصول إلى نتائج موثوقة تقتضي تحديد المفهوم بدقة انطلاقاً من خصوصيته والتراث النظري الذي يحيط به. إذ نجد أن بعض المفاهيم تنتهي إلى نظريات محددة كنظريات الصراع، في حين تشترك نظريات مختلفة في مفاهيم معينة (مفاهيم بنية أو تقاطعية) فضلاً عن مفاهيم إجرائية (عملية) ... وهذا من شأنه أن يزيل أي لبس أو غموض يحيط بالموضوع (غربي، 2006، ص 47).

إن مسألة تحديد المفاهيم تبقى ضرورة حتمية خاصة عندما تتعدد معانيها وتتشعب دلالاتها. فإذا انطلقنا من الواقع نجد أن الكثير من المصطلحات المرتبطة بالمشكلات الاجتماعية المدروسة تختلف في معانيها والسياق الذي تستخدم فيه باختلاف المجتمعات والخصائص الاجتماعية والثقافية للأفراد، وهذا ما يستدعي ضبطها بدقة حتى تضمن موثوقية النتائج. ويتطلب تحديد المفاهيم جملة من الشروط:

- استخراج المفاهيم الأساسية من عنوان البحث وإشكاليته مع التركيز على ارتباط هذه المفاهيم بأهداف البحث أولاً والدراسة الميدانية ثانياً.

- وصف دقيق لمعنى مضمون المفهوم بعبارة بسيطة ومتداولة (تعريف اصطلاحية ولغوية).

- تفكيك المفاهيم إلى أبعاد ثم مؤشرات. ومنه تأتي مرحلة بناء تعاريف إجرائية مع مراعاة الابتعاد عن الانطباعات الشخصية والإدراكات الحسية (مصباح، 2017، ص 90).

- الوصول إلى معنى جامعا تشترك فيه أغلب التعريفات مع التأكد من دقة المفهوم وعموميته.

1.2. التحديات التي تواجه الباحث في تحديده للمفاهيم:

تواجه الباحث عدة تحديات تعيقه عن التحديد الدقيق للمفاهيم بحكم أن هذه الأخيرة تأتي نتيجة خبرة اجتماعية مشتركة تختلف باختلاف الثقافة الفرعية للأفراد وطبيعة البيئة الاجتماعية التي تنشأ فيها، فضلاً عن أن بعض المفاهيم تأتي في أكثر من معنى مثل مفهوم الثقافة الذي يأخذ عدة معاني كالحضارة، العناصر المادية... أو تستخدم في عبارات مختلفة بمعاني متعددة مما يتطلب توضيح المعنى الذي تقصده عند استخدام هذه المفاهيم تجنباً للتداخل والتأويل (محمد حسن، 1998، ص 177).

-تعدد معاني المفاهيم واتساع دلالتها (الديموقراطية، العولة، الحرية، الاغتراب وغيرها من المفاهيم الكثيرة التداول في العلوم الاجتماعية، بالإضافة إلى الاستخدامات المختلفة للمفهوم تبعاً لاختلاف المجالات وتباين فروع المعرفة.

-ظهور بعض مواطن الخلل في بعض الأبحاث العلمية مثل عرض المفاهيم دون مناقشة ونقد، وعدم توضيح كل من مكونات المفهوم (الخصائص البنيوية) والوظائف التي يؤديها فضلا عن أنه في بعض الأحيان تأتي التعاريف الإجرائية غامضة ومبهمة مما يبرز عدم الفهم الصحيح للظاهرة المدروسة من جهة، وعدم ربطها بالواقع من جهة ثانية. وفي المقابل من المحتمل أن يؤدي التركيز بشكل كبير على التجريد المفاهيمي إلى انفصال النظرية عن الواقع وفقدانها القدرة على التفسير والفهم.

2.2. الإجراء العملي لبناء المفاهيم:

يشير بناء المفاهيم إلى: "عملية الانتقال من التجريدي إلى الملموس، أو هو نزول في السلم التجريدي عندما ننقل من مفاهيم نظرية مركزية إلى مفاهيم فرعية" (سبعون وآخر، 2012، ص115). وهو بناء مجرد يستهدف تفسير ما هو واقعي لهذا لا يمكننا تغطية كافة جوانب الدراسة في الواقع، بل نتناول فقط المسائل الجوهرية المرتبطة به. وتنطلق عملية بناء المفهوم من تحديد الأبعاد التي تكونه والتي يفسر بها الواقع، ثم تحديد الشواهد التي سيمكن بفضلها قياس الأبعاد من أجل تفسير هذا الواقع. إن بناء المفاهيم يخضع لعملية تفكيك وانتقال تدريجي من الإطار التجريدي وصولا إلى الواقع الملموس. وهذا ما يفسر بناء المفاهيم في علم الاجتماع الذي يقتضي أن يكون عن طريق الخلفية المعرفية التي اكتسبها الباحث عن طريق الأدبيات والدراسات الاستطلاعية. وتقتضي عملية بناء المفهوم الخطوات الآتية:

○ تصور المفهوم وتمثله في صورة ذهنية:

بمعنى إدراك المفهوم واستيعابه ذهنيا. فإذا أخذنا على سبيل المثال مفهوم الحرية نجد أنها تصورات ذهنية مجردة غير ملموسة تترجم مستوى معين من الواقع الاجتماعي (سبعون وآخر، 2012، ص117).

○ تخصيص المفهوم (تحديد أبعاده):

تركز هذه الخطوة على ربط المفهوم بالواقع الملموس من خلال البحث في مكونات هذا المفهوم (أبعاد) ومستوياته المختلفة. فعلى سبيل المثال نذكر:

- نظام الحوافز ← حوافز مادية- حوافز معنوية
- الحراك المهني ← حراك صاعد-حراك نازل-حراك أفقي.
- التغير الاجتماعي ← سياسي، اقتصادي، اجتماعي، ثقافي.

○ المؤشرات وعملية التحقق من الفرضيات:

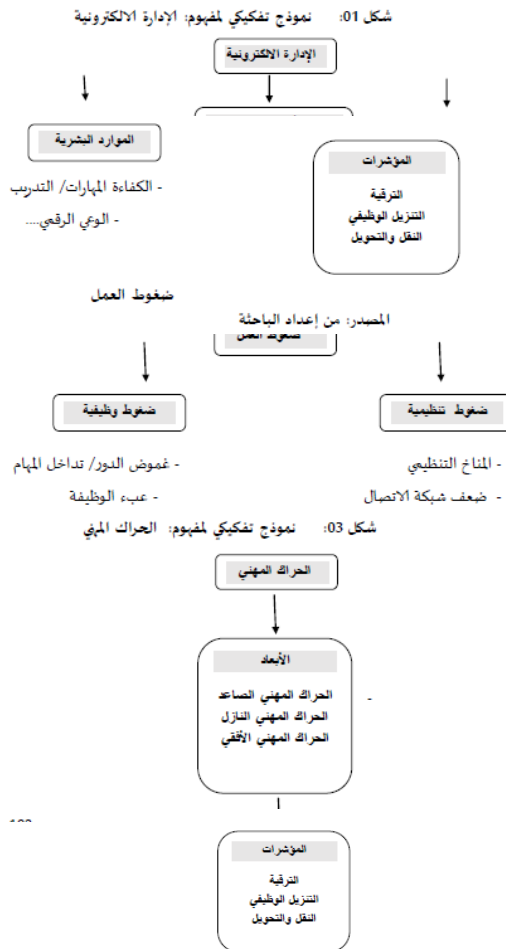
يشكل المؤشر نقطة محورية في البناء المفاهيمي بحكم أهميته البالغة في اختبار الفرضيات والوصول إلى الأهداف المسطرة. كما أن "التجلي الملاحظ في الواقع لبعد المفهوم يسمح بالانتقال من المجرد إلى الواقع الملموس بمعنى الشروع في التحقق من الفرضية" (سبعون وآخر، 2012، ص118).

3. من المفاهيم النظرية (المجردة) إلى المفاهيم الإجرائية (الواقعية):

يقصد بالمفاهيم النظرية أو المفاهيم العامة التحديدات المجردة والمنطقية التي اتفق على صياغتها المنظرون الاجتماعيون. وتأتي على درجة عالية من التجريد كما تحدد الأطر التصورية للبحث وتتميز بالشمولية والاتساع مما يتطلب عملية تفكيكها من أجل النزول بها لمستوى الملاحظة والقياس. وهذا ما ينطبق على مفاهيم مثل: القيم، التغير، الحرية وغيرها.

أما المفاهيم الإجرائية: أو التعريفات الإجرائية فهي معاني المفردات المستقاة من الواقع البحثي، أو واقع الحدث الاجتماعي، والتي تملك بعض الخصوصية الاجتماعية المختلفة عن مثيلتها في مجتمعات أخرى. وتكون واقعية ومرتبطة بالميدان، كما تحمل بعد القياس والوصف مما يعطيها قيمة كبيرة في البحث.

إن عملية الانتقال من المستوى الأول للمستوى الثاني مرحلة هامة يقتضيها البحث العلمي حيث يتوقف عليها اختبار الفرضيات وبناء التعاريف الإجرائية التي يستند إليها الباحث في الميدان. ومع هذا التحول ننتقل من وصف السلوك الإنساني بشكل عام، ومن المرونة غير المحدودة إلى تعاريف إجرائية تعكس السلوك الإنساني في مواقف محددة واقعية وتجريبية. ومن خلال رحلة المفهوم من البعد إلى المؤشر يتضح التجسيد الواقعي للمفهوم من خلال استخراج مجموعة من الأبعاد والمؤشرات تكون قادرة على إثبات هذا الواقع بعيدا عن التصورات المجردة. وفيما يلي توضيح للأمر:



4. صلة المفاهيم بمفاهيم محورية في البحث:

1.4. المفاهيم وصياغة الإشكالية:

ترتبط الصياغة الواضحة للإشكالية بتحديد الباحث لمفاهيم بحثه تحديدا دقيقا بحيث تكون ذات صلة وثيقة بإشكالية بحثه ويقوم بانتقائها بعناية من بين المصطلحات المتداولة في المدارس الفكرية المختلفة. وعليه لا يستطيع الباحث تحديد إشكالية واضحة إلا بعد تحديد العلاقة بين المتغيرات والمؤشرات المكونة للمفاهيم.

2.4. المفاهيم ووضوح الفرضية:

تقوم المفاهيم بوظيفة بناء الفروض وتحسينها حيث ينتج عن المفهوم الإجرائي مجموعة أسئلة يستخرج منها الباحث فرضية عامة (رئيسية) وجملة من الفرضيات الفرعية يضع لها مؤشرات وهذا ما يعكس العلاقة الوثيقة بين التعريف الإجرائي والفروض، حيث تعمل الفرضيات على تفكيك المفاهيم إلى أبعاد ثم مؤشرات قابلة للقياس تمثل مستوى وسطي بين التصور التجريدي والعام من جهة، وبين الواقع المعيشي من جهة ثانية (عليان، 2023، ع2، ص786). إن علاقة كل من المفاهيم، مشكلة البحث، والفرضيات تنم عن ارتباط تبادلي عضوي بينها باعتبار أن مشكلة البحث عبارة عن مجموعة من المفاهيم يتم تحديدها بدقة، وهي تجسد العلاقة في مستواها التجريدي، تليها مرحلة صياغة الفرضيات كإجابات مؤقتة للأسئلة المطروحة وصولا إلى نتائج تمثل العلاقة مع المفاهيم في مستواها الملموس.

3.4. المفاهيم والخلفية النظرية للبحث:

تشير النظرية إلى بناء مفاهيمي استنتاجي يعبر عن نسق فكري معرفي على درجة عالية من التجريد، وعن رؤية منهجية منظمة، وهي ذات أفكار محددة ومتسقة مع بعضها ترجم علاقة ثابتة بين متغيرات بهدف تحديدها والتنبؤ بما يعتريها من تغيرات (رحماني، بكوش، 2015، ع2، ص496). في حين أن موريس أنجرس يعرفها من خلال تحديد محتوياتها (تعريف بنائي) أو تبيان وظيفتها بالنسبة للعلم (تعريف وظيفي) حيث يشير إليها بأنها: مجموعة من المصطلحات والتعريفات والافتراضات المترابطة بعضها ببعض، والتي تقترح رؤية منهجية منظمة للظاهرة، بهدف تحديدها والتنبؤ بما يعتريها من تجليات (أنجرس، 2004، ص54).

من هذا المنطلق تشكل المفاهيم اللبنة الأساسية للنظرية التي توفر بدورها إطارا تفسيريا شاملا يربط المفاهيم بعضها ببعض مركزا على البحث عن الأسباب من أجل التفسير والفهم المعمقين بدل عملية الوصف المجردة. حيث تشترط النظرية التكامل والانسجام المنطقي بين المفاهيم.

إن تحديد المفاهيم مرتبط بالمكتسبات النظرية المرتبطة بالتراث السوسيولوجي، وبمرجعية نظرية لمفكر أو باحث معين، فإذا تناولنا على سبيل المثال موضوع الخيال السوسيولوجي فمن المؤكد أن نعود لكتابات رايت ميلز Charles right Mills والأمر نفسه بالنسبة لمفهوم النموذج المثالي (ماكس فيبر) Max Weber

ويشير المفهوم في علم الاجتماع إلى مصطلح تجريدي يعبر عن جزء مهم من النظرية بحكم أنها تتكون من مجموعة من الأفكار حيث يتخذ المفهوم مضمونا بنائيا يتجسد في المواد العلمية التي تتكون منها المفاهيم والتغيرات التي تطرأ عليها بتغير العادات والتقاليد. أما المضمون الوظيفي فيشير إلى الوظائف التي تؤديها هذه المفاهيم بحيث تساعد على فهم النظرية. فإذا أخذنا مفهوم

القانون من وجهة نظر بنوية نجد أنه يشير إلى مجموعة القواعد التي تفرض على الأفراد داخل المجتمع بمعنى مكونات القانون، في حين يشير القانون من وجهة نظر وظيفية إلى القوانين التي تفرضها الدولة على الأفراد ليلتزموا بها ويطبقوها في معاملاتهم وحياتهم بغية تحقيق النظام . إن الباحث يلتزم بالخلفية النظرية التي تستند إليها مشكلة البحث في تعيين أبعاد الدراسة والتي يستخرج منها لاحقاً المؤشرات من أجل بناء المفهوم الإجرائي. وهذا ما يجعل مرحلة تحديد المفاهيم محطة أساسية في بناء الإطار النظري conceptuel Framework، حيث ينكون هذا الأخير من مجموعة من المفاهيم تضبط الظاهرة المدروسة (عماد، 2007، ص 129-130).

خاتمة:

يعد تحديد المفاهيم وضبطها حجر الزاوية في البحث العلمي، فهو الذي ينقل البحث من الإطار النظري المجرد إلى الواقع التطبيقي الملموس، مما يضمن دقة النتائج ومصداقيتها. وبدون تحديد وضبط دقيق للمفاهيم، تصبح النتائج هشة، عشوائية وغير قابلة للتفسير المنهجي. فكلما زادت الدقة في ضبط المفهوم (إجرائياً)، زادت مصداقية النتائج النهائية. ومن أجل الوصول إلى نتائج بحثية موثوقة وذات مصداقية يتطلب البحث توافر معايير مضبوطة يستند إليها الباحث في صياغة بحثه بالاستناد إلى الدقة المفاهيمية والتي يجسدها كل من إزالة الغموض وتوحيد الفهم، بالإضافة إلى خطوة مفصلية لا يمكن تجاوزها وهي عملية الأجرأة التي سبق وأن أشرنا إليها. حيث يتم بموجبها تحويل المفاهيم المجردة إلى مؤشرات قابلة للقياس. وفي خضم رحلة المفهوم للوصول إلى نتائج دقيقة دائمة يجب أن نقر بأن تحديد المفاهيم يقلل من التحيز، مما يضمن أن النتائج تعكس الواقع ولا تتأثر بالتفسيرات الشخصية للباحث. ويشترط للوصول إلى هذه النتائج تصميم أدوات بحثية هادفة وشاملة (استبيان، مقابلة) مبنية على تعاريف واضحة ومضبوطة مما ينعكس إيجاباً على صدق وثبات هذه الأدوات. دون أن نغفل أهمية ربط الإطار النظري بالنتائج بتوطيد الصلة بين النظرية والواقع عن طريق المفاهيم النظرية والإجرائية. وحتى يتم تحقيق الموضوعية الشاملة في حقول البحث في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، يجب أن تكون الرؤية شاملة، والفهم أعمق للواقع الاجتماعي. وعليه، يجب على الباحث أن يعمل على أن يكون بحثه جدياً، وأصيلاً وسليماً وعلمياً، ويتمتع بالممارسة الفعلية بالبحث العلمي، وأن يعمل على الوصول إلى الحقيقة من خلال توضيح الترسنة المفاهيمية لبحثه وضبطها، وأن يضع بحثه في الإطار النظري الصحيح الذي سيثري ويوسع آفاق البحث بشكل واضح ويعطيه الصبغة العلمية وبالتالي يسمح له بالتقدم والتطور.

قائمة المراجع:

الكتب:

1. الأزهر العقبي (2017): أهمية تحديد المفاهيم في البحث العلمي، مقال ورد في مؤلف جماعي بعنوان: منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، مؤسسة رأس الجيل للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر.
2. عبد الغني عماد (2007): منهجية البحث في علم الاجتماع، دار الطليعة، بيروت، لبنان.
3. علي غربي (2006): أبجديات المنهجية في كتابة الرسائل الجامعية، مطبعة سيرتا، قسنطينة، الجزائر.
4. سعيد سبعون، حفصة جرادى (2012): الدليل المنهجي في إعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع، دار القصبة للنشر، الجزائر.
5. لويذة مصيبح (2017): المفاهيم في العلوم الاجتماعية، مقال ورد في مؤلف جماعي بعنوان: منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، مؤسسة رأس الجيل للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر.
6. محمد عبد الباسط حسن (1998): أصول البحث الاجتماعي، ط12، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر..
7. موريس أنجريس (2004): منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية-تدريبات عملية- ترجمة: بوزيدي صحراوي وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر.

المجلات:

8. عبد الحميد عليان، الوناس أسمع (2023): إشكالية بناء المفهوم في البحث العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية من النظري إلى الواقع المأمول، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، مجلد 11، العدد 02..
9. نعيمة رحمانى، نصيرة بكوش (2015): إشكالية توظيف الخلفية النظرية في البحوث العلمية، route educational and social science journal ; volume 2(4)

الدراسة الاستطلاعية: الأبعاد المنهجية والتطبيقات الميدانية

د. بالنور سلمي

جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي – الجزائر

selma-bennour@univ-eloued.dz

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الدراسة الاستطلاعية باعتبارها مرحلة منهجية أساسية في البحوث السوسيولوجية، من خلال إبراز أبعادها المنهجية ووظائفها التطبيقية في استكشاف الظواهر الاجتماعية وبناء التصور الأولي للدراسة. وتعتمد هذه المرحلة على مقاربات نوعية وكمية مرنة تسمح للباحث بفهم مبدئي للموضوع، وصياغة إشكالية دقيقة، واختبار أدوات جمع البيانات قبل اعتمادها في الدراسة الرئيسية. كما تناولت الدراسة أنواع الدراسات الاستطلاعية وأدواتها المختلفة، إضافة إلى عناصر تصميمها المنهجي وضوابط تنفيذها الميداني، مع إبراز الكفايات اللازمة للباحث. وتم تدعيم الجانب النظري بنموذج تطبيقي يوضح كيفية توظيف الدراسة الاستطلاعية في استكشاف استخدام الطلبة الجامعيين لتقنيات الذكاء الاصطناعي في التواصل الأكاديمي. وقد خلصت الدراسة إلى أن الدراسة الاستطلاعية تمثل آلية فعالة لضبط المسار المنهجي، وتقليل الأخطاء البحثية، وتحسين جودة النتائج النهائية. الكلمات المفتاحية: دراسة استطلاعية، منهجية، تصميم بحث، أدوات جمع البيانات.

Abstract : This study aims to examine the exploratory phase as a fundamental methodological stage in sociological research, by highlighting its methodological dimensions and practical functions in exploring social phenomena and developing an initial framework for the study. This stage relies on flexible qualitative and quantitative approaches that allow the researcher to gain a preliminary understanding of the subject, formulate a precise research question, and test data collection tools before adopting them in the main study. The study also addressed the different types of exploratory studies and their various tools, in addition to the elements of their methodological design and the guidelines for their field implementation, while highlighting the competencies required of the researcher. The theoretical aspect was supported by an applied model illustrating how to use exploratory research to investigate university students' use of artificial intelligence technologies in academic communication. The study concluded that exploratory research is an effective mechanism for guiding the methodological process, minimizing research errors, and improving the quality of final results. **Keywords:** exploratory research, methodology, research design, data collection tools.

مقدمة

تعد الدراسة الاستطلاعية من المراحل المنهجية الأساسية في البحوث السوسيولوجية؛ نظرا لما تؤديه من دور محوري في بناء التصور الأولي للظاهرة الاجتماعية وتوجيه مسار البحث العلمي نحو قدر أكبر من الدقة والتنظيم. ففي ظل تعدد الظواهر الاجتماعية وتشابك أبعادها الثقافية والتكنولوجية والتنظيمية، أصبح من الصعب الشروع في الدراسات الميدانية المباشرة دون المرور بمرحلة تمهيدية تسمح للباحث بفهم السياق العام للموضوع، والتعرف على خصائصه الأولية، والكشف عن أهم المتغيرات والعلاقات المرتبطة به.

وتكمن أهمية الدراسة الاستطلاعية في كونها حلقة وصل بين البناء النظري والإجراء التطبيقي، إذ تمكن الباحث من الانتقال من التصورات العامة والمفاهيم المجردة إلى مؤشرات ميدانية قابلة للملاحظة والقياس. كما تساعد على صياغة إشكالية البحث بصورة أكثر وضوحا، وتحديد الأسئلة البحثية والفرضيات الأولية، واختيار الأدوات والمنهجيات الأكثر ملاءمة لطبيعة الدراسة. إضافة

إلى ذلك، تسهم في اختبار صلاحية أدوات جمع البيانات من حيث الوضوح والصدق والثبات، والكشف المبكر عن الصعوبات الميدانية والتنظيمية والأخلاقية التي قد تواجه الباحث أثناء الدراسة الرئيسية.

وتعتمد الدراسة الاستطلاعية على إجراءات منهجية مرنة تجمع بين المقاربات الكمية والنوعية، بما يسمح بالحصول على بيانات أولية تساعد في بناء فهم مبدئي للظاهرة المدروسة. ولهذا فهي لا تهدف إلى الوصول إلى نتائج نهائية قابلة للتعميم بقدر ما تسعى إلى الكشف عن الواقع البحثي، وتوجيه التصميم المنهجي للدراسة اللاحقة، وتقليل احتمالات الوقوع في الأخطاء المنهجية أو التطبيقية.

وانطلاقاً من هذه الأهمية، تسعى هذه الدراسة إلى إبراز الأبعاد المنهجية للدراسة الاستطلاعية وتحليل وظائفها التطبيقية في البحوث السوسيولوجية، من خلال التطرق إلى مفاهيمها وأهدافها، وأنواعها وأدواتها، وعناصر تصميمها المنهجي، وضوابط تنفيذها الميداني، إضافة إلى عرض نموذج تطبيقي يوضح كيفية توظيف الدراسة الاستطلاعية في الكشف عن استخدام الطلبة الجامعيين لتقنيات الذكاء الاصطناعي في التواصل الأكاديمي، بما يسهم في بناء دراسة رئيسة أكثر دقة وفعالية.

1. ماهية الدراسة الاستطلاعية وأهدافها المنهجية

1.1 التعريف الدراسة الاستطلاعية:

الاستطلاع أداة متقاربة سهلة وسريعة للحصول على المعلومات والمعارف المبنية على رأي الأفراد فيما يخص موضوعاً المناهج أو غيرها وعلى الرغم من تميز الاستطلاع بالسهولة إلا أنه يحتاج إلى دقة في الصياغة والإجراء حتى يؤدي عرضه بنجاح. فإذا أخذ على أنه مجرد أسئلة يجاب عنها كيفما اتفق فإنه لا يفيد شيئاً. (قادوس، 1995، صفحة 197)

الدراسة الاستطلاعية في البحث السوسيولوجي تعد مرحلة أولية وتجريبية حاسمة تجري قبل الشروع في الدراسة الرئيسية، وتهدف إلى استكشاف ظاهرة اجتماعية معقدة أو غير مفهومة جيداً، أو لم يبحّث فيها بشكل كافٍ. وخلافاً للدراسات الكمية التي تسعى إلى التعميم الإحصائي، فإن الدراسة الاستطلاعية لا تهدف إلى إنتاج نتائج نهائية قابلة للتعميم، بل إلى توليد فهم أولي عميق يوجه ويحسن تصميم الدراسة اللاحقة الأكثر شمولاً. وتعتمد هذه الدراسات بشكل أساسي على منهجيات البحث النوعي (Qualitative Research)، التي تضع عملية صنع المعنى في قلب الاستكشاف العلمي. (Quinlan, 2017, pp. 1-2)

فالاستطلاع عبارة عن مجموعة من الأسئلة المنظمة التي تخدم الهدف المقصود به، وتوجه للإجابة عنها إلى أشخاص المقصودين وعندما تجمع نسبة معقولة من "العينة" المختارة تعالج المعلومات المتجمعة طبقاً لما تشير به الأسس الإحصائية (قادوس، 1995، صفحة 197).

من الناحية العملية، تتضمن الدراسة الاستطلاعية جمع بيانات وصفية أولية عبر مجموعة من الأدوات المرنة، مثل المقابلات شبه المنظمة أو غير المنظمة، والملاحظة المشاركة الجزئية، وتحليل الوثائق الأولية أو السجلات المتاحة. ويتمثل الهدف الرئيسي من هذه المرحلة في عدة محاور أساسية: أولاً، صياغة الأسئلة البحثية بدقة أكبر بناءً على الفهم الذي يتم اكتسابه من التفاعل

المباشر مع الظاهرة. ثانياً، تطوير أو تعديل الإطار النظري الذي سيستخدم لتفسير البيانات في الدراسة الرئيسية. وثالثاً، واختبار أدوات جمع البيانات (مثل استبيانات أو أدلة المقابلة) لضمان وضوحها وملاءمتها للسياق الثقافي والاجتماعي للمجتمع المستهدف، مما يساعد في تجنب المشكلات المنهجية مثل التحيز في الاستجابة أو سوء الفهم.

على سبيل المثال، قد يقوم باحث يرغب في دراسة عوامل نجاح النساء في المناصب القيادية الأكاديمية بإجراء دراسة استطلاعية تشمل مقابلات مع عدد صغير من العمداء والعميدات. من خلال هذه المقابلات، يمكنه تحديد المفاهيم الرئيسية التي يستخدمها المشاركون لوصف "النجاح"، واستكشاف التحديات غير المتوقعة التي قد لا تكون ظاهرة في الأدبيات السابقة، واختبار أسئلة المقابلة لضمان أنها تثير ردوداً غنية ومفيدة. هذا النهج الاستقرائي (Inductive Approach) يسمح للباحث بأن يترك المجال مفتوحاً أمام ظهور أفكار جديدة من البيانات نفسها، بدلاً من فرض فرضيات جامدة مسبقاً. (Miranda, Sahadevan, Innayatullah, & Karim Khan, 2023)

ومن خلال ما تم عرضه من تعريفات، يمكن القول أن الدراسة الاستطلاعية تمثل مرحلة منهجية تمهيدية تهدف إلى بناء فهم أولي للظاهرة موضوع الدراسة، من خلال جمع بيانات مبدئية باستخدام أدوات مرنة، بما يتيح للباحث صياغة إشكالية دقيقة، وتحديد مفاهيم البحث، واختبار صلاحية أدوات جمع البيانات، والكشف عن الصعوبات الميدانية المحتملة، بما يساهم في توجيه وضبط التصميم المنهجي للدراسة الرئيسية وتحسين جودة نتائجها. وبناء على ذلك، فإن توظيف الدراسة الاستطلاعية لا يقتصر على كونها إجراء أولياً، بل يتعدى ذلك ليشكل خطوة حاسمة في بناء الأسس المنهجية السليمة التي تقوم عليها مختلف مراحل الدراسة.

2.1 الأهداف الدراسات الاستطلاعية

يمكن تحديد أهداف الدراسات والبحوث الاستطلاعية أو الكشفية فيما يلي: (البيسوني، 2013، صفحة 112)

- صياغة مشكلة البحث صياغة دقيقة تمهيداً لبحثها بحثاً متعمقاً؛
- تحديد مفاهيم البحث التي يستند إليها في الدراسة؛
- زيادة ألفة الباحث بالظاهرة التي يرغب في بحثها في المستقبل دراسة دقيقة معمقة؛
- زيادة ألفة الباحث بالمكان الذي يخطط لإجراء الدراسة فيه؛
- ترتيب الموضوعات حسب أهميتها للدراسات المقبلة؛
- مساعدة الباحث في تحديد المجتمع الأصل واختيار عينة البحث؛
- اكتشاف مصادر البيانات المتاحة والوقوف على المعوقات الميدانية وكيفية تجاوزها.

2. أنواع الدراسات الاستطلاعية وأدواتها

1.2 أنواع الدراسات الاستطلاعية

تتخذ الدراسات الاستطلاعية أشكالا عدة وفقا لطبيعة الدراسة الرئيسية، وهدف البحث، أفراد الدراسة، الوضع الراهن للمعرفة في ميدان البحث، هدف الدراسة الاستطلاعية. وبصفتها تمهيدا لدراسة كمية، تتخذ الدراسة الاستطلاعية أحد الأشكال الآتية: (سارانتاكوس، 2017، الصفحات 267-268)

- **مراجعة الدراسات السابقة:** يتضمن هذا النوع من الاستطلاع تحليلا ثانويا للمعلومات المتاحة والمنشورة بشكل ما. وقد يكون دراسة في موضوع البحث وحده، بهدف جمع البيانات عن بنية الموضوع وعملية البحث والعلاقات، وبهذا تزداد معرفة الباحث بموضوع البحث وتعزز صدقية المشروع؛ فضلا عن ذلك، قد تساعدنا هذه المراجعة في ربط الدراسة السابقة بالدراسة الحالية. وقد تكون الدراسة السابقة ذات منحنى تحليلي تاريخي أو مقارنة الموضوع الدراسة، وهذا يضع الدراسة الحالية في سياق تاريخي. أخيرا، قد تشمل الدراسة السابقة على مراجعة لنظرية أو طرائق وأساليب بحثية ملائمة للدراسة الحالية، حيث يستطيع الباحث الاطلاع على طرائق الباحثين الآخرين في معالجة الموضوع وتقويم مدى ملائمتها وفعاليتها.

- **مقابلة خبراء في الميدان:** يتضمن هذا النوع من الاستطلاع مقابلات مع خبراء لديهم معرفة جوهرية وتمرس في ميدان البحث وقد تكون خبراتهم غير منشورة لكنها ملائمة لموضوع البحث، ولا يمكن الحصول عليها إلا بهذه الطريقة؛

- **دراسة الحالة:** عندما تكون المعلومات التي جمعها الباحث من خلال مراجعة الدراسات السابقة ومقابلة الخبراء غير كافية، يلجأ الباحث إلى جمع معلومات مباشرة من خلال دراسة بعض الحالات حيث يختار حالات معينة ملائمة الضوع بحثه ويدرسها من أجل جمع بيانات للدراسة الرئيسية. من الجدير بالملاحظة أن دراسات الحالة، باعتبارها مفهوما، يمكن أن تكون تصميم بحث كما يمكن أن تكون طريقة لجمع البيانات. أما اعتبارها تصميم للبحث فيلائم الدراسات النوعية، في حين تستخدم الطريقة لجمع البيانات في الدراسات الكمية الاستطلاعية. وستناقش هذين النوعين من دراسة الحالة لاحقا.

2.2 الأدوات البحثية المستخدمة:

تعد الأدوات المستخدمة في الدراسات الاستطلاعية عنصرا جوهريا في ضمان جودة البيانات وموثوقيتها، حيث تختلف هذه الأدوات باختلاف طبيعة البحث وأهدافه ومنهجيته. وتصنف الأدوات الرئيسية إلى نوعين رئيسيين: أدوات كمية (Quantitative) وأدوات نوعية (Qualitative)، مع إمكانية دمجها في تصميمات بحثية مختلطة (Mixed Methods) وتشمل الأدوات الأساسية ما يلي:

- **الاستبيانات:** من بين أكثر الأدوات شيوعا في الدراسات الاستطلاعية الاستبيانات (Questionnaires)، والتي تستخدم لجمع بيانات كمية من عينة كبيرة من المشاركين. وتتراوح هذه الاستبيانات بين تلك المغلقة (ذات الاختيارات المحددة) والمفتوحة (التي تسمح بردود حرة). ومع ذلك، فإن جودة البيانات التي تنتجها تعتمد بشكل حاسم على تصميم الأسئلة، حيث يجب أن تكون واضحة، غير متحيزة، وخالية من الغموض. ويؤكد الباحثون على أهمية التحقق من

صدق وثبات الاستبيانات قبل استخدامها على نطاق واسع، وهو ما يتم غالبا من خلال دراسات تجريبية وتحليلات نفسية قياسية (Cui Q & R., 2024, pp. 121-126).

- المقابلات: تعد من أكثر الأدوات شيوعا في الدراسات الاستطلاعية. وتتكون هذه الأدلة من قائمة مرنة من الأسئلة أو المحاور الرئيسية التي توجه سير المقابلة، مع السماح للمحاور بالانحراف عنها لاستكشاف أفكار جديدة يطرحها المشاركون؛

- الملاحظة: تستخدم كأداة تكميلية لتوثيق السياقات غير اللفظية أثناء جمع البيانات. فخلال المقابلات أو الزيارات المؤسسية، يدون الباحث ملاحظات حول لغة الجسد، ونبرة الصوت، والتفاعلات البيئية، وحتى الانطباعات الذاتية الأولية. هذه الملاحظات تساعد لاحقا في تفسير البيانات اللفظية وتجنب التحيز في التحليل. وعلى الرغم من أن الدراسة.

- تحليل الوثائق الأولية: يعتبر أداة استطلاعية فعالة لفهم السياق المؤسسي أو التاريخي للظاهرة قيد الدراسة. وقد يشمل ذلك سياسات الجامعة، خطابات التعيين، التقارير السنوية، أو حتى المراسلات الرسمية. (Innayatullah, Sahadevan, Miranda, و Karim Khan, 2023)

3 هندسة تصميم الدراسة الاستطلاعية واعتبارات التنفيذ

1.3 عناصر التصميم المنهجي للدراسة الاستطلاعية:

يستخدم هذا التصميم عندما لا يكون الباحث على دراية بالظاهرة أو المشكلة التي يريد دراستها، وعندما يريد استطلاع جوانب الظاهرة كي يصوغ مشكلة بحث محددة، أو صوغ فرضيات منطقية معقولة حول الظاهرة، أو استكشاف إمكانية إجراء الدراسة في إطارها الطبيعي، أو يريد التوصل إلى وضوح أكبر للمفاهيم التي يستخدمها في بحثه، وأخيرا، عندما يود إعداد قائمة بالمشكلات التي ستواجه الباحثين الميدانيين الذين سيدرسون الظاهرة من أجل العمل على تفاديها. (سرحان، 2017، صفحة 114)

يعد تصميم الدراسة الاستطلاعية مرحلة منهجية أساسية تهدف إلى تنظيم إجراءات جمع البيانات وتحليلها بما يضمن تحقيق أهداف البحث بصورة علمية. ويتطلب ذلك تحديد مجموعة من العناصر المتكاملة التي توجه مختلف مراحل التنفيذ.

- تحديد الهدف البحثي وصياغة أسئلة واضحة وقابلة للقياس، إذ يوجه ذلك طبيعة الأداة المستخدمة وأساليب جمع البيانات. ويرتبط بذلك تحديد مجتمع الدراسة ووصف خصائصه وحدوده، بما يسمح بفهم الإطار الذي سيتم ضمنه اختيار المشاركين؛

- تطوير أداة جمع البيانات (الاستبيان) وفق معايير علمية تضمن وضوح البنود وحياد صياغتها وخلوها من الغموض أو الازدواجية، مع إخضاعها لاختبار تجريبي أولي للكشف عن أوجه القصور وإجراء التعديلات اللازمة قبل التطبيق الفعلي؛

- اختيار المعاينة المناسبة بما يخدم أهداف الدراسة، سواء من خلال عينات احتمالية في الدراسات الكمية لضمان التمثيل الإحصائي، أو عينات لا احتمالية في الدراسات النوعية للحصول على بيانات معمقة؛

- يتم التحقق من جودة الأداة من خلال تقييم صدقها وثباتها؛ حيث يشير الصدق إلى مدى قدرة الأداة على قياس المفهوم المستهدف قياسا صحيحا، بينما يعكس الثبات درجة اتساق النتائج عند

تكرار القياس أو عبر بنود الأداة المختلفة، ويعد تحقق هذين المعيارين شرطاً أساسياً لضمان سلامة القياس ومصداقية النتائج البحثية

- تحديد إجراءات تنفيذ الدراسة، بما في ذلك طريقة توزيع الاستبيان، والمدة الزمنية للتطبيق، وآليات المتابعة، مع العمل على رفع معدل الاستجابة لتقليل التحيز وتحسين جودة البيانات؛

- وضع خطة واضحة لمعالجة البيانات وتحليلها بما يتوافق مع طبيعة الدراسة وأهدافها، لضمان تفسير النتائج بصورة منهجية؛

- الاعتبارات الأخلاقية، من خلال الحصول على الموافقة المستنيرة، وضمان سرية المعلومات، واحترام حق المشاركين في الانسحاب، بما يعزز مصداقية العمل البحثي.

2.3 اعتبارات إعداد الدراسة الاستطلاعية

تعد الدراسة الاستطلاعية مرحلة أساسية تساعد الباحث على بناء أداة دقيقة وقادرة على جمع بيانات مرتبطة بأهداف الدراسة ومشكلتها. ويتطلب إعدادها مراعاة مجموعة من الاعتبارات المنهجية والتنظيمية التي تسهم في تحسين جودة المعلومات المتحصل عليها. وتتجسد هذه الاعتبارات فيما يلي: (قادوس، 1995، صفحة 201):

- أن تحدد الأهداف المطلوبة بالاستطلاع سلفاً بناءً على قراءات مكثفة واطلاع واسع؛
- اختبار الأسئلة بعناية وحر بحيث يسهم كل سؤال في توضيح المعلومات الخاصة لكل هدف مطلوب أو وجه من وجوه المشكلة موضوع البحث؛
- الابتداء بالأسئلة المبسطة المنصبة على الحقائق ثم التدرج إلى الأسئلة المعقدة أو الصعبة ثم التام بسؤال عام مفتوح؛
- أن تكون الأسئلة أنيقة الطباعة غير متزاحمة ومنظمة في وضعها بالاستطلاع حتى تكون مغرية بالقراءة والإجابة. وإلا كان من السهل على المجيب إغفالها والإلقاء بها جانبا.
- تجنب الأسئلة المركبة التي تشتمل على شقين، لضمان دقة الاستجابة؛
- أن تنظم الأسئلة بحيث تقع كل مجموعة تخدم هدفاً معيناً؛
- أن تراعى في الأسئلة سهولة تعريفها وعدم الخلط في البيانات؛
- أن تكون الأسئلة ممكنة الإجابة من يسأل، فلها يسأل من لا يعرف القراءة مثلاً «هل تستمتع بقراءة الصحف».

3.3 ضوابط التنفيذ الميداني:

- يتطلب نجاح الدراسة الاستطلاعية توفير شروط ميدانية مناسبة تضمن دقة التطبيق وصدق البيانات المتحصل عليها، وذلك من خلال مراعاة الجوانب التنظيمية والأخلاقية المرتبطة بعملية جمع المعلومات. ومن أبرز هذه الضوابط ما يأتي: (قادوس، 1995، صفحة 202)
- القيام بإجراء رائد على مجموعة تماثل العينة التي يراد تطبيق الاستطلاع عليها وهذا الإجراء هام جداً إذ لم تظهر العيوب التي يمكن تناديها قبل إجراء الاستطلاع؛
 - تخير الوقت المناسب للإجراء فلا يجرى الاستطلاع بالنسبة للمدرسين مثلاً في أثناء الإجازات أو العطلة الصيفية أو في أثناء الامتحانات المدرسية أو نحو ذلك؛

- تهيئة الظروف والمواقف المناسبة للتطبيق استئذان المسؤولين سلفا عن أفراد العينة التي تجرى عليهم الاستطلاع؛
- تأكيد عامل السرية إذا تضمن الاستطلاع ما يخشى من إفشائه أو استشرع بعض الأفراد أن إجاباتهم قد تحمل لهم نوعا من التهديد أو ما شابه ذلك. ولا بأس في هذا بإفال توقيع الاستطلاعات.

4.3 الأساليب البحثية اللازمة للباحث

هناك بعض الأساليب التي ينبغي على الباحث الاستعانة بها والتي يحتمل أن تساعد على اختيار المتغيرات المهمة والفروض المفيدة، وهذه الأساليب تتحدد فيما يلي: (البيسوني، 2013، صفحة 113)

- الاطلاع على البحوث والدراسات السابقة التي لها صلة من قريب أو بعيد بهذا الموضوع، وذلك بالرجوع إلى الكتب والرسائل والدوريات التي تطرقت لموضوع الدراسة أو موضوعات قريبة من ميادينها توجي بأفكار لها قيمتها العلمية؛
- الرجوع إلى الأشخاص الذين لهم خبرة بموضوع البحث أو المهتمين به للتعرف على آرائهم واستيضاح أفكارهم، على أن يشمل ذلك مختلف الأشخاص الذين لهم خبرة بنفس الموضوع؛
- تحليل بعض الحالات المثيرة للاستبصار، وذلك ليعبروا عن أفكارهم المتصلة بالموضوع وليجيبوا عن استفسارات الباحث فيما يعن له ويكون متعلقا بمشكلة دراسته.
- ولكي يصل الباحث إلى مستوى البحوث الاستطلاعية فعليه أن يتزود بالمهارات والكفايات التالية: (قادوس، 1995، صفحة 202)
- أن يكون مستعدا لتحمل الصدمات المنبثقة عن الفشل وخيبة الأمل في الوصول إلى الخطوة الأصلية في موضوع بحثه؛
- أن يكون قادرا على ربط وتركيب الأفكار المتناثرة في موضوع البحث بحيث يشكل فيها وحده في المضمون وإن تباينت جزئيا إلا من ناحية الشكل الخارجي -أن يتجنب إعطاء المصادر الإنسانية في عملية التوثيق تقييما أكبر فيما يتصف به كل مصدر من وزن علي وثيق من وثائق البحث؛
- أن يتدرج في تحديد مصادر التوثيق سواء المسطور منها أو الحي من الاتساع إلى الضيق.
- يمكن للبحوث الاستطلاعية أن تصحح خطأ شائعا حول موضوع معين على أن يتركز التصحيح على أساس من التجارب التي تظهر نتائجها أضرارا تاما بتحقيقية جديدة تختلف عن نظرية استطاعت أن تحقق درجة من الذيق والانتشار.

4 نموذج تطبيقي (استخدام الطلبة الجامعيين الذكاء الاصطناعي في التواصل الأكاديمي)

1.4 بناء تصور للدراسة الاستطلاعية

أدى التطور المتسارع في تقنيات الذكاء الاصطناعي إلى حضورها المتزايد داخل البيئة الجامعية، حيث بات الطلبة يوظفونها في أنشطتهم الدراسية وأنماط تواصلهم الأكاديمي. ونظرا لحدثة هذه

الظاهرة وتعدد أبعادها، تبرز الحاجة إلى إجراء دراسة استطلاعية تمهيدية تساعد على استكشاف ملامحها الأساسية وفهم طبيعة استخدامها داخل السياق التعليمي.

وتهدف هذه الدراسة الاستطلاعية إلى بناء تصور أولي حول أنماط الاستخدام والتصورات المرتبطة بها، واختبار ملائمة أدوات جمع البيانات، بما يساهم في صياغة مشكلة البحث بدقة وتوجيه تصميم الدراسة الرئيسية على أسس منهجية أكثر وضوحاً.

جدول رقم (01): الإطار التصميمي والمنهجي للدراسة الاستطلاعية

الخطوة المنهجية	المحتوى والتفاصيل	الهدف العلمي
الأهداف البحثية	استكشاف أنماط الاستخدام، التعرف على التصورات، واختيار الأدوات.	وضع ركائز الدراسة الرئيسية وتحديد المسار
التساؤلات الأولية	الأسئلة حول (كيفية الاستخدام، الدوافع، الأثر على التواصل، والتحديات).	استنطاق الظاهرة وتوليد مفاهيم البحث
المجتمع والعينة	مجتمع محدد (طلبة علم اجتماع) وعينة قصدية صغيرة (15-20 طالبا).	توفير بيئة تجريبية للأدوات (لا تهدف للتعميم)
أدوات جمع البيانات	(تثليث الأدوات): استبيان تجريبي، مقابلات معمقة، واختبار أولي للوضوح.	اختبار أولي للوضوح. جمع بيانات أولية متنوعة (كمية وكيفية)
إجراء التنفيذ	توزيع ورقي/إلكتروني، مقابلات منظمة، مع ضمان السرية والموافقة.	تطبيق المنهجية في الميدان بشكل مصغر
فحص الجودة	تقييم الصدق والثبات (مراجعة الصياغة، حساب الثبات الأولي).	التأكد من أن الأدوات صالحة للدراسة النهائية
تحليل البيانات	تحليل وصفي (تكرارات) + تحليل محتوى للمقابلات.	تحويل الإجابات إلى مؤشرات واضحة.
المخرجات النهائية	تحسين المشكلة، تحديد المتغيرات، وتعديل أداة القياس.	الخروج بـ "خارطة طريق" للدراسة الرئيسية الموسعة

المصدر: من إعداد الباحثة

ملاحظة: تم تفصيل هذه الخطوات في محور "عناصر التصميم المنهجي للدراسة الاستطلاعية"

2.4 ملاحق الدراسة الاستطلاعية (نماذج الأدوات)

تمثل هذه الملاحق الادوات الإجرائية التي تم تصميمها لترجمة أهداف الدراسة الاستطلاعية إلى واقع ميداني، وهي خاضعة للتعديل بناء على نتائج الاختبار الأولي:

ملحق رقم (01): نموذج استبيان استطلاعي

هدف الاستبيان: يهدف إلى جمع بيانات أولية لأغراض بحث علمي. جميع الإجابات سرية وتستخدم لأغراض أكاديمية فقط. يرجى وضع علامة (✓) أمام الإجابة المناسبة أو كتابة رأيك في الأسئلة المفتوحة.

أولاً: البيانات العامة

1. الجنس: ذكر ☐ أنثى ☐
2. السنة الدراسية: أولى ☐ ثانية ☐ ثالثة ☐ ماستر ☐
3. التخصص:

ثانياً: استخدام الذكاء الاصطناعي

- هل تستخدم أدوات الذكاء الاصطناعي في دراستك؟ نعم ☐ لا ☐ أحياناً ☐
- إذا كانت الإجابة نعم، فما معدل الاستخدام؟ يومياً ☐ عدد مرات في الاسبوع ☐ نادراً ☐
- في أي مجالات تستخدمها؟ (يمكن اختيار أكثر من إجابة)
- إعداد الواجبات ☐ البحث عن المعلومات ☐ كتابة الرسائل الأكاديمية ☐ الترجمة ☐ أخرى:

ثالثاً: التصورات والاتجاهات

- إلى أي مدى ترى أن الذكاء الاصطناعي يساعدك في التواصل الأكاديمي؟ بدرجة كبيرة ☐ بدرجة متوسطة ☐ بدرجة ضعيفة ☐ لا يساعد ☐
- هل تعتقد أن استخدامه يقلل من التفاعل المباشر مع الأستاذ أو الزملاء؟ نعم ☐ لا ☐ غير متأكد ☐
- ما أبرز الفوائد التي تراها من استخدامه؟
- ما أبرز المخاوف أو السلبيات؟
- ما اقتراحاتك لتنظيم استخدام هذه الأدوات في البيئة الجامعية؟

شكراً لتعاونك

ملحق رقم (02): دليل المقابلة استطلاعية شبه المنظمة**هدف المقابلة:** استكشاف تصورات الطلبة وتجاربهم المتعلقة باستخدام أدوات الذكاء

الاصطناعي في التواصل الأكاديمي، واختبار ملاءمة أسئلة البحث وأدوات جمع البيانات تمهيدا للدراسة الرئيسية.

أولا: تقديم المقابلة

- التعريف بالباحث وموضوع الدراسة.
- التأكيد على سرية المعلومات وعدم استخدامها إلا لأغراض علمية.
- طلب الموافقة على إجراء المقابلة وتسجيلها (إن وجد).

ثانيا: البيانات التعريفية

- السنة الدراسية والتخصص.
- مدى خبرتك في استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي في الدراسة.

ثالثا: محاور المقابلة**المحور الأول: أنماط الاستخدام أدوات الذكاء الاصطناعي**

- كيف تعرفت على أدوات الذكاء الاصطناعي؟
- في أي سياقات دراسية تستخدمها؟

- ما أكثر التطبيقات أو الوظائف التي تعتمد عليها؟

المحور الثاني: الدوافع والتصورات لاستخدام أدوات الذكاء الاصطناعي

- ما الأسباب التي تدفعك لاستخدام هذه الأدوات؟
- كيف تقيم فائدتها في دعم تعلمك أو تواصلك الأكاديمي؟
- هل غيرت هذه الأدوات طريقة تفاعل مع الأساتذة أو الزملاء؟

المحور الثالث: الآثار والتحديات

- هل ترى أثارا إيجابية أو سلبية لاستخدام الذكاء الاصطناعي؟
- ما أبرز الصعوبات أو المخاوف المرتبطة باستخدامه؟
- هل تعتقد أن هناك ضوابط ينبغي وضعها لتنظيم استخدامه؟

رابعا: ختام المقابلة

- هل ترغب في إضافة أي أفكار أخرى لم تطرح؟

شكر المشارك على تعاونيه.

ملحق رقم (03): شبكة الملاحظة استطلاعية

هدف شبكة الملاحظة: توثيق المظاهر السلوكية والتفاعلية المرتبطة باستخدام الطلبة لأدوات الذكاء الاصطناعي في السياق الأكاديمي، بهدف دعم تفسير بيانات الاستبيان والمقابلات.

- البيانات التعريفية: - مكان الملاحظة: - تاريخ الملاحظة- مدة الملاحظة
- - طبيعة الموقف (قاعة دراسة / مكتبة / عمل جماعي / غيره):
- شبكة الملاحظة:

الجدول رقم (02): شبكة ملاحظة المؤشرات السلوكية المرتبطة باستخدامات الذكاء الاصطناعي
المصدر: إعداد الباحثة

ملاحظات عامة للباحث

1.
2.

المجال	مؤشرات الملاحظة	محقق	غير محقق	ملاحظات وصفية
استخدام الأدوات الرقمية	✓ يظهر الطالب استخدام تطبيقات ذكاء اصطناعي أثناء الدراسة			
طبيعة التفاعل	✓ مناقشة نتائج الاستخدام مع الزملاء ✓ طلب المساعدة من الآخرين بدل الاعتماد على الأداة			
أنماط التواصل	✓ انخفاض التفاعل المباشر أثناء استخدام الأداة ✓ مشاركة محتوى مولد بالذكاء الاصطناعي مع الآخرين			
السياق غير اللفظي	✓ علامات تركيز ✓ ارتباك أثناء الاستخدام ✓ استجابات انفعالية للنتائج			
البيئة المحيطة	✓ توفر اتصال إنترنت أو أجهزة داعمة ✓ تأثير البيئة على الاستخدام			
التواصل الأكاديمي	✓ توظيف الأداة في إنجاز مهمة دراسية ✓ الاعتماد على الأداة بدل التفاعل			

ملاحظة منهجية حول الملاحق: لا تعد هذه الأدوات (الملاحق) نهائية، بل هي نسخ تجريبية أعدت خصيصاً للمرحلة الاستطلاعية. تكمن أهمية إدراجها في هذا النموذج التطبيقي في توضيح كيفية انتقال الباحث من "التنظير" حول الذكاء الاصطناعي إلى "القياس الفعلي" لممارسات الطلبة وتواصلهم الأكاديمي.

خاتمة

خلصت الدراسة إلى أن الدراسة الاستطلاعية تمثل مرحلة منهجية محورية في البحوث السوسيولوجية، باعتبارها أداة علمية تساعد الباحث على بناء تصور أولي للظاهرة المدروسة، وفهم سياقها ومتغيراتها، وصياغة إشكالية بحثية أكثر دقة ووضوحاً. كما تساهم في اختبار أدوات جمع البيانات والتأكد من ملاءمتها للواقع الميداني، بما يسمح بالكشف المبكر عن الصعوبات المنهجية والتنظيمية المحتملة قبل الشروع في الدراسة الرئيسية. وقد أبرزت الدراسة أن توظيف المقاربات الكمية والنوعية داخل الدراسة الاستطلاعية يمنح الباحث مرونة منهجية تساعد على جمع بيانات أولية متنوعة، وتطوير تصميم البحث بصورة أكثر انسجاماً مع طبيعة الظاهرة الاجتماعية. كما بين النموذج التطبيقي المتعلق باستخدام الطلبة الجامعيين لتقنيات الذكاء الاصطناعي في التواصل الأكاديمي أهمية هذه المرحلة في تحديد المتغيرات الأساسية، وتعديل أدوات القياس، وبناء تصور أكثر واقعية لموضوع الدراسة. وعليه، فإن الدراسة الاستطلاعية لا تعد مجرد إجراء تمهيدي، بل تمثل آلية منهجية ضرورية لضبط مسار البحث العلمي وتحسين جودة نتائجه، من خلال تعزيز دقة القياس ورفع مستوى المصادقية العلمية للبيانات. ومن هذا المنطلق، تبرز أهمية منح هذه المرحلة عناية أكبر داخل البحوث الاجتماعية، بما يضمن بناء دراسات أكثر اتساقاً مع الواقع الميداني وأكثر قدرة على تفسير الظواهر الاجتماعية وتحليلها تحليلًا علميًا رصينًا.

قائمة المراجع

- 1) Cui Q, H. J., & R., K. (2024). Validity and Reliability of Survey Data: Key to Empowering Chemical Health and Safety Research. ACS Chemical Health & Safety, 32(02).
- 2) Miranda, J. C., Sahadevan, K. J., Innayatullah, Q., & Karim Khan, R. (2023). Documenting Methodological Procedures in a Qualitative Pilot Study: Exploring the Journey of Women Reaching Leadership Positions in Academia. The Malaysian Journal of Qualitative Research, 09(02).
- 3) Quinlan, M. M. (2017). Interpretive Research. In The International Encyclopedia of Communication Research Methods. Wiley.
- 4) البيسوني، م. (2013). أساسيات البحث العلمي في العلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية. القاهرة: دار الفكر العربي.
- 5) سارانتاكوس، س. (2017). البحث الاجتماعي، ترجمة شحدة فارح. قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- 6) سرحان، ب. (2017). طرائق البحث الاجتماعي الكمية. قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- 7) صلاح السيد قادوس. (1995). الأسس العلمية لمناهج البحث في العلوم التربوية والتربية البدنية. مصر: دار المعارف.

التحليل المفاهيمي لفرضيات البحث العلمي

د- عجابي أسماء- أستاذ محاضراً

جامعة محمد الشريف مساعدية سوق أهراس – الجزائر

a.adjabi@univ-soukahras.dz

الملخص

يستعرض هذا المقال دور الفرضية العلمية وأهميتها في مسار البحث ، ويركز على محورين أساسيين: يتناول الأول طبيعة الفرضية، وشروط صياغتها، وتصنيفاتها المختلفة. بينما يركز المحور الثاني على التحليل المفاهيمي باعتباره إجراء منهجي و محوري في صميم منهجية البحث العلمي ، حيث يوضح كيف يمكن للباحث تفكيك المفاهيم النظرية المجردة إلى أبعاد ومؤشرات إجرائية قابلة للملاحظة والقياس. خلص المقال إلى أن قوة البحث العلمي تعتمد على مدى قدرة الباحث على تحويل الفرضيات من تصورات ذهنية إلى أدوات إجرائية يمكن اختبارها والتحقق من صدقها ميدانياً. الكلمات المفتاحية: البحث العلمي، فرضية البحث، التحليل المفاهيمي، الأبعاد، المؤشرات.

Abstract

This article examines the role and importance of scientific hypotheses in research, focusing on two main pillars: the first addresses the nature of the hypothesis, the conditions for its formulation, and its various classifications. The second focuses on "conceptual analysis" as a pivotal methodological procedure at the heart of scientific research. It demonstrates how a researcher can deconstruct abstract theoretical concepts into operational dimensions and observable, measurable indicators. The article concludes that the robustness of scientific research depends on the researcher's ability to transform hypotheses from mental constructs into operational tools that can be tested and empirically verified in the field.

Keywords: Scientific Research, Research Hypothesis, Conceptual Analysis, Dimensions, Indicators.

مقدمة

تتعامل العلوم الاجتماعية في جوهرها مع ظواهر وبناءات افتراضية لا تدرك بالملاحظة المباشرة كالقلق، الاتزان الانفعالي الهوية الثقافية، والتماسك الاجتماعي. تفرض هذه الطبيعة التجريدية تحديات منهجية كبرى على الباحثين. فخلافا للعلوم الطبيعية التي تدرس مفاهيم مادية ذات خصائص فيزيائية ، يجد باحث العلوم الاجتماعية نفسه أمام بناءات ذهنية لا وجود مستقل لها خارج الأطر النظرية مما يجعل عملية القياس في هذه العلوم معقدة لا تقتصر على الأدوات الإحصائية، بل تمتد إلى طبيعة الظاهرة ذاتها. يفرز هذا الواقع مفارقة ابستمولوجية جوهرية: كيف يمكن قياس ما لا يرى؟ وكيف نضمن أن ما نرصده في الميدان هو ذلك البناء النظري المقصود وليس كيانا مشابهاً له؟ إن الإجابة عن هذه التساؤلات لا تكمن في صرامة المعالجة الإحصائية، بل في الخطوات المنهجية التي تسبق جمع البيانات، فالقياس لا ينتج معرفة رصينة ما لم يسبقه تحديد قاطع لماهية المقاس، وهو تحديد ينطلق من اللغة والمفهوم ليصل إلى الرقم.

وتعد الفرضية العلمية بذلك الجسر المنهجي الذي يربط بين التنظير المجرد والممارسة التجريبية. فالفرضية ليست مجرد تخمين، بل هي بناء منطقي يفترض وجود علاقات بين المتغيرات، ويستلزم شروطاً صارمة كالتقابلة للتنفيذ والتعريف الإجرائي، مما يحمي البحث من التأويلات الذاتية. إن الانتقال من التجريد المفاهيمي إلى العملياتية هو جوهر البحث الرصين، حيث يبرز التحليل المفاهيمي كأداة لا غنى عنها لتفكيك المفاهيم العامة إلى خصائص وصفية، ثم إلى أبعاد متدرجة، وصولاً إلى مؤشرات سلوكية أو اجتماعية قابلة للملاحظة والقياس. يهدف هذا المقال إلى معالجة إشكالية كيفية تحويل الفرضية من مقترح نظري مجرد إلى بناء إجرائي قابل للاختبار.

1. فرضية البحث العلمي :

1.1. ماهية الفرضية العلمية وطبيعتها :

يرى (ناجل Nagel) انه لا يمكن القيام بأي خطوة في أي دراسة علمية كانت دون البدء بتقديم تفسير مقترح للمشكلة التي تم طرحها ، وبحسب عديد التعاريف المقدمة في العلوم الاجتماعية توصف الفرضية على أنها تلك الإجابة المؤقتة والتخمينية على ما تم طرحه في سؤال البحث ، هذه الإجابة يشترط فيها القابلية للتحقيق أو الدحض عبر الاختبار التجريبي ، وإن كانت الفرضية هي تخمين أو توقع ولكنه لا بد أن يبني على المعارف وعلى المنطق الاستدلالي (إبراهيم أبراش ، 2008، ص 240) . ويعرفها "دالين" على أنها تفسير مؤقت يوضح العوامل والأحداث والظروف التي يحاول الباحث فهمها (على عبدالمؤمن، 2008، ص 142). أن الفرضية وإن كانت تفسير مؤقت إلا أنها تفترض أن للمتغيرات أدوار في حركة ظاهرة ما، أو يمكن لها أن تبني علاقات بين هذه المتغيرات إما سببية أو ارتباطية أو تباين (محمد عبد الحميد، 2000، ص 119) .

2.1. الوظائف المنهجية للفرضية:

يمكن اعتبار أن للفرضية وظيفة "تنظيمية" حيث أنها تساعد في توجيه الباحث وتنظيم المعارف المتعلقة بمشكلة البحث. وتتمثل الوظيفة الثانية للفرضية في توجيه الباحث لاتخاذ قرار جمع البيانات واختيار المنهج والأسلوب الإحصائي المناسب. وقد لخص دونالد وزملاؤه (Donald et al) أن من وظائف الفرضية : توجيه جمع المعلومات، ربط متغيرات البحث في صورة واضحة، تصديق أو دحض النظريات، توفير إطار لتقديم نتائج الدراسات (منذر الضامن، 2007، ص 72) . كما تساهم الفرضيات أيضاً في تحديد مجتمع البحث وخصائص العينة، وتحديد البدائل الإحصائية المناسبة (وصفي، استدلال). (محمد عبد الحميد، 2000، ص 112.113) .

3.1. مصادر صياغة الفرضيات العلمية:

تتولد فرضيات البحث العلمي نتيجة التفاعل بين الفكر والملاحظة والحقل النظري، و من المصادر المولدة للفرضيات العلمية نجد:

- الاستمرار البحثي : حيث ما رفض من فرضيات سابقة يكون الدافع لصياغة فرضيات بديلة بدقة أكبر وبقدرة أكثر على شرح المتغيرات التابعة (احمد بدر، 2008، ص 101) .
- الإطار النظري : والذي لا يمكن للباحث صياغة فرضيته دون الانطلاق منه والإلمام العميق بمختلف المقاربات النظرية المتعلقة بمشكلة بحثه (عيشور وآخرون ، 2017، ص 132.133)

- الدراسات والبحوث السابقة وما تحمله من أدلة والتي ينطلق منها الباحث مسبقا في توقع اتجاه العلاقات بين المتغيرات (إبراهيم ابراش ، 2008 ، ص 241). وتبنى الفرضية من انتقال الباحث بين الاستقراء الإطار النظري الذي ينطلق فيه من الحقائق الجزئية لإقامة علاقات بينها، أو ينطلق من عملية الاستنباط التي يبدأ فيها من الإطار النظري الكلي ليشكل توقعات جزئية قابلة للاختبار (محمد عبد الحميد، 2000، ص 110) .

4.1. أنواع فرضيات البحث :

أ. الفرضية البديلة وفرضية العدم :

- إن فرضية العدم تقر بغياب العلاقة أو الفارق أو الأثر يتم اختبارها إحصائيا مباشرة، في حين أن الفرضية البديلة لا يتم قبولها إلا بعد أن يتم رفض فرضية العدم، وعندما يصعب إثبات وجود علاقة إثباتا يقينيا (ناشميار و ناشمييار ، 2004 ، ص 459 – 460) تنقسم الفرضية البديلة إلى فرضية موجهة يتم فيها تحديد اتجاه العلاقة سلبا أو إيجابا ويتطلب توفر دليل نظري مسبق. أما الفرضية غير الموجهة فلا يتحدد اتجاهها ولكن يتم الإقرار بوجود علاقة أو فارق، و يلجأ إليها الباحث حين تتعارض الدراسات السابقة أو حين يتردد الباحث في التوقع المسبق (شيخي، 2017، ص 127) .

ب- الفرضيات بحسب عدد المتغيرات:

- الفرضية أحادية المتغير : و هي تناسب الدراسات الوصفية الاستكشافية وتركز على ظاهرة واحدة بهدف التنبؤ بتطورها ومآلها.
- الفرضية ثنائية المتغيرات : وهنا يتم رصد العلاقة بين متغيرين في شكل قد يكون ارتباطي أو سببي.
- الفرضية متعددة المتغيرات : وهي النوع الأكثر تعقيدا والأكثر إثراء للنتائج وهنا يتم التأكيد على وجود شبكة علاقات بين ظواهر متعددة، (موريس انجرس، 2006، ص 155، 156) .

في حين قدمت " ماري فابيان Marie Fabienne " تصنيف أشمل وأعم لأنواع الفرضيات يتجاوز التصنيف السابق ويتحدد في:

- الفرضيات البسيطة : يتم الإقرار فيها بوجود علاقة تجمع أو سببية بين متغيرين.
- الفرضية المعقدة : يتم فيها تحديد روابط سببية بين كل ثلاثة متغيرات أو أكثر.
- الفرضية الموجهة : وتتميز بتحديد توجه العلاقة بالإيجاب أو السلب.
- الفرضية غير الموجهة : وهي الفرضية التي يتم فيها الإقرار بوجود علاقة دون تحديد طبيعتها.
- الفرضيات الإحصائية : وهو النوع الذي تم صياغته خصيصا للاختبارات الإحصائية كالمقارنة مثلا بين المجموعات (عشور وآخرون، 2017، ص 139، 138) .

5.1 الشروط المنهجية لصياغة الفرضية العلمية : لا بد أن يتوفر في صياغة الفرضيات عدة ضوابط وشروط من بينها:

- القابلية للتحقيق أو التفنيد : وتعد هذه الخاصية هي من أهم الشروط التي لا يتناقش في ضرورة وجودها، حيث أن عدم القدرة على تصور ظروف إثبات الخطأ لا يمكن الإقرار بعلمية الفرضية (غراويتز ، 1993 ، ص 72)

- التحديد والإيجاز فلا بد أن تضع الفرضية في العموميات التي لا يمكن ترجمتها إلى إجراءات محددة.

- التناسق الداخلي الذي يقتضي عدم وجود تناقض الفرضيات الفرعية فيما بينها.

- الشمول والذي يتعلق بقدرة الفرضية على تغطية مشكلة البحث مع الحرص على عدم إغفال جميع الجوانب الأساسية (سلاطنية وبن تركي ، 2013 ، ص 225) .

- عدم التحيز والتحلي بالأخلاق العلمية التي تستدعي التجرد من الانحياز القيمي المسبق (غراويتز ، 1993 ، ص 74)

2- التحليل المفاهيمي للفرضية : العملياتية بين النظرية والقياس.

إن التحليل المفاهيمي يعد الحلقة المنهجية الضرورية التي تربط التجريد بالواقع، العملياتية أو الإجرائية التي تربط النظرية بالقياس متعلق بإشكالية القياس من غير المرئي في العلوم الاجتماعية والانسانية فالبناءات الافتراضية كالدافعية ، الذاكرة ، القلق ، تقدير الذات لا يمكن رؤيتها ولكن يمكن الاستدلال عليها عبر المؤشرات السلوكية ، اللفظية ، الفيزيولوجية (Bosboom et al, 2004, p 1061) .

يعرف التحليل المفاهيمي (الشرط المنهجي الأساسي الذي لا تقوم البحوث إلا به) بأنه ذلك المسار المنهجي الذي يهدف من خلاله الباحث إلى تجسيد ما يريد ملاحظته في الميدان (مويرس انجرس ، 2006 ، ص 11) ، حيث يستخرج بداية المفاهيم الرئيسية من الفرضية التي تم صياغتها ، ثم تفكك المفاهيم إلى عدة أبعاد ويستخرج من كل بعد مؤشرات قابلة للملاحظة أو القياس (Furner, 2004, p 234) والتي ستحدد بعد ذلك طبيعة لأداة التي ينمها الباحث.

1.2 المفهوم : هو ذلك التصور الذهني الذي اتفق الباحثون على تجميعه حول مجموعة متنوعة من الظواهر تحت مسمى واحد بسبب خصائص مشتركة (بكاي ، 2010 ، ص 10) و للمفهوم وظيفة تواصلية تسمح للباحثين بتبادل المعرفة بلغة مشتركة ، ووظيفة معرفية تمكن الباحثين من تصنيف وتنظيم الظواهر وإدراك العلاقات التي تربط بينها ، وتشترط هاتان الوظيفتان الاتفاق الدلالي الكافي الذي يضمن الحد الأدنى من التواصل العلمي. (Furner, 2004, p 234)

وتباين المفاهيم في مستويات تجريدها ، فكلما ترتفع درجة تجريد المفهوم كلما تتضاعف الحاجة إلى تجسيد الوصول إلى مستوى الواقع الملحوظ ولأن المفاهيم هي ما يشيد عليها النظريات فرصدها وتطويرها وبناء الصلات بينها تعتبر هي مهمة الباحث الأولى. ومن بين الصعوبات المفاهيمية التي يواجهها الباحثون في العلوم الاجتماعية كعلم النفس مثلا نجد : درجة التجريد العالية التي تصعب التحديد الدقيق للمعاني ، وتأثير السياق الزمني والثقافي على الدلالات ، والاشتراك اللفظي بين المصطلحات المتشابهة في الشكل والمتباينة في المضمون وهذا ما يجعل تحديد معنى المصطلح نشاطا بحثيا صعبا للباحث (بكاي ، 2010 ، ص 11)

2.2 . التمييز بين الخصائص والأبعاد :

من المراحل الأكثر تقنية و التي تلي عملية تحديد المفاهيم الرئيسية للفرضية وتعريفها تعريفا تصوريا دقيقا ، حيث يقوم الباحث بتفكيك المفاهيم إلى مكوناتها ، ويميز كل من Strauss و Corbin (2015) بين الخصائص والأبعاد ، فالخصائص تتمثل في تلك السمات النوعية التي تعرف وتصف المفهوم من حيث طبيعته لا من حيث درجاته ، في حين أن الأبعاد تمثل المواقع المتغيرة لهذه الخصائص على متصل قياسي متدرج و (Corbin Strauss, 2015, p2) ومثال ذلك ، شدة القلق كخاصية نوعية تصف ذلك الجانب من الخبرة النفسية ، لكن إذا أصبحت بعدا فهذا يعني تحديد موقع الفرد على درجات متصل يمتد من الغياب التام للقلق إلى القلق الشديد . وقد يرتبط هذا التفكيك حسب (Hinkin) ارتباطا بمعيار صدق البناء .

وفشل الباحث في التحديد الدقيق للأبعاد يؤدي إلى خلل التلوث حيث تتسرب فقرات تقيس بناءات متشابهة غير مستهدفة للبحث أو الدراسة أما الخلل الثاني فيتعلق " بخلل النقص" والذي يغفل فيه الباحث عن قياس جوانب مهمة في البناء ، الوقوع في هذين الخللين يضعف من صدق الاستنتاجات حتى لو ظهرت الإحصاءات الداخلية جيدة (Hin . Kin , 1998, p 102)

3.2 التعريف التصوري والإجرائي : خلال البحث يتعامل الباحث مع متغير على مستويين ، القيام بالتعريف التصوري الذي يحدد فيه الخصائص البنائية والوظيفية لوصف المفهوم بمفاهيم أخرى ، ثم القيام بالتعريف الإجرائي والذي يبين فيه الباحث كيفية قياس المتغير قياسا محددا أي إخضاع المفهوم للملاحظة والتجربة وما يلها من عمليات تسجيل وقياس (بكاي ، 2010 ، ص 10) . ولسلامة الوصول إلى تعريف تصوري يجب على الباحث إجراء ثلاث خطوات متتالية وهي :

- تحديد الخصائص البنائية والوظيفية للمصطلح و ربطه بالتعاريف واستخلاص المعنى المتفق عليه في أغلب التعاريف السابقة والتحقق من دقة المفهوم من حيث الإيجاز والتحديد والتناسب مع أهداف البحث. ويشترط في التعريف الإجرائي ترجمة كل بعد وكل خاصية إلى سلوكيات قابلة للقياس ، ولذلك فلا بد أن يجد الباحث طريقة لترجمة التعاريف النظرية إلى أحداث ملاحظة (مجي الدين مختار ، 2001 ، ص 64)

2.4 مسار تفكيك الفرضية الى المؤشرات:

إن مسار التحليل المفاهيمي يسير عبر خطوات متسلسلة بحيث يتولد من الفرضية المفاهيم الرئيسية ، ثم يفك المفهوم إلى أبعاد وذلك بالاستناد إلى التعريف التصوري ، ثم يتم تجزئتها إلى أبعاد فرعية وترجم الأبعاد إلى مؤشرات في بنود أداة القياس (موريس انجرس ، 2006 ، ص 11) يمكن شرح هذا المثال من خلال الفرضية التي مفادها أن " الرضا الوظيفي للمعلمين يؤثر على تحقيق الأهداف التربوية " تتكون هذه الفرضية من مفهومين أولها " الرضا الوظيفي " وثانيها " الأهداف التربوية " يتم تفكيك مفهوم الرضا الوظيفي إلى الأبعاد التالية : الرضا عن المزايا والمرتبآت ، الرضا عن تحقيق الذات ، الرضا عن طبيعة العمل وظروفه والرضا عن العلاقة مع المسؤولين ، ليتم كل بعد من هذه الأبعاد الأربعة مؤشرات ، فبعد الرضا عن المزايا والمرتبآت يترجم إلى المؤشرات : ارتفاع قيمة الأجر ، تناسب الأجر مع تكاليف الحياة ، تناسب الأجر مع الجهد المبذول ، وفرص الترقية . من خلال هذا المثال يمكن استخلاص إن مسار التفكيك المفاهيمي هو

الذي يتمكن من خلاله الباحث من تنفيذ الفكرة البحثية وجعلها قابلة للقياس . فالمؤشر هو الجانب الملاحظ الذي يظهر وجود أو غياب أو درجة البعد . يمكن تلخيص مسار تفكيك مفاهيم الفرضية في قيام الباحث بتحويل المكونات البنائية والوظيفية للأفعال والأحداث التي يريد دراستها ومن خلال التعريف التصوري والإجرائي تستخلص المؤشرات.

ثم يتم تحويل المؤشرات إلى عبارات أو أسئلة توظف في إحدى أدوات القياس (بكاي، 2010، ص 12) ويمكن حصر خصائص المؤشر الجيد في:

- الصلة المباشرة بالبعد المراد قياسه.
 - إمكانية ملاحظته وتسجيله مهما اختلف الملاحظون.
 - قدرته على التمييز بين مستويات الظاهرة المختلفة.
 - سهولة تطبيقه في الميدان.
 - أن لا يتم اختباره عشوائيا بل لا بد أن يكون مستمدا من الاستنتاج المنطقي.
- وفيما يخص عدد المؤشرات فلا بد أن لا يكون خادعا ولا مرهقا للمستجيبين عند استجوابهم، وفي هذا الصدد يشير Hinkin 1998 أن يكون العدد من ثلاث إلى خمس فقرات لكل بعد شريطة تغطيته لكل جوانب البعد.
- وإن تفكيك المتغيرات وبناء المؤشرات لا يتوقف على أثر التحليل المفاهيمي بل يمتد حسب Furner 2004 إلى نوع الاستدلال الذي يتولد من ما جمع من أدلة، الذي قسمه إلى ثلاثة أنواع:

- الاستدلال على السياق : ويقصد به استهداف الظروف التي أدت إلى ظهور المتغير، فالسياق هو العامل المشكل لمعنى المفهوم، فمثلا معنى العدوانية تختلف دلالاته في سياق العلاقات الأسرية عن سياق اللعب الرياضي وإن قام الباحث بتجاهل سياق المعنى فإن ذلك ينتج تعميمات تؤثر على عملية القياس.

- الاستدلال عن الوظيفة: ويقصد به فهم الغاية أو الغرض من السلوك الذي يتم استخدامه كمؤشر. فالسلوك له

وظيفتان الأولى تكون من وجهة نظر المبحوث (الهدف الشخصي من وراء السلوك) والوظيفة التقليدية المتعلقة (الهدف من السلوك من وجهة نظر المجتمع). فمثلا قد يعتبر الباحث أن العمل لساعات طويلة هو مؤشر على الدافعية للإنجاز. (الوظيفة التقليدية) في حين أن الوظيفة القصصية من العمل لساعات طويلة هو خوف الفرد من الفصل من العمل أو لحاجاته المالية. ولعدم ضمان توافق نية الفرد مع تفسير المجتمع فإنه على الباحث الجمع بين المناهج الكمية والنوعية كالمقابلات، ليتأكد من أن المؤشر سيقاس فعلا ما يراد قياسه.

- والاستدلال عن المعنى فهنا على الباحث التمييز بين المعنى القصدي الذي يعطيه الفرد للمؤشر وبين المعنى المتفق عليه لدى العلماء. يمكن القول بأنه لا بد أن يتحقق التوافق بين مستويات الاستدلال الثلاثة. عند بناء المؤشرات فلا يعزل الباحث المؤشر عن السياق الذي يحدث فيه ولا عن وظيفته القصصية والتقليدية أو عن المعنى القصدي الذي يعطيه الفرد أو الذي تم الاتفاق عليه لدى العلماء (Furner 2004 p240) .

5.2. خطوات تنفيذ تفكيك مفاهيم الفرضية إلى مؤشرات :

يمكننا تلخيص خطوات تنفيذ تفكيك مفاهيم الفرضية إلى مؤشرات لتكون صالحة لتوظيفها في أداة القياس إلى ست خطوات أساسية:

1. مراجعة الأدبيات المتعلقة بتعريف المفهوم المراد تفكيكه: عبر الزمن ومن خلال ما وجدته النظريات.
 2. الصياغة الأولية للتعريف التصوري: وتحديد خصائصه البنائية والوظيفية.
 3. استخراج كل الأبعاد المكونة للمتغير: مع التأكد من استقلال كل بعد عن الآخر ضمن تغطية الأبعاد الكافية للمفهوم.
 4. تفصيل كل بعد إلى مؤشرات: تضمن قابليته للملاحظة والقياس ميدانيا.
 5. التحكيم: عرض التعريف والأبعاد والمؤشرات على التحكيم العلمي ليتم تقييم صدق المحتوى قبل القياس من قبل خبراء مختصين.
- ومن الأخطاء المنهجية في عملية التفكيك تعرض هذه العملية للأخطاء المنهجية والتي رصدها التراث العلمي في أربعة أخطاء متعلقة بـ:
- الخلط بين المفهوم وبين مؤشرات: والذي يضيق البناء النظري للمفهوم لأنه يقدس ويلغي بعض الأبعاد الجوهرية للمفهوم.
 - تعريف المفهوم بإجراء قياسه: بدلا من تعريفه بمحتواه، كتعريف الذكاء بأنه "ما تقيسه اختبارات الذكاء".
 - أخذ الأبعاد من مقاييس سابقة: دون التأكد من ملاءمتها للسياق الجديد.
 - تعدد الأبعاد المتداخلة وعدم فصلها: مما يؤدي إلى تشابكها في بنية عاملية مشوهة.
- (Podsakoff et al, 2003 2000,)

خاتمة

نخلص في الأخير إلى أن الفرضية الصالحة للاختبار لا تولد جاهزة ضمن الإطار النظري، بل تصنع عبر تحليل مفاهيمي محكم. و الفرضية التي تعجز عن توليد مؤشرات قابلة للقياس غير صالحة من الناحية العلمية. فالتفكيك المفاهيمي هو حجر الزاوية الذي ينقل البحث من دائرة التأمل الفلسفي إلى مجال العلم الاستدلالي.

ان جوهر العمل البحثي في العلوم الاجتماعية يكمن في "الوضوح المفاهيمي" الذي يسبق هذه الخطوات كافة. فالمشكلة

الحقيقية التي تواجه الكثير من الباحثين ليست في كيفية جمع البيانات، بل في عدم قدرة الباحث على تحويل الفكرة النظرية إلى قياس عملي دقيق، فالفرضية التي لا تترجم إلى أفعال أو مؤشرات ملموسة، تظل فكرة نظرية يصعب اختبارها أو البناء عليها.

إن الغموض في تحديد المتغيرات يؤدي بالضرورة إلى نتائج لا تعبر عن الواقع، حتى لو كانت هذه النتائج مبنية على معالجات إحصائية دقيقة لذلك فان "التفكيك المفاهيمي" هو عملية عقلية ضرورية، حيث يقوم الباحث بتجزئة المفهوم الكلي إلى وحدات صغيرة قابلة للملاحظة والقياس

فالدقة المفاهيمية هي شرط الموضوعية في العلوم الاجتماعية، ونجاح المنهج العلمي في هذا الحقل يظل مرهونا بالقدرة على اخذ المفهوم من التجريد إلى المؤشرات الملموسة والإجراءات الصارمة.

قائمة المراجع

أولا: المراجع باللغة العربية

1. أبراش، إبراهيم. (2008). المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية. دار الشروق للنشر والتوزيع.
2. أحمد بدر. (2008). أصول البحث العلمي ومناهجه ، ط9 ، المكتبة الأكاديمية.
3. أنجريس، موريس. (2006). منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية (ترجمة بوزيد صحرأوي وآخرون، ط2. دار القصة للنشر.
4. بكاي، ميلود. (2010). أهمية التحليل المفهومي في البحوث والدراسات العلمية. مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، (1)، 15-6
5. بلقاسم سلاطنية وأسماء بن تركي. (2013). مناهج وأدوات البحث الاجتماعي. دار الفجر للنشر والتوزيع.
6. سلى شيعي. (2017). منهجية البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية. ديوان المطبوعات الجامعية.
7. علي عبد المؤمن. (2008). مناهج البحث في العلوم التربوية والنفسية (ط3). مكتبة زهراء الشرق.
8. عيشور، نادية وآخرون. (2017). مناهج البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة ورقلة.
9. غراويتز، مادلين. (1993). المنهجية في العلوم الاجتماعية (ترجمة ميخائيل متياس). ديوان المطبوعات الجامعية.
10. محمد عبد الحميد. (2000). البحث العلمي في الدراسات الإعلامية. عالم الكتب.
11. محي الدين مختار. (2001). المفاهيم والتعريفات الإجرائية في البحوث الاجتماعية. ديوان المطبوعات الجامعية.
12. منذر الضامن. (2007). أساسيات البحث العلمي. دار المسيرة للنشر والتوزيع.
13. ناشمياز، شافا وناشمياز، دافيد. (2004). طرق البحث في العلوم الاجتماعية، ترجمة ليلي الطويل، دار طلاس.

ثانيا: المراجع باللغة الإنجليزية

1. Borsboom, D., Mellenbergh, G. J., & van Heerden, J. (2004). The concept of validity. *Psychological Review*, 111(4), 1061–1071. <https://doi.org/10.1037/0033-295X.111.4.1061>
2. Corbin, J., & Strauss, A. (2015). *Basics of qualitative research: Techniques and procedures for developing grounded theory* (4th ed.). SAGE Publications.
3. Furner, J. (2004). Conceptual analysis: A method for understanding information as evidence, and evidence as information. *Archival Science*, 4(3-4), 233–265. <https://doi.org/10.1007/s10502-005-2594-8>

4. Hinkin, T. R. (1998). A brief tutorial on the development of measures for use in survey questionnaires. *Organizational Research Methods*, 1(1), 104–121. <https://doi.org/10.1177/109442819800100106>
5. Podsakoff, P. M., MacKenzie, S. B., & Podsakoff, N. P. (2016). Recommendations for creating better concept definitions in the organizational, behavioral, and social sciences. *Organizational Research Methods*, 19(2), 159–203. <https://doi.org/10.1177/1094428115624965>

الدراسات السابقة من التراكم المعرفي الى التوظيف المنهجي

د. شادية عيدودي

جامعة مساعدي الشريف سوق اهراس- الجزائر

c.aidoudi@univ-soukahrass.dz

ملخص:

تلعب أدبيات علم الاجتماع دوراً حيوياً في تشكيل وبناء التوجه الفكري للباحث، حيث تعمل كإطار مرجعي يوجه نظريته التحليلية نحو الظواهر الاجتماعية المختلفة. وذلك من خلال بناء العقلية التحليلية وتوجيه البوصلة الفكرية للباحث السوسيولوجي؛ حيث لا تقتصر وظيفتها على كونها مراجع نظرية فحسب، بل تمتد لتصبح الإطار الذي يشكل وعيه ومنهجيته في قراءة الظواهر الاجتماعية، بحيث تزود الباحث السوسيولوجي بالأدبيات المتعلقة بالموضوع مما يمكنه من تفكيك الواقع وفهم العلاقات الخفية. وتثري رصيده اللغوي من خلال ضبط المفاهيم و بناء مصطلحات علمية أكاديمية رصينة ودقيقة للظواهر المدروسة.

ان قدرة الباحث السوسيولوجي على الإبحار في الأدبيات تجعله يتجاوز التفسيرات السطحية والمسلمات اليومية، مما يدفعه نحو نقد البنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، و ترسم ملامح واضحة لأدوات البحث العلمي (الكمية والكيفية) وتضع معايير أخلاقية تضمن موضوعية الباحث وحياده النسبي، واضعا في مدركاته أن المشكلات الفردية هي انعكاس لقضايا مجتمعية أوسع، وتأسيسا على ذلك عليه الالتزام بالموضوعية العلمية، وتجاوز التحيزات الشخصية، مما يقلل من تأثير الأيديولوجيا أو الخلفيات الثقافية الخاصة به على نتائج البحث. وهو بذلك يجني ثمار تطور مهارات تفكيره السوسيولوجي. وهو يشق ويستمر في مسيرته العلمية بناء على التراكم والتكامل المعرفي و القدرة على قراءة اتجاهات التغير الاجتماعي والتنبؤ بالمسارات المستقبلية بناءً على معطيات الماضي والحاضر. وعليه فهذه الأدبيات تصنع في النهاية باحثاً متميزاً يمتلك رؤية فكرية مستقلة وقادرة على الإضافة العلمية.

الكلمات المفتاحية: مفهوم ادبيات علم الاجتماع، مفهوم التراكم المعرفي، مفهوم التوظيف المنهجي

Abstract :

Sociological literature plays a vital role in shaping and building the researcher's intellectual orientation, serving as a frame of reference that guides their analytical perspective on various social phenomena. This is achieved by developing an analytical mindset and guiding the sociological researcher's intellectual compass. Its function is not limited to being merely theoretical references; rather, it extends to becoming the framework that shapes their awareness and methodology in interpreting social phenomena. It provides the sociological researcher with relevant literature, enabling them to deconstruct reality and understand hidden relationships. It also enriches their linguistic repertoire by refining concepts and constructing sound and precise academic terminology for the phenomena under study. ... The sociological researcher's ability to navigate the literature allows them to transcend superficial interpretations and everyday assumptions, propelling them toward a critique of social, economic, and political structures. This approach clearly outlines the tools of quantitative and qualitative scientific research and establishes ethical standards that guarantee the researcher's objectivity and relative neutrality. The researcher understands that individual problems are a reflection of broader societal issues, and therefore must adhere to scientific objectivity and overcome personal biases, thus minimizing the influence of ideology or personal cultural backgrounds on

research findings. In doing so, they reap the benefits of developing their sociological thinking skills. They forge ahead and continue their scientific journey based on the accumulation and integration of knowledge and the ability to interpret trends in social change and predict future paths based on past and present data. Ultimately, this literature cultivates a distinguished researcher with an independent intellectual vision capable of making a scientific contribution

Keywords:

Concept of Sociological Literature; Concept of the knowledge accumulation ; Concept of systematic recruitment

مقدمة

إن الأدبيات السابقة هي مصادر الهام لا غنى عنها بالنسبة إلى الباحث أو الباحثة بالفعل، فإن كل بحث ما هو إلا امتداد للبحوث التي سبقته لذلك لابد من استعراض الأدبيات. أي معرفة الأعمال التي أنجزت من قبل حول الموضوع الذي يشغل بال الباحث السوسيولوجي، و الأدبيات الموجودة حول موضوع ما ، هي إذ طريق للاستكشاف وقراءة النصوص الملائمة تسمح للباحث بالإحاطة بموضوع بحثه الخاص وضبطه بصورة جيدة .

إن الباحث أو الباحثة الذي يملك عدة أدبيات في حوزته يمكنه الاعتماد على هذه الإنجازات ، في أعماله اللاحقة وكذلك إقراءاته المتجددة والمتراكمة للأدبيات تدفع إلى التفكير بطريقة مختلفة ، والبحث فيما لم ينقب فيه سابقا، وطرح تساؤلات بحثية مستحدثة. استحداث الظاهرة السوسيولوجية.

إن محاولة الباحث التعرف على المعنى الحقيقي للموضوع محل الاهتمام والأعمال التي تمت حول تهدف إلى تجنب الانطلاق الغامض في البحث. وعلى هذا الأساس تمثل مراجعة الأدبيات السابقة حجر الزاوية في بناء الإطار النظري للدراسة، حيث تتيح للباحث فهم التطور التاريخي والمعرفي لمشكلة البحث، من خلال استعراض الجهود العلمية السابقة ، وتقديم رؤية شمولية حول الموضوع ليس فقط بهدف حصر النتائج التي توصل إليها الباحثون، وإنما لتحليل المناهج المستخدمة والأدوات المطبقة، ويهدف هذا الاستعراض بشكل أساسي إلى تحديد الفجوة المعرفية التي ما تزال قائمة وتبرير الحاجة الملحة للدراسة الحالية ، كمحاولة للإجابة على التساؤلات التي لم تحسمها الدراسات السابقة.

1. تحديد المفاهيم:

1.1. مفهوم الأدبيات السابقة (لدراسات السابقة):

ونقصد بالأدبيات في علم الاجتماع أو استعراض الدراسات السابقة حسب موريس انجرس « فحص معمق ومنظم وشامل لما كتب حول موضوع ما» (انجرس، 2004-2006، صفحة ص125) . وهناك تعريف آخر يرى أن الأدبيات أو الدراسات السابقة هي استعراض الدراسات العلمية ذات الصلة بموضوع البحث التي تضمنتها رسائل الماجستير أو الدكتوراه السابقة، أو نشرتها الدوريات العلمية المحكمة، أو التي تضمنها أعمال المؤتمرات المتخصصة وبما أن البحوث والدراسات

العلمية متشابكة ويكمل بعضها البعض الآخر ويفيد في دراسات لحقة، لذا فإن الباحث بحاجة إليها ، ويتضمن استطلاع الدراسات السابقة مناقشة وتلخيص الأفكار الهامة الواردة فيها « (المحمودي، 2015، صفحة ص106).

او هي « كل البحوث والدراسات العلمية اليت تتشابه مع البحث الراهن أو تقترب في جانب من جوانب من جوانب البحث، أجريت من طرف ابحتني سابقني، ويطلق عليها في بعض الأحيان الدراسات المشابهة، واليت يقصد هبا الدراسات البت تطرقت للموضوع من بعيد أو من قريب، ويقال الدراسات السابقة كل حيث مت دراسته سابقا عن الدراسة الحالية » (درويش، 2021، الصفحات 332-333) ، فيمكن ان تظهر دراسات لها صلة مباشرة وبصفة كلية مع موضوع الباحث ، وقد تكون لها ركن او جزء او فرع من فروعها يخدم الموضوع ، المنجز من طرف الباحث، وهناك نوعان من الدراسات الممكن الاعتماد عليها في التأطير النظري للبحوث وهي:

- الدراسات الحرة: وهي الكتب والمخطوطات و المقالات.

- الدراسات الاكاديمية (الجامعية): وتتمثل في الرسائل الجامعية المعدة في اطار اعداد مذكرات الماجستير، اطروحات الدكتوراه، وكذا الدراسات المعمقة (معتوق، 2013، صفحة 50).

وتهدف مراجعة الدراسات بشكل أساسي الى التأكد من ان كافة المتغيرات المهمة لم تهمل، أي تلك المتغيرات التي وجدت الدراسات السابقة وبشكل متكرر انها ذات تأثير على مشكلة الدراسة. لكون ان بعض المتغيرات لم يتم تحديدها من خلال المقابلة اما لعدم ادراك المقابلين تأثير هذه المتغيرات ، او ان المتغيرات واضحة للمقابلين الا انهم لا يستطيعون وصفها بشكل محدد (عليان، احمد ابو السندس، محمد غنيم، و سليم ابو زيد، 2008، صفحة 66)

2. فوائد الدراسات السابقة (لماذا الدراسات السابقة):

من الخطوات الرئيسية التي يجب اتباعها في إعداد خطوات البحث الاطلاع على ما كتب من بحوث سابقة، والاطلاع على كل الدراسات السابقة التي لها علاقة بموضوع البحث، فمن غير المنطقي ان يقبل الباحث على دراسة موضوع بحث دون أن تكون له مبرراته العلمية و النظرية والمنهجية والمعرفية، فهذه الخطوة لا مناص منها في البحث العلمي والباحث يقبل عليها لضرورتها العلمية والبحثية ولفائدتها في مختلف مراحل البحث، اذ أن إطلاع الباحث على الدراسات السابقة له عدة فوائد بالنسبة للباحث وللموضوع الذي يريد أن يبحثه، ومن أهم هذه الفوائد:

- يتجنب الأخطاء التي تعرضت لها البحوث السابقة.

- توفير الوقت للباحث للتعرف على مهارات جديدة.

- يتجنب الباحث التكرار في دراسة مواضيع بحث من قبل

- يستطيع الباحث أن يقارن موضوع بحثه مع البحوث الأخرى في ميدان تخصصه.

- يلجأ الباحث إلى قراءة تلك الدراسات النظرية والميدانية قراءة تحليلية من أجل استخلاص العبر -بالإضافة إلى تحديد مدى مساهمة النتائج التي تم التوصل إليها في تلك الدراسات ذات الصلة بموضوع البحث المراد تنفيذه (حورة، 2024-2025، صفحة 21)

- عمليا، تؤدي المراجعات النظرية للدراسات السابقة إلى تحديد قوة أو أساس الإطار النظري للموضوع بالإضافة إلى إنها في النتيجة النهائية تساعد على تعديل هذا الإطار النظري بحسب

المستجدات البيئية التي قد تفرض أحيانا بعض التغيير في الأسس النظرية والفرضيات التي تقوم عليها هذه الدراسة العلمية أو تلك.

-تعتبر القراءة التحليلية لمختلف الدراسات السابقة حول موضوع الدراسة المساعد الرئيس للباحثين لتكوين أفكار واضحة عما يتحتم عليهم من واجبات في هذا المجال. و ذلك من خلال تحديد الأبعاد التي تتطلب تركيزا أكبر بالمقارنة مع تلك الأبعاد التي تحتاج تركيزاً أقل نظراً لضعف أهميتها. كما يتطلب البحث أو الدراسة هذا الأمر تحديداً للمنهجيات الأكثر ملاءمة لاتباعها في هذا البحث أو الدراسة. ولماذا؟ بالإضافة إلى أوجه النقص البارزة في هذا الحقل أو الموضوع يتطرق إليها الباحثون من قبل (عبيدات، ابونصار، و مبيضين، 1999، الصفحات 25-26).

ولكي يرر الباحث أهمية دراسته فإن عليه أن يوضح كيف يختلف أو يتميز بحثه أو دراسته المقترحة عن الدراسات السابقة مع توضيح الثغرات النظرية والمنهجية في تلك الدراسات والتي جعلته يقبل على الموضوع الذي هو بصدد دراسته الموضوع واعطائه المزيد من التبرير المنطقي أو المزيد من الأهمية من خلال ما يريد الوصول إليه في دراسته والذي لم يصل إليه باحثون آخرون. عمليا (حورة، 2024-2025، الصفحات 21-22).

تؤدي المراجعات النظرية للدراسات السابقة إلى تحديد قوة أو أساس الإطار النظري للموضوع بالإضافة إلى أنها في النتيجة النهائية تساعد على تعديل هذا الإطار النظري بحسب المستجدات البيئية التي تفرض أحيانا 1 بعض التغيير في الأسس النظرية والفرضيات التي تقوم عليها الدراسة العلمية

ان محاولة الباحث لإدراك المعني الحقيقي للموضوع محل الدراسة ، والاعمال والبحوث التي تمت حوله تهدف الى تجنب الانطلاق الغامض في البحث وتكوين نظرة شاملة على الموضوع من الناحيتين المنهجية والمعرفية، في هذا الاطار فان المصادر المتواجدة على مستوى مراكز البحث والمكتبات وغيرها تمثل مرجعا ثميناً لا يمكن الاستغناء عنه، الا انه وقبل الخوض في معترك البحث الحقيقي ، لابد على الباحث ان يطلع أولا على النصوص والمنشورات والمؤلفات المتوفرة حول الموضوع ، وقد تأخذ هذه العملية عدة شهور من اجل التعمق في كل الوثائق الهامة ، في حين اذا كان لديه وقت اقل فذلك يحتم عليه قراءة المسائل بسرعة والاستعلام حول طبيعة الموضوع المقرر ومختلف جوانبه ، ولكي تكون العملية فعالة ، ينبغي ان يتم استعراض الادبيات حسب طريقة و وثائقية خاصة ، تأخذ بعين الاعتبار التحديد المسبق بدقة الى كيفية تنظيم الوثائق في المكتبة او في مراكز التوثيق وذلك باعتبارهما المكانين الى اين سيذهب الهمما الباحث لاكتشاف الادبيات حول موضوع بحثه (انجرس، 2004-2006، صفحة 131).

3.أنواع مصادر الادبيات السابقة

للحصول على الادبيات السابقة يستخدم الباحث أدوات متعددة ، ومنها محركات البحث ، والأدلة والفهارس والكشافات ، والمكتبات الجامعية والوطنية ، وغيرها للوصول الى المادة العلمية المتعلقة بالموضوع المدروس فيتولى قراءتها قراءة متأنية فاحصة ، ويستخلص منها التجارب والمؤشرات التي يمكن ان تفيدة فيقوم بربطها ببحثه ، خاصة اذا تعلق الامر بالبحوث الميدانية لان الدراسة

الميدانية عادة ما تحتاج الى فصل نظري يتطرق الى ما ذكر في أدبيات الموضوع من معالجات (قنديلي، 2015، صفحة 80)، ويمكن للباحث الحصول على الدراسات السابقة من خلال:
 ا- من خلال زيارة مكتبات الجامعات الحكومية والأهلية والاطلاع على ادلة الرسائل العلمية الموجودة .

ب- ولا يخفى دور التكنولوجيات الإعلامية الحديثة التي سهلت الحصول على المعلومة عن طريق استقصاء محركات البحث عبر الانترنت على مواقع مكتبات ومواقع انترنت بحثية ، والتي تعرض نتائج الأوراق البحثية في المؤتمرات العلمية المحكمة في مجال تخصصه الحاسبات الالية والتي تنشر وتعرض ملخصات جزئية ، او عرضا كاملا للرسائل العلمية بمختلف درجاتها العلمية .

ج-الاطلاع على الدوريات المحكمة التي تنشر الأبحاث في مجال موضوع دراسته (المحمودي، 2015، الصفحات ص 109-110)

وللتفصيل اكثر فان عملية استعراض الادبيات السابقة بصفة علمية جيدة تملئ على الباحث ان يثري موضوع بحثه وذلك بتحضير قائمة للمفردات الأساسية باستعمال الكتب المرجعية او بالاطلاع على فهرس الدوريات والفهرس العام ومصادر أخرى، بهدف وضع قائمة للوثائق التي لا بد من قراءتها ووضع العناصر المستنتجة من القراءات التي يحتفظ بها، وتقديم العناصر المذكورة سابقا في اطار من منظم يسمح للباحث من حصر جيد للأدبيات المتصلة بموضوع دراسته. وعليه فهناك مصادر ومشارب يستقي منها الباحث المعلومات المتعلقة ب الدراسات السابقة حسب أولية المعلومات التي تشتملها، ومنها تكتسب أهميتها .

1.3.المصادر الأولية : وهي المصادر التي دونت وسجلت ببيانها بشكل مباشر ، واسطة الشخص او الجهة العلمية المعنية بجمع تلك المعلومات ونشرها وهي اقرب ما يكون الى الصحة والدقة الموضوعية ، أي انها المصادر التي تشتمل على النتائج العلمية التي لم يسبق إليها أحد أو لم تذكر في مرجع آخر، فقد تكون الكتب التي تشتمل على النظريات ومن تأليف مؤسسها أو البحوث التي توصلت إلى كشوف علمية غير مسبوقة، وأيضا منشورات الملتقيات والمؤتمرات العلمية التي تشتمل على آخر التوجهات العلمية واهتمامات الباحثين (قنديلي، 2015، الصفحات 159-160).

2.3.المصادر الثانوية : وهي المصادر التي تنقل معلوماتها عن المصادر الأولية بشكل مباشر او غير مباشر ، أي هي تلك التي يصف فيها المؤلف أعمالا أنجزت في بحوث سابقة، حتى وإن كان هو مؤلفها، ذلك أن الباحث الذي أنجز بحثا، ويعيد الكتابة عن بعض جزئياته دون الإحالة إلى البحث الذي نشره ذلك انتحالا علميا، لذا يجب أن يحيل إلى البحث الذي نشر فيهما يلخصه أو يشير . أول مرة يعد إليه، وهذا الاستشهاد يجعل الكتاب مصدرا ثانويا. (فقيه، 2024، صفحة 535)
 ومن الأمثلة الأخرى على المصادر الثانوية مقدمات البحوث والمقالات العلمية التي تشتمل على أجزاء الإشكالية والتساؤلات والفرضيات ومناقشة أدبيات الدراسة(أنها تؤسس للدراسة الجارية)وأي مصدر علمي ال يتناول المعلومة المكتوبة كمؤلف أول لها .

ان اعتماد المصادر الثانوية مفيد في البحث إذ أنها تختصر الوقت للباحث المبتدئ، وتلخص له أفكارا مهمة في الموضوع تساعده على فهم أبجديات مشكلة الدراسة ومسلماتها الأساسية، كما

يجد فيها قائمة بالمصادر الأولية التي يمكنه أن يعود إليها بكل يسر وبجهد أقل، على أن يتعامل مع المصادر الثانوية على أنها أقل أهمية، ولا يستشهد منها إلا بالقليل الذي ال يتوفر عنه المصدر الأولي، ويجب أن يسعى وراء المصادر الأصيلة غير الناقلة (فقيه، 2024، الصفحات 535-536).

بالرغم من الميزة الجيدة التي تتمتع بها الكتب المتخصصة مثال كمصادر ثانوية، حين تقدم للباحث مراجعة شاملة للموضوع الذي يهتم به، إلا أنها لا تستطيع بحال أن تقدم له آخر التوجهات البحثية وما يجد فيه من إشكالات وأفكار إبداعية، وتبقى محدودة بالوقت الذي طبعت خلاله؛ ولكنها أساسية ويجب أن يبدأ بها الباحث الذي يجد الموضوع جديدا بالنسبة إليه ليتمكن أولا من أساسيات الموضوع، وإن انتقل مباشرة إلى الكتابات المتقدمة كالمقالات والكتب المتعمقة أضر بفهمه للموضوع وأضاع وقته سدى

في الغالب تعد الدراسات العلمية المنشورة المحكمة أكثر المصادر مصداقية وإثراء حتى من الكتب الحديثة، حيث أن الأخيرة حتى وإن كانت حديثة وجديدة إلا أنها بعد فترة قليلة من النشر أو أثناء طبعتها قد يغدو جزء منها على الأقل مما تجاوزه المتخصصون في الموضوع، ذلك أن باحثين ن العلمي في الكتب، أكثر يتناولون ذات الموضوع، فليس هناك ما يضمن أنه ال جديد يناقض المد و وتظل الدراسات هي العصب الذي يمد البحث بالثراء وبالإحكام المنهجي ويمنحه الجودة ويجعله جديرا بالقراءة والاقتراس منه من قبل المختصين في الحقل، على أن الكتب العلمية المتخصصة، مهمة خاصة ما كان منها ذا أهداف بيداغوجية أو كان مقدمة عامة في موضوع الدراسة. مصادر للباحث المبتدئ الذي يحتاج إلى أن يستوعب أبجديات الموضوع (فقيه، 2024، صفحة 536).

4. أساسيات القراءة التوثيقية للأدبيات السابقة وطرق تنظيمها :

1.4. أساسيات القراءة التوثيقية :

ان قراءات الباحث المكثفة حول الموضوع وما يتصل به ، لا تعني حشو الفكر بما هو ضروري وغير ضروري من المطالعات ، وانما يجب الاختيار بدقة لاهم المراجع والمصادر وان تتم قرائتها بترتيب وتركيز، وعن طريقها يتم اختيار مقاطع تمثل مقاربة مختلفة للظاهرة المدروسة ، و اثناء رصد فكرة مفيدة يجدر بالباحث اعمال الفكر فيها والتوقف عندها قليلا للتحليل والنقد، عل ذلك يصحح توجهاته وينير الطريق لقراءات جديدة حول الموضوع، وهذه القراءات لا جدال في كونها تزود الباحث بالمعلومات والأفكار من الأبحاث والدراسات التي سبقت موضوع بحثه وتساعده على تحديد موقع ما يقوم به بالنسبة لما سبق، وتحضره من اجل القيام بمقاربة جديدة في تناول الموضوع . ولكي تقوم هاه القراءات بهذا الدور يجب ان تتم وفق المواصفات التالية:

- ان يختار الباحث المؤلفات التي هي على علاقة بالسؤال المبدئي.
- ان تتناسب القراءات وحجم البحث الذي ينوي القيام به.
- الابتداء من العام الى الخاص.
- التزود بأراء الآخرين من أساتذة واختصاصيين بالنسبة لاختيار الكتب وما يشيرون عليه من عناصر للشرح والتحليل (عماد، 2000، الصفحات 37-38).
- الاطلاع على القوائم المرجعية والببليوغرافية التي تصدر بها نشرات او تتوافر في المكتبات .

- تخصيص وقت ما للتفكير بما حصل عليه أو لتبادل الآراء حوله مع الغير.
- استعمال نظام البطاقات التي تختصر الاعمال بدقة ونظام ، بحيث يستخلص منها الأفكار الرئيسية والفرعية ، ويعمل على مقارنتها بغيرها.
- اعتماد المقابلات الاستكشافية اذا لم تسمح القراءات الجديدة بتحديد وإبراز عناصر سؤاله المبدئي، والمقابلة لا تفي بالغرض الا اذا كانت تزود الباحث بأفكار جديدة ، وتفرغ محتوى المقابلة قد يؤدي الى استخدام مباشر للمعلومات والى ابراز حقائق اعمق مما يظهر للتو من أفكارها.
- وقد يضطر الباحث في هذه المرحلة الى الاستعانة بتقنيات مكملية كالملاحظة وتحليل الوثائق.

في اطار هذه المرحلة تتكون لدى الباحث افاق جديدة قد تؤدي الى تعديل صياغته تساؤلاته على ضوء ما تجمع لديه من معلومات ، وهي في مجملها لن تذهب هدرًا، وانما سوف تساعد على تدقيق فرضياته ومؤشراته ، وطريقة جمع المعلومات وكيفية تحليلها واستخدامها في سياق البحث (عماد، 2000، الصفحات 38-39).

2.4. طرق تنظيم وترتيب الادبيات السابقة:

يمكن ان يعتمد الباحث على ثلاثة طرق اساسية في تنظيم وترتيب الادبيات المعتمد عليها، نفصلها فيما يلي:

3.4. التسلسل الزمني للأحداث (كروونولوجي): يمكن كتابة الادبيات وفقا لتاريخ تسلسل الاحداث حولها، ولا ينبغي اتباع هذا المنهج الا اذا امكن للباحث تحديد مسار واضح لموضوع البحث وتبعية الاحداث بترتيب زمني واضح.

4.4. حسب ترتيب النشر: ترتيب الادبيات حسب الترتيب الزمني لنشرها ، ويجب ان هذا الترتيب، اتجاها اكثر أهمية للبحث

4.4. حسب الموضوعات أو الفئات المفاهيمية: يتم تنظيم المراجعة حسب موضوع البحث والمفاهيم المرتبطة به ومع ذلك ، قد يظل الزمن مهما في مراجعة الموضوعات (المؤلفين، 2023، الصفحات 226-227).

5. الجوانب الاستخدامية والإجرائية المتعلقة بالدراسة:

يتعين على الباحث – الذي يرغب في بدء مشروع بحثي في مجال جديد بالنسبة له- ان يقوم بالاطلاع على الدراسات السابقة التي أجريت في نفس المجال، والتي تعد أساسا للموضوع البحثي المقترح، وبغير ذلك تكون محاولات الباحث ضربا من التخبط الذي يقوده حتما الى تكرار ما سبق ان توصل اليه اخرون ، مع احتمال تعرضه لنفس الأخطاء التي تعرضوا لها من قبل، دون ان تتاح له الفرصة لإضافة او ابتكار أي جديد في هذا المجال، ونظرا الى صعوبة واستحالة الاطلاع على كل ما كتب في مجال البحث والمجالات المرتبطة به.. فانه من الأفضل استعراض تلك المجالات بصورة عامة تفي بالغرض، بدلا من محاولة الامام بها بحثا (حسن، 1996، صفحة 44).

فبداية يتعين على الباحث القراءة عن موضوع الدراسة في الكتب، او فصول الكتب التي تتناولها، مع التركيز على الحديث منها. وتكون تلك القراءة بمثابة القاعدة الأساسية لفهم الموضوع، والتي ينطلق منها الباحث الى الدراسات الاكثر تعمقا.

وتكون الخطوة التالية هي البحث عن مقالات استعراض الدراسات السابقة (مقالات المراجعات) Review Papers المهمة بالموضوع، وقراءتها قراءة متأنية للإلمام بدقائق الموضوع، وتحديد بعض مراجعه الأساسية.

وبلي ذلك الحصول على مستخلصات البحوث المنشورة في مجال الدراسة والمجالات المرتبطة بإحدى وسيلتين كما يلي:

أ- عن طريق شبكات المعلومات الت يتقدم خدماتها عن طريق الحاسب الالى (الحاسوب) للجهات المتصلة بها ، ويتوقف نجاح هذه العملية على الاختيار السليم للكلمات المفتاحية التي يتم من خلالها تعرف الحاسوب على البحوث المطلوبة.

ب- واما الوسيلة الأخرى لمراجعة الدراسات السابقة فهي البحث الشخصي في دوريات مستخلصات البحوث Abstracting Journals الوثيقة الصلة بالموضوع ، وربما تعرف على جوانب جديدة كانت خافية عليه. بحيث يجب ان يبدأ البحث من اخر عدد مع العودة الى السنوات السابقة ، الى ان يطمئن الباحث الى تغطية الموضوع بشكل مرض ، او أن يصل الى سنة يكون ما سبقها من بحوث منشورة قد غطي بشكل جيد في احد الكتب الخاصة بالموضوع (حسن، 1996، الصفحات 45-46)

بعد ان باستعراض الدراسات السابقة التي لها صلة وثيقة بالموضوع، على الباحث ان يبدأ بإعطاء لمحة تاريخية موجزة عن موضوع بحثه في صورة تمهيد. ويمكن للباحث ان يستعرض تلك الدراسات جملة، أو يقوم بتقسيمها الى موضوعات بما يخدم المجال الذي يبحث فيه ، كما يمكن ان يعرض للدراسات العربية أو لا ثم الدراسات الأجنبية ، او يقوم بعرضها بصورة متداخلة مرتبة زمنيا من الاقدم الى الاحدث (الامام، 2008، صفحة 36).

كما ان استخدام الباحث للبيانات المتضمنة في بحوث سابقة يتفاوت بتفاوت الهدف الذي يسعى الى تحقيقه من هذا الاستخدام، فقد يستخدمها لتصميم خطة بحثه، وقد يستخدمها في مقارنة بيانات بحثه ونتائجه مع نتائج هذه الدراسات والبحوث ، مع توضيح أسباب الاختلاف ويمثل هذا النوع عنما يكون من الصعب على الباحث ان يجتمع بجماعة معينة، او مجتمع معين نتيجة وجود صراع معه ، او أي ظرف من الظروف التي تحول دون القيام بدراسة ميدانية من خلاله (سلاطينية و الجيلاني، منهجية العلوم الاجتماعية، 2004، صفحة 116)

اما الإجراءات العملية التي يقوم الباحث باستعراضها في محاور الدراسات السابقة فتتحدد بما يلي:

- كتابة عنوان الدراسة.
- كتابة اسم صاحب الدراسة

- كتابة نوع الدراسة (رسالة ماجستير ، رسالة دكتوراه، بحث علمي في مؤتمر علمي في دورية علمية محكمة).
 - تاريخ نشرها، وبلد النشر.
 - اهداف الدراسة.
 - الأدوات التي استخدمها الباحث في جمع البيانات ، وأسلوب التحليل الذي اعتمدت عليه الدراسة.
 - اهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة السابقة ن ووجه التشابه والاختلاف بين بحثه والدراسات السابقة أو بمعنى اخر ما الذي ستضيفه رسالته للدراسات السابقة وما سيميزها عنها . وفي هذه الفقرة يقوم الباحثون بعرض أوجه التشابه والاختلاف بين دراسته وكل دراسة على حدة، والبعض منهم يستعرضها عموما ويعرض أوجه التشابه والاختلاف بين دراسته وكل الدراسات السابقة ، كما لا مانع من ذكر الامرين (المحمودي، 2015، صفحة ص108)
 - 6. أهمية الادبيات السابقة (الدراسات السابقة):
- من اهم الإجراءات البحثية التي يستند اليها نجاح الباحث ودراسته هو توظيف الدراسات او الادبيات السابقة ، بما يخدم اهداف الدراسة وتوجيهها النظري والميداني، وهذا وان دلب فإنما يدل على الدور والاهمية العلمية والعملية للادبيات السابقة في البحوث العلمية، خاصة فيما يتعلق بضبط الموضوع وعناصره ومفاهيمه، ويمكن القول ان أهمية الادبيات السابقة تتضح في عدة جوانب:
- توسيع قاعدة معرفته ومعلوماته عن الموضوع الذي يكتب عنه. - الدراسات السابقة تلهم الباحث وتنوّه على كثير من الأفكار التي لم تكن ضمن أفكاره أساسا، فالاطلاع على ما سبق من اعمال في حقل اختصاص البحث يساهم في اتساع الفكر، ويمنح الباحث قدرة على مقارنة المسائل، ويمنحه أيضا قدرة على اعمال الفكر والنقد اثناء عملية التقصي عن الحقائق، قد يكون البحث جديدا لم يطرق موضوعه من قبل ، لكن من دون شك هناك مواضيع قريبة منه، او بعض من موضوعه قد جرى البحث فيه، والنظر في هذه الأبحاث يزود الباحث ولو بقدر ضئيل ، بما يكفي من المعرفة المرجعية التي يزرع بها علم الاجتماع، والتي تتوفر بكثرة في علم الاجتماع (عماد، 2000، الصفحات 37-38).
 - توضيح وشرح موضوع خلفية الدراسة، وبالتالي وضع الدراسة في الاطار الصحيح وفي الموقع المناسب بالنسبة للدراسات والبحوث الأخرى ، وبيان ما ستضيفه الى التراث الثقافي والنظري .
 - القراءة المكثفة حول الموضوع وما يتصل به لا تعني حشو الفكر ، وانما يجب الاختيار بدقة لاهم المراجع والمصادر، وان تتم قراءتها بترتيب وتركيز، وعن طريقها يتم اختيار مقاطع تمثل مقارنة مختلفة للظاهرة المدروسة (عماد، 2000، صفحة 38)، وهذا بدوره يساهم في تجنب الباحث الأخطاء والمشكلات التي وقع بها الباحثون السابقون واعترضت دراساتهم. توضح الدراسات السابقة للباحث جميع الأخطاء التي وقع فيها الباحثين من قبله وتساعد في تفاديها وتجنبه، .
- * حتى يكون البحث مبدعا ومثمرا يجدر بالباحث عدم تجاهل التراث النظري ، حتى لا يكون بحثه مجرد اجترار لما سبقه من بحوث ودراسات ففي الغالب لن ينطلق الباحث من العدم وكما يقال ليس هناك صفر في المعرفة العلمية »، وعليه فالباحث من خلال اطلاعه على التراث النظري

والادبيات السابقة يتجنب التكرار الغير مفيد وعدم إضاعة الجهود في دراسة موضوعات بحثت ودرست بشكل جيد في دراسات سابقة .

(عياد، 2006، صفحة 92)

- تساهم الادبيات السابقة في زيادة خبرة الباحث ليس ف مجال تخصصه فحسب وانما في جميع المجالات ، وتثري المعرفة الإنسانية ، واثراء الحصيلة العلمية للمجتمع ، بحيث يتحتم على الباحث ان يتأكد من أن المشكلة نفسها صالحة للبحث ، حيث ان هناك العديد من المشاكل الي لا حل لها بسبب عدم توفر المعلومات او الأساليب الملائمة (المغربي، 2009، الصفحات 41-42).

- تمكن الباحث من وضع تساؤلات مهمة ومحكمة ، ومعرفة أساليب تحليل البيانات في تلك الادبيات و كيف تم استخلاص النتائج من خلاله وطريقة تفسير تلك النتائج ، وذلك من بعد اطلاعه على النواحي المنهجية والمعرفية (المحمودي، 2015، صفحة ص 107)

- تساعد الدراسات السابقة الباحث في التميز واطهار ابداعه و أفكاره المميزة من خلال الاطلاع على دراسات و أبحاث جديدة وغير مدروسة ، الا انه من المرجح أن الدراسة بعد مضي عشر سنوات تكون قد استنفذت أهدافها و نتائجها ، ويمكن للباحث ان يقدم المسوغات التي دفعته لدارسة الموضوع نفسه ، فمن خلال موضوع الراسة واطارها التصوري وأهدافها ومنهجها ونتائجها يمكن للباحث وهو يدرج الادبيات السابقة ان يقوم بمناقشات موضحة الاختلاف الجوهرية بين ما تمت دراسته في الاطار النظري وما هو موجود في تلك الدراسات ، وذلك يبرز وضوح الأفكار وطريقة البحث ، فضلا عن الايمان العميق بدقة المعلومات التي بحوزة الباحث (سلاطينة و الجيلاني، منهجية العلوم الاجتماعية (المعرفة ومناهج البحث الاجتماعي)، 2017، صفحة 97) .

- وقد يجد الباحث الأجوبة لكثير من التساؤلات التي تراود ذهنه حول الظاهرة التي يريد البحث عنها (الاكاديمية، 2017).

- تدل الدراسات السابقة الباحث نحو الطريق الصحيح في بحثه ، بهدف تحقيق هدف البحث في تطوير العلم وتقديم منفعة للمجتمع ، وتوجهه نحو كثير من المراجع والمصادر التي من الممكن جدا أن تفي بغرض الباحث.

- الدراسات السابقة تؤكد أهمية البحث من خلال بلورة مشكلة البحث الذي يفكر فيه وتحديد أبعادها ومجالاتها ، واثراء المشكلة من خلال الرجوع الى الأطر النظرية والفروض والمسلمات والأدوات التي اعتمدتها هذه الدراسات (ابراهيم و عبد المنعم ابو زيد، 2010، صفحة 110) من خلال وجود قاعدة دراسات حقيقية حول المشكلة التي تناولها الباحث.

- إن كتابة الدراسات السابقة في البحث تبيّن القارئ فكرا قبل الدخول في موضوع البحث وتفاصيله والانخراط بمعلوماته.

ونظرا للتطور والتغير المستمر فانه ليس بالضرورة أن بعض البحوث السابقة لا يكتشف فيها عيب ، فالتقدم العلمي والتقنيات الحديثة ساعدت وتساعد على إعادة بعض الدراسات السابقة من أجل تصويبها وتطويرها . ونظرا لان العلوم تربطها علاقات مع بعضها البعض ، بمختلف تخصصاتها ومجالاتها ، لذلك يكون للاطلاع العام أهمية تفيد الباحث في استكمال جوانب بحثه

وتتبع لبحثه مكانا مرموقا بين البحوث . فإذا كان مجال التخصص هو تطور الفكر الاجتماعي ، مثلا ، فإن ذلك يعني الاهتمام بالجوانب الفلسفية ، والاجتماعية ، والدينية ، والاقتصادية والسياسية والعسكرية ، نتيجة انتمائها لوحدة الفكر ، وميدان التطبيق الاجتماعي (حسين، 1999، صفحة 35).

7. أبرز الأخطاء الشائعة عند توظيف الدراسات السابقة؟

يعد توظيف الدراسات السابقة في البحوث خطوة أساسية تتطلب وعيًا علميًا ودقة منهجية، غير أن العديد من الباحثين يقعون في أخطاء تؤثر سلبًا على جودة البحث ومصداقيته، وتتمثل أبرز هذه الأخطاء في مجموعة من الجوانب المرتبطة بالاختيار، والعرض، والتحليل، والتوثيق، وفيما يلي أهم هذه الأخطاء التي ينبغي تجنبها:

- الاكتفاء بالسرد دون التحليل: بحيث قد يكتفي بعض الباحثين بعرض الدراسات السابقة دون تقديم تحليل نقدي أو مقارنة بين نتائجها؛ مما يجعل توظيف الدراسات السابقة في البحث مجرد تجميع معلوماتي لا يعكس عمق الفهم العلمي (إيهاب، 2025).
- الخلط بين الإطار النظري والدراسات السابقة: من الأخطاء الشائعة دمج الإطار النظري مع الدراسات السابقة في قسم واحد دون تمييز بينهما؛ مما يفقد الدراسة وضوحها المنهجي ويضعف بنية توظيف الدراسات السابقة في البحوث.
- ضعف الربط بين الدراسات ومشكلة البحث: فقد يغفل بعض الباحثين توضيح العلاقة بين الدراسات السابقة وموضوع بحثهم، فيبدو العرض منفصلاً عن أهداف الدراسة، وهو ما يُضعف القيمة التحليلية لتوظيف الدراسات السابقة في البحوث.
- الاعتماد على مصادر قديمة أو غير موثوقة: يعد استخدام مراجع قديمة أو غير محكمة من أكثر الأخطاء تأثيرًا في مصداقية البحث، إذ يُظهر الباحث وكأنه غير مطلع على التطورات الحديثة في مجاله.
- التكرار والإطالة دون مبرر علمي: يقع بعض الباحثين في فخ الإكثار من عرض دراسات متشابهة دون غاية واضحة؛ مما يؤدي إلى الحشو ويُضعف جودة توظيف الدراسات السابقة في البحث.
- النقل الحرفي من الدراسات السابقة: النسخ المباشر دون إعادة صياغة أو تحليل يُفقد الباحث شخصيته العلمية، ويعرضه لمشكلات تتعلق بالاقتباس الأكاديمي؛ مما يُضعف مصداقية توظيف الدراسات السابقة في البحوث (إيهاب، 2025).

وحتى يتجنب الباحث الوقوع في فخ التوظيف العشوائي والسرد العقيم للدراسات والادبيات السابقة ، وجب عليه التسلح بجملة من المعايير والاعتبارات العلمية والأخلاقية من حيث اختيار الدراسات الأكثر ارتباطًا بموضوع بحثه وأهدافه، مع مراعاة حداثة المصادر وتنوعها لضمان قوة توظيف الدراسات السابقة في البحث.، و مناهج الدراسات ونتائجها ونقاط القوة والضعف فيها، بما يعكس الوعي المنهجي للباحث، كما يفضل ترتيب الدراسات حسب الموضوعات أو المنهج أو التسلسل الزمني؛ بحيث يكون العرض متسقًا وواضحًا يسهل على القارئ متابعة منطق توظيف الدراسات السابقة في البحوث .

و لا مناص أن يُبرز الباحث كيف تساهم كل دراسة في فهم مشكلته البحثية أو دعم فرضياته، فالقيمة الحقيقية لـ توظيف الدراسات السابقة في البحوث تكمن في هذا الربط التحليلي الواعي. ودقة التوثيق حسب النظام المستخدم (APA) أو (MLA أو غيره)، فسلامة التوثيق تعكس نزاهة توظيف الدراسات السابقة في البحوث ومصداقيته العلمية يُنصح الباحث بالتركيز على الدراسات ذات الصلة المباشرة فقط، وتجنّب التكرار الذي يضعف جودة توظيف الدراسات السابقة في البحوث ويشتت القارئ (ايهاب، 2025).

8. أخلاقيات الباحث تجاه الأدبيات السابقة:

يستلزم على الباحث اثناء استعانتة بالأدبيات السابقة ان يتحاشى الوقوع في الاحكام القيمية ، المتعلقة بتفحص الدراسات السابقة ، و ذلك بتجنب بعض الأخطاء والتي تعد شائعة لدى العديد من الباحثين المتمرسين المبتدئين في ميدان البحث ومنها:

- تجنب بعض العبارات الاستعراضية مثل: لم اعثر على كاتب او باحث سبق وان كتب في الموضوع ، او القول بانه لا يوجد سوى هذا في الموضوع.
- وقد يتجرأ الباحث وهو يستعرض جزءا فقط من مجلد كبير ذي صلة بموضوع بحثه، يتناول على صاحب الدراسة السابقة بقوله: لقد تعرض الباحث للموضوع ، ولكنه للأسف لم يوفه حقه، وانه لم يتعرض للموضوع بشكل مباشر

اذ على الباحث امام هذه المواقف السلبية تجاه الآخرين ان يتجنب صيغة النفي قدر الإمكان. كان يقول : ليس هناك ، او لا يوجد، او لم أجده ، وانما عليه قراءة اعمال الآخرين قراءة متبانية وكاملة ، ولا يكتفي بالاطلاع فقط على فصول محدودة، او تصفح قائمة محتوياتها فقط، اذ وجب عليه ان يتسلح بالصبر العلمي وتفادي التسرع المفضي الى تغليط الآخرين او الاستنقاص من أعمالهم، دون تقديم الأدلة الكافية، وعليه الاطلاع على العناوين الفرعية اطلاقا وافيا.

والاصح ان يقدم الباحث مساهمات السابقين له في الموضوع، ملخصة او كما هي ، وهذا يهدف إعطاء فرصة للقارئ للمقارنة بين مساهمات الآخرين وحدود المشكلة المدروسة من طرف الباحث، وذلك حتى يطلع القارئ بنفسه على أوجه النقص في تلك الدراسات وبالتالي يستطيع ان يقدر بنفسه درجة الحاجة الى البحث المقترح لمعالجة السلبية. وعلى العموم فان عملية استعراض الدراسات السابقة لا تتم بصورة مبولة الا بالتحليل ، وهذا يعني تصنيف وحصر وترتيب وتنظيم المعلومات المختلفة، حسب التقسيمات الرئيسية للموضوعات التي اعددها الباحث من قبل بأسلوب يقود القارئ لتلقائيا الى النقطة التي يبدأ منها الباحث دراسته، مع مراعاة ضرورة توافر فكرة محورية تنسق مع مشكلة الدراسة لتدور حولها المعلومات المختلفة المستمدة من الدراسات السابقة (سلاطنية و الجيلاني، منهجية العلوم الاجتماعية، 2004، الصفحات 120-121).

الخاتمة:

وتأسيسا على ما سبق يتضح بان الادبيات السابقة تعتبر كجسر انتقال حيوي يربط بين ما استعرضه الباحث من جهود الآخرين ، وبين ما ستفتتحه الدراسة الحالية من تلخيص المشهد المعرفي وتأكيد الشرعية العلمية لبحثه أي انها امر أساسي لعملية البحث لما تقدمه من مساعدة

و ان الباحث الناجح هو من يكون لديه مجالات متسعة من المعرفة، ويمكن ان يستمد تلك المعارف من القراءات المستمرة لأعمال غيره، ومن ثم تزيد قدرته على الابداع والابتكار داخل بحثه. وهي على الصعيد العلمي والعملي لا تشكل ضرورة لكل دراسة او بحث، فاذا توافرت دراسات في نفس الموضوع امكن للباحث عرضها والاستفادة منها والإفادة بها . اما اذا انعدمت الدراسات السابقة في موضوع البحث ، او ان وجودها يعد ضريبا من المستحيل يمكن للباحث ان يستغني عنها ولا يعد ذلك عيبا في الدراسة ان لم تكن معتمدة على دراسات سابقة.

1. ابراهيم م. ع. & عبد المنعم ابو زيد، ع. (2010). مهارات البحث التربوي). الثانية (Éd.) عمان ، الاردن : دار الفكر ناشرون وموزعون.
2. الاكاديمية م. ل. (2017). طريقة كتابة الدراسات السابقة في البحث العلمي، Consulté le 5 4, sur
https://www.mobt3ath.com/dets.php?page=811&title=%D8%B7%D8%B1%D9%8A%D9%82%D8%A9_%D9%83%D8-AA%D8%A7%D8%A8%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8-AF%D8-B1%D8%A7%D8-B3%D8%A7%D8-AA_%D8%A7%D9%84%D8-B3%D8%A7%D8-A8%D9%82%D8%A9_%D9%81%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D8-A8%D8-AD%D8-AB_%D8%A7%D
3. الامام و. ا. (2008). البحث العلمي /اعداد مشروع البحث ، وكتابة التقرير النهائي . المنصورة , جمهورية مصر العربية :المكتبة العصرية.
4. المحمودي م. س. (2015). مناهج البحث العلمي). الثالثة (Éد., صنعاء :دار الكتب.
5. المغربي ك. م. (2009). اساليب البحث العلمي في العلوم الانسانية والاجتماعية (Vol. الاصدار الثالث) . (ا. الاولى (Éد., عمان ، الاردن :دار الثقافة للنشر والتوزيع.
6. المؤلفين م. م. (2023). مناهج البحث في الاتصال والاعلام (éd.) الطبعة الاولى .(عمان ، المملكة الهاشمية الاردنية :دار المناهج للنشر والتوزيع.
7. ايهاب ح. (12, 3, 2025). افضل 5 طرق لتوظيف الدراسات السابقة في البحث العلمي . Consulté le 5 18, 2026, sur
https://itqanx.com/blog/post/1454/%D8-AA%D9%88%D8%B8%D9%8A%D9%81-%D8%A7%D9%84%D8-AF%D8-B1%D8%A7%D8-B3%D8%A7%D8-AA-%D8%A7%D9%84%D8-B3%D8%A7%D8-A8%D9%82%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8-A8%D8-AD%D8-AB
8. حسن ا. ع. (1996). اصول البحث العلمي (Vol. الجزء الاول :المنهج العلمي واساليب كتابه البحوث والرسائل العلمية). (ا. الاكاديمية (Éد., القاهرة ، الجمهورية المصرية.

9. حسين، ع. (1999). *فلسفة مناهج البحث العلمي*. الجمهورية المصرية: مكتبة مدبولي.
10. درويش، ت. (2021). الدراسات السابقة وكيفية توظيفها في البحوث الاجتماعية. *مجلة وحدة البحث في تنمية الموارد البشرية*. 332-333، (04) 16،
11. سلاطنية، ب & ،. الجيلاني، ح. (2004). *منهجية العلوم الاجتماعية*. عين مليلة، الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر.
12. سلاطنية، ب & ،. الجيلاني، ح. (2017). *منهجية العلوم الاجتماعية (المعرفة ومناهج البحث الاجتماعي)* (Vol. 1) (الكتاب الأول). (1. الأولى، Éd.) الجزائر العاصمة، الجزائر: الدار الجزائرية.
13. عبيدات، م، ،. ابونصار، م & ،. مبيضين، ع. (1999). *منهجية البحث العلمي* (éd.) (البيعة الثانية). كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، الأردن: داروائل للطباعة والنشر.
14. عليان، ر. م. ،. احمد ابو السندس، ج. ،. محمد غنيم، ع & ،. سليم ابو زيد، م. (2008). *البحث العلمي* (éd.) (الطبعة الأولى). عمان، الأردن: دار صفاء للنشر والتوزيع.
15. عماد، ع. ا. (2000). *منهجية البحث في علم الاجتماع (الاشكاليات، التقنيات، المقاربات)*. بيروت، لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر.
16. عياد، ا. (2006). *مدخل لمنهجية البحث الاجتماعي*. الجزائر، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
17. فقيه، خ. (30 5 2024). *مراجعات الدراسات السابقة في البحث النفسي*. *مجلة الجامع في الدراسات النفسية والعلوم التربوية*. (1) 9،
18. قنديلجي، ع. ا. (2015). *البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والإلكترونية*. (الخامسة، Éd.) عمان، الأردن: دار المسيرة.
19. معتوق، ج. (2013). *منهجية العلوم الاجتماعية والبحث الاجتماعي* (éd.) (الطبعة الأولى). القاهرة، مصر: دار الكتاب الحديث.
20. موريس انجرس. (2004-2006). *منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية - تدريبات عملية-*. (بوزيد صحراوي، كمال بوشرف، و سعيد سبعون، المترجمون) الجزائر، الجزائر: دار القصبة للنشر.
21. نبيل حورة. (2024-2025). *مطبوعة بيداغوجية للتاهيل الجامعي، مادة مناهج وتقنيات البحث في علوم الاعلام والاتصال*. سكيكدة، قسم علوم الاعلام والاتصال، الجزائر: قسم علوم الاعلام والاتصال.

الدراسات السابقة

أهميتها البحثية وأغراضها، مراحلها وكيفية توظيفها، وأوجه الاستفادة منها في البحوث السوسيولوجية

أ.د/ رايح بن عيسى

rabah-benaissa@univ-eloued.dz

د. فيصل بوراس

bouras-faissal@univ-eloued.dz

مخبر التنمية الاجتماعية وخدمة المجتمع

جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي- الجزائر

الملخص

لما كانت الدراسات السابقة نقطة انطلاق، قد يستقي الباحث منها موضوعه، وهمزة وصل بين ما تم تناوله وانجازه سابقا في ذات الموضوع، وما ينوي الباحث أن يخوض غماره، فإن هذه الدراسة قد هدفت الى وضع الطالب والباحث السوسيولوجي في السكة الصحيحة التي يستطيع من خلالها فهم الدراسات السابقة و الإحاطة بمختلف جوانبها، وطرق الاستفادة منها وتوظيفها في البحث السوسيولوجي. الكلمات المفتاحية: الدراسات السابقة- البحث السوسيولوجي،

Abstract

Given that literature reviews serve as a foundational point of departure—from which researchers derive their subjects—and act as a bridge between prior scholarly achievements and the prospective inquiries a researcher intends to undertake, this study aims to provide sociology students and researchers with a methodological roadmap. This framework facilitates a comprehensive understanding of previous studies, encompassing their various dimensions, and outlines the mechanisms for their effective integration and utilization within sociological research.

Key Terms :Previous Studies - Sociological Research

تمهيد

يعد الخوض في الدراسات السابقة نشاطا بحثيا استقصائيا بالنسبة للباحث، يحاول من خلاله الاطلاع على كل ما تم الوصول إليه، و الخوض فيه في مجال اهتمامه حول موضوعه. وتعتبر الدراسات السابقة بمثابة المصاييح التي تتيح للباحث فهما عميقا وواضحا حول الموضوع الذي هو بصدد دراسته إذ أن كل دراسة تجلي جانبا من الغموض الذي يكتنف الدراسة الحالية للباحث.

و يمكننا القول أن مراجعة الدراسات السابقة مهمة لأن بدونها لن نكتسب فهما لموضوعنا و ما تم إنجازه بالفعل بشأنه، و كيف تم بحثه وما هي القضايا الرئيسية في مشروعنا، لذا تعد مراجعة الدراسات آلية لتطوير الفهم حول الموضوع وتبسيط الضوء على الجوانب المتعلقة بالموضوع. ولا تقتصر مراجعة الدراسات السابقة على كونها ملخصا سرديا للأعمال السابقة، بل هي دراسة نقدية تحدد سياق البحث و أهميته و أصالته و جدته، حيث تتجاوز كونها عنصر شكلي من

عناصر البحث و كونها محتوى نظري يجب أن يكون حاضرا عند كتابة التقرير النهائي أو مرحلة من مراحل البحث وجب المرور بها، بل الأمر أبلغ من كل هذا، حيث يتعدى الأمر ذلك الى كونها خطوة عملية فعلية تتطلب بذل جهد فكري و معرفي يستخدم فيه الاستقصاء و التمحيص و النقد و التقييم

من الضروري أن نقرأ بعناية و دقة جميع المقالات البحثية و الدراسات الاكاديمية التي نستشهد بها في مراجعة الأدبيات المتعلقة بموضوعنا، قد يؤدي قراءة الملخصات الموجزة فقط في بداية المقالات البحثية إلى تضليلك بسبب افتقارها إلى التفاصيل وبالتالي قد يتسبب ذلك في تضليل قراء مراجعة الأدبيات الخاصة بنا، لذلك تقع على عاتقك مسؤولية أخلاقية تتمثل في قراءة كل مرجع مذكور بالكامل

1/ تعريف الدراسات السابقة:

الدراسات السابقة: أو مراجعة الادبيات هي حجة مكتوبة تروج لموقف أطروحة من خلال بناء حالة من أدلة موثوقة تستند إلى أبحاث سابقة وهي توفر السياق و الخلفية حول المعرفة الحالية بالموضوع ويطرح حجة (Machi& Mcevoy,2012) منطقية للدفاع عن موقف الاطروحة المتخذ هي وثيقة مكتوبة تقدم حجة منطقية تستند الى فهم شامل للحالة الحالية للمعرفة حول موضوع الدراسة و (. Machi& Mcevoy,2012)تؤسس هذه الحجة أطروحة مقنعة للإجابة عن سؤال الدراسة

تعد الدراسات السابقة بشكل عام كل المراجع التي تحترم القواعد المنهجية في البحث العلمي و قد يوجد هذا النوع من الدراسات في: (المجلات أو في البحوث أو في الكتب أو في المخطوطات أو في المذكرات، أو الرسائل أو الأطروحات الجامعية) شريطة أن يكون للدراسة موضوع و هدف و نتائج، و أما إذا وجد فرضيات البحث و المنهج و العينة و الأدوات تصبح الدراسة أكثر تفصيلا. (زرواتي، 2004، ص 79)

تعرف بأنها: مراجعة الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع أو بعض جوانبه حتى يتسنى للباحث ان يبدأ حيث انتهى غيره، و أن يوضح مدى الاختلاف و التشابه بين دراسته و بين من سبقه من دراسات.(العزاوي، 2008، ص 46)

لذلك فإن النشاط البحثي يدور حول التفكير المنهجي وقد يعني فرض تصنيفات جديدة على بنية المعرفة او على منظور مسلم به وفي كلتا الحالتين يسعى الباحث الى التفسير و الفهم، و الهدف هو جعل الآخرين يفكرون فيما اعتبروه حتى الان معرفة لا جدال فيها و ربما إعادة تقييمه لذا يعد التساؤل المنهجي و الاستقصاء و الموقف النقدي من سمات النشاط البحثي

2/ أهمية الدراسات السابقة:

لا شك في أن الاطلاع على الدراسات السابقة و مراجعتها من ركائز أي دراسة علمية، لما لها من أهمية بالغة في سير البحث قدما نحو الامام باتجاه الوصول الى أهدافه و تحقيق نتائجه. حيث أن الوظيفة الرئيسية لمراجعة الدراسات السابقة هي وضع البحث ضمن مجموعة المعارف (Ridley,2012)الحالية.

وذلك من خلال تحليل و تجميع العمل السابق بما يمكن الباحثين من توضيح الحالة الراهنة للمعرفة، (Hart,2018) وتحديد مجالات الاتفاق و الاختلاف، و تحديد الثغرات و التناقضات التي يسعى بحثهم لمعالجتها

و تعد عملية و ضع البحث ضمن الأدبيات الحالية ضرورية لتحديد سياق و أهمية الدراسة الحالية، بالإضافة (Machi& Mcevoy,2012) إلى إظهار أصالتها و مساهمتها المحتملة في المجال. تساعد الدراسات السابقة الباحثين من خلال الرجوع إلى النظريات ذات الصلة في وضع أسئلتهم من منظورهم و أن يقرروا مدى ما يضيفه مسعاهم هذا من معرفة لدراسات عدة، كون المعرفة تراكمية، و الباحث هنا يعود إلى الادب النظري كي يجد ارتباط بين دراسته و المعرفة التراكمية في مجال اهتماماته، فالدراسات التي لا ترتبط مع المعرفة الموجودة نادرا ما تضيف أية اسهامات في حقل الدراسة أو مجالها. (الضامن، 2006، ص 87)

تساعد الباحث على فهم كيف يجري الباحثون الآخرون دراستهم، و تمكنه من الحصول على أمثلة و نماذج من الدراسات التي تمت في الميدان (أبو علام، 2018، ص 107) يلعب استعراض الدراسات السابقة دورا حاسما في تبرير إجراء البحث من خلال إظهار الحاجة إلى الدراسة و مساهمتها المحتملة في المجال، و يتحقق ذلك من خلال تحديد الثغرات و التناقضات أو الأسئلة التي لم تتم الإجابة عليها في الدراسات الحالية، وتوفر اطارا لتحديد أهمية الدراسة بالإضافة الى أنها معيارا لمقارنة النتائج (Creswell,2009,41)مع النتائج الأخرى (Creswell,2009,41)تشارك القارئ نتائج الدراسات الأخرى ذات الصلة الوثيقة بالدراسة التي يتم إجراؤها.

(Rowley &Slack, 2004, P32) و تعد الدراسات السابقة أو المراجعات الأدبية مهمة في:)

1/ دعم تحديد موضوع البحث أو سؤاله أو فرضيته.

2/ تحديد الأدبيات التي سيساهم فيها البحث، و وضع البحث في سياق تلك الأدبيات.

3/ بناء فهم للمفاهيم و المصطلحات النظرية.

4/ تسهيل بناء قائمة المراجع أو قائمة المصادر التي تمت استخدامها.

5/ اقتراح أساليب بحث قد تكون مفيدة، و في تحليل النتائج و تفسيرها

وتكمن أهمية مراجعة الأدبيات كونها تمنع التكرار لما تم إنجازه والذي يجعل من الدراسة قليلة (Hart,2018, p28)الفائدة و تعد اهدارا للموارد بل قد يتم رفضها من المؤسسة المشرفة على هذا العمل

3/ الغرض من الدراسات السابقة:

تسهم مراجعة البحوث السابقة في تحقيق عدة أغراض، فالمعرفة التي نحصل عليها من البحوث السابقة تساعدنا في تحديد أهمية المشكلة» وفي بناء تصميم البحث» وفي ربط نتائج البحث بالدراسات السابقة» وفي اقتراح دراسات أخرى. و تحقق مراجعة البحوث السابقة بشكل عام الأغراض التالية: (أبو علام، 2006، ص ص 94،95)

3.1 تحديد المشكلة: قد تكون المشكلة التي يرغب الباحث في دراستها واسعة جدا يصعب تنفيذها أو غامضة جدا لا تخضع للدراسة المحددة. وبالمراجعة المكثفة للبحوث السابقة يستطيع الباحث

أن يزيل من غموض عباراته» ويجعلها أكثر تحديدا وقابلية للدراسة. كذلك تساعد مراجعة البحوث السابقة في توضيح مفاهيم البحث وتحويلها إلى تعريفات إجرائية. وتساعد مراجعة البحوث السابقة على معرفة كيف عولجت المصطلحات وعرفت تعريفا إجرائيا. كما أن البحوث السابقة تساعد الباحث على صياغة فروضه التي تعالج العلاقات بين المتغيرات. ويمكن لهذه الفروض أن تبلور الدراسة وتزودها بالاتجاهات التي تحدد سير الدراسة.

2.3 وضع الدراسة في منظور تاريخي: يحلل الباحثون الطريقة التي ترتبط بها دراستهم بالدراسات السابقة» مما يساعد على تحديد مكان بحثه من البحوث السابقة» وكيف أن بحثه الجديد سوف يضيف للمعرفة القائمة. فقد يذكر الباحث أن البحوث أ، ب، ج قد أضافت كمية معينة من المعرفة» وأن الباحثين د وه قد أضافا جانبا آخر وأن الدراسة التي يقوم بها تزيد من معرفتنا حول نفس الموضوع من زاوية محددة. وبذلك يمكن تحديد كيف يمكن للدراسة التي يقوم بها الباحث أن تضيف للمعرفة إضافة ذات معنى. فالمعرفة في أي مجال نتيجة لتراكم نتائج البحوث العديدة المتتابعة والتي أجراها الأجيال المتعاقبة من الباحثين

3.3 فهم الباحث لأسباب ما يوجد في المجال من تناقضات: تساعد نتائج البحوث السابقة الباحث على فهم أسباب ما تزر به نتائج البحوث عادة من تناقضات فيما بينها. وقد ترجع هذه التناقضات إلى اختلاف أسلوب الباحثين في معالجة مشكلاتهم أو إلى اختلاف الأدوات التي استخدموها أو مناهج البحث المتبعة أو أساليب التحليل التي عالجوا بها بياناتهم. ومحاولة حسم هذه التناقضات تشكل تحديا كبيرا للباحث ولكنها قد تزوده أيضا بفهم عميق لما يدور في مجال تخصصه.

4.3 تجنب التكرار غير المقصود وغير الضروري: تمكن مراجعة البحوث السابقة من تجنب التكرار غير المقصود. وقد يعتمد الباحث دراسة مشكلة سبق بحثها للتحقق من نتائجها أو لاستكمال جانب آخر منها فالبحث الذي درس متغيرات معينة ولم ينجح في الوصول إلى نتائج مهمة قد يحتاج إلى مراجعة المشكلة أو طريقة البحث. وكثيرا ما نجد بحوث التقويم تعالج نفس المشكلة أكثر من مرة إلا أن هذا التكرار ضروري لأن الدراسة تصمم لاتخاذ قرار في موقع معين

5.3 المساعدة على معرفة أي مناهج البحث أكثرها فائدة: يزداد الباحث فهما كلما توغل في مراجعة البحوث السابقة المتوفرة في المصادر المختلفة. وسرعان ما يكتشف الباحث مع تعمقه في المعرفة السابقة أن جودة البحوث تتباين تباينا كبيرا. وفي النهاية سوف يلاحظ أن البحوث ليست بالضرورة متساوية فيما بينها. ويؤدي هذا به إلى نقد بعض البحوث لأنها يمكن أن تكون أفضل مما هي عليه لو أنها اتبعت طرقا أخرى. مثال ذلك أن الدراسات الأولى في أي مجال كانت تتصف بأنها أولية وغير فاعلة. ويرجع هذا إلى أن مناهج البحث في تحسن مستمر مع تتابع الدراسات المختلفة. ومع ذلك فما زال هناك بحوث تفشل لأنها تستخدم إجراءات وأدوات وأساليب إحصائية غير مناسبة. وبالفحص الدقيق للبحوث الجيدة وباستبعاد البحوث السيئة يكتشف الباحث الطريق الصحيح الذي يسلكه في بحثه

6.3 اختيار المقاييس والطرق المناسبة: تساعد مراجعة البحوث السابقة على تقويم طرق البحث المستخدمة والمقاييس التي استخدمتها تلك البحوث. وقد يكون نجاح أو فشل بحث سابق راجعا

إلى تصميم البحث أو المقاييس أو الأدوات التي استخدمت في جمع البيانات وهذا يساعدنا على فهم أعمق لطرق بحث أفضل وأكثر فاعلية مما يؤدي إلى تصميم أفضل وأكثر تطوراً وإلى اختيار أدوات صادقة ثابتة وإلى وسائل أكثر مناسبة لتحليل البيانات. وبمعنى آخر فإن مراجعة البحوث السابقة قد تساعدنا على اختيار منهج مختلف لدراسة المشكلة

7.3 ربط النتائج بالمعرفة القائمة و اقتراح بحوث جديدة: عند تحليل النتائج ومناقشتها فإن الباحث يقارن بين نتائجه ونتائج البحوث السابقة التي عالجت نفس المشكلة وبذلك يتبين أوجه الشبه والاختلاف بين نتائج البحث وما سبقه من نتائج ويستطيع أن يحدد كيف تضيف نتائجه للمعرفة. فإذا وصلت الدراسة إلى نتائج غير دالة فقد يجد الباحث تفسيراً لذلك في الدراسات السابقة. ويقترح الباحثون عادة موضوعات أخرى تصلح للبحث بناء على ما توصلوا إليه من نتائج. وبذلك تمكن مراجعة البحوث السابقة الباحث من معرفة مجاله معرفة جيدة فيصبح أكثر قدرة على تفسير نتائجه في ضوء النظريات السابقة ووضعها في مكانها الصحيح من المعرفة الحالية

4/ خطوات مراجعة البحوث السابقة:

رغم أن مراجعة البحوث السابقة لا تتبع طريقاً محدداً إلا أن الباحث الذي يقوم بمراجع البحوث السابقة لا (Creswell, 2000) 9 (P: 44)؛ بد له أن يسير في خمس خطوات مرتبطة و يذكرها كريستول 1.4 تحديد المصطلحات أو المفاهيم الأساسية التي يستخدمها عند مراجعة البحوث السابقة. قد تظهر هذه المفاهيم عند تحديد موضوع ما أو قد تنتج من قراءات أولية.

2.4 تحديد الدراسات السابقة التي تمت في موضوع معين و ذلك بالرجوع الى مختلف المواد و المصادر و قواعد البيانات في المكتبة والانترنت في المواقع المختلفة.

3.4 حاول تحديد موقع مجموعة جيدة من التقارير البحثية في المقالات أو الكتب المتعلقة بالبحث في موضوعك، حدد أولوية البحث فيها لأنها سهلة التحديد و الحصول عليها، وحدد ما إذا كانت موجودة في مكتبتك أو عن طريق الإعارة من المكتبة أو شرائها.

4.4 تصفح هذه المجموعة الأولية من المقالات أو الفصول، و كرر تلك التي تعد أساسية في موضوعك، خلال هذه العملية حاول ببساطة الحصول على فكرة عما إذا كانت المقالة أو الفصل سيسهم اسهاماً مفيداً في فهمك للأدبيات

5.4 عندما تحدد الأدبيات المفيدة ابدأ في تصميم خريطة للأدبيات وبناء رسم بصري لها، و الفكرة الأساسية هي أن الباحث يبدأ في بناء صورة مرئية للأبحاث الموجودة حول الموضوع، توضح كيف ستساهم دراستك المحددة في الأدبيات و تضع دراستك ضمن مجموعة الأبحاث الأكبر

6.4 تقويم البيانات التي يختارها تقويمياً ناقداً. و اختيار منها ما يناسب بحثه.

7.4 تنظيم وتجميع مراجعة الادبيات مع هيكلتها موضوعياً، او تنظيمها حسب المفاهيم المهمة، و اختتم مراجعة الأدبيات بملخص للمواضيع الرئيسية المواد التي تم جمعها و ذلك باختصارها أو تدوين مذكرات عنها

5/ معايير قراءة الدراسات السابقة:

من الضروري أن تقرأ بعناية و دقة جميع المقالات البحثية التي تستشهد بها في مراجعة الأدبيات الخاصة بك، قد يؤدي قراءة الملخصات الموجزة فقط في بداية المقالات البحثية إلى تضليلك بسبب

افتقارها إلى التفاصيل وبالتالي قد يتسبب ذلك في تضليل قراء مراجعة الأدبيات الخاصة بك، لذلك تقع على عاتقك (Galvan & Galvan, 2017, p 6) مسؤولية أخلاقية تتمثل في قراءة كل مرجع مذكور بالكامل

يجب اتباع الأسلوب المنهجي في تناول وقراءة الدراسات السابقة حيث أنه يعني ببساطة العمل بطريقة منظمة أو ممنهجة بدلا من العمل بطريقة عشوائية أو غير منظمة وهي كذلك مراجعة ذات غرض واضح ومحدد، وسؤال ومنهج بحث محدد، مع تحديد معايير الإدراج والاستبعاد وإنتاج تقييم نوعي للمقالات (Jesson, 2011, P 12)

وحدد جيسون ست مراحل أساسية للمنهجية التي يجب العمل من خلالها عند المراجعة المنهجية

- تحديد سؤال البحث

- تصميم الخطة

- البحث عن الأدبيات

- تطبيق معايير الاستبعاد والإدراج

- تطبيق تقييم الجودة

- التوليف

عند الخوض في الاطلاع على الدراسات السابقة أو مراجعة الأدبيات يجب على الباحث أن يستحضر المنهج النقدي لكي لا يقع في السرديات لهذه الدراسة

يرى جيسون على أن أحد المفاهيم الأساسية في مراجعة الأدبيات يجب أن تتخذ منهجا نقديا، حيث تتطلب (Jesson, 2011, p16) منك هذه المهمة الأكاديمية التفكير والتفكير بنفسك، ولكن القيام بكليهما بشكل نقدي

حيث بين جيسون عن سوين (2009، ص 12) أن التفكير النقدي الذي هو التفكير السليم الذي يتطلب تكوين حجة أو تحليل نقدي يمكنك دعمه بالأدلة وتعزيزه بأمثلة مناسبة.... ويتضمن النقد تحليل السمات الإيجابية والسلبية على حد سواء، ويعني ذلك إدراك نقاط القوة والضعف في الأبحاث التي أجراها الآخرون. (Jesson, 2011, p16)

6/ عرض الدراسات السابقة:

في الدراسات الأكاديمية يقوم الباحث بعرض مجموع الدراسات السابقة من خلال تبيان وتوضيح أهم المراحل والخطوات البحثية التي مرت بها هذه الدراسة والتي اطلع عليها هو، وفي الحقيقة أن على الباحث أو الطالب عند مراجعة الدراسات السابقة أن يقرأ الرسالة أو الأطروحة أو المقال أو العمل البحثي من البداية إلى النهاية لأن غاية الأمر هو الاستفادة منها الاستفادة القصوى. وكيفية العرض الجيدة للدراسة مهمة سواء للباحث أو لمن سيناقش العمل أو لقراء هذا العمل.

العناصر التي يجب عرضها لكل دراسة

عند عرض كل دراسة يجب تقديم ملخص يتضمن:

1.6 التعريف بالدراسة و يذكر فيه :اسم الباحث و عنوان الدراسة الكامل (العنوان الرئيسي و العنوان الفرعي) و الجهة الناشرة (مجلة ، مخبر أو القسم و الكلية في جامعة ...)، و سنة النشر.

2.6 هدف الدراسة : ماذا أرادت أن تكتشف؟ أو الغاية التي تسعى للوصول إليها بتناولها هذا الموضوع.

3.6 المنهج الذي استخدمته هذه الدراسة (نوعي، كمي، وصفي، تجريبي...).

4.6 العينة وأداة الدراسة (نوع العينة ، استبيان، مقابلة...).

5.6 أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة ويتم عرض كل النتائج لا الاكتفاء ببعضها فقط.

6.6 الاستفادة العلمية او ما يهيم بحثك تحديدا حيث يستطيع الباحث أن يبين وجه الاستفادة من هذه الدراسة بالنسبة لدراسته الحالية.

7/ كيفية تقييم الدراسات السابقة

التقييم يعني الحكم على جودة الدراسات اعتمادا على مجموعة معايير ، أهمها:

1.7 حداثة المصادر: كلما كانت الدراسات حديثة (آخر 5 سنوات)، كانت أقوى خاصة في العلوم الاجتماعية، لأن طبيعة المواضيع أو بالأحرى الظواهر الاجتماعية هو التغير المستمر و التأثير الكبير بالعوامل و الأسباب الجديدة

2.7 قوة المنهج: يركز الباحث على المنهج لأنه يشكل عاملا حاسما في مصداقية النتائج التي توصل إليها البحث فيطرح الأسئلة التالية: هل المنهج مناسب؟ هل كانت الأدوات مناسبة و ملائمة لطبيعة الموضوع؟ هل العينة كافية للتشبع بالبيانات اللازم جمعها؟

3.7 وضوح سؤال البحث ومشكلته: هل الدراسة ركزت على علاقة واضحة بين متغيرات و أن هناك ارتباط بين و جلي بينها سواء نظريا أو واقعا؟

4.7 جودة التحليل: هل التحليل عميق؟ هل النتائج مدعومة بالأرقام أو الاقتباسات؟

5.7 ارتباط الدراسة بموضوع بحثك: هل يمكن الاستفادة فعلا منها؟

8/ كيفية نقد الدراسات السابقة

النقد لا يعني الهجوم، ولا تصيد الهفوات و الزلات و العثرات بل يعني إبراز:

1.8 نقاط القوة

* حداثة الموضوع: تعد حداثة الموضوع و معالجته في العلوم الاجتماعية في الفترة القريبة الماضية معيارا من معايير القوة للدراسة لأنها تناولت موضوعا مستجدا على الساحة الاجتماعية

* منهج قوي: تعتبر قوة المنهج في مناسبه و ملائمته للموضوع المدروس وفي الكيفية التي استخدم بها

* تحليل شامل: التحليل الشامل لكل جوانب الظاهرة المدروسة و محاولة ربط المتغيرات مع بعضها البعض وإحداث التوازن في التحليل لكل أبعاد الدراسة من عناصر القوة للدراسة السابقة

* عينة ممثلة: كلما كان التمثيل في البحوث الكمية و التشبع في البحوث الكيفية لعينة الدراسة كلما كانت النتائج أقرب إلى الصدق

* ارتباط واضح بموضوعك: يحتاج الباحث إلى أن يكون موضوع الدراسات السابقة أكثر ارتباط بالدراسة الحالية في أغلب أبعادها لتكون أكثر فائدة.

2.8 نقاط الضعف

* هزلة في المنهج: المنهج غير المناسب و الملائم لا يعطي نتائج جيدة فإذا كانت طبيعة الموضوع تحتاج إلى دراسة كيفية و يتم دراستها دراسة كمية فهذا لا يعطي نتائج موثوقة.

* عينة صغيرة: ينظر الباحث بعين ثاقبة إلى قوة تمثيل العينة لطبيعة الموضوع و حساسيته و أهميته و مدى توافقها مع الأداة و مكان إجرائها.

* الاعتماد على أداة واحدة: بعض المواضيع تحتاج إلى ما يسمى في البحوث الكيفية إلى التثليث و الاعتماد على أكثر من أداة ، فبعض المواضيع تحتاج إلى أداة رئيسية و أدوات مساعدة حتي تتم عملية اكتمال جمع البيانات و التشبع بها.

* تركيز محدود على متغيرات مهمة: التركيز على متغير مستقل و إهمال المتغير التابع في كل خطوات البحث يعد قصورا في هذه الدراسة.

* غياب الإطار النظري: عدم اعتماد الباحث على المقاربات النظرية أو غير ذات صلة و ارتباط قوي بموضوع الدراسة، أو عدم الاعتماد على عدد كاف من الدراسات السابقة يعد خلا في هذه الدراسة.

* ضعف في التحليل أو التفسير: ضعف التحليل و التفسير يشير إلى عدم الاطلاع الجيد و الواسع للإطار النظري المتعلق بالموضوع الحالي و عدم الالمام بالسياق الطبيعي و الواقعي له.

3.8 الفجوات العلمية : وهذه النقطة من الأهمية بمكان حيث يقف الباحث

* ما الذي لم تغطه الدراسات السابقة؟

* ما الجديد الذي سيقدمه بحثه؟

4.8 كيف تُنهي قسم الدراسات السابقة؟ (الخلاصة التركيبية)

بعد عرض وتقييم ونقد الدراسات، يجب أن تُقدم خلاصة تركيبية تشمل:

* ماذا قالت الدراسات عن المتغيرات الأساسية.

* ما هي الاتجاهات العامة للنتائج.

* ما الذي لم تتفق عليه الدراسات.

* الفجوات التي سيسدها بحثك.

9/ كيف ستوظف تلك الدراسات في منهجيتك.

توظيف الدراسات السابقة في منهجية البحث هو من أهم خطوات البحث العلمي، لأنها ليست مجرد عرض معلومات، بل أداة منهجية تساعد الباحث في بناء بحثه بشكل منهجي علمي ومنطقي.

1.9 كيف توظف الدراسات السابقة في تحديد مشكلة البحث؟

الدراسات السابقة تساعدك في:

- معرفة ما تمت دراسته سابقا كي لا تكرر نفس العمل.

- الكشف عن الثغرات التي ستبني عليها مشكلة بحثك.

- تحديد الفئة أو المتغيرات أو الأبعاد التي لم تدرس جيدا

مثال: إذا تبين أن الدراسات التي تناولت موضوع الاتصال التنظيمي ركزت فقط على الرضا الوظيفي، فقد تحدد مشكلة بحثك في علاقة الاتصال التنظيمي بالهوية المهنية أو الانتماء التنظيمي لأنها غير مدروسة كفاية.

2.9 توظيف الدراسات السابقة في صياغة أسئلة وفرضيات البحث

الدراسات السابقة تظهر:

- المتغيرات و الأبعاد التي أثبتت الدراسات وجود علاقة بينها.

- اتجاهات النتائج: هل العلاقة طردية؟ سلبية؟ غير موجودة؟

* المقاربة النظرية الأكثر استخداما.

مثال: إذا وصلت عدة دراسات إلى أن قوة الاتصال الداخلي تزيد من الرضا الوظيفي، فيمكنك صياغة فرضية مشابهة أو تعديلها بما يناسب السياق الاجتماعي محل الدراسة

3.9 توظيف الدراسات السابقة في اختيار المنهج المناسب

من خلال مراجعة الدراسات، تعرف:

* ما هو المنهج الأكثر استخداما: كمي؟ نوعي؟ مختلط؟

* هل استخدم الباحثون مقارنة وصفية؟ تفسيرية؟ تحليلية؟

* هل كانت العينة كبيرة أم صغيرة؟

* ما أدوات البحث التي أثبتت نجاحها؟

مثال: إذا استخدمت أغلب الدراسات الاستبيان، فهذا يبين إمكانية تطبيق الأداة على موضوعك. أما إذا استخدمت المقابلات شبه الموجهة في دراسة موضوع الهوية المهنية، فيمكنك اعتماد منهج نوعي.

4.9 توظيف الدراسات السابقة في بناء الإطار النظري والمفاهيمي

* تحديد المفاهيم الأساسية بطريقة علمية.

* اختيار التعريفات الأدق التي تتناسب مع منهجك.

* معرفة المدارس النظرية المرتبطة بموضوعك.

4. * بلورة نموذج مفاهيمي

مثال: إذا تبين أن دراسات الاتصال التنظيمي تستخدم نظرية "تدفق المعلومات"، فيمكنك اعتمادها في بناء إطارك.

5.9 توظيف الدراسات السابقة في مناقشة النتائج

فيمناقشة النتائج، تربط نتائجك بنتائج الدراسات السابقة:

* إذا اتفقت نتائجك مع دراسات أخرى تذكر ذلك وتوضح سبب التشابه.

* إذا اختلفت مع دراسات أخرى تفسر سبب الاختلاف (سياق، منهج، عينة...).

مثال: تتفق نتيجة هذا البحث مع ما توصلت إليه دراسة (فلان، 2020) التي أشارت إلى

علاقة إيجابية بين الاتصال الداخلي والولاء التنظيمي

6.9 توظيف الدراسات السابقة في تحديد الإضافة العلمية للبحث

الهدف النهائي من توظيف الدراسات السابقة هو أن تقول:

ما الجديد الذي أقدمه مقارنة بما قيل سابقا؟

وذلك يتم من خلال:

* إبراز الثغرة التي يعالجها بحثك.

* إبراز المتغيرات التي تجمعها لأول مرة.

* إبراز المنهج المختلف أو العينة غير المدروسة سابقا.

الخاتمة:

في نهاية هذا العرض، يمكننا أن نقول أن الدراسات السابقة، حجر الزاوية بالنسبة للبحوث العلمية، لاسيما السوسولوجية، ولا يمكن أن نتصورها مجرد اجراء شكلياً يزين البحث أو يزيد من عدد صفحاته، بقدر ما هي بوصلة توجه الباحث في مسار بحثه، اذا وظفها توظيفاً أكاديمياً صحيحاً، بعد عملية جمعها ونقدها، وتحليلها، واستنتاج الفجوات البحثية فيها، ومن ثمة الاستفادة منها في تفسير النتائج البحثية الأخيرة.

ومن هنا نرجع لنقول أن الدراسات السابقة، الضمان الوحيد لعدم تكرار البحوث العلمية، والسبيل لتحقيق التراكمية العلمية الحقة، والارتقاء بالبحث العلمي من خلال تقديم الإضافات باستمرار.

المراجع العربية

1. رجاء محمود أبو علام (2018)، مناهج البحث الكمي والنوعي والمختلط، ط2، عمان، دار المسيرة.
2. رجاء محمود أبو علام (2006)، مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية، ط5، القاهرة، دار النشر للجامعات.
2. رشيد زرواتي (2004)، منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية (أسس علمية وتدريبية)، الجزائر، دار الحديث.
3. رحيم يونس كرو العزاوي (2008)، مقدمة في منهج البحث العلمي (المجلد 1)، الأردن، عمان، دار دجلة ناشرون وموزعون.
4. منذر الضامن، منذر (2006)، أساسيات البحث العلمي، عمان، دار المسيرة

المراجع الأجنبية

5. Hart, C. (2018). Doing a literature review: Releasing the research imagination (2nd ed.). SAGE Publications.
6. Machi, L. A., & McEvoy, B. T. (2012). The literature review: Six steps to success (2nd ed.). CorwinCorwin a sage company. California
7. Galvan, J. L., & Galvan, M. C. (2017). Writing literature reviews: A guide for students of the social and behavioral sciences (7th ed.). Routledge.
8. Jose L. Galvan and Melisa C. Galvan (2017), Writing Literature Reviews, Seventh Edition, Routledge, Taylor&Francis Group, New York and London.
9. Ridley, D. (2012). The literature review: A step-by-step guide for students (2nd ed.). SAGE Publications.
10. Rowley, J., Slack, F (2004), Management Research News, volume 27, issue 6, ABI INFORM Global

مراجعة الدراسات السابقة واستخراج الفجوة البحثية في البحوث الاجتماعية وفق نموذج جامعة والدان

د. ميهوب نورالدين - أستاذ محاضر أ

جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي تبسة - الجزائر

noureddine.mihoub@univ-tebessa.dz

الملخص

تستهدف هذه الورقة البحثية آليات توظيف الدراسات السابقة في البحوث العلمية، بدءاً بتعريفها وسرد أهم الفروق بينها وبين التراث النظري، وتوضيح الأهمية العلمية لمراجعة هذه الدراسات في مسار البحث ككل، كما تتناول تحرير هذا الجزء ضمن التقرير البحثي ومعايير تصنيفها ونموذج جامعة والدان في عرض الدراسات السابقة بما يساهم في تحليل الباحث لهذه الدراسات تحليل نقدي وفق جملة من المحكات (الموضوع، المنهج، العينة، الأدوات، النتائج، القصور) للوصول إلى الفجوة البحثية، إضافة إلى توظيف هذه الدراسات في صياغة وبناء الإشكالية ومناقشة النتائج.

الكلمات المفتاحية: الدراسات السابقة؛ التراث النظري؛ الفجوة البحثية؛ المراجعة؛ مناقشة النتائج.

Abstract

This research paper examines the mechanisms for incorporating previous studies into scientific research, beginning with a definition of these studies and an overview of the key differences between them and the theoretical literature, and clarifying the scientific importance of reviewing these studies within the research process as a whole. It also addresses the editing of this section within the research report, the criteria for classifying it, and Walden University's model for presenting previous studies, which contributes to the researcher's critical analysis of these studies based on a set of criteria (topic, methodology, sample, tools, results, and limitations) to identify the research gap, as well as the use of these studies in formulating and constructing the research problem and discussing the results.

Keywords: Previous studies, Theoretical literature, Research Gap, Review, Results discussion

مقدمة

تعتبر الدراسات السابقة من أهم الركائز في البحث العلمي في كل حقوله المعرفية سواء التقنية أو علوم الطبيعة وحتى العلوم الاجتماعية، وتمثل هذه الركيزة حلقة وصل بين المعارف العلمية المتراكمة وبين الإضافة الجديدة التي يسعى الباحث إلى تقديمها من خلال تأكيده أو تحقيقه من نتائج تم التوصل لها في دراسات سابقة، أو نفي معرفة قائمة والتوصل إلى معرفة جديدة، وتؤكد الأدبيات المنهجية الحديثة على أن جودة البحث العلمي ترتبط بقدرة الباحث على توظيف الأدبيات السابقة بصورة نقدية وتحليلية ومنهجية، وليس بمجرد جمع الدراسات وعرضها وصفاً. فجمع الأبحاث والمقالات العلمية التي تناولت موضوع البحث أو موضوعات مشابهة له في فترات زمنية محددة، لا يقدم للباحث أي إضافة أو فهم أعمق ومعرفة أشمل لأهم التطورات التي طرأت

على الموضوع، ما لم يتم تحليل ونقد هذه الدراسات واكتشاف مكان القوة والقصور فيها من خلال المراجعات المنظمة (Systematic Reviews) كأداة علمية موثوقة تسهم في تكوين الإطار النظري للبحث وتحديد الفجوات البحثية التي لم يتم معالجتها في هذه الدراسات.

هذه المراجعة تبدأ باختيار وانتقاء الباحث للدراسات ذات الصلة بموضوع بحثه، على أن تكون حديثة وموثوقة ولديه المهارة والقدرة على توضيح درجة مساهمتها في فهم مشكلة البحث، على اعتبار أنها تشكل الخلفية النظرية والأساس العلمي الذي يؤصل من خلاله للتناول المنهجي في الدراسة الحالية، وضمن هذه المساهمة البحثية سيتم التعرض لمفهوم الدراسات السابقة وأهم الفروق بينها وبين التراث النظري وطرق مراجعة الدراسات السابقة بدءاً بعرضها وتصنيفها ثم نقدها وتحليلها إضافة إلى استخراج الفجوة البحثية منها وصولاً إلى توظيف هذه الدراسات في مناقشة النتائج المتوصل إليها.

1- مفهوم الدراسات السابقة

تعتبر الدراسات السابقة على مختلف البحوث والأعمال العلمية المنشورة التي تناولت موضوع البحث أو أحد متغيراته أو الإطار النظري المرتبط به. وفي كتب المنهجية نجد عدة تسميات للدراسات السابقة ولكن متفقة في مدلولها، فالكتب الانجليزية تورد المدلول بعبارات متعددة مثل: البحوث ذات العلاقة، مراجعة الأدب، الأدب ذو العلاقة، أما الكتب العربية فتورده بعبارات مثل: مراجعة التراث العلمي، مراجعة التراث الإنساني، المراجعة الدقيقة للبحوث السابقة.

كل هذه العبارات تؤكد للباحث ضرورة إجراء مسح شامل للدراسات السابقة التي تناولت مجال بحثه وذلك للحصول على الإجابة العلمية للأسئلة التالية: هل مشكلة البحث سبق أن بحثت أم لا؟، إذا كانت قد بحثت فما هي الجوانب التي بحثت؟ وما هي الجوانب التي لم تبحث؟، ما الإضافة العلمية التي سوف يضيفها البحث الحالي؟ (العساف، ص. 65)

ويرى هارت (1998) Hart أن مراجعة الأدبيات تمثل عملية تحليل وتقييم نقدي للأعمال العلمية المنشورة بهدف بناء فهم علمي متكامل للموضوع. ويتفق معه راندولف (2009) Randolph في أن هذه عملية مراجعة الأدبيات هي مسح شامل ومنظم للإنتاج العلمي في مجال معين وأهمية هذا المفهوم في مسار البحث العلمي ينبع من خاصية التراكمية؛ لأن كل دراسة علمية تستند إلى ما سبقها من أعمال، سواء لتأكيد نتائجها أو نقدها أو تشخيص مشكلات في الواقع المعاش وتقديم حلول لها، وعليه تعد الدراسات السابقة قاعدة معرفية ومنهجية لا غنى عنها لأي مشروع بحثي جاد.

ففي الجامعات ذات التقاليد العريقة في البحث العلمي لا يسمح للطالب أو الباحث أن يضع نقطة سوداء على ورقة بيضاء قبل أن يستوفي الشرط الأساسي لكل بحث علمي وهو القراءة المتأنية والمتفحصة حول الموضوع، وقد تطول فترة القراءة أو تقصر حسب طبيعة الموضوع ومستوى البحث والدرجة العلمية المحاضرة والوقت المخصص لها قانونياً، وقدرة الطالب على الاستيعاب وأخيراً ما يقرره الأستاذ المشرف من خلال متابعته للتقارير التي يقدمها الطالب عن قراءته. (سفاري، 1995، ص. 40)

ولا تقتصر وظيفة الدراسات السابقة في العلوم الاجتماعية على جمع المعلومات، بل تتعدى ذلك إلى الكشف عن الاتجاهات الفكرية والمنهجية، وتحديد الفجوات البحثية، واكتشاف أوجه الاتفاق والاختلاف بين الباحثين. ويؤكد جرازويل وجرازويل (2018) Creswell and Creswell على قيمة هذه مراجعة الأدبيات وما تقدمه للباحث بتحديد موقع دراسته ضمن الحقل المعرفي وتوجيه تصميمه المنهجي.

2- الفرق بين الدراسات السابقة والتراث النظري

الحدود الفاصلة بين الدراسات السابقة والتراث النظري ليست واضحة ويصعب التمييز بينها وليس في متناول كافة الباحثين والأهم هو معرفة الباحث توظيف كل منهما وكيفية توظيفه، ورغم وجود تداخل بينهما نجد أن الدراسات السابقة تهتم بعرض وتحليل البحوث التي أُنجزت حول موضوع معين، مع التركيز على نتائجها ومنهجها وأدواتها. أما التراث النظري فيرتبط بالنظريات والمفاهيم والمداخل الفكرية التي تفسر الظاهرة محل الدراسة، في حين عملية جرد التراث النظري أو الأدبيات التي كتبت حول الموضوع يستعرض فيها الباحث مضامين النظريات، الكتب، المقالات وحتى الدراسات الميدانية.... هذه العملية لا تتطلب أكثر من جرد الفكرة المحورية لما سبق عرضه من مضامين نظرية وغيرها وقد تعرض في أسطر أو في صفحات حسب أهميتها للموضوع.

وتستخدم النظرية لتفسير العلاقات بين المتغيرات، بينما تستخدم مراجعة الأدبيات للكشف عن أوجه القصور في المعرفة الحالية ومن هنا فإن الدراسات السابقة ذات طبيعة تحليلية نقدية، بينما يتميز التراث النظري بالطابع التفسيري المفاهيمي (Creswell and Creswell, 2018). وإضافة لكون الدراسات السابقة تدخل في الإطار النظري إلا أن المعالجة المنهجية لها تختلف كلية عن التراث النظري، بمعنى أن كيفية توظيفها تملأها ضرورات منهجية ونظرية مبنية أساساً على العرض والتحليل والنقد بالإضافة إلى تتبع خطوات معينة متكاملة حتى تحقق الغاية المرجوة منها في خدمة البحث. (سفاري، 1995) فالباحث يراجع الدراسات العلمية التي لها علاقة مباشرة بموضوع ومشكلة البحث ككل أو جانب من جوانبها مثل : الرسائل العلمية والبحوث العلمية المنشورة وغير المنشورة. أما الكتب النظرية والتقارير فيستفيد منها في إطاره النظري، ويؤدي الخلط بينهما إلى ضعف البناء المنهجي للبحث؛ إذ قد يتحول عرض الدراسات السابقة إلى مجرد تجميع للنظريات دون تحليل للدراسات، أو العكس.

3- أهمية الدراسات السابقة في البحث العلمي

لدراسات السابقة أهمية علمية ومنهجية كبيرة. فهي تساعد الباحث على فهم الخلفية التاريخية للموضوع، وتجنب التكرار، وتطوير أدوات البحث، واختيار المنهج المناسب ويشير بوث وسيتون وبابايوانو (2016) Booth, Sutton, and Papaioannou إلى أن مراجعة الأدبيات تساعد في تحديد الفجوات البحثية وصياغة أسئلة جديدة أكثر دقة، وتضيف ريدلي (2012) Ridley أن الدراسات السابقة تسمح للباحث بفهم الاتجاهات السائدة في الحقل العلمي، والتعرف على أهم الباحثين والمدارس الفكرية، وفي مجال العلوم الاجتماعية ولخصوصية الظواهر وتعقدها وتغيرها تتيح هذه

الدراسات للباحث فهم السياقات الثقافية والسياسية والتاريخية المرتبطة بالظاهرة المدروسة. ويمكن إجمال أهمية مراجعة الدراسات السابقة في مسار البحث في مايلي:

- توفير الخلفية العلمية والمناخ المناسب والمصادر اللازمة لإجراء البحث الجديد.
- تكشف عن جذور المشكلة وتؤدي إلى فهم ما تم بخصوصها في الفترات السابقة.
- تبرز الجوانب التي لم يتم دراستها من قبل وهذا يؤدي إلى بحوث جديدة.
- توضح مناهج الباحثين السابقين في مجال البحث والدراسة.
- تكشف عن أي تداخلات بين البحوث وتوارد أفكار الباحثين.
- تساعد الباحث على إجراء مقارنات بين نتائجه ونتائج الدراسات السابقة.
- تساعد الباحث على التوصل إلى صياغة دقيقة ومحددة لأهداف وطبيعة بحثه.
- تساعد الباحث على معرفة مدى أهمية بحثه في إضافة معلومات جديدة. (عليان وغنيم، 2000، ص.170)

ومراجعة الباحث للدراسات السابقة تحقق له هدف رئيسي يكمن في التأكد من أنه لم يبحث مشكلة تم بحثها من قبل، وانما انطلق مما انتهى منه غيره من الباحثين، والباحث بتحقيقه هذا الهدف يطمئن من بأن ما سوف يقوم به من جهد علمي خاص به، والابتعاد عن السرقة العلمية. ومن الأهداف الفرعية لهذه المراجعة تحديد مشكلة البحث بدقة، طرق جانب جديدة لم يطرق من قبل، تجنب النمطية في البحوث (تجنب النمط الذي سارت عليه تلك البحوث)، والتبصر في طرق البحث، والأدوات المستعملة والمنهج المتبع، الاستفادة من توصيات الباحث (العساف، د.ت، ص.68)

4- عرض الدراسات السابقة

يحتاج الباحث لأن يقوم بجمع المادة العلمية والتي لها علاقة بموضوع البحث.....ويجب عدم المغالاة في عرض المادة العلمية وخاصة إذا كانت موجودة ومعروضة في كثير من المراجع المتخصصة كما أن هذا الجزء يتضمن استعراض الباحث للموضوعات التي سبق وأن تناولت مشكلة بحثه، ومراجعة الدراسات السابقة توصلنا إلى النتائج التي انتهى إليها الباحثون، وتظهر نوع العلاقة الموجودة بين الدراسات بعضها مع البعض الآخر وعلاقتها بالبحث الحالي، كما تبين الثغرات ومناطق الضعف التي اثارت الدراسة المطروحة للبحث، كما أن الرجوع إلى الدراسات السابقة تساعد الباحث في معرفة الأبعاد المختلفة التي تحيط بالمشكلة. ومراجعة الدراسات السابقة يجب أن يتم على أساس النقد والتحليل الأمر الذي يساعد الباحث في الوقوف على كثير من المعالم التي قد تفيد في بحثه. (صابر وخفاجة، 2002، ص.209)،

ويتطلب عرض الدراسات السابقة اتباع منهجية علمية دقيقة تقوم على التدرج المنطقي والربط بين الدراسات الانتقال من العرض الوصفي إلى العرض التحليلي والنقدي، ويشير ماثي وماك إيفوي (2016) Machi and McEvoy إلى أن الباحث ينبغي أن يقوم بتلخيص الدراسات، ثم تحليلها ومقارنتها واستخلاص أوجه الاتفاق والاختلاف بينها، كما يجب ربط الدراسات السابقة بإشكالية البحث الحالية وعدم الاكتفاء بعرض منفصل لكل دراسة .

ومن المناسب أن يبدأ الباحث هذا الجزء بمقدمة تمهيدية تصف وفرة الأدب المتعلق بالمشكلة أو ندرته أو شموله للجوانب المختلفة أو اقتصره على جوانب محددة من المشكلة، وتعرض الدراسات السابقة وفق تصنيف مناسب يضعه الباحث، بحيث يخصص لكل دراسة سابقة الحيز والمكان الذي يتناسب مع نوعيتها وحداثتها ومدى ارتباطها بدراسته، ويجب عليه التوسع في عرض بعض الدراسات المميزة والاختصار في دراسات أخرى، ويمكن الإشارة إلى الدراسات التي اشتركت مع بعضها البعض في النتائج، ويجب أن ينتهي هذا الجزء بملخص يتضمن القيمة الإجمالية للدراسات السابقة والإسهام الذي ستقدمه دراسته وجوانب تميزها عن الدراسات الأخرى. (عليان وغنيم، 2000، ص ص 169-170)

وتتنوع معايير تصنيف الدراسات السابقة وفق طبيعة الموضوع والمنهج المستخدم. ومن أهم هذه التصنيفات التصنيف الموضوعي، والتصنيف الزمني، والتصنيف المنهجي، والتصنيف الجغرافي ففي التصنيف الموضوعي تُجمع الدراسات وفق الموضوعات الفرعية المرتبطة بالبحث، أما التصنيف الزمني فيعتمد على ترتيب الدراسات وفق سنوات النشر من أجل تتبع تطور المعرفة العلمية ويذكر أونوجبيزي وفريلز Onwuegbuzie and Frels (2016) أن التصنيف المنهجي يساعد الباحث على تحليل الاختلافات بين الدراسات الكمية والكيفية والمختلطة، وفهم انعكاس المنهج المستخدم على النتائج المتوصل إليها.

ويقدم كل من بوترة وضيف (2019) هذه المعايير في تصنيف الدراسات السابقة بعرض أمثلة ففي التصنيف الموضوعي إذا كان الباحث بصدد دراسة قضايا البيئة في الكتاب المدرسي للطور الابتدائي في الجزائر يمكنه تصنيف الدراسات السابقة وفق الآتي: دراسات تتعلق بالطور الابتدائي، دراسات تتعلق بالتربية البيئية في المدرسة، دراسات تتعلق بمضامين البيئة في الكتب المدرسية الجزائرية

كما يمكن اعتماد معيار متغيرات الدراسة في التصنيف وفق ما يلي إذا كان الباحث بصدد دراسة علاقة التنشئة الأسرية بانحراف الأحداث فهو يقسم الدراسات السابقة على الشكل الآتي: دراسات تتعلق بانحراف الأحداث، دراسات تتعلق بالتنشئة الأسرية، دراسات تتعلق بعلاقة التنشئة الأسرية بانحراف الأحداث، إما إذا عاين الباحث في تصنيفه على المعيار الزمني في تصنيف الدراسات السابقة والباحث بصدد دراسة موضوع الهجرة غير الشرعية فيكون وفق الآتي: دراسات تناولت الهجرة غير الشرعية في الفترة ما بين (1980-1990)، دراسات تناولت الهجرة غير الشرعية في الفترة ما بين (1991-2000)، دراسات تناولت الهجرة غير الشرعية في الفترة ما بين (2001-2020)

ومن من أهم الأدوات المستخدمة في تنظيم الدراسات السابقة وتحليلها نجد مصفوفة جامعة والدن (Walden Literature Review Matrix) وتقوم هذه المصفوفة على إدراج بيانات الدراسات داخل جدول يسمح بالمقارنة بين عناصرها الأساسية. وتشمل المصفوفة عادة اسم الباحث، سنة النشر، عنوان الدراسة، المشكلة البحثية، المنهج، العينة، الأدوات، النتائج، أوجه القصور، والفجوة البحثية، وتساعد هذه الأداة الباحث على تنظيم الأدبيات، واكتشاف الاتجاهات البحثية، واستخراج الفجوات العلمية بصورة دقيقة ومنهجية.

جدول رقم (01): مصفوفة جامعة والدين لمراجعة الدراسات السابقة

الباحث	السنة	الموضوع	المنهج	العينة	الأدوات	النتائج	القصور	الفجوة
Anderson	2000	الإرهاق المهني	كمي	151 عامل	استبيان	استراتيجيات مواجهة فعالة	اقتصرت على بيئة محددة	الحاجة لدراسات مقارنة
Aclaro-Lapidario	2007	الرضا المهني	كمي	75 موظف	مقياس نفسي	الرضا يقلل الإرهاق	صغر العينة	توسيع الدراسات
Ohlbrecht & Jellen	2021	عدم المساواة الصحية	مختلط	أسر ألمانية	مقابلات واستبيان	الجاتحة عمقت التفاوت	اقتصرت على ألمانيا	الحاجة لدراسات عربية

5- نقد وتحليل الدراسات السابقة

يمثل التحليل والنقد جوهر الدراسات السابقة في البحث العلمي. فالباحث لا يكتفي بعرض نتائج الدراسات، وإنما يسعى إلى تقييمها وتحليلها واكتشاف جوانب القوة والقصور فيها، ويؤكد هارت (1998) أن النقد العلمي لا يعني رفض الدراسات السابقة، بل تقييمها بصورة موضوعية من حيث الإشكالية والمنهج والعينة والأدوات والنتائج

ومن بين أهم عناصر النقد العلمي تقييم وضوح الإشكالية، وملاءمة المنهج، وحجم العينة، وصدق الأدوات، ومدى قابلية النتائج للتعميم. كما ينبغي تحليل الخلفيات الثقافية والاجتماعية التي أُجريت فيها الدراسات، لأن النتائج قد تختلف باختلاف السياقات.

ومناقشة الدراسات السابقة دفعة واحدة تتيح للباحث شمولية الفهم والاستيعاب والربط بين الأفكار وهذا من شأنه أن يساعد الباحث في تحديد نقطة الإنطلاق الملائمة في بحثه الحالي، وذلك بالتركيز على مكان الخلل والتقصير في التراث السابق ليكون محل اهتمام الدراسة الحالية وهو يكسب هذا الأخير أهمية بالغة في تحقيق مبدأ تراكمية المعرفة، ومن ثم على الباحث أن يكون حريصاً على تحديد موقع دراسته من مجمل الدراسات السابقة بعد تحقيق مبدأ شمولية الفهم والإستيعاب فالباحث في هذا السياق يبرهن بما يستعرضه بأن الجهود السابقة في مجموعها لا توصل الباب أمام البحث الحالي، وأن هذا الأخير سيضيف شيئاً إلى الموضوع، هذه الإضافة قد تأخذ هيئة معلومات جديدة أو أسلوب جديد له مبرراته أو تأكيد لنتائج سابقة أو نقص أو تعديل (بوترعة وضيف، 2019، ص ص 93-94).

6- استخراج الفجوة البحثية من الدراسات السابقة

تعد الفجوة البحثية من أهم النتائج التي يسعى الباحث إلى استخراجها من خلال مراجعة الدراسات السابقة والفجوة البحثية تعني وجود نقص معرفي أو منهجي أو موضوعي في الأدبيات العلمية ويذكر ويبستر وواتسون (2002) Webster and Watson أن الهدف الأساسي من مراجعة الأدبيات هو تحديد ما لم تتم دراسته بعد، أو ما يزال بحاجة إلى تفسير وتحليل. وقد تكون الفجوة مرتبطة بغياب الدراسات في بيئة معينة، أو اعتماد الدراسات السابقة على منهج واحد، أو وجود تناقض في النتائج

بالإضافة إلى الأنواع التقليدية للفجوات البحثية (موضوعية، زمنية، جغرافية)، يمكن تحديد أنواع أخرى منها على سبيل المثال الفجوة النظرية، الفتحية، والمنهجية، وتعتبر الفجوة النظرية (Theoretical Gap) عن عدم وجود نظرية كافية لتفسير ظاهرة معينة، أو الحاجة إلى تطوير نظرية قائمة لتشمل جوانب جديدة، أو تطبيق نظرية من حقل معرفي لآخر، وتشير الفجوة التجريبية (Empirical Gap) لنقص في الأدلة التجريبية حول ظاهرة معينة، أو وجود نتائج متناقضة تتطلب مزيداً من البحث، أو عدم دراسة الظاهرة في سياقات ثقافية أو اجتماعية محددة، أما الفجوة المنهجية (Methodological Gap) فتوضح القصور في المنهجيات المستخدمة لدراسة ظاهرة معينة (مثل الاعتماد المفرط على المناهج الكمية في دراسة ظواهر كيفية)، أو الحاجة إلى تطوير أدوات بحثية جديدة، أو تطبيق منهجية مبتكرة، كما نجد الفجوة التطبيقية/السياساتية (Practical/Policy Gap) حول عدم وجود أدلة بحثية كافية لتوجيه الممارسات أو السياسات في مجال معين، أو الحاجة إلى تقييم فعالية تدخلات معينة.

وتستخرج الفجوة البحثية من خلال المقارنة بين الدراسات وتحليل نتائجها ومنهجها وعيانتها وأدواتها، ويمكن الدمج بين المصنوفة السابقة في جامعة والدين والمحكات الآتي ذكرها في تناول هذه الدراسات ككتلة واحدة تساعد الباحث في استخراج الفجوة البحثية لأن تناوله لكل دراسة على حدى لا يقدم له أي إضافة ويصبح جهده بمثابة تكرار وتجميع وصفي لمناهج وأدوات ونتائج هذه الدراسات

- السنة: يتكلم الباحث عن سنة النشر ومتى بدأت هذه الدراسات ومتى انتهت.
- المشكلة البحثية: التركيز على المشكلة البحثية، وتحديد أي المشكلات البحثية التي تميزت عن باقي المشكلات الأخرى.
- العينة: يمكن للباحث المقارنة بين مختلف أحجام العينة لجميع الدراسات واستنتاج بعض المؤشرات في هذا الصدد
- المنهج: يتتبع الباحث المناهج التي تناولت بها هذه الدراسات مشكلاتها البحثية، وهو ما قد يعطي الباحث بعض الأفكار التي تناسب بحثه الحالي.
- أدوات الدراسة: يمكن للباحث استخراج مؤشرات تقييمية نقدية لهذه الأدوات المنهجية وكذا أخذ فكرة كافية حول أي الأدوات أكثر ملائمة لدراسته الحالية
- بلد النشر: يمكن للباحث استنتاج بعض المؤشرات المهمة، وكيف تميزت دراسات معينة في دولة دون باقي الدول الأخرى مثلاً
- نتائج الدراسة: استخراج مؤشرات تساعد على تقديم قراءة نقدية لهذه الدراسات المحصل عليها مثل توجد علاقة طردية بين كذا وكذا، ولا توجد علاقة هذه النتائج يمكن أن تحدد للباحث بعض فرص التقييم النقدي لهذه الدراسات من جهة والاستفادة منها في تحديد نقطة الإنطلاق للبحث الحالي من جهة أخرى

هذه الطريقة تتيح للباحث كتابة 7 فقرات على الأقل في التغقيب عن الدراسات السابقة وتحقيق الاستفادة المثلى من الدراسات السابقة وتجاوز مكان القوة والقصور التي وقع فيها باحثين آخرين. (بوترعة وضيف، 2019، ص.95)

وقيمة الفجوة البحثية التي يخلص لها الباحث بعد مراجعته عرضه ونقده وتحليله للدراسات السابقة تكمن في كونها مركب أساسي تبنى عليه إشكالية البحث لأن الإشكالية العلمية الجيدة لا تنطلق من الاهتمام الشخصي فقط وإنما من وجود نقص أو تناقض في المعرفة العلمية، كما أن توظيف الفجوة البحثية في صياغة الإشكالية يضيف على الدراسة طابع الأصالة العلمية، كما يسهم في تحديد أهداف البحث وفرضياته بصورة أكثر دقة. ويذكر جرازويل وجرازويل (2018) أن مقدمة البحث ينبغي أن تتضمن توضيح أوجه القصور في الأدبيات السابقة، ثم بيان كيف ستسهم الدراسة الحالية في سد هذا النقص.

7- الأخطاء المنهجية في التعامل مع الدراسات السابقة

من الأخطاء الشائعة في إجراء البحوث اعتبار الدراسات السابقة خانة يمكن أن تملأ في أي وقت من كتابة تقرير البحث، ولا يخفى أن كثير من الطلاب يشرعون في قراءة وتلخيص وعرض الدراسات السابقة بعد أن يكونوا فرغوا من جمع مادة بحوثهم وعالجوها كميًا ورصدوا نتائجها وربما كان يختفي وراء مثل هذا السلوك اعتقاداً بأن الدراسات السابقة لا تعد جزءاً متكاملًا من عملية البحث وإنما هي صفحات تسطر لزيادة حجم البحث" (سليمان، 1973، ص.20) من أكثر الأخطاء شيوعاً في التعامل مع الدراسات السابقة: الاقتصار على الوصف دون التحليل، والاعتماد على مصادر غير محكمة، وعدم احترام التوثيق العلمي، والخلط بين الدراسات السابقة والإطار النظري، كما يقع بعض الباحثين في خطأ عرض الدراسات بصورة منفصلة دون الربط بينها، مما يؤدي إلى ضياع الفجوة البحثية وضعف البناء المنهجي للبحث. ويفصل كل من بوترعة وضيف (2019) هذه الأخطاء فيما يلي:

- عدم أخذ الوقت الكافي في البحث من خلال مصادر المعلومات المختلفة والاكتفاء بمصدر وحيد متوفر وبمتناول الباحث
- الاعتماد على المصادر الثانوية للمعلومات دون بذل جهد للحصول على المصادر الأولية
- غياب شخصية ولمسة الباحث عند التعامل مع هذه الدراسات والقبول بتسليم مطلق بنتائج وخطوات هذه الدراسات على أنها مسلمة ولا تقبل النقد والنظر
- خطأ التسرع بإطلاق أحكام غير دقيقة على دراسات سابقة دون قراءتها قراءة متأنية ومعمقة
- خطأ عدم تهيمش الدراسات السابقة سواء كانت من المصدر الأصلي أو من المراجع التي ذكرت فيها
- مناقشة كل دراسة والتغقيب عليها بشكل مستقل وهذا من شأنه تضيق الفرصة على الباحث في اكتشاف الفجوات البحثية والمنهجية والروابط المعرفية بين هذه الدراسات

- سعي الباحث في الحصول على دراسات سابقة تتناول جميع متغيرات الدراسة في أن واحد
- في الباحث وجود دراسات عربية أو حتى التعميم لأكثر من ذلك بعدم وجود دراسات عالمية في هذا الموضوع وهو لم يبذل جهداً في البحث.

8- توظيف الدراسات السابقة في مناقشة النتائج

تستخدم الدراسات السابقة في مرحلة مناقشة النتائج من أجل مقارنة نتائج الدراسة الحالية بنتائج الدراسات السابقة، وتفسير أوجه الاتفاق والاختلاف. فإذا اتفقت النتائج مع الدراسات السابقة، فإن ذلك يعزز مصداقية النتائج ويدعم إمكانية تعميمها. أما إذا اختلفت النتائج، فإن الباحث مطالب بتفسير أسباب الاختلاف من خلال تحليل السياق الثقافي أو المنهجي أو الزمني ويضيف ريدلي (2012) أن مناقشة النتائج في ضوء الدراسات السابقة تمثل أحد أهم مؤشرات النضج العلمي للباحث، لأنها تكشف قدرة الباحث على الربط بين المعرفة النظرية والواقع التطبيقي.

وربط نتائج البحث بنتائج البحوث السابقة ذات العلاقة يسمح للقارئ ملاحظة مدى منطقيتها ومدى قربها أو بعدها من الشائع والمألوف بين المهتمين بموضوع البحث... وضمن هذه المناقشة يقوم الباحث بشرح أي اتفاق أو عدم اتفاق بين نتائج البحث وبين نتائج البحوث السابقة ذات العلاقة. توضيح محددات البحث وشرحها: بهدف تأطير نتائجه وتوضيح مدى الاستفادة منها وأفق تعميمها، فلكل بحث محددات زمانية وجغرافية وثقافية يتم وضعها من قبل الباحث بناءً على الصفات الغالبة لأفراد مجتمع البحث. (حسن، 2004، ص ص 57-58)

خاتمة

يتطلب إجراء دراسات إجتماعية تتصف بدرجة من الدقة والعلمية إظهار الباحث فهم عميق لموضوع بحثه وإستعداد ذهني في كل مراحل البحث وقدرة على تحديد موقع دراسته من الدراسات ذات العلاقة سواء المحلية أوالعالمية، وهذا لا يتحقق إلا من خلال مراجعة نقدية شاملة للأدبيات، وهذه المراجعة تبدأ بالجمع ثم العرض والنقد والتحليل كون الكثير من المشكلات البحثية لا تنشأ من فراغ، بل تتشكل من خلال التفاعل النقدي مع المعرفة القائمة، والكشف عن التناقضات، أو الثغرات، أو الجوانب غير المدروسة، وهو ما حاولنا توضيحه في هذه المساهمة البحثية حول مراجعة الدراسات السابقة واستخراج الفجوات البحثية في البحوث الإجتماعية

قائمة المراجع

المراجع العربية

1. فاطمة عوض صابر، ميرفت علي خفاجة (2002)، أسس ومبادئ البحث العلمي، مكتبة ومطبعة الأشعاع الفنية، الإسكندرية، مصر
2. طارق حسن، 2004، دليل إجراء البحوث والدراسات المسحية، مركز البحوث، معهد الإدارة العامة، المملكة العربية السعودية
3. عبد الله. محمد الشريف، 1996مناهج البحث العلمي دليل الطالب في كتابة الأبحاث والرسائل العلمية، مكتبة الإشعاع للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر

4. ربيعي. مصطفى عليان، عثمان. محمد غنيم، 2000، مناهج وأساليب البحث العلمي النظرية والتطبيق، دار صفاء للنشر والتوزيع-عمان
5. صالح بن حمد العساف: دون تاريخ المدخل الى البحث في العلوم السلوكية، مكتبة العبيكان، الكتاب الأول، ص 65
6. عبدالله محمود سليمان: المنهج وكتابة تقرير البحث في العلوم السلوكية، مكتبة الأنجلو- المصرية، 1973.
7. سفاري. ميلود، (1995) الأسس المنهجية في توظيف الدراسات السابقة، مجلة جامعة قسنطينة للعلوم الإنسانية، عدد خاص.
8. بوترة بلال، ضيف الأزهر (2019) استعراض الدراسات السابقة في البحث العلمي ضوابط واعتبارات مجلة العلوم الإنسانية المجلد 1 العدد (19) ص 87-101

المراجع الأجنبية

1. Booth, A., Sutton, A., & Papaioannou, D. (2016). Systematic approaches to a successful literature review. London, UK: Sage.
2. Creswell, J. W., & Creswell, J. D. (2018). Research design: Qualitative, quantitative, and mixed methods approaches (5th ed.). Thousand Oaks, CA: Sage.
3. Hart, C. (1998). Doing a literature review: Releasing the social science research imagination. London, UK: Sage.
4. Machi, L. A., & McEvoy, B. T. (2016). The literature review: Six steps to success. Thousand Oaks, CA: Corwin.
5. -Onwuegbuzie, A. J., & Frels, R. K. (2016). Seven steps to a comprehensive literature review. London, UK: Routledge.
6. Randolph, J. J. (2009). A guide to writing the dissertation literature review. Practical Assessment, Research & Evaluation, 14(13), 1-13.
7. Ridley, D. (2012). The literature review: A step-by-step guide for students (2nd ed.). London, UK: Sage.
8. Webster, J., & Watson, R. T. (2002). Analyzing the past to prepare for the future: Writing a literature review. MIS Quarterly, 26(2), xiii–xxiii

الدراسات السابقة في البحوث الاجتماعية- الرؤى والنماذج التطبيقية-

د. كنزة عيشور- أستاذ محاضر أ

محمد لمن دباغين سطيف2 - الجزائر

ملخص:

تهدف هذه المداخلة إلى إبراز أهمية الدراسات السابقة في البحوث الاجتماعية، باعتبارها الركيزة الأساسية للفهم المعمق لموضوع البحث ودراسته من مختلف جوانبه النظرية والمنهجية. فهي تسهم، على الصعيد النظري، في الاطلاع على رؤى الباحثين وتوجهاتهم الفكرية بما يساعد على بناء الإطار النظري للدراسة، كما تسهم، على الصعيد الإمبريقي، في توضيح الجوانب المنهجية المتعلقة بالمنهج والأدوات والإجراءات المعتمدة في الدراسات السابقة. لذلك تعتمد الدراسات السابقة في كثير من الرسائل والأطروحات العلمية كفصل تمهيدي أساسي، لكونها تمثل جسراً معرفياً ومنهجياً يساعد الباحث على بناء دراسة جديدة أكثر دقة وتنظيماً، مع الاستفادة من الجهود العلمية السابقة وتفادي الأخطاء والنقائص التي قد تكون قد ظهرت فيها.

الكلمات المفتاحية: الدراسات السابقة ، لبحوث الاجتماعية ، النماذج التطبيقية.

Summary

The most important aspect of this intervention is highlighting the most recent studies in the social field, which are the primary focus for a deep understanding of the research and its various clear and methodological aspects. Theoretically, these studies, based on professional insights and innovations, including intellectual property rights, help to build the theoretical framework. They also integrate, theoretically, in complete harmony with the methodologies and tools adopted in previous studies. Therefore, many theses and dissertations rely on previous studies as a fundamental, ready-made chapter. Importantly, they represent a cognitive and methodological bridge that helps in developing a new, more specific and fundamental reading, while affirming established scientific facts and addressing any shortcomings that may have appeared in them.

Keywords - Previous studies .Social research.Applied models.

مقدمة:

يعد البحث العلمي من الركائز الأساسية في مختلف المجالات العلمية والاجتماعية والاقتصادية، لما يؤديه من أدوار فعالة في تحقيق التطور التكنولوجي ومواكبة التقدم والتجديد، فضلاً عن مساهمته في تطوير المعرفة وتنمية الثروة البشرية. ويُقصد بالبحث العلمي ذلك النشاط المنهجي المنظم الهادف إلى اكتشاف الحقائق وإثراء النظريات المرتبطة بالواقع الاجتماعي من خلال توظيف الأدوات والأساليب العلمية بطريقة دقيقة وقابلة للفحص والتحليل، بما يحقق أهدافاً علمية متعددة كالوصف والتفسير والتنبؤ. وفي السياق ذاته، تكتسي الدراسات السابقة أهمية كبيرة في بناء البحث العلمي ودعمه على المستويين النظري والميداني، باعتبارها تمثل قاعدة معرفية ومنهجية تسهم في تحقيق التكامل والتراكم العلمي، وتمكّن الباحث من الاستفادة من الجهود العلمية السابقة، والكشف عن الجوانب التي لم تُدرس بعد، بما يسمح بتقديم إضافة علمية جديدة. وانطلاقاً من أهمية هذا الموضوع، جاءت هذه المداخلة لمعالجة جملة من العناصر

الأساسية المتعلقة بالدراسات السابقة، من خلال التطرق إلى مفومها وأنواعها وأهميتها العلمية والمنهجية، ثم بيان البناء المنهجي لها وكيفية توظيفها في البحث الاجتماعي، مع عرض نموذج تطبيقي لدراسة محلية، إضافة إلى توضيح أسس تقييم الدراسات السابقة وآليات توظيفها، وصولاً إلى خاتمة تتضمن أبرز النتائج والاستنتاجات مدعمة بقائمة للمراجع العلمية المعتمدة.

1- الدراسات السابقة: المفهوم والأهمية

1-1- قراءة في المفهوم :

يعتقد الكثير من الباحثين أن الدراسات السابقة هي تلك الدراسات التي تدخل ضمن التراث النظري أو أدبيات الموضوع من أوجه كثيرة، والمقصود باستعراض هذه الدراسات في البحث العلمي هو تقديم ملخصات لمناهجها ونتائجها أو كتابتها فقط، ودون أية محاولة تقييمية لبعض مناهجها الظاهرة، ودون مناقشة لتلك النتائج أو الربط بينها، وعادة ما تشمل الدراسات السابقة كل المساهمات العلمية التي لها صلة بالموضوع المراد بحثه، وتم تقديمها لدوائر علمية بهدف الحصول على درجة علمية (ماجستير أو دكتوراه) أو على مقابل مادي أو لمجرد المساهمة العلمية (مشاريع بحث...)، "(ابراهيم التهامي، 1999، ص: 103)

- الدراسات السابقة :هي تلك الدراسات التي تحترم القواعد المنهجية في البحث العلمي، وقد يوجد هذا النوع من الدراسات في الجرائد أو في المجلات أو في البحوث أو في الكتب أو في المخطوطات أو في المذكرات أو في الرسائل أو في الأطروحات الجامعية، شريطة أن يكون للدراسة موضوعاً وهدفاً ونتائجاً، وأما إذا وجدت فرضيات البحث، والعينة، والمنهج، والأدوات، فالدراسة تصبح أكثر تفصيلاً ودقة، والدراسة السابقة إما أن تكون مطابقة، ويشترط حينئذٍ اختلاف ميدان الدراسة، أو أن تكون دراسة مشابهة، وفيه يدرس الباحث الجانب الذي يتناول بالدراسة. (رشيد زرواتي، 2002، ص: 91)
- ويرى جاك شيرفبييه : أن الدراسات السابقة يمكن أن تكون مصدرًا يستوحى منه الباحث موضوع بحثه من خلال خمس تساؤلات: (ميلود سفاري، 1999، ص: 36)
- موضوع لا تتوفر حوله معلومات وإن وجدت فهي "قليلة"
- منهجية تم استخدامها في بحث سابق "كشفت" خلال تطبيقها عن نقائص أو أخطاء
- التشكيك في "قابلية تعميم" بعض النتائج على وضعيات أخرى أو أشخاص آخرين.
- حصول نتائج "متضاربة" حول نفس الموضوع.
- وجود نظرية أو جزء من النظرية أو نموذج تابع عن هذه النظرية أو تفسيراً من التفسيرات التي أعطيت لظاهرة لم يتم إخضاعها بعد للفحص الأمبريقي.

وهذا ما يعني أن الدراسات السابقة هي:

- كل الأطروحات والرسائل الجامعية والكتب والمجلات العلمية الهادفة في بلورة المشكلة ذات العلاقة المباشرة بالموضوع الذي بصدد دراسته، وهذه الدراسات إما أن تكون مطابقة أو مشابهة وهي دراسات قائمة على قواعد منهجية منظمة، تقوم بمهام متعددة تحدد الفجوات العلمية وتمد الباحث بالمعرفة العلمية الجديدة.

2- أنواع الدراسات السابقة:

ليس على الباحث أن يقع في حيرة من أمره وهو يخطو أول خطوة في البحث في تحديد المصادر التي يمكن أن يستمد منها مشكلة بحثه فمشكلات البحث قد توجد في أي مكان، وأينما تمعن النظر في العالم المحيط بك، تجده مفعماً بالمشكلات التي يمكن بحثها، ومهما كان مثار اهتمامك مصدر حبك للاستطلاع وأساس طرحك للأسئلة التي لم تجد إجابة لها أو التي لا تزال الإجابة حولها مثار للجدل والمناقشة... ونظرًا لخصوصية هذه المصادر، التي يمكن أن يستمد منها الباحث مشاريع بحثه، سوف نحاول أن نجعلها فيما يلي: (ميلود سفاري، 1999، ص: 31-32)

1. منها ما هو داخلي، نابع من ذات الفرد مثل الخبرات الفردية، والعلمية، التي يتمتع بها الباحث وتجاربه الشخصية.
2. منها ما هو خارجي، يتعلق بمحيط الباحث وقراءاته مثل المناقشات التي يجريها الباحث مع الآخرين، وتبادل الآراء معهم
3. منها ما توفره البحوث والدراسات السابقة التي يطلع عليها والتي يمكن أن يتخذ منها أو من بعض نتائجها مصدرًا لبحوثه

الجدول رقم (01): يبين أنواع الدراسات السابقة والهدف منها

الرقم	أنواع الدراسات السابقة	الهدف منها
01	الدراسات الميدانية	- جمع المادة العلمية من الميدان. - استخدام الملاحظة والتجربة. - مناقشة مناهج الدراسات السابقة. - الفصل بين الجهود الشخصية للباحث وجهود الآخرين. - الفصل بين المادة العلمية والبراهين المعتمد عليها، عن نتائج الدراسات المستخدمة للأسلوب الكمي في المعالجة العلمية للمادة.
02	الدراسات المكتبية.	- جمع المادة العلمية من المكتبة. - صيغة النتائج النهائية لدراسات قام بها آخرون. - جاهزة للتحليل... - تحتاج مصادر مختلفة كالنصوص التاريخية أو التشريعية أو المقدسة (كالقرآن) - جمع وحصر المزيد من الاستنتاجات من زوايا مختلفة لتخدم أغراض أخرى.... - صعوبة مهمة الباحث في الفصل بين جهوده وجهود الآخرين المعتمدة على نفس النصوص بالدراسة.... - لذا على الباحث الاعتماد على الدراسات ذات العلاقة المباشرة بالموضوع....

إعداد الباحثة (بتصرف)

المعطيات الواردة: (إبراهيم التهامي، 1999، ص: 105)

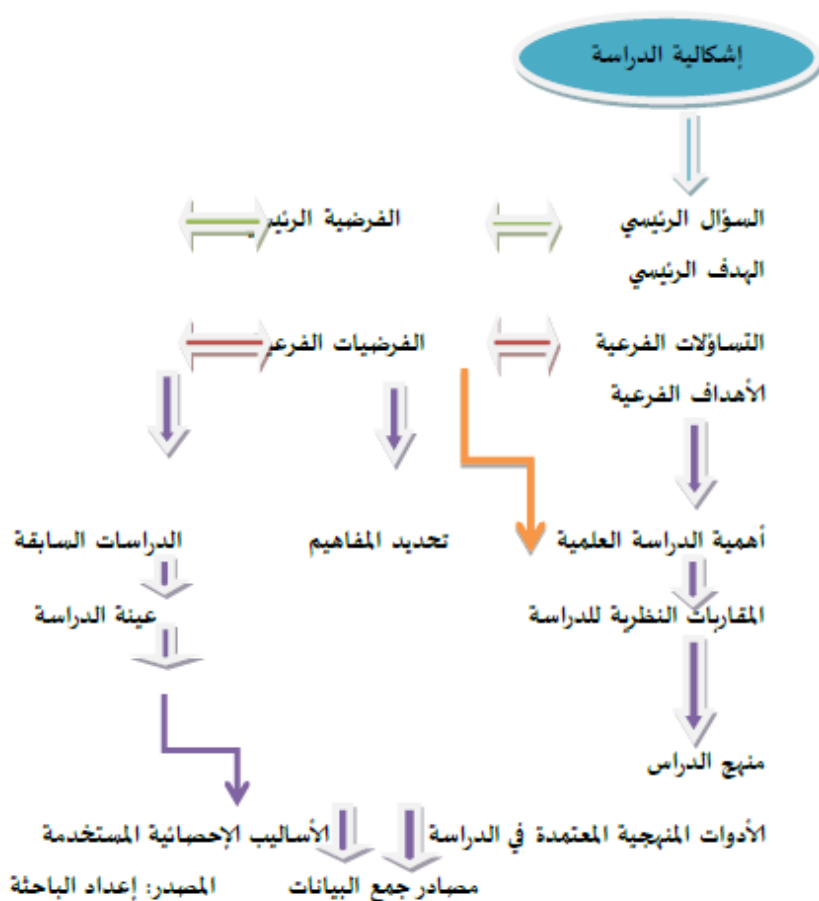
1-3- الأهمية (العلمية - المنهجية) للدراسات السابقة:

الدراسات والأبحاث العلمية هي العصا السحرية للباحث وفقاً للمفهوم العصري، يستخدمها للحصول على جميع ما يستعصي عليه من مطالب، فالأبحاث هي الوسيلة المثالية لتطويع الأفكار من خلال مجموعة من الخطوات الإجرائية للوصول إلى أهداف محددة تساعد على تطوير الحياة في مختلف الميادين ومعالجة أوجه القصور التي تشوب بعض الجوانب العلمية ومن ثم الاستمرار في التجديد والابتكار (صبيح الديلمي وآخرون، 2022، ص: 72) وللدراسات السابقة أهمية تذكر منها فيما يلي: (محمد عبد الفتاح الصبري، 2001، ص: 93)

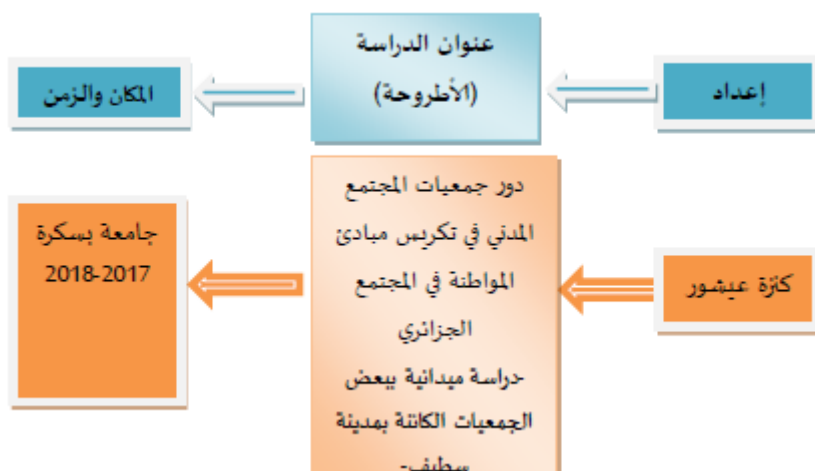
1. إن الإطلاع على الدراسات السابقة يساعد الباحث على الاختيار السليم لبحثه ويجنبه مشكلة "تكرار بحث سابق" كما تمكنه من التأكد أن جميع العوامل التي تؤثر في المشكلة قد تضمنها البحث.
2. يعرف الباحث من خلالها الصعوبات التي وقع فيها الباحثون الآخرون، وما هي الحلول التي توصلوا إليها لمواجهة تلك الصعاب، ومن ثم يتجنب الوقوع في الأخطاء التي وقع فيها الآخرون.
3. تزويد الباحث بالعديد من المراجع والمصادر المتعلقة بموضوع بحثه حيث غالباً ما تحتوي تلك الدراسات على بعض التقارير الهامة أو الوثائق الهامة التي لم يطلع عليها الباحث بعد.
4. تزويد الباحث بالأدوات والإجراءات والاختبارات التي يمكن أن يستفيد منها في إجراءاته لحل مشكلته.
5. إعطاء فرصة واسعة للباحث لإغناء بحثه وبيان أصالته عن طريق الرجوع إلى الأطر النظرية والفروض التي اعتمد عليها الآخرون والنتائج التي أوضحتها دراساتهم وكذلك استعراض أوجه النقص أو الاختلاف في تلك الدراسات.
6. الاستفادة من نتائج الأبحاث والدراسات السابقة في مجالين أساسيين:
أ- بناء فروض البحث اعتماداً على النتائج التي توصل إليها الآخرون.
ب- استكمال الجوانب التي وقفت عندها الدراسات السابقة وبذلك تتكامل وحدة الدراسات والأبحاث العلمية.

2- البناء المنهجي للدراسات السابقة وكيفية توظيفها: (عرض نموذج من الدراسات السابقة في البحث الاجتماعي)

1-2- الشكل رقم 01: يوضح البناء المنهجي لتوظيف للدراسات السابقة



2-2- نموذج تطبيقي مقترح لطريقة توظيف دراسة سابقة بطاقة تعريف حول الدراسة محل التطبيق:



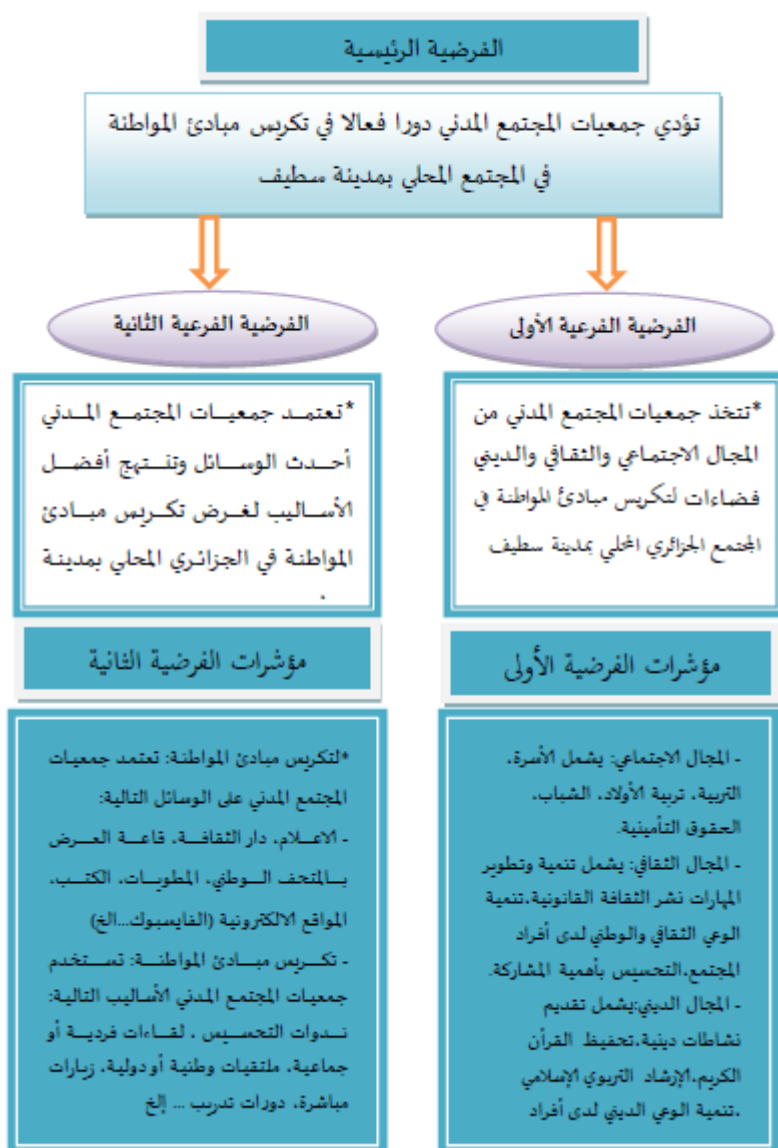
1- إشكالية الدراسة :

الشكل رقم 02: شكل توضيحي لنموذج تساؤلات الدراسة



2- النموذج التطبيقي لاستخراج فرضيات الدراسة ومؤشراتها البحثية

الشكل 03: بين فرضيات الدراسة ومؤشراتها



3- أهمية الدراسة العلمية: جاءت أهمية موضوع دراستنا الحالية فيما يلي:

1-3- الأهمية العلمية على الصعيد النظري (السوسيولوجي):

تكمن أهمية "الدراسة" في كونها تأتي لتبيان مدى الاستفادة من الأصول "النظرية" على اختلاف الرؤى بين المفكرين والفلاسفة وكذا من المنظور الإسلامي.

2-3- الأهمية العلمية على الصعيد العملي (التطبيقي):

يكمن من خلال إبراز وتحديد مدى قيام جمعيات المجتمع المدني من أدوار فعالة في المجتمع على كافة مستويات الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية والاقتصادية...، وهذا بغرض "توخي المعرفة الصحيحة" والشاملة، والعميقة لواقع الممارسة الجمعوية" وتكريسها ومبادئ "المواطنة على اختلاف طابعها وتعدد نشاطاتها في تنمية المجتمع الجزائري عموما، والمجتمع المحلي السطايفي خصوصا وتطويره بشكل عام، وكذا محاولتنا التعرف على طبيعة الوسائل المعتمدة والأساليب "المنتهجة"، للمساهمة في تفعيل العمل الجمعوي على أرض الواقع الاجتماعي المعاش.

4. أهداف الدراسة:

الشكل رقم 04: يبرز الهدف الرئيسي والأهداف الفرعية للدراسة الحالية.



5- تحديد مفاهيم الدراسة الأساسية:

تم تحديد أهم المفاهيم التي لها علاقة مباشرة بموضوع الدراسة الحالية وتبيان

مدلولاتها فيما يلي:

- أ-المجتمع المدني.
- ب-الجمعية.
- ج-المواطنة.

6- المقاربات النظرية للدراسة:

تم الاستناد في إنجاز الدراسة وفي معالجتها لمختلف جوانب وأبعاد الموضوع بالتحليل والتفسير على الأصول النظرية الآتية، نذكر منها:

6-1- المواطنة من المنظور الإسلامي.

6-2- البنائية الوظيفية.

6-3- العقد الاجتماعي.

7- الدراسات السابقة: "تقييم وتوظيف"

تم الاعتماد في نموذج دراستنا هذه على مجموعة من الدراسات السابقة وفق النموذج المقترح في هذه الدراسة ، وتم تصنيفها على النحو التالي:

7-1- الدراسات المحلية

- الدراسة الاولى: إعداد: منير مباركيه، مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية والمعاصر حالة المواطنة في الجزائر، الجزائر/فرنسا، دراسة منشورة، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1، 2011/2012.

- الدراسة الثانية: إعداد: فتيحة اوهابيه، دور الإتصال الجمعي في ترسيخ قيم المواطنة في ظل الحاكمية_رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم: علوم الإعلام جامعة باجي مختار عنابة، 2007/2008.

- الدراسة الثالثة: إعداد: صونية العيدي، واقع الممارسة المواطنة في ظل الإصلاح السياسي الحاصل في الجزائر_دراسة ميدانية لبعض ولايات الشرق الجزائري بسكرة، باتنة وسكيكدة، اطروحة دكتوراه مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم: علم الاجتماع تخصص: علم الاجتماع السياسي، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2013/2014.

- الدراسة الرابعة: إعداد: شاوش خوان جهيدة، واقع المجتمع المدني في الجزائر_دراسة ميدانية لجمعيات مدينة بسكرة نموذجا، اطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في علم الاجتماع، تخصص: التنمية.

- الدراسة الخامسة: إعداد: ليندة لطاد بن محرز، المجتمع المدني ودوره في بناء التحولات السياسية _دراسة تطبيقية_الجزائر_نموذجا، دار الكتاب الحديث، ط1، القاهرة

7-2- الدراسات العربية:

- الدراسة الاولى: إعداد: محمد عارف الشهوان، المنظمات غير الحكومية _قضية العنف السياسي (حالة الأردن 1989/2000)، 2015/1014.

- الدراسة الثانية: إعداد: يحيى بن محمد بن احمد الكمالي، دور مؤسسات المجتمع المدني في دعم المشاركة المجتمعية لتنمية المجتمعات المحلية بسلطنة عمان _دراسة ميدانية في محافظة مسقط_رسالة مقدمة للحصول على الدكتوراه في علم الاجتماع ، كلية الدراسات العليا، قسم: علم الاجتماع، جامعة عين شمس، 2017.

- الدراسة الثالثة: إعداد: فاطمة أبو الحديد، دور المجتمع المدني في مواجهة الفقر في المناطق العشوائية - دراسة ميدانية في القاهرة الكبرى، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2012.
- الدراسة الرابعة: إعداد: صفاء على رفاعي، المجتمع المدني و مستقبل التنمية (الجمعيات الأهلية نموذجاً)، دار الوفاء، ط1، الاسكندرية، 2013.
- الدراسة الخامسة: إعداد: أحمد شكر الصبيحي، مستقبل المجتمع الاردني في الوطن العربي، اطروحة دكتوراه منشورة ضمن سلسلة اطروحات الدكتوراه 37 مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008.

7-3- الدراسات الأجنبية:

- الدراسة الاولى: إعداد: جيلي ديمون، المواطنة الإدارية، جامعة بونتيون ازاز، باريس 2، 2002.
- الدراسة الثانية: إعداد: Emre Toruse، تحليلًا عن مساهمة المجتمع المدني في ترسيخ الديمقراطية في تركيا، جامعة انقرة، تركيا، 2007.

8- بيئة الدراسة: نوعها وكيفية اختيارها

8-1- نوع العينة المعتمدة في الدراسة: هي عينة قصدية (العمدية)، ويرجع اختيار الباحثة

لطبيعة هذه العينة لسببين رئيسيين هما:

- كان اختيار الجمعيات التي "تهدف" في برامجها نشر "ثقافة المواطنة" التي تمارس نشاطاتها بصفة "مستمرة"، وتحسب على "الجمعيات الحية" والناشطة في مدينة سطيف.
- اختيار الجمعيات على أساس "قديمة" نسبياً وحديثة النشأة.

8-2- العينة وكيفية اختيارها

يتمثل حجم المجتمع الأصلي بـ 283 جمعية على مستوى مدينة سطيف من هذا المنطلق فإن اختيار عينة هذه الدراسة كان وفق مرحلتين هما:

- المرحلة الأولى: اختيار عينة هذه الدراسة عدد من الجمعيات من المجتمع الأصلي، وقد اعتمدنا نسبة 07% كنسبة "اختيار لعينة من الجمعيات" المتواجدة عبر إقليم مدينة سطيف وكانت العملية الحسابية كالآتي:

$$19.81 = 100 / 7.283 \text{ ما يقارب } 20 \text{ جمعية.}$$

أي أننا اخترنا 20 جمعية كعينة "تمثيلية" لمجتمع البحث لهذه الدراسة سنقوم باختيار نسبة "تمثيلية لمفردات" هذه العينة بحيث أننا قمنا باختيار نسبة" على أساس أن كل جمعية من 20 جمعية المختارة بها 10 أعضاء يمثلون مكتب الجمعية، ومنه تكون العملية الحسابية على النحو الآتي:

- 20 جمعية بها 10 أعضاء ما يساوي 200 عضو

$$200 \text{ --- } 100\%$$

$$135 \text{ --- } X$$

$$100 = 135 / 200 * 67.5\%$$

وبما أن الدراسة الميدانية تتعلق بالجمعيات فإن الباحثة قصدت رؤساء وأعضاء الجمعيات الكائنة بمدينة سطيف حيث كانت نسبة تمثل بـ 67.5% أي ما يعادل 135 مبحوث في الجمعيات المختارة إذ قُدر عددهم الكلي 200 مبحوث.

9- منهج الدراسة:

المنهج المعتمد في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي الذي تم تطبيقه وفقاً للمراحل

التالية:

1-9- المرحلة الأولى: الاستطلاعية.

2-9- المرحلة الثانية: مرحلة الوصف.

3-9- المرحلة الثالثة: مرحلة النزول إلى الميدان (الإمبيريقية).

10- الأدوات المنهجية المعتمدة في الدراسة:

اعتمدنا في دراستنا على الأدوات الآتية:

- أ- أداة "الملاحظة": "الملاحظة البسيطة".
- ب- أداة "المقابلة": "المقابلة المقننة"، وقد تم إجراء المقابلة مع الفئات الآتية:
 - ✓ مدير الثقافة والشؤون الاجتماعية.
 - ✓ مدير التنظيم والشؤون القانونية.
 - ✓ مسؤول عن النشاطات الثقافية تابع لمديرية "الثقافة والشؤون الاجتماعية".
 - ✓ مسؤول مكلف بالجمعيات.
 - ✓ مديرية "النشاط الاجتماعي والتضامن".
 - ✓ مسؤول مكتب التضامن والحركة الجمعوية.
- ج- أداة الاستمارة: وقد "تضمنت استمارة" هذه الدراسة (30) سؤالاً موجهة للمبحوثين تنوعت بين أسئلة مغلقة وأسئلة مفتوحة وأسئلة "نصف مفتوحة" حيث اشتملت استمارة بحثنا على (03) محاور أساسية، يتضمن كل محور مجموعة من الأسئلة وهي:
 - ✓ المحور الأول: يمثل البيانات الشخصية يضم من السؤال رقم (01) : إلى غاية السؤال رقم (08) :
 - ✓ المحور الثاني: يمثل بيانات "تتعلق بالفرضية الأولى" حيث يضم أسئلة من السؤال رقم (09) : إلى غاية السؤال رقم (21) :
 - ✓ المحور الثالث: يمثل بيانات تتعلق بالفرضية الثانية حيث يضم أسئلة من السؤال رقم (22) : إلى غاية السؤال رقم (30) :

11- الأساليب الإحصائية المستخدمة في الدراسة:

- أ- جداول التكرارات الإحصائية والنسب المئوية: باستخدام الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS.

• ب- أسلوب التحليل الكمي الكيفي والتفسير لنتائج الدراسة.

12- مصادر جمع البيانات: من خلال:

- الحصول على معلومات نظرية وواقعية عن الظاهرة المدروسة.

- المعلومات التي قدّمها المسؤولين بالهيئات المشرفة على الحركة الجمعوية في مدينة سطيف.
- عينة من أفراد مجتمع الدراسة خلال فترة إنجاز البحث، وذلك باستخدام الأدوات الأساسية التالية: الملاحظة، المقابلة، الاستمارة.

13-النتائج العامة:

من خلال المعطيات والبيانات المتحصل عليها من الواقع الإمبريقي لهذه الدراسة الهادفة إلى التعرف على جهود جمعيات المجتمع المدني فيما يتعلق "بتكريس مبادئ المواطنة" في المجتمع الجزائري المحلي - بمدينة سطيف - والكشف عن دور الجمعيات من حيث المجالات الناشطة لها لضمان نجاحها، ومن حيث الوسائل المعتمدة والأساليب "المنتهجة"، ومن خلال المعالجة السوسيو-كمية وكيفية للبيانات الميدانية تمّ الوقوف على ما توصلت إليه الدراسة كالآتي:

1- أن دوافع التأسيس أو العضوية في مجال العمل الجمعوي مثلها الدوافع الإنسانية، بدرجة أولى، مما يفسّر لنا الرغبة والبحث في العمل الاجتماعي الخيري وخدمة المجتمع العام حسب أغلب التصريحات.

2- أن توسيع دائرة المشاركة المجتمعية يعد ضرورة تتطلبها مبادئ المواطنة، حيث تكمن وتبرز أهمية المشاركة في جمعيات المجتمع المدني من خلال كثرة وارتفاع عدد الجمعيات، وكذلك أهمية التكامل والتنسيق والتعاون فيما بينها وبين الجهات الإدارية المعنية.

3- الاتجاه نحو تكريس مبادئ المواطنة من خلال استثمار فضاءات سوسيولوجية محلية محددة لمجال العمل الاجتماعي والثقافي والديني.

4- الاستناد في أداء رسالة العمل الجمعوي، والإعتماد على الوسائل التكنولوجية المتطورة.

5- أن أغلب الجمعيات محل الدراسة إنما يسعفهم دعم عروض بطاقات "الهوية" كإثبات "هوية" هو الاشتراك في مواقعهم لكونها الأسهل في إيصال المعلومات ونشر المعارف وتعزيز التواصل.

6- أن أغلب الجمعيات، محل الدراسة تستقبل وتستفيد من تعاون فئات اجتماعية مختلفة كفضة الباحثين الجامعيين بوصفهم مثقفين ويحيطون بمكانة "مقبولة" في المجتمع.

7- نقص التمويل الحكومي والميزانية غير كافية.

وفي ضوء هذه النتائج، تسجّل الدراسة الحالية النتيجة النهائية فيما يأتي:

✓ تحقق الفرضية الأولى بنسبة "معتبرة".

✓ إخفاق الفرضية الثانية.

ما يعني أن:

لجمعيات المجتمع المدني دورا معتبرا نسبيا في تكريس وترسيخ مبادئ المواطنة في المجتمع الجزائري المحلي بمدينة سطيف، من حيث جهود التعريف والتوعية لدى المواطنين بكافة الحقوق، ومحاولة ادماجهم في المجالات الاجتماعية، الثقافية الدينية، غير أن استجابة أفراد المجتمع المحلي السطايفي لهذه الجمعيات يتوقف من حيث حملة الأدوار الفعلية المجسدة في الفعل الجمعوي، على درجة تنسيق وتكامل الجهود والأنشطة والخدمات المتعددة والوسائل والأساليب المعتمدة لتحقيق المنفعة العامة.

3-2- تقييم وتوظيف الدراسات السابقة:

إن تقييم وتوظيف الدراسات السابقة سواء كانت (محلية، عربية، أجنبية): (مشابهة أو مطابقة) تتطلب ما يلي:

أ- من حيث التقييم: تبين ما يلي:

- ✓ أوجه الاختلاف.
- ✓ البناء المعرفي العلمي.
- ✓ البناء المنهجي.
- ✓ المراجع المعتمدة.
- ✓ الميزة والكفاءة العلمية.

ب- من حيث التوظيف: تبين ما يلي:

- ✓ أوجه التشابه.
- ✓ الاستفادة والإثراء النظري والميداني.

خاتمة:

يعد الإسناد على الدراسات السابقة ركيزة أساسية في دعم وبناء إشكالية البحث المطروحة وتحديد أبعادها وفق مخطط منهجي معتمد لتبيان القيمة العلمية (النظرية/ والميدانية)، وهذا متوقف على المهام المتعددة لها نذكرها كالآتي:

- ✓ تعتبر المرجع العلمي السابق لإطلاع الباحث وإعطاءه تصورات أولية حول الموضوع المراد دراسته سواء مطابقة أو مشابهة للموضوع.
- ✓ تعتبر اختصار للوقت والجهد المبذول في توفير وفهم المعطيات الأولية.
- ✓ تساعد الباحث على طرح التساؤلات وضبطها بشكل علمي دقيق.
- ✓ تفادي التكرار لنفس الأخطاء المرتكبة من تجارب الآخرين.
- ✓ إعطاء منهجية سليمة ومنظمة من حيث:
- البناء المعرفي (التصور النظري) للموضوع وظبطه.
- البناء المنهجي الميداني:
- الإجراءات المنهجية للدراسة.
- المعالجة الإحصائية للدراسة.
- ✓ تعتبر مصدرا موثوقا للمعرفة العلمية المبنية على:
- الأطروحات والرسائل الجامعية.
- المقالات الصادرة عن المجلات العلمية المحكمة والمصنفة.
- الكتب العلمية الصادرة عن دور النشر.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم التهامي (1999): الدراسات السابقة في البحث الاجتماعي، سلسلة العلوم الاجتماعية، أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة.
2. رشيد زرواتي (2002): تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، دار هومة، ط1، الجزائر.
3. ميلود سفاري (1999): البحث الاجتماعي ضوابط واحترازا، سلسلة العلوم الاجتماعية، أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة.
4. صبيح الدليهي وآخرون (2022): منهج البحث العلمي أسس - مفاهيم - منهجية، دار أمجد، ط1، عمان.
5. محمد عبد الفتاح الصيرفي (2001): البحث العلمي الدليل التطبيقي للباحثين، دار وائل، ط1، عمان.
6. كنزة عيشور (2017): دور جمعيات المجتمع المدني في تكريس مبادئ المواطنة في المجتمع الجزائري - دراسة ميدانية ببعض الجمعيات الكائنة بمدينة سطيف - أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع، تخصص علم اجتماع الاتصال والعلاقات العامة، إشراف: مالك شعباني، جامعة محمد خيضر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، بسكرة.

تفعيل المقاربة النظرية في بناء الموضوع العلمي

أ.د. الطيب سير

مخبر الدراسات حول العنف والصدمات في المجتمع الجزائري

جامعة مساعدية الشريف سوق أهراس- الجزائر

tayeb.sid@univ-soukahras.dz

الملخص:

تعالج الورقة البحثية مسألة توظيف المقاربة النظرية في بناء البحث العلمي ضمن ميدان العلوم الاجتماعية والإنسانية، مع التأكيد على أن البحث العلمي لا يقتصر على امتلاك المعارف النظرية فقط، بل يتطلب القدرة على توظيفها بطريقة منهجية لفهم الظواهر الاجتماعية وتحليلها. ويبرز الكاتب أهمية التكامل بين النظرية والمنهج البحثية، إذ تمنح النظرية الإطار المفاهيمي لتفسير الظواهر، بينما توفر المنهج الأدوات والإجراءات اللازمة لجمع البيانات وتحليلها ميدانياً.

كما يوضح النص أن تطور الفكر السوسيولوجي أدى إلى تنوع المقاربات النظرية، مثل المقاربة الوضعية والتأويلية والبنائية والنقدية، وهو ما ساهم في توسيع مجالات البحث العلمي وتطوير أدواته المنهجية. ويركز الكاتب على أهمية بناء مدخل نظري متماسك ينطلق من تحديد الإشكالية وصياغة الأسئلة والفرضيات، ثم الانتقال إلى تحديد المفاهيم والأبعاد والمؤشرات القابلة للدراسة والقياس.

ويتناول المقال الفرق بين النظرية والمقاربة النظرية، حيث تُعد النظرية إطاراً عاماً لتفسير الواقع، في حين تمثل المقاربة طريقة مرنة لتوظيف عناصر نظرية متعددة بما يتناسب مع طبيعة الموضوع المدروس. كما يبرز العلاقة بين المقاربة النظرية والمقاربة المنهجية باعتبارهما عنصرين متكاملين في إنجاز البحث العلمي.

وتعرض الورقة مجموعة من الاتجاهات السوسيولوجية الكبرى، مثل المشكلات الاجتماعية والفينومينولوجيا والبنائية الماركسية والإثنوميثودولوجيا، مع بيان كيفية تطبيقها في المجال التربوي لفهم قضايا التنشئة الاجتماعية والصراع والهيمنة داخل المدرسة والمجتمع.

الكلمات المفتاحية: المقاربة النظرية؛ البحث العلمي؛ العلوم الاجتماعية؛ المنهجية البحثية؛ النظريات السوسيولوجية.

Abstract

The research paper addresses the issue of employing the theoretical approach in the construction of scientific research within the fields of social and human sciences. It emphasizes that scientific research is not limited to possessing theoretical knowledge alone, but also requires the ability to apply this knowledge methodically in order to understand and analyze social phenomena. The author highlights the complementary relationship between theory and research methodology, where theory provides the conceptual framework for interpreting phenomena, while methodologies offer the tools and procedures necessary for collecting and analyzing field data.

The paper also explains that the development of sociological thought has led to the emergence of diverse theoretical approaches, such as the positivist, interpretive, structural, and critical approaches. This diversity has contributed to expanding the scope of scientific research and improving its methodological tools. The author stresses the importance of constructing a coherent theoretical framework that begins with defining the research problem and formulating questions and hypotheses, followed by identifying concepts, dimensions, and indicators that can be studied and measured.

In addition, the article clarifies the distinction between theory and theoretical approach. Theory is presented as a general framework for explaining reality, whereas the theoretical approach represents a flexible method of employing elements from multiple theories according to the nature of the studied topic. The paper further highlights the relationship between the theoretical and methodological approaches as two complementary components in conducting scientific research.

Finally, the paper reviews several major sociological trends, including social formalism, phenomenology, Marxist structuralism, and ethnomethodology, while demonstrating their applications in the educational field to understand issues of socialization, conflict, and domination within schools and society.

KeyWord: Theoretical Approach; Scientific Research; Social Sciences; Research Methodology; Sociological Theories

مقدمة

يكاد يكون التكوين الجامعي برمته، مسخرا لتحقيق هدف جوهري في بناء الشخصية الأكاديمية للطلاب والباحثين وهو تعلم مقارنة مواضيع الدراسات والبحوث بتوظيف المحصول النظري المتحصل عليه تراكميا خلال فترات التكوين، الممتدة من السنة الأولى الى سنوات التخرج لفهم وتفسير مواضيع البحوث باختلاف توجهاتها.

يشمل توظيف المقاربة مهارات متنوعة تجمع بين ثلاث أركان أساسية للشخصية الباحثة وهي الحس العلمي التمكّن النظري والمقدرة المنهجية.

تظهر في مجال العلوم الاجتماعية، والانسانية أهمية العلم بأسس ومبادئ بناء المقاربة النظرية وتطبيقاتها البحثية وهي المهارة الصعبة التي نلمس فيها كأستاذة عجزا واضحا في بحوث التخرج الخاصة بالطلاب في مراحل الماجستير والدكتوراه.

لذلك جاءت فكرة هذه المداخلة لنسائل أنفسنا كأستاذة ولنلقي الانشغال لدى الطلاب ما فائدة سنوات التكوين إن لم تتوج بمعرفة شاملة بالمقاربة النظرية وتوظيفها الواعي؟، وهنا وجب التفريق بين المقاربة النظرية والنظرية، ذلك علينا التنويه، أن علما بالنظرية لا يسمح ببناء المقاربة شرطا، على أساس أن هذه الأخيرة هي تجميع منهجي ومعرفي وأسلوب للتركيب الواعي وحوار متواصل بين المقولات والمفاهيم التجريدية والخصوصيات الامبريقية للواقع المدروس.

من هذا المنطلق، كان لابد ان نثير معا مجموعة من المواضيع ، وهي التي تتيح لنا الالمام بأهم تفرعات قضية المقاربة النظرية من زوايا متناسقة (معرفية، منهجية وتقنية)، لنتيح الفرصة لتجميع الخبرات وتبادل التجارب والآراء بين الأساتذة، للخروج بتصور عملي نشغل عليه سويا كفرق للتكوين الجامعي، بدءا من بيداغوجية التكوين حول المقاربة انتهاءً برسم أدبيات مشتركة لتوظيفها في بحوث تخرج الطلاب.

أولا، أبستمولوجيا تعيين المقاربة السوسيولوجية والمناهج البحثية

تعد النظرية السوسيولوجية والمناهج البحثية ركيزتين متكاملتين في علم الاجتماع، حيث توفر النظرية الإطار المفاهيمي والفرضيات لتفسير الظواهر الاجتماعية، بينما توفر المناهج (الكمية

والكيفية) الأدوات الإجرائية (الملاحظة، المقابلة، المسح) لجمع البيانات وتحليلها. يُعد ربط النظرية بالميدان عبر منهجية دقيقة أمراً حيوياً لصدق نتائج البحث وفهم الواقع الاجتماعي بعمق. يعتقد سيرج بوغام أن تعريف علم الاجتماع وجب أن لا يفصل بين موضوعه وكيفية ممارسته (سيرج بوغام، 2012، ص 10) ونحن نضيف، أنه يفترض أن يكون هذا الجمع بين الموضوع السوسيولوجي وممارسة علم الاجتماع، قائماً على الخيارات المنهجية البحثية ضمن نطاق تموضع ابستمولوجي، يجمع جمهور من علماء الاجتماع. لذلك فالممارسة السوسيولوجية تختلف من حيث اختلاف النظرية السوسيولوجية وأجراءاتها المنهجية التي تشمل بنية الموضوع، صيغة الموضوعية المعرفية وكذا أسلوب التحليل والتقنيات المستخدمة في تأويل أو التفسير النتائج. على الرغم من أن أميل دوركايم قد خط العناوين الكبرى للنظرية السوسيولوجية في علاقتها بالمناهج البحثية في نطاق وضعي، أسسه من خلال دراسته الرائدة للانتحار، فإن تعدد المقاربات اليوم قد فتح مجالات بحثية جديدة مما استوجب على جيل السوسيولوجيون الذين أتوا بعد دوركايم، أن يخوضوا تجاربهم النظرية الجديدة نسبياً على ميادين لم تكن موجودة. مما يحتم عليهم أيضاً ضرورة استحداث مناهج بحثية جديدة تواكب مستوى التحليل النظري، مع وجوب الحفاظ على التماسك المعرفي بين النظرية السوسيولوجية ومناهجها البحثية. كان مارسيل موس أول من خاض المشوار الأول لتحريك العلاقة الجدلية بين النظرية السوسيولوجية والمناهج البحثية، بعد أن توفي دوركايم وشردت الحرب العالمية 1914-1918 أغلب أتباعه فكان ما يميز موس عن غيره، أنه أعاد التفكير في العلاقة الإشكالية بين النظرية السوسيولوجية والمناهج البحثية، متخذاً مسافة نقدية تجاه هذه العلاقة وبطبيعة الحال كان الانطلاق في تحليل كفايات الربط بين النظرية السوسيولوجية ومناهج البحث، مرتكزاً على كتاب قواعد المنهج السوسيولوجي لصاحبه دوركايم، إذ أنه يظل مؤلفه التأسيسي العملي للسوسيولوجيا.

يعود مارسيل موس إلى الموضوع السوسيولوجي الذي لم يعره دوركايم اهتماماً في بداية التأسيس لعلم الاجتماع وهو دور الدين والمقدس في توطيد الرابط الاجتماعي، فكان الانطلاق من حيث انتهى دوركايم في آخر تنظيراته للحياة الاجتماعية الواقعة تحت عنوان الأشكال الأولية للحياة الدينية، غير أن المسار المنهجي البحثي كان مخالفاً للمؤسس دوركايم، حيث كان البعد الرمزي ومجال التمثيلات الجماعية للمقدس ودوره في تشكيل التوافق الجمعي بمعنى آخر كيف يخلق الناس الآلهة المشتركة وأساطيرهم وأفكارهم الدينية من أجل العيش معاً؟ (Jean-Pierre Durand ; Robert Weil, 2026, p87) حاضراً بقوة في ملامح سوسيولوجية لم تكن لغة سائدة أيام سيادة المنظور الدوركايمي.

كانت النقلة السوسيولوجية المصحوبة بتغيير الموقف المنهجي البحثي المرافقة لهذا التحول، الذي انفرد به موس تؤسس لإرساء البعد الرمزي والتفاصيل الأنثروبولوجية لفهم المجتمع. حيث اجتمعت العملية برمتها في بحثه الشهير حول موضوع الهبة سنة 1925 والذي كان بحثاً متكاملاً لدراسة أصل النقود في المجتمع حيث أصبح لاحقاً مصدراً للإلهام العديد من العلماء وعلى رأسهم عالم الاقتصاد كينز وبذلك يكون مارسيل موس قد أسس لإرساء العلاقة بين علم الاجتماع

والمنهج الأنثروبولوجي، حيث يمكن الإشارة هنا الى قضية جوهرية رافقت نشأة النظرية السوسيولوجية وهي ظاهرة التبادل في المجتمع وإن كانت في ظاهرها مادية إلا أنها في مضمونها تؤسس لبنية المجتمع الحديث في تفصيلاته السوسيولوجية المتشكلة بعد سنين الحرب العالمية الأولى.

إن موس قد أدخل من خلال إعادة تشكيل النظرية السوسيولوجية -على أساس ظاهرة التبادل في المجتمع- المناهج الأنثروبولوجية القائمة على التحقيقات وكذا على المقارنة بين مختلف أشكال الهبة في المجتمعات المتباينة ثقافيا. مستحدثا بذلك أهم مقولاته المنهجية وهي أن الظواهر يجب تناولها في سياقها الاجتماعي وادراكها كما هي في نطاقها الحي. وعليه فإن منهج المقارنة بالنسبة لمارسيل موس يحتم الوصل بين علم الاجتماع والروابط الاجتماعية وبين الثقافة والأنثروبولوجيا. (Jean-Pierre Durand ; Robert Weil, 2026, p88)

إن التزاوج المستمر بين النظرية السوسيولوجية والمنهج كان هو المحك الأساسي للأبستمولوجيا من خلال دفن الصراع بين النظرية والامبريقية، حيث الاعتراف بالسوسيولوجيا إنما هو نابع من عملية بناء المناهج وتحقيق النتائج خصوصا أمام مطالبتها بتحقيق حد كافي من العالمية والإجماع لدى المجتمع العلمي، كما أن التحدي الأكبر للسوسيولوجيا في هذا الإطار هو الابتعاد عن الخصائص الشخصية ومؤسسات الانتماء. (Sous la direction de Michel Wieviorka, 2007, 138)

تقودنا الأبستمولوجيا لتتبع المعرفة الأكثر تماسكا في السياق الزماني والمكاني والثقافي على اساس بنية تطور المعرفة واستحداث المعلومات. كما تساعدنا على تطوير وتحديث موقفنا المنهجي من المعرفة وبالأخص رسم علاقة بيننا وبين موضوع البحث.

المقاربات المقصودة هنا وفق ترتيبها الزمني: وضعية- تأويلية- بنائية- نقدية واهم ما يقال هنا ان الوعي الابستمولوجي يساعد على فهم افتراضات العلم فهما صحيحا وبالتالي يساعد على حسن اختيار المناهج المناسبة وفي الاخيرة تسمح بترشيد المناقشة بالعلم وليس المزاج. ثانيا، النظرية السوسيولوجية وبناء مدخل نظري

تكشف عملية بناء مدخل نظري على أهمية حصول تصور واضح لدى المشتغل بالموضوع السوسيولوجي واكتساب المقدرة على خلق مساحات نظرية كثيرة ومتنوعة لتحليل الواقع الاجتماعي، مما ينتج لديهم القدرة على التحري وجمع البيانات فيمكنهم ذلك من ادراج تلك البيانات، ضمن نسق معرفي منسجم، حيث يشكل هذا المطلب بمثابة المطلب الاشكالي المتعلق بالنظرية السوسيولوجية وهو مدى الانسجام بين المقولات النظرية المتنوعة وبين الوقائع الميدانية الغاية في التركيب والتعقيد، من خلال رسم المدخل المناسب لذلك. فالمدخل النظري هو تركيب نظري ومنهجي في آن واحد وهو حلقة الوصل بين التصور والموضوع لذلك فإنه يشكل معيارا أساسيا في تكوين الفكر السوسيولوجي ابتداء من المؤسسين الى المحدثين وصولا الى الباحثين.

تتنوع النظرية السوسيولوجية في مسلماتها وفروضها ومفاهيمها وقد تتجاوز وتتقارب بعضها عن طريق التتمة والتأليف كما قد تتباعد بعضها، الى درجة التناقض في الطرح. فعلماء

السوسيولوجيا يتخذون مواقف مختلفة من الواقع الاجتماعي كل حسب خلفيته الفلسفية وبيئته الاجتماعية ومناخه الفكري والأيدولوجي.

لقد اتضحت المسالك النظرية الكبرى بدءاً من المؤسسين وعلى رأسهم دوركايم إذ كانت السوسيولوجيا بالنسبة إليه تركز على تحديد الموضوع السوسيولوجي والحرص على أن يكون وظيفياً، حيث يكون الوجه الاجرائي للموضوع مجسداً في المؤسسة كوجود مستقل عن الوعي وهو ما يندرج تحت عنوان التحديد الوضعي للنظرية السوسيولوجية من منطلق أن الفرد يعيش محكوماً بالضبط الاجتماعي وهو ليس بمعنى القهر الاجتماعي حيث يتخلل الشخصية من خلال التطبيع الاجتماعي وهو أقل عرضة للاعتراض الاجتماعي (جينيفر ، 2013 ص 130) ولذلك فبالنسبة لدوركايم كان رهانه الأساسي فصل الوعي عن الموضوع "حيث يدرك أن الواقع على اعتبار أنه علائقي، ويدرك العلاقات بوصفها واقعية ويفهم الواقع علائقياً على أنه جلياً" (جينيفر ، 2013 ص 207) إذاً رجعنا إلى ماكس فيبر فسنجد أنه يرى أن جوهر المجتمع يكمن في بناء الفعل الاجتماعي ولذلك توجه إلى مقولة الفهم إلى هذا الفعل وطبعاً من خلال ربطه بالخيارات الفردية وعلى أساس ذلك يصفى أرقى الأفعال وأقدرها على صناعة واقع موضوعي ينسجم عليه المجتمع ويسلك به إلى طريق النمو والاستقرار، على غرار الطرح الوظيفي الذي ارتأه دوركايم سبيلاً لتحقيق تقدم المجتمعات. وعكس كل ذلك فماركس يتصور أن المجتمعات هي في حالة مسار خطي نحو الفناء المستمر للأنظمة على قاعدة المادة والاقتصاد وفق مبدأ الجدلية التاريخية والتي تؤسس لمقولة الصراع كأساس التفاعل الاجتماعي وبناء المجتمعات مبرزا أن النظام الرأسمالي كغيره من الأنظمة يحمل بذور فناءه في جدلية حتمية تقرر بأن الوعي الاجتماعي يتحدد بشكل تصاعدي على قدر تحقق الوعي بالاستغلال ومنه تنشأ الثورة وتغير شكل المجتمع برمته.

بملاحظة هذه النماذج النظرية الكبرى سنجد أنها تخبرنا عن الواقع من زوايا مختلفة سواء معرفية أو أيديولوجية أو حتى سياسية وسيكون أمام الباحث السوسيولوجي الراغب في فهم الواقع الاجتماعي وتفسيره الأخذ بإحدى تلك النظريات أو بأكثر من واحدة ليشكل إطاراً عاماً لتحليل المجتمع.

لعل أهم ما يجب التطرق إليه لتوضيح العلاقة النمطية بين النظرية السوسيولوجية والإطار النظرية هو أولاً تحديد المرتكز السوسيولوجي الناظم للنظرية السوسيولوجية بمعناها الواسع وعلى اختلاف منطلقها وفرضياتها. حيث تجمع كافة المصادر أن مقولة الاندماج والتكيف الاجتماعي هي الأسس النظري الفارق بين كافة النظريات الاجتماعية.

ويمكن إشكالية الاندماج في ثلاث مستويات: هل يعزى إلى التحديد الفردي أم الجمعي؟ وهل هو واقعي أم مزيف؟ وهل ينشأ على التخالف أم عن التشابه؟

ثالثاً، بين النظرية والمقاربة.

النظرية هي مبادئ وإطار شامل يتميز بالثبات وتقديم تفسيرات عامة متوصل إليها ببحوث كبيرة وعميقة. وتعرف على أنه " مجموعة من المصطلحات والتعريفات والافتراضات لها علاقة ببعضها البعض والتي تقترح رؤية منظمة للظاهرة وذلك بهدف عرضها والتنبؤ بمظاهرها." (موريس انجرس

، 2004، ص 54) وهي تتميز بالصيغة الاستنباطية والتجريدية التي تصف الواقع بطريقة منظمة وواضحة وقد تشوبها الصعوبة والتعقيد، إلا أن ذلك سرعان ما يتبدد إذا أدرك الباحث أن النظرية هي شبكة مفاهيم تحدد أبعاد الواقع وتحلله على نحو كلي وفق رؤية مرجعية وظيفية أو ماركسية أو بنيوية.

أما المقاربة هي نظرية مصاغة بقالب منهجي يصنعه الباحث بما يتماشى مع دراسته والمقاربة النظرية تتميز بالمرونة وقد تستغل معلومات من أكثر من نظرية وكذلك تقتصر على جوانب محددة من الموضوع فهي ليست شاملة كالنظرية. وهي حلقة أساسية بين النظرية الواقع. فتتخذ المقاربة على حسب التوجه للواقع منهجيا وبحسب أهداف البحث العلمي عدة أشكال ففي إما مقارنة بحث وصفي يقوم على استعراض منظم لعناصر الظاهرة بكل تفصيلاته النظرية والتطبيقية، ومقاربة للبحث التصنيفي إذ تقوم على جمع وترتيب عدة ظواهر وفقا لمقياس أو أكثر كما تتخذ المقاربة الطابع التفسيري عندما يتوجه البحث الى اقامة علاقة بين الظواهر وفي مقابل ذلك هناك المقاربات التي تتوجه للواقع بغرض الادراك والفهم للمعاني التي يعطيها الأفراد لتصرفاتهم. (موريس انجرس ، 2004، ص 78)

رابعا، بين المقاربة النظرية والمقاربة المنهجية.

هما وجهين لعملة واحدة ولكن لكل وجه وظيفته في البحث.

تجهز المقاربة النظرية المفاهيم المجردة اللازمة والمقاربة المنهجية تبحث عن تجسيدها الميداني وتظهر التركيبية في باب الاشكالية كخط موجه للواقع والفرضية كتجسيد للعلاقة بين التجريد والمعاينة الواقعية للموضوع.

فالمقاربة النظرية تقوم بانتقاء الواقع وتشكيله تجريديا كبصمة خاصة بالباحث في بحثه والمقاربة المنهجية تستمد مشروعيتها من هذا البناء كما تعيد تدعيم المقاربة النظرية وضبطها أكثر بما توظفه من أدوات جمع البيانات والمهارة في تنويعها واستخراج المخفي منها، وهذا يكتب في النتائج العامة للدراسة. ومن وظائف المقاربة النظرية ابراز المفاهيم التحليلية وتحديد المقولات التأسيسية التي تدخل في علاقات تفسيرية عند مواجهتها بالواقع وهنا تتحول المفاهيم الى متغيرات من خلال" (عماد، 2008، 99)

- تشخيص الارتباطات بين المتغيرات.
- تحديد أبعاد المقارنة بين فئات المجتمع.
- توضيح درجة ارتباط الأجزاء بالكل، أو الكل بالجزء.
- تبيان أثر ثقافة معينة في أنماط سلوك أفرادها.

خامسا، ميكانيزمات اسقاط النظرية السوسيولوجية على الظواهر الاجتماعية

من المعلوم أن لكل موضوع بحث، دراسة نظرية تؤطره وتوجهه توجيها عقلانيا متوازنا، حيث تعد النظرية دليلا لإعداد البحث، انطلاقا من تحديد مشكلة بحث وصولا الى قراءة النتائج وتحليلها. تساعد النظرية على تفكيك المشكلة البحثية الى جملة عناصرها الأساسية، استنادا الى عدد من

المعطيات الأولية التي تلتقي بها في الميدان المعاین من طرف الباحث. من تلك المعطيات، نجد المفاهيم المركزية للنظرية وافتراضاتها الأساسية وكذا نمط تحليلها. يمكن التعرف على النظرية المناسبة لموضوع الدراسة من خلال جملة من الإجراءات أهمها:

- الاطلاع على المقالات المتخصصة أو المصادر المفصلة للنظرية وبذل الجهد بالإلمام بمفاهيمها وفرضياتها ومقولاتها التأسيسية.
- إيجاد التقاطعات الأساسية بين النظرية وميدان الدراسة، من خلال جرد الملاحظات الأولية حول الموضوع على أساس الدراسة الاستطلاعية، حيث تساهم الدراسة الاستطلاعية في تحديد النموذج النظري المناسب وهو عملية فكرية نظرية وميدانية يبنمها الباحث، من خلال توجيه كل كتاباته الى عناصر محددة بدقة يمكن له الإحاطة بها على ضوء امكانياته المعرفية والميدانية.
- من أهم السبل لتوجيه النظرية توجيهها منهجيا دقيقا، هو مقابلتها مع فجوة بحثية، حيث يتم التوصل الى هذه الفجوة من خلال استعراض أهم الدراسات السابقة التي تصدت للموضوع العام للبحث. ويتم ذلك وفق الخطوات التالية:
- تمرير النظرية الى الميدان من خلال تساؤل الإشكالية، الذي يعد الرابط النظري والميداني لتحقيق الدراسة ولذلك فإن أهم ما ينتجه الباحث في بداية دراسته هو التساؤل المركزي الذي سيدور حوله التحليل النظري والمعاينة الميدانية. وهنا وجب التأكد من أن تساؤل الإشكالية، يشتمل على المفاهيم الأساسية للنظرية، كما يجب التأكد من وجود علاقات نظرية منطقية بين تلك المفاهيم في صيغة التساؤل.
- تأتي مرحلة تحويل التساؤل المركزي الى المستوى الاجرائي، من خلال تفريعه الى أسئلة جزئية تتفرع على حسب الأبعاد النظرية المتوصل اليها من خلال الدراسة الاستطلاعية.
- في آخر مرحلة وعندما ينضج الموضوع في ذهن الباحث (بعد مقابلة النظرية بالملاحظات الميدانية والدراسات السابقة والاستشارات المتخصصة مع المشرف ومع المتمرسين في الموضوع)، فيكون جاهزا لتحديد المؤشرات القابلة للمعاينة والتي تكون ذات ارتباط بالأبعاد النظرية الواردة في التساؤلات الفرعية للدراسة.
- استكمالا لهذه الخطوات يقوم الباحث ببناء خطابه النظري الميداني أو ما يسمى بالتحليل المفهومي، في فصل قائم يسمى نموذج التحليل، يضم فيه بلغته وأسلوبه رؤيته الخاصة لموضوعه.

سادسا، الفرق بين البعد والمؤشر

ترتبط الأبعاد بمفاهيم البحث المشتقة من النظرية المتبناة بالمفهوم يعرف على "أنه ليس فكرة ثابتة وغير قابلة للتبدل والتحول، بل هو يتغير ويتحول تبعاً للواقع الاجتماعي وظروفه الموضوعية والأيدولوجية. فالمفهوم هو فكرة جزئية، فلا تستقيم الفكرة الكاملة الا بتنسيق سلسلة المفاهيم منطقيا مع بعضها" (عماد، 2008، 178)

يتميز البعد بأنه أحد العناصر الأساسية في بناء التساؤلات الفرعية وهو يشتمل على المفاهيم المركزية في عبارات مجردة تربط بين مفهومين في إطار مجرد. غير أن هذا الارتباط يوجد ما يقابله على أرض الواقع، من خلال مؤشرات تكون قابلة للقياس وهي الوجهة المحسوس للأبعاد. مثال: السلطة العائلية مفهوم نظري يتفرع إلى أبعاد وهي السلطة الاقتصادية، السلطة المنزلية، السلطة التربوية. وبالتالي فإن مفهوم السلطة العائلية يشتمل على هذه الأبعاد. أما المؤشرات فهي البعد الاجرائي لكل بعد كأن نؤشر للسلطة الاقتصادية بالأجر، بالانفراد في مصروف المنزل، تقسيم الميزانية، تحديد لائحة المقتنيات ،،،،،

يتحكم الباحث في عدد المؤشرات حسب الإمكانيات والوقت المخصص للدراسة ودرجة التحكم في قياس المؤشر. كما أن الباحث في تعامله مع المؤشرات يسأل نفسه ما هي المؤشرات التي لم يستطع قياسها؟ أو ملاحظتها في الميدان؟ فهنا يقرر تعديل البعد أو حذف تلك المؤشرات واستبدالها بأخرى أكثر واقعية وأكثر ارتباطا بالبعد النظري.

هذه العملية تسمح ببناء نموذج نظري للأبعاد النظرية وهو نموذج له وجهه العملي، الذي يتلخص في شبكة المؤشرات المرتبة ميدانيا في علاقات واقعية يستند في بناءها إلى الملاحظات الميدانية والدراسات السابقة وأخذ المشورة من المشرف وخبراء الموضوع.

سابعاً، نماذج عن المقاربة النظرية واسقاطاتها المنهجية في المجال التربوي

1. الشكلائية الاجتماعية

لم تأخذ أفكار جورج زيمل حقها الكافي من الظهور والانتشار في الساحة الفكرية لعلم الاجتماع وذلك لمجموعة من الأسباب أهمها أن زيمل قد كان متحرراً من التجريدات الفلسفية العامة، التي كانت قد سطرت مشواراً استقرايياً شاملاً للإنسانية اعتماداً على افتراضات تاريخية، وفي نفس الوقت كان زيمل غيبر مكتبراً لادعاءات الحداثة العلمية المنطقية وتوجهاتها الأخلاقية، إضافة لتمييز فكره السوسيولوجي بنمط متعدد التخصصات. كل ذلك جعل جهوده التنظيرية وأفكاره السوسيولوجية، تبرز متأخرة رغم أنه يعد دون منازع عراباً الفكر الحداثي في علم الاجتماع. لقد حلل زيمل شروط الحداثة كقراءة ذاتية وكعرض دقيق للفكر السوسيولوجي في أهم مراحل تطوره، محاولاً بكل نشاط إطلاق التحليلات الأكثر للموضوع للانشغالات الأكثر ذاتية للإنسان في عصر الحداثة. ومنه التوصل إلى بناء نسق التحليل الرمزية للوجود الإنساني، كمواجهة جريئة لكافة التحليلات الأكثر تمسكاً بالبعد الموضوعاتي للواقع السوسيولوجي في نفس الفترة.

لقد أسس زيمل سوسيولوجيته من خلال التوليف بين موضوع الوجود الفردي وبين أشكال هذا الوجود فكان هذا الموضوع المحوري الذي صاغ من خلاله مفاهيمه التأسيسية ومقولاته النظرية فيما أصبح يطلق عليها النظرية التبادلية الشكلائية وهي تركز على دراسة العلاقة بين الثقافة الذاتية والثقافة الموضوعية وهي العلاقة التي يدور حولها دائماً مشروع الحداثة في مآلاتها النهائية. يرى زيمل أن المجتمع يوجد داخل الفرد وأن هذا الوجود محكوم عليه بالمقابلة الدائمة مع ذاته وانطباعاتها الداخلية مما يحتم عليه التعامل مع المجال الخارجي بعقلية التقطيع والتشكيل والتسوية المستمرة لتلك الأشكال بما يخفف نسبة التناقض بين توجهاته الذاتية وإرادته في بناء شكل موضوعي لتلك التوجهات.

بهذا المفهوم فالإنسان حسب زيمل يعيش حالة مستمرة من ربط الأشكال والموضوعات التي تتقابل في ذاته بين شقها الموضوعي وشقها الذاتي ونجاح الانسان المعاصر تقاس بهذه الثنائية الصراعية. مشيرا في ذات التحليل الى أهمية النقود كمنشط اقتصادي لحركة التبادل الأكثر عمقا بين الناس والأكثر وضوح كشكل اجتماعي والتي من خلالها تأخذ الأشياء معانيها الجماعية على أساس أن القيمة التبادلية للمال تتحول من الانطباع الذاتي الى التوافق الجماعي وبالتالي يتحول حسب زيمل مفهوم المال من إطاره المادي الى إطاره الرمزي وبهذا فإن «زيمل» يعتقد أن هناك لدى الأفراد من نفس المجتمع حاجتين أساسيتين، متضادتين ومنسجمتين في آن واحد، ألا وهي الحاجة للتوافق والحاجة للتخالف ولذلك ابتكر مصطلح الفعل التبادلي ليصف الحركة الجدلية بين هتين الحاجتين، التي يمارسها كل الأفراد في علاقاتهم بنفس الشكل. خلال هذه العلاقة يؤثر الأفراد على بعضهم تبعا للحاجات مختلفة روحية وجنسية.....ليتم اخراج الكل الاجتماعي. وعليه فإن المهم بالنسبة "لزيمل" ليس المجتمع ولا الأفراد وإنما التفاعل المتبادل الخلاق بين الفرد والمجتمع. وعليه فإن ميلاد المجتمع يكون وفق هذه المعادلة التبادلية. من خلال فإننا نجد أن "زيمل" قد أهتم بتحليل عمليات التنشئة الاجتماعية كاهتمام جوهري يفيد في فهم انتاج المجتمع فيما يطلق عليه الأشكال الاجتماعية: "تلك المنتجات الحاصلة عقب العلاقات التبادلية بين الأفراد (Ouvrage coordonné par Xavier Molénat, 2009, 382) وهي كالتالي:

- اشكال المجبولة على الديمومة (المؤسسات) (الاسرة، الدولة الكنيسة أو المسجد، المؤسسات، الاحزاب السياسية...)
- الاشكال الاجتماعية المنمذجة سلفا للمؤسسات (الاشكال المشكلة) (التراتبية، التنافسية الصراعية، الجمعية، تقسيم العمل، التبادل، التهميش، الوراثة..)
- الاشكال الزائلة التي تصف العادات الوقتية (الاموات، الاكل الجماعي، الزهات، اللباقة....)"

تسمح هذه الاشكال حسب "زيمل" للفرد لاكتساب المرونة التبادلية بين كافة الأشكال على حسب موهبته التبادلية مع بقية الافراد وقدرته التخالفية معهم، وعلى حسب قدرته على احلال مكانته ضمن مستوى اخر، ليس الذي جبل به ضمن جماعته الاولى او جماعة الانتماء وهذا هو طابع عصر الحداثة وتجلياته الاجتماعية كما اراد توضيح ذلك "زيمل". فعرف المجتمع على أساس هذه القاعدة كالتالي واعتبره: بأنه الشكل الموضوعي للوعي الفردي.

كما يرى "زيمل" أن في عصر الحداثة، أصبحت هذه الاشكال تسعى رغم انها منتوج للأفراد، للاستقلال عنهم بقواعد تطورها الخاصة، وبالتالي فإن العادات والتقاليد والقوانين الاجتماعية تصبح في غير متناول الافراد، كما ان هؤلاء الأفراد يكونون غير قادرين على التنبؤ بما قد ينتج عنها من أشكال اجتماعية، لكن رغم ذلك تبقى موجودة، لأنها تؤطر الرابط الاجتماعي بينهم. وهو ما يولد تعريف المجتمع على أنه عبارة عن مجموع كل تلك الأشكال.

استنتاجا من الفهم السوسيولوجي للمجتمع الذي يتحقق من نظرية الأشكال التبادلية لزيمل تتلخص من الناحية التربوية، أن نجاح المؤسسات التربوية في بناء فعل التنشئة الاجتماعية عموما يقاس بمدى القدرة على انتاج أفراد يمتازون بالمرونة الفردية، وعلى الانخراط السلس في نطاق واسع من الأشكال الاجتماعية، إذ يعبر ذلك على المرونة الاجتماعية في إدارة الصراع بين الانطباعات الشخصية وتصميم الأشكال الخارجية الأكثر تماسكا بالموضوعية المتبادلة.

2. الإرث الفينومينولوجي Alfred Schutz

تتصل فكرة الفينومينولوجي في علم الاجتماع بالبناء الاجتماعي للواقع، لكن ليس من مرجعية بورديو الذي يمثل الاتجاه البنائي البنيوي في السوسيولوجيا الغربية الأوروبية وإنما من مرجعية البنائية الظاهرية التي تمتد الى الفريد شوتز. فلقد استطاع شوتز إعادة بناء التصور الاجتماعي للواقع من خلال إعادة ضبط قواعده المعرفية، بحيث كان قد أعاد رسم الموضوع السوسيولوجي تناظرا مع السوسيولوجيا الأمريكية من خلال التوليف بين علم الاجتماع الادراكي لفبير والفلسفة الظاهرية لهوسيرل متجاوزا الفلسفة البراغمية لجون ديوي ووليام جيمس وكذا البنائية الوظيفية لبارسونز في سنوات الاربعينات من القرن العشرين.

تركز سوسيولوجيا التربية بعودتها الى المرجعية الظاهرية الى التجربة المعاشية للأفراد (الفاعلين التربويين) كمصدر للمعرفة العلمية " كل تأويل لهذا العالم قائم على مخزن من تجاربنا الخاصة بنا، أو تلك التي نقلها إلينا آباءنا أو أساتذتنا. تعمل هذه التجارب، المطروحة بشكل معارف متاحة" مثل صيغ مرجعية ضمن مخزون من المعارف المتاحة." (فيليب كوركوف، 2013، ص 53) يعد الرجوع الى بيئة التجربة المعاشية بمثابة عنوان السوسيولوجيا ما بعد الحداثية التي تجاوزت السوسيولوجيا التنويرية التي بنيت مفاهيمها على أساس مركزية المجتمع مقابل الفرد العادي في الفترة بين الحربين، لتتحول الخبرة السوسيولوجية من أيدي العالم الى خبرة الأفراد اليومية. إن هذا التحول قد مهدت له أفكار ايمانويل كانط الذي حاول تخليص العلم الاجتماعي من سطوة العلوم الدقيقة وبالتالي اقحام البعد الوجودي في التداولات المعرفية لمسألة الحرية ومعالجة أزمات الإنسان وعلى رأسها أزمة القيم والهوية وفي المجال التربوي أزمة العدالة المدرسية. حيث عبر هوسرل عن ذلك: " أنه انبثاق وبداية لتطور حقبة جديدة للإنسانية التي لا تريد ولا تستطيع أن تعيش، ابتداء من الآن إلا في تشكيل حر لوجودها ولحياتها التاريخية على أساس أفكار العقل، على أساس مهام لا متناهية" (هوسرل ، 2008، ص 19) بهذا المعنى يكون الانسان في المنظور الفينومينولوجي هو مرجع الحقيقة دون تدخل لبناء الموضوع حيث يكمن العلم بالأشياء بما يظهر للوعي الفردي المباشر من معاني مضبوطة في حدود الزمان والمكان دون افتراضات مسبقة أو أفكار تسبق المعاش، إنها معرفة آنية بالأشياء تخضع للحدس ومنطق التجربة الفردية.

3. التجديد الماركسي ألثوسير L'Althusser (1918-1990)

لقد معى L'Althusser تحت لواء الالهام الماركسي، الفرد واحتفظ بالبنية الاجتماعية الكلية، كوحدة للتحليل حيث وبالرجوع الى المبادئ والتوجهات البنيوية، كان لزاما أن يجري القطيعة الإبستمولوجية، مع فكر "ماركس" على أساس اعادة بناء الأفكار الماركسية على نحو ليس ماركسيا أي رفع الحتمية من ساحة التحليل. (Lallement, 2012). ضمن هذا التوجه البنيوي،

انطلق من مرحلة تاريخية دقيقة شكلت نقطة بدء نشاطه الفكري، حيث توقف في المسائل الأولى التي مر بها ماركس في بداياته مع الفكر الهيجلي. ومن ثم قام بتجريده من ماديته من خلال الدفع به في مسارات الفكر الوجودي.

بالعودة الى نقطة التقاء "ماركس" وهيجل" كانت تلك هي المناسبة الأساسية لبناء موضوع الرابط الاجتماعي، بالنسبة لـ "ألتوسير" من خلال بعدها التاريخاني وعلى أساس الجدلية المادية. حيث أضاف عليها، معنى المعقولية والقصدية، فاتحا بذلك بابا جديدا لفهم تطور الرابط الاجتماعي في سياق التطور الاجتماعي الكلي. كانت إضافة "L'Althusser" دقيقة جدا تتمثل، في تحرير الفكر الماركسي من الحتميات الاقتصادية أثناء دراسة التشكل الاجتماعي لبنيات المجتمع.

كما كان ادخال البنية الأيديولوجية في موضوع علاقة الصراع الفارق الحاسم مع "كارل ماركس" حيث وظفها L'Althusser في فهم حركية المجتمع من خلال مبدأ تفسير الكل الاجتماعي في مجال سلطة الدولة على الفرد باستخدام القوة الرمزية (الثقافة، الفن، الأسرة، المدرسة) والقوة المادية (الجيش، البوليس القانون..). لقد اجتهد في توضيح كيف أن هتين القوتين تشتغلان في نفس الاتجاه رغم اختلافهما البنيوي، في مجال أداء الفعل الكلي وتوجيهه.

ضمن هذا السياق المعرفي طرحت فكرة الرابط الاجتماعي ضمن بنية المدرسة لدى "التوسير" لتكون بؤرة تحليل سوسيولوجية لبنية الطبقات الاجتماعية وعلاقتها بالكل الاجتماعي، بعيدا عن الحتميات المادية ولكن باعتبارها بنية متراكمة التشكل وفق القراءة التاريخية (Lallement, 2012).

على أساس فكرة الكلية اتجه التحليل البنيوي لمناقشة سوسيولوجية التربية، كنوع من الالتزام واثبات التراكمية التاريخية في مجال السؤال السوسيولوجي، الذي طرحه الآباء المؤسسون ففي حالة البنيوية كان ماركس هو المرجع الذي تم تعديل مواقفه لإحياء فكرة العلاقة بالنظام المدرسي وفاعليه كونه قد زود البنيويون، بمفاتيح فكرية نظرية ومفهومية لقراءة الواقع الحديث لمؤسسة المدرسة، لاسيما في إطار الصراعات الطبقيّة التي لا يمكن انكارها على الأقل في جانبها المورفولوجيا.

4. الماركسية المحدثة، /بيار بورديو

ان انكار قضية الصراع لمدة طويلة جعلت السوسيولوجيا الفرنسية خاصة، تغفل عن جانب مهم في موضوع الرابط الاجتماعي، حيث انبعث هذا الموضوع من جديد، بعد أن أسدل الستار على فكرة الطبقات ودورها في فهم العلاقة بين الأجزاء المجتمعية والكل الاجتماعي.

جمع "pierre Bourdieu" الكثير من المفاهيم والمعطيات الأنثروبولوجيا مع التأويلات الماركسية، فأنتج النظرية البنيوية التكوينية، ومضمونها أنه أن الناس بإمكانهم تطوير علاقاتهم الاجتماعية بصفة جمعية وضمن استراتيجية تتحقق لهم منها الرضى وليس كما يبدو التزاما بالقوانين، لذلك يرى انه لفهم مجتمع ما علينا فحص نظامه في مسألة الرابط الاجتماعي، ضمن المسافة الفاصلة بين الوعي الفردي داخل الجماعة و الطبقة والوعي الجمعي الذي تمثله الطبقة المهيمنة (Martuccelli, sociologie de la modernité, 2007). ويشير بورديو مستلهما من ماركس، ان الافراد لا يعون الاكراهات الي يعيشون فيها وبالتالي لمعاني افعالهم الاجتماعية خاصة، لأن المجتمع

بالنسبة إليه مشكل من حقول اجتماعية متعددة الابعاد، حيث تتموضع ضمنها الجماعات الاجتماعية على اساس تمايزها الاجتماعي، الذي يتجلى في انماط العيش المميز برأسمال ثقافي يظهر في الازواق ومستويات الشعور الفني واللغوي، كما يرى بورديو ان دور عالم الاجتماع ضمن هذا المنظور يكمن في فضح الهيمنة في مجال الرابط الاجتماعي من خلال تحريك جملة من المفاهيم وأهمها مفهوم "Habitus" أو ما يعبر عنه المتصل الوراثي (بورديو، 2012) وهي آلية اجتماعية مادية ورمزية تمارس قهرا حتميا على صلب العلاقات الاجتماعية بما يخلق التهميش بل وتبرره أيديولوجيا.

تندرج أطروحة بورديو في مجال علم اجتماع التربية في إطار التحليل السوسيولوجي النقدي المتشعب بمقولة الصراع التي رسمها الاتجاه الماركسي في عمومته. غير أنه جعل على غرار دوركايم من ظواهر التربية منصة لبناء النظرية السوسيولوجية ككل على خلفيات متعددة بمستويات معرفية جديدة أعادت الجدل القائم بين دعاة الفردانية ودعاة الشمولية الى نقطة الصفر.

يعني أن مدخل بورديو الى علم اجتماع التربية قد اتخذ طابعين أو مستويين: اولهما معرفي ابستمولوجي ناقش اشكالية الذاتية والموضوعية والثاني نظري قدم فيه معنى جديدا للفرد الاجتماعي معتبرا اياه مخالفا لذلك الذي قدمته نظرية دوركايم وسوسيولوجيا الفعل، بأن أعطاه صفة العضو Agent social بما تحمله من معنى يتفق مع المستوى المعرفي، الذي أدرج ضمنه. فسنناقش إذن أولا هذه المسألة في مستواها المعرفي ومن ثم سنبحث عن مداها في مجال الحقل التربوي وبنفس الطريقة سنتطرق للمعطى النظري الذي جعل بورديو يتنازل على المفهوم الوظيفي (الفاعل الاجتماعي) وعن المفهوم الفردي (للفرد الاجتماعي)، لصالح مفهوم العضو الاجتماعي وفي نفس السياق سندمج ترسانة من المفاهيم المحورية التي حركها بورديو لتحليل الظاهرة التربوية سوسيولوجيا وفق وجه نظره.

لقد احتفظ بورديو بمبدأ تسخير الأفراد في سبيل ارساء قواعد الاندماج الاجتماعي في المجتمع الكلي وهو في هذا المقام يكون متفقا مع دوركايم، لكنه حول هذا المبدأ للمشروع النظري الماركسي المبني على الصراع من خلال إعادة تعريف الفرد بأنه عضوا اجتماعيا مرتبطا ببنية النظام الاجتماعي لا في اتجاه التكامل العادل وانما في مجال تسخيره لتلقي حالة الهيمنة التي تسود الجانب الاقتصادي على أنها حالة طبيعية.

في هذا الإطار يكون بورديو قد تجاوز مبدأ الموضوعية التي شكلت عنوان العمل الاجتماعي للمجتمع الرأسمالي، معتبرا اياها موضوعية مغلوطة كونها تعبر على وضع اجتماعي ليس عادلا على المستوى الرمزي الثقافي، وأن هذا النظام وظف المدرسة لإنتاج نفس التراتبية الاجتماعية وترسيخها في وعي أبناء الطبقات المهيمن عليها على أساس أن وضعهم الاجتماعي منطقي مبني على الاستحقاق وليس على شيئا آخر.

إن هذه الحالة تجعل من واجبات عالم الاجتماع الملزم بالسياقات التجريبية للوجود الاجتماعي لا ينخدع وراء التجريدات النظرية الطوباوية، ليتساءل عن الظاهرة ويسأل السلوك الاجتماعي على قاعدة القطيعة مع كل الأساليب التفسيرية غير المادية. " فلقد تبين بشكل جلي، من خلال الابحاث والدراسات المنجزة حول دور المدرسة كفضاء وكمؤسسة، أن المكتسبات التجريبية، التي تم

تجميعها تمثل تحديات جديدة بالنسبة للبناءات النظرية، والتي يفترض أن تنير في الآن نفسه خطوط الانتظام الكبرى التي تسم اشتغال المدرسة والتطورات التي هي في طور الحدوث وذلك في منتهى الدقة" (غريب، 2009، ص 53)

أمام هذا الموقف وبالنظر الى تعقد الحياة الاجتماعية وتعقد الوظائف الاجتماعية واهتزاز المبدأ الحازم الكلياني في كون المدرسة مؤسسة تشتغل في إطار الثقافة المشتركة، كما أنه وفي ظل انخراط المنطق الإداري والسياسي في عمق العمل التعليمي للمعلمين على أكثر من مستوى وخاصة في المستوى الرمزي فإنه " يتعين اذن الاهتمام بالفاعلين الذين ينتجون -بواسطة سيرورات تتموضع في صلب - النظام ويحاولون بناء تجربتهم الخاصة داخله" (غريب، 2009، ص 54)

فلم يعد بالإمكان حسب بيار بورديو التسليم بوضوح وشفافية وعدالة الوظيفة البيداغوجية للمدرسة في ظل أنها تعد على حد تعبير بارسونس وكالة للتنشئة الاجتماعية وظيفتها الحد من هدر المواهب من خلال ابراز طاقات التلاميذ الفردانية واقحام البقية في صلب التقسيم الاجتماعي على أساس الفارقة ولكن وبالعكس فإن ذلك حسب رأي بورديو يدعو عالم الاجتماع للمساءلة النقدية للنظام الاجتماعي والتربوي ككل حول من يوزع الفروع المدرسية؟ ومن يضع البرامج بمحتواها القيمي والرمزي؟

ان بورديو يرى أن ملامح الهيمنة يتم طمسها في صلب العمل البيداغوجي للمعلمين كونهم يصفون الشرعية البيداغوجية لقيم الطبقة المهيمنة ومن ثم يدمجونها في وعي التلاميذ واولياءهم على أنها قدر محتوم يتصل بالاستعدادات الفردية وليس بالمواقع المادية لطبقاتهم وتدايعاتها الرمزية.

بهذا المعنى يرى بورديو أن المدرسة الرأسمالية ما هي إلا آلة لنسخ الطبقات الاجتماعية وفق منظوماتها الثقافية الرمزية وتراثها الاجتماعي والمادي وهو ما يعبر عنه نظرية إعادة الانتاج الاجتماعي. هذا الشطر الذي التقى فيه بورديو مع دوركايم وافترق عنه بصيغته الماركسية ذات الطابع الثقافي ولكن بورديو متعدد المشارب لتأسيس صرح موقفه المركب معرفيا، من زاوية أخرى مع الرائد السوسيولوجي الألماني ماكس فيبر وهو ما سنتناوله في مفهوم الوريث L' Héritier مع شريكه في المشروع البحثي Passeron وامتدادات هذا المفهوم لعلم اجتماع التربية.

لقد استفاد بورديو وباسرون من المؤسس في فيبر من قضية جوهرية وهي أهمية المعطى الثقافي ودور الأفكار والقيم في صياغة التفاعلات الاجتماعية وتنويع اتجاهاتها بل وتمييز الناس بناء عليها بين مهيمن ومهيمن عليهم. تتحول ثقافة الطبقة بما تشمله من مظاهر حياتية متنوعة الى إرث رمزي يحمله الأولاد معهم الى المدارس والجامعات حيث من خلاله يرتسم مشوارهم الدراسي في مجال الاداء الفني واللغوي وكذا في مجال إتقان لغة الخطاب المدرسي لتحكمهم في ملكة مثمثة لدى الوسط المدرسي، يتلخص هذا التفاوت في الملكة في مجال "التمكن من الأدوات الفكرية، إذ أن أطفال الأوساط الميسورة، وبفضل التفاعلات التي استفادوا منها في ظل الأسرة، فهم متمكنون على سبيل المثال من نوع لغوي ملائم بشكل أفضل لمتطلبات المدرسة. ومن جهة أخرى، وإلى جانب هذه التفاوتات من المستوى الفكري، التي ظلت محط طرح فقط ولم يبرهن عليها" (غريب، 2009، ص 57)

قاعدة الأخلاق اشتقت من الفكر الفيبري، بما أن مدخله النظري مؤسس على الوجدان والفهم المتبادل بين الأفراد حيث يحللان ساحة التفاعل الوجداني بعيدا عن النظري المتعالي وبالمقابل في

إطار ما يسمى الحس العملي، في حركة معرفية لفهم بنية الملكات المترتبة عمليا عن تفاعلات مع واقع مادي معطى يؤطر ويحدد النشاط الثقافي والاجتماعي للأفراد. ان الملكة ترسم طيفا أمام الفئات الاجتماعية حيث تلعب المؤسسة التعليمية دورا مركزيا في تثبيت هذا الطيف بما تحركه من تفاعلات يومية ترسم خلالها آفاق كل فئات التلاميذ على أساس وزن رأسمالهم الثقافي وتنوع ملكاتهم وتحكمهم في معطيات الحقل الاجتماعي ومتطلباته التفاعلية. هذا التحليل السوسيولوجي ركز على البنية المعرفية لنظرية سوسيولوجية حديثة للصراع في مجال علم اجتماع التربية، كذلك فإن هذه المقاربة تغذت بمؤشرات امبريقية متعلقة بالنجاح والفشل الدراسي ساهم في انجازها كل من Christian Baudelot et Roger Establet

5. الاتجاه الاثنوميدولوجي 1967

يمثل هذا الاتجاه H.Garfinkel ومنطلق نظريته الأساسي يتمثل في أن الواقع الاجتماعي ليس معطى جاهزا وإنما هو ينجز بطريقة متواصلة من خلال ممارسات الفاعلين في حياتهم اليومية في مجال اتصالاتهم واتخاذهم لإجراءات تسيير حياتهم وبهذا المعنى فإن كارفينكال يرفض تماما مبدأ نظرية الفعل التي يمثلها لبارسونز والتي كانت ترى أن الفاعل في علم الاجتماع هو أهلها اجتماعيا ينتج استقرار مجتمعه من خلال تصرفاته المتوافقة مع الأفعال المنتظرة والجاهزة سلفا والتي تتمتع بالمشروعية الممنوحة لها من الثقافة

تدرس الاثنوميدولوجي الطرق العملية التي يستخدمها الناس في صنع المعاني فالمعنى الذي يسند الى الأفعال هو اساس الفهم السوسي، ولوجي ويتم ذلك من خلال مساءلة الفعل بوصف وتفسير منطقته لأجل الحكم على بنيته فيتم ذلك باختراجه كمعطى مسلم به والكشف عن بنيته الخفية ويكون ذلك بالاستعانة بالمعرفة البديهية للأفراد وكشف قواعدها المنهجية المبدعة في مجال التفاعل اليومي حيث " تتخلّى عن الاعتقاد في وجود نظام اجتماعي موضوعي أو فعلي. وتنطلق من مسلمة تعتبر أن الحياة الاجتماعية "تبدو" على نحو منظم لأفراد المجتمع، " (عماد، 2007، ص 123) وذلك في مخالفة واضحة للطرح الوظيفي " ففي المقاربة الوظيفية يتم التركيز على الانساق الاجتماعية ومتطلباتها والمقاربة الجدلية تركز على عنصر الالتزام في النظام الاجتماعي والمستند الى وضع الافراد في التركيبة الاجتماعية وعلاقتهم بالنتاج. " (عماد، 2007، ص 123) بالتالي فالموضوع الاساسي للسوسيولوجية ليس الفعل المنمط اجتماعيا وإنما المناهج الاثنوية العامة واليومية التي تضفي المعنى على الأفعال وبالتالي تناهض المعرفة العالمة السوسيولوجية التي يعتقد كارفينكل أنها فشلت في تفسير تفاصيل الحياة اليومية ولم يعد دور عالم الاجتماع فرض تفسيره على الواقع بل يكتفي بتصميم عرض حال عن بناء المعنى من النشاط نفسه.

خاتمة

نخلص في الختام الى أن التحليل وفق المقاربة النظرية، يشترط عمل تكويني ينظم كافة المفاهيم والمقولات التأسيسية للنظرية السوسيولوجية والتدريب على تقريبها الى متغيرات في الواقع على نحو منهجي، ينقسم الى عدة مستويات أهمها بناء الإشكالية والفرضيات، بناء الفصول، اختيار

الأدوات، تحليل نتائج البحث. مع الإشارة الى أن الاشكالية هي من تحمل ثقل البحث بكونها تحوي ثلاث طبقات أساسية:

1. التجريد النظري للمفاهيم بلغة المقاربة وتشكيل لغة البناء النظري للإشكالية.
 2. الخبرة الامبريقية (دراسات سابقة، احصائيات والملاحظات الاستطلاعية)
 3. طرح تساؤل رئيسي وتساؤلات فرعية بشروط لغوية وتنسيق انشائي مبني على الخلفية النظرية والحيز التطبيقي للموضوع.
- ويتبع ذلك منهجيا وعلى نحو منطقي بناء الفصول حيث يبيّن الباحث عناوين الفصول بما يعبر عن شبكة المعلومات التي تقع في حيز المقاربة. مفاتيح البناء هي المفاهيم الأساسية. فتبرز خلالها الأدوات المتعلقة بجمع البيانات الميدانية، انعكاسا للمقاربة المنهجية وتماشيا مع مبادئ المقاربة النظرية وخطها التحليلي العام. في العموم تعد المقاربة بمثابة الخط التحليلي الذي يربط كافة عناصر البحث شكلا ومضمونا ويعطيه الشرعية العلمية والمنطقية المنهجية وإذا وفق الطالب أو الباحث في اختيارها وتنسيقها مع موضوع بحث مختار بعناية خاصة على أساس دقة المفاهيم وأصالتها النظرية لأن كافة العمل البحثي سيكون منظما ومترابا ومنطقيا.

قائمة المراجع

1. بيبير بورديو. (2012). مسائل في علم الاجتماع - ترجمة هناء صبيحي. أبو ظبي: كلمة
2. بوغام سيرج. (2012). ممارسة علم الاجتماع (ترجمة منير السعيداني). بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
3. جينيفر م. ليمان. (2013). تفكيك دوركايم - نقد ما بعد البنيوية- (ترجمة محمود أحمد عبد الله). القاهرة: المركز القومي للترجمة.
4. عبد الغني عماد. (2008). منهجية البحث في علم الاجتماع (لإشكاليات، التقنيات، المقاربات). بيروت: دار الطليعة.
5. غريب عبد الكريم. (2009). سوسيولوجيا المدرسة. المغرب: منشورات عالم التربية
6. موريس انجرس. (2004). منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية- تدريبات عملية- ترجمة ب. صحراوي، ك.ب شرف، س. سبعون دار القصة
7. DaniloMartuccli.(1999). **Sociologie de la modernité**. FRANCE: Gallimard
8. Lallement, M.(2012). **Histoire Des idées sociologiques aux contemporains**. Paris: armand colin.
9. Jean-Pierre Durand ; Robert Weil. (2006). **Sociologie Contemporaine** ; 3eme édition, Vigo ; paris.
10. Sous la direction de Michel Wieeviorika. (2007). **Les sciences Sociales en Mutation** Édition Sciences Humaines.
11. Ouvrage coordonné par Xavier Molénat. (2009) **La sociologie**. france: Sciences Humaines.

مسألة دور المقاربة النظرية في البحث السوسيولوجي بين التوظيف المنهجي والإسقاط على الواقع

د. نورالدين ناصر

جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي تبسة - الجزائر

nouredine.nacer@univ-tebessa.dz

ملخص: تنطلق هذه المداخلة من إشكالية منهجية تعترض البحث السوسيولوجي في واقعه الميداني، وتتمثل في الفجوة القائمة بين المقاربة النظرية بوصفها أداة معرفية بنائية، وبين توظيفها الفعلي في الممارسة البحثية، التي كثيرا ما تنزلق نحو الإسقاط التعسفي على الواقع، وتسعى المداخلة إلى تحقيق غايتين متلازمتين: تشخيص مواطن الخلل في علاقة الباحث بمقارباته النظرية، ثم اقتراح جملة من المعايير المنهجية التي تعيد لهذه العلاقة توازنها المعرفي، وتخلص المداخلة إلى أن التوظيف السليم للمقاربة النظرية لا يعني التخلي عنها ولا الخضوع لها، بل مساءلتها في ضوء طبيعة الواقع المدروس، مما يستلزم وعيا نقديا مزدوجا بحدود النظرية من جهة، وبخصوصية الميدان من جهة أخرى. الكلمات المفتاحية: المقاربة النظرية، الإسقاط المنهجي، التوظيف النقدي، البحث السوسيولوجي، الممارسة البحثية، الاستيمولوجيا.

Abstract : This paper takes as its point of departure a methodological problem that pervades sociological research in its empirical reality: the gap between the theoretical framework as a constructive epistemic instrument, and its actual deployment in research practice a deployment that frequently lapses into arbitrary projection onto social reality. The paper pursues two interrelated objectives: first, to diagnose the points of dysfunction in the researcher's relationship with theoretical frameworks, and second, to propose a set of methodological criteria capable of restoring epistemological balance to that relationship. The paper concludes that the sound mobilisation of a theoretical framework implies neither its abandonment nor uncritical submission to it, but rather its interrogation in light of the specific nature of the social reality under investigation an endeavour that demands a twofold critical awareness: of the inherent limits of theory on the one hand, and of the singularity of the field on the other.

Keywords: Theoretical Framework, Methodological Projection, Critical Deployment, Sociological Research, Research Practice, Epistemology.

مقدمة:

لا يزال السؤال عن العلاقة القائمة بين النظرية و الواقع يحتل موقعا مركزيا في البحث السوسيولوجي، غير أن ما يستوقف المتأمل في الإنتاج الأكاديمي الراهن هو ذلك التناقض الصارخ، فعلى الرغم من بلوغ الحوار النظري من النضج ما يكفي لمعالجة هذه الإشكالية، تظل الممارسة البحثية الفعلية حبيسة أنماط توظيف موروثة، تُقدّم فيها المقاربة النظرية لا بوصفها أداة معرفية تُختار في ضوء طبيعة الموضوع وخصوصية الميدان، بل قالبا جاهزا يسبق حتى تُشكّل الإشكالية ذاتها.

هذا التناقض بين الخطاب النظري السائد وجمود الممارسة الميدانية ليس مجرد خلفية لهذه المداخلة، فالخلل الذي تسعى إلى تشخيصه لا يقف عند حد الاختيار المنهجي الخاطئ القابل للتصحيح بتغيير المرجع، إنه خلل أعمق يتصل بطريقة فهم النظرية السوسيولوجية ذاتها، ووظيفتها، وحدودها الاستيمولوجية، ومن هذا المنطلق تتبلور إشكالية المداخلة في السؤال الآتي: كيف يمكن للباحث السوسيولوجي أن يوظف المقاربة النظرية توظيفاً منهجياً نقدياً، بعيداً عن الإسقاط التعسفي الذي يحجب الواقع من جهة، ودون أن يتخلى - كلياً - عن النظرية باسم خصوصية الميدان الموهومة من جهة أخرى؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية ثلاثة تساؤلات تُشكل محاور المداخلة: ما الفرق الجوهرى بين توظيف المقاربة النظرية وإسقاطها؟ وما الشروط المعرفية التي تجعل من المقاربة أداة تنير الواقع، لا قناعاً يحجبه؟ وكيف يمكن بناء علاقة تفاعلية بين النظرية والميدان تحترم خصوصية كل منهما، دون أن يلغى أحدهما الآخر؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات تسير المداخلة وفق ثلاثة محاور متتالية: يتناول الأول طبيعة المقاربة النظرية ومسارات تحولها من أداة منهجية إلى مرجعية جامدة، ويتوقف الثاني عند أشكال الإسقاط التعسفي للنظرية وآثاره المعرفية، فيما يقترح الثالث جملة من المعايير المنهجية لإعادة بناء العلاقة بين الباحث ومقارنته النظرية على أساس من المساءلة النقدية.

1- المقاربة النظرية: من أداة معرفية إلى مرجعية جامدة.

لا يمكن مساءلة توظيف المقاربة النظرية في البحث السوسيولوجي قبل الوقوف عند طبيعتها المعرفية ووظيفتها الأساسية، لأن كثيراً من الخلل المنهجي ينشأ من سوء فهم ما النظرية أصلاً، لا من سوء استخدامها فحسب، وهذا تمييز دقيق و جوهري لا ينبغي إغفاله أو التغاضي عنه.

1-1- طبيعة النظرية السوسيولوجية ووظيفتها المعرفية.

النظرية السوسيولوجية في جوهرها ليست مجموعة أحكام جاهزة عن المجتمع، يمكن إسقاطها على الواقع إسقاطاً مباشراً دون مساءلة، هي منظومة مفاهيمية مترابطة، تنظم الرؤية، وتوجه السؤال وتحدد ما يستحق الملاحظة مما لا يستحقها، وهي بهذا المعنى لا تصف الواقع، بل تنظم طريقة النظر إليه.

وبهذا فالنظرية في علم الاجتماع كما في غيره من العلوم الأخرى، هي المحك العلمي الذي يفسر لنا كافة الحقائق التي أمكن ملاحظتها في الميدان، بأساليب ووسائل مضبوطة للوصول إلى نتائج ملموسة وواقعية (الزباري، 2016، صفحة 19).

وقد أكد "عاستون باشلار" هذه الفكرة في نقده الاستيمولوجي حين ميز بين الواقع الخام والواقع المبني معرفياً، فالعقل العلمي يعتبر كل معرفة جواباً عن مسألة، فإذا لم يكن ثمة مسألة، لا يمكن بأي حال أن يكون هناك معرفة علمية، فلا شيء ينطلق بداهة، ولا شيء معطى، وكل شيء مبني (Bachelard, 1947, p. 14)، مما سبق يقر "باشلار" بأن الوقائع العلمية لا تعطى بل تبني، وأن كل بناء يستلزم إطاراً نظرياً يوجه عملية البناء في ذاتها، والمتأمل لكل هذا يبدو له بديهياً حين يُقرأ في الكتب، لكن تداعياته على الممارسة البحثية الفعلية تظل إلى حد بعيد طي الإهمال.

ويرى "روبرت ميرتون" أن كلمة النظرية السوسيولوجية مهددة بأن تفقد معناها، بل تصبح خالية من أي معنى، ذلك أن المعاني الكثيرة التي تنطبق عليها الكلمة، تعيق المعنى أكثر مما تيسره، غير أنه هو نفسه طرح تعريفا يذكر فيه أن مصطلح النظرية السوسيولوجية: يشير إلى أنها مجموعة من قضايا مترابطة منطقيا، يمكن أن نستخلص منها طائفة من الاتساقات الواقعية التي تشير إلى انتظام العلاقة بين ظواهر المجتمع (الزيباري، 2016، الصفحات 29-30).

فالمقاربة النظرية في البحث السوسيولوجي تؤدي ثلاث وظائف معرفية متميزة ومتكاملة، أولاها وظيفة استكشافية، إذ تمكن الباحث من بناء موضوعه معرفيا، وتحويله من مشكلة اجتماعية خام، إلى موضوع سوسيولوجي محدد الملامح. فالبطالة مثلا ظاهرة مألوفة، لكنها لا تصبح موضوعا سوسيولوجيا إلا حين يعاد صياغتها في ضوء مقارنة تحدد زاوية المعالجة: هل هي إشكالية بنيوية؟، أم مشكلة رأسمال اجتماعي؟، أم أزمة هوية تمس الفرد في علاقته بمعنى العمل ذاته؟. وثانيها وظيفة تفسيرية، تزود الباحث بمفاتيح تأويلية تساعد على فهم العلاقات الخفية بين الظواهر، التي لا تنكشف للرصد المباشر ولا للوصف وحده.

ولا تقتصر وظائف النظرية على ما سبق فقط، وإنما نجدها تساعد الباحث في تطوير التنبؤ بالمستقبل، فيما يتعلق بموضوع معين، ويعتبر التنبؤ مسألة نظرية أساسا، وخاصة أنه ليست هناك معطيات إمبريقية تتعلق بالمستقبل، الذي لا يكون قد تشكل بعد، غير أن الاستعانة بالأطر النظرية، تُيسر استكشاف الطبيعة المتعلقة بالعمليات التي يفترض وجودها في تفسير المستقبل (ليلة، 2016، صفحة 136).

2-1- مسارات التحول: من أداة منهجية إلى مرجعية جامدة.

إن الإشكال الحقيقي لا يكمن في النظرية ذاتها، بل في منهجية التعامل معها، وهذا التحول من الأداة إلى المرجعية الجامدة لا يحدث مرة واحدة، بل يمر عبر مسارات متدرجة يمكن رصدتها بوضوح في الإنتاج الأكاديمي السوسيولوجي، تبدأ بالتبجيل المرجعي، حين تتحول النظرية من إطار يُستأنس به إلى سلطة يستشهد بها دون غيرها، فيغدو ذكر روادها ضرورة رمزية تُثبت الانتماء الأكاديمي لا اختيارا منهجيا مبررا، في هذه المرحلة تتآكل المسافة النقدية بين الباحث والمرجع، ويتحول دوره من باحث واع إلى ناقل أمين.

و تتعمق الأزمة وتتسع في مرحلة الاستيراد دون مساءلة، إخضاع الواقع الاجتماعي العربي لمفاهيم سوسيولوجية غربية المنشأ لا ينتج فهما بل يُنتج تشويها إستيمولوجيا مضمرا، ذلك أن كل مفهوم هو بنية إدراكية اشتراطها سياق تاريخي بنيوي بعينه، لا أداة إجرائية قابلة للنقل والإسقاط المباشر، والواقع العربي يشغل وفق منطق التداخل بين الأنساق لا وفق منطق تمايزها، فحين تُسقط عليه مفاهيم افترضت التمايز شرطا أوليا، تعجز -هذه الأخيرة- عن تفسير واقعه (الشارف، 2018، صفحة 09).

فحين تُنقل المفاهيم من سياقاتها الأصلية وبلا مساءلة لشروط نشأتها، وعدم اختبار ملاءمتها للواقع المدروس، تفقد قدرتها التفسيرية، فمثلا مفهوم الحقل عند "بورديو" نشأ في سياق اجتماعي بعينه وبنية طبقية خاصة به، ولا يمكن نقله إلى سياق مجتمعي مغاير دون إعادة اختبار

حدوده التفسيرية في ذلك السياق الجديد، فكثير من البحوث الأكاديمية تتعامل مع هذا الشرط الجوهري بوصفه إجراء شكلياً لا التزاماً معرفياً ومنهجياً.

إن الانزلاق نحو الاستيراد المفاهيمي لا يفسر بقصور منهجي عارض، بل يكشف عن خلل إبستمولوجي أعمق وهو غياب التمييز الجوهري بين قابلية نقل المنتج المادي وامتناع نقل البنية الفكرية التي أنتجته، والإشكال أن قطاعاً من الباحثين العرب تعاملوا مع المنظومتين بمنطق واحد، فاستوردوا المفاهيم كما تستورد البضائع دون مساءلة للمسلمات المضمرة فيها، وهذا الخلط يضعف القدرة التحليلية واستيعاب القوانين البنيوية الخاصة التي تحكم الواقع الاجتماعي العربي (الشارف، 2018، صفحة 09).

تتجلى المرحلة الثالثة في الإسقاط التعسفي للمقاربة النظرية، والتي تنقلب فيها العلاقة المعرفية رأساً على عقب، حين يصبح الواقع الاجتماعي مجرد مادة خام تُستدعى لتأكيد النظرية لا لاختبارها، وتجد الباحث ينبش في ميدانه عما يثبت مقارنته، لا للوقوف على حقائق الظواهر المدروسة، فتغدو - الظواهر - شواهد تُزين المتن النظري بدل أن تكون منطلقاً حقيقياً لفتح أفق التساؤل، فالنظرية تُنتج الأسئلة والميدان يُجيب عنها وليس العكس، وهذا الانعكاس في اتجاه التفكير هو بالضبط ما يُحول البحث السوسيولوجي من استكشاف إلى إثبات.

3-1- الخلفية البنيوية: لماذا يتكرر هذا النمط؟.

لا يمكن تفسير هذا التحول بالقصور الفردي وحده، ثمة عوامل بنيوية تغذي هذا النمط وتعيد إنتاجه جيلاً بعد جيل، يأتي في مقدمتها النموذج التعليمي السائد في كثير من المؤسسات الأكاديمية، الذي يُقدم النظريات في شكل مقررات معزولة تُدرس استيعاباً وحفظاً، لا توظيفاً وتساؤلاً، يتعلم الطالب فيها ماذا قال "بورديو"؟ وكيف صاغ مفاهيمه الكبرى؟، لكنه نادراً ما يتعلم متى يكون استدعاؤه مشروعاً منهجياً ومتى يكون مغلاً، وهذا الفرق بين التعلم والتوظيف، هو الفارق الفاصل والجوهري بين الطالب والباحث، يضاف إلى ذلك ضغط المشروعية الأكاديمية، إذ يرتبط معيار جودة البحث في كثير من البيئات العلمية بمدى استحضار النظريات الكبرى وكثافة الاستشهاد بها، فيقع الباحث في تناقض يصعب الاعتراف به: يختار نظريته لأسباب رمزية واجتماعية، ثم يبررها بمسوغات منهجية.

ويزيد الأمر تعقيداً ما تعانيه الترجمة المعرفية من إشكاليات دقيقة، إذ كثيراً ما تنقل المفاهيم نقلاً لفظياً دون استيعاب البنية المفاهيمية الكاملة التي تنتمي إليها وتكتسب معناها من خلالها، فوضوح المفاهيم المستعملة لا يوصل بالضرورة إلى إدراك الواقع، لكن على الأقل يُخلص الباحث من التساؤلات الزائفة (العروي، 2012، صفحة 162).

1. تكشف هذه القراءة أن المقاربة النظرية حين تفقد بعدها الأدوات النقدية، لا تكتفي بأن تكون عديمة الجدوى المعرفية فقط، بل تغدو بالمعنى الذي أشار إليه "باشلار"، عائناً إبستمولوجياً يحجب الواقع بدل أن يضيئه، فالمعرفة التي أدت وظيفتها يوماً ما، قد تنقلب بمرور الوقت إلى عوائق تثبط البحث وتعيق مساره، بدلاً من أن تيسره (13 p. 1947, Bachelard).

2- الإسقاط على الواقع: تشخيص الخلل المنهجي.

إذا كان المحور الأول قد استجلى كيف تتحول المقاربة النظرية من أداة منهجية إلى مرجعية جامدة، فإن ما سيأتي نتوقف فيه عند اللحظة التي يتجلى فيها ذلك التحول في الممارسة البحثية الفعلية، ليتم إسقاط النظرية على الواقع، هنا ليس مجرد خطأ منهجي عابر قابل للتصحيح بتنقيح الإجراءات، بل هو خلل معرفي عميق يزعزع العلاقة الجوهرية بين الباحث وموضوعه وأدواته في آن واحد.

2-1- ضبط المفهوم: التأطير النظري في مقابل الإسقاط التعسفي.

قبل الحديث عن إسقاط النظرية على الميدان، لا بد من ضبط المصطلح بداية، لأن الخلط بينه وبين مفاهيم مجاورة هو نفسه أحد أوجه الخلل الذي نُشخصه، التأطير النظري فعل معرفي مشروع بل ضروري، يقوم فيه الباحث باختيار مقاربة تناسب موضوعه، ثم يوظفها أداة منهجية لتنظيم رؤيته للميدان، مع احتفاظه الدائم بحقه في مساءلتها وتعديلها كلما استدعى الميدان ذلك، أما الإسقاط التعسفي فيقع حين تنعكس هذه العلاقة كلياً، فينزل الباحث إلى الميدان وقد حسم مسبقاً نتائجه، غير راغب في السؤال، بل حتى في الحصول على بيانات حقيقية، والإسقاط بهذا المعنى الدقيق ظاهرة ذات أبعاد ثلاثة متشابكة لا يجوز اختزالها في بعد واحد: بعد إبستمولوجي يتعلق بطبيعة العلاقة بين النظرية والواقع، وبعد منهجي يتعلق بآليات البحث وإجراءاته، وبعد مؤسسي يتعلق بالبيئة الأكاديمية التي تُنتج هذا النمط وتعيد إنتاجه.

2-2- أشكال الإسقاط التعسفي وتجلياته.

للإسقاط المنهجي أشكال متعددة تتباين في درجة وضوحها وفي عمق أثرها المعرفي، أولها الإسقاط المفاهيمي المباشر، وهو أكثرها وضوحاً، ويتجلى في نقل المفاهيم النظرية إلى ميدان الدراسة نقلاً حرفياً دون اختبار لملاءمتها، فتوظيف مفهوم الطبقة الاجتماعية - مثلاً - بمضمونه الماركسي الكلاسيكي في دراسة مجتمعات لا تنتظم وفق منطق الإنتاج الرأسمالي، يلبس الواقع ثوباً لا يناسبه، فلا يكشفه بل يحجبه، فالمفهوم هنا لا يضيء التحليل بل يشوه ما يدعي أن يفصره. وثانيها الإسقاط الاختزالي، وهو أكثر خفاءً وأشد خطورة، يكون حين يختزل الباحث الواقع الاجتماعي المركب في نموذج نظري أحادي البعد، فمثلاً الباحث الذي يردُّ كل تعقيدات الظاهرة التعليمية إلى منطق إعادة الإنتاج البورديوي وحده، متجاهلاً ما تضيفه المقاربات الأخرى، لا يُنتج تحليلاً سوسيولوجياً، بل تطبيقاً ألياً لنموذج جاهز، والمشكلة هنا ليست في بورديو، بل في الباحث الذي يرى الواقع كله بعين نظرية واحدة منغلقة على نفسها.

وثالثها الإسقاط السياقي، ويتمثل في استيراد نظريات صيغت في سياقات معينة، وتطبيقها على سياقات مغايرة دون مساءلة شروط قابلية النقل، فنظرية الحداثة السائلة عند "باومان"، نشأت في المجتمعات ما بعد الصناعية الغربية، وتوظيفها لفهم ظواهر في مجتمعات لم تكتمل فيها أشكال الحداثة الصلبة أصلاً (باومان، 2016، صفحة 28) لا يُنتج فهماً حقيقياً، بل يُفضي إلى مفارقة منهجية تعصف بمصداقية النتائج.

ورابعها الإسقاط الاستشهادي، وهو الأكثر رواجاً في الكتابة الأكاديمية المعاصرة والأصعب كشفاً، يتجلى في توظيف النظرية للتزيين والاستشهاد، لا للتحليل الفعلي، يُكثرُ الباحث من الاقتباسات النظرية ليثبت أنه ملمٌ بموضوعه، ثم ينتقل إلى المعطيات الميدانية دون أن تكون بين الجانبين

(النظري و الميداني) صلة تحليلية حقيقية، القارئ المتفحص يلمح هذه الهوة بين الفصل النظري والفصل الميداني وكأنهما ينتميان إلى بحثين مختلفين، هذه الفجوة لا يمكن وصفها بالخلل التقني فحسب، بل هي مؤشر صريح على غياب الوعي المنهجي الحقيقي، الذي بإمكانه ربط الإطار النظري بإشكالية البحث ثم بالمعطيات الميدانية.

حيث تكشف القراءة النقدية لمختلف الأعمال البحثية، أنها لا تنهض على مشروع إشكالي متناسق ومتطور، بل هي أقرب إلى تأمل في جملة من التساؤلات المتراكبة، يخترقها مشروع تحويلي ضمني، يقابل ما يسميه "Soulet" بـ "المنفعة الوسيطة"، وحتى حين تكون الإشكالية محورية وجوهرية، فإن التساؤلات المثارة نادرا ما تعالج بالعمق الكافي، وحين نقف عند المستوى النظري والمفاهيمي، نجد أن الجزء المتعلق ببناء موضوع البحث وإشكاليته والمقاربة المنهجية المتبناة قد يبدو "مكتنزا" في ظاهره، إلا أن واقعه في أغلب الأحيان عبارة عن بناء سوسيولوجي غير متماسك أو - على حد ما تم الإشارة إليه - "أحجية سوسيولوجية"، حيث يؤدي الجهاز النظري والمنهجي وظيفه ديكورية لا معرفية، ويتجلى في هذا كله انفصام حقيقي بين المعرفة النظرية للباحثين وحاجاتهم البحثية الفعلية، ينعكس في تعارض بين أهداف البحث والمقاربات النظرية والمعطيات المنهجية وتحليل البيانات (Hirschhorn, 2010, p. 190).

2-3- الآثار المعرفية للإسقاط التعسفي.

تترتب على الإسقاط التعسفي آثار معرفية عميقة، تمتد إلى ما هو أبعد من البحث الفردي، فأول هذه الآثار إخفاء الواقع بدل الكشف عنه، فحين تُفرضُ النظرية على الواقع يتوقف الباحث عن رؤية ما لا تراه نظريته، كل مقارنة تضئ جانباً وتُظلم آخر بطبيعة بنيتها المفاهيمية، وما يميز الباحث الواعي هو معرفته بما تخفيه مقاربتة، لا فقط بما تكشفه، والإسقاط يلغي هذا الوعي، ويُنتجُ في نهاية المطاف صورة منقوصة عن الواقع يعتقد صاحبها أنها كاملة.

وثاني هذه الآثار تجميد النظرية ذاتها، فالنظرية لا تتطور إلا حين تُختبر في الواقع الذي يدفعها إلى مراجعة مفاهيمها وتعديلها متى تتطلب الأمر ذلك، أما حين يوظف الميدان لتأكيد ما لا اختبارها، فإنها تتكلس وتفقد قدرتها التجديدية، وهذا التنافر يترجم دائما بعجز تفسيري وصفه "Soulet" بـ: "أحد أكبر الإشكاليات في التفسير العلمي الاجتماعي يكمن في ضرورة الاضطلاع بعمل تمهيدي، يتمثل في صياغة إعادة إنتاج مُعقّلة للواقع الملاحظ، أي بلوغ إنتاج مجرد من الواقع يظل وفيًا قدر الإمكان للأصل (النظرية)، وبما أن المخططات التي تتيح الانتقال من التجربة المعاشة إلى المفهوم لا تزال بحاجة إلى التوضيح الصحيح، لذا فإن التفسير يتجمد عند لحظة الصياغة وإعادة الإنتاج"

(Hirschhorn, 2010, p. 191).

وثالثها وهو الأبعد مدى و يتمثل في تعميق التبعية المعرفية التي تجعل السوسيولوجيا عاجزة عن إنتاج مفاهيم و نماذج تنبثق من الواقع المدروس لا تُفرض عليه، وهو ما يظل من أبرز التحديات البنيوية التي تواجه إنتاج معرفة سوسيولوجية ذات طابع تأسيسي مستقل، غير أنه يجب أن نتساءل هنا: هل تُعفي هذه النماذج - على تنوعها - عالم الاجتماع من مقتضيات الصرامة المنهجية؟ الجواب قطعاً لا، بل إن هذه النماذج - على ما تنطوي عليه من إشكاليات في تحديد

حدود السببية - تؤدي دورا لا يستهان به في تطور العلوم الاجتماعية عموما، وهو تطور يكمن جوهره في انقلاب نموذج نظري جزئي إلى نموذج عام، أو في تحول النماذج المفاهيمية إلى نماذج شكلية (Assogba, 2004, p. 67).

2-4- لماذا يستمر الإسقاط التعسفي رغم الوعي به؟.

السؤال الأكثر إثارة للتأمل ليس لماذا يقع الإسقاط؟، بل لماذا يستمر حتى حين يعرفه الباحثون وينهون إليه؟، والإجابة تستدعي العودة إلى البنية المؤسسية للحقل الأكاديمي، لا إلى النوايا الفردية، فمعايير التحكيم لا تزال في كثير من الأحيان تُكافئ الاستحضار النظري المكثف، وتُنظر إليه بوصفه علامة الرسوخ و الثقل الأكاديمي، وضغط النشر والترقية يدفع الباحث إلى تأطير بحثه - وتطويقه - بأكبر قدر من المراجع النظرية، حتى حين تكون ذات صلة هامشية بالموضوع، فضلا عن ذلك تفسر إعادة النظر في المقاربة أثناء البحث ضعفا منهجيا وتذبذبا، في حين أنها في الحقيقة علامة النضج المعرفي الأصيل، فيجد الباحث نفسه مُحاصرا بين ما تقتضيه المنهجية السليمة، وما تمليه شروط الحقل الأكاديمي، وغالبا ما تنتصر الأخيرة، وهي مفارقة تستحق لوحدها دراسة مستقلة.

لأن ثمة علاقة ارتباط وثيق بين النظرية و البحث الميداني، فكلاهما عنصر أساسي في عملية تراكم المعرفة و نمو العلم و تقدمه، و الحقيقة أن البحث العلمي الرصين لا ينطلق من فراغ، بل هناك قاعدة إما أن ينطلق منها، أو يعود إليها ألا وهي النظرية، فالباحث الذي ينطلق من إطار نظري محدد لا يكتفي بتوظيفه أداة للتحليل، بل يُخضعه للاختبار ويُدمج ما يفرزه الواقع من معطيات في بنية أفكاره، وعلى هذا الأساس لا تبقى النظرية جامدة في مواجهة نتائج البحث، فهي إما أن تعزز فروضها و تدققها، أو تُعدّل أمام ما تم التوصل إليه من نتائج، لتفسح المجال لتكوينات نظرية جديدة تحل محل ما أثبت قصوره التفسيري، فالعلاقة بين البناء النظري والاختبار الامبيرقي لا تنتهي، بل هي في مسار تصاعدي و تراكمي، يُنتج في كل دورة منه فروضا جديدة وقضايا أكثر إحكاما، مما يبقى السوسولوجيا في حالة مراجعة دائمة لذاتها (الزيباري، 2016، صفحة 51).

3- نحو توظيف منهجي نقدي: معايير ومحددات.

انتهى بنا التحليل السابق إلى تشخيص خلل بنيوي يمس طريقة توظيف المقاربة النظرية في الممارسة البحثية، غير أن هذا التشخيص - مهما بلغت دقته - لا يكفي ما لم يُفض إلى بديل منهجي عملي، وهذا البديل لا يمكن أن يكون دعوة إلى الخروج على النظرية باسم خصوصية الميدان، ولا تليقا انتقائيا يجمع بين مقاربات متناقضة، دون وعي بتوتراتها الابستمولوجية، إذن فالمطلوب هنا هو إعادة بناء العلاقة بين الباحث ومقاربه النظرية على أسس نقدية واضحة المعالم.

1-3- مبدأ الملاءمة المنهجية لا الانتماء المرجعي.

المعيار الأساسي في التوظيف المنهجي النقدي هو معيار الملاءمة، فاختيار المقاربة النظرية يجب أن يخضع لمنطق الموضوع لا لمنطق الانتماء المرجعي، السؤال الذي ينبغي أن يسبق كل اختيار نظري ليس من أتبع، بل ماذا أدرس وكيف تساعدني هذه المقاربة على فهمه بعمق أكبر وبدقة أوفى، يستلزم هذا المبدأ ممارسة ما يمكن تسميته الحياد النظري المؤقت : أي أن يأتي الباحث إلى

موضوعه دون أن يكون قد حسم انتماءه النظري مسبقاً، ويترك للموضوع أن يملئ عليه نوع الأسئلة التي ينبغي طرحها، وهو ما أكد عليه "إميل دوركايم" في كتابه "قواعد المنهج السوسيولوجي" على أن: "الظواهر الاجتماعية ينبغي أن تدرس كأشياء"، وهو ما يعني أن السوسيولوجي عليه أن يحافظ على مسافة معينة إزاء موضوع دراسته، حتى يتجنب منهجياً جميع الأفكار والأحكام المسبقة، والبداهيات الخاطئة، والتي تهدد في كل لحظة بالتسرب إلى تحليلاته، لأن السوسيولوجي مثل كل باحث في مجال آخر، يجب عليه أن يحذر، وهذا لا يعني أن يأتي خالياً من أي أحكام نظرية، فذلك وهم إبستمولوجي نبّه إليه "باشلار"، لذا على الباحث أن يكون واعياً بها ومسائلاً لها لاكتشاف معرفة جديدة (ريتور، 2015، صفحة 24).

3-2-2- مسألة النظرية قبل توظيفها: ثلاث دوائر متداخلة.

التوظيف المنهجي النقدي يشترط أن يُخضع الباحث مقارنته النظرية لجملة من الأسئلة النقدية قبل الشروع في توظيفها، وتندرج هذه الأسئلة في ثلاث دوائر متداخلة لا تعمل بمعزل عن بعضها.

3-2-1- الدائرة الأولى: مسألة السياق.

في أي سياق تاريخي واجتماعي نشأت هذه المقاربة؟، وما الأسئلة التي صيغت أصلاً للإجابة عنها؟، وما الفجوة بين ذلك السياق والسياق الذي يدرسه الباحث؟، هذه المسألة لا تهدف إلى رفض المقاربة بسبب الاختلاف السياقي، بل إلى تحديد حدود قابليتها للنقل وشروط ملائمتها. وهنا يؤكد "عمر التير" بقوله: إن الذي يراجع كتب علم الاجتماع من الخارج في المجال المعرفي، لا بد وأن يقف مندهشاً أمام العدد الكبير من النظريات الاجتماعية، ولا بد أيضاً أن يقف حائراً أمام تعدد النظريات التي تتعلق بموضوع بعينه، أو بظاهرة بذاتها، وهو ما دعاه- عمر التير- إلى تأكيد أن: على علم الاجتماع العربي بناء نظرية اجتماعية أصيلة تنبثق من مكونات الواقع المحلي وتمتلك قدرة تفسيرية وتنبؤية حقيقية، وإما الاستمرار في إنتاج بحوث تعيد توظيف أطر مستعارة فتفضي إلى تمثيلات زائفة للبنية الاجتماعية، والوصول إلى قوانين-زائفة- لا تعكس سوى نموذج افتراضي لا صلة له بالواقع الذي يُفترض تحليله (مهروباشة، 2018، الصفحات 132-133).

3-2-2- الدائرة الثانية: مسألة المفاهيم.

هل المفاهيم الأساسية للمقاربة قابلة للتطبيق بمضمونها الأصلي، أم تحتاج إلى إعادة صياغة تستجيب لطبيعة الموضوع؟، وهل ثمة مفاهيم متاحة في التراث النظري قادرة على أداء الوظيفة ذاتها بكفاءة أعلى؟، هذا السؤال هو المدخل الحقيقي لما يمكن تسميته السوسيولوجيا المركبة، تلك التي تبني على التراث النظري العالمي دون أن تستسلم له.

ولما كان تطوير المفاهيم وبنائها يتشكل عبر سيرورات مختلفة، وفي سياقات ووضعيات معرفية متباينة، يكسبها معاني متعددة وتجعلها تختلف وتتفاوت من باحث لآخر، من حيث توظيفها واستخدامها بدلالاتها ومعانيها المكتسبة، بل تختلف من وضعية ثقافية إلى أخرى، ومن طور حضاري لآخر، فإنها تكون بالضرورة على درجة كبيرة من التعقيد والغموض، مما يجعل عملية استعارتها من علم لآخر، أو من بحث إلى آخر محفوفة بالمخاطر المنهجية، تتطلب إعادة الإنتاج من أجل تحريرها من الأسر الإيديولوجي أو الثقافي أو التخصص الأكاديمي، فالعلاقة بين المفهوم و مُستخدمه علاقة تبادلية، فكما أن المفاهيم الجاهزة تساهم بشكل أو بآخر في تشكيل النظم

الإدراكية لمتعلميها و مستعملها، أو تعديلها أو تغييرها، فإنها أيضا تتأثر بالنظام الإدراكي لمستعملها، بتعديلها و تغيير مضامينها و دلالاتها وفق تمثلاتهم (فرحاتي، 2012، صفحة 70).

3-2-3- الدائرة الثالثة :مسألة الحدود.

ما الذي لا تستطيع هذه المقاربة رؤيته بطبيعة بنيتها المفاهيمية؟، الباحث الذي يعرف ما لا تراه نظريته أكثر موثوقية معرفية ممن يعتقد أن نظريته ترى كل شيء، هذه المسألة هي علامة النضج المعرفي الحقيقي، وهي أيضا الأقل حضورا في لجان المناقشة و الملتقيات العلمية.

وهنا تجدر الإشارة إلى التنبيه لملاحظة منهجية حاسمة لا يمكن تجاوزها بسهولة، مفادها أن التعامل مع المفاهيم والنظريات والنماذج، يستلزم الحذر من الوقوع في أية اتباعية أو دوغمائية ضيقة، كثيرا ما تُجبر الواقع على الإنصياع للنظرية و الاعتراف بها، بدل اعتبارها أداة اشتغال وبوصلة إجرائية للتعرف على الواقع، طبيعيا كان أو اجتماعيا، وهكذا فإن النظرية عندما لا تعرف حدودها أو تقفز على الواقع و قد تتخلف عنه، لا تنقل حظوظها و قدرتها على تفسيره و فهمه و توجيهه فقط، و إنما قد تكون لها عواقب و تبعات سلبية على مسار و مآل هذا الواقع المعني، المحدد في الزمان و المكان (محسن، 2023، صفحة 211).

3-3- التوظيف التفاعلي لا التوظيف الخطي.

العلاقة السليمة بين النظرية والميدان ليست علاقة خطية تسير في اتجاه واحد من النظرية إلى الميدان، هي علاقة تفاعلية دائرية يغذي فيها كل طرف الآخر ويعدله باستمرار، في التوظيف الخطي التقليدي يُحدد الباحث مقارنته ثم يجمع معطياته، ويفسرها في ضوء تلك المقاربة، والعلاقة في النهاية علاقة تأكيد، أما في التوظيف التفاعلي فإن الباحث يذهب إلى الميدان بأسئلة مستلهمة من المقاربة، لكنه يبقى منفتحاً على احتمال أن يعدل الميدان تلك الأسئلة، أو يدفعه إلى مراجعة المقاربة ذاتها.

يُشترط في هذا التوظيف ما يمكن تسميته "المرونة النظرية"، وهي استعداد الباحث لمراجعة خياراته النظرية في ضوء ما يكشفه الميدان، وقد يعترض البعض على هذه الدعوة بحجة أن ثبات التأطير النظري هو علامة الصرامة المنهجية، لكن الصرامة المنهجية الحقيقية، هي القدرة على المراجعة حين يستدعيها الميدان، لا التمسك بالمقاربة حين تُثبت قصورها أمام تعقيدات الواقع.

وتجدر الإشارة إلى أن كتابة أدبيات الدراسة قبل جمع بيانات الميدان محل جدل كبير بين الباحثين، فهناك من يرى أن مراجعة النظريات تكون فقط بعد جمع و تحليل البيانات، و السبب يكمن في صعوبة فهم طبيعة مشكلة الدراسة، قبل استكشاف الميدان، فمن جهة تُمنح الحرية الكاملة للباحث للنزول للميدان بعقلية منفتحة لا يؤثر عليها أي فهم نظري مسبق، ومن جهة أخرى حتى لا تقود النظرية تحليل البيانات، فالبيانات يُفترض أنها تحدد اتجاه الدراسة و أسئلتها (القريبي، 2020، صفحة 228).

4-3- التعددية النظرية المضبوطة.

أحد الردود الشائعة على إشكالية الإسقاط هو الدعوة إلى تبني التعددية النظرية، وهذا التوجه قد يكون صحيحا في مبدئه، لكنه ينطوي على خطر منهجي آخر حين يتحول إلى حشو نظري غير مضبوط، أي الجمع بين مقاربات متعارضة في افتراضاتها النظرية دون وعي بطبيعة التعارض،

التعددية النظرية المضبوطة تستلزم ثلاثة شروط متلازمة :أن يكون الباحث واعيا بالتوترات الابدستيمولوجية بين المقاربات التي يجمعها، وأن يُحدد مسبقا ما تُجيب عنه كل مقارنة، وما تعجز عن الإجابة عنه، وأن يبني مبدأ تنسيق واضح يحدد دور كل مقارنة في بنية التحليل الكلية، وحين تتوفر هذه الشروط تغدو التعددية ثراء منهجيا حقيقيا، لكن بغياها تغدو فوضى مفاهيمية تعصف بتماسك البحث .

لأنه – وحسب إيان كريب- لا توجد نظرية شاملة في مجال علم الاجتماع تستطيع أن تُفسر جميع مناحي الحياة، فمثلا عند حديثنا عن "البنية و الفعل"، فالنظرية التي يمكنها تفسير ظواهر متعلقة بالبنية، لا يكون بوسعها تفسير ظواهر خاصة بالفعل أو تأويله، إذ يجب أن يفسر كل منها بنظرية خاصة به، وهذا ما دفع بعض المهتمين بالنظرية الاجتماعية أمثال "إيان كريب" إلى الإقرار بحتمية "التعدد النظري"، و التوجه نحو توظيف أكثر من مقارنة في آن واحد حسب متطلبات و ما يقتضيه البحث (كريب، 1999، صفحة 14).

3-5- إعادة الاعتبار للمفاهيم المنبثقة من الواقع.

تبقى المقاربات النظرية في السوسيولوجيا منقوصة ما لم يُفسح فيها المجال لمفاهيم تنبثق من الواقع المدروس لا تُفرض عليه، هذا لا يعني رفض التراث النظري برمته، فذلك انعزال معرفي لا مسوغ له، لكن ممارسة ما يمكن تسميته التفاوض المعرفي بين النظرية الوافدة وخصوصية الواقع المدروس، حين يكتشف الباحث في ميدانه ظاهرة لا تستوعبها المفاهيم المتاحة استيعابا كافيا، لا يجبرها على الدخول في المفهوم القائم بعنف مفاهيمي، ولا يتخلى عن التأطير النظري بحجة تَفَرُّد الواقع، بل يجب أن يسعى إلى بناء مفهوم وسيط، أو تعديل مفهوم قائم، أو اقتراح مفهوم جديد يستوعب ما أفرزه الواقع، ويحاوره مع التراث النظري الشامل، وهذا ما يُنتج الإسهام المعرفي الحقيقي .

3-6- نموذج إجرائي مقترح.

تندرج المبادئ السابقة ضمن نموذج إجرائي متكامل يمكن تطبيقه عبر مراحل البحث الثلاث الكبرى، وهي مراحل لا تسير في خط مستقيم بل في حوار متواصل، ففي مرحلة بناء الموضوع يبدأ الباحث بمساءلة الظاهرة لا بمساءلة النظرية، يحدد أسئلته البحثية انطلاقا من طبيعة الموضوع، ثم يبحث عن المقاربة التي تُجيب عن تلك الأسئلة بأكبر قدر من الدقة. فالميدان أولا ثم النظرية، وفي مرحلة التحليل يُوظف الباحث المقاربة أداة للقراءة لا قالبا للاستيعاب، ويحافظ على حوار مستمر بين ما تمليه النظرية وما يكشفه الميدان، مع معاملة التوترات بين الأحكام النظرية والمعطيات الميدانية باعتبارها موردا معرفيا بالغ الأهمية و الثراء، لا عائقا يجب إخفاؤه، وفي مرحلة كتابة النتائج يُصرح الباحث بوضوح بحدود مقارنته النظرية وبما أضاءه الميدان، و لم تكن النظرية تتوقعه، هذا التصريح ليس اعترافا بالقصور، هو علامة الأمانة المعرفية التي تمنح البحث مصداقيته الأكاديمية الحقيقية.

خاتمة:

خلصت هذه المداخلة إلى أن الإسقاط التعسفي للمقاربة النظرية على الواقع الاجتماعي ليس خلافاً إجرائياً عابراً يُعالجُ بتعديل الأدوات، ولا قصوراً فردياً يُتداركُ بتوجيه الباحثين، بل هو أزمة بنيوية تتشابه فيها عوامل معرفية ومؤسسية وتكوينية، غير أن الأمانة العلمية تستوجب الإقرار بأن ما تم اقتراحه من معايير قد يضيء بعضاً من جوانبها، التي تساهم في إعادة بناء وتوطيد العلاقة بين الباحث ومقاربتة النظرية على أساس من الوعي المزدوج بحدود النظرية من جهة، وبخصوصية الميدان من جهة أخرى.

ولعل أعمق ما تكشفه هذه المداخلة هو أن النظرية السوسيولوجية لا تفقد قدرتها التفسيرية بسبب حدودها - لأن لكل نظرية حدود بطبيعتها - بل تفقدها حين يتوقف الباحث عن مساءلة تلك الحدود، والسوسيولوجيا التي لا تملك الجرأة على مساءلة أدواتها المعرفية، لن تستطيع أن تملك القدرة على فهم واقع لا يتوقف عن تجاوز المفاهيم التي تُصاغ لاستيعابه.

قائمة المراجع:

- 1- العربي بلقاسم فرحاتي. (2012). البحث الجامعي بين التحرير والتصميم والتقنيات. عمان، الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع.
- 2- إيان كريغ. (1999). النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس. (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، المحرر، و محمد حسين غلوم، المترجمون) الكويت.
- 3- زيجمونت باومان. (2016). الحداثة السائلة. (حجاج أبو جبر، المترجمون) بيروت، لبنان: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- 4- سعد بن غنام القريني. (2020). البحث النوعي الاستراتيجيات وتحليل البيانات. الرياض، السعودية: دار جامعة الملك سعود للنشر.
- 5- طاهر حسو الزبياري. (2016). النظرية السوسيولوجية المعاصرة. عمان، الأردن: دار البروني للنشر والتوزيع.
- 6- عبد الحليم مهورباشة. (2018). علم الاجتماع في العالم العربي من النقد إلى التأسيس. عمان، الأردن: مركز معرفة الإنسان للدراسات والأبحاث والنشر والتوزيع.
- 7- عبد الله الشارف. (2018). علم الاجتماع في العالم العربي دراسة نقدية. تطوان، المملكة المغربية: مطبعة تطوان.
- 8- عبد الله العروي. (2012). مفهوم الإيديولوجيا (الإصدار 8). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- 9- علي ليلة. (2016). علم الاجتماع وبناء النظرية الاجتماعية. القاهرة، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.
- 10- فيليب ريتور. (2015). الدروس الأولى في علم الاجتماع. (محمد جديدي، المترجمون) بيروت، لبنان: منشورات ضفاف.
- 11- مصطفى محسن. (2023). تحديات الإصلاح الديمقراطي العربي مداخل سوسيوسياسية وثقافية لنقد الراهن واستشراف المستقبل. عمان، الأردن: مركز الكتاب الأكاديمي.
- 12-Assogba, Y. (2004). La sociologie est-elle une science ? Entretien avec Raymond Boudon et systématisation de la démarche d'explication en sociologie. Québec, Canada: Les Presses de l'Université Laval.
- 13- Bachelard, G. (1947). La formation de l'esprit scientifique. Paris, France: Librairie Philosophique J.Vrin.
- 14- Hirschhorn, M. &. (2010). La sociologie francophone en Afrique : État des lieux et enjeux. Paris, France: Karthala.

إشكالية بناء المقاربة النظرية في السوسيولوجيا بين الضبط المفاهيمي ومتطلبات التفسير الاجتماعي

د- مبارك بوعلي أستاذ محاضر - أ-

جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي - تبسة - الجزائر

mebarek.bouali@univ-tebessa.dz

ملخص:

يتناول هذا المقال إشكالية بناء المقاربة النظرية في السوسيولوجيا، من خلال تحليل العلاقة الجدلية بين الضبط المفاهيمي ومتطلبات التفسير الاجتماعي، وينطلق من فرضية أن المقاربة النظرية تمثل الإطار الحاكم للبحث السوسيولوجي، إذ تحدد مفاهيمه، وتوجه أدواته، وتؤثر في طبيعة نتائجه، كما يبرز أهمية الضبط المفاهيمي باعتباره شرطا أساسيا لعملية البحث، مع التأكيد على الطابع السياقي والمرن للمفاهيم السوسيولوجية، وفي المقابل يناقش المقال أن التفسير الاجتماعي لا يقوم فقط على تطبيق المفاهيم، بل على إعادة بناء الواقع في ضوء أطر نظرية متعددة، ويخلص إلى أن العلاقة بين المفهوم والتفسير علاقة جدلية متبادلة، حيث يؤثر كل منهما في الآخر، ويقترح المقال ضرورة تحقيق توازن بين الدقة المفاهيمية والفعالية التفسيرية من أجل تطوير المعرفة السوسيولوجية، كما يؤكد أن قوة السوسيولوجيا تكمن في قدرتها على إدارة هذا التفاعل بين النظرية والواقع. الكلمات المفتاحية: المقاربة النظرية، السوسيولوجيا، الضبط المفاهيمي، التفسير الاجتماعي، الإستمولوجيا.

Abstract: This article examines the problem of constructing the theoretical approach in sociology by exploring the relationship between conceptual rigor and social explanation, It argues that the theoretical approach serves as the guiding framework of sociological research, shaping its concepts, methods, and results. The study highlights the importance of conceptual clarification as a condition for scientific validity, while recognizing the contextual and flexible nature of sociological concepts, It also shows that social explanation goes beyond the mere application of concepts, as it involves reconstructing social reality through theoretical frameworks, The article emphasizes the dynamic and reciprocal relationship between concept and explanation, It concludes that effective sociological knowledge depends on balancing conceptual precision with explanatory capacity.

Keywords: Theoretical approach, Sociology, Conceptual rigor, Social explanation, Epistemology.

مقدمة

تعد السوسيولوجيا من بين العلوم التي تميزت منذ نشأتها بتعدد مقارباتها النظرية وتنوع أطرها التفسيرية، وهو ما جعلها حقلا معرفيا غنيا، لكنه في الوقت ذاته معقد من حيث بناء المعرفة العلمية وضبط مفاهيمها، فمنذ الإرهاصات الأولى لهذا العلم مع "إميل دوركايم" Émile Durkheim (1858-1917) الذي سعى إلى تأسيس سوسيولوجيا ذات طابع علمي قائم على الوقائع الاجتماعية، مروا بمقاربة الفهم لدى ماكس فيبر (1864-1920) Max Weber التي أولت أهمية للمعنى الذاتي للفعل الاجتماعي، وصولا إلى التحليلات النقدية عند كارل ماركس Karl Marx (1818-1883) التي ركزت على البنى والصراعات الاجتماعية، ظل السؤال النظري

حاضرا بقوة في قلب المشروع السوسيولوجي، سواء من حيث بناء المفاهيم أو من حيث القدرة على تفسير الظواهر الاجتماعية.

وفي هذا السياق تبرز المقاربة النظرية باعتبارها أداة مركزية في البحث السوسيولوجي، إذ لا تقتصر وظيفتها على تأطير الظاهرة المدروسة، بل تتجاوز ذلك إلى توجيه مسار البحث، وتحديد مفاهيمه الأساسية، وصياغة فرضياته، واختيار أدواته المنهجية، غير أن بناء هذه المقاربة لا يتم بشكل محايد أو بسيط، بل يطرح إشكالات إبستمولوجية عميقة، تتعلق أساسا بكيفية تحقيق التوازن بين الدقة المفاهيمية من جهة، والقدرة على إنتاج تفسير اجتماعي ذي معنى من جهة أخرى، فالمفهوم السوسيولوجي بخلاف المفاهيم في العلوم الدقيقة يتسم بمرونة دلالية وارتباط وثيق بسياقه الاجتماعي والثقافي، مما يجعل عملية ضبطه أمرا معقدا ومفتوحا على التأويل.

من هنا تتجلى إشكالية الضبط المفاهيمي بوصفها إحدى أبرز التحديات التي تواجه الباحث السوسيولوجي، إذ إن أي خلل في تحديد المفاهيم أو توظيفها قد ينعكس سلبا على مصداقية التفسير ونجاعته، وفي المقابل فإن التركيز المفرط على التجريد المفاهيمي قد يؤدي إلى انفصال النظرية عن الواقع، مما يفقدها قدرتها التفسيرية، لذلك يظل الرهان الأساسي في البحث السوسيولوجي هو بناء مقاربة نظرية قادرة على تحقيق نوع من التكامل بين الصرامة المفاهيمية والفعالية التفسيرية، بما يسمح بفهم الظواهر الاجتماعية في تعقيدها وتحولاتها.

وانطلاقا من ذلك يسعى هذا المقال إلى معالجة إشكالية بناء المقاربة النظرية في السوسيولوجيا، من خلال تحليل العلاقة الجدلية بين الضبط المفاهيمي ومتطلبات التفسير الاجتماعي، وبيان كيف يؤثر كل منهما في الآخر ضمن سيروية إنتاج المعرفة السوسيولوجية، ويتأسس هذا الطرح على التساؤل المركزي الآتي:

إلى أي حد يمكن تحقيق التوازن بين دقة البناء المفاهيمي وفعالية التفسير الاجتماعي في المقاربة النظرية السوسيولوجية؟ وما هي الحدود والإمكانات التي تحكم هذه العلاقة في سياق البحث العلمي المعاصر؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية يعتمد المقال مقاربة تحليلية نقدية تنطلق من تأصيل مفهوم المقاربة النظرية ووظائفها، ثم تنتقل إلى مناقشة إشكالية الضبط المفاهيمي، قبل أن تنتهي إلى استجلاء طبيعة العلاقة بين المفهوم والتفسير في السوسيولوجيا، في أفق اقتراح رؤية تكاملية تسهم في تطوير الممارسة البحثية السوسيولوجية وتعزيز قدرتها على الفهم والتفسير.

ومن ثم تهدف هذه الفكرة في مجملها إلى بناء مقاربة تكاملية في البحث السوسيولوجي تجمع بين المناهج والأدوات المختلفة، بما يسمح بتجاوز الثنائيات التقليدية والانفتاح على فهم أعمق للظواهر الاجتماعية.

وذلك من أجل تعزيز القدرة على التفسير العلمي الدقيق وتطوير الممارسة البحثية، وهو ما تسعى إليه هذه الورقة البحثية.

1. المقاربة النظرية في السوسيولوجيا: التأصيل المفاهيمي والوظيفي:

تعد المقاربة النظرية في السوسيولوجيا أحد المداخل الأساسية التي يقوم عليها البحث الاجتماعي، إذ تمثل الإطار المرجعي الذي يحدد كيفية فهم الظواهر الاجتماعية وتفسيرها، فهي

ليست مجرد مجموعة من المفاهيم المجردة، بل بناء معرفي منظم يوجه الباحث في صياغة إشكاليته، وتحديد أدواته، وتفسير معطياته الميدانية، ومن هذا المنطلق يمكن القول إن المقاربة النظرية تشكل البنية العميقة التي تضبط حركة البحث السوسيولوجي من البداية إلى النهاية.

1.1. تحديد مفهوم المقاربة النظرية وتمييزها عن الأطر المجاورة:

يقصد بالمقاربة النظرية ذلك النسق المفاهيمي المنظم الذي يقدم تصورا معينا للواقع الاجتماعي، ويحدد طريقة تفسيره وتحليله، وهي تختلف عن "النظرية" بمعناها الكلاسيكي، لأن النظرية قد تكون أكثر تجريدا وشمولا (إبراهيم عيسى عثمان، 2008، ص16)، بينما المقاربة النظرية تعد تطبيقا إجرائيا وانتقائيا لبعض عناصر النظرية في سياق بحث محدد، كما تختلف عن "الإطار المفاهيمي" الذي يقتصر غالبا على تحديد المفاهيم الأساسية دون بناء تفسير شامل للظاهرة.

وفي هذا السياق يشير بعض الباحثين إلى أن المقاربة النظرية تمثل "عدسة تحليلية" ينظر من خلالها الباحث إلى الواقع الاجتماعي، حيث تحدد ما يرى وما يهمل وما يفسر (نعمان عباسي، 2011، ص39)، كما تؤكد أدبيات المنهج السوسيولوجي أن غياب مقاربة نظرية واضحة يؤدي إلى نوع من التشظي المفاهيمي وصعوبة ضبط نتائج البحث (أحمد زكي بدوي، 1982، ص24). ومن المهم الإشارة إلى أن المقاربة النظرية ليست محايدة، بل تحمل في داخلها افتراضات إستمولوجية حول طبيعة المجتمع، وطبيعة الفعل الاجتماعي، وإمكانية المعرفة العلمية، فالمقاربة الوضعية، فمثلا تفترض إمكانية دراسة الظواهر الاجتماعية كما تدرس الظواهر الطبيعية، في حين تنطلق مقاربة الفهم من ضرورة فهم المعاني الذاتية للفعل الاجتماعي (عبد الله إبراهيم، 2010، ص98).

2.1. وظائف المقاربة النظرية في توجيه البحث السوسيولوجي:

تلعب المقاربة النظرية وظائف متعددة وحاسمة في البحث السوسيولوجي، يمكن تلخيص أهمها في ثلاث وظائف مركزية وهي (يمنى طريف الخولي، 1990، ص48):
- الوظيفة التأطيرية: حيث توفر المقاربة النظرية الإطار العام الذي يحدد موضوع الدراسة وحدودها المفاهيمية، مما يساعد الباحث على الانتقال من الإشكال العام إلى الإشكال العلمي المحدد.

- الوظيفة التفسيرية: إذ لا يقتصر دور المقاربة النظرية على الوصف، بل تمتد إلى تفسير الظواهر الاجتماعية من خلال ربطها بعلاقات سببية أو بنيوية أو دلالية، فمثلا يفسر "إميل دوركايم" ظاهرة الانتحار من خلال الروابط الاجتماعية ومستويات الاندماج داخل المجتمع، وليس من خلال العوامل الفردية فقط.

- الوظيفة الإرشادية المنهجية: حيث توجه المقاربة النظرية اختيار الأدوات المنهجية وتقنيات جمع البيانات، سواء كانت كمية أو كيفية، كما تحدد نوع الأسئلة البحثية الممكن طرحها.

ومن جهة أخرى يؤكد "ماكس فيبر" أن الفهم السوسيولوجي لا يمكن أن ينفصل عن البناء النظري الذي يمنح المعنى للفعل الاجتماعي، حيث يصبح "الفهم" عنصرا أساسيا في إنتاج المعرفة السوسيولوجية (ماكس فيبر، 1990، ص59).

في حين يربط "كارل ماركس" بين المقاربة النظرية والبنية المادية للمجتمع، معتبرا أن أي تفسير اجتماعي لا يأخذ بعين الاعتبار علاقات الإنتاج يبقى تفسيراً ناقصاً (خليل عبد السميع، 2001، ص12).

وبذلك يتضح أن المقاربة النظرية ليست مجرد اختيار تقني، بل هي قرار معرفي وإبستمولوجي يحدد طبيعة المعرفة السوسيولوجية المنتجة، ويؤثر بشكل مباشر في جودة التفسير وعمقه.

2. إشكالية الضبط المفاهيمي في بناء المقاربة النظرية:

تعد مسألة الضبط المفاهيمي من أبرز الإشكالات التي تواجه البحث السوسيولوجي، وذلك لكون المفاهيم تمثل اللبنة الأساسية التي يبنى عليها كل تفسير علمي للظواهر الاجتماعية، فإذا كانت المقاربة النظرية هي الإطار العام الذي يوجه البحث، فإن المفاهيم هي الأدوات الدقيقة التي تترجم هذا الإطار إلى تحليل قابل للفهم والتطبيق، ومن هنا فإن أي خلل في بناء المفاهيم أو في تحديد دلالاتها يؤدي مباشرة إلى اضطراب في البناء النظري ككل، ويضعف من قدرة البحث على إنتاج معرفة علمية رصينة.

1.2. الضبط المفاهيمي: بين التحديد الدلالي والتحديد الإجرائي:

يقصد بالضبط المفاهيمي تلك العملية المنهجية التي تهدف إلى تحديد معنى المفهوم بدقة، سواء على المستوى الدلالي (Semantic) أو على المستوى الإجرائي (Operational)، فالتحديد الدلالي يركز على المعنى النظري للمفهوم داخل نسقه السوسيولوجي، في حين يهدف التحديد الإجرائي إلى تحويل المفهوم إلى مؤشرات قابلة للقياس أو الملاحظة في الواقع الاجتماعي (سلاطينة بلقاسم، 2012، ص48).

غير أن المفاهيم السوسيولوجية تتسم بطبيعة مركبة تجعل ضبطها أمراً غير بسيط، فهي ليست مفاهيم ثابتة أو رياضية، بل مفاهيم تاريخية وسياقية تتغير بتغير البنى الاجتماعية والثقافية، فعلى سبيل المثال مفهوم "السلطة" لا يحمل نفس المعنى عند "ماكس فيبر" الذي يربطه بالشرعية وأنماط الهيمنة، كما لا يحمل نفس الدلالة في المقاربات الماركسية التي تربطه بالبنية الاقتصادية وعلاقات الإنتاج (سليمان عبد الرحمان، 2009، ص16).

كما أن الانتقال من المستوى النظري إلى المستوى الإجرائي يطرح صعوبات إضافية، إذ قد يؤدي إلى اختزال المفاهيم في مؤشرات كمية تفقدها عمقها التفسيري، فمفهوم مثل "الاندماج الاجتماعي" عند "إميل دوركايم" لا يمكن اختزاله بسهولة في مؤشرات رقمية دون فقدان جزء من معناه البنيوي المرتبط بدرجة تماسك المجتمع (إميل دوركايم، 1988، ص276).

ومن ثم فإن الضبط المفاهيمي لا يعني التبسيط أو الاختزال، بل يعني تحقيق توازن دقيق بين الدقة النظرية والمرونة التفسيرية، بما يسمح للمفهوم بأن يكون واضحاً من جهة، وقادراً على استيعاب تعقيد الواقع من جهة أخرى.

2.2. إشكالات المفاهيم السوسيولوجية وأثرها على إنتاج المعرفة:

تواجه المفاهيم السوسيولوجية عدة إشكالات بنيوية تؤثر مباشرة على بناء المعرفة العلمية، يمكن تلخيص أهمها في ثلاث إشكالات رئيسية (جمال معتوق، 2006، ص6):

- إشكالية الغموض الدلالي: حيث تحمل بعض المفاهيم أكثر من معنى حسب السياق النظري أو المدرسة السوسيولوجية، فمفهوم "الطبقة الاجتماعية" مثلا يختلف بين المقاربة الماركسية التي تركز على الملكية وعلاقات الإنتاج، والمقاربات الوظيفية التي تربطه بالمكانة الاجتماعية والدور.

- إشكالية التعدد النظري للمفهوم الواحد: إذ نجد أن المفهوم نفسه يعاد تعريفه داخل مقاربات متعددة، مما يؤدي إلى نوع من "التشظي المفاهيمي"، وهذا ما يجعل الباحث أحيانا مضطرا إلى تحديد موقفه النظري مسبقا قبل حتى الشروع في التحليل.

- إشكالية نقل المفاهيم بين السياقات الاجتماعية: حيث يتم أحيانا استخدام مفاهيم نشأت في سياقات غربية لتحليل مجتمعات ذات بنى مختلفة، مما قد يؤدي إلى نوع من عدم التوافق بين المفهوم والواقع المدروس.

إن هذه الإشكالات لا تبقى على مستوى نظري فقط، بل تنعكس بشكل مباشر على إنتاج المعرفة السوسيولوجية، فغياب الدقة المفاهيمية يؤدي إلى نتائج بحثية غير مستقرة، ويجعل التفسير الاجتماعي عرضة للتأويلات المتعددة، كما أن ضعف الضبط المفاهيمي قد يخلق فجوة بين المعطيات الميدانية والإطار النظري، مما يفقد البحث انسجامه الداخلي.

وفي المقابل فإن المقاربة النظرية التي تعتمد على مفاهيم مضبوطة بدقة تسمح ببناء تفسير أكثر اتساقا وعمقا، لأنها تربط بين المستوى التجريدي والمستوى الواقعي بطريقة منهجية، لذلك يؤكد العديد من المنهجيين أن جودة البحث السوسيولوجي تقاس بدرجة صرامته المفاهيمية بقدر ما تقاس بصرامته المنهجية (قنيفة نورة، 2012، ص145).

3. من المفهوم إلى التفسير: جدلية البناء النظري والتفسير الاجتماعي:

إن العلاقة بين المفهوم والتفسير من أكثر القضايا تعقيدا في السوسيولوجيا، لأنها تمثل نقطة الانتقال الحاسمة من المستوى التجريدي (بناء المفاهيم والنماذج) إلى المستوى التفسيري (فهم الواقع الاجتماعي وتحليله). فالمقاربة النظرية لا تكتمل بمجرد ضبط المفاهيم، بل تختبر فعليا في قدرتها على إنتاج تفسير علمي متماسك للظواهر الاجتماعية. ومن هنا فإن هذه العلاقة تتخذ طابعا جدليا، حيث يؤثر المفهوم في التفسير، كما يعيد التفسير بدوره تشكيل المفهوم وتطويره.

1.3. أنماط التفسير في السوسيولوجيا وعلاقتها بالإطار النظري:

يتعدد التفسير السوسيولوجي بتعدد المرجعيات النظرية التي ينطلق منها الباحث، إذ لا يوجد نمط واحد للتفسير، بل توجد أنماط متعددة تعكس اختلاف التصورات حول طبيعة الواقع الاجتماعي.

- التفسير السببي الوضعي الذي يتجلى في المقاربة "الدوركايمية"، حيث يفسر الفعل الاجتماعي من خلال البحث عن أسبابه الموضوعية الخارجية، فـ "إميل دوركايم" يرى أن الظواهر الاجتماعية يجب تفسيرها بظواهر اجتماعية أخرى، مثل تفسير الانتحار بعوامل الاندماج أو التفكك الاجتماعي، هذا النمط يعتمد على بناء مفاهيم دقيقة قابلة للقياس، ويعطي أهمية كبيرة للعلاقات السببية.

- التفسير القائم على الفهم (الذاتي) الذي طوره "ماكس فيبر" حيث لا يكفي تفسير الفعل الاجتماعي من الخارج، بل يجب فهم المعاني التي يعطيها الفاعلون لأفعالهم، هنا يصبح المفهوم أداة

لفهم "المعنى" وليس فقط "السبب"، مما يجعل التفسير مرتبطاً بالبنية الثقافية والقيمية للمجتمع.

- التفسير البنيوي النقدي الذي يتجلى في الفكر الماركسي، حيث يفسر الواقع الاجتماعي من خلال البنى الاقتصادية وعلاقات القوة والصراع الطبقي، ويعد "كارل ماركس" من أبرز من أسس لهذا النمط، إذ ربط بين البنية التحتية الاقتصادية والبنية الفوقية الفكرية والسياسية. ومن خلال هذه الأنماط يتضح أن التفسير السوسيولوجي لا ينفصل عن المقاربة النظرية التي ينتمي إليها، بل هو امتداد لها، فكل إطار نظري يحدد مسبقاً نوع الأسئلة الممكن طرحها، ونوع الإجابات الممكنة، وبالتالي يوجه مسار التفسير نفسه.

2.3. نحو تكامل بين دقة المفاهيم وفعالية التفسير الاجتماعي:

إن العلاقة بين المفهوم والتفسير ليست علاقة خطية بسيطة، بل هي علاقة جدلية متبادلة، فكلما كانت المفاهيم أكثر دقة، أصبح التفسير أكثر اتساقاً ووضوحاً، لكن في المقابل فإن التفسير نفسه قد يكشف حدود المفاهيم ويعيد صياغتها وتطويرها، وهذا ما يجعل البحث السوسيولوجي عملية ديناميكية مستمرة وليست عملية مغلقة.

ففي كثير من الدراسات السوسيولوجية يلاحظ أن المفاهيم الأولية التي ينطلق منها الباحث قد تتغير أثناء التحليل الميداني، نتيجة مواجهة الواقع الاجتماعي المعقد، وهذا يعني أن التفسير لا يكتفي بتطبيق المفهوم، بل يساهم أيضاً في إعادة إنتاجه وتعديله (خالد حامد، 2003، ص13).

ومن جهة أخرى فإن الإفراط في التجريد المفاهيمي دون ارتباط كاف بالواقع قد يؤدي إلى تفسير نظري مغلق ومنفصل عن التجربة الاجتماعية، وفي المقابل فإن الاعتماد على معطيات ميدانية دون إطار مفاهيمي واضح يؤدي إلى تفسير وصفي ضعيف يفتقد للعمق التحليلي، لذلك فإن التحدي الأساسي في السوسيولوجيا يكمن في تحقيق توازن دقيق بين هذين المستويين.

وفي هذا السياق يمكن القول إن المقاربة النظرية الناجحة هي تلك التي تحسن إدارة العلاقة بين المفهوم والتفسير، بحيث تجعل من المفاهيم أدوات مرنة لكنها دقيقة، ومن التفسير عملية مفتوحة لكنها منظمة، وهذا ما يسمح بإنتاج معرفة سوسيولوجية قادرة على فهم تعقيد الواقع الاجتماعي دون الوقوع في الاختزال أو التبسيط المخل.

كما أن التحولات التي عرفتها السوسيولوجيا المعاصرة، خاصة مع ظهور المقاربات التعددية والبيئية، أكدت أن التفسير لم يعد حكراً على نموذج نظري واحد، بل أصبح نتيجة تفاعل بين عدة مستويات تحليلية (ثقافية، اقتصادية، رمزية، سياسية...)، مما يزيد من أهمية تطوير أدوات مفاهيمية أكثر مرونة وقدرة على الاستيعاب.

خاتمة

يتضح من خلال هذا المقال أن إشكالية بناء المقاربة النظرية في السوسيولوجيا ليست مجرد مسألة تقنية تتعلق باختيار مفاهيم أو تنظيم معطيات، بل هي إشكالية إبستمولوجية عميقة تمس جوهر المعرفة السوسيولوجية نفسها، فالمقاربة النظرية باعتبارها الإطار الحاكم للبحث، تظل مشروطة بقدرتها على تحقيق توازن دقيق بين الضبط المفاهيمي من جهة، ومتطلبات التفسير الاجتماعي من جهة أخرى، وهو توازن لا يخلو من توتر دائم بين التجريد النظري وتعقيد الواقع الاجتماعي.

وقد بين التحليل أن الضبط المفاهيمي يمثل شرطا أساسيا لعملية البحث السوسيولوجي، لأنه يضمن وضوح الأدوات التحليلية ويمنع الانزلاق نحو الغموض أو التعدد غير المنضبط في المعاني، غير أن هذا الضبط لا ينبغي أن يتحول إلى قيد صارم يفرغ المفاهيم من مرونتها، لأن المفهوم السوسيولوجي بطبيعته مفهوم سياقي، يتشكل داخل تاريخ اجتماعي وثقافي متغير، مما يجعل قابليته للتأويل جزءا من وظيفته العلمية.

وفي المقابل فإن التفسير الاجتماعي لا يمكن أن يختزل في تطبيق ميكانيكي للمفاهيم، بل هو عملية تركيبية معقدة تعيد من خلالها السوسيولوجيا بناء الواقع وفهمه في ضوء أطر نظرية متعددة، وقد أظهر النقاش أن أنماط التفسير السوسيولوجي، سواء في صيغتها الوضعية أو مسألة الفهم أو النقد، تظل مرتبطة ارتباطا وثيقا بالبنية المفاهيمية التي تنطلق منها، مما يجعل النظرية ليست مجرد خلفية تفسيرية، بل عنصرا فاعلا في إنتاج المعنى العلمي ذاته.

وانطلاقا من ذلك فإن العلاقة بين المفهوم والتفسير ليست علاقة خطية بسيطة، بل هي علاقة جدلية متبادلة، حيث يوجّه المفهوم التفسير، وفي الوقت نفسه يعاد تشكيل المفهوم عبر التفسير، هذه الجدلية هي ما يمنح البحث السوسيولوجي حيويته وخصوبته، ويجعله علما مفتوحا على التجدد المستمر بدل أن يكون نسقا مغلقا من القواعد الثابتة.

ومنه يمكن القول إن تطوير المقاربة النظرية في السوسيولوجيا يقتضي تجاوز الثنائية التقليدية بين التجريد والتطبيق، نحو بناء مقاربة تكاملية تجعل من الدقة المفاهيمية شرطا لإنتاج تفسير عميق، وتجعل من التفسير نفسه مجالاً لاختبار المفاهيم وإعادة صياغتها، فالمعرفة السوسيولوجية لا تكتمل إلا في هذا التفاعل المستمر بين النظرية والواقع، بين المفهوم والمعنى، وبين البناء والتحليل.

وعليه فإن هذا المقال يؤكد أن قوة السوسيولوجيا لا تكمن فقط في تعدد مقارباتها النظرية، بل في قدرتها على إدارة هذا التعدد بشكل منتج، يسمح بفهم أكثر عمقا للظواهر الاجتماعية في تعقيدها وتحولاتها، ويبقي السؤال النظري مفتوحا باعتباره شرطا أساسيا لتطور المعرفة العلمية نفسها.

قائمة المراجع:

1. بدوي، أ. ز. (1982). معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية. مكتبة لبنان.
2. إبراهيم، ع. (2010). الاتجاهات والمدارس في علم الاجتماع (ط2). المركز الثقافي العربي.
3. إبراهيم عيسى عثمان. (2008). النظرية المعاصرة في علم الاجتماع. دار الشروق.
4. الخولي، ي. ط. (1990). مشكلة العلوم الإنسانية: تقنيها وإمكانية حلها. دار الثقافة للنشر والتوزيع.
5. خالد، ح. (2003). منهج البحث العلمي. دار الريحانة.
6. دوركايم، إ. (1988). قواعد المنهج في علم الاجتماع (م. قاسم، مترجم). دار المعرفة الجامعية.
7. سلاطين، ب. والجيلاني، ح. (2012). منهجية العلوم الاجتماعية. دار الفجر للنشر والتوزيع.
8. سيد، ع. ر. (2009). البحث العلمي: خطوات ومهارات. عالم الكتب.
9. عبد السميع، خ. (2001). علم الاجتماع: مفهومات وموضوعات ودراسات. مؤسسة شباب الجامعة للنشر.
10. عباسي، ن. (2010/2011). مقاربات علم الاجتماع بين التكامل والتعدد (أطروحة دكتوراه غير منشورة). جامعة قسنطينة، الجزائر.
11. قنيصة، ن. (2012). البحث العلمي السوسيولوجي بين وهم الاستهلاك المعرفي وحتمية المقاربة الواقعية. مجلة معارف، جامعة البويرة.
12. معتوق، ج. (2006). علم الاجتماع من النشأة إلى يومه هذا (ط1). الجزائر.
13. فير، م. (د.ت.). الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية (م. ع. مقلد، مترجم). مركز الإنماء القومي.

المراجع العلمية وإنتاج المعرفة السوسيولوجية- قراءة في جودة الأبعاد المنهجية والتحليلية

د. محمد ذيب – استاذ محاضر- ب

جامعة مساعدية الشريف سوق اهراس- الجزائر

m.dhib@univ-soukahras.dz

الملخص

تعتبر المراجع والمصادر في البحوث العلمية من الخطوات الأساسية والهامة جدا، فهي تكسب البحث أهمية بالغة، وتعزز من مصداقية البحوث والمعلومات المنشورة فيه، كما تحفظ لكل حقوقه، وبالتالي الرجوع لتلك الكتب والأبحاث، لكي تمكن القارئ من الحصول على مزيد من المعلومات. وتعني مصادر ومراجع البحث العلمي بأنها المصادر والمراجع التي يعود الباحث إليها خلال البحث العلمي، ويستمد من خلالها كافة المعلومات التي ترتبط وتتعلق بالبحث العلمي الذي يقوم به، ولهذا فإن مدى مصداقية وجدية البحث تقاس أساسا بمقدار عدد وتنوع المصادر والمراجع التي استند إليها الباحث، واستفاد منها بالفعل كما ونوعا، والأهم حداثة وتطور هذه المصادر.

الكلمات المفتاحية: البحث، البحث العلمي، الجودة، التوثيق، المراجع.

Abstract

References and sources in scientific research are very basic and important steps, as they gain great importance, enhance the credibility of research and information published in it, and preserve all their rights, and thus refer to those books and researches, in order to enable the reader to obtain more information. The sources and references of scientific research mean that they are the sources and references that the researcher returns to during the scientific research, and from which he derives all the information that is related and related to the scientific research he is doing, and for this the extent of the credibility and seriousness of the research is mainly measured by the number and diversity of the sources and references on which the researcher relied, and benefited from them. Actually, in quantity and quality, and most importantly, the newness and sophistication of these sources.

Key words: research, scientific research, quality, documentation, references

مقدمة

أثناء قيام الباحث بتجميع المعلومات المطلوبة لبحثه قد تواجهه بعض المشكلات للتعرف على معلومات محددة تتعلق بمعنى كلمة، أو خلاصة موضوع البحث، أو التعرف على أسماء الأعلام والأماكن، أو الحصول على معلومات ببلوغرافية حول مراجع أو كتب أو مقالات وبحوث، وقد يحتاج الباحث إلى معارف تتعلق بمستخلصات لأهم مصادر الإنتاج الفكري المتعلق بالموضوع الذي يبحثه، كما يحتاج الباحث في بعض الأحيان إلى معلومات تتمثل في إحصائيات محددة أو معلومات إرشادية. لهذا أصبح من الضروري للباحث أن يتعرف على كتب المراجع العامة والمتخصصة، لكي يسهل له الحصول على المعلومات والحقائق التي تقع ضمن اهتمامات بحثه.

وتختلف الملامح المادية لجميع كتب المراجع عن الكتب العادية، حيث يراعي عند تأليف كتب المراجع ترتيباً معيناً كما تختلف كتب المراجع في طرق تنظيمها وترتيبها طبقاً لنوعية الإنتاج الفكري الذي تشتمل عليه. ولا يمكن للباحث أن يعتمد على مرجع واحد، ولكنه في كثير من الأحيان يحتاج إلى الاسترشاد بمراجع أخرى؛ ولهذا أصبح من المهم أن تكون للباحث دراية ومعرفة بأنواع كتب المراجع العامة والمتخصصة.

إن جمع مصادر البحث هو الخطوة الثانية بعد طرح المشكلة، يعود إليها الباحث في دراسته، ويستقي منها مادة بحثه، ويقوم بإجرائه من خلال ما توفره من معطيات، لذلك فهي أهم أسس تقويمه وتحديد قيمته وجودته، تبعاً لمدى حداثتها وتوثيقها واعتمادها، وتتمثل أهمية مصادر ومراجع البحث العلمي في أنها المواضيع التي يحتاج إليها الباحث لإثراء وإنجاز بحثه العلمي بشكل دقيق ومنهجي، والبحث العلمي الذي يتمتع بمصداقية أكثر هو الذي يعتمد على تنوع المصادر والمراجع، ويستفيد أقصى استفادة منها، من هنا نطرح تساؤل الدراسة التالي: ما هي معايير جودة مراجع البحث العلمي؟

1- مفاهيم الدراسة

1-1- مفهوم الجودة

الجودة في اللغة العربية كما أفاد ابن منظور 1994 بأن أصلها جود، وهي من الجيد نقيض الرديء، وجاد الشيء جوده أي صار جيداً وأجاد أي أتى بالجيد من القول والفعل، الجودة من أجاد أي أحسن. ويقال فلان تكلم فأجاد، أي تكلم فأحسن، فلان عمل فأجاد أي عمل فأحسن، وعكسه تكلم فأساء وعمل فأساء. وفي اللاتينية فإن مصطلح الجودة QUALITY مشتق من QUALITIES ويعني بها طبيعة الشيء والشخص ودرجة صلاحه، وهي لا تعني الأفضل أو الأحسن دوماً، وإنما هي مفهوم نسبي يختلف النظر له باختلاف الجهة المستفيدة منه سواء أكان الزبون، أم المصمم، أم المجتمع أم المنظمة. أما في اللغة الانجليزية فيكثر التعدد والتداخل لمعاني الجودة، فقد تعني درجة الامتياز، أو تعني سمة متأصلة أو ميزة للشيء. (مسلم، 2015، ص 21)، أما اصطلاحاً الجودة هي صفة مميزة للسلعة أو الخدمة من الممكن أن تجعلها أفضل، ولكن في الواقع فإن الجودة لا ترتبط بالسلعة أو الخدمة فقط، ولكنها ترتبط أيضاً بالعمليات، الأفراد، وحتى البيئة. (شعبان، 2009، ص 24)

2-1- مفهوم البحث العلمي:

البحث في اللغة مصدر الفعل بحيث الذي يعني فتح و يقال بحث عن الشيء: فتح عنه فالبحث يعني التفتيش أو التنقيب والاكتشاف. (عطية، 2009، ص 23)، أما اصطلاحاً: هو عملية الوصول إلى حلول يمكن اعتمادها في حل مشكلة أو مشكلات معينة عن طريق جمع البيانات بطريقة مخططة منظمة، ثم تحليل تلك البيانات، وتفسيرها والبحث عن أدوات تقدم المعرفة، ودفع عملية التطور، وتمكين الإنسان من التوافق مع بيئته بطريقة أكثر فعالية، وتمكينه من تحقيق أغراضه، وإيجاد حلول لمشكلاته وصراعاته. (عطية، نفسه، ص 24)، ويعرف أيضاً انه عملية علمية تجمع لها الحقائق والدراسات، وتستوفي فيها العناصر المادية والمعنوية حول موضوع معين، دقيق في مجال التخصص، لفحصها وفق مناهج علمية مقررّة، يكون للباحث منها موقف معين،

لتوصل من كل ذلك إلى نتائج جديدة، هذه النتائج هي ثمرة البحث، و الغاية التي ينشدها الباحث من وراء العملية العلمية الفكرية، سواء كانت نظرية، أو تجريبية، وهي ما يعبر عنها علميا بالإضافة الجديدة، المطلوبة في البحوث العلمية العالية. (أبو سليمان، 2005، ص25)، كما يعرف هو أسلوب منظم منطقي، موضوعي، دقيق يتوصل إلى نتائج بناء أسس وأدلة، ويعرف كيرلنجر البحث العلمي على أنه منظم، مضبوط وامبريقي، وهذه خصائص البحث العلمي واستقصاء ناقد لفرضيات تتعلق بظاهرة طبيعية. (الضامن، 2006، ص) وإجرائيا: أن البحث العلمي هو عملية منظمة تتسم بالدقة والموضوعية والعلمية ذات أهداف محددة تستخدم بأساليب علمية مخططة، وأدوات تتسم بالموضوعية والصدق والشمول تؤدي إلى نتائج علمية يمكن قبولها وتعميمها، واعتمادها في حل المشكلة المبحوثة أو الإجابة عن تساؤلات الباحث.

1-3- مفهوم مراجع البحث

لغويا عرّف علماء اللغة المراجع بأنه المكان الذي يتم الرجوع إليه، أو الذي يُردُّ إليه أمرٌ من الأمور، ومثاله الكتاب الذي يُعدُّ مرجعاً لمن يُريد البحث عن المعرفة، أمّا تعريف المصدر في اللغة فهو الموضوع أو المكان الذي يمدُّ بالمعلومات الأصلية، ويُلاحظ أن الدلالة اللغوية لكلمتي المصادر والمراجع مُتقاربة، لأن كليهما موضع يُمكن الرجوع إليه. أما اصطلاحاً عرّف الخبراء والمتخصصون في كتابة البحث العلمي المراجع بأنها الأوعية التي تم وضعها ليتم الرجوع إليها بشأن الحصول على معلومة معينة مُعالجة موقّفة أو قضائية ما.

(<https://www.mobt3ath.com/dets.php?page=154&title>)

وهي المصادر العلمية من كتب، ومجلات، ومواقع الكترونية التي يعتمد عليها الباحث لتأصيل بحثه، ولي بضرورة قراءتها كاملة ولكن يرجع إليها عند الحاجة للحصول على المعلومات معينة بما يخدم أغراض البحث.

وتفيد قائمة المراجع في تقديم مجموعة من المراجع عن موضوع أو موضوعات معينة إلى الباحثين الآخرين مما يساعدهم على معرفة هذه المراجع ويوفر عليهم الكثير من الوقت والجهد في البحث عنها، ويتطلب ذلك من جانب الباحث توخي الدقة في اختيار المراجع، وتسجيل البيانات الخاصة عن كل منها؛ مثل اسم المؤلف أو المؤلفين، واسم المراجع، وبيانات الطبعة والنشر، وعدد الأجزاء، ورقم المجلد، أو رقم الطبعة، والناشر ومكان النشر وتاريخه.

وتعتبر قائمة المراجع من المؤشرات الهامة في الحكم على قيمة البحث وتقدير الجهود التي بذلها الباحث في تقصي مصادر المعلومات المرتبطة بموضوع بحثه. (درويش، ص 26)

ويعرف أيضا المراجع هو ما يرجع للاطلاع المؤقت، ولمعرفة معلومة أو أكثر من وقت لآخر، يقتبس منه نقطة محدودة، أو معلومة معينة بذاتها، والمراجع التي تتسم بالشمول في التغطية، والتركيز في العرض، والتنظيم المعين (هجائي، زمني، موضوعي، مكاني) تقدم المعرفة البشرية في صور وأشكال مختلفة بسهولة وسرعة، كما أنها تقود الباحث إلى معرفة مصادر البحث الأصلية، التي تحتوي المزيد من الحقائق والدقائق والمعلومات المفصلة، لهذا كانت معرفة المراجع بأنواعها المختلفة وطريقة استخدامها أمرا حيويا بالنسبة للباحثين العلميين على اختلاف تخصصاتهم، بخاصة إذا

كانت هذه المراجع تتعلق ببحوث علمية حديثة، تعتبر آخر ما توصل إليه العلم (دويدري، 2000، ص359)

4-1- الباحث العلمي:

يعرف الباحث العلمي بأنه هو المخطط والمنظم والمنفذ والموجه لمختلف مراحل البحث العلمي، وصولاً إلى نتائج العلمية والمنطقية. ويتميز البحث بصفات شخصية منها: الخيال والأصالة- المثابرة- سعة الأفق- نقد الفكرة أو العمل- التواضع- الأخلاق- الحذر..... (دويدري، مرجع سابق، ص63)

2- البحث العلمي

1-2- خصائص البحث العلمي

يمكن تلخيص خصائص البحث العلمي بشكل عام على الوجه التالي:

- انه منظم يهدف لاستقصاء ظاهرة معينة.
 - انه استقصاء هادف، يفسر ويوضح الظاهرة المدروسة.
 - انه منطقي وموضوعي.
 - يعتمد على الخبرة والملاحظة أو الأدلة الامبريقية.
 - يوجه للإجابة على أسئلة معينة وحل المشكلات.
 - إن البحث لا يهدف للوصول إلى أجوبة تسر الباحث، بل للوصول إلى الحقيقة.
- فالببحث هو عملية نحاول من خلالها الوصول بشكل منظم على بيانات معينة للإجابة على سؤال أو حل مشكلة أو فهم أعمق لظاهرة معينة، ولهذا فان البحث من وجه نظر ليبيدي له خصائص معينة أهمها:

- انه ينشأ من السؤال أو المشكلة.
- يقسم المشكلة الرئيسية إلى مشكلات فرعية يمكن التحكم فيها وإدراكها.
- يتم توجيه البحث بواسطة مشكلة بحثية محددة، أو من خلال سؤال أو فرضية.
- يتقبل افتراضات معينة.
- يتطلب جمع وتفسير بيانات في محاولة لحل المشكلة. (الضامن، مرجع سابق، ص

ص21-22)

2-2- أهمية البحث العلمي

من أهمية البحث العلمي انه المثري للعلوم كما أن العلوم هي المثربة للمعارف وهذا الأمر يجعل العلوم أوسع دائرة من البحوث والمعارف أوسع دائرة من العلوم وتوضح أهمية البحث العلمي بإثرائه العلمي باكتشاف وتوليد الفكرة من الفكرة وتطوير الكل بالجزء الذي يتولد منه والرهان الذي يقوي البحث العلمي بالحجة والنقد البناء الذي يمدد القوة العلمية وبخرجه من دوائر السكون ليحدث النقلة ويمتد إلى صناعة المستقبل الأفضل والأجود والأحسن. (عقيل، 2010، ص10)

3-2- أهداف البحث العلمي:

يهدف البحث العلمي إلى تحقيق عدة أهداف من أهمها:

- فهم قوانين الطبيعة والسيطرة عليها، وتوجيهها لخدمة الإنسان.
- دراسة الظواهر المختلفة واستنباط القوانين عامة أو نظريات تفسر تلك الظواهر أو العلاقات التي تحكمها، ومن ثم إمكانية التنبؤ بها والتحكم فيها.
- إيجاد حلول للمشكلات المختلفة التي تواجه الإنسان في تعامله مع البيئة التي يعيش فيها.
- زيادة المعارف في كل المجالات العلمية سواء في العلوم الطبيعية أو في العلوم الاجتماعية والإنسانية.
- تزويد متخذي القرار سواء في الأمور السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية بأسس سلمية يمكن الاعتماد عليها في قراراتها. (جودة، عمان، 2007، ص25)

4-2- معايير جودة البحث العلمي:

إن اختيار موضوع البحث يتطلب من الباحث أن يتأمل جيدا، وأن يكون متأنيا عند الاختيار، وأن يخضع هذا الموضوع لعدة شروط، فإن توفرت فيكون قد وفق في اختيار موضوع البحث. وتتمثل هذه الشروط فيما يلي:

- أن يكون موضوع البحث جديدا: إن حداثة موضوع البحث عادة ما تشكل مصدر قلق للباحثين، لكن الأمر ليس بالصعب العسير، فعلى الباحث أن يختار بقدر المستطاع موضوعا جديدا لم يطرقه أحد من قبل، وفي بعض الأحيان قد يكون الموضوع قد تم تناوله من قبل، ولكن لم يتم تناوله من كافة الجوانب، وقد يكون قد ظهر جديد أثناء الدراسة، مما قد يؤدي إلى تغيير بعض النتائج، الأمر الذي يحتاج إلى دراسة هذا الموضوع في ضوء المتغيرات الجديدة. (عوض، خفاجة، 2002، ص 26)
- وضوح إشكالية الدراسة: حيث أن ذلك من شأنه أن يدفع الباحث إلى خوض الموضوع بالدرس والبحث، وتحفيز إبداع الباحث في البحث العلمي، وتحديد نقاط بحثه المفضية إلى وضوح النتائج، التي يجب أن تلف البحث كاملا، ويجب ألا تغيب عن ذهن الباحث فيخرج عن الموضوع أو يغرق في الاستطرادات، بمعنى أن تكون كل العناوين العامة والفرعية والثانوية في خدمة الإشكالية أو الرد عليها وتوضيحها والرد على أسئلتها.
- اكتساء الموضوع أهمية: الأهمية التي تكتسبها مواضيع الدراسة والبحث نوعان:
 - الأولى: أهمية علمية جادة.

- والثانية: أهمية عملية تفرضها الحاجة والرغبة وحب البحث اقتناعا بالوصول إلى نتائج واضحة تفيد المكتبة، فليس الهدف من الأعمال البحثية نيل الشهادات والترقيات فحسب، فلا جدوى منها إذا لم تسد حاجة المجتمع العلمي، والمجتمع ككل. (رياض، 2014، ص ص 17-18).

- أن يكون موضوع البحث ممكنا: يجب على الباحث أن يتأكد من أنه يستطيع أن يقوم بالبحث في الموضوع الذي اختاره، لأنه قد يكون هناك بعض الأسباب التي قد تحول دون إمكانية إجراء البحث، منها ما يتعلق بظروف البحث أو بظروف الباحث.

لذا فعلى الباحث أن يتأكد من أن الموضوع الذي اختاره يمكنه البحث فيه، وعليه أن يتأكد من توافر المادة العلمية الخاصة بالموضوع، فتواجد المادة العلمية وكفايتها هي التي تحدد حجم وطبيعة البحث، ومعنى ذلك أن مواضيع معينة قد تصلح في أن تكون موضوعا لمقالة، ولا تصلح في أن تكون موضوعا لرسالة دكتوراه أو ماجستير، أو العكس.

- أن يكون موضوع البحث مثمرا: على الباحث أن يكون متأكدا من أنه سوف يحصل على نتائج تفيد كباحث، أو تفيد المجال الذي سيقوم بالبحث فيه، أو تفيد الناس والمجتمع. فإذا كان البحث مثلا يكتشف مجهولا أو يصحح خطأ مثلا أصبح البحث العلمي والعمل كله بناء، وكذلك إذا كان البحث يقدم للناس خدمات، مثل التوصل إلى حلول لمشكلات قائمة، فإن ذلك يعتبر عملا ذو فائدة، ويحقق نفعا للناس، وإذا كان البحث لا يحقق فائدة للناس أو للعلم مثلا، لكنه يقدم خبرة للباحث تفيد في عمله العلمي، ويكتسب من خلاله خبرات تفيد على المدى الطويل أصبح ذلك البحث مثمرا.

- أن يكون موضوع البحث محددا: إن تحديد موضوع البحث تحديدا واضحا أمر لا اختلاف عليه، حيث يتعين على الباحث أن يضع عنوانا مناسباً للبحث، جامعا لكل ما يحتوي عليه، ومانعا لدخول غير ذلك المحتوى في إطار العنوان، وينبغي أن لا تكون إطالة أو اختصار في هذا العنوان، والمهم في التحديد هو الحصر والدقة، وقد يستعين الباحث بوسائل الزمان أو المكان أو التفرع أو التجزئة أو غير ذلك من الأمور التي تعين على التحديد، فكلما كان الموضوع محددا بدقة تامة كلما كانت الرؤية واضحة أمام الباحث. (عوض، خفاجة، مرجع سابق، ص 26-27)

وعندما لا يصيب الباحث في اختيار موضوع أو عنوان البحث، وغالبا ما ينجم عن ذلك عدم وعي الباحث بأبعاد موضوعه عند البدء فيه، لذلك يجب أن يأخذ الباحث وقته الكافي لتحديد موضوعه ويحيط به إحاطة شاملة.

- أن يكون موضوع البحث ملبيا لرغبة الباحث، ومستجيبا لميوله الشخصية: إن البحث العلمي نمط خاص من أنماط الدراسة، فهو يختلف عن نمط الدراسة في مراحل التعليم. فالبحث العلمي هو معاشية لزواية محددة في علم من العلوم ولفترة قد يطول زمانها، فإذا لم يكن هذا العلم محببا للباحث أو متمشيا مع قدراته وميوله فمن المحتمل أن يفشل فيه. وعلى الرغم من أن الباحث يمكن أن يبذل جهدا كبيرا في جراء بحث ما، ويستغرق ذلك منه وقتا طويلا، إلا أنه قد لا يحقق النجاح المطلوب، يتناسب مع الوقت والجهد المبذول، إذا ما كان موضوع البحث لا يستهويه، في حين أنه قد يكون من الممكن للباحث أن يبذل وقتا وجهدا ضئيلا إذا كان موضوع البحث يتمشى مع ميوله ورغباته، فإجبار

الباحث على دراسة موضوع معين أو فرع من فروع العلوم لا يحقق فائدة تعود على العلم أو الباحث. (عوض، خفاجة، مرجع سابق، ص 28)

- سلامة لغة الباحث: لعل لغة الباحث هي من أهم أدوات الباحث وسلاحه، فأسلوبه ومنهجه يظهران على قالب العمل البحثي ومضمونه، كما يلي:

أ- على شكل العمل البحثي وحجمه وإخراجه وتبويبه، والتوازن في الأبواب والفصول وعدد الصفحات والمباحث والمطالب وغير ذلك من عناوين فرعية وثانوية، الأمر الذي يساعد القارئ على الدخول في أبواب البحث ومنعطفاته، ووضوح مسالكه.

ب- على مضمون العمل البحثي بحيث يعكس شخصية الباحث ومدى جديته ومقدرته وثقافته وإطلاعه، ومدى إفادته، وبالتالي فهمه لموضوعه، بحيث يمكنه أن يؤثر في القارئ والمتعلم، لأن بحثه لم يعد ملكاً له بل لقارئه. (عثمان، مرجع سابق، ص18)

ضمان العمل التكاملي للفريق: بمعنى أن يتم التنسيق، بالنسبة للأعمال البحثية التي تجرى ضمن فريق عمل، مع مشرف أو أكثر على توزيع مجموعة من المواضيع على باحثين أو طلبة الدراسات العليا متقاربة في الموضوعات، يحتاج بعضها إلى الآخر، ويكمل بعضها بعضاً، ضمن تسلسل منهجي لتصب في غرض تكاملي، يؤدي إلى رصد ظاهرة علمية واحدة، أو إشكالية واحدة، وفي ميدان واحد بتناوله من جهات متعددة. (عثمان، مرجع سابق، ص19-20)

3- معايير جودة كتابة مراجع البحث العلمي

3-1- خصائص مراجع البحث العلمي

مراجع البحث العلمي تتسم بخصائص مُعيَّنة تتمثل في:

- أنه وُضع ليكون المكان الذي نرجع إليه بخصوص معلومات مُعيَّنة.
- أنه لا تتم قراءته بصفة كاملة، بل تُلتقى منه المعلومات التي تُفيد الباحث في بحثه.
- ليس ذا سلسلة متتابعة، فكل جزء منه لا يعتمد على الأجزاء الأخرى من الكتاب ذاته.
- مُنظَّم بطريقة تُيسِّر للباحث سبل الوصول إلى المعلومات.
- ذو معلومات مُكثَّفة.

بصفة عامَّة، يمكننا أن نذكر أن مراجع البحث العلمي هي كل ما يستعين بها الباحث في بحثه ويسجلها في نهاية البحث.

3-2- أهمية المصادر والمراجع في البحث العلمي:

تتمثل أهمية مصادر ومراجع البحث العلمي في أنها المواضيع التي يحتاج إليها الباحث لإثراء وإنجاز بحثه العلمي بشكل دقيق ومنهجي، والبحث العلمي الذي يتمتع بمصداقية أكثر هو الذي يعتمد على تنوع المصادر والمراجع، ويستفيد أقصى استفادة منها، ويمكننا حصر أهمية المراجع في البحث العلمي فيما يلي:

- أنها تجيب عن جميع الاستفسارات التي يطرحها الباحثون في أبحاثهم.
- تُعطي قيمة للبحث وتُشير إلى مدى اطلاع الباحث خبرته في مجال البحث العلمي.
- يتم الاستناد عليها في حل القضايا والمشكلات موضع البحث بصورة دقيقة.
- تُعتبر المصادر والمراجع حلقة وصل بين الماضي والحاضر.
- من خلال المصادر والمراجع نستطيع التعرف على مدى التطور الذي وصلت إليه البشرية في جميع المجالات.
- توضح المصادر والمراجع مدى حداثة المعلومات التي يستند إليها الباحث.

- تنمية المعرفة من خلال تراكم المعلومات والإحاطة بها.
- تُعدُّ المصادر والمراجع وسيلة غير مباشرة لتبادل الثقافات بين شعوب العالم.
- وتتمثل أهمية توثيق مصادر ومراجع البحث العلمي:
- التعزيز من مصداقية البحث وصحة ما به من معلومات.
- حفظ الحقوق الخاصة بمن اقتبس منهم أو استند إلى كتاباتهم ودراساتهم.
- إمكانية أن يستزيد القارئ في موضوع البحث من خلال رجوعه إلى تلك المصادر والمراجع التي وثقها الباحث في بحثه. (الموقع السابق)

3-3- قائمة المصادر والمراجع:

تضم هذه القائمة جميع المصادر التي استفاد منها الباحث في كتابة بحثه، سواء اقتبس منها بشكل مباشرة أو غير مباشر في متن البحث أو اعتمد عليها ولم يورد نصوصاً منها في السياق وتشمل هذه المصادر:

- الكتب سواء كانت كتباً مرجعية أو غير مرجعية، أدبية أو علمية، الخ .
- الدوريات وتشمل المجالات العلمية والأدبية، العامة والمتخصصة، والصحف .
- التقارير والوثائق وأوراق المؤتمرات وغيرها.
- الرسائل الجامعية (رسائل الماجستير والدكتوراه) .
- المقابلات الشخصية.
- المواد المحوسبة أو المخزنة على الحاسوب (قواعد، بنوك، بنوك نظم وشبكات المعلومات).
- وتأتي أهمية قائمة المصادر من النقاط التالية:
- إبراز قيمة البحث من خلال الإشارة إلى المراجع والمصادر المختلفة التي رجع إليها واستفاد منها الباحث.
- توضيح مدى حداثة المعلومات التي رجع إليها الباحث.
- توفير الوقت والجهد على الباحثين الآخرين وتزويدهم بقائمة حديثة بالمصادر في مجال الموضوع قيد الدراسة. (عليان و غنيم، 2009، ص212)
- ويجب مراعاة الأمور التالية عند إعداد قائمة المصادر:
- تذكر جميع التي اعتمد عليها الباحث.
- إذا كان عدد المصادر كبيراً فيتم تقسيمها إلى المصادر العربية والمصادر الأجنبية، الكتب، الدوريات، الرسائل الجامعية....
- ترتب القائمة هجائياً حسب اسم المؤلف. (عليان و غنيم، المرجع نفسه، ص215)

4-3- إعداد المراجع وتقويمها

إعداد المراجع على النحو التالي:

- قراءة ما كتب عن موضوع البحث بدوائر المعارف العالمية، والموضوع الواحد يبحث في عدة مقالات غالباً، ونضع دوائر المعارف أيدي الباحثين على المصادر الأصلية، بما تذكره من مراجع لما تورده من المعلومات.

- يستعان في هذه المرحلة بالكتب الحديثة القيمة التي تثبت مراجع ما احتوته.
- أن يتحدث الباحث مع من له خبرة بهذه الدراسة.
- أن يراجع الباحث فهارس المكتبات في المادة التي يبحث فيها.
- أن يقرأ الباحث الأبحاث الجديدة التي تنشر بمجلات تعنى بمثل دراسته.
- وملاحظة هامة نشير إليها هي أن يثبت الباحث أمام كل مرجع مكان وجوده، والرمز والموضوع له إن كان في مكتبة عامة، أو اسم صاحبه إن كان في مكتبة خاصة لأنه قد يحتاج إليها من حين لآخر. (دويدري، مرجع، سابق، ص360)

3-5- طرق تنظيم كتب المراجع

تنظم كتب المراجع بطرق مختلفة أشهرها:

- التنظيم الهجائي: وفيه ترتب المواد التي يحتويها المرجع بحسب حروف الألفباء، كما هو الحال في المعاجم، ودوائر المعارف، وكتب التراجم.
- التنظيم المصنف: وفيه يتخذ الموضوع أساسا في الترتيب، كما هو في أغلب قوائم المؤلفات البليوغرافيات، وبعض دوائر المعارف.
- التنظيم التاريخي: وفيه ترتب مواد المراجع ترتيبا زمنيا، كما هو الحال في كتب التاريخ والسير والحواليات.
- التنظيم الجغرافي: توزع مواد المرجع بحسب التقسيم الجغرافي، ومن أمثلتها كتب البلدان والأطالس والخرائط.
- التنظيم الجدولي: وفيه ترتب المواد بشكل جداول تأخذ طابعا معينا، كما في الملخصات الإحصائية وجداول مقابلة السنوات الهجرية والميلادية. (الشريف، 1996، ص80)

3-6- أهم المعايير الواجب توافرها في مراجع البحث العلمي

- وجود قائمة بالمصادر والمراجع التي أفاد منها الباحث.
- حداثة المصادر والمراجع العلمية
- أصالة المصادر والمراجع بما يتفق مع طبيعة البحث.
- تنوع المصادر والمراجع العلمية مع الاستفادة من المراجع الأجنبية ما أمكن.
- الالتزام بنظام توثيق المصادر والمراجع حسب معايير الجهة العلمية الناشرة.
- ترتيبها بنظام ما معترف به قد يكون أبجديا أو تاريخيا، أو ارتباطه بالموضوع.
- أن يتوخى في ذلك الأمانة العلمية، فلا يثبت إلا المراجع التي استخدمها فعلا. (درويش، مرجع سابق، ص27)

3-7- المعايير الأساسية لجودة المراجع العلمية

- حداثة المراجع العلمية: تُعد حداثة المراجع من أهم معايير الجودة في البحث العلمي، خاصة في الدراسات التي تتناول موضوعات متغيرة ومتجددة. فالمراجع الحديثة تعكس آخر التطورات العلمية والنظرية والمنهجية المرتبطة بموضوع الدراسة. لذلك ينبغي على الباحث أن

يحرص على استخدام مصادر حديثة، خصوصاً المقالات المنشورة في المجالات المحكمة وقواعد البيانات الأكاديمية العالمية. (رياض عثمان، 2014، ص 18)، غير أن حداثة المرجع لا تعني إهمال المراجع الكلاسيكية أو الأساسية، فبعض النظريات والمفاهيم المؤسسة لا يمكن الاستغناء عنها رغم قدمها، خاصة في العلوم الاجتماعية والإنسانية. وبالتالي فإن الجودة الحقيقية تتحقق من خلال التوازن بين المراجع الكلاسيكية والمراجع الحديثة. (دويدي، 2002، ص 360)

- **أصالة المرجع العلمي:** يقصد بأصالة المرجع أن يكون المرجع مصدراً أساسياً للمعلومة، وليس مجرد نقل أو تلخيص لمصادر أخرى. فالمراجع الأصلية تمنح الباحث معلومات أكثر دقة وعمقاً، وتقلل من احتمالات التحريف أو سوء الفهم الناتج عن النقل غير المباشر. (درويش وآخرون، د.س، ص 27)
- وتبرز أهمية الأصالة خاصة في الدراسات النظرية والتحليلية، حيث ينبغي الرجوع إلى الكتب الأساسية والنصوص الأصلية للنظريات والمفاهيم بدلاً من الاعتماد على مصادر ثانوية فقط. كما أن الرجوع إلى الدراسات الأصلية يساعد الباحث على فهم السياق الفكري والعلمي للنظرية أو الفكرة محل الدراسة. (أبو سليمان، 2005، ص 25)
- **تنوع المراجع العلمية:** يُعتبر تنوع المراجع مؤشراً مهماً على سعة اطلاع الباحث وقدرته على الإحاطة بمختلف أبعاد الموضوع. ويتحقق التنوع من خلال استخدام الكتب، والمقالات العلمية، والرسائل الجامعية، والتقارير الرسمية، وقواعد البيانات الإلكترونية، إضافة إلى المراجع الأجنبية. (عليان وغنيم، 2009، ص 215)، كما أن تنوع المراجع يساهم في إثراء التحليل العلمي وتجنب التحيز المعرفي الناتج عن الاعتماد على نوع واحد من المصادر. فالباحث الذي يوظف مراجع متعددة ومتنوعة يكون أكثر قدرة على تقديم رؤية علمية شاملة ومتوازنة. (رياض عثمان، 2014، ص 19)
- **ملاءمة المرجع لموضوع الدراسة:** لا تكفي جودة المرجع العلمية إذا لم يكن مرتبطاً بصورة مباشرة بإشكالية البحث وأهدافه. لذلك ينبغي على الباحث اختيار المراجع التي تخدم موضوع الدراسة بدقة، وتجنب الحشو المرجعي الذي يضعف البناء المنهجي للبحث. (عوض وخفاجة، 2002، ص 27)، كما أن اختيار المراجع الملائمة يساعد الباحث على بناء إطار نظري منسجم ومتناسق، ويجنب التشتت الفكري الناتج عن إدراج معلومات بعيدة عن موضوع الدراسة. (الضامن، 2006، ص 22)
- **موثوقية المرجع العلمي:** تُعد الموثوقية من أهم المعايير التي ينبغي مراعاتها عند اختيار المراجع العلمية. فالمصادر المحكمة والصادرة عن جامعات أو دور نشر أكاديمية أو مجلات علمية معترف بها تكون أكثر مصداقية من المصادر مجهولة الهوية أو غير المحكمة. (شعبان، 2009، ص 24)، وفي ظل الانتشار الواسع للمعلومات عبر الإنترنت، أصبح من الضروري التحقق من مصداقية المواقع الإلكترونية وقواعد البيانات قبل الاعتماد عليها، مع تجنب

المواقع الشخصية أو غير الأكاديمية التي تفتقر إلى الضبط العلمي. (إبراهيم السعيد مبروك، 2009)

- **جودة توثيق المراجع العلمية:** لا تقتصر جودة المراجع على اختيارها فقط، وإنما تشمل أيضاً طريقة توثيقها داخل متن البحث وفي قائمة المصادر. فالتوثيق العلمي يعكس مدى التزام الباحث بالأمانة العلمية واحترامه لحقوق الملكية الفكرية. (درويش وآخرون، د.س، ص 26) ويهدف التوثيق العلمي إلى:

- الإشارة إلى أصحاب الأفكار والمعلومات الأصلية.
- تسهيل وصول القارئ إلى المرجع الأصلي.
- تعزيز مصداقية الدراسة العلمية.
- تجنب السرقة العلمية والانتحال الأكاديمي.

وتوجد عدة أنظمة عالمية للتوثيق، مثل نظام APA ، ونظام MLA ، ونظام شيكاغو، ولكل نظام قواعده الخاصة المتعلقة بتوثيق الكتب والمقالات والرسائل الجامعية والمصادر الإلكترونية. ويجب على الباحث الالتزام بالنظام المعتمد من قبل المؤسسة الأكاديمية أو المجلة العلمية الناشرة. (عليان وغنيم، 2009، ص 212)

4- آليات تحسين جودة المراجع العلمية

يمكن تحسين جودة المراجع العلمية من خلال مجموعة من الإجراءات المنهجية، أهمها:

- **الاعتماد على قواعد البيانات العلمية المحكمة:** ينبغي للباحث استخدام قواعد البيانات الأكاديمية العالمية مثل Scopus و Web of Science و Google Scholar، لما توفره من مصادر علمية موثوقة ومحكمة. كما تساعد هذه القواعد في الوصول إلى أحدث الدراسات المرتبطة بموضوع البحث. (وعد شوكت محمد، 2014)
- **تنمية مهارات البحث العلمي لدى الباحث:** تتطلب جودة المراجع امتلاك الباحث مهارات علمية تتعلق بكيفية البحث عن المصادر وتقويمها وتحليلها. كما يجب أن يكون قادراً على التمييز بين المصادر الأصلية والثانوية، وبين المراجع المحكمة وغير المحكمة. (عطية، 2009، ص 23)
- **استخدام برامج إدارة المراجع:** أصبحت برامج إدارة المراجع مثل Zotero و Mendeley و EndNote أدوات أساسية تساعد الباحثين في تنظيم المراجع وتوثيقها بطريقة دقيقة ومنهجية، كما تقلل من الأخطاء المرتبطة بالتوثيق اليدوي. (عليان وغنيم، 2009، ص 215)
- **تعزيز الثقافة الأكاديمية المتعلقة بالأمانة العلمية:** يجب تكريس ثقافة الأمانة العلمية داخل الجامعات ومراكز البحث، من خلال تدريب الطلبة والباحثين على قواعد الاقتباس والتوثيق السليم، وتعريفهم بمخاطر السرقة العلمية وآثارها الأكاديمية والأخلاقية. (أبو سليمان، 2005، ص 25)

5- أهمية جودة المراجع في البحث العلمي

تكتسب جودة المراجع أهمية كبيرة في البحوث العلمية لأنها تمثل الأساس الذي تُبنى عليه مختلف مراحل الدراسة، ابتداءً من صياغة الإشكالية ووصولاً إلى تفسير النتائج ومناقشتها. فكلما كانت المراجع أكثر جودة وموثوقية، ازدادت قوة البحث العلمي ومصداقيته. (الضامن، 2006، ص 21)

وتظهر أهمية جودة المراجع في عدة جوانب أساسية، من أهمها:

- تعزيز المصداقية العلمية للبحث

ان اعتماد الباحث على مراجع علمية محكمة وموثوقة يمنح الدراسة قوة علمية ويزيد من ثقة القراء والباحثين في النتائج المتوصل إليها. كما أن توثيق الأفكار والمعلومات يبرز الأمانة العلمية للباحث ويجنبه الوقوع في السرقة العلمية والانتحال الأكاديمي. (شعبان، 2009، ص 24)

- الإحاطة بالدراسات السابقة

تساعد المراجع الجيدة الباحث على فهم ما تم التوصل إليه في الدراسات السابقة، وتحديد الفجوات العلمية التي لم يتم تناولها، مما يساهم في بناء مشكلة بحثية دقيقة وأصيلة. كما تمكنه من مقارنة نتائجه بنتائج الباحثين الآخرين وتحليل أوجه الاتفاق والاختلاف بينها. (عوض وخفاجة، 2002، ص 26)

- بناء الإطار النظري للدراسة

يشكل الإطار النظري أحد أهم أجزاء البحث العلمي، وهو يعتمد بصورة أساسية على المراجع العلمية. فكلما كانت المراجع متنوعة وحديثة ومتخصصة، كان الإطار النظري أكثر عمقاً واتساقاً. كما تساعد المراجع الباحث على تحديد المفاهيم والمتغيرات والنظريات المفسرة للظاهرة المدروسة. (عطية، 2009، ص 24)

- توجيه المنهجية العلمية

تلعب المراجع دوراً مهماً في توجيه الباحث نحو اختيار المناهج والأدوات المناسبة لجمع البيانات وتحليلها. فمن خلال مراجعة الدراسات السابقة يمكن للباحث التعرف على المناهج الأكثر استخداماً وفعالية في دراسة الظاهرة موضوع البحث. (الضامن، 2006، ص 22)

- تحقيق التراكم المعرفي

يقوم البحث العلمي على مبدأ التراكم المعرفي، حيث يبني كل باحث دراسته على ما توصل إليه الباحثون السابقون. لذلك فإن جودة المراجع تساهم في تطوير المعرفة العلمية وإنتاج أفكار جديدة تساهم في تقدم العلوم المختلفة. (عقيل، 2010، ص 10)

6. المشكلات المرتبطة بجودة المراجع العلمية

رغم الأهمية الكبيرة للمراجع العلمية، إلا أن العديد من البحوث تعاني من مشكلات منهجية مرتبطة بضعف جودة المراجع، ومن أبرز هذه المشكلات:

- الاعتماد على مراجع قديمة فقط: يؤدي الاعتماد المفرط على المراجع القديمة إلى ضعف

مواكبة البحث للتطورات العلمية الحديثة، خاصة في المجالات التي تشهد تغيرات متسارعة. كما قد تصبح بعض المعلومات والنظريات غير ملائمة للسياقات المعاصرة. (رياض عثمان، 2014، ص 20)

- ضعف التنوع المرجعي: بعض الباحثين يعتمدون على عدد محدود من الكتب أو المقالات، مما يؤدي إلى ضيق الرؤية العلمية وضعف التحليل. كما أن غياب المراجع الأجنبية في بعض الدراسات يقلل من انفتاح البحث على الاتجاهات العلمية العالمية. (دويدي، 2002، ص 359)
- الاعتماد على مصادر غير موثوقة: من أخطر المشكلات المنهجية اعتماد بعض الباحثين على مواقع إلكترونية مجهولة أو غير محكمة، وهو ما يؤدي إلى إدخال معلومات غير دقيقة داخل البحث العلمي. (إبراهيم السعيد مبروك، 2009)
- الأخطاء في التوثيق العلمي: تؤثر الأخطاء المتعلقة بتوثيق المراجع على القيمة العلمية للبحث، وقد تؤدي إلى التشكيك في مصداقية الباحث. وتشمل هذه الأخطاء: نقص البيانات المرجعية، وعدم توحيد طريقة التوثيق، وذكر مراجع لم يتم استخدامها فعلياً داخل البحث. (درويش وآخرون، د.س، ص 27)

الخاتمة

مما سبق فإن البحث العلمي هو أحد وسائل التعلم وتقصي الحقائق عن طريق أسلوب علمي ومنظم يتم فيه إتباع الخطوات وجمع المعلومات الموثقة والأكيدة بطريقة منهجية وتحليل هذه المعلومات بهدف التأكد من دقة هذه المعلومات والوصول إلى حقائق جديدة وقوانين في شتى المجالات التي تزيد من حصيلة المعرفة لدى البشر بشكل عام.

وعلى العموم، فتوثيق المراجع في البحوث العلمية يتطلب التزام الدقة في تدوين بيانات النشر التي تسهل على القارئ الحصول عليها عند الحاجة للحصول على معلومات أكثر، فأهمية أي دراسة هو القيام بتوثيق الورقة العلمية عن طريق استخدام المصادر والأدلة العلمية من مصدرها الرئيسي لزيادة قوة برهانين وأدلة الدراسة أو البحث المقدم.

تعتبر المراجع مهمة لأنها أوعية تضم أهم المعلومات والمعارف التي يحتاجها الباحثون -في كل مكان، لإثراء بحوثهم العلمية بها بشكل منهجي وموضوعي. وتمثل المراجع في المصادر العلمية الذي كان قد تطرق إليها الباحث العلمي من أجل الحصول على المعلومات والبيانات الدقيقة التي لا بد على الباحث العلمي تضمينها في البحث العلمي، وذلك من أجل إنجاز البحث العلمي الخاص به على النحو العلمي الصحيح، إن الارتقاء بجودة البحوث العلمية في الجامعات العربية يظل مرتبطاً إلى حد كبير بتحسين ثقافة التعامل مع المراجع العلمية، وتطوير مهارات الباحثين في البحث والتوثيق والتحليل، بما يساهم في إنتاج معرفة علمية رصينة قادرة على مواكبة التطورات العالمية وخدمة قضايا المجتمع.

المراجع

- (1) <https://www.mobt3ath.com/dets.php?page=154&title> بزيارة يوم 2026-04-10 على الساعة 22:40.
- (2) إبراهيم السعيد مبروك. (2009) المكتبات الجامعية وتحديات مجتمع المعلومات. دار الوفاء للإسكندرية.
- (3) إياد عبد الله شعبان. (2009). إدارة الجودة الشاملة. درا زهران للنشر والتوزيع: عمان.

- (4) بطوش كمال. (2005). المكتبات الجامعية الافتراضية: ترف تكنولوجي أم خيار مستقبلي؟، مجلة المكتبات والمعلومات، العدد 4.
- (5) جودة محفوظ. (2007). أساليب العلمي في ميدان العلوم الإدارية. درا زهران للنشر والتوزيع: عمان.
- (6) حاتم عمر محمد علي محمد. (2012). المكتبة الافتراضية ودورها في تطوير خدمات المعلومات بالجامعات السودانية: مكتبة السودان بجامعة الخرطوم نموذجاً. رسالة ماجستير في علوم المعلومات والمكتبات، جامعة الخرطوم، السودان، 2012.
- (7) الخضر فردي. (2005). المكتبة الافتراضية بين النظرية والواقع الافتراضي. مجلة المكتبات والمعلومات، المجلد الثاني، العدد الرابع.
- (8) درويش عطا حسن واخرون. (د.س) دليل معايير جودة البحث العلمي. مجلس البحث العلمي، كتاب الكتروني
- (9) دويدي رجا وحيد. (2002). البحث العلمي- أساسياته النظرية وممارسة العلمية. دار الفكر: دمشق
- (10) ربي مصطفى عليان؛ عثمان محمد غنيم. (2009) مناهج وأساليب البحث العلمي النظرية والتطبيق، دار صفاء للنشر والتوزيع: عمان.
- (11) رياض عثمان. (2014). معايير الجودة البحثية في الرسائل الجامعية. دار الكتب العلمية: بيروت
- (12) الضامن منذر. (2006). أساسيات البحث العلمي. دار المسيرة للنشر والتوزيع: عمان.
- (13) عبد الله محمد الشريف. (1996). مناهج البحث العلمي دليل الطالب في كتابة الأبحاث والرسائل العلمية. مكتبة الإشعاع للنشر والتوزيع: الاسكندرية
- (14) عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان. (2005). كتابة البحث العلمي صياغة جديدة، مكتبة الرشد: الرياض.
- (15) عطية محسن علي. (2009). البحث العلمي في التربية- مناهجه- أدواته- وسائله الإحصائية. دار المناهج للنشر والتوزيع: الأردن
- (16) عقيل حسين عقيل. (2010). خطوات البحث العلمي من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة. دار ابن الكثير: دمشق
- (17) عمران موسى حسين ابو طيخ؛ جمال ظاهر الظاهر. (2007). المكتبة الرقمية e-library الأسس والتطبيق، مجلة كلية الأساسية، العدد 07، 2007.
- (18) عميمور سهام. (2011-2012). المكتبات الجامعية ودورها في تطوير البحث العلمي في ظل البيئة الالكترونية- دراسة ميدانية بالمكتبات الجامعية جيجل، رسالة ماجستير في علم المكتبات، جامعة منتوري- قسنطينة، الجزائر.
- (19) عوارم مهدي. (2009). دور المكتبة الرقمية كإلية للتعليم الرقمي في تطوير البحث العلمي، المجلة العربية للعلوم التربوية والنفسية، العدد 07.
- (20) عوض فاطمة؛ خفاجة صابر وميرفت علي. (2002). اسس ومبادئ البحث العلمي. مكتبة ومطبعة الانشعاع الفنية: الإسكندرية.
- (21) مسلم عبد الله حسن. (2015). إدارة الجودة الشاملة معايير الايزو. دار معتز للنشر والتوزيع: عمان.
- (22) وعد شوكت محمد. (2013-2014). دور الانترنت في تطوير البحث العلمي في الجامعات السورية وسبل الاستفادة منها، رسالة دكتوراه في التربية، جامعة دمشق.

تقنية الملاحظة الحسية : نحو إطار نظري لتجاوز المركزية البصرية في البحث السوسيولوجي الكيفي.

د. سليم سهلي

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

مخبر التنمية الاجتماعية وخدمة المجتمع

sahli-salim@univ-eloued.dz

ملخص

تسعى هذه الدراسة إلى تقديم مقارنة نظرية نقدية لتقنية الملاحظة في البحث السوسيولوجي الكيفي، من خلال فحص التحول من "الملاحظة البصرية" التقليدية إلى "الملاحظة الحسية" كمدخل لفهم الظواهر الاجتماعية المعاصرة. تنطلق الدراسة من فرضية مفادها أن هيمنة المركزية البصرية (Ocularcentrism) في المنهجية السوسيولوجية العربية أدت إلى اختزال الخبرة الإنسانية وتهميش الأبعاد الجسدية والحسية التي تشكل جوهر التفاعل الاجتماعي.

يعمل البحث على تأصيل مفهوم "المنعطف الحسي" (The Sensory Turn) في علم الاجتماع، مبيناً كيف يمكن للحواس (كالسمع والشم واللمس) أن تعمل كتقنيات رصد سوسيولوجية قادرة على نفاذ أعمق إلى "المعنى المعيش". يناقش البحث في شقه الأول المبررات الإيستمولوجية لتجاوز "العين" كأداة وحيدة للمعرفة، معتبراً أن الجسد هو "الأداة الملاحظة" الأولى. وفي الشق الثاني، يستعرض البحث الآليات الإجرائية لتقنية الملاحظة الحسية، مثل تحليل "المشاهد الصوتية" (Soundscapes) و"الذاكرة الشمية"، وكيفية توظيفها في رصد التراتيبات الطبقية، الهويات الثقافية، وديناميكيات الحيز العام في المجتمعات المحلية.

تخلص الدراسة إلى تقديم إطار نظري يقترح دمج "الخيال الحسي" ضمن تكوين الباحث الاجتماعي، مؤكدة أن الملاحظة الحسية لا تلغي البصر، بل تعيد وضعه ضمن سياق حسي متكامل يسمح بإنتاج "وصف كثيف" (Thick Description) يتلاءم مع تعقيدات الحياة اليومية. تفتح هذه الدراسة آفاقاً جديدة للباحثين العرب لتبني مناهج إثنوغرافية أكثر تحرراً من القوالب الكلاسيكية، بما يضمن استيعاب التحولات السوسيولوجية التي لا ترى بالعين المجردة، بل تدرك وتعايش بالحواس. الكلمات المفتاحية: الملاحظة الحسية، المركزية البصرية، المنعطف الحسي، السوسيولوجيا المجسدة.

Abstract

This study seeks to provide a critical theoretical approach to the observation technique in qualitative sociological research by examining the transition from traditional "visual observation" to "**sensory observation**" as a gateway to understanding contemporary social phenomena. The study stems from the hypothesis that the dominance of **Ocularcentrism** in Arabic sociological methodology has led to the reduction of human experience and the marginalization of the physical and sensory dimensions that constitute the essence of social interaction.

The research works on grounding the concept of "**The Sensory Turn**" in sociology, demonstrating how the senses (such as hearing, smell, and touch) can function as sociological monitoring techniques capable of a deeper penetration into the "**lived meaning**." In its first part, the research discusses the epistemological justifications for transcending the "eye" as the sole tool

of knowledge, considering the body as the primary "observing instrument." In the second part, it reviews the procedural mechanisms of sensory observation techniques, such as the analysis of "soundscapes" and "olfactory memory," and how they are employed to monitor class hierarchies, cultural identities, and the dynamics of public space in local communities.

The study concludes by presenting a theoretical framework that proposes integrating "sensory imagination" into the training of social researchers. It emphasizes that sensory observation does not negate sight but rather replaces it within an integrated sensory context that allows for the production of a "Thick Description" consistent with the complexities of everyday life. This study opens new horizons for Arab researchers to adopt ethnographic methods that are more liberated from classical molds, ensuring the comprehension of sociological shifts that are not seen by the naked eye but are perceived and lived through the senses.

Keywords: Sensory Observation, Ocularcentrism, The Sensory Turn, Embodied Sociology.

المقدمة

تظل "الملاحظة" في العُرف السوسولوجي الكلاسيكي حبيسة "الرؤية"، حيث استأثرت العين بمركزية المعرفة الميدانية، واختُزلت الظواهر الاجتماعية في تجلياتها المرئية فقط. غير أن هذا الانحياز المنهجي لما يمكن تسميته بـ "الإمبريالية البصرية (Visual Imperialism)" أدى عبر عقود، إلى إفقار إبستمولوجي للخبرة الميدانية؛ إذ غابت عن عدسة الباحث تلك الطبقات الخفية من المعنى التي لا تُرى، بل تسمع وتشم وتلمس وتعايش بالجسد.

إن هذا البحث لا يسعى لمجرد إضافة أداة جديدة لجمع البيانات، بل يروم إحداث "قطيعة معرفية" مع المركزية البصرية التي هيمنت على البحث الكيفي في الوطن العربي. فنحن اليوم أمام ضرورة منهجية تفرضها تحولات "المنعطف الحسي (The Sensory Turn)"، الذي يعيد الاعتبار للجسد بصفته "مختبراً سوسولوجياً" متكاملًا، وليس مجرد حامل للعين للملاحظة. إن الانتقال من الملاحظة "بالنظر" إلى "الملاحظة بالحواس" يعني الإقرار بأن البنية الاجتماعية ليست صورة فوتوغرافية جامدة، بل هي "ديناميكية حسية" تتشكل من صخب الأسواق، وروائح الأمكنة التي تكرر الطباقية، وتدافع الأجساد الذي يرسم حدود السلطة والمجال.

تكمُن القوة النظرية لهذا البحث في خلخلة المسلمات المنهجية التقليدية، عبر طرح تساؤل جوهري: كيف يمكن للباحث الاجتماعي أن يمارس "الخيال الحسي" لفك شفرات الواقع؟ وكيف تتحول الحواس من مجرد مستقبلات بيولوجية إلى "تقنيات رصد" سياسية واجتماعية؟ إننا هنا بصدد تأسيس إطار نظري لـ "سوسولوجيا مجسدة"، تتجاوز السطح المرئي لتغوص في عمق "المعنى المعيش"، محاولة ردم الفجوة بين ما يرصده الباحث وما يختبره المبحوث في كينونته الحسية اليومية.

أذن تتمثل مشكلة البحث في وجود "عجز منهجي" في الأدوات الكيفية التقليدية المستخدمة في السوسولوجيا العربية؛ حيث لا تزال "تقنية الملاحظة" مرتبطة لنموذج معرفي يقدس "المشاهدة"

(Watching) ويغفل "المعايشة الحسية. (Sensing) "هذا الارتهان للمركزية البصرية أدى إلى نشوء فجوة بين الواقع الاجتماعي الملموس (الذي يُدرك بكافة الحواس) وبين البيانات العلمية المستخرجة (التي تكتفي بوصف المظاهر المرئية).

بناءً عليه، يواجه الباحث الاجتماعي معضلة في رصد الظواهر التي لا تمتلك "جسداً مرئياً" واضحاً، مثل: الأجواء الرمزية للأمكنة، الذاكرة الشمية للجماعات، والترانبيات الصوتية في الفضاء العام. ومن هنا، تبرز الحاجة الماسة لبلورة إطار نظري لـ "الملاحظة الحسية" كتقنية قادرة على استنطاق المسكوت عنه في "بصرية" البحث الاجتماعي الكيفي.

إلى أي مدى يمكن لتقنية الملاحظة الحسية أن تشكل بديلاً لإستمولوجيا لتجاوز قصور المركزية البصرية في فهم الظواهر السوسولوجية المعاصرة؟

2. المفهوم المحوري: الملاحظة الحسية كـ "برادايجم" سوسولوجي بديل

إن الانتقال نحو الملاحظة الحسية (Sensory Observation) لا يعني مجرد إضافة الحواس الأربع الأخرى إلى حقيبة أدوات الباحث، بل هو تحول إستمولوجي ينظر إلى الحواس بصفتها "ممارسات ثقافية" (Cultural Practices) وليست مجرد ردود أفعال فيزيولوجية. فالمجتمع، كما يرى ديفيد هاوز (Howes, 2005 p. 3)، يقوم بـ "تربية الحواس" وتوجيهها لخدمة النسق القيمي السائد؛ لذا فإن ما نعتبره "رائحة كريهة" أو "ضجيجاً مزعجاً" ليس حقيقة مادية مطلقة، بل هو حكم اجتماعي مُسبق يعكس تراتبيات السلطة والطبقة.

تتجاوز تقنية الملاحظة الحسية مفهوم "جمع البيانات" لتصبح عملية "انغماس حسي" (Sensorial Immersion). يجادل بول ستولر (Stoller, 1997 p. 21) بأن الانفصال الذي مارسه السوسولوجيون عن الحواس في الميدان جعل نظرياتهم "بلا طعم أو رائحة"، بينما الواقع الاجتماعي يتشكل عبر "المعرفة الجسدية" (Embodied Knowledge). فالملاحظة الحسية تسمح برصد ما يسميه بيير بورديو بـ "الهابيتوس الجسدي" في تجلياته الأكثر دقة؛ مثل الطريقة التي "يشم" بها الأفراد الفوارق الطبقية، أو الطريقة التي "يلمس" بها الناس الفضاء العام بناءً على جندرههم أو وضعهم القانوني.

من هنا، نعرف الملاحظة الحسية كتقنية بأنها: "رصد إجرائي للرموز المودعة في التدفقات الحسية للمجال المدروس". هي قدرة الباحث على فك شفرات "المشاهد الصوتية" (Soundscapes) لفهم سياسات الانتماء، وتحليل "المشاهد الشمية" (Smellscapes) لرسم خرائط التهميش والمركز. إنها "سوسولوجيا في حالة حركة"، حيث يصبح الجسد هو القناة التي تعبر من خلالها البيانات الكيفية الأكثر مصداقية، لأن الجسد "لا يكذب" سوسولوجياً كما قد تفعل اللغة في المقابلات (Pink, 2015, p. 95).

تتمثل الجودة في هذا البرادايجم في قدرته على رصد ما يسمى "الأرشيف الحسي للمجال"؛ وهي البيانات التي لا يستطيع المبحوثون التعبير عنها لفظياً لأنها أصبحت "طبيعية" أو "مدمجة" في نظامهم العصبي. فبينما تركز الملاحظة التقليدية على "الحدث المرئي"، تركز الملاحظة الحسية على "المناخ الحسي" الذي يسبق الحدث ويشكله. هنا، لا تعود الحواس مجرد أدوات استقبال، بل تصبح "مفاتيح" إستمولوجية "تفتح أبواب" المسكوت عنه في البنى الاجتماعية، حيث يتم

التعامل مع الرائحة أو الصوت كـ "نص سوسيولوجي" يحتاج إلى تأويل تماماً كتحويل الوثائق التاريخية. تخيل باحثاً يدرس "سوسيولوجيا الانتظار" في مصلحة حكومية مزدحمة أو مستشفى عام:

1. الملاحظة البصرية التقليدية: سترصد عدد الأشخاص، أماكن جلوسهم، وتعبيرات وجوههم. ستكون النتيجة وصفاً لشكل الزحام.
2. الملاحظة الحسية البرادايجم البديل:

✓ سمعياً: يرصد الباحث "نبرة" الضجيج؛ هل هي نبرة خضوع واستسلام أم نبرة غضب مكتوم؟ (تحليل موازين القوة).

✓ شمياً: يرصد رائحة "المعقمات" الممتزجة برائحة "الأجساد المتعركة"؛ كيف تعبر هذه الرائحة عن "الوصم الاجتماعي" للمكان أو تفرض سلطة المؤسسة على جسد الفرد؟

✓ لمسياً: يرصد درجة "الحرارة" أو "برودة المقاعد" و"ضيق المساحة"؛ كيف تساهم هذه العوامل الفيزيائية في تشكيل سلوك "الانتظار" وتحويله إلى أداة لترويض الأفراد سوسيولوجياً؟

الباحث هنا لم يصف "ماذا يفعل الناس"، بل وصف "كيف يتم تشكيل تجربة الناس الاجتماعية" من خلال حواسهم، وهو ما يمنحنا فكراً أعمق حول الهيمنة والمقاومة اليومية.

3. أبعاد التقنية: الحواس كـ "مجسّات" سوسيولوجية في الميدان

تتحول الملاحظة الحسية في الممارسة الميدانية إلى تقنية "تعددية الوسائط" تتجاوز الوصف السطحي، لتغوص في "السياسات الحسية" (Sensory Politics) "التي تحكم الفضاءات الاجتماعية". ويمكن تفصيل هذه المجسّات على النحو التالي:

أ. السوسيولوجيا السمعية وتحليل "المشاهد الصوتية" (Soundscapes)

لا يتعامل الباحث مع الصوت كضجيج عابر، بل كأداة لرصد التراتبية الاجتماعية. يرى ريموند شايفر (Schafer, 1994 p. 12) أن "المشهد الصوتي" لأي بيئة يعكس توازن القوى فيها؛ ففي المجتمعات العربية، يمكن للملاحظة السمعية أن تكشف عن الصراع بين "الأصوات الرسمية" (مكبرات الصوت، أبواق السلطة) و"الأصوات الهامشية" (باعة جائلين، لغات فرعية). إن رصد "إيقاع" المكان صوتياً يمنح الباحث بيانات حول درجة الانضباط الاجتماعي أو الفوضى المقاومة التي لا تظهر في الصور الجامدة.

ب. الإثنوغرافيا الشمية (Smellscapes) والحدود الرمزية

تعد الرائحة أكثر الحواس قدرة على استحضار الذاكرة الجمعية وتكريس التمييز الطبقي. يؤكد كونستانس كلاسن وآخرون (Classen et al., 1994 p. 161) أن الروائح تعمل كـ "علامات هوية" (Identity Markers)؛ فالملاحظ الحسي يستطيع رصد كيف تُستخدم الروائح لتعقيم المساحات الطبقيّة العليا وعزلها عن "روائح" الفئات الكادحة. إنها تقنية لرسم خرائط التهميش، حيث تصبح الرائحة أداة لإقصاء "الآخر" أو قبوله سوسيولوجياً.

ج. الملاحظة اللمسية (Haptic) وسوسولوجيا التماس

تركز هذه التقنية على رصد "المسافات" و"الاحتكاكات" الجسدية. يجادل باترسون (Paterson, 2009 p. 76) بأن اللمس هو الحاسة الأكثر تهميشاً في البحث الاجتماعي رغم أنها الأقوى في بناء التضامن أو ممارسة العنف الرمزي. في السياقات العربية، توفر الملاحظة اللمسية بيانات ثرية حول "الجندر" في المواصلات العامة، وحوّل "الحميمية" في الطقوس الدينية، حيث يتحول التماس الجسدي إلى لغة صامتة تعبر عن الاندماج أو النفور الطبقى. (Pink, 2015, p. 110)

تتجاوز الحواس كـ "مجسات" فكرة التقاط الإشارات العابرة لتصل إلى ما يسمى "التقمص الحسي"؛ حيث يعتمد الباحث وضع حواسه في نفس الظروف القهرية أو التدريبية للمبحوثين ليفهم "المعرفة الصامتة" (Tacit Knowledge) "الجدة هنا هي أن الحواس لا تنقل "معلومات" بل تنقل "مهارات اجتماعية" ومواقف طبقية لا يمكن استجوابها شفهياً، بل تمتص عبر الجلد والأذن والأنف.

في أحد الدراسات الإثنوغرافية العميقة التي قام بها لويك واكون لأحد نوادي الملاكمة في "غيتو" شيكاغو، قدم واكون نموذجاً لتقنية الملاحظة الحسية من خلال (Wacquant, 2004 p. 60) :

1. **المجس اللمسي (العرق والاحتلال الجسدي):** (لم يكتفِ واكون بمشاهدة الملاكمين، بل انخرط في التدريب لسنوات. رصد من خلال "لمس" جلود الملاكمين المبللة بالعرق، واحتكاك الأجساد في الحلبة، كيف يتم بناء "رجولة طبقية" صلبة. وصف "ألم" العضلات وتعب الجسد كبيانات سوسولوجية تشرح كيف يُطوّع الفقر الجسد ليصبح أداة للكفاح.
 2. **المجس الشهي رائحة الصالة:** حلل واكون "رائحة" صالة الملاكمة (خليط العرق، الجلد القديم، والمطهرات) كـ "بيئة حسية" تعزل الملاكمين عن عالم الشارع الخارجي، وتخلق نوعاً من الانتماء الرمزي للمجموعة.
 3. **المجس السمعي:** رصد إيقاع "القفز على الحبل" و"ضرب الأكياس" كسمفونيات رتيبة تبرمج جسد الملاكمين على الانضباط، معتبراً أن هذه الأصوات هي التي تصنع "الهابيتوس" الخاص بالمقاتل
- من خلال هذه المجسات، أثبت واكون أن الملاكمة ليست مجرد رياضة، بل هي "تقنية جسدية" للنجاة من سوسولوجيا التهميش، وهو استنتاج لم يكن ليصل إليه لو اكتفى بالملاحظة البصرية من خارج الحلبة.

4. الباحث كـ "جسد ملاحظ": الانعكاسية الحسية وإنتاج المعرفة (The Embodied Researcher)

في هذا المستوى من الممارسة الميدانية، يتوقف الباحث عن كونه "مراقباً سلبياً" يختبئ خلف مفكرته، ليصبح هو نفسه "أداة الرصد" المركزية. تطرح سارة بينك (Pink, 2015 p. 63) مفهوم "التموضع الحسي" (Sensory Placement)؛ "حيث لا يمكن فهم واقع المبحوثين دون "مشاركته" في تجاربهم الجسدية؛ أي أن يشعر الباحث بذات الحرارة، والضيق، والروائح، والتعب الذي يشعرون به، معتبراً هذه الأحاسيس مدخلات تحليلية وليست تشويشاً.

تتجاوز هذه التقنية فكرة "الموضوعية الباردة" نحو ما يسميه بول ستولر (Stoller, 1997 p. 23) بـ "المنح الدراسية الحسية" (Sensuous Scholarship) "فالباحث الذي يدرس ظاهرة "الفقر الحضري"، على سبيل المثال، لا يمكنه الوصول إلى "الحقيقة السوسولوجية" للظاهرة إذا اكتفى بوصف المشهد بصرياً؛ بل يجب عليه رصد كيف يتفاعل جسده (كباحث) مع خشونة المكان، وروائحه، وأصواته. هذه "البيانات الجسدية" هي التي تسمح بفهم "المعنى المعيش" الذي يتهرب دائماً من لغة المقابلات الرسمية.

إن "جسد الباحث" هنا يعمل كـ "مجس انعكاسي" (Reflexive Sensor)؛ "فالتوتر الذي قد يشعر به الباحث في حي مغلق، أو الراحة الحسية في فضاء عام، هي مؤشرات سوسولوجية على طبيعة "الضبط الاجتماعي" أو "الترحيب الثقافي" في ذلك المجال. يجادل واتس (Wacquant, 2015 p. 2) بأن السوسولوجيا يجب أن تمارس "بالجسد" (Sociology from the body)، حيث يتعلم الباحث عبر "التلمذ الحسي" (Sensory Apprenticeship) "كيف يصبح جزءاً من النسيج الاجتماعي الذي يدرسه، مما يقلص المسافة بين "الذات" والملاحظة و"الموضوع" الملاحظ.

أرى أن الانتقال من الملاحظة "بالنظر" إلى الملاحظة "بالجسد" ليس مجرد تغيير في الأداة، بل هو إعادة تعريف لموقعك كباحث داخل الحقل الميداني. فنحن لا نقف أمام المجتمع كعدسة فوتوغرافية باردة تلتقط المشاهد من بعيد، بل نطرح أجسادنا بصفهم "مجساً انعكاسياً" يمتص ضغوطات البيئة الاجتماعية وروائحها وأصواتها. إننا نؤمن بأن "الذاتية الحسية" ليست عائقاً أمام العلمية، بل هي "بوابة إستيمولوجية" تمنحنا الوصول إلى مساحات من المعنى لا يجزؤ المبحوثون على النطق بها، لكن أجسادهم تعيشها وتورثها للأمكنة. ومن هنا، يصبح شعورنا الشخصي بالارتباك، أو التعب، أو حتى الاشتمزاز داخل الميدان، بمثابة "بيانات خام" نقوم بتحليلها سوسولوجياً لفهم القوى الكامنة التي تشكل هذا الواقع وتؤثر في المبحوثين وفيّ على حد سواء.

لتوضيح هذه الرؤية، استذكر تجربة ملاحظة قمت بها داخل "غرف الانتظار" في المصالح الخدمية المزدحمة؛ فبينما يكتفي الباحث التقليدي بتدوين عدد الساعات وحركات التملل المرئية، أقوم أنا بـ "التلمذ الحسي" عبر الانخراط الفعلي في طابور الانتظار لساعات طوال. هنا، يتحول "جفاف حلقي" من العطش، و"رائحة العرق" الممتزجة ببرودة المكيفات، وشعوري بـ "الضيق الفيزيقي" نتيجة تلاصق الأجساد، إلى أدوات رصد سوسولوجية. هذا الألم الجسدي الذي أختبره ليس شعوراً بيولوجياً عابراً، بل هو الذي يمنحني الفهم الحقيقي لـ "عنف الانتظار الرمزي" فأنا أفهم الآن كيف يتم "ترويض" الأجساد وتحطيم كرامتها سوسولوجياً عبر الحواس. إن إحساسي بـ "الإذلال الجسدي" كباحث في تلك اللحظة هو "البيان العلمي" الأكثر صدقاً الذي يشرح لي بنية القوة والتهميش في ذلك المكان، وهو ما لا يمكن لأي استبانة أو كاميرا مراقبة أن تنقله لي.

5. أخلاقيات الملاحظة الحسية: التحديات القيمية والمسؤولية الجسدية

تفرض تقنية الملاحظة الحسية تحديات أخلاقية معقدة تتجاوز الميثاق الأخلاقي التقليدي للبحث الاجتماعي؛ ذلك لأن الباحث لا يكتفي برصد "القول" أو "الفعل"، بل يتوغل في "الحيز الحسي" الخاص بالمبحوثين. تبرز هنا إشكالية "الاستباحة الحسية"؛ فالحواس مثل الشم والسمع

واللمس هي حواس "اختراقية" بطبيعتها، وغالبا ما تلتقط بيانات لم يعطِ المبحوثون إذنا صريحا بمشاركتها، مثل روائح أجسادهم الخاصة أو همساتهم الجانبية في الفضاءات المغلقة (Pink, 2015, p. 72).

أولا، تبرز مسألة "الحدود والخصوصية الجسدية". في سياق الملاحظة اللمسية أو القرب الحسي الشديد، يواجه الباحث معضلة احترام "المجال الشخصي" (Personal Space) "يجادل باترسون (Paterson, 2009 p. 768) بأن "اللمس" هو أكثر الحواس إثارة للجدل أخلاقيا، لأنه قد يُفهم كنوع من التطفل أو الهيمنة، خاصة في الدراسات الجندرية أو دراسات الأقليات، مما يتطلب من الباحث "لباقة حسية" (Sensory Tact) "تضمن عدم تحويل المبحوث إلى "موضوع حسي" مجرد من الكرامة.

ثانيا، تظهر إشكالية "العبء الحسي على الباحث". إن "الجسد الملاحظ" ليس آلة صماء، بل هو كيان يتأثر بالصدمات الحسية للميدان. يطرح ستولر (Stoller, 1997 p. 28) تساؤلا حول أخلاقيات التعامل مع "روائح الفقر" أو "أصوات الألم"؛ هل يحق للباحث "استهلاك" هذه المعاناة الحسية لتحويلها إلى ورقة بحثية بينما يظل المبحوث غارقا فيها؟. إن المسؤولية الأخلاقية هنا تفرض على الباحث ممارسة "التعاطف الحسي" بدلا من "التلصص الحسي"، مع ضمان أن إنتاج المعرفة يخدم المجتمع المدروس ولا يكتفي بوصف آلامه بشكل جمالي أو بارد.

تستوجب أخلاقيات الملاحظة الحسية نوعا من "الأمانة الانعكاسية"؛ حيث يجب على الباحث أن يكون شفافا في وصف كيفية تأثير "تحيزاته الحسية" (مثل اشمئزازه الشخصي أو انجذابه) على تأويل البيانات. إن الاعتراف بالحدود الحسية للباحث هو جزء من الأمانة العلمية التي تحمي المبحوثين من التفسيرات المشوهة الناتجة عن "صدام الحواس" بين الباحث والواقع الميداني.

أذن تطرح الملاحظة الحسية إشكالية أخلاقية فريدة تتعلق بـ "الموافقة المستنيرة" (Informed Consent)؛ ففي البحوث الكلاسيكية، يوقع المبحوث موافقة على إجراء مقابلة، لكن في الملاحظة الحسية، يلتقط الباحث "أصواتا" و "روائح" و "احتكاكات جسدية" لأفراد قد لا يدركون أنهم تحت الملاحظة. يجادل تريسي (Tracy, 2013 p. 242) بأن البيانات الحسية غالبا ما تكون "بيانات عابرة" (Ephemeral Data) "يصعب استئذان أصحابها، مما يضع الباحث في مواجهة مع أخلاقيات "التلصص الحسي" (Sensory Voyeurism) "مقابل "الرصد العلمي". إن الحل الأخلاقي هنا لا يكمن في التوقف عن الرصد، بل في الالتزام الصارم بـ "إخفاء الهوية الحسية" للمكان، وتجنب تصوير المبحوثين كـ "موضوعات غريبة" (Exoticizing) "بسبب عاداتهم الحسية أو نمط عيشهم. مثلا لو قمنا برصد "المشهد الصوتي" والروائح في سوق شعبي عشوائي لفهم ديناميكيات الاقتصاد الهامشي:

- المأزق الأخلاقي: الباحث يلتقط صرخات الباعة الجائلين، روائح طعامهم البسيط، وحتى الاحتكاك الجسدي العنيف في الممرات الضيقة. هؤلاء الباعة لم يوقعوا "موافقة" على أن يتم تحليل "نبرة أصواتهم" أو "روائح عرقهم" سوسيولوجيا.
- الممارسة الأخلاقية المقترحة: بدلا من ذكر "اسم البائع" أو "موقع المحل" بدقة، يعتمد الباحث إلى استخدام "التعميم الحسي"؛ فيصف المشهد كحالة سوسيولوجية عامة

(مثلاً: إيقاع الاحتجاج الصوتي في سوق شرق العاصمة). كما يجب عليه أن يسأل نفسه: "هل نقلي لرائحة المكان يخدم تحليل بنية التهميش، أم أنه يعيد إنتاج الصور النمطية السلبية عن الفقراء؟". هنا تتحول الأخلاقيات من "ورقة قانونية" إلى "ضمير حسي" يرافق الباحث في كل شمة أو همسة يلتقطها. (Pink, 2015, p. 75)

6. الخاتمة الاستشرافية: نحو "وصف كثيف" جديد للسوسيولوجيا العربية

إن الانتقال نحو تقنية الملاحظة الحسية ليس ترفاً منهجياً، بل هو استجابة ضرورية لتعقيدات الواقع الاجتماعي المعاصر. ففي ظل التحولات المتسارعة التي تشهدها المجتمعات العربية، لم تعد "العين" كافية لرصد التفاعلات الرمزية العميقة. إن تبني هذا المنظور يسمح لنا بالوصول إلى ما سماه كليفورد جيرتز (Geertz, 1973 p. 6) بـ "الوصف الكثيف" (Thick Description)، ولكن بصيغة حسية تتجاوز الكلمات لتشمل أنطولوجيا الجسد والمكان.

إن القيمة المضافة لهذا البحث تكمن في قدرته على أنسنة العملية البحثية؛ فالملاحظة الحسية تعيد الاعتبار للمهمشين والمنسيين سوسيولوجياً، أولئك الذين قد لا يملكون صوتاً أو صورة في المجال العام، لكنهم يتركون "أثراً حسياً" في ذاكرة الأمانة وروائحها وأصواتها. إننا نتطلع إلى سوسيولوجيا عربية "متعددة الحواس"، قادرة على فك شفرات الهوية والطبقة والنوع عبر قراءة "النصوص الحسية" للمجال الميداني، مما يحري الباحث من قيود "النمذجة الجافة" وينقله إلى رحاب "الفهم المعيش". (Howes, 2019, p. 21)

إن رهان السوسيولوجيا المعاصرة اليوم لا يكمن في تطوير تقنيات الرصد التكنولوجي، بل في استعادة 'إنسانية الحواس' كأدوات معرفية. إن الملاحظة الحسية هي دعوة للتحرر من 'دكتاتورية العين' التي جعلت من أبحاثنا تقارير باردة؛ فالمجتمع ليس نصاً يُقرأ من بعيد، بل هو نبض يسمع، ورائحة تستشق، وملامس تختبر. ومن هنا، فإننا لا نغير أسلوب الملاحظة فحسب، بل نعيد تشكيل الباحث ليكون أكثر صدقاً مع الميدان، وأكثر قدرة على رصد تلك التحولات الاجتماعية العميقة التي تجري تحت الجلد، بعيداً عن صخب الصور

وفي الختام، يوصي هذا المقال بضرورة إدراج "التربية الحسية" ضمن مناهج البحث في أقسام علم الاجتماع، وتدريب الباحثين على استخدام حواسهم كأدوات علمية رصينة. فالمستقبل ينتهي للبحوث التي لا تكتفي بـ "رؤية" المجتمع، بل تلك التي تملك الشجاعة "لتنفسه" وسماعه ولمس تناقضاته، وصولاً إلى فهم أكثر شمولاً ومصادقية للكينونة الاجتماعية الإنسانية.

كخلاصة لهذا الطرح، يمكن بلورة الفوارق الجوهرية التي تفرضها تقنية الملاحظة الحسية كبديل للمركزية البصرية من خلال المصنوفة التالية، والتي تشكل حقلاً مفاهيمياً جديداً للباحث الكيفي:

وجه المقارنة	الملاحظة البصرية (التقليدية)	الملاحظة الحسية (المقترحة)
موضع الباحث	مراقب خارجي (Spectator)	جسد منغمس (Embodied Agent)
طبيعة المعرفة	معرفة "منفصلة" وموضوعية باردة	معرفة "معيشة" وانعكاسية حسية
وحدة التحليل	المشهد المرئي والسلوك الظاهري	الأجواء الرمزية والتدفقات الحواسية
الأداة المركزية	العين (العقل المنفصل)	الجسد (المختبر الحسي المتكامل)
الهدف النهائي	الوصف السطحي (Thin Description)	الوصف الكثيف (Thick Description)
النتيجة العلمية	مجتمع "يرى" كصورة	مجتمع "يعاش" كجربة كينونية

الملاحق:

ملحق رقم (1): الدليل الإجرائي والنموذج التدريبي للملاحظة الحسية

لا تكتسب تقنية الملاحظة الحسية عبر القراءة النظرية فحسب، بل تتطلب "تدريباً انعكاسياً" يعيد صياغة انتباه الباحث الاجتماعي. يهدف هذا النموذج التدريبي المقترح إلى تحويل حواس الباحث من حالة "الاستقبال السلبي" إلى حالة "الرصد المنهجي" عبر عملية مكونة من ثلاث مراحل: (1) العزل الحسي، (2) التسمية الوصفية، (3) التأويل السوسولوجي. في المرحلة الأولى، يدرّب الباحث على التركيز على حاسة واحدة مع عزل البصر مؤقتاً (إن أمكن) لاستكشاف "المشهد الصوتي" أو "المناخ الشهي" للمجال. وفي المرحلة الثانية، يتم تجاوز الأوصاف الذاتية (مثل: رائحة جميلة أو قبيحة) نحو "أوصاف خام" (مثل: رائحة احتراق مطاط، صوت ذو تردد منخفض). أما المرحلة الثالثة، وهي الأهم، فتتمثل في ربط هذه المعطيات الحسية بالبنى الاجتماعية، مثل القوة والطبقة، والجنس. يُعد هذا الجدول أداة مرجعية لمساعدة الباحث على تنظيم مذكراته الميدانية (Field Notes) لضمان عدم ضياع "البيانات المسكوت عنها" في زحام الملاحظة البصرية.

مصنوفة رصد البيانات الحسية نموذج الباحث الميداني

المؤشرات السوسولوجية المقابلة	عناصر الرصد الميداني	المجس الحسي
- تراتبية السلطة في المجال. - درجة التماسك أو التفكك الاجتماعي. - آليات الاحتجاج الصامت.	- أصوات الهيمنة (مكبرات، ضجيج آلات). - أصوات الهامش (همسات، باعة، لغات فرعية). - إيقاع المكان (سرعة الصوت، التكرار).	المشهد الصوتي (Soundscape)

- الهوية التطبيقية للمجال. - "وصم" الأمكنة أو تجميلها. - الذاكرة الجمعية والانتماء المكاني.	- الروائح المؤسسية (معقمات، عطور اصطناعية). - روائح "العيش" (طهي، عرق، نفايات). - الحدود الشمية بين الأمكنة.	المشهد الشهي (Smellscape)
- سياسات "الجنדר" في الفضاء العام. - درجة الانضباط أو الفوضى الجسدية. - العنف الرمزي الممارس عبر تضيق الحيز.	- القرب والبعد الجسدي (الزحام، المسافات). - ملمس الأسطح والبيئة الفيزيائية. - ردود الفعل الجسدية (القشعريرة، التوتر).	الإدراك اللمسي (Haptic)
- موقع الباحث (داخلي/خارجي). - مدى عمق "التموضع الحسي" في الميدان. - اكتشاف "المسكوت عنه" عبر جسد الباحث.	- كيف تفاعل "جسد الباحث" مع المكان؟ - التغيرات الفيزيولوجية (تعب، عطش، راحة). - المشاعر الحسية المباشرة.	الانعكاسية الجسدية

ملحق رقم (2): معجم المصطلحات والمفاهيم المحورية في السوسولوجيا الحسية

نظرا لحدثة "المنعطف الحسي" في الأدبيات السوسولوجية العربية، يقدم هذا الملحق تعريفات إجرائية للمصطلحات التي اعتمدها في هذا المقال، موضحا دلالاتها الإيستمولوجية باللغتين العربية والإنجليزية، ليكون مرجعا للباحثين في تفكيك شيفرات الواقع الميداني.

المصطلح (عربي)	المصطلح (إنجليزي)	التعريف الإجرائي (سوسولوجيا)
المركزية البصرية	Ocularcentrism	الانحياز التاريخي في المنهجيات الغربية الذي يعطي الأولوية للبصر كأداة وحيدة للمعرفة، مع تهيمش الحواس الأخرى باعتبارها "أقل عقلانية".
المنعطف الحسي	The Sensory Turn	تحول في العلوم الاجتماعية (بدأ في التسعينيات) يركز على الحواس والجسد كأدوات أساسية لفهم الثقافة والتفاعل الاجتماعي، بدلاً من التركيز فقط على النصوص والصور.
المشهد الصوتي	Soundscape	مجموع الأصوات التي تشكل بيئة مكانية معينة، ويتم تحليلها لفهم موازين القوى (من يملك حق رفع الصوت؟) والهوية الثقافية للمكان.
المشهد الشهي	Smellscape	التوزيع الجغرافي للروائح في فضاء اجتماعي محدد، ويستخدم لرسم حدود الطبقات الاجتماعية (مثل روائح المنظفات الفاخرة مقابل روائح الأسواق العشوائية).

السوسولوجيا المجسدة	Embodied Sociology	فرع من علم الاجتماع يدرس كيف يعيش الأفراد تجاربهم الاجتماعية عبر أجسادهم، وكيف يُنقش النظام الاجتماعي على الجسد (الحركة، الألم، الإحساس).
التلمذ الحسي	Sensory Apprenticeship	عملية انغماس الباحث في الميدان لتعلم المهارات والأحاسيس التي يعيشها المبحوثون، بحيث يصبح جسد الباحث أداة "للتعلم من الداخل".
الانعكاسية الحسية	Sensory Reflexivity	قدرة الباحث على مراقبة وتحليل ردود فعل "حواسه الشخصية" وتأثيرها على فهمه للميدان، معتبرا مشاعره الحسية (ضيق، راحة) بيانات علمية.
الوصف الكثيف	Thick Description	مصطلح (كليفورد جيزنز) الذي تم تطويره حسيا لوصف ليس فقط "ما يحدث"، بل "كيف يعيش" الحدث بكل تعقيداته وتفصيله الحسية والرمزية.

المراجع:

أولا: الكتب (Books)

1. Classen, C., Howes, D., & Synnott, A. (1994). *Aroma: The cultural history of smell*. Routledge.
2. Geertz, C. (1973). *The interpretation of cultures: Selected essays*. Basic Books.
3. Howes, D. (2003). *Sensual relations: Engaging the senses in culture and social theory*. University of Michigan Press.
4. Howes, D. (Ed.). (2005). *Empire of the senses: The sensory reader*. Berg Publishers.
5. Pink, S. (2015). *Doing sensory ethnography* (2nd ed.). SAGE Publications.
6. Schafer, R. M. (1994). *The soundscape: Our sonic environment and the tuning of the world*. Destiny Books.
7. Stoller, P. (1997). *Sensuous scholarship*. University of Pennsylvania Press.
8. Vannini, P., Waskul, D., & Gottschalk, S. (2012). *The senses in self, society, and culture: A sociology of the senses*. Routledge.
9. Waskul, D., & Vannini, P. (2016). *Body/embodiment: Symbolic interaction and the sociology of the body*. Routledge.

ثانيا: المقالات العلمية (Journal Articles)

1. Howes, D. (2019). Multisensory anthropology: A theoretical and methodological framework. *Anthropological Theory*, 19(1), 17–39.
2. Paterson, M. (2009). Haptic geographies: Ethnography, haptic knowledges and sensuous dispositions. *Progress in Human Geography*, 33(6), 766–788.
3. Wacquant, L. (2015). For a sociology of flesh and blood. *Qualitative Sociology*, 38(1), 1–11

المقابلة الحرة في البحث الاجتماعي: شروط الاختيار ومهارات التنفيذ

أ.د. وحيد دراوات

جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي تبسة - الجزائر

wahid.draouet@univ-tebessa.dz

ملخص:

هدف هذا البحث الى الكشف عن شروط اجراء المقابلة الحرة، في البحوث العلمية الاجتماعية، وتبيين أبرز خصائصها، ورصد أهم أنواعها، وفق رؤية نقدية، وذلك بالاعتماد على الطريقة الاستقرائية، وقد أسفرت نتائج البحث على أن: المقابلة تعد أداة مهمة للحصول على المعلومات من مصادرها وتمكن هذه الاداة الباحث المتمرس الحاذق من الحصول على معلومات تفوق أهميتها ما يمكن أن يحصل عليه من أدوات أخرى كالاستبيان، والملاحظة، لأن المقابلة تساعد الباحث في فهم التعابير الانفعالية، والنفسية للمبحوثين، ورصد تأثيرهم بالمعلومات التي يقدمها الباحث، كما تمكنه من إقامة علاقات وثيقة تركز على المودة، والثقة مع المبحوث مما يؤدي الى الكشف عن المعلومات المطلوبة، ويستطيع الباحث من خلالها اختبار صدق المبحوثين والتثبت من دقة اجاباتهم وصحتها.

الكلمات المفتاحية: المقابلة،؛ البحث العلمي؛ دليل المقابلة

Abstract

This research aims to identify the conditions for conducting **unstructured interviews** (free interviews) within the context of social science research. It seeks to delineate their primary characteristics and categorize their various types through a **critical perspective**, employing an **inductive approach**.

The findings indicate that the interview serves as a pivotal instrument for data collection from primary sources. When utilized by a skilled and proficient researcher, this tool can yield data of greater significance than that obtained through other methods, such as questionnaires or observation. This superiority stems from the interview's capacity to assist the researcher in interpreting the **emotional and psychological expressions** of the subjects, as well as monitoring their reactions to the information presented. Furthermore, it facilitates the establishment of a rapport based on trust and empathy, which encourages the disclosure of pertinent information. Ultimately, this method allows the researcher to verify the **validity** of the subjects' responses and ensure the accuracy and authenticity of the gathered data.

Keywords: Interview; Scientific Research; Interview Guide.

مقدمة:

تُعد المقابلة أداة مهمة للحصول على المعلومات من مصادرها وتمكن هذه الاداة الباحث المتمرس والحاذق من الحصول على معلومات تفوق أهميتها ما يمكن أن يحصل عليه من خلال أدوات أخرى كالاستبيان والملاحظة، لأن المقابلة تساعد الباحث في فهم التعابير الانفعالية والنفسية للمبحوثين، ورصد تأثيرهم بالمعلومات التي يقدمها للباحث، كما تمكنه من إقامة علاقات وثيقة تركز على المودة والثقة مع المبحوث ، مما يؤدي الى الكشف عن المعلومات المطلوبة، ويستطيع الباحث من خلالها اختبار صدق المبحوثين والتثبت من دقة اجابتهم وصحتها.

كما يساعد التطور التقني الكبير بسبب الثورة الحاصلة في قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من توثيق المعلومة التي يدلي بها المبحوث سواء عبر تقنية الفيديو أو التسجيل الصوتي، وتوفر أيضا تكنولوجيا تحليل البيانات الكيفية فرصة كبيرة للباحثين لأجل تدقيق عملية تفريغ المعلومات وتسهيل عملية تصنيفها مما يمكن من تحليلها وفهم مضامينها وتقديم تفسيرات صادقة تساهم في معالجة المشكلات البحثية خاصة في مجال الدراسات التربوية والنفسية والاجتماعية. ويسعى الباحثون خلال هذه الورقة البحثية الاجابة على الاسئلة الآتية: ما شروط اجراء المقابلات؟ وما هي أبرز خصائصها وأنواعها؟ وما الموصفات التي ينبغي أن تتوفر في الباحث الذي يقوم بإجراء المقابلات مع المشاركين في الدراسة؟ وما أهم مزايا المقابلات وعيوبها؟

1/أهمية البحث وأهدافه:

تكمن الاهمية العلمية للمقابلة في الدراسات الاكاديمية والاوراق البحثية في قدرة هذه الاداة على جلب معلومات دقيقة وعميقة حول أبعاد المشكلات المدروسة، كما تمكن الباحثين من الاحاطة بسلوكات المشاركين في البحث وانفعالاتهم مما يساهم في ادراك مقاصدهم، ويعزز بذلك مستويات فهم الظواهر المراد دراستها؛ مما يسمح لهم بتقديم تأويلات موثوقة وتحليلات صادقة لتلك المشكلات، وذلك يساعد أصحاب القرار في معالجتها وتجاوزها.

وتسعى هذه الورقة البحثية الى تحقيق الاهداف الآتية:

- التعرف على الشروط اللازمة لاجراء المقابلات في البحوث العلمية النوعية
- رصد أهم خصائص المقابلات وانواعها
- الكشف عن الموصفات التي ينبغي أن تتوفر في الباحثين القائمين على اجراء المقابلات.
- استكشاف أبرز مزايا المقابلات وعيوبها.

2/منهجية البحث:

استخدم الباحث الطريقة الاستقرائية في هذا البحث من خلال التنقيب عن المعلومات المتعلقة بأداة المقابلة واجراءات تطبيقها، الى جانب البحث عن الدراسات التي تطرقت الى مميزات هذه التقنية وصعوبات اجراءها في الاعمال البحثية السابقة التي اعتمدت على وسيلة المقابلة كأداة رئيسية في البحث أو تلك الابحاث التي استخدمتها كأداة داعمة لوسائل وتقنيات بحثية أخرى، وتلخيص تلك المعلومات وتحليلها واستخراج الاستنتاجات والمبادئ العامة بشأن أداة المقابلة وشروط ومراحل استخدامها في البحوث العلمية.

3/المفاهيم الأساسية للبحث:

- تعريف المقابلة:

لغة:

لعل المتصفح في قواميس اللغة يدرك أن مصطلح المقابلة في اللغة العربية يرجع في أصله اللغوي الى الفعل " قابل، يقابل، مقابلة، فهو مقابل بكسر الباء" والمقابلة تخرج لمعان عدة منها: "أن يُؤتى بمعنيين أو أكثر ثم يُؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، كما في قوله تعالى: " فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون 82" [التوبة] ومنها " اللقاء وجها لوجه لعرض مشكلة أو التقدم بمطالب له" ومنها " البديل عن الشيء كأخذ سلعة في مقابلة نقوده" ومنها مطابقة النصوص بعضها

بقصد تحقيقها كما يحدث في تحقيق المخطوطات والمطبوعات القديمة. ومنها المقارنة كالمقابلة بين نصين، يقال "قابل بين الموقفين، أي قارن بين صورة الوثيقة وأصلها" وفي اللغة الانجليزية تأتي Interview لتشير لمعنى اللقاء والحديث والمواجهة (المهدي، 2019، الصفحات 267-268).

اصطلاحاً:

يعرفها عبد الباسط حسن في كتابه أصول البحث الاجتماعي نقلاً عن Bingham بأنها: "المحادثة الجادة الموجهة نحو هدف محدد، غير مجرد الرغبة في المحادثة لذاتها، أي المحادثة بين شخصين وجها لوجه عن طريق أسئلة يلقيها السائل (الباحث) لمعرفة الرد عليهما من قبل المفحوص" (محمد حسن، 1990، صفحة 330)

الملاحظ أن الكاتب اقتصر في تعريفه للمقابلة على وصف طرفيها ونعتها بالمحادثة الهادفة ولم يتطرق إلى مجرياتها ولا إلى طبيعة المعلومات والابحاث التي تستهدفها. وهناك من يرى أن المقابلة أداة اتصال، إذ ترى رجاء وحيد الدويدري أنها وسيلة شفوية مباشرة أو هاتفية أو تقنية لجمع المعلومات، حيث يتم خلالها سؤال فرد أو خبر عن معلومات لا تتوفر عادة في الكتب أو المصادر الأخرى (وحيد دويدري، 1421، صفحة 322). في هذا التعريف تناولت الباحثة المقابلة من منظور أوسع، إذ بينت بأنها وسيلة اتصال لتحصيل معلومات غير متوفرة في المراجع، ويمكن إجراءها بطرق مختلفة عبر الهاتف أو تقنيات الاتصال الحديثة أو بشكل مباشر، بينما لم تتعرض إلى طبيعة المعلومات المراد تحصيلها بالمقابلة ولا لأنواع البحوث التي تعتمد على أداة المقابلة بشكل رئيسي.

في حين يرى الباحث طلعت ابراهيم لطفي أن المقابلة هي تفاعل لفظي يتم عن طريق موقف مواجهة يحاول فيه الشخص القائم بالمقابلة أن يستثير معلومات، أو آراء أو معتقدات شخص آخر أو أشخاص آخرين للحصول على بعض البيانات الموضوعية (ابراهيم لطفي، 1995، صفحة 85_86) وبذلك فإن المقابلة تشير إلى الاجتماع الذي يجمع بين أكثر من طرف، وهي اجتماع بين شخصين أو أكثر لتبادل المعلومات في موضوع محدد لتحقيق هدف معين، وتعد من التقنيات المساعدة في جمع المعلومات حول أي موضوع ذي صلة بالبحث.

وهي حوار مع شخص أو مجموعة من الأشخاص قصد الوصول إلى معلومات من أجل التوصل إلى حل مشكلة أو اختبار فرضية ما أو التحقق من هدف معين وتوسّع المقابلة إلى مساعدة الباحث على جمع المعطيات والمعلومات من خلال التعرف على آراء الأفراد وتمثيلاتهم خاصة في البحوث النوعية. وكذلك هي عملية اتصال مباشرة تتم بين الباحث والمبحوث، مضمونها محادثة أو حوار لفظي موضوعه مشكلة البحث، الهدف منها هو الحصول على معلومات كافية تسمح بفهم وتفسير مشكلة البحث أي: الحكم على الفرضيات، والإجابة على التساؤلات، وتقييم الأهداف. وقد نقل سبعون تعريف المقابلة عن Grawitz Madeleine بأنها: "عملية تقصي علمي تقوم على مسعى اتصالي من أجل الحصول على بيانات لها علاقة بهدف البحث. ما يؤسس المقابلة هو إنتاج كلام اجتماعي لا يكون مجرد وصف وإعادة إنتاج لما هو موجود لكنه اتصال حول ما يجب أن يكون للأشياء ووسيلة تبادل بين الأشخاص كما تتأسس المقابلة على خصوصية وهي إنتاج خطاب في

عين المكان، وهذا ما يجعلها وضعية اجتماعية للالتقاء والتبادل وليس مجرد أخذ للمعلومات" (سبعون، 2012، صفحة 173)

وقد عرفها سعيد سبعون أيضا في كتابه (الدليل المنهجي في اعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع) على أنها وسيلة او تقنية بحث هامة تسمح باكتشاف آراء المبحوث وتصوراتهم في ظل تلك العلاقة التفاعلية معه، والتقاء الباحث بالمبحوث شرط أساسي لقيام المقابلة في مكان معين". (سبعون، 2012)

حيث اضاف سبعون بهذا التعريف شرط التفاعل بين الباحث والمبحوث وضرورة الالتقاء بينهما في مكان محدد ، بيد أنه كفي هذا الزمان وبظهور وسائط التواصل الاجتماعي يمكن اجراء المقابلة عبر هذه الوسائط الافتراضية دون اللقاء المباشر بين الباحث والمبحوث.

- تعريف البحث العلمي: هناك تعريفات متعددة للبحث العلمي تختلف باختلاف منطلقات الباحثين ومجالات البحث.

البحث العلمي هو الاستخدام المنهجي لاساليب واجراءات محددة للحصول على معلومات، أو الكشف عن العلاقات بين المتغيرات في المجتمع، كما يهدف البحث العلمي الى الكشف عن الحقائق الجديدة أو التحقق من المعلومات القديمة بغرض زيادة المعرفة ويقوم البحث العلمي على دراسة الفرضيات لأجل فهم الظاهرة وتحليلها، اذن المعرفة العلمية معرفة منظمة، تخضع لقواعد ومبادئ منهجية ينبغي الالتزام بها وهذا ما يميز المعرفة العلمية عن الافكار السائدة والتحليلات العامة في المجتمع فهي سعي الباحث العلمي الى التعمق في دراسة الظاهرة وجمع المعلومات حولها وتحليلها بعيدا عن الافكار المسبقة والتحليلات الضيقة والصور النمطية.

يصف عالم الاجتماع انتوني غدنز عملية البحث في علم الاجتماع كما في العلوم الاخرى بأنها "فن الممكن" ويستند هذا الوصف الى ادراكه أن المعرفة العلمية تخضع لحواجز أخلاقية وشروط الوصول المباشر الى المعلومات، فليست جميع المعلومات متاحة للباحث وليست جميع مناهج البحث ممكنة ومقبولة (Friedrich Ebert, 2016; Friedrich Ebert, 2016)

4/ شروط المقابلة:

هناك جملة من الشروط التي ينبغي على الباحث أن يراعيها عند اعتماده على وسيلة المقابلة في البحث ذكرها (عقيل، 1999، صفحة 180)

- تحديد الموضوع تحديدا دقيقا:

من حيث فروضه، وغاياته، وفلسفته ومجالاته النظرية والعلمية، حيث تُبنى المقابلة عليه، دون النظر إلى هامشيات قد تضيق وقت الباحث، ولا تزيد شيئا مهما للموضوع

- وضوح الهدف من اجراء المقابلة لدى الباحث والمبحوث:

بمعنى يجب أن يعرف الباحث جيدا الاهداف التي يسعى الى الوصول اليها أو تحقيقها بحيث لا يضل طريقه، فالباحث بدون أهداف واضحة ومحددة مثل الذي يقود سيارة في الليل من غير إضاءة.

وكذلك المبحوث إذا كان لا يعرف الاهداف وراء المقابلة، لا يستجيب للباحث ويكون كالذي لا يعرف السباحة ويحاول إنقاذ غريق في البحر.

لأن الهدف هو الدليل الذي يرشد الباحث والمبحوث إلى غايات البحث ومقاصده.

- وضوح المفاهيم:

لأن المفاهيم هي اللغة التي يستعملها الباحث والمبحوث، وإذا كانت غير واضحة يكون هناك غموض في المعاني والألفاظ وما ترمي إليه المفاهيم. ووضوحها يسهل عملية الاجابة والاستجابة من المبحوث، لأن هناك العديد من المفاهيم تحتوي على أكثر من معنى، وبالتالي يجب توضيحها للمبحوث. كذلك الشأن بالنسبة للمبحوث إذا استعمل ألفاظا مهمة أو غير واضحة لدى الباحث عليه أن يطلب من المبحوث تفسيرها دون أن يشعره بالملل.

- مراعاة الظرف الزمني للمقابلة:

ينبغي ألا تكون المقابلة العلمية مفاجئة دون إعلام المبحوث بموعدها مسبقا، بل يحدد الموعد مسبقا ومع ذلك قد يؤجل هذا الموعد إذا استجد على الباحث أو المبحوث ظرف نفسي أو اجتماعي لا يسمح بإجراء المقابلة.

فلو كان المبحوث يمارس نشاطا رياضيا أو فنيا أو أدبيا، وجاء الباحث يطلب منه ترك هذا النشاط لإجراء المقابلة، فإن التوقيت الذي اختاره الباحث غير مناسب، فقد يترك المبحوث ممارسة النشاط ولكنه قد يكون متوترا طيلة فترة المقابلة، هذا ما يؤثر على نسبة استجابته للباحث والموضوع.

- مراعاة الظرف المكاني:

بما أن المقابلة تتطلب انتباها كبيرا من الباحث واصغاء وتتبع لكل ما يقوله المبحوث فإن ذلك يستوجب اختيار أماكن مناسبة تتوفر فيها الهدوء والاطمئنان. فإذا لم يكن المكان هادئا ببعده عن الضوضاء أو الحركة العامة أو أماكن ممارسة الأنشطة فإن ذلك يؤثر على تركيز كل من الباحث والمبحوث. وأحيانا المبحوث لا يرغب أن يراه أحد في أماكن التحقيق العامة مما يستلزم البعد عنها حتى لا يؤثر على استجابته.

كما يجب أن لا تكون المقابلة في المكاتب الخدمية التي يتردد عليها كل من له مصلحة أو خدمة مما يقلق المبحوث ويشتت انتباه الباحث. عندما يسترسل المبحوث في اعطاء المعلومات تكون مهمة الباحث الإصغاء الجاد ولكن إذا لاحظ المبحوث أن الباحث يقاطعه بشكل يؤثر على انسياب المعلومات التي يرى بأنها هامة حسب استفسار الباحث له، ويلاحظ كثرة الاتصال الهاتفي من حين إلى آخر بين الباحث والمتصلين به واهمال المبحوث أثناء فترة الاتصال الهاتفي، كل ذلك يؤثر على استجاباته وتفاعله واطمئنانه، ويجعله غير مبال، ولا متحمس للمقابلة في هذه الاماكن التي تكثر فيها الضوضاء، وتعرضه الى عدم الاحساس بسرية موضوعه وعدم ثقته في الباحث.

- مرونة الاسئلة وتنوعها: المقابلة المهنية ينبغي أن تتميز بعناصر التشويق وعدم التقيد بصيغ جامدة تحسس المبحوث بالملل، وأن لا تتميز بالحدة والسامة كالتحقيقات الامنية من حيث الاسلوب في الصياغة والتعبير وان تكون قابلة للتعديل والتغيير إذا لم تحقق تقبل الباحث والمبحوث.

وأن تكون صيغ الاسئلة متنوعة حتى لا يشعر المبحوث بالملل وأن تكون مهذبة التعبير، وعدم القصور على نوع واحد من الاسئلة، كأن تكون كل الأسئلة مغلقة أو مفتوحة بل يفضل تحديد الصيغ وفق الموقف، وأغراض المقابلة وفلسفة الموضوع.

كما أن رأي الباحث مهم حين تصاغ الأسئلة المفتوحة، وغايات المقابلة قد تتطلب صياغة الاسئلة المغلقة أو المغلقة المفتوحة في وقت واحد، وأن تكون الاسئلة مباشرة عند الموقف الذي يتطلب صياغة وعرضا مباشرا ولا يؤثر على نفسية المبحوث أو يثير شكوكه في الموضوع أو في الباحث مثل الأسئلة التي تتعلق بالعمر أو المستوى التعليمي أو الوظيفة أو الحالة الاجتماعية.

ولا تقتصر الأسئلة عند هذا الحد المباشر وإنما تتعداه إلى الأسئلة غير المباشرة فيما يتعلق بنوع الحالة، أو الانحراف، أو الممتلكات والدخول الخاصة، ودوره في تنفيذ الموضوع الإنحرافي إذا كانت الحالة المدروسة إنحرافا بسيطا أو جريمة مركبة.

- تحفيز المبحوث على الاستجابة:

عندما تتضح أهمية الدراسة والبحث بالنسبة للمبحوث بأنها من أجله، ولصالحه باعتباره فردا مهما في المجتمع، وأن كل البشر قد يتعرضون الى الخطأ بارادة أو بغير إرادة، بوعي أو بدون وعي، والخطأ قد يكون بسبب توفر معلومات خاطئة أو لعدم توفر معلومات عن الموضوع وهذا يمكن اصلاحه من خلال تصحيح المعلومات الخاطئة، أو بتوفر معلومات سليمة وواضحة.

ومن المستحسن أن يجيد الباحث الانصات لكل ما يقوله المبحوث ويترك له حرية التعبير التي تخفف من همومه خاصة في المقابلة الأولى التي يتم فيها شعور المبحوث بأهميته من خلال تشجيع الباحث له بالانصات، واهتمامه به بالمتابعة، وتفاعله مع حالته، وتطمينه له بإمكانية إصلاحه، وينبغي أن لا يستهزئ أو ينتقص المبحوث بمكانته في المجتمع، وأن يعرف أن المجتمع في حاجة لجميع أفراده، وأن المجتمع قادر على منحهم فرص، وهم قادرون على تصحيح أخطائهم التي وقعوا فيها نتيجة المعلومات الخاطئة.

كل هذه تساعد المبحوثين على تقبل حالاتهم وتحفزهم على اصلاحها من خلال استثارة الدافع للاستجابة الذي يتحقق بدور الباحث وخبرته المهنية والعلمية وقدرته على خلق مناخ يمكن المبحوث من التفاعل مع الموضوع والباحث.

- الانتباه ورحابة الصدر:

قد تكون الدراسة مستهدفة حالات سوية وقد تكون مستهدفة حالات غير سوية أو شاذة ولكل منهما اعتبارات تميزها عن الاخرى من حيث الظرف الشخصي والظرف العام، فالحالات السوية كثيرا ما تكون الاسئلة الموجهة الى عناصرها مباشرة، ونتائجها غير محرجة للمبحوث، أما الحالات غير السوية كثيرا ما يعتمد أصحابها الالتجاء إلى الأساليب الدفاعية والمملتوية والتهرب من الإجابات المستهدفة باستفسارات الباحث.

وفي كلتا الحالتين يجب أن يتميز الباحث برحابة الصدر، والانتباه الجاد لما يقوله المبحوث أثناء المقابلة والذين قد يكون من بينهم من يعاني من الحالات الاتية:

- سرعة الاجابة: حيث نجد أن بعض الاشخاص تكون إجابتهم على الاسئلة سريعة جدا بحيث يصعب على الباحث تتبع ما يقوله المبحوث بسبب ادغامه لبعض الحروف أو بعض الكلمات

وبالتالي يجب على الباحث في هذه الحالة أن تكون له القدرة على تقبل هذا النوع من الحالات والتعامل معها بمنطق ولين وهدوء.

- بطء الإجابة: هناك من المبحوثين من يعاني من بطء الإجابة، بدرجة فتور كبير كأن يخرج المبحوث الكلمة ويترك فترة زمنية لإخراج الكلمة أو الجملة التي تليها، وقد تكون هذه طبيعته، وقد تكون مصطنعة من أجل استفزاز الباحث، ومضايقته بذكاء المبحوث وقدرته على التلاعب بأحاسيسه مما يستوجب الانتباه لمثل هذه الحالات وأخذها بعين الاعتبار.

- المعاناة من التأناة: يختلف بطء الإجابة عن الذي يعاني من التأناة من حيث إخراج الكلمات ووضوحها، فالأول يستغرق زمنا في إخراج الكلمة الواحدة مما يجعله يحتاج إلى وقت أكثر من غيره أثناء إجراء المقابلة معه ولا يعتبر هذا الوقت تضيقا للجهد الذي يبذله الباحث من أجل استقراء حالته ودراستها دراسة علمية.

- ضعف السمع: قد يكون من بين المبحوثين ضعاف السمع، أو قد يكون المبحوث الوحيد المستهدف بالمقابلة ضعيف السمع، مما يستوجب من الباحث التحدث بصوت عال وتكرار الكلام أحيانا أكثر من مرة لعدم وضوح الكلمات عند المبحوث، وأن لا يحسسه بالضيق منه بظهور علامات عدم الانبساط على وجه الباحث أو صدور كلمات غير حسنة قد تقع في سمع المبحوث فتضايقه وتكون حاجزا بين تفاعلهما،

- عدك الاستنزاء بالمبحوث: لكل فرد ظروف خاصة، وإمكانات مختلفة وقدرات، واستعدادات جعلت بين أفراد المجتمع فروقا فردية، وجعلت منهم الفقير، والمشبع الحاجة، والغني، وجعلت منهم المبصر وفاقد البصر، والأعرج وسوى البنية ونظيف الملابس ورث الملابس، وكل هذه وغيرها ينبغي أن لا تجعل الباحث يستهزئ بالمبحوث فقد قال تعالى في كتابه: " ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج.....".

- تسجيل إجابات المبحوثين:

حتى لا تضيع المعلومات التي تم الاستماع إليها من مصادرها، ينبغي أن تسجل بوضوح، حسب خطة علمية واضحة الأسباب والأهداف ويراعى أثناء التسجيل ظروف المبحوثين ودرجة سماحهم للباحث بتسجيل كل ما يقولونه أو يعبرون عنه، وحسب نوع الحالة ودرجة تقبل المبحوث لحالته أو مشكلته وتقبله للباحث يحدد زمن التسجيل، فقد يكون التسجيل أولا بأول حتى لا تضيع المعلومات والبيانات التي يدلي بها المبحوث.

ويعاب في هذا النوع أنه قد يشك المبحوث في الباحث إذا لم يتأكد من حرصه على سرية المعلومات التي صرح بها. ويمكن أن يكون التسجيل في نهاية المقابلة لتفادي حساسية المبحوث من التسجيل أثناء المقابلة، ويؤخذ على هذا النوع أن الباحث قد ينسى شيئا من المعلومات التي قالها المبحوث وهي مهمة لدراسة حالته أو لتشخيصها وعلاجها.

وقد يستعين الباحث بالوسائل التقنية، كأجهزة التسجيل المسموعة والمرئية أثناء المقابلة، وينبغي أن يكون ذلك بعلم المبحوث، وسماحه بذلك،

لذلك يفضل أن تكون المقابلة علمية تراعي إحاسيس المبحوث وخصوصياته، وأشعاره بمدى أهمية إجراء المقابلة معه حتى يتفاعل مع الدراسة مما يمكن الباحث من تحقيق أهدافه منها.

وحسب الموقف والظرف ودرجة التفاعل يتم تسجيل المقابلات وهذه متروكة للتقدير من قبل الباحث وخبرته التي تفيد المقابلة.

5-دليل المقابلة:

هو ذلك العنصر المادي الذي يسجل فيه الباحث المعلومات، يعتمد عليه عندما تكون المقابلة هي الأداة الأساسية في البحث (أي المعلومات المجمعة منها تستخدم بشكل مباشر في الإجابة عن التساؤلات والحكم على الفرضيات).

*القسم الأول من الدليل: يتكون من الهيئة (الزمان والمكان): رقم المبحوث، تاريخ المقابلة، الوقت المستغرق.....

* القسم الثاني: يتضمن

مقدمة المقابلة: يقدم الباحث نفسه والجهة التي ينتهي إليها، الهدف من المقابلة، موضوع المقابلة، ثم محاولة بناء علاقة تفاعل ايجابية مع المبحوث من خلال مثلاً: توضيح أهمية المعلومات التي سيقدمها، طلب الإذن باستخدام أدوات التسجيل، منحه الوقت الكافي للاستعداد، وتكتب المقدمة بطريقة أكاديمية .

*القسم الثالث: موضوع المقابلة فيها الأسئلة توزع على محاور قد تكون كبرى. وللانتقال من محور لآخر تستخدم الجمل الاستعراضية بعبارات سلسلة حتى لا يشعر المبحوث أنه مستجوب أو محل تحقيق. (Berthier, 2008, pp. 79-80)

6-مراحل تنفيذ المقابلة:

*مرحلة التحضير: هي توفير الشروط المختلفة للمقابلة أي إعداد مخطط المقابلة (دليل المقابلة).
*مرحلة الشروع في تنفيذ المقابلة: عملية التدوير في دليل المقابلة قد تكون عن طريق الكتابة أو عن طريق التسجيل.

7-شروط أسئلة المقابلة : يجب أن تكون أسئلة المقابلة :

- مفتوحة: أي الباحث ليس لديه القدرة على تحديد اتجاهها الإجابة (غير معرفة).
- معمقة: تسمح بالحصول على أكبر قدر ممكن من البيانات والمعلومات
- تجنب أسئلة نعم و لا.

- تجنب الأسئلة التي تكون إجاباتها معروفة لدى الباحث.
- من حيث تسلسل الأسئلة يراعى التدرج في طرح الأسئلة والموضوع.
- ترك الأسئلة الحساسة والصعبة للأخير حتى لا يخرج المبحوث.

8مزاي المقابلة:

- ✓ تسمح بإيراد أسئلة اضافية أثناء اجراء المقابلة أي لا يتقيد بأسئلة دليل المقابلات.
- ✓ لا يشترط فيها أن يكون الباحث والمبحوث في نفس المكان.
- ✓ استخدام وسائط الكترونية للوصول للمبحوث مثلاً (مقابلة الكترونية) من خلال الدردشة مع المبحوثين باستخدام وسائط التواصل الاجتماعي.

وقد أوردت الباحثة سناء محمد سليمان في كتابها الموسوم "أدوات جمع البيانات في البحوث النفسية والتربوية" مجموعة من المزايا يمكن تلخيصها في النقاط الآتية (محمد سليمان س.، 2010)

✓ تتيح الفرصة للقائم بالمقابلة لاقتناع المبحوثين بأهمية البحث وقيمتها العلمية، مما يضمن تعاونهم واستجاباتهم للبحث من ناحية ويشعرهم بأهمية مشاركتهم في البحث من ناحية مغايرة .

✓ تعد المقابلة وسيلة مناسبة للحصول على البيانات من الأفراد الذين لا يجيدون القراءة والكتابة، وكذلك يمكن استخدامها مع جميع شرائح المجتمع متعلمين وأمينين أو أطفال وكبار السن والمصابين والعجزة وكذلك تكون مجدية مع أولئك الذين لا يرغبون في الادلاء باستجاباتهم بصورة مكتوبة.

✓ تتميز المقابلة بالمرونة فيمكن للقائم بالمقابلة أن يشرح للمبحوثين ما يتعلق بغموض بعض الأسئلة وتوضيح بعض المعاني، كما يمكن للباحث استيضاح بعض الأجابات غير الوافية أو غير الكاملة، أو تلك التي تحتاج إلى إعطاء أمثلة من قبل المبحوث.

✓ مفيدة جدا في التعرف على الصفات الشخصية للأفراد المطلوب مقابلتهم وتقويم شخصياتهم والحكم على أجاباتهم.

9-عيوب المقابلة وصعوبات إجرائها:

✓ صعوبة تحليل البيانات فيما بعد لعمق المعلومات التي يدلي بها المبحوث .

✓ تزيد من فرصة التحيز خاصة أثناء إجراء الحوار.

وقد أوردت الباحثة سناء محمد سليمان في كتابها " أدوات جمع البيانات في البحوث النفسية والتربوية جملة من العيوب نذكر منها: (محمد سليمان س.، 2010)

✓ تحيز القائم بالمقابلة عند تسجيله للنتائج وفقا لتفسيراته الشخصية، أو عملية الإيحاء للمبحوثين بإجابة معينة تتفق واتجاهاته.

✓ قد يعتمد المبحوث تزيف الأجابات في الاتجاه الذي يعتقد أنه يتفق مع اتجاه القائم بالمقابلة.

✓ يتكلف القائم بالمقابلة الكثير من الوقت والجهد والمال للحصول على البيانات المطلوبة من خلال تكرار عملية التردد على المبحوثين.

✓ صعوبة وصول الباحث إلى بعض الشخصيات المبحوثة وقد يكون ذلك بسبب المركز الاجتماعي والسياسي لهؤلاء الأشخاص، أو إمكانية تعرض الباحث للمشاكل والمخاطر عند إجراء المقابلات مع أفراد الجماعات الإجرامية وعصابات الأحياء... وغيرها.

10-أنواع المقابلة:

- على ضوء عدد المبحوثين:

• المقابلة الفردية:

يجريها الباحث مع شخص واحد، وتتميز بإفراح المجال أمام المبحوث للتعبير عن آجاباته بكيفية تلقائية بعيدا عن تأثير باقي المبحوثين عليه. وهذا النوع من المقابلة يسمح بنوع من الحرية في التعبير عن الآراء على عكس ما يبديه المبحوث من تردد في حالة مواجهه في جامعة، فالمقابلة الفردية تكون مناخا جيدا تسوده الثقة المتبادلة بين الباحث والمبحوث، مما يساعد الباحث على الحصول على المعلومات بطريقة علمية موضوعية صادقة.

• المقابلة الجماعية:

وهي مقابلة يقوم فيها الباحث بإجراء مقابلة مع مجموعة من المبحوثين في نفس الوقت، بحيث يوجه نفس الاسئلة على كل عضو من أعضاء المجموعة او المجموعة كلها، لكن الإجابة قد تكون بشكل منظم كل مبحوث يرد على السؤال او يكون الرد جماعي بطريقة تلقائية، وفي مثل هذا النوع من المقابلات يقف الباحث على أوجه التقارب والتباعد في الآراء بين المبحوثين في ما يخص موضوع البحث المراد دراسته، وأما فيما يخص المبحوثين فانهم يتمكنون من مساعدة بعضهم بعضا في تذكر بعض الجوانب المرتبطة بالسؤال المطروح. ويتم الحوار أو المقابلة بين الباحث و المبحوثين بشروط:

✓ التحكم في أساليب الحوار (اللغة التي تناسب المجموعة).

✓ التدريب على فن إدارة المجموعات .

✓ العدد المسموح به في المجموعات: الباحث يقسم المجموعة بما يخدمه (حسب عامل الوقت، عامل القدرة والإمكانات الخاصة بالباحث).

- على ضوء بنيتها أو مكوناتها:

• المقابلة الحرة: في هذا النوع من المقابلات يهتم الباحث بإعداد الاسئلة الجوهرية في

موضوع الدراسة، على ان تصاغ عامة لكي يفسح المجال للمبحوث التحدث بشكل مستفيض على الاسئلة المطروحة ويفيد هذا النوع من المقابلات في جمع معطيات جديدة حول موضوع الدراسة وتنويره بآراء وافكار تسمح بتكوين نظرة عميقة حول الظاهرة، كما تفيد ايضا في التعرف على كافة العوامل والمتغيرات التي قد لا تخطر على بال الباحث مادام يكتفي بتكوين نظرة عامة حول اشكالية البحث من جهة، ومادام المبحوث يجد امامه الوقت الكافي للتعبير عن آرائه وخصوصياته.

ومن اجل تفرغ المعلومات التي تمدنا بها المقابلة ومن باب التوجيه، نقدم الخطوات الاتية في تعامله مع اجوبة المقابلة الحرة :

✓ البدء بقراءة متأنية لأجوبة المبحوثين الذين تمت مقابلتهم باستعمال المقابلة الحرة

✓ تصنيف وتحديد الاجوبة المشتركة ثم المتقاربة عن طريق ترقيمها مثلا

✓ البحث عن الافكار غير المشتركة وترقيمها وتعيينها بلون مغاير مثلا

✓ استنتاج الافكار العامة والتي توحد بين كل الاجابات

- ✓ ترتيب هذه الافكار العامة واحصائها، ثم تصنيفها بالشكل الملائم.
- ✓ معالجة النتائج وقراءتها وتحليلها بالطريقة والمنهجية التي تلائم الباحث.
- مقابلة نصف موجهة: يعمل هذا النوع من المقابلات على توظيف مزايا كل من المقابلة الموجهة المقيدة والمقابلة الحرة، وتفيد في تعميق البحث من خلال النتائج المتوصل اليها في الاسئلة المفتوحة. يعتبر هذا الشكل من المقابلات اكثر استعمالا في البحوث السوسيولوجية والتربوية، وذلك لما يتميز به من مرونة في الربط بين حرية المبحوث واجوبته التلقائية او العفوية وبين التوجيه والتحديد الذي قد تقتضيه طبيعة الدراسة او الظاهرة المدروسة. وفيها يفكك الباحث المشكلة الى أجزاء تسمى رؤوس الموضوعات (أبعاد المتغيرات)، فتكون المقابلة: عدد الاسئلة فيها يساوي عدد أبعاد المشكلة أو أبعاد المتغيرات.
- مقابلة موجهة أو معمقة: وفي هذا النوع من المقابلات يعتمد الباحث الى اعداد اسئلة محددة وتوجيهها بنفس الطريقة والترتيب الى كافة المبحوثين (عينة الدراسة)، بحيث تكون الاسئلة محددة ومنظمة في قالب غير قابل للتأويل، يجعل الباحث يتحصل على معلومات وبيانات واجابات وفق النمط المحدد سابقا في الاسئلة، ويشبه هذا النوع من المقابلات الى حد بعيد الاستبيان بالمقابلة ولكن يتم تمريره شفويا.
- يتدرج الباحث في طرح الاسئلة الى أعمق التفاصيل ويتخذ في ذلك : المشكلة، الأبعاد، المؤشرات
11- الخصائص العامة للمقابلة :
- تعتبر المقابلة من ابرز الوسائل التي تستخدم في البحوث السوسيولوجية وغيرها من الحقول المرتبطة بالعلوم الاجتماعية والانسانية، وتتميز المقابلة بمجموعة من الخصائص نورد اهمها في الاتي :
- تساهم في عملية الربط بين المكتسبات النظرية للباحث والواقع الاجتماعي الموضوعي لتلك المعارف، وهي بذلك تكون حلقة الوصل بين ما هو نظري وما هو واقعي.
- تتيح المقابلة للباحث ملاحظة ردود بعض الافعال الجانبية، والتي تتزامن مع الاجابات الشفوية للمستجوبين، ذلك ان معاينة حركاتهم وتببع تعابير وجوههم والاصغاء الى اصواتهم وهي من الامور التي قد تساعد على اكتشاف بعض الجزئيات التي لا يمكن التعرف عليها بالاعتماد على الاجابات المكتوبة فقط.
- تتسم المقابلة بالمرونة، اذ يستطيع الباحث تعديل مسار الحوار وفقا لتدفق الحديث، مما يسمح بالتعمق في القضايا ذات الاهمية (Bryman, 2012, p. 471)
- تسمح المقابلة باعتبارها تقنية للباحث الاتصال المباشر بمصدر المعلومات والمعطيات، الامر الذي يجعل النتائج المتوصل اليها تتسم بدرجة عالية من الصدق والموضوعية.
- تعد اداة فعالة لفهم السياق الاجتماعي والثقافي للمبحوث نظرا لاعتمادها على السرد والتجربة الذاتية (Seidman, 2013, p. 9)

- تقوم المقابلة على التفاعل الطبيعي بين الباحث والمبحوث، حيث تأخذ شكل حوار مفتوح يقترب من المحادثة اليومية، مع المحافظة على هدف علمي محدد (Creswell, 2014, p. 189)

- تساعد المقابلة الباحثين في المرحلة الاستطلاعية للبحوث والدراسات، فهي تمكنهم من بلورة الاشكاليات وجمع المعلومات الضرورية حول البحث أو المشكلة المدروسة، كما انها تساعد على تلمس اهم افرضيات الدراسة والتعرف على المحاور التي يركز عليها البحث وكذلك الوسائل اللازمة لذلك.

12-مواصفات الباحث عند اجراء المقابلة:

- **اللغة:** لا بد ان يحرص الباحث على ان تكون لغته ملائمة وسليمة يفهمها المبحوثين وتحقق التواصل بينه وبينهم.
- **شخصية الباحث:** ضرورة ان تكون شخصية الباحث قوية جذابة يرتاح اليها المبحوث عند اجراء المقابلة الامر الذي يؤدي الى خلق مناخ علمي مناسب لها.
- **الهيئة واللباس:** ضرورة خلق درجة معينة من الانسجام بين اللباس و هيئة المبحوث ولباس وهيئة الباحث وهذا مراعاة للتواصل بينهم، فإذا كان الباحث يود استجواب مبحوث من مستوى اجتماعي متوسط او فقير وكان يرتدي ثيابا انيقة وفاخرة فإن ذلك سوف يعوق التواصل بينه وبينهم، والعكس صحيح كذلك. فلذلك يجب ان يتوفر الانسجام بين الباحث والمبحوث من حيث اللباس والهيئة.
- **البداية:** يجب ان يكون الباحث على درجة عالية من استيعاب الالفاظ واللغة التي يخاطبه بها المبحوث، وهذا يتحقق بفضل القدرة على الادراك والاستيعاب حتى يتمكن الباحث من مساية المبحوث مهما كان مستواه التعليمي.
- **درجة الاهتمام:** يجب على الباحث ان يوفر ويخلق جو محفز ملؤه الاهتمام بالأراء وكل ما يدلي به المبحوث عن طريق حركات وكلمات ولغة حوار توجي للمبحوث ان اجاباته على الاسئلة مهمة ومفهومة ومرغوب فيها.

خلاصة:

يمكن القول أن المقابلة أفضل وسيلة للبحث العلمي وأنسب أدواته في بعض القضايا والظواهر المخصوصة وفي الظروف الخاصة، إذ تمكن الباحث من دراسة الظاهرة ضمن سياقها البيئي والاجتماعي الفعلي عبر رصد المواقف الحقيقية التي تحيط بتفاعلات الافراد والجماعات أثناء نشاطاتهم الاجتماعية والمادية الحقيقية، ونجاح الباحث في استخدام، وتوظيف هذه الأداة في جمع البيانات التي تتعلق بالظاهرة المدروسة يخضع لمدى التزام هذا الباحث بشروط الاختيار الموضوعية التي تضمن النتائج السليمة، وامتلاك الباحث مهارات استخدامها وتنفيذها في الميدان، من مرحلة الإنصات الواعي إلى المرحلة استنطاق المسكوت عنه في خطاب المبحوث. لذلك يعتبر انتصارنا للمقابلة الحرة في البحوث الاجتماعية في الحقيقة انتصار للفهم العميق والنوعي للظواهر الإنسانية، بعيداً عن قوالب التنميط الرقمي الجاهزة.

قائمة المراجع

1. Berthier, N. (2008). *Les Techniques D'enquête En Sciences Sociales*. Paris: Armand Colin.
2. Bryman, A. (2012). *Social Research Methods*. Oxford university press, 471.
3. Creswell, j. w. (2014). *Research Design Qualitative, Quantitative, and mixed methods approaches*. Sage, 189.
4. Friedrich Ebert, S. (2016). *MITHODOLOGIE DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE*. Alger.
5. Seidman, i. (2013). *interviewing as Qualitative Research*. Teachers college press, 9.
6. - ابراهيم لطفي، ط. (1995). *أساليب وأدوات البحث العلمي*. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر.
7. - المهدي، م. ص. (2019). د. ا. القاهرة. *الداوي*. Consulté le 09 15, 2021, sur <https://alwegaisi.com>.
8. - سيعون، س. (2012). *الدليل المنهجي في اعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع*. الجزائر: دار القصبة للنشر.
9. - عقيل، ع. ح. (1999). *فلسفة مناهج البحث العلمي*. ليبيا: مكتبة مديولي.
10. - محمد حسن، ع. ا. (1990). *اصول البحث الاجتماعي*. (Vol. الطبعة الحادية عشر). القاهرة: مكتبة وهبة للنشر.
11. - محمد سليمان، أ. ع. (2010). *القياس والتقويم في العلوم الانسانية*. القاهرة: دار الكتاب الحديث.
12. - محمد سليمان، س. (2010). *أدوات جمع البيانات في البحوث النفسية والتربوية*. القاهرة: عالم الكتب.
13. - وحيد دويدري، ر. (1421). *البحث العلمي اساسياته النظرية، ممارسته العلمية*. دارالفكر.

من أنطولوجيا المقابلة إلى إبستمولوجيا التفسير التحليل الموضوعي الانعكاسي لبيانات المقابلات البحثية

أد. بلال بوترة. أستاذ علم الاجتماع

جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي - الجزائر

مدير مخبر التنمية الاجتماعية وخدمة المجتمع

blal-bouterra@univ-eloued.dz

الملخص:

ينطلق هذا الفصل من فرضية محورية مؤداها أن الممارسة التحليلية الصارمة لا تنفصل عن فهم عميق لطبيعة المعرفة التي تنتجها المقابلة البحثية. فالمقابلة، بوصفها حدثًا حواريًا يُشارك فيه الباحث والمشارك في بناء المعنى، تتطلب إطارًا إبستمولوجيًا يعترف بدور الذاتية والتفاعل لا بوصفه تشويشًا، بل بوصفه موردًا تحليليًا. وفي هذا السياق، يقدم الفصل التحليل الموضوعي الانعكاسي (Reflexive Thematic Analysis) كما طوّره كلارك وبراون (Braun & Clarke)، مقارنةً منهجيةً متكاملةً تعالج هذه الإشكالية. ينتقل الفصل بالقارئ في رحلة منهجية من تأصيل أنطولوجيا المقابلة وفعل النسخ بوصفه خطوة تفسيرية أولى، مرورًا بتفصيل مراحل التحليل الست (من الغمر في البيانات إلى كتابة التقرير التحليلي)، وصولًا إلى نموذج تطبيقي مكتمل يستخدم معطيات دراسة ميدانية حول تحولات القيم لدى الشباب الجامعي في العصر الرقمي. يجمع هذا الفصل، بهذا التكامل، بين التأصيل النظري والدقة الإجرائية ليقدم دليلًا عمليًا يمكن الباحثين من نسج معرفة علمية رصينة من خيوط الحكايات الإنسانية.

Abstract

This chapter is anchored in the central premise that rigorous analytical practice is inseparable from a profound understanding of the nature of knowledge generated through research interviews. The interview, as a dialogical event where researcher and participant co-construct meaning, necessitates an epistemological framework that treats subjectivity and interaction not as noise, but as an analytical resource. In this context, the chapter presents Reflexive Thematic Analysis, as developed by Braun and Clarke, as an integrated methodological approach that addresses this very challenge. It takes the reader on a systematic journey: from establishing the ontology of the interview and the act of transcription as an initial interpretive step, through detailing the six phases of analysis (from data familiarization to writing the analytic report), and culminating in a fully realized applied model using data from a field study on value transformations among university students in the digital age. Through this integration of theoretical grounding and procedural precision, the chapter offers a practical guide that empowers researchers to weave rigorous scientific knowledge from the threads of human stories

مقدمة :

لطالما شكّلت العلاقة بين طبيعة المعرفة التي نبتغيها وأدوات جمعها حجرَ الزاوية في البحث العلمي. وفي قلب البحث النوعي، تقف المقابلة البحثية لا بوصفها قناة محايدة لنقل المعلومات، بل بوصفها فضاءً أنطولوجيًا فريدًا يُعاد فيه تشكيل الواقع الاجتماعي وصناعة المعنى في لقاءٍ حواري حي. إن استيعاب هذه الأنطولوجيا – أي طبيعة وجود المعرفة في سياق التفاعل بين الباحث والمشارك – هو الشرط المسبق لأي تحليل يطمح إلى تجاوز سطح الألفاظ إلى عمق الدلالات. فالمقابلة ليست استبيانًا شفويًا ولا استخراجًا لمعطيات ساكنة، بل هي، كما صوّرها روبين وروبن (Rubin & Rubin, 2012)، "شراكة في صناعة المعنى"، تُنتج سرديّةً مشتركة لا تنفصل عن سياقها ولا عن ذاتيّتي طرفيها.

من هذا الإدراك الأنطولوجي العميق، ينبثق السؤال الإبيستيمولوجي الأكثر إلحاحاً: كيف يمكن تحويل هذه المادة الحوارية الحية، المشبعة بالسياق والتفاعل، إلى معرفة علمية قابلة للتوثيق والاستدلال؟ كيف ننقل من فوضى الصوت الحي، عبر جمود النص المُنسَخ، إلى نسق النتائج التحليلية دون أن نفقد ثراء التجربة الإنسانية التي اختُزنت في ثنايا المقابلة؟ هنا، يبرز التحليل الموضوعي الانعكاسي (Reflexive Thematic Analysis)، كما طوّره كلارك وبراون (Braun & Clarke, 2019, 2021)، بوصفه إطاراً إبيستيمولوجياً متكاملًا لا يكتفي بإجراءات تقنية، بل يؤسس لممارسة معرفية واعية. إنه مقارنة تضع ذاتية الباحث وانعكاسيته في صميم عملية إنتاج المعرفة، لا بوصفهما عائقاً ينبغي كبحه، بل بوصفهما "المورد التحليلي" الأهم. فالباحث، في هذا التصور، ليس مُستقبلاً سلبياً لمعانٍ كامنة في البيانات بانتظار الاكتشاف، بل هو صانع نشط لها، يُنتج معرفة متموضعة لا تنفصل عن موقعه وتفاعله مع المادة.

يأتي هذا المحتوى ليسد فجوةً منهجيةً حرجة، متخذاً من هذه الرحلة بين الأنطولوجيا والإبيستيمولوجيا مساراً له. إنه لا يقدم وصفات إجرائية جافة، بل يغوص أولاً في تأصيل طبيعة المقابلة بوصفها حدثاً لصناعة المعنى، ويمرّ بفعل "التثبيت" الحاسم في مرحلة النسخ، ليصل إلى قلب الممارسة التحليلية: دليل تطبيقي محكم يقتضي خطوات التحليل الموضوعي الانعكاسي الست، من الغمر العميق في البيانات إلى كتابة السردية التحليلية. ولأن الفهم لا يكتمل إلا بالتطبيق، يُتوج هذا العمل بنموذجٍ ميدانيٍّ متكامل: دراسة حالة حول تحولات القيم لدى الشباب الجامعي في العصر الرقمي. في هذا النموذج، سيرى الباحث كيف تتحول المبادئ الأنطولوجية والإبيستيمولوجية المجردة إلى قرارات منهجية ملموسة، وكيف تُنسج الخيوط الأولى من ملاحظات الميدان لتُصبح خريطةً موضوعاتيةً متماسكة تجيب عن أسئلة البحث.

وبذلك، فإن هذا العمل ليس دليلاً إجرائياً فحسب، بل هو دعوة إلى ممارسة منهجية واعية، تستند إلى فهم عميق لطبيعة المعرفة التي ننتجها ونحن نستمع ونُحلل ونكتب، في رحلة متصلة الحلقات، تبدأ من أنطولوجيا السؤال الحي، ولا تنتهي إلا باكتمال إبيستيمولوجيا التفسير.

1. تعريف المقابلة البحثية

تشكل المقابلة البحثية أداةً منهجيةً فاعلة تتجاوز في جوهرها حدود المحادثة العابرة، إذ تقوم على شبكة من الافتراضات والتفاهات المسبقة التي يبنها الباحث والمشارك معاً. ومن ثمّ فإن تصنيفها بوصفها «استبياناً شفوياً» يُختزل طبيعتها؛ فالاستبيان يجمع بيانات غير مباشرة بوساطة أداة جامدة، في حين تُتيح المقابلة لقاءً مباشراً يُتيح للباحث معايشة المشارك وجهاً لوجه (Nayak & Nayak, 2015, p. 123). وهذه المباشرة تُحرّر المشارك من قيود الكتابة التي قد تمنعه من الإفصاح، فيعبّر باسترسال وعمق عن مشاعره ووجهات نظره، مما يمنح الباحث مدخلاً إلى معلومات ذات طابع خصوصي قد يستحيل البوح بها كتابةً. (Mack et al., 2005, p. 29)

وقد رسّخت المقابلات، بأشكالها المتنوعة، مكانتها بوصفها إحدى أكثر أدوات البحث النوعي شيوعاً في سبر توجهات الأفراد وأفكارهم وإدراكاتهم. وترجع شعبيتها، في جانب مهم منها، إلى قدرتها على إضفاء «وجه إنساني» على مشكلات البحث، وإلى كونها نافذةً فريدة يطل منها الباحث على عوالم المبحوثين الداخلية من منظورهم الخاص. (Patton, 2015, p. 426) كما تُعد تجربة مجزية

للطرفين؛ فهي تمنح المشاركين فرصة نادرة للتعبير عن ذواتهم خارج أنماط الحياة اليومية التي كثيراً ما تكتم أصواتهم. (Mack et al., 2005, p. 29)

ولأن المقابلة تتعقب ما لا يُرى بالعين المجردة، فقد شُهِت بـ«نظارات الرؤية الليلية» التي تمكّن الباحث من التعرّف على ظواهر معقّدة كانت ستبقى خافية لولاها. (Tracy, 2013, p. 132) غير أن جوهرها لا ينحصر في استخراج المعلومات، بل يمتد إلى بناء المعنى على نحو تبادلي، وإنتاج سردية مشتركة بين الطرفين. فعلى النقيض من النماذج التقليدية التي تفترض أن المعرفة مختزنة في ذهن المُجيب، يتشكّل المعنى في فضاء التفاعل بين الباحث والمشارك، ثم يُصقل ويتبلور في حركة ذهاب وإياب عبر السؤال والجواب (Tracy, 2013, p. 132). (Kvale&Brinkmann, 2009, pp. 2-3) لذلك لا يصحّ النظر إلى المقابلات بوصفها تبادلات محايدة للأسئلة والأجوبة، بل هي عمليات نشطة يُسهم فيها الباحث بذاتيته وانعكاسيته ليعرف الآخر ويعرف نفسه. (Tracy, 2013, p. 132) ويؤكد روبين وروبين (Rubin & Rubin, 2012, p. 30) أن المقابلة النوعية المتقنة هي «شراكة في صناعة المعنى»، يتحمّل فيها الطرفان مسؤولية نسج سردية غنية بدلاً من مجرد الإجابة عن أسئلة جاهزة. وانطلاقاً من هذا الفهم التفاعلي، لا تقتصر مهمة الباحث على تحليل مضمون البيانات التي جمعها فحسب، بل تمتد إلى دراسة كيفية إنتاج تلك البيانات من خلال التفاعل الحي مع المشاركين. (Tracy, 2013, p. 132) وهذا التحليل المزدوج يمنح ضمانات منهجية مسبقة لنجاح مراحل التحليل اللاحقة. (Kvale&Brinkmann, 2009, p. 102)

2. نسخ المقابلات بوصفه خطوة تأسيسية للتحليل

لا يقتصر النسخ على النقل الميكانيكي للكلام المنطوق إلى نص مكتوب، بل هو عملية تحويل معرفية عميقة تنتقل فيها اللغة الشفهية، بقواعدها وسياقاتها الحية، إلى نظام الكتابة بقواعده المختلفة اختلافاً جوهرياً. (Lapadat& Lindsay, 1999, p. 66) فالكلام الدينامي المتصل، المتجسد في سياق لحظوي، يتجمد في نص ثابت، وهذه «التثبيت» هي الشرط الضروري لإدارة البيانات وتنظيمها وتحليلها، إذ لا يمكن التعامل تحليلياً إلا مع اللغة في هيئتها المكتوبة. (Meroz, 2011, p. 232). (Kvale&Brinkmann, 2009, p. 178) من هنا تُوصف عملية النسخ بأنها ليست مجرد إجراء إداري، بل هي «فعل تفسيري» أولي تتداخل فيه خيارات الناسخ مع إنتاج النص. (Poland, 1995, p. 291).

والمفارقة أن هذه العملية الحاسمة – التي تُمثّل الجسر بين اللقاء الحي ومراحل التنقيب التحليلي – لم تنل حظها الكافي من الاهتمام في أدبيات البحث النوعي، مقارنةً ببقية الحلقات المنهجية. (Davidson, 2009, p. 37) ويتمثل الحد الأدنى الذي يسعى إليه جل الباحثين في أن «يمثّل النص ما قيل في التسجيل تمثيلاً صحيحاً»، رغم الإقرار بأن النسخ يستحيل أن يحتوي كل ما حدث في المقابلة احتواءً تاماً. (Kvale&Brinkmann, 2009, p. 178)

وتنطوي عملية النسخ على كلفة زمنية ومادية عالية؛ فالدراسات الكبيرة تُخصّص لها بنداً خاصاً في الميزانية. ويُقدّر الزمن المطلوب بأربعة أضعاف زمن التسجيل على الأقل، أي أن كل ساعة مقابلة تحتاج إلى أربع ساعات نسخ. (Stuckey, 2014, p. 08) ولا يُشترط أن يضطلع الباحث بنفسه بالنسخ، وغالباً ما يُستعان بناسخين مستأجرين، وهنا تبرز جملة من المخاطر المنهجية.

فالنص يتأثر بمجموعة من العوامل المرتبطة بالناسخ: كفاءته اللغوية، معرفته بخصائص الخطاب، درجة تركيزه وإرهاقه، وعيه بموضوع البحث، ومواقفه المسبقة تجاه القضايا المطروحة وتجاه المشاركين، فضلاً عن الفروق الثقافية واللغوية بين الناسخ وأصحاب التسجيلات. وكل هذه العوامل قد تُزيح النص عن أصله وتُنتج تحيزاً في التحليل (Meroz, 2011, p. 234)؛ Poland, (1995, pp. 295-296) وتزيد الطينة بلاء تلك المعوقات التقنية، من ضوضاء خلفية وأحاديث متداخلة في مجموعات التركيز وتوقفات مفاجئة، تؤثر مباشرة في جودة النص الذي يُسلمه الناسخ (Meroz, 2011, p. 234)؛ (Oliver, Serovich, & Mason, 2005, p. 1287).

لذلك فإن النسخ الحرفي، المرفق بإشارات السلوك غير اللفظي، ضروري لتأسيس موثوقية الدراسة واعتماديتها وجدارتها (Stuckey, 2014, p. 08)، وأي تهاون في هذه المرحلة يُهدد بنتائج غير حقيقية، مما يُحتّم على الباحث والناسخ معاً يقظةً منهجية صارمة في تفريغ التسجيلات إلى نصوص.

وقد سلط تيلي و بويك (Tilley & Powick, 2002, as cited in Davidson, 2009, p. 45) الضوء على مسائل الثقة عند التعاقد مع ناسخين خارجيين، محذرين من مخاطرة الاعتماد على النصوص وحدها دون العودة إلى التسجيلات الأصلية، فضلاً عن المسألة الأخلاقية الحساسة المتعلقة باطلاع شخص ثالث على بيانات المشاركين السرية، مما يستوجب إجراءات صارمة للخصوصية.

أما من الوجهة الإجرائية، فإن النسخ يشتمل على سلسلة من القضايا التقنية والتفسيرية، لكن القاعدة الذهبية الوحيدة هي «الشفافية التامة في الإفصاح عن كيفية إجراء النسخ» (Flick, 2016, p. 172). ويتعين أن يتم ذلك وفق دليل إرشادي مكتوب يُوزع على جميع القائمين بالنسخ، وإن تعدد الناسخون وُجِب توحيد إجراءاتهم، فأَيُ تقصير هنا يُصعّب مهمة المقارنة والتحليل في المراحل اللاحقة (Flick, 2016, p. 172)؛ (McLellan, MacQueen, & Neidig, 2003, p. 77).

وقد قدم في هذا السياق كل من Stinson و Mergenthaler مجموعة من المبادئ لتطوير قواعد النسخ وهي كما يلي (Mergenthaler, E., & C, H. Stinson, 1992, p. 129-130):

1. الحفاظ على الطبيعة المورفولوجية للنسخ. حافظ على أشكال الكلمات، وشكل التعليقات واستخدام علامات الترقيم.
2. الحفاظ على طبيعية بنية النص. حافظ على بنية النص بوضوح من خلال علامات الكلام (على سبيل المثال، مثل الإصدارات المطبوعة من المسرحيات أو النصوص السينمائية).
3. يجب أن يكون النص نسخة دقيقة عن مجريات المقابلة. أنشئ تقريراً حرفياً.
4. يجب أن تكون مبادئ النسخ شاملة. جعل النصوص مناسبة لكل من الإنسان / الباحث واستخدامات الكمبيوتر.
5. يجب أن تكون قواعد ومعايير النسخ مستقلة عن الناسخين وقابلة للتطبيق مع باحثين أو ناسخين آخرين.
6. يجب أن تكون قواعد النسخ متميزة فكرياً والحفاظ على قواعد محدودة في عدد، بسيطة وسهلة التعلم.

ولتوضيح عملية النسخ التي يمكن أن يقوم بها ناسخ (شخص / مؤسسة) غير الباحث نوضح ذلك في المثال الآتي (Eleanor, m, & al, 2003, p75):

معرف المشارك: C071	اسم المقابلة: مقابلة لفاح
المقابلة الفرعية #: المشاركة التجريبية	الموقع: UIC
تاريخ المقابلة: 91/14/11	معرف الباحث: IC003
الناسخ: جون سميث	
## IC003 ##	
حسنًا ، قبل أن نبدأ المقابلة نفسها ، أود أن أؤكد أنك قرأت ووقعت نموذج الموافقة المسبقة ، وأن تفهم مشاركتك في هذه الدراسة طوعية تمامًا ، يمكنك رفض الإجابة عن أي أسئلة ، وأنت قد تنسحب من الدراسة في أي وقت.	
## C071 ##	
نعم ، لقد قرأتها وفهمت هذا.	
## IC003 ##	
هل لديك أسئلة قبل المتابعة؟	

3. خطوات تحليل المقابلة: من البيانات الخام إلى الاستدلال المنهجي

من أكثر التحديات إلحاحًا في البحوث النوعية التي تتخذ من المقابلة أداة لها، هو الانتقال من مئات الصفحات النصية أو عشرات الساعات من التسجيلات إلى تحليل ممنهج وقابل للتوثيق. فمقابلة واحدة قد تستغرق ساعة زمنية، لكنها تلد ما بين عشرين وخمسة وعشرين صفحة من النصوص المفرّغة، مما يُشكّل عبئًا حقيقيًا على الباحث، ولا سيما المبتدئ. وهنا يأتي توجيه كروجر وكيسي (Krueger & Casey, 2000) الحاسم: إن هدف الدراسة هو البوصلة التي ينبغي أن تقود التحليل، إذ تُمكن الباحث من إبقاء ما له صلة مباشرة بأسئلة البحث والتخلص من الفائض الذي لا يثري النتائج (كما ورد في Rabiee, 2004, p. 657) فوجود رؤية واضحة للغرض يمنح المحلل القدرة على التركيز الانتقائي وسط طوفان البيانات.

بيد أن الانطلاق في التحليل لا يبدأ بعد جمع البيانات، بل يجب أن يتخلل عملية إنتاجها ذاتها. فالمقابلة ليست وعاءً لجمع المعلومات فحسب، بل هي مختبرٌ أني لتفسير المعاني؛ إذ يتسنى للباحث، من خلال عاكسات بسيطة كقول: «أفهم من كلامك أنك تقصد... أليس كذلك؟»، أن يُراجع فهمه ويُقوّمه في حضرة المشارك (Flick, 2016) ص 184؛ Kvale & Brinkmann, 2009, p. 129). هذه الممارسة تجعل التحليل اللاحق قائمًا على أرضية آمنة، بعيدًا عن التأويلات المنعزلة بعد افتراق الطرفين. ولا يُغفل الباحث التواصل غير اللفظي وسياق الموقف، فيُسجّل الملاحظات

الجانبية والانطباعات الفورية عقب المقابلة، فكلها تُشكل معطيات مكملّة لبعْدٍ تحليلي أعمق (Patton, 2015, p. 472).

ويقتضي التحليل الناجح كفاءةً منهجيةً تراكمت بالمراس، إلى جانب رؤية متعمقة وموثوقة في التعامل مع المعطيات، إذ أن البحوث النوعية بطبيعتها المعقدة تستهلك وقتًا طويلاً وتتطلب من الباحث مهارةً وخبرةً في إدارة سيول البيانات. (Noble & Smith, 2014, p. 3) ويقدم فليك (Flick, 2016، ص 185-186) نموذجًا إجرائيًا لتحليل المقابلات يركز على التفاعل بين طرفي المقابلة، ويتدرج في ست خطوات:

1. التلقائية والتفسير المحدود: أثناء المقابلة، يُدلي المشاركون بأوصاف تلقائية لعالمهم وأفكارهم واتجاهاتهم، وتظل هذه البيانات في هذه المرحلة حاملةً لتفسيرات محدودة غير معقدة من قبل الطرفين.
 2. اكتشاف معاني جديدة: من خلال علاقة الحوار الجديدة، يعيد المبحوثون اكتشاف واقعهم فيرون في معيشتهم معاني لم تخطر لهم من قبل، كما في المثال الذي يتحول فيه وصف التدخين من عادة إلى «قتل بطيء للنفس» يتبناه المشارك عن قناعة.
 3. التحقق التفسيري المتبادل (المقابلة ذاتية التصحيح): يعمل الباحث في هذا المستوى على إعادة صياغة ما صرح به المشارك وإرساله إليه طلبًا للتأكيد أو التصحيح، مما يسمح بظهور عبارات مثل «هذا ما قصدته بالضبط» أو «لا، لم أقصد ذلك»، ويحوّل التفاعل إلى مقابلة تصحح نفسها بنفسها، متجهةً نحو تفسير أحادي متفق عليه.
 4. تحليل النص من التسجيل: بعد النسخ، يضطلع الباحث - أو فريق مساعد - بتحليل النصوص باستخدام استراتيجيات متعددة (كالتكثيف المعنوي، التصنيف، البناء السردى) قد تُدعم ببرامج حاسوبية. ويركز التحليل على المعنى والشكل اللغويين، ويُقدّم تصورات جديدة تتجاوز التفسيرات المباشرة للمشاركين. (Kvale & Brinkmann, 2009, p. 207)
 5. إعادة المقابلة بغرض الصدق العضوي: في هذه المرحلة يُقدّم الباحث تفسيراته الأولية للمشاركين في لقاء لاحق، مُتيحًا لهم فرصة التعليق والتصويب، مما يُضفي «صدقًا عضويًا» على التحليل حين تعود المعاني إلى أصحابها لاعتمادها أو تعديلها.
 6. البناء التفسيري النهائي: يستكمل الباحث دمج التفسيرات المُتفق عليها مع الملاحظات السياقية والانطباعات المسجلة، فيصوغ سردية تحليلية متماسكة تجيب عن أسئلة البحث (Flick, 2016، ص 186).
- أما على مستوى شكل التحليل، فإن النصوص الخام - التي حافظت على ألفاظ أصحابها - تُوظّف بوصفها شواهد حية. ويُمكن أن يتخذ التحليل هيئات متنوعة، من أشكال بيانية وتخطيطية تُساعد في تنظيم البيانات إلى تحليل المضمون وتحليل الخطاب والتحليل السردى (Matthews & Ross, 2016، ص 476). ويُعد التحليل الموضوعي (Braun & Clarke, 2006) أحد أكثر الاستراتيجيات مرونةً وانتشارًا، إذ يمكّن الباحث من تحديد الأنماط والمعاني الأساسية عبر النصوص وفق عملية منظمة من الترميز والمراجعة وتحديد الموضوعات.

وخلاصة القول، إن تحليل المقابلات ليس مرحلة لاحقة منعزلة، بل هو سيرة دائرية تبدأ من أول لقاء، وتنضج عبر نسخ يقط، وتفسير متبادل، وإجراءات مصونة بالشفافية والصدق، وصولاً إلى نتائج يمكن الاطمئنان إلى جدارتها العلمية.

4. المقابلة البحثية: من الإجراء إلى التحليل

تُعد مهارة إدارة سياق المقابلة حجر الزاوية في نجاح البحث النوعي؛ فكلما تحكم الباحث في هذا السياق تحكمًا واعيًا، انعكس ذلك يُسرًا ووضوحًا ودقةً على عملية التحليل اللاحقة. وإدراك العوامل السياقية المؤثرة في صدق إجابات المبحوثين وقدرتهم على الإفصاح يُشكل الضمانة المنهجية لجودة البيانات، وبالتالي لتحليل معبر حقًا عن تصوراتهم وعوالمهم (Kvale&Brinkmann, 2009, p. 128). ويُجمل سارانتاكوس (Sarantakos, 2017, ص 490-491) جملةً من هذه العوامل المرتبطة بإرادة المبحوث وقدرته على الإجابة الصادقة، والتي نعرضها فيما يلي مدعمةً بإسهامات إضافية:

■ **فهم السؤال:** يزداد احتمال الصدق والدقة كلما كان السؤال واضحًا ومُلائمًا للنسق المعرفي للمشارك. ويمكن أن تعوق الفهم عوامل مرتبطة بالمباحث، كنغمة الصوت المشتتة أو الإلقاء المتعجل، وأخرى مرتبطة بصياغة المفاهيم، إذ قد يُجيب المبحوث عن السؤال في عمومه دون تحديد، أو يخلط بين الإدراك العام للموضوع والفهم الحرفي للصياغة اللغوية (Fowler, 1995, p. 34). ويجب على الباحث أن يتحقق تبادليًا من أن المبحوث قد فهم السؤال كما قصد لا كما ورد حرفيًا.

■ **المعالجة المعرفية:** تتأثر عملية استدعاء المعلومات ومعالجتها بطريقة عرض السؤال وسياقه، ومدى شعور المبحوث بالالتزام بالإجابة بموضوعية. ووفقًا لنموذج تورانجو (Tourangeau, 1984, p. 76)، فإن الإجابة عن سؤال تمر بأربع مراحل معرفية: الفهم، والاسترجاع، والحكم، والاستجابة. وأي خلل في إحداها – كأن يستثير السؤال معلومات غير دقيقة في الذاكرة أو يدفع إلى حكم متأثر بالمعايير الاجتماعية – ينعكس مباشرة على جودة البيانات.

■ **الدقة:** الأسئلة التي تطلب تفاصيل مفردة أو معرفة تخصصية قد تضع المبحوث في مأزق، فيلجأ إلى إجابات غير دقيقة لا لرغبته في التضييل، بل بسبب نقص المعلومات أو ضعف القدرة على الوصول إلى الذاكرة المناسبة (Bradburn, Sudman, & Wansink, 2004, p. 52). ويهدد هذا الموقف تقدير الذات لدى المبحوث ويؤثر في سير التفاعل.

■ **المعايير الاجتماعية:** يندر أن يُقدم المبحوثون إجابات تتعارض مع الأعراف الاجتماعية السائدة، خصوصًا في القضايا الحساسة، إذ يُسقطون توقعات القبول الاجتماعي على استجاباتهم تجنبًا للتقويم السلبي (Paulhus, 1991, p. 19). وهنا يحصل الباحث على إجابات مقبولة اجتماعيًا لا تعكس بالضرورة الموقف الحقيقي، مما يُقيم عائقًا أمام التحليل السليم. وتتضافر ثلاثة عوامل في إنتاج هذا التحيز: (1) القبول الاجتماعي المرتبط بالنسق القيمي والثقافي، (2) التوقعات السياقية المرتبطة بمتطلبات موقف المقابلة ذاته، و(3) دور المبحوث الذي يلتزم بحدود الدور المتوقع منه في اللقاء (Sarantakos, 2017, ص 491). ويستدعي ذلك من الباحث أن يصوغ الأسئلة الحساسة بطريقة تُحيّد الضغوط المعيارية، كاستخدام تقنيات الإسقاط أو صيغ عدم

التهديد (Rubin & Rubin, 2012, p. 146) كما يُفيد استشارة أفراد خاضوا مقابلات مماثلة مسبقاً لفهم البيئة المثلى للطرح (Buriro, Awan, & Lanjwani, 2017, p. 10). إن الوعي بهذه العوامل السياقية يحوّل المقابلة من لقاء عابر إلى مختبر تفاعلي يُدير فيه الباحث تدفق المعاني بحساسية، فيضبط السؤال وينصت للجواب الظاهر وما وراءه، ممهّداً بذلك الطريق لتحليل لا يكتفي بالتقاط الألفاظ، بل يخترقها إلى حيث تتموضع التصورات الحقيقية.

5. التحليل الموضوعي الانعكاسي للمقابلات البحثية Reflexive Thematic Analysis

لا يملك الباحث وصفاً جاهزة لاستنطاق المعاني الخفية من متون المقابلات، وإنما يرتحن نجاح التحليل بمهارته وحرفيته المنهجية، وغزارة معرفته بحقل البحث، وفرط حساسيته للمادة التي يتعامل معها. فالتحليل النوعي، خاصة عند استخدام المقابلات، ليس فعلاً ختامياً منقطعاً عن مراحل البحث، بل سيرورة مستمرة تبدأ مع أول دخول إلى الميدان ولا تتوقف إلا عند الخروج منه. وقد اصطُلح على تسمية هذه الممارسة بـ«غمر النفس في البيانات»، حيث ينصت الباحث إلى التسجيلات صوتاً وصورةً، ويُقلّب صفحات النسخ، ويدوّن ملاحظاته الميدانية، فلا يكتفي بما يُقال بل يُسجّل ما يُشاهد ويُستشعر من سياقات غير لفظية (Tracy, 2013, p. 188) فما يلاحظ قد يكون بنفس أهمية ما يُسمع، وقد يُسهم في كشف موضوعات ما كان للباحث أن يلتفت إليها لولا تنبيه الميدان، كما في دراسة الصحة الحضرية التي حوّلت انتباه الباحث إلى النهر المهمل الذي شغل بال الأهالي دون أن يرد في تصميم المقابلات (Patton, 2015, p. 483).

وكما أن أسئلة البحث تقود جمع البيانات، فإنها تقود التحليل أيضاً، لكن الأفق يظل مفتوحاً على موضوعات يكررها المشاركون وتشغلهم، وهو جوهر التحليل الموضوعي (Thematic Analysis) طريقة منهجية تسمح للباحث بتنظيم البيانات في موضوعات وفئات تُستمد من المادة نفسها أو تُصاغ في ضوء السؤال النظري، ثم تفسرها وإضفاء معنى تحليلي عليها. والموضوع الجوهرى قد لا يكون الأكثر تكراراً، بل الأكثر دلالة (Braun & Clarke, 2006, p. 82) ويُعرّف التحليل الموضوعي بأنه «طريقة لتحديد الأنماط (الموضوعات) وتحليلها والإبلاغ عنها داخل البيانات (Braun & Clarke, 2006, p. 79). وهو يتسم بمرونة عالية، إذ لا يلزم الباحث بنظرية أو إطار محدّد، فيمكن تطبيقه في مناهج واقعية أو بناءية، مركّزاً على موضوعات تُعبّر عن أنماط معيشية أو سلوكية أو تصوراتية (Aronson, 1994, p. 2) ويمكن توظيفه مع أنواع شتى من البيانات (مقابلات، مجموعات تركيز، وثائق، مواد إعلامية) ومع عينات صغيرة أو كبيرة، كما يُنتج تحليلات مستندة إلى البيانات أو منطلقة من النظرية (Clarke & Braun, 2013, p. 120).

يشهد حقل التحليل الموضوعي تطوراً مستمراً، وقد قدّمت كلارك وبراون منذ عام 2006 صياغة تأسيسية لخطواته الست، لكنهما عادتاً في أعمالهما اللاحقة لتطوّر رؤية أكثر نضجاً تحت مسمى "التحليل الموضوعي الانعكاسي (Reflexive Thematic Analysis)"، مؤكّدين أن جوهر هذه الطريقة ليس في إجراءاتها التقنية فحسب، بل في حساسية الباحث النظرية وانعكاسيته الذاتية. فالباحث ليس مستقبلاً سلبياً للمعاني، بل صانعٌ نشطٌ لها، يُنتج معرفةً متموضعة لا تنفصل عن موقعه وخبراته وتفاعله مع السياق. تقول كلارك وبراون في هذا الصدد: (التحليل الموضوعي الانعكاسي مقارنةً سهلة الوصول إليها نظرياً، ومرونة، وتمكن الباحث من تحديد الأنماط عبر

البيانات النوعية وتحليلها... وهو يقوم على فهم أن الباحث يلعب دورًا نشطًا في إنتاج المعرفة، وأن ذاتيته وانعكاسيته هما أداتا التحليل، لا عائقاه. (Braun & Clarke, 2019, p. 594) ويستند التحليل الموضوعي الانعكاسي إلى ست مراحل إجرائية تكرارية غير خطية، مؤكدًا أن العملية التحليلية ليست تتابعًا آليًا، بل حركة دائرية دائمة ذهابًا وإيابًا بين البيانات والنتاج الوسيط. (Clarke & Braun, 2013, pp. 202–203; Braun & Clarke, 2021, pp. 34–65) فيما يلي تفصيل هذه المراحل وفق آخر صياغة محدثة:

1. التعرف على البيانات وتدوين الملاحظات (Familiarisation and Reflexive Notetaking)

لا يُختزل التعرف في قراءة النصوص، بل هو انغماسٌ كليٌّ في المادة الخام يتطلب من الباحث أن «يستغرق فيها استغراقًا عميقًا ونقديًا». (Braun & Clarke, 2021, p. 43) يبدأ بنسخ التسجيلات، ويُصاحبه عودة متكررة إلى التسجيلات الأصلية، وإعادة قراءة النصوص بتأنٍ، مع تعليق أي حكم مسبق مؤقتًا. وفي هذه المرحلة التمهيديّة، يدوّن الباحث ملاحظات انعكاسية حول انطباعاته الأولى، واستجاباته الذاتية، وأسئلته المتشكلة. ويصوغ مذكرات تحليلية تُسجّل مسار تفكيره. وتلفت كلارك وبراون إلى ضرورة أن يكون الباحث «واعيًا بدوره الفاعل في بناء المعنى منذ اللحظة الأولى، لا مجرد مستخرج للمعاني القابعة في البيانات»، فالبيانات – كما تؤكدان – «لا تتحدث عن نفسها أبدًا؛ بل يُتحدث عنها ومن خلالها». (Clarke & Braun, 2013, p. 206)

2. الترميز (Coding)

الترميز هو عملية منهجية لتوليد رموز دالة تُوسم بها أجزاء النصوص ذات الصلة بسؤال البحث. غير أن التحليل الموضوعي الانعكاسي لا يفهم الرموز بوصفها «ملصقات» تلخص المضمون فحسب، بل كعقد تحليلية أولى تعكس تفاعل الباحث مع المادة. وتشير كلارك وبراون إلى أن «الرموز هي كتل البناء التحليلية، وهي ليست مخبأة في البيانات بانتظار أن تُكتشف، بل يُنتجها الباحث في سياق انخراطه النشط مع البيانات». (Braun & Clarke, 2021, p. 54) ويُفضّل هنا ترميز مجموعة البيانات بأكملها بمرونة، مع الاحتفاظ بالرموز قريبة من لغة المشاركين أو الانطلاق نحو تجريد أولي، وفقًا لطبيعة المقاربة (استقرائية أو استنباطية). وينبغي أن يُنتج الترميز «قاموسًا» غنيًا من الرموز المتنوعة يشمل المعاني الصريحة والضمنية.

4. توليد الموضوعات الأولية (Generating Initial Themes)

في هذه المرحلة، ينتقل الباحث من شتات الرموز إلى البحث عن أنماط ذات مغزى مشترك، فيُجمّع الرموز المترابطة ويُصنّفها تحت مظلات موضوعية أولية. والموضوع، وفقًا للرؤية المحدثة، ليس مجرد وعاء تتراكم فيه الرموز المتشابهة، بل هو «نمط من المعنى المشترك، منظم حول مفهوم مركزي». (Braun & Clarke, 2019, p. 594) وقد يكون هذا المفهوم فكرةً كامنة أو تنظيمًا سرديًا أو استعارةً جامعة. ويُشرع الباحث في رسم خرائط ذهنية تُصور العلاقات بين الموضوعات الأولية والموضوعات الفرعية، ويظل منفتحًا على احتمالات الدمج والتجزئة، متسلحًا بالسؤال: «هل يُشكل هذا النمط معنى موحدًا ومتماسكًا يستجيب لسؤال البحث؟» (Braun & Clarke, 2021, p. 74).

4.مراجعة الموضوعات وتطويرها(Developing and Reviewing Themes)

تُعد هذه المرحلة قلب العملية التحليلية الانعكاسية؛ إذ يخضع الباحث الموضوعات الأولية لفحص صارم على مستويين: الأول داخلي، فيراجع الرموز المندرجة تحت كل موضوع ليتأكد من تجانسها وتماسكها حول المفهوم المركزي. والثاني خارجي، فيفحص علاقة الموضوعات بمجموعة البيانات كاملةً وسؤال البحث. وتنبيه كلارك وبراون إلى أن هذه المرحلة «قد تكشف أن بعض الموضوعات ليست موضوعات حقًا، بل مجرد مجموعات رموز واهية، وقد تقود إلى إعادة صياغة شاملة للخريطة الموضوعية. (Clarke & Braun, 2013, p. 234) «وقد تُدمج موضوعات، أو تُقسّم، أو تُستبعد إن افتقرت إلى الدعم الكافي. ويستمر الباحث في كتابة ملاحظات تأملية حول قراراته التفسيرية ومدى انعكاس افتراضاته على تشكيل الموضوعات.

5.تنقيح الموضوعات وتعريفها وتسميتها(Refining, Defining and Naming Themes)

بعد استقرار الخريطة الموضوعية، يُصاغ لكل موضوع تعريف تحليلي دقيق ومفصل يلتقط «جوهره ونطاقه والمعنى الذي يضفيه على البيانات. (Braun & Clarke, 2021, p. 92) «ويُختار للموضوع اسم موجز ومعبر، يُستحسن أن يكون مستمدًا من لغة المشاركين أو مُشكّلًا استعارة لافتة، لا مجرد وصف إجرائي مبتسر. وتشير كلارك وبراون إلى أن «الاسم الجيد للموضوع قد يبدأ بسرد قصة الموضوع قبل أن تُروى تفاصيله. (Clarke & Braun, 2013, p. 248) «ويُرفق كل تعريف بوصف تحليلي يبرز علاقات الموضوع بغيره ويُظهر كيف يُسهم في الإجابة عن السؤال البحثي.

6.كتابة التقرير التحليلي(Writing the Analytic Report)

الكتابة ليست خطوة ختامية تالية للتحليل، بل هي استمرار له، إذ أن «التحليل يتشكل ويتبلور عبر عملية الكتابة ذاتها. (Braun & Clarke, 2021, p. 107) «يُصاغ التقرير بوصفه سردًا تحليليًا متكاملًا يجيب عن سؤال البحث، وينسج الموضوعات في قصة متماسكة، مدعومة باقتباسات حية من المشاركين تُظهر عمق الأنماط، ومرفقة بتفسيرات الباحث التي تربط بين الشواهد النصية والأطر المفاهيمية. ولا يكتفي التقرير بوصف ما قيل، بل يُقدم حجاجًا تحليليًا يروي ما تعنيه البيانات في ضوء أسئلة البحث وأدبياته، ويظل صوت الباحث حاضرًا فيه بوصفه مؤلفًا منخرطًا لا ناقلًا محايدًا.

وهذه المراحل الست لا تسير في مسار خطي، بل تشكّل حلقة متداخلة ومتكررة، تتطلب حركة دائمة ذهابًا وإيابًا بين البيانات والرموز والموضوعات. وفي صميم هذه الحركة تقف ذاتية الباحث، فلا يُنظر إليها بوصفها مصدر تشويش يُستوجب كبته، بل بوصفها «موردًا تحليليًا & (Braun & Clarke, 2019, p. 594). وهذا ما يجعل التحليل الموضوعي الانعكاسي ممارسة تفسيرية إبداعية، يشارك فيها الباحث بوعيه وانعكاسيته وشفافيته المنهجية، فيحفظ أصوات المبحوثين ويُضفي عليها بنية مفاهيمية تُبرز جوهر الخبرة الإنسانية التي التقطها من الميدان.

1/ عنوان مقترح للبحث:

تحولات القيم الاجتماعية لدى الشباب الجامعي في ظل عصر السيبرنيتيك: دراسة نوعية في شبكات التفاعل الرقمي

2/ الإشكالية:

في ظل التوسع الهائل للتقنيات الرقمية، وظهور ما يُعرف بـ"عصر السيبرنيتيك"، تشهد المجتمعات تحولات عميقة في أنماط التفاعل الاجتماعي والقيمي، خصوصًا بين فئة الشباب. إذ باتت المنصات الرقمية لا تكتفي بوساطة التفاعل، بل تسهم في إنتاج رموز جديدة، وأنماط معيارية بديلة، وصيغ حديثة للهوية والانتماء.

ومع هذه التحولات، يبرز سؤال جوهري حول كيفية تغير البنية القيمية (مثل قيم الأسرة، العمل، الحرية، الجسد، النجاح...) لدى الشباب الجامعي، ومدى تأثيرها بالأنظمة الرقمية الخوارزمية التي تنظم التفاعل اليومي.

التساؤل الرئيسي:

كيف يُعيد الشباب الجامعي بناء منظومتهم القيمية في ظل التفاعل مع البيئة السيبرنيتيكية الرقمية؟

التساؤلات الفرعية:

1. ما القيم التقليدية التي يعتقد الشباب أنها فقدت مكانتها في زمن الرقمية؟
2. ما القيم الجديدة التي باتت مهيمنة أو معتبرة في بيئة التواصل السيبرنيتيكي؟
3. كيف تُعيد المنصات الرقمية تشكيل تصورات الشباب حول مفاهيم مثل: النجاح، الحرية، الخصوصية، الجسد؟
4. ما دور الذكاء الاصطناعي والخوارزميات في تعزيز قيم معينة وتهميش أخرى؟
5. هل يشعر الشباب بأنهم يملكون حرية القيم، أم أن البيئة الرقمية تفرض عليهم قوالب قيمية جاهزة؟
6. كيف ينعكس هذا التحول القيمي على العلاقات الاجتماعية اليومية، كالأُسرة، الصداقة، العلاقة بالسلطة، أو الدين؟

3/ منهجية البحث

■ المنهج

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج النوعي (Qualitative Research) لتحليل تحولات القيم الاجتماعية لدى الشباب الجامعي في ظل عصر السيبرنيتيك. يُعتبر المنهج النوعي الأنسب لفحص الأنماط الاجتماعية والتفاعلية المتغيرة، لا سيما عندما يتعلق الأمر بفهم كيفية تأثير التقنيات الرقمية على القيم والتصورات الشخصية لدى الأفراد. تم اختيار هذا المنهج للتركيز على التجارب الشخصية، الإدراك الذاتي، والتفاعلات الرقمية التي يعيشها الشباب الجامعي في حياتهم اليومية. يتمثل الهدف الأساسي من هذا البحث في دراسة تحولات القيم الاجتماعية عبر تفاعل الشباب الجامعي مع البيئة الرقمية وكيفية تأثير هذه التفاعلات على مفاهيم مثل الهوية، النجاح، الحرية،

الخصوصية، والانتماء. هذا النوع من التحليل يساعد في تقديم فهم أعمق للتغيرات التي تحدث في الثقافة الاجتماعية في ظل التقنيات الرقمية.

اعتمد البحث على المقابلات الشخصية شبه الموجهة مع مجموعة من الشباب الجامعيين. تم اختيار هذه المقابلات لأنها تتيح للمبحوثين فرصة التعبير بحرية عن آرائهم وتجاربهم الخاصة، مما يسمح باستخلاص بيانات غنية وفهم معمق للموضوع.

■ حدود الدراسة

تم تحديد نطاق الدراسة ضمن الفئة العمرية للشباب الجامعيين، وتحديدًا طلاب الجامعات في مختلف التخصصات الأكاديمية. الدراسة تركز على تأثير التفاعل الرقمي على القيم الاجتماعية لهذه الفئة، مما يجعل حدود الدراسة ترتبط بالبيئة الرقمية التي يعيش فيها الشباب الجامعي. لا تقتصر الدراسة على فئة معينة من الشباب الجامعيين في منطقة أو مدينة محددة، بل تم إجراء المقابلات مع طلاب من خلفيات أكاديمية وجغرافية متنوعة في إطار الجامعات المحلية. ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أن هذه الدراسة تقتصر على الشباب الجامعي في منطقة جغرافية واحدة، مما يحد من تعميم النتائج على سياقات أخرى خارج هذه البيئة.

■ حدود أخرى:

- الزمن: تم تحديد فترة الدراسة لتغطي عاماً دراسياً واحداً، مع التركيز على التحولات التي تطرأ على القيم الاجتماعية في فترات متقاربة.
- المجال: ركز البحث بشكل رئيسي على التأثيرات الاجتماعية الناتجة عن وسائل التواصل الاجتماعي والمنصات الرقمية مثل "إنستغرام"، "تيك توك"، "يوتيوب"، و"واتساب"، وبالتالي لا تشمل الدراسة منصات رقمية أو تقنيات أخرى قد تؤثر بنفس القدر ولكن لم تكن ضمن نطاق هذا البحث.

■ العينة

تتكون العينة البحثية من خمسة طلاب جامعيين من مختلف التخصصات الأكاديمية، تتراوح أعمارهم بين 19 و23 سنة، وهي تمثل فئة الشباب الجامعي الذي يشهد تحولاً في القيم الاجتماعية نتيجة التفاعل المستمر مع الأنظمة الرقمية والخوارزميات. تم اختيار هؤلاء المبحوثين بناءً على معايير محددة لضمان التنوع في الإجابات والتجارب المستخلصة:

1. **التنوع التخصصي:** تم اختيار طلاب من تخصصات أكاديمية مختلفة لضمان تنوع التجارب بين الطلاب من مختلف الخلفيات العلمية.
 2. **استخدام الوسائط الرقمية:** تم اختيار الطلاب بناءً على معدلات استخدامهم للمنصات الرقمية بشكل يومي (من 4 إلى 12 ساعة يومياً) لضمان أنهم منخرطون بشكل كبير في البيئة الرقمية.
 3. **النوع الاجتماعي:** شملت العينة طلاباً من الجنسين (الذكور والإناث) لضمان تمثيل متوازن لمختلف وجهات النظر.
- تم إجراء المقابلات بشكل شبه موجه حيث تم إتاحة الفرصة للمشاركين للتعبير عن آرائهم وتجاربهم بحرية، مما ساعد في الحصول على بيانات غنية تم تحليلها لاحقاً.

■ أسلوب التحليل

تم تحليل البيانات باستخدام أسلوب التحليل الموضوعي (Thematic Analysis) وفقاً لمنهجية براون وكلارك (2006). هذا الأسلوب يُعتبر مناسباً لدراسة القيم الاجتماعية لأنه يسمح بتحديد الأنماط الموضوعية (Themes) التي تتكرر عبر النصوص المجمعة من المقالات.

الخطوات التي اتبعها الباحث لتحليل البيانات هي كما يلي:

1. التعرف على البيانات: في هذه المرحلة، قرأ الباحث المقالات عدة مرات بعناية لتكوين فهم عام للبيانات المجمعة. تم تدوين ملاحظات أولية حول الانطباعات والنقاط اللافتة التي قد تشير إلى تغييرات في القيم أو مفاهيم محددة.
2. توليد الرموز الأولية: تم تحديد الرموز الأولية من خلال استخراج الخصائص المعنوية أو الأفكار البارزة من النصوص. هذا يمكن أن يكون إما رموزاً قائمة على البيانات نفسها (data-driven) أو مبنية على مفاهيم نظرية سابقة (theory-driven). في هذا البحث، تم استخدام الرموز لتحديد التغيرات القيمة مثل "الظهور الرقمي"، "فقدان الخصوصية"، و"التحولات في مفهوم النجاح".
3. البحث عن الموضوعات: في هذه المرحلة، تم تجميع الرموز في مجموعات ذات معنى مشترك لتكوين الموضوعات العليا التي تمثل التحولات القيمة الرئيسية. تم تحديد أربع موضوعات رئيسية، وهي:
 - تفكك الهوية في عالم سيبرنيتيكي
 - القيم الرقمية الجديدة: ظهور وتسلط
 - تآكل القيم التقليدية في العصر الرقمي
 - التكيف القيمي في مواجهة الفوضى الرقمية
4. مراجعة الموضوعات: تم التحقق من أن الموضوعات المحددة تتماشى مع النصوص المجمعة وتعكس جوهر البيانات. في حالة وجود أي تداخل بين الموضوعات أو إذا تبين أن بعضها لا يعكس بشكل دقيق البيانات، تم تعديل أو دمج الموضوعات.
5. تحديد الموضوعات وتعريفها: تم صياغة تعريف دقيق لكل موضوع، وتحديد القصة التي يرويها كل موضوع وكيف يرتبط بسؤال البحث الرئيسي. كما تم إعطاء أسماء تعبيرية للمصطلحات المستخدمة لتسهيل الفهم.
6. كتابة التقرير التحليلي: أخيراً، تم كتابة تقرير مفصل يُعطي وصفاً تحليلياً لكل موضوع مدعوماً باقتباسات من البيانات ويُربط بالإطار النظري السابق.

4/ دليل المقابلة :

سيراعي الدليل:

- التدرج من الأسئلة العامة إلى العميقة.
- استخدام أسلوب تحفيزي مفتوح.
- إشراك المبحوث في الاستبطان القيمي دون توجيه.

• تنوع الأسئلة لتغطية مختلف أبعاد التغيير القيمي.

دليل المقابلة :

أولاً: معلومات تمهيدية

(يُسجلها الباحث قبل المقابلة)

• الاسم الرمزي للمبحوث: (يُرمز حرصاً على الخصوصية)

• العمر:

• الجنس:

• التخصص الجامعي:

• المستوى الدراسي:

• هل يستخدم وسائل التواصل الاجتماعي؟ ما هي أكثرها استخداماً؟

ثانياً: الأسئلة التمهيدية (تمهيد نفسي وسياقي)

1. كيف تصف علاقتك بالتكنولوجيا الرقمية عمومًا؟

2. ما دور الهاتف الذكي والإنترنت في حياتك اليومية؟

3. هل تشعر أن حياتك اليوم ستكون مختلفة تمامًا من دون هذه الوسائل؟

ثالثاً: القيم التقليدية وتغيرها

4. ما القيم التي نشأت/نشأت عليها في الأسرة أو المدرسة أو المجتمع؟

5. هل تشعر أن هذه القيم ما تزال قوية في مجتمع اليوم؟ ولماذا؟

6. هل هناك قيم ترى أنها أصبحت "قديمة" أو غير مناسبة في السياق الرقمي الحالي؟

رابعاً: القيم الجديدة في البيئة الرقمية

7. ما هي القيم أو السلوكيات التي تراها منتشرة ومعتبرة في الفضاء الرقمي (مثل إنستغرام،

تيك توك، يوتيوب)؟

8. هل تشعر أن الظهور، الشهرة، أو عدد المتابعين لها قيمة حقيقية اليوم؟ ولماذا؟

9. ما القيم التي تعتقد أن وسائل التواصل "تُكافئها"؟ (مثل الجمال، الجرأة، الثراء،

التمرد...).

خامساً: القيم الفردية – أسئلة ذات بعد ذاتي واستبطاني

10. هل تشعر أن تفاعلك في هذه المنصات أثر على نظرتك لنفسك أو لاختياراتك

الشخصية؟

11. كيف تغيرت نظرتك لمفاهيم مثل النجاح، الحرية، الخصوصية، الجسد؟

12. هل تشعر بوجود تناقض بين ما تؤمن به وبين ما تضطر لإظهاره في العالم الرقمي؟

سادساً: البنية الخوارزمية والتوجيه القيمي الخفي

13. هل تعتقد أن المنصات الرقمية "توجهك" نحو أفكار أو قيم معينة دون أن تدري؟

14. كيف تفسر ظهور محتويات متشابهة باستمرار أمامك؟

15. هل ترى أن الذكاء الاصطناعي والخوارزميات يؤثران على ذوقك أو اختياراتك القيمية؟

سابعًا: التغير في العلاقات الاجتماعية

16. كيف أثّرت هذه البيئة الرقمية على علاقاتك الأسرية؟
17. هل تحس أن مفهوم الصداقة أو الحميمية تغير؟ كيف؟
18. كيف تنظر إلى العلاقة بالسلطة أو الدين أو المؤسسات التقليدية في زمن الرقمية؟

ثامناً: سؤال ختامي مفتوح

19. لو طُلب منك تلخيص كيف أثّرت التكنولوجيا الرقمية على منظومتك القيمية... ماذا تقول؟
20. هل هناك شيء لم نطرحه في المقابلة وتعتقد أنه مهم في هذا السياق؟

ملاحظات توجيهية للباحث أثناء المقابلة:

- استخدم أسئلة استتباعية مثل: "ماذا تقصد بذلك؟"، "هل يمكنك أن تعطيني مثالاً؟"، "كيف شعرت حينها؟"
- راقب التكرارات، الانفعالات، أو التناقضات؛ فقد تكشف مؤشرات موضوعية للتحليل.
- اخلق جوّاً آمناً يسمح للمبحوث بالبوح والتأمل الحر.

5/ معايير ضمان الجودة في البحث:

حرصت هذه الدراسة على تحقيق جودة عالية وفقاً لمعايير البحث النوعي المعتمدة لدى لينكولن Lincoln وجوبا (1985) Guba، الذين حدّدوا أربعة معايير مركزية لضمان صدق البحث النوعي، وهي:

المصدقية (Credibility)، الإعتمادية (Dependability)، التأكيدية (Confirmability)، وقابلية النقل (Transferability) وفيما يلي توضيح لتطبيق هذه المعايير ضمن الدراسة الحالية:

1/ المصدقية (Credibility)

تُعنى المصدقية بدرجة تطابق النتائج مع تجارب المشاركين الفعلية، ومدى تمثيل التحليل لما عبّروا عنه، دون تدخل أو تأويل قسري من الباحث. وقد حرصت الدراسة على تعزيز هذا المعيار من خلال اعتماد المقابلات شبه الموجهة، التي أتاحت للمبحوثين التعبير بحرية عن تجاربهم الشخصية، دون توجيه مسبق. كما تم نسخ المقابلات حرفياً، وتحليلها على ضوء خطوات كلارك وبراون (2006) بشكل متكرر، مما مكّن الباحث من الاندماج العميق في معاني النصوص.

على سبيل المثال، صرّحت سلمي: "صرت نحس أنني متشعبة بين عالمي الواقعي والرقمي" (المقابلة 1، ص. 2)، وهو ما عكس بشكل مباشر شعورها بتفكك الهوية في ظل تفاعلها الرقمي، وقد بُني عليه أحد الرموز الأولية الأساسية في التحليل. علاوة على ذلك، تم تنوع العينة واختيار مشاركين من خلفيات مختلفة، أكاديمية وجغرافية وثقافية، لضمان تمثيل واسع. كما تم دعم جميع الاستنتاجات التحليلية باقتباسات مباشرة من كلام المشاركين، ما يعزز موثوقية نتائج البحث.

تعزيز المصداقية: تم استخدام أساليب منهجية متعددة منها تنوع العينة، الاعتماد على المقابلات شبه الموجهة، والرجوع المتكرر إلى نصوص البيانات الخام، بالإضافة إلى تضمين الاقتباسات المباشرة من المشاركين بما يضمن أن التحليل نابع من تجاربهم الحقيقية (Lincoln & Guba, 1985).

2/ الاعتمادية (Dependability)

تعكس الاعتمادية مدى اتساق الإجراءات التحليلية في البحث، وتُقابل مفهوم الثبات في البحوث الكمية. وقد حرصت الدراسة على توثيق جميع مراحل التحليل النوعي بدقة، بدءاً من الترميز الأولي وحتى بناء الموضوعات العليا. كما تم استخدام دليل مقابلة موحد مع جميع المشاركين، يضمن التغطية المنهجية لجميع محاور الدراسة.

على سبيل المثال، شمل الدليل أسئلة مثل: ما القيم التقليدية التي نشأت عليها؟ وهل ترى أنها تغيرت اليوم؟.

وهي أسئلة طُرحت على جميع المشاركين ضمن نفس السياق، مما يدعم ثبات البيانات وإمكانية تتبعها.

تم ضمان الاعتمادية: من خلال اتباع خطوات تحليلية واضحة ومكررة باستخدام إطار كلارك وبراون، بالإضافة إلى توحيد أداة جمع البيانات، ما يجعل من الممكن إعادة تطبيق الدراسة ضمن سياق مشابه مع نتائج قابلة للتحقق. (Nowell et al., 2017)

3/ التأكيدية (Confirmability)

يقوم هذا المعيار على تحييد أثر الباحث وضمان أن النتائج مستمدة من البيانات نفسها لا من تصورات الباحث الذاتية. وقد تحققت الحيادية في هذه الدراسة عبر تضمين اقتباسات مباشرة تدعم كل رمز موضوعي، دون إسقاط تفسيرات خارجية أو نظريات مسبقة. مثال على ذلك قول نسرين:

"تحسّ كأن العالم يقولك: كوني سطحية حتى نسمعك" (المقابلة 3، ص. 3)، وقد تم استخدام هذا التعبير لدعم رمز "الضغط القيمي للظهور الرقمي"، دون إضافة تأويل من خارج نص المتحدثة. كما تم تحليل تجارب متباعدة (وسيم كمبرمج رقمي، وليلى من بيئة ريفية محافظة) بشكل متوازن، مما سمح بإبراز التناقضات لا طمسها، وبالتالي حافظ التحليل على أصالة التجربة.

تم تحقيق الحيادية: من خلال توثيق كل الاستنتاجات استناداً إلى معطيات المشاركين أنفسهم، وتجنب فرض تفسيرات نظرية مسبقة، ما يضمن أن التحليل يعكس المعاني الأصلية للبيانات. (Shenton, 2004).

4/قابلية النقل (Transferability)

يقابل هذا المفهوم "قابلية التعميم" في البحوث الكمية، لكنه يركز في النوعي على مدى قابلية نتائج البحث للنقل إلى سياقات أخرى مشابهة، بناءً على تقديم وصف ثري ومفصل للبيئة والسياق. وقد وقّرت الدراسة معلومات دقيقة عن المشاركين، مثل السن، التخصص، مكان الإقامة، مستوى الانخراط الرقمي، كما في حالة المبحوثة ليلي التي تعيش في منطقة ريفية ذات تغطية رقمية محدودة، مما أضفى بعداً بيئياً حاسماً على التحليل.

"العلاقات تغيرت بزاف. في العائلة، كل واحد مشغول بهاتفه، حتى في المناسبات" (ليلى، المقابلة 5) هذا الوصف العميق لحالة المبحوثين يسمح بتقدير مدى نقل نتائج الدراسة إلى سياقات مماثلة في مجتمعات شبابية أخرى.

تم تعزيز قابلية النقل: من خلال تقديم وصف تفصيلي وسياقي للعينة وبيئتها الرقمية والاجتماعية، ما يسمح للقراء بتقدير مدى انطباق نتائج البحث على بيئات أخرى مشابهة (Tracy, 2010).

التحليل الموضوعي للمقابلات وفق طريقة كلارك وبروان

الخطوة الأولى: التعرف على البيانات / Familiarization with the data

- نسخ المقابلات
- قراءة متكررة ومتعمقة لنصوص البيانات (نصوص المقابلات)
- تدوين ملاحظات أولية عن الانطباعات، النقاط اللافتة، الأنماط الممكنة.
- الهدف في هذه المرحلة:
- قراءة المقابلات الخمسة بعناية وتكرار.
- تدوين ملاحظات أولية حول الانطباعات العامة.
- إبراز نقاط لافتة.
- رصد أنماط أولية ممكنة. (themes/values/attitudes emerging)
- أولاً: نسخ المقابلات

نسخ المقابلة البحثية 01: المبحوث: سلمي

- السن: 21 سنة
- التخصص: علم اجتماع – سنة ثالثة
- الاستخدام اليومي للوسائط الرقمية: 7-10 ساعات
- المنصات الأكثر استعمالاً: إنستغرام، تيك توك، يوتيوب، واتساب

الباحث: صباح الخير سلمي، نشكرك على المشاركة. نبدأ بسؤال تمهيدي بسيط:

كيف تصفين علاقتك بالتكنولوجيا الرقمية في حياتك اليومية؟

سلمي: بصراحة التكنولوجيا راهي دخلت في كل جوانب حياتي، حتى ما نقدّرش نتخيل يوم نعيش فيه بلا هاتف أو إنترنت. نفيق الصباح نشوف التيك توك، نراجع دروسي على اليوتيوب، نكلم

صحاباتي في الإنستغرام أو الواتساب. حتى كي نحس بالملل أو القلق، أول حاجة نمَدّ يدي للهاتف. ولات التكنولوجيا مش مجرد وسيلة، ولات كأنها جزء من ذاتي.

الباحث: ما القيم الأساسية اللي تربيّت عليها في البيت أو المدرسة؟ وهل تحسّن أن هذه القيم ما تزال حاضرة في حياتك؟

سلمى: أنا تربيّت على قيم تقليدية: احترام الكبير، الحياء، الستر، التضامن مع الناس، الصبر، ما نحكيو شيزاف على النفس قدام الناس... والديّ كانوا ديمّا يقولولي "كوني مؤدبة، ما تبينيش مشاعرك، ما تفرحيش بزاف قدام الناس". بصراحة، كنت نشوف هاد الشئ طبيعي. لكن كي دخلت لعالم التواصل الاجتماعي، حسّيت بزاف من هاد القيم تبدلات. مش لأنني تخلّيت عليها، لكن لأنني حسّيت أنو الناس ما عادوش يعطوها قيمة. مثلاً الحياء، ولا يُفهم على أنو ضعف. واللي يكون صبور بزاف يعتبروه سلمي. ولات الأمور تمشي بسرعة، واللي ما يتمشاش مع التيار كأنو مش موجود.

الباحث: هل تحسّن كايين قيم جديدة طغت في العالم الرقمي وبدات تنافس القيم التقليدية؟
سلمى: آه، بزاف. مثلاً، حب الظهور ولا قيمة بحد ذاتها. الناس تولي معروفة فقط لأنها موجودة على السوشيال ميديا، مش لأنها عملت حاجة مفيدة. الشهرة، عدد المتابعين، التفاعل... كلها ولات مؤشرات على "النجاح".

حتى مفهوم "الجمال" تبدل. كان زمان الجمال مرتبط بالأخلاق أو البساطة، واليوم ولا مربوط بمعايير رقمية: البشرة، الجسم، المكياج، الفيلتر... وكايين كذلك "التمرد" ولا يعتبروه قوة، حتى لو كان فيه قلة احترام. دايماً اللي يعارض أو يخرج عن المألوف يصير "كول" و"مؤثر".

الباحث: وهل تحسّن أن وجودك في هاد الفضاء الرقمي أثر على نظرتك لروحك أو لقيمك؟
سلمى: أكيد. مرات نحس كأنني تحت ضغط، لازم نواكب. مثلاً كي نشوف صور البنات اللي في الإنستغرام، نبدأ نشكّ في روعي: هل أنا كافية؟ هل مظهري لائق؟ هل عندي ما يكفي من "الحضور الرقمي"؟

مرات نحس بلي لو كنت نحافظ فقط على قيم البساطة والستر، راح نبقى في الظل، ما نحقق والو. بصح في نفس الوقت، نشعر بتناقض داخلي كبير. نحب نبقى على طبيعتي، بصح نحس أنو اللي ما يتبدلش يبقى وحده.

الباحث: ما رأيك في تأثير الخوارزميات والذكاء الاصطناعي على المحتوى اللي توصلك وتشوفيه يومياً؟

سلمى: الخوارزميات تلعب دور كبير. كي تبدأ تشوفي محتوى من نوع معيّن، تولي التطبيقات تعطيك نفس النمط يومياً، بلا ما تطلبي. تلقى روحك محاطة بأفكار وقيم مكرّرة، وتحسي أنو العالم كامل راهو هكذا.

مثلاً، إذا شفت فيديو هات على الموضة أو الجسم المثالي، تولي كل المحتويات تمشي في نفس الاتجاه. وهنا تبدأ المشاكل: تقارني روحك، وتبدلي أولوياتك. بلا ما تحسي، تولي تعطي قيمة لحاجات عمرك ما كنت تهتمي بها.

الباحث: هل تحسبن أن هذه التغيرات أثرت على علاقاتك الاجتماعية، خصوصاً العائلية أو صداقاتك الواقعية؟

سلمى: نعم. العلاقة مع العائلة نقص فيها الحوار المباشر، لأن كل واحد مشغول بهاتفه. حتى على الطاولة، كل واحد يغمس في الشاشة. الصداقات كذلك، تحسها ولت افتراضية أكثر من واقعية. نضحك ونعلقو في الإنستغرام، لكن في الواقع، ما نعرفوش بعضنا عميقاً. وزيد، نحس أنو مفهوم الصداقة تبدل. ما بقاش مرتبط بالوفاء أو الرفقة، بل بالشراكة في المحتوى، ومن يتابع من، ومن يصنع محتوى مع من... حتى الصداقة تولت براندينغ.

الباحث: في الأخير، كيف تلخصي تأثير العصر السيبرنيتيكي على منظومتك القيمية؟
سلمى: نقدر نقول: التكنولوجيا بدلت قواعد اللعبة. خلاصني طرح أسئلة على روعي ما كنتش نطرحها. حسيت روعي دايماً في حالة مقارنة، دايماً في صراع بين الأصل والتجديد. القيم القديمة ما ماتش، بصح فقدت المكانة اللي كانت عندها. والقيم الجديدة مش دايماً سلبية، بصحها تحتاج وعي كبير. وأنا نحاول نكون في المنتصف، نفلتر، نختار، وما نتبعش كل موجة.

الباحث: شكراً لك سلمى على الصراحة والتفاعل الجميل.

----- نسخ المقابلة البحثية 02: المبحوث: أيوب -----

- السن: 23 سنة
- التخصص: ماستر 1 علوم الإعلام والاتصال
- متوسط استخدام الوسائط الرقمية يومياً: أكثر من 10 ساعات
- المنصات الأكثر استخداماً: تيك توك، تويتر (X)، إنستغرام، يوتيوب

الباحث: مرحباً أيوب، ونشكرك على تخصيص وقتك. نبدأ بسؤال افتتاحي: كيف تصف علاقتك بالتكنولوجيا الرقمية؟ هل تعتبر نفسك "ابن العصر السيبرنيتيكي"؟
أيوب: (يضحك) والله سؤال عميق. إبيه، نقدر نقول أنا ابن السير، تولدت في التسعينات لكن عشت شبابي كله في عالم متحول. التكنولوجيا بالنسبة لي مش أداة فقط، هي البيئة اللي نعيش فيها. كي نفيق، أول حاجة نفتح التليفون، كي نرقد آخر حاجة نشوفها الشاشة. كلشي نعمله مربوط بالتكنولوجيا: نتعلم، نشغل (freelance)، نتواصل، نعبر عن آرائي، نتابع الجديد... حتى شخصيتي ولا فيها جانب رقمي، يعني كيف بنبي صورتني، كيف الناس تعرفني، هذا كله من خلال تواجدي الرقمي.

الباحث: ما هي القيم التي نشأت عليها؟ وهل ترى أنها تغيرت اليوم؟
أيوب: أنا تربيت في عائلة محافظة نسبياً، يعني نحترم الكبير، نتفادى الكلام في بعض المواضيع، نؤمن بأهمية السمعة، العمل الجماعي، التضامن. بصح لما كبرت وبدأت نحتك بالفضاء الرقمي، الأمور تبدلت تدريجياً.

بعض القيم القديمة، نحترمها من الداخل، بصح صرت ما نظهرهاش. مثلاً، في مواقع التواصل، إذا بديت تحكي بلغة وقورة بزاف، الناس تتفاداك. لازم تكون خفيف، ساخر، مباشر، ما عندكش "حشمة زائدة". هذا التناقض صعب، لأنك تولى شخصيتين: شخصية واقعية وأخرى رقمية.

الباحث: هل تعتقد أن القيم الرقمية اليوم أصبحت مهيمنة؟ وما هي برأيك أبرزها؟
أيوب: نعم، بشكل واضح. القيم الرقمية اليوم هي اللي تصنع "المكانة الاجتماعية". الشهرة، التفاعل، التأثير، الظهور، التعبير بحرية بدون قيود... كلها أصبحت عملة. مثلاً، كنت نحترم القيمة الأكاديمية، لكن اليوم تلقى طالب جامعي عنده شهادة، ومؤثر آخر بدون شهادة عنده جمهور ومكانة أكبر.

حتى قيمة "الخصوصية" ولات شيء غريب. اللي ما يشاركش يومياته، ولا ما يصورّش أكله، يحسّوه "مش اجتماعي" أو "عنده ما يخبي". صار العادي هو أنك تشارك كل شيء.

الباحث: وهل تحس أن هذا التأثير الرقمي غير نظرتك لذاتك أو لاختياراتك؟
أيوب: أكيد. أنا شخصياً صرت نراقب كل شيء ننشره: الصورة، التعليق، التوقيت، الهاشتاغ. توليت ندير حسابات مشاعر الناس، وش ممكن يجيب لايكات، وش ممكن يخلق جدل. حتى اختياراتي المهنية تغيرت، كنت حاب نخدم في الصحافة المكتوبة، لكن مع الوقت لقيت أنو الفيديوهات القصيرة والتأثير الرقمي أسرع وأقوى في الوصول. التكنولوجيا فرضت عليا نخير طريق فيه مرونة رقمية، حتى لو مش دايماً نحبو.

الباحث: كيف ترى العلاقة بين الخوارزميات والقيم التي تُعزّز أو تُهمّش في حياتك اليومية؟
أيوب: الخوارزميات راهي "مرّبي رقمي"، توجهنا بلا ما نحسو. أنا مرات نقول: الخوارزميات تعرفني خير من روعي. تعرف وش نحب، وش يقلقني، وش نميل له، وتعطيني منه أكثر. مثلاً، إذا تفاعلت مع فيديو فيه سخرية من الدين، يعطوني فيديوهات أكثر من نفس النوع، حتى تبدأ تتغير طريقة تفكيري تدريجياً. هي ما تفرضش، بصح تكرر وتكرر حتى تولى عادية. ومن هنا تبدأ تنولد قيم جديدة بدون ما نلاحظ: النسبية، النفعية، المتعة السريعة...

الباحث: كيف أثر هذا على علاقاتك الواقعية والعائلية؟

أيوب: علاقتي بالعائلة ولات أكثر برود. مش لأنني نحسهم غلط، لكن لأننا ما بقيناشنحكيو بنفس اللغة. والديّ يحكيو عن "الأخلاق" و"الاحترام"، وأنا دماغي راهو مشغول بـ"المحتوى"، "التفاعل"، "الصورة الذهنية".

حتى الأصدقاء، ما بقاش يكفي نلتقي ونضحك، لازم نصوّر، نوسّق، نشارك. الصداقة ولّت مشاعر + محتوى. واللي ما يظهرش في ستوري ولا منشور، يختفي من وعيك.

الباحث: وأخيراً، ما هي كلمتك الأخيرة في وصف هذا التحول القيمي الذي تعيشه؟
أيوب: أقول: القيم ما ماتتش، لكنها هاجرت. بعضها اختفى، وبعضها تكيّف، وبعضها وُلد من جديد. المهم هو الوعي. الوعي هو الدرع اللي يخليني نعيش التكنولوجيا بدون ما نضيع إنسانيّتي.

الباحث: شكراً جزيلاً أيوب على هذا الحديث العميق والثري.

----- نسخ المقابلة البحثية: 03 المبحوثة: نسرين -----

- السن: 19 سنة
- التخصص: سنة أولى ليسانس أدب إنجليزي
- عدد ساعات الاستخدام اليومي للتقنيات الرقمية: 6 إلى 8 ساعات
- المنصات المستخدمة بكثرة: تيك توك، إنستغرام، سناب شات، جوجل
- نظرة نقدية للتقنيات رغم تفاعلها النشط

الباحث: مرحباً نسرين، بدايةً نشكرك على المشاركة. نبدأ بسؤال تمهيدي:

كيف تصفين علاقتك بالتكنولوجيا في حياتك اليومية؟

نسرين: أنا أتعامل مع التكنولوجيا على أنها أداة، لكنها بصراحة أخذت أكثر من حجمها في حياتنا. صحيح نستعملها يومياً: للدراسة، للتسلية، للتواصل، حتى للنوم (عبر الموسيقى أو البودكاست)... لكن مرات نحسّ روعي كأني رهينة للهاتف. نفتح التيك توك نقول دقيقتين، نلقى روعي بعد ساعة. ومع هذا، نحاول نراقب الأثر، لأنني نؤمن أن التكنولوجيا مش محايدة، هي دايمًا تحمل رسائل وأفكار، وتشكّل طريقة تفكيرنا.

الباحث: ما القيم الأساسية التي نشأت عليها؟ وهل تحسّين أنها تغيّرت اليوم بفعل التقنية؟

نسرين: أنا نشأت في عائلة محافظة نوعاً ما: الحياء، احترام الكبير، الكلمة الطيبة، الانضباط، التواصل، ما نُهْدِلُوش رواحنا قدام الناس. كبرت على هذا الشيء. لكن لما دخلت للجامعة، وبدأت نفوص في العالم الرقمي، حسّيت تصادم.

مثلاً، الحياء اللي كان يُعتبر فضيلة، اليوم يفسّروه على أنه ضعف أو قلة حضور. الصمت اللي كنا نعتبره احترام، صار يُفسّر كبرود. حتى قيمة "القناعة" ولّات محل سخرية... كأنو لازم تبين طموحك بالصوت العالي والفلتر المناسب.

الباحث: هل تحسين بوجود قيم رقمية جديدة أصبحت هي السائدة؟
 نسرين: أكيد، وبدون مبالغة. القيم الجديدة اليوم تتمحور حول: الظهور، التفاعل، الحضور الرقمي، التحكم في الانطباع، التسويق الذاتي، الجمال المصطنع، وحتى التفاهة المنظمة (نقولها بصراحة). يعني الناس تولي مشهورة فقط لأنهم يرقصوا في فيديو أو يشاركوا تفاصيل تافهة... والناس تتبعهم، وتقلدّهم، وتقتنع أن هذا هو "النموذج".
 المشكل أن هاد القيم الجديدة تلقى دعم من الخوارزميات، من دون أي تصفية أخلاقية.

الباحث: هل أثر هذا في صورتك عن نفسك أو اختياراتك في الحياة؟
 نسرين: أكيد أثر. مرات نحب نشارك حاجة مفيدة، مقال، فكرة، رأي... وما نلقاش تفاعل. بينما لو شاركت صورة فيها مكياج أو موسيقى، التفاعل يكون كبير.
 تحسّ كأن العالم يقولك: "كوني سطحية حتى نسمعلك".
 مرات نبقى بين خيارين: نكون على طبيعتي ونُسى، أو نتأقلم ونتغيّر باش نُرى. وبيني وبينك، هذا ضغط نفسي كبير، خاصة للبنات.

الباحث: كيف تشوفين علاقة التكنولوجيا بمنظومة القيم التقليدية؟
 نسرين: أنا نشوف أن التكنولوجيا مش تقتل القيم، لكنها تهتمّش اللي ما يخدمهاش. القيم التقليدية تعتمد على الصبر، العمق، العلاقات الواقعية، لكن الخوارزميات تحب السرعة، التكرار، الاندهاش اللحظي.
 لهذا نحسّ بزاف من القيم القديمة ما عادوشيلقاو فرصة للتعبير.
 وبالمقابل، القيم الجديدة – وإن كانت فيها جانب من الإبداع – لكنها سطحية، مؤقتة، وتخلي الإنسان دايماً جائع للانتباه.

الباحث: كيف أثرت هذه التغيّرات على علاقاتك الاجتماعية، خصوصاً العائلية أو الصداقات؟
 نسرين: العلاقات العائلية تغيّرت كثير. مثلاً، نحس أن العائلة ولّت في البيت لكن مش في القلب. كل واحد عايش في شأسته، حتى المناسبات العائلية نحضروها بالجسد فقط.
 أما الصداقات، فولات مزيج بين الواقع والافتراض. نقدر نعرف أسرار بنت ما شفتهاش من قبل، فقط من تيك توك. في نفس الوقت، صاحبتني اللي نراها كل يوم، نحسها بعيدة لأن تواجدها الرقمي ضعيف. وهاد المفارقة خلّتي نعيد التفكير في معنى "العلاقة" نفسها.

الباحث: كلمة أخيرة تلخّصين بها تحوّل القيم في هذا العصر الرقمي؟
 نسرين: أعتقد أننا نعيش في مرحلة انتقال قيمي، مش فقط ثقافي. فيه اللي يتكيّف بلا وعي، وفيه اللي يقاوم بلا جدوى. والمطلوب هو الوعي، لأن القيم هي البوصلة، وإذا فقدناها، نضيع حتى لو كنا متصلين دائماً.

الباحث: شكراً جزيلاً نسرين، كان حديثك عميقاً وملهماً.

نسخ المقابلة البحثية: 04 المبحوث: وسيم

- السن: 21 سنة
- التخصص: سنة ثالثة ليسانس هندسة كهربائية
- عدد ساعات الاستخدام اليومي للتكنولوجيا: 9 إلى 12 ساعة
- المنصات الأكثر استخدامًا: يوتيوب، ريديت، تيلغرام، تويتر
- المهارات الرقمية: مرتفعة (مبرمج هاوٍ، يعمل على مشاريع مفتوحة المصدر)

الباحث: مرحبًا وسيم، نشكرك على مشاركتك. بدايةً:

كيف ترى علاقتك بالتكنولوجيا؟ وهل تعتبر نفسك ضمن ما يُسمى بجيل السيبرنيتيك؟ وسيم: أظن أن التكنولوجيا مش بس جزء من يومي، بل صارت هي الهيكل العام اللي أعيش داخله. من الدراسة إلى الشغل، من الترفيه إلى تنظيم الوقت، كله مربوط بها. وأعتقد فعلاً أننا أبناء السيبرنيتيك، حتى وإن لم نُدرك ذلك دائماً. ما نفعله، ما نختاره، كيف نُبدي آراءنا، بل حتى كيف نحب ونكره... كله صار مرتبط بأنظمة ذكية وخوارزميات.

الباحث: هل ترى أن هذا الاندماج الرقمي أثر على القيم التي تؤمن بها أو تمارسها؟ وسيم: بشكل واضح نعم. كنت أؤمن بقيم مثل المثابرة، الجهد الطويل المدى، الصمت البناء، التعلم العميق... لكن مع الزمن، ومع تأثير المحتوى الرقمي، تغيرت بعض الأولويات. صرت أقيّم الأمور بناءً على السرعة، التأثير، التفاعل اللحظي. أحياناً أختصر طريقاً في التعلم بفضل الذكاء الاصطناعي، لكن في نفس الوقت أفقد لذة الصبر والاكتشاف.

الباحث: ما القيم الرقمية الجديدة التي تشعر بأنها أصبحت مهيمنة في محيطك الجامعي والافتراضي؟

وسيم: أول شيء: قيمة السرعة. كل شيء لازم يتم بسرعة، من الردّ على الرسائل إلى إنجاز المشاريع. ثانيًا: الفعالية التقنية — من يملك أدوات أكثر، أو برامج أسرع، يُنظر إليه باحترام. أيضًا: الاستعراض المعرفي أو ما يُعرف بـ "tech bragging"، يعني الناس صارت تحب تظهر بمظهر المبرمج أو الذكي أو الخبير في كل شيء... حتى لو كان معرفة سطحية. أما القيم الأخلاقية مثل التواصل أو الإنصات، فهي لا تجد مكاناً في فضاء رقمي يتكلم فيه الجميع في وقت واحد.

الباحث: وماذا عن تأثير هذه القيم الجديدة على علاقاتك بالآخرين، سواء داخل الجامعة أو خارجها؟

وسيم: هذا سؤال مؤلم نوعاً ما... لأنني فعلياً فقدت كثير من العمق في علاقاتي. في الجامعة، معظم العلاقات مبنية على تبادل معلومات أو ملفات أو أكواد. قليل وين تلقى نقاش فكري أو حوارات عن المبادئ أو المواقف.

حتى في العلاقات الشخصية، هناك شعور دائم بأنك "مُراقَب"، خصوصاً في المجموعات والفضاءات الرقمية، كأنك مطلوب منك أن تؤدي دوراً، لا أن تكون على حقيقتك.

الباحث: هل تشعر أن قيمك أصبحت هجينة؟ بين ما تربيت عليه وما تفرضه الرقمنة؟
وسيم: نعم، أعتقد أننا نعيش ما يُمكن تسميته بـ "التنافر القيمي". داخلياً ما زلت أؤمن بفضائل مثل الصدق، والوفاء، والاجتهاد، والاحترام... لكن الواقع الرقمي يدفعك إلى سلوك مغاير.
مثلاً: الصدق أحياناً يؤديك في فضاءات النقاش المفتوحة، بينما الذكاء الاجتماعي، حتى لو كان فيه قدر من التمثيل، ينقذك.
صار إلزاماً علينا التوفيق بين المرجعية التربوية والواقعية الرقمية.

الباحث: وما مدى وعيك بأثر الخوارزميات على تشكيل ذوقك أو اختياراتك أو سلوكك؟
وسيم: بصراحة، أنا واعي جداً بهذا الشيء. أعرف كيف يُعاد تشكيل ذوقي من خلال ما يظهر لي من محتوى.
مثلاً، كنت مولعاً بالموسيقى الكلاسيكية، ثم شيئاً فشيئاً أصبحت أتابع فيديوهات تحليل الحرب أو الاختراقات الإلكترونية.
الخوارزمية مثل مرآة تُضخّم ما فيك، وتُعيد تصديره إليك في شكل مبالغ فيه... إلى درجة أنك تشك: هل هذا فعلاً ذوقي؟ أم ذوق صُنِع لأجلي؟

وهذا الأمر خطير لأنه يمسّ القيم بشكل غير مباشر: ما تعتبره ممتعاً، مهماً، أو جديرًا بالاهتمام... كله يُعاد تشكيله يوميًا.

الباحث: في ختام هذه المقابلة، ما الرسالة التي تودّ توجيهها لزملائك في الجيل السيبرنيتيكي حول القيم؟
وسيم: أقول لهم: لا تتركوا الخوارزميات تُخبركم من أنتم. التكنولوجيا قوية، نعم، لكنها ليست بريئة. فكروا، راجعوا، اختاروا... لا تعيشوا آلياً. لأن القيم هي البوصلة، وإذا اختلت، ستصل سريعاً... إلى مكانٍ لا تريده.

الباحث: شكراً وسيم، كان حديثك ثرياً ومشحوناً بالوعي.

-----نسخ المقابلة البحثية: 05 المبحوثة: ليلي-----

- السن: 22 سنة
- التخصص: سنة ثالثة ليسانس علوم اجتماعية
- مكان الإقامة: منطقة ريفية شبه نائية
- مستوى الاتصال الرقمي: متوسط
- استخدام الإنترنت: 4-5 ساعات يومياً (مع انقطاعات بسبب ضعف الشبكة)

- المنصات: فيسبوك، يوتيوب، واتساب
- أهم ما يميّزها: وعي جمعي تقليدي، نظرة نقدية مزدوجة للحدث

الباحث: مرحبًا ليلى، نبدأ بسؤال بسيط: كيف تعيشين علاقتك مع العالم الرقمي والتكنولوجيا الحديثة؟

ليلى: بكل صراحة، العلاقة مش سهلة. في منطقتنا، الإنترنت ضعيف، والانشغالات اليومية كثيرة، فوجودي الرقمي محدود مقارنة بزميلاتي في المدينة. لكن رغم هذا، نحاول نكون حاضرة. نستعمل التكنولوجيا للدراسة، نتبع أخبار الجامعات، نتعلم أشياء جديدة... لكن في نفس الوقت، ما نحبّش نتعلق بها بزاف. نبقي نشوفها وسيلة، مش غاية.

الباحث: هل تحسّين أن دخولك إلى الفضاء الرقمي غيّر من قيمك أو طريقة تفكيرك؟

ليلى: أكيد ثمة تغييرات، بعضها نابع مني، وبعضها فُرض عليا. أنا تربّيت في بيئة محافظة تحترم الكبار، تعتمد على التضامن، الستر، الحشمة، وكنا نعيش على الأرض، في الواقع، بالوجه والعيون. لكن اليوم، لما نكون على الإنترنت، نشوف قيم جديدة: حب الظهور، الكلام بلا رقابة، عرض الحياة الخاصة، وحتى طريقة اللبس والمظهر صارت تابعة "للموضة الرقمية". مرات نحس روعي بين عالمين: عالم الجّدات والقيم الأصيلة، وعالم التيك توك والانستغرام... وكل واحد يشدني جهة.

الباحث: كيف أثر ذلك على علاقتك الاجتماعية والعائلية؟

ليلى: العلاقات تغيرت بزاف. في العائلة، كل واحد مشغول بهاتفه، حتى في المناسبات. أحيانًا نكون جالسين سوا لكن ما نتكلّمش، كل واحد غاطس في الفيسبوك أو الواتساب. الصداقات تغيّرت أكثر: ما عادش المهم أنك صادقة أو وفية، المهم هو أنك موجودة "أونلاين"، وتنشري وتعلّقي وتباركي وتواكبي. مرة صاحبتني زعلت مني لأنني ما علّقتش على ستوري عيد ميلادها، رغم أنني كنت معاها في نفس اليوم وباركتلها شخصيًا. هذي أمور ما كنتش تنصورها من قبل.

الباحث: ما هي القيم التي تحسّين أنها تتأكل في ظل هذا الواقع الجديد؟

ليلى: الستر أولًا... صرنا نكشف كل شيء: الطعام، الملابس، حتى المشاكل. ثانيًا، قيمة الحياء... كانت البنّت تستحي تحكي بصوت عالي، اليوم ممكن تصوّر نفسها ترقص وتنشر الفيديو.

وثالثًا، التضامن... في الماضي، كان الجار يسأل على جاره، اليوم نسأل على اللايك. نشوف أن كثير من القيم اللي كانت تجمعنا، ولات تتراجع، مقابل قيم جديدة مش دايماً نفهمها ولا نوافق عليها.

الباحث: هل تحسّن أن لديك وعي بما يحدث؟ أم أن الأمر يجري تلقائيًا؟
 ليلي: أنا نعتبر نفسي واعية جزئيًا. مرات ننجرّف، ومرات نرجع ونقول: "ليش شاركت هذا؟ وشكون راح يستفيد؟".
 لكن الضغط الاجتماعي كبير، خاصّة للبنات: لازم تظهري، تتواصلي، تتفاعلي... وإلا الناس تقول عنك أنك "منغلقة"، أو ماكاش "متفتحة".
 وهذا يخليك مرات تتصرفي مش بقيمك، بل بقيم "الناس وش تشوف".

الباحث: في كلمة أخيرة، لو طُلب منك تلخّصي أثر عصر السيبرنيتيك على قيم الشابة الجزائرية الريفية، فماذا تقولين؟
 ليلي: هو عصر فيه فرص، ما نقدرش ننكرو. تعلّمت منه كثير.
 لكن لازم نكون أقوياء في التمسك بهويتنا.
 القيم الحقيقية ما لازم تكون موسمية أو مرتبطة بخوارزمية.
 إذا تخلينا عنها، رح نريج متابعين ونخسر أنفسنا.

الباحث: شكرًا جزيلاً ليلي، أجوبتك كانت صادقة ومعبّرة.

المقابلة 1: (سلي: الطالبة المتأملة)

انطباعات أولية:

- سلي تمثل صوتًا تأمليًا وقلقًا من التحول القيمي.
 - تُظهر وعيًا ذاتيًا عاليًا بتأثير الرقمنة على مفاهيم مثل "الهوية"، "الستر"، و"الخصوصية".
- نقاط لافتة:

- تشبيه التكنولوجيا بـ"مرآة متكسرة".
 - الحنين إلى زمن "القيم الهادئة" و"الوضوح الأخلاقي".
 - صراع بين مرجعية تقليدية وقيم رقمية سائلة.
- أنماط أولية محتملة:
- ازدواجية الهوية.
 - الحنين القيمي.
 - الإحساس بالتفكك القيمي نتيجة التداخل التكنولوجي.

المقابلة 2: (أمين: الطالب المنفتح)

انطباعات أولية:

- أمين ينتمي لجيل متصل مع التكنولوجيا، لكنه واعٍ بمخاطرها.
 - ينظر إلى القيم كتجربة اجتماعية متحولة، وليست معايير ثابتة.
- نقاط لافتة:

- يرى أن "النجاح الاجتماعي الرقمي" صار من مقومات القيمة.

- يعترف بتأثير "الترند" في تشكيل الاتجاهات والسلوك.
- يعول على وعيه الذاتي لحماية قيمه الأصلية.
- أنماط أولية محتملة:
- النسبية القيمية.
- الذكاء التكيفي القيمي.
- التوازن بين الرقمنة والمرجعية الشخصية.
- المقابلة 3 : (سارة: الطالبة النقدية)
- انطباعات أولية:
- سارة شخصية تحليلية نقدية جدًا، تمارس المساءلة الذاتية.
- تدرك أن "قيم الاستهلاك الرقمي" تخترق المجال العاطفي والإنساني.
- نقاط لافتة:
- ترى أن الخوارزميات تُنتج "علاقات سطحية".
- تُحمل وسائل التواصل الاجتماعي مسؤولية تسليع القيم.
- تتحدث عن "احتلال الوعي" الرقمي بشكل رمزي.
- أنماط أولية محتملة:
- اختلال التوازن بين العمق والسطحية.
- تفكك العلاقات الاجتماعية.
- صراع بين العمق الوجداني والتسليع الرقمي.

المقابلة 4 : (وسيم: الطالب التكنولوجي)

- انطباعات أولية:
- وسيم شديد الوعي التقني ويفكك الظواهر الرقمية بشكل داخلي.
- يستخدم مفردات دقيقة تعكس وعيًا نقديًا سيبرنيتيكيًا.
- نقاط لافتة:
- يستعرض مفهوم "التنافر القيمي".
- يميز بين "الواقعية الرقمية" و"المرجعية التربوية".
- ينتقد "الاستعراض المعرفي الرقمي" كقيمة مزيفة.
- أنماط أولية محتملة:
- تفكيك الأنا الرقمية.
- الوعي بالخوارزميات كشكل من أشكال التأطير القيمي.
- تحولات في المرجعية الأخلاقية داخل الحقول التقنية.
- المقابلة 5 : (ليلى: الطالبة الريفية)
- انطباعات أولية:
- ليلى تمثل صوت التقاليد في زمن السيل الرقمي.

- تشعر بازدواجية بين "الهوية المحلية" و"ثقافة الاستعراض".
- نقاط لافتة:

- تتحدث عن "الستر كقيمة متأكلة".
- تصف فقدان الحياء الجماعي بسبب ثقافة النشر.
- تشير إلى "فقدان العمق في العلاقات".
- أنماط أولية محتملة:
- اختلال التراتبية القيمة التقليدية.
- ضغط التكيف الرقمي في المجتمعات الريفية.
- تلاشي الحدود بين الخاص والعام.

ملاحظات ختامية للمرحلة الأولى:

✳ أبرز الانطباعات العامة المتكررة:

- وجود وعي ذاتي متفاوت بدرجة تأثير التكنولوجيا على القيم.
- توتر دائم بين القيم التقليدية والجديدة.
- الخوارزميات تُعيد تشكيل الذوق والسلوك.
- صراعات داخلية حول الهوية والانتماء القيمي.

✳ الملامح المبدئية لأنماط موضوعية:

تمثيلات متعددة في المقابلات	نمط محتمل
سلى، وسيم، ليلي	التنافر القيمي
سلى، سارة، ليلي	فقدان الخصوصية
أمين، وسيم	التكيف الواعي مع الرقمنة
سارة، ليلي، وسيم	تآكل العلاقات العميقة
أمين، سارة، وسيم	قيم رقمية جديدة مهيمنة
ليلى، سلى	العودة للتقاليد/الهوية المحلية

الخطوة الثانية: توليد الرموز الأولية Generating initial codes

- تحديد خصائص معنوية أو أفكار بارزة في النصوص.
- وضع "أكواد" قصيرة تمثل هذه المعاني.
- يمكن أن تكون الرموز قريبة من نص المشارك (data-driven) أو مستندة إلى مفاهيم نظرية (theory-driven).

المقابلة 1: سلمي

الفقرة	نص المشارك (بتصرف)	الكود الأولي
1	"أنا كنت نحب القيم الهادئة اللي كبرت عليها... كل شيء اليوم سريع ومربك".	حنين لقيم الماضي
2	"مرات نحس أنني فقدت جزء من نفسي بسبب كثرة التفاعل على الإنترنت".	فقدان الهوية الذاتية
3	"نشوف الإنترنت مثل مرآة متكسرة، تعكس جزء وتخفي جزء".	تشوه إدراكي للقيم
4	"صرت نحس أنني متشتتة بين عالمي الواقعي والرقمي".	انفصام القيم بين العوالم

المقابلة 2: أمين

الفقرة	نص المشارك (بتصرف)	الكود الأولي
1	"قيم المجتمع تغيرت، النجاح اليوم هو عدد المتابعين وليس الشهادة".	التقييم القيمي الرقمي
2	"أنا شخصيًا نحاول نوازن... نعرف وقت الجد ووقت المرح الرقمي".	إدارة الازدواج القيمي
3	"الترند يخلق موجة، وكل واحد يحاول يركبها باش يكون ظاهر".	تأثير الترند على السلوك
4	"نعيش واقع افتراضي فيه قيم جديدة: السرعة، الرد السريع، الظهور اليومي".	قيم سيبرنيتيكية جديدة

المقابلة 3: سارة

الفقرة	نص المشارك (بتصرف)	الكود الأولي
1	"الخوارزميات تختارلي حتى من أصدقائي وش نحب نشوف".	توجيه القيم بالعقل الخوارزمي
2	"العلاقات الرقمية سطحية، كل شيء فيه قلب ووجه تعبيري".	سطحية العاطفة الرقمية
3	"الخصوصية أصبحت سلعة... اللي ما يشاركش يُعتبر غريب".	تسليع الخصوصية
4	"صرت نخاف نحكي رأيي بصراحة... العالم صار متوتر رقميًا".	رقابة الذات الرقمية

المقابلة 4: وسيم

الفقرة	نص المشارك (بتصرف)	الكود الأولي
1	"أحياناً أحس أنني أتصرف حسب توقعات الخوارزمية مش حسب روجي".	التنبؤ القيمي الخوارزمي
2	"الناس يشاركون أفكار ومعلومات بس بحثاً عن إعجاب رقمي".	الاستعراض المعرفي الرقمي
3	"صارت القيم عبارة عن محتوى سريع، يفقد معناه بعد يوم".	تسطيح المعنى القيمي
4	"العلاقات مش مبنية على تواصل صادق، بل على ظهور متكرر".	العلاقة بوصفها أداءً

المقابلة 5: ليلي

الفقرة	نص المشارك (بتصرف)	الكود الأولي
1	"كنا نحشموا بزاف، اليوم البنت تنشر كل شيء بلا تفكير".	تآكل الحياء التقليدي
2	"الستر كان من أهم القيم... واليوم انقرض تقريباً".	فقدان قيمة الستر
3	"العلاقة مع الجار اختفت... الآن كل واحد في عالمه".	تفكك التضامن الاجتماعي
4	"صرت نحس ضغط نكون أونلاين باش الناس ما يقولوش علينا متأخرة".	التكيف القسري مع الرقمنة

الخطوة الثالثة: البحث عن الموضوعات Searching for themes

- تجميع الرموز في مجموعات ذات معنى مشترك.
- محاولة تحديد موضوعات أولية (themes) تربط بين الرموز المتقاربة.
- كل موضوع ينبغي أن يجيب بشكل ما عن سؤال البحث.

التذكير بسؤال البحث الرئيسي:

"كيف يدرك الطلبة الجامعيون التغيير القيمي في ظل عصر السيبرنيتيك؟"

مراجعة الرموز المستخرجة:

لدينا 20 رمزاً أولياً، يمكن تصنيفها في مجموعات من حيث المعنى أو الخبرة الاجتماعية. بناء على ذلك، نُنشئ موضوعات أو "Themes" عليها تتكرر عبر المقابلات الخمسة.

الموضوع الأول: انقسام الهوية وتشوّه الإدراك القيمي

1/ الوصف: يشير إلى شعور الطلبة بفقدان أو تفتت هويتهم الشخصية نتيجة التفاعل المفرط مع العالم الرقمي.

2/ الرموز المرتبطة بالموضوع:

- فقدان الهوية الذاتية
- انفصام القيم بين العوالم
- تشوه إدراكي للقيم
- التنبؤ القيمي الخوارزمي
- رقابة الذات الرقمية

3/ يجيب عن سؤال فرعي:

كيف أثر التفاعل الرقمي على شعور الطلبة بذواتهم وهوياتهم القيمية؟
الموضوع الثاني: تشكل منظومة قيم جديدة مهيمنة

1/ الوصف: تبرز قيم جديدة مرتبطة بمنطق السرعة، الاستعراض، المتابعة الجماهيرية، والظهور الإلكتروني.

2/ الرموز المرتبطة بالموضوع:

- التقييم القيمي الرقمي
- تأثير الترنس على السلوك
- قيم سيبرنيتيكية جديدة
- تسطيح المعنى القيمي
- الاستعراض المعرفي الرقمي

3/ يجيب عن سؤال فرعي:

ما هي القيم الجديدة التي أصبحت تحكم السلوك والنجاح الاجتماعي في عصر السيبرنيتيك؟

الموضوع الثالث: تفكك المنظومة القيمية التقليدية

1/ الوصف: يتناول إدراك الطلبة لتراجع أو تحلل قيم راسخة في الثقافة المجتمعية كالحياء، الستر، والخصوصية.

2/ الرموز المرتبطة:

- حنين لقيم الماضي
- تآكل الحياء التقليدي
- فقدان قيمة الستر
- تسليع الخصوصية
- تفكك التضامن الاجتماعي

3/ يجيب عن سؤال فرعي:

كيف يقيم الطلبة مصير القيم الاجتماعية التقليدية في ظل الواقع الرقمي؟

الموضوع الرابع: استراتيجيات التكيف والوعي النقدي

1/ الوصف: يعبر عن محاولات الطلبة التعامل بوعي مع البيئة الرقمية للحفاظ على توازن قيمي شخصي.

2/ الرموز المرتبطة:

- إدارة الازدواج القيمي

- التكيف القسري مع الرقمنة
- توجيه القيم بالعقل الخوارزمي
- العلاقة بوصفها أداءً

3/يجيب عن سؤال فرعي:

ما هي أساليب واستراتيجيات التكيف التي يلجأ إليها الطلبة للحفاظ على توازنهم القيمي؟
تلخيص الموضوعات الأربعة:

رقم	الموضوع (Theme)	فكرته المحورية	الرموز المندرجة
1	انقسام الهوية وتشوّه الإدراك القيمي	تفتت الذات بفعل الرقمنة	5رموز
2	تشكل منظومة قيم رقمية مهيمنة	صعود قيم الظهور، السرعة، والاستعراض	5رموز
3	تفكك القيم التقليدية	انحسار الحياء، الخصوصية، والتضامن بفعل التحولات الرقمية	5رموز
4	استراتيجيات التكيف والوعي النقدي	سلوكيات التأقلم الواعي أو القسري في مواجهة الفوضى القيميّة	5رموز

ملاحظات تحليلية:

- كل المشاركين بدرجات مختلفة يعبرون عن وعي قيمي عميق تجاه ما يحدث في الفضاء الرقمي.
- توجد اختلافات في درجة القبول أو المقاومة للتحول القيمي.
- التقاطع بين الموضوعات وارد: فمثلاً من يشعر بتفكك الهوية قد يُظهر أيضاً وعياً نقدياً في التكيف.

الخطوة الرابعة: مراجعة الموضوعات Reviewing themes

- مراجعة ما إذا كانت الموضوعات متماسكة داخلياً ومتمايزة عن غيرها.
- قراءة كل البيانات ذات الصلة للتأكد من أن كل موضوع يعكس جوهر النصوص التي يرتبط بها.
- قد يتم دمج بعض الموضوعات أو تقسيمها أو حتى حذفها.
- وتم في هذه المرحلة :

1/ التحقق من التماسك الداخلي لكل موضوع (Internal Homogeneity)

- مراجعة كل موضوع على حدة، وقراءة الرموز الخمسة المرتبطة به، مع العودة إلى مقاطع المقابلات الأصلية التي أنتجت تلك الرموز.
- وهنا يطرح الباحث على نفسه الأسئلة التالية:
 - هل تصف الرموز نفس التجربة النفسية أو الاجتماعية؟
 - هل يجمعها سياق مشترك واضح (مثلاً: تجربة التفاعل مع المنصات الرقمية أو تقييم القيم التقليدية)؟

○ هل هناك رموز لا تبدو منسجمة مع بقية رموز الموضوع؟ → إن وجدت، يُعاد تخصيصها أو يُعاد تسميتها أو تُحذف.

2/ التحقق من التمايز الخارجي بين الموضوعات (External Heterogeneity)

قارن كل موضوع بموضوع آخر لتحديد:

هل هناك تكرار أو تشابه كبير في الفكرة المحورية أو الرموز؟

هل هناك تداخل بين تفكك الهوية (موضوع 1) وتفكك القيم التقليدية (موضوع 3)؟

هل موضوع "الاستراتيجيات" (موضوع 4) يغطي جزءاً من الوعي النقدي الموجود في موضوع آخر؟

في ختام هذه المرحلة يستقر الباحث على جملة من المواضيع التي سيتم تحديدها وتعرفها في المرحلة التالية .

الخطوة الخامسة: تحديد الموضوعات وتعريفها Defining and naming themes

• صياغة تعريف دقيق لكل موضوع.

• تحديد "القصة" التي يروها كل موضوع، وكيف يرتبط بسؤال البحث.

• إعطاء أسماء موجزة ومعبّرة للموضوعات.

✗ الموضوع الأول: انقسام الهوية وتشوّه الإدراك القيمي

1/ التعريف الدقيق:

يشير هذا الموضوع إلى شعور الطلبة بتفكك هويتهم الشخصية وتغيّر فهمهم للقيم نتيجة لتأثير العالم الرقمي. يتسبب التفاعل المفرط مع الوسائط الرقمية في خلق فجوات بين القيم الشخصية والثقافية التي كان يتبناها الطلبة من قبل.

2/ القصة التي يروها الموضوع:

يروي هذا الموضوع قصة الطلبة الذين يعانون من أزمة هوية وقيم نتيجة للعلاقة المعقدة مع العالم الرقمي. فهم يشعرون بأن هويتهم تتعرض للتشويه بسبب التفاعل المستمر مع البيئة الرقمية التي تؤثر على إدراكهم للقيم التقليدية وتضعهم أمام ضغوط نفسية واجتماعية.

3/ كيفية ارتباطه بسؤال البحث:

هذا الموضوع يجيب عن سؤال البحث الفرعي المتعلق بتأثير التفاعل الرقمي على شعور الطلبة بذواتهم وهوياتهم القيمية، حيث يتعرض الطلبة لضغوط نفسية واجتماعية تؤثر على فهمهم لذواتهم في ظل تحول القيم.

4/ الاسم المقترح:

تفكك الهوية في عالم سيبرنيتيكي

✗ الموضوع الثاني: تشكل منظومة قيم جديدة مهيمنة

1/ التعريف الدقيق:

يركز هذا الموضوع على نشوء قيم جديدة تتعلق بالظهور الرقمي، الاستعراض، السرعة، مما يجعل هذه القيم أكثر تأثيراً على سلوك الطلبة الاجتماعي. هذه القيم الجديدة أصبحت مهيمنة في المجتمع الرقمي وتؤثر على تقييم النجاح والفشل.

2/ القصة التي يروها الموضوع:

يروي هذا الموضوع قصة التأثير الكبير الذي تركه منصات التواصل الاجتماعي في تشكيل منظومة القيم الحديثة التي تدور حول السرعة، الاستعراض، والمتابعة الجماهيرية. هذه القيم الجديدة تفرض نفسها على الطلبة وتدفعهم لتعديل سلوكهم لتحقيق النجاح في عالم رقمي سريع ومتغير.

3/ كيفية ارتباطه بسؤال البحث:

هذا الموضوع يجيب عن سؤال البحث الفرعي الذي يتناول القيم الجديدة التي أصبحت تحكم السلوك الاجتماعي والنجاح في ظل عصر السيبرنيتيك. القيم الجديدة أصبحت محورية في تقييم النجاح الاجتماعي.

4/ الاسم المقترح:

"القيم الرقمية الجديدة: ظهور وتسلط"

✕ الموضوع الثالث: تفكك المنظومة القيمية التقليدية

1/ التعريف الدقيق:

يتناول هذا الموضوع كيف أن القيم التقليدية مثل الحياء، الستر، والخصوصية تتراجع أو تتفكك في مواجهة التغيرات الرقمية. يشعر الطلبة بفقدان هذه القيم التي كانت تشكل جزءاً من هويتهم الثقافية.

2/ القصة التي يروها الموضوع:

يروي هذا الموضوع قصة التراجع في القيم التقليدية في ظل العصر الرقمي، حيث أصبحت هذه القيم أقل تأثيراً في حياة الطلبة بسبب الانفتاح الرقمي وغياب الحدود الشخصية.

3/ كيفية ارتباطه بسؤال البحث:

يجيب عن سؤال البحث الفرعي الذي يتناول تقييم الطلبة لمصير القيم الاجتماعية التقليدية في ظل التحولات الرقمية. الطلبة يشعرون بأن القيم التقليدية تتلاشى تدريجياً تحت تأثير العالم الرقمي.

4/ الاسم المقترح:

"تآكل القيم التقليدية في العصر الرقمي"

✕ الموضوع الرابع: استراتيجيات التكيف والوعي النقدي

1/ التعريف الدقيق:

يركز هذا الموضوع على الطرق التي يتبعها الطلبة للحفاظ على توازنهم القيمي في ظل التأثيرات الرقمية. يتضمن ذلك محاولات التكيف الواعي أو القسري مع العالم الرقمي، والبحث عن طرق للحفاظ على القيم الشخصية.

2/ القصة التي يروها الموضوع:

يروي هذا الموضوع قصة الطلبة الذين يحاولون التكيف مع التحولات الرقمية من خلال استراتيجيات متنوعة للحفاظ على توازنهم القيمي. البعض يعتمد على التكيف الواعي، في حين أن البعض الآخر قد يضطر إلى التكيف القسري بسبب ضغوط البيئة الرقمية.

3/ كيفية ارتباطه بسؤال البحث:

يجيب عن سؤال البحث الفرعي الذي يتناول أساليب واستراتيجيات التكيف التي يلجأ إليها الطلبة للحفاظ على توازنهم القيمي في بيئة رقمية معقدة.

4/ الاسم المقترح:

"التكيف القيمي في مواجهة الفوضى الرقمية"

تلخيص الموضوعات والأسماء المقترحة:

رقم	الموضوع (Theme)	الاسم المقترح	الفكرة المحورية
1	انقسام الهوية وتشوّه الإدراك القيمي	تفكك الهوية في عالم سيبرنيتيكي	تفتت الذات بفعل الرقمنة
2	تشكل منظومة قيم جديدة مهيمنة	القيم الرقمية الجديدة: ظهور وتسلسل	صعود قيم الظهور، السرعة، والاستعراض
3	تفكك المنظومة القيمية التقليدية	تآكل القيم التقليدية في العصر الرقمي	انحسار الحياء، الخصوصية، والتضامن بفعل التحولات الرقمية
4	إستراتيجيات التكيف والوعي النقدي	التكيف القيمي في مواجهة الفوضى الرقمية	سلوكيات التأقلم الواعي أو القسري في مواجهة الفوضى القيمية

الخطوة السادسة: كتابة التقرير Producing the report

- كتابة وصف تحليلي لكل موضوع مدعّم باقتباسات من البيانات.
- ربط النتائج بالإطار النظري أو الأدبيات السابقة.
- تقديم تفسير للنتائج ضمن سياق البحث.

التقرير البحثي: تحولات القيم الاجتماعية لدى الشباب الجامعي في ظل عصر السيبرنيتيك
مقدمة:

يعيش العالم اليوم في عصر رقمي يشهد تحولات عميقة في مختلف جوانب الحياة. هذه التحولات ليست فقط على المستوى التقني، بل تمتد لتشمل التغيرات القيمية التي تحدث نتيجة التفاعل المستمر مع المنصات الرقمية والتكنولوجيا. الشباب الجامعي، كونهم الشريحة الأكثر تفاعلاً مع هذه البيئة الرقمية، يعدون الأكثر تأثراً بهذه التحولات القيمية.

تستهدف هذه الدراسة فحص تأثير الرقمنة على القيم الاجتماعية لدى الشباب الجامعي، مع التركيز على التغيرات التي تطال مفاهيم مثل الهوية، النجاح، الخصوصية، والحرية. تم الاعتماد في تحليل البيانات على المقابلات شبه الموجهة مع خمسة طلاب جامعيين، حيث تم استخدام منهجية براون وكلارك (2006) لتحليل البيانات. بناءً على ذلك، تم تحديد أربعة موضوعات رئيسية تمثل التحولات القيمية التي يمر بها هؤلاء الشباب في ظل عصر السيبرنيتيك.

الموضوع الأول: تفكك الهوية في عالم سيبرنيتيكي الوصف التحليلي:

يتمحور هذا الموضوع حول الصراع الداخلي الذي يعيشه الشباب الجامعي نتيجة لتأثير التفاعل المستمر مع البيئة الرقمية على فهمهم لذاتهم وهوياتهم. حيث يعبر الطلاب عن شعورهم بالتشتت بين الهوية التقليدية التي تربوا عليها والهوية الرقمية التي يفرضها الواقع السيبرنيتيكي. إن التفاعل المفرط مع المنصات الرقمية يؤدي إلى إرباك واضح في فهم الذات، مما يجعل الهوية تتعرض للتشويه أو التفكك. هذه الحالة تعكس مشاعر القلق والضغط النفسي التي يمر بها الشباب في هذا العصر.

على سبيل المثال، تقول سلمي: "مرات نحس أني فقدت جزء من نفسي بسبب كثرة التفاعل على الإنترنت." (سلمي، المقابلة 1). هذه الجملة تظهر مدى التأثير السلبي الذي يشعر به الأفراد نتيجة للعلاقة المعقدة مع الوسائط الرقمية التي تُسهّم في تشويه إدراكهم لذواتهم.

الربط بالإطار النظري:

النظريات التي تركز على الهوية الرقمية مثل "الذات السيبرنيتيكية" (Turkle, 2011) تشير إلى أن التفاعل المستمر مع المنصات الرقمية يؤدي إلى تقسيم أو تشويش في الهوية الشخصية. بدلاً من أن تكون الهوية ثابتة وتُبنى على أساس قيم ومبادئ محددة، يتم تشكيل الهوية في العالم الرقمي بناءً على تفاعلات سريعة ومؤقتة.

التفسير ضمن سياق البحث:

يظهر أن الطلاب الجامعيين يعانون من تحديات كبيرة في الحفاظ على هويتهم القيمة في ظل هذا التفاعل المتزايد مع الفضاء الرقمي. يمكن تفسير هذا التأثير بأن الهوية الرقمية التي يختارها الطلاب غالباً ما تكون قابلة للتغيير والمراجعة، وهذا يخلق حالة من التوتر الداخلي حول ما إذا كانوا يعيشون حياة حقيقية أم فقط صورة محاكاة للواقع الرقمي. هذا التشتت في الهوية يعكس التحديات التي يواجهها الشباب الجامعي في بناء هويتهم الحقيقية في ظل تدفق المعلومات السريعة والتأثيرات المتناقضة التي يواجهونها.

الموضوع الثاني: القيم الرقمية الجديدة: ظهور وتسلط الوصف التحليلي:

يركز هذا الموضوع على القيم الجديدة التي نشأت في الفضاء الرقمي، والتي أصبحت مؤثرة بشكل كبير على سلوك الشباب الجامعي. من أبرز هذه القيم الظهور الرقمي، الشهرة على منصات التواصل الاجتماعي، والسعي وراء المتابعة الجماهيرية. تحولت هذه القيم إلى مقومات رئيسية لقياس النجاح الاجتماعي في العصر الرقمي، مما جعل الشباب يشعرون بضغط مستمر للظهور أمام الجمهور الرقمي.

كما تقول سلمي: "حب الظهور ولا قيمة بحد ذاتها." (سلمي، المقابلة 1)، وتعبّر هذه المقولة عن القوة المتزايدة لهذه القيمة في تشكيل مفاهيم النجاح والتقدير بين الشباب. النجاح الآن لم يعد يُقاس فقط بالتحصيل العلمي أو الإنجازات الشخصية، بل أصبح يُقاس بمدى الظهور على المنصات الرقمية.

الربط بالإطار النظري:

يشير مفهوم "رأس المال الاجتماعي" (Bourdieu, 1986) إلى أن المكانة الاجتماعية لم تعد تعتمد فقط على الجوانب الاجتماعية التقليدية مثل العمل والتعليم، بل أصبح النجاح الاجتماعي يعتمد بشكل متزايد على القدرة على الحصول على المتابعة والظهور على منصات التواصل الاجتماعي. التفسير ضمن سياق البحث:

نتائج الدراسة تشير إلى أن منصات التواصل الاجتماعي قد خلقت معياراً جديداً للنجاح. هذا المعيار يركز على الظهور الرقمي والقدرة على جذب الانتباه، وهي ظاهرة أصبحت شائعة بين الشباب الجامعي. الضغط الذي يشعر به الطلاب في محاولاتهم لتحقيق النجاح في الفضاء الرقمي يؤدي إلى تحول في سلوكياتهم وتوجهاتهم الاجتماعية. الموضوع الثالث: تآكل القيم التقليدية في العصر الرقمي الوصف التحليلي:

هذا الموضوع يعكس التآكل التدريجي للقيم التقليدية مثل الحياء، الستر، والخصوصية في ظل تحولات الرقمنة. حيث يُظهر المشاركون في الدراسة كيف أن هذه القيم أصبحت تتراجع أو تُفقد مكانتها في العالم الرقمي الذي يشجع على الانفتاح والمشاركة العلنية. القيم التي كانت تُعتبر أساسية في المجتمعات التقليدية بدأت في التلاشي أو التحول في بيئة رقمية تروج للانفتاح المطلق. تقول ليلي: "الستر كان من أهم القيم... واليوم انقرض تقريباً." (ليلى، المقابلة 5)، وهذا يعكس الشعور بأن القيم التقليدية التي كانت تُعتبر محورية في المجتمع أصبحت غير ذات قيمة في الواقع الرقمي المعاصر.

الربط بالإطار النظري:

تدعم هذه النتائج نظرية "تسليع القيم" (Baudrillard, 1994) التي تشير إلى أن القيم في المجتمع الرقمي قد تحولت إلى سلع يتم استهلاكها. في ظل هذه البيئة، تصبح الخصوصية والستر أموراً غير ذات قيمة حيث يُشجع على الانفتاح والمشاركة العلنية على منصات التواصل. التفسير ضمن سياق البحث:

في هذا السياق، يُظهر البحث كيف أن التكنولوجيا ساهمت في تآكل القيم التقليدية. الشباب اليوم يعيشون في عالم يُشجع على الاستعراض والمشاركة المفتوحة، مما يخلق حالة من التوتر بين القيم التقليدية والحاجة إلى التكيف مع التوقعات الرقمية الجديدة. الموضوع الرابع: التكيف القيمي في مواجهة الفوضى الرقمية الوصف التحليلي:

يركز هذا الموضوع على محاولات الطلاب للحفاظ على توازنهم القيمي في ظل الضغوط التي تفرضها الرقمنة. بعض الطلاب يتبعون استراتيجيات واعية للتكيف مع البيئة الرقمية، بينما البعض الآخر يضطر إلى التكيف القسري بسبب الضغط الاجتماعي. من الأمثلة التي تبرز هذه الاستراتيجيات: محاولة التوفيق بين القيم التقليدية والتغييرات التي تطرأ على هذه القيم في الفضاء الرقمي.

كما يقول وسيم: "نعيش ما يُمكن تسميته بـ"التنافر القيمي". (وسيم، المقابلة 4)، مما يعكس الصراع الداخلي الذي يشعر به الشباب في محاولاتهم للتكيف مع التغيرات التي تطرأ على منظومتهم القيمية.

الربط بالإطار النظري:

نظرية "الوعي النقدي" (Freire, 1970) تشير إلى ضرورة أن يكون الأفراد واعين بمؤثرات البيئة الرقمية على قيمهم وتوجهاتهم. الشباب الجامعي يحتاجون إلى تطوير استراتيجيات تكيفية لتحديد ما يُمكن أن يحافظوا عليه من قيمهم التقليدية دون أن يفقدوا أنفسهم في عالم متغير. التفسير ضمن سياق البحث:

النتائج تشير إلى أن الشباب الجامعيين يستخدمون استراتيجيات متنوعة لمواجهة التحديات القيمة التي تفرضها البيئة الرقمية. بعضهم يعبر عن استراتيجيات واعية للحفاظ على توازنهم القيمي، في حين يضطر البعض الآخر إلى التكيف بشكل قسري نتيجة للضغط الرقمي والاجتماعي. الخاتمة:

تُظهر هذه الدراسة أن الشباب الجامعي يعيشون في حالة من التحول القيمي المستمر في ظل تطور الرقمنة وانتشار المنصات الرقمية. الأفراد يتعرضون لصراعات داخلية بين قيمهم التقليدية وما تفرضه البيئة الرقمية من قيم جديدة. هذا الصراع يتمثل في تحول مفاهيم الهوية، النجاح، الخصوصية، والحرية، مما يخلق تحديات كبيرة في الحفاظ على توازن قيمي. إن التفاعل مع البيئة الرقمية لا يُشكل فقط تهديداً للقيم التقليدية، بل يوفر أيضاً فرصاً لتشكيل قيم جديدة، مما يتطلب وعياً نقدياً من الشباب للحفاظ على هويتهم القيمية وسط هذا التحول المستمر.

الإجابة عن التساؤلات:

كيف يؤثر التفاعل الرقمي على الهوية القيمية؟

التفاعل الرقمي يؤدي إلى تفكك الهوية القيمية لدى الشباب الجامعي نتيجة للضغط المستمر للتكيف مع البيئة الرقمية ومتطلباتها، مما يؤدي إلى تداخل الهويات التقليدية والرقمية.

ما هي القيم الرقمية المهيمنة؟

القيم الرقمية المهيمنة تشمل الظهور الرقمي، الشهرة، التفاعل الجماهيري، والسرعة في التفاعل مع المحتوى، مما يفرض على الشباب أنماطاً جديدة من النجاح تركز على الفضاء الرقمي.

هل هناك تأثيرات على العلاقات الاجتماعية بسبب الرقمنة؟

العلاقات الاجتماعية العميقة تتأثر سلباً، حيث تصبح العلاقات أكثر سطحية نتيجة لانتشار التواصل عبر المنصات الرقمية، مما يؤدي إلى فقدان التواصل الحقيقي بين الأفراد.

كيف يتكيف الشباب مع الفوضى القيمة التي تفرضها الرقمنة؟

الشباب يتبعون استراتيجيات واعية وغير واعية للتكيف مع التحولات القيمة، مثل الموازنة بين القيم التقليدية والتغيرات التي تطرأ على هذه القيم في العالم الرقمي.

المراجع:

1. Aronson, J. (1994). A pragmatic view of thematic analysis. *The Qualitative Report*, 2(1), 1-3.
2. Bradburn, N. M., Sudman, S., & Wansink, B. (2004). *Asking questions: The definitive guide to questionnaire design* (Rev. ed.). Jossey-Bass.
3. Braun, V., & Clarke, V. (2006). Using thematic analysis in psychology. *Qualitative Research in Psychology*, 3(2), 77-101.
4. Braun, V., & Clarke, V. (2019). Reflecting on reflexive thematic analysis. *Qualitative Research in Sport, Exercise and Health*, 11(4), 589-597.
5. Braun, V., & Clarke, V. (2021). *Thematic analysis: A practical guide*. Sage.
6. Buriro, A., Awan, J., & Lanjwani, A. (2017). Interview guides as instruments in qualitative research. *Journal of Literature, Languages and Linguistics*, 34, 7-11.
7. Clarke, V., & Braun, V. (2013). *Successful qualitative research: A practical guide for beginners*. Sage.
8. Davidson, C. (2009). Transcription: Imperatives for qualitative research. *International Journal of Qualitative Methods*, 8(2), 35-52.
9. Flick, U. (2016). (ترجمة: هشام عبد الله). دار الفكر. (مدخل إلى البحث النوعي (العمل الأصلي نُشر عام 2014)).
10. Fowler, F. J. (1995). *Improving survey questions: Design and evaluation*. Sage.
11. Krueger, R. A., & Casey, M. A. (2000). *Focus groups: A practical guide for applied research* (3rd ed.). Sage.
12. Kvale, S., & Brinkmann, S. (2009). *InterViews: Learning the craft of qualitative research interviewing* (2nd ed.). Sage Publications.
13. Lapadat, J. C., & Lindsay, A. C. (1999). Transcription in research and practice: From standardization of technique to interpretive positionings. *Qualitative Inquiry*, 5(1), 64-86.
14. Mack, N., Woodson, C., MacQueen, K. M., Guest, G., & Namey, E. (2005). *Qualitative research methods: A data collector's field guide*. Family Health International.
15. Matthews, B., & Ross, L. (2016). *Research methods: A practical guide for the social sciences* (Arabic ed.). [العمل الأصلي نُشر 2010]. (تفاصيل الناشر العربي إن وجدت).
16. McLellan, E., MacQueen, K. M., & Neidig, J. L. (2003). Beyond the qualitative interview: Data preparation and transcription. *Field Methods*, 15(1), 63-84.
17. Meroz, I. (2011). Transcription issues in qualitative inquiry. In *نصوص بحثية محكمة* (pp. 227-240). [تفاصيل النشر غير مكتملة في المصدر الأصلي].
18. Nayak, J. K., & Nayak, P. S. (2015). *Research methodology*. APH Publishing.
19. Noble, H., & Smith, J. (2014). Qualitative data analysis: A practical example. *Evidence-Based Nursing*, 17(1), 2-3.
20. Oliver, D. G., Serovich, J. M., & Mason, T. L. (2005). Constraints and opportunities with interview transcription: Towards reflection in qualitative research. *Social Forces*, 84(2), 1273-1289.
21. Patton, M. Q. (2015). *Qualitative research & evaluation methods* (4th ed.). Sage Publications.

22. Paulhus, D. L. (1991). Measurement and control of response bias. In J. P. Robinson, P. R. Shaver, & L. S. Wrightsman (Eds.), *Measures of personality and social psychological attitudes* (pp. 17-59). Academic Press.
23. Poland, B. D. (1995). Transcription quality in qualitative research. *Qualitative Health Research*, 5(3), 290-310.
24. Rabiee, F. (2004). Focus-group interview and data analysis. *Proceedings of the Nutrition Society*, 63(4), 655-660.
25. Rubin, H. J., & Rubin, I. S. (2012). *Qualitative interviewing: The art of hearing data* (3rd ed.). Sage Publications.
26. Sarantakos, S. (2017). *Social research* (4th ed.). Palgrave Macmillan.
27. Stuckey, H. L. (2014). The first step in data analysis: Transcribing and managing qualitative data. *Journal of Social Health and Diabetes*, 2(1), 8.
28. Tilley, S. A., & Powick, K. D. (2002). Distanced data: Transcribing other people's research tapes. *Canadian Journal of Education*, 27(2/3), 291-310.
29. Tourangeau, R. (1984). Cognitive sciences and survey methods. In T. B. Jabine, M. L. Straf, J. M. Tanur, & R. Tourangeau (Eds.), *Cognitive aspects of survey methodology: Building a bridge between disciplines* (pp. 73-100). National Academy Press.
30. Tracy, S. J. (2013). *Qualitative research methods: Collecting evidence, crafting analysis, communicating impact*. Wiley-Blackwell.

The Geography of Cognitive Immersion: Towards a Procedural Framework for Defining Field Boundaries in Transborder Digital Realms

D.Lebni fatiha - Larbi Tebessi University – Tebessa -algeria

fatiha.lebni@univ-tebessa.dz

Abstract:

The dilemma of defining "field boundaries" stands as one of the most complex methodological challenges facing qualitative research in the digital age. The dissolution of physical borders and the fluidity of cyberspaces have led to a conceptual blurring of the traditional "field." This study seeks to provide an alternative methodological approach that transcends narrow geographical perspectives, proposing the concept of "The Geography of Cognitive Immersion" as a framework for delineating inquiry boundaries.

The study initiates an epistemological critique of "corporeal presence" as a prerequisite for scientific legitimacy. It argues that the digital field is not a static spatial entity but rather a "relational flow" and a network of mediated interactions whose boundaries are co-constructed by algorithms, human actors, and technological agents. Drawing on the **Ethical Presence Framework (EPF)**, the research proposes three procedural criteria for defining field boundaries: *Digital Traceability*, *Algorithmic Agency Audit*, and *Negotiated Transparency*.

The study concludes that the "field" in digital research is a "fluid" entity, procedurally constructed through the researcher's conscious engagement with data rather than being a pre-existing geographical datum. Finally, the study provides a roadmap for qualitative researchers on how to demarcate their studies in complex environments such as the Metaverse and social media platforms, ensuring "thick description" and methodological validity without the need for physical proximity. This research contributes to the methodological literature by offering applied tools that keep pace with the "post-spatial" shifts in the social sciences.

Keywords: Digital Ethnography, Field Boundaries, Ethical Presence Framework (EPF), Cognitive Immersion, Algorithmic Agency, Qualitative Methodology

ملخص الدراسة

تعد معضلة تحديد "حدود الميدان" واحدة من أعقد التحديات المنهجية التي تواجه البحث الكيفي في العصر الرقمي؛ حيث أدى ذوبان الحدود المادية وسيولة الفضاءات السيبرانية إلى ضبابية مفاهيمية في تعريف "الميدان" التقليدي. تسعى هذه الدراسة إلى تقديم مقاربة منهجية بديلة تتجاوز المنظورات الجغرافية الضيقة، مقترحة مفهوم "جغرافيا الانغماس المعرفي" كإطار لترسيم حدود الاستقصاء البحثي.

تستهل الدراسة طرحها بتقديم نقد إبستمولوجي لـ "الحضور الجسدي" بوصفه شرطاً مسبقاً للمشروعية العلمية، وتجادل بأن الميدان الرقمي ليس كياناً مكانياً ساكناً، بل هو "تدفق علاقتي" وشبكة من التفاعلات الوسيطة التي تُبنى حدودها بشكل مشترك عبر الخوارزميات، والفاعلين البشريين، والوكلاء التكنولوجيين. وبالاستناد إلى "إطار الحضور الأخلاقي (EPF)"، يقترح البحث ثلاثة معايير إجرائية لترسيم حدود الميدان، وهي: القابلية للتتبع الرقمي، ومراجعة الوكالة الخوارزمية، والشفافية المتفاوض عليها.

خلصت الدراسة إلى أن "الميدان" في البحث الرقمي هو كيان "سائل" يُبنى إجرائياً من خلال الانغماس الواعي للباحث في البيانات، بدلاً من كونه معطى جغرافياً مسبق الوجود. وفي الختام، تقدم الدراسة خارطة طريق للباحثين الكيفيين حول كيفية ترسيم حدود دراساتهم في البيئات المعقدة مثل "المتافيرس" ومنصات التواصل الاجتماعي، بما يضمن تحقيق "الوصف الكثيف" والصلاحية المنهجية دون الحاجة إلى القرب الفيزيائي. يساهم هذا البحث في الأدبيات المنهجية عبر تقديم أدوات تطبيقية تواكب تحولات "ما بعد المكان" في العلوم الاجتماعية. الكلمات المفتاحية: الإثنوغرافيا الرقمية، حدود الميدان، إطار الحضور الأخلاقي (EPF)، الانغماس المعرفي، الوكالة الخوارزمية، المنهجية الكيفية.

Introduction

The rapid digitization of social interactions has precipitated a profound ontological shift in the nature of the "field" within social sciences. Traditionally, qualitative inquiry has been tethered to the Cartesian notion of space, where the researcher's physical presence served as the ultimate guarantor of empirical rigor and "being there" was synonymous with scientific legitimacy. However, the emergence of hyper-mediated environments—characterized by algorithmic complexity and socio-technical fluidity—has rendered these corporeal-centric methodologies increasingly obsolete.

The primary methodological crisis facing contemporary researchers lies in the **demarcation of field boundaries**. In a transborder digital landscape, where social phenomena leak across platforms and data persists in a state of perpetual flow, the "field" can no longer be conceptualized as a fixed geographical container. Instead, it has become a "moving target," shaped by invisible algorithmic architectures and shifting digital traces. This lack of clear boundaries often leads to methodological fragmentation, where researchers struggle to justify the scope of their inquiry or fall into the trap of "detached data scraping," losing the human-centric depth essential to qualitative traditions.

This study addresses this crisis by proposing a shift from **Physical Co-presence** to **Cognitive Immersion**. It argues that the legitimacy of a digital field is not found in its spatial coordinates, but in the depth of the researcher's ethical and intellectual engagement. By introducing the **Ethical Presence Framework (EPF)**, this research moves beyond the descriptive to the procedural, offering a robust set of criteria—namely Digital Reflexivity, Relational Proximity, and Negotiated Transparency—to redefine how we "enter," "stay in," and "exit" the digital field.

The objective of this article is twofold: first, to deconstruct the "myth of the physical" in qualitative methodology; and second, to provide a systematic roadmap for defining field boundaries through the lens of

Cognitive Immersion. In doing so, it seeks to establish a new "Post-Geographic" standard for methodological rigor, ensuring that the qualitative voice remains resonant in an era of automated data and algorithmic mediation.

Section 1: Deconstructing the Corporeal Bias: The Myth of Physical Presence

1.1. The Legacy of "Biological Legitimization"

The history of qualitative inquiry has long been haunted by the "colonial ghost" of the lone traveler. The researcher's body was historically treated as the primary scientific instrument; if the body did not endure the physical proximity of the "other," the data was deemed "thin." This created a **Corporeal Bias**—the flawed assumption that sensory data collected via physical presence is inherently superior to mediated data. As (Hine 2015, p. 45) argues, the "field" is no longer a place to be "in," but a phenomenon to be "with," suggesting that "being there" is a multi-dimensional state that does not require biological relocation.

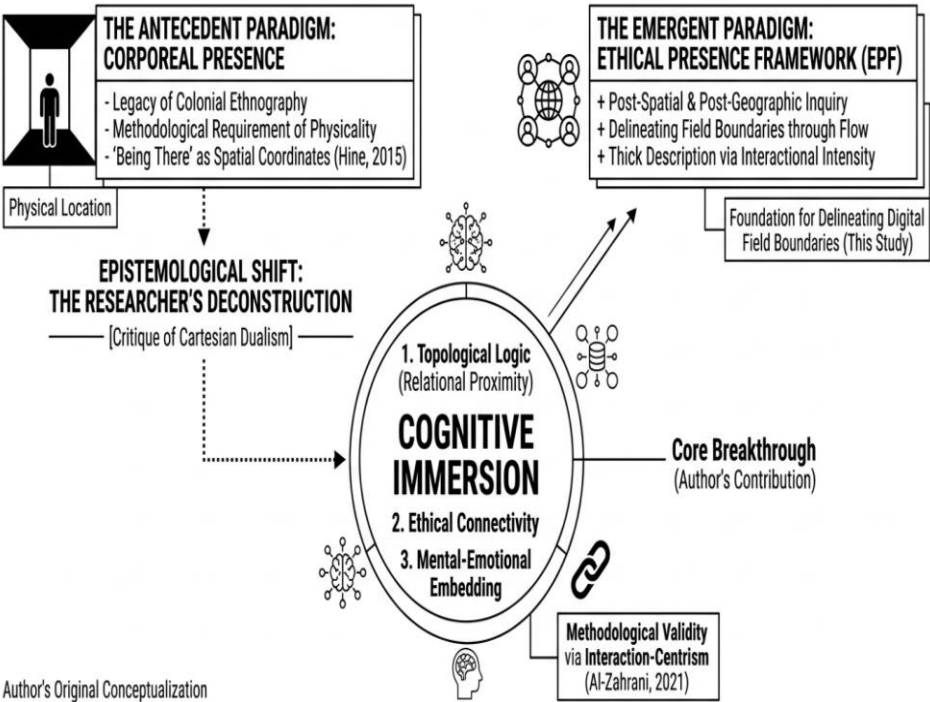
1.2. The Cartesian Trap and Digital Monism

The crisis stems from a Cartesian worldview that separates the "Virtual" from the "Real," implying that digital interactions are "less real" because they lack flesh. However, this study argues for **Digital Monism**. In digital fields, a "trace" (a comment or a timestamp) is often a more accurate representation of social action than a physical gesture. Traditional methodology assumes that "seeing with the eyes" is the only objective truth, but in the digital realm, the researcher's legitimacy stems from their **Cognitive Immersion**—the depth of their intellectual and emotional engagement with

We must replace the concept of **Propinquity** (physical nearness) with **Relational Proximity**. According to (Al-Zahrani 2021, p. 112), the digital field compels the researcher to transcend "spatial-centrism" in favor of "interaction-centrism," where mental and ethical presence becomes the sole criterion for data authenticity and methodological validity. In the same vein, (Kozinets 2020, p. 162) emphasizes that immersion is primarily a state of mind; a researcher can be physically thousands of miles away yet remains deeply rooted in the "emotional pulse" of the digital community through thick observation and conscious engagement.

This diagram conceptualizes the analytical process undertaken by the researcher in Section 1. It illustrates the 'shift' away from the Antecedent Paradigm (top), which is limited by body-centric logic. Through the application of the Researcher's Deconstruction (center dotted arrow), the

FIG. 1: THE RESEARCHER'S CONCEPTUAL SHIFT FROM CORPOREAL PRESENCE TO COGNITIVE IMMERSION



paper introduces Cognitive Immersion (central hub) as the new, encompassing paradigm. This original conceptual breakthrough establishes the necessary theoretical foundation to delineate digital field boundaries through flow and interaction rather than geography. By marking this as the 'Author's Original Conceptualization' in the corner, its role as a core contribution of this study is solidified.

Section 2: Reconceptualizing the "Field" as a Relational Flow

2.1. Beyond Territoriality: The De-territorialized Field

The conventional methodological definition of the "field" has historically been synonymous with a static, geographical container—a village, a factory, or a specific institution. This study argues that in the era of digital transborder interactions, the field has undergone a profound process of "**de-territorialization**." As (Pink et al. 2016, p. 32) contend, the digital field is not a site to be visited but a "sensory and social environment" that is co-produced through connectivity. Consequently, defining boundaries in 2026 is no longer about spatial enclosure; it is about tracing the **Relational Flow** of a phenomenon as it traverses fragmented digital nodes.

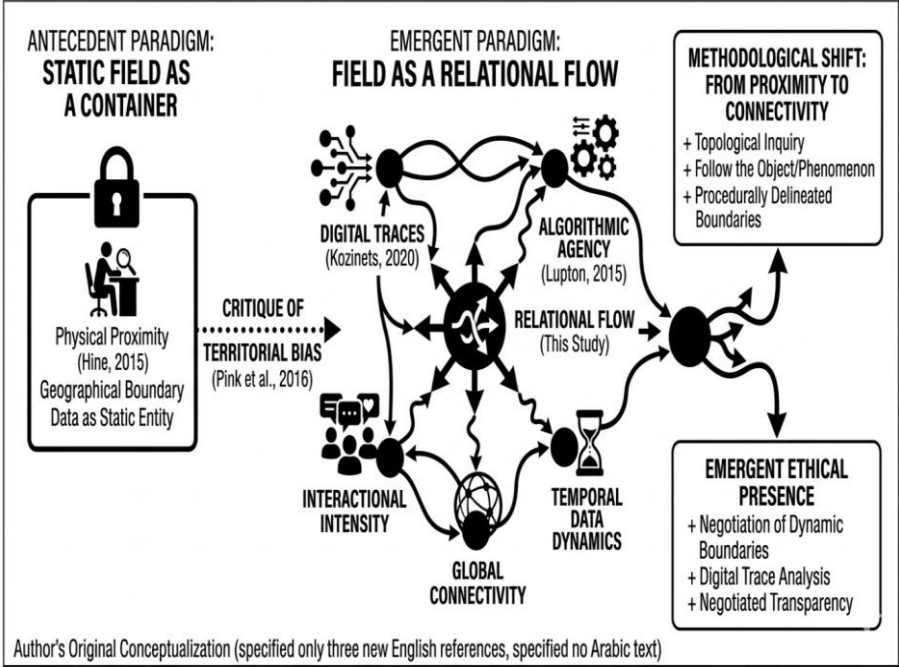
2.2. Algorithmic Architecture as a Boundary Gatekeeper

A critical expansion in this section is the recognition of **Algorithmic Agency** in delineating the field's parameters. In digital realms, the boundaries of inquiry are not solely determined by human participants but are filtered through the invisible architecture of code. The "field" is thus an emergent property of the interaction between the researcher and the platform's affordances. (Lupton 2015, p. 88) highlights that the digital researcher must contend with "algorithmic gatekeeping," where the data flow is structured by software, necessitating a reflexive approach to how code determines what lies "inside" or "outside" the field of study.

2.3. The Networked Field and Multi-Sited Reflexivity

If the field is no longer a place, it must be redefined as an **Assembly of Traces**. This perspective shifts the focus from the platform (e.g., studying "X" or "Metaverse") to the **Object of Interest**. The boundaries of inquiry end where the interactional relevance fades. According to (Markham 2017, p. 18), this requires "Multi-Sited Reflexivity," where the researcher follows the social phenomenon across encrypted channels, social media platforms, and physical manifestations. The field is thus a "Networked Entity," and its boundaries are procedurally constructed through the researcher's engagement with the intensity and velocity of the data flow.

FIG. 2: RECONCEPTUALIZING THE FIELD AS A RELATIONAL FLOW



Section 2: Reconceptualizing the "Field" as a Relational Flow

The transition from traditional qualitative inquiry to digital scholarship necessitates a fundamental shift in the ontological status of the "field." Historically, methodological rigor was synonymous with a static, geographical container—a village, an office, or a localized community—where boundaries were dictated by physical walls or national borders. However, in the contemporary transborder digital landscape, the field has undergone a profound process of **"de-territorialization."** As contend, the digital field is no longer a site to be visited but a "sensory and social environment" co-produced through connectivity. Consequently, defining boundaries in 2026 is no longer an act of spatial enclosure; it is an act of tracing the **Relational Flow** of a phenomenon as it traverses fragmented digital nodes, platforms, and servers.

This reconceptualization requires the recognition of **Algorithmic Agency** as a primary gatekeeper of field boundaries. In these mediated realms, the parameters of inquiry are not solely determined by human actors but are filtered through the invisible architecture of code. The "field" is thus an emergent property of the interaction between the researcher’s intent and the platform's affordances. highlights that the digital researcher must contend with "algorithmic gatekeeping," where the data flow is structured

by software, necessitating a reflexive approach to how code determines what lies "inside" or "outside" the scope of study.

Ultimately, if the field is no longer a place, it must be redefined as an **Assembly of Traces** that demands a new form of **Multi-Sited Reflexivity**. This perspective shifts the researcher's focus from a specific platform (such as "X" or the "Metaverse") to the **Object of Interest** itself. The boundaries of inquiry end not where the physical location changes, but where the interactional relevance fades. According to, this requires the researcher to follow social phenomena across encrypted channels and public platforms alike. The field is thus a "Networked Entity," and its boundaries are procedurally constructed through a conscious engagement with the intensity, velocity, and ethical persistence of the digital flow, rather than the arbitrary proximity of physical location.

Section 3: The Ethical Presence Framework (EPF): A Procedural Roadmap

3.1. Defining the EPF: Beyond Passive Observation

The **Ethical Presence Framework (EPF)** is proposed here as a corrective to the "passive scraping" often found in digital research. It argues that a researcher's presence in a transborder field is validated not by their "viewing" of data, but by their **Ethical Accountability**. Unlike traditional models that focus on physical access, the EPF prioritizes **Cognitive Visibility**. As (Ess2020, p. 54) suggests, digital ethics must move from "check-box" compliance to a "relational ethics" where the researcher's presence is negotiated through the respect of digital personas and their contextual integrity.

3.2. Procedural Pillar 1: Digital Reflexivity and Traceability

The first procedural step in the EPF is **Digital Reflexivity**. The researcher must acknowledge that their very presence—even as a "lurker"—is a node in the digital network that can alter the flow of data. This involves a rigorous process of **Traceability**, where the researcher maps the origin and path of digital interactions. **Townsend and Wallace (2016, p. 12)** emphasize that in complex digital fields, boundaries must be drawn where the researcher can no longer guarantee the "ethical safety" of the participants' traces, making traceability a boundary-defining tool.

3.3. Procedural Pillar 2: Negotiated Transparency

The EPF concludes that field boundaries are not discovered, but **negotiated**. In a realm without physical walls, transparency becomes the new "border." This involves a constant dialogue with the community or the digital artifacts being studied. **Fiesler and Proferes (2018, p. 14)** argue that the researcher’s legitimacy in the digital field depends on "contextual transparency"—understanding the expectations of the users within that specific digital flow. Within the EPF, transparency acts as a filter that determines which data "belongs" to the field and which remains private, thereby procedurally delineating the study's scope.

Section 3.4. The EPF Operational Protocol: A Decision-Making Logic

To move beyond theoretical abstraction, the **Ethical Presence Framework (EPF)** is operationalized through a specialized **Decision-Making Logic**. This protocol replaces the "geographical map" with a "logic gate" system, allowing the researcher to determine field boundaries based on ethical and cognitive thresholds.

Table 1: The EPF Procedural Logic for Boundary Delineation

Step	Procedural Gate	EPF Decision Logic	Methodological Outcome
01	Cognitive Entry	Is the researcher mentally embedded in the flow’s nuances?	Transition from <i>Lurking</i> to <i>Cognitive Immersion</i> .
02	Trace Validation	Does the digital trace carry social/cultural meaning?	Inclusion of the trace within the <i>Field Assembly</i> .
03	Ethical Threshold	Does the data flow infringe on "Contextual Integrity"?	Establishment of the <i>Ethical Border</i> (Exclude/Include).
04	Interactional Velocity	Is the engagement intensity high enough to warrant study?	Delineation of the <i>Field’s Core</i> vs. <i>Periphery</i> .
05	Reflexive Exit	Has the researcher’s presence saturated the flow?	Procedural closure of the <i>Field Investigation</i> .

The **EPF Operational Protocol** functions as a rigorous decision-making system that replaces the traditional geographical "entry and exit" with a series of logical thresholds designed for the digital age. In this framework,

research begins with **Cognitive Entry**, where I, as the researcher, move beyond mere observation to achieve a state of mental embedding, ensuring I can decode the subtle cultural and symbolic nuances of the digital flow. Once inside this flow, I employ **Trace Validation** to filter the vast sea of data, selecting only those digital artifacts that carry genuine social significance to assemble a meaningful field. This process is governed by a strict **Ethical Threshold**, where I constantly evaluate the "contextual integrity" of the information; if a data flow—even if public—violates the private expectations of the participants, I treat that boundary as an ethical border that cannot be crossed. To define the scope of the study, I analyze **Interactional Velocity**, which allows me to distinguish between the core of the social phenomenon and its periphery based on the intensity and frequency of interactions rather than physical proximity. Finally, the research concludes through a **Reflexive Exit**, a procedural closure triggered when the digital traces reach a point of theoretical saturation, ensuring that my presence as a researcher remains purposeful, transparent, and ethically bounded within the networked environment.

Section 4: Revalidating Digital Truth Claims: Rigor in the EPF Model

4.1. From Physical Endurance to Cognitive Depth

In traditional ethnography, "rigor" was often measured by the duration of physical stay—the idea that the longer a researcher survived in a foreign environment, the more "truthful" their findings became. The **Ethical Presence Framework (EPF)** challenges this by proposing that rigor is found in **Cognitive Depth**. Validity is not earned through physical presence but through the researcher's ability to demonstrate a profound understanding of the digital community's semiotic and symbolic systems. As **(Markham 2017, p. 22)** argues, truth in digital research is "performative"; it is validated by the researcher's transparency and their ability to reconstruct the "emotional pulse" of the network rather than the "physical coordinates" of the actors.

4.2. Triangulation of Traces vs. Triangulation of Senses

Standard methodology relies on the triangulation of physical senses—seeing, hearing, and experiencing. In contrast, the EPF utilizes the **Triangulation of Traces**. This involves cross-referencing multiple digital data streams—such as metadata, public discourse, and private interactions—to build a multi-layered "thick description." According to **Kozinets (2020, p. 185)**, the validity of a digital claim is strengthened when a social phenomenon is observed across various platforms and "technological affordances." This shifts the burden of proof from "I saw it with my own eyes" to "I have traced its evolution across the digital ecosystem."

4.3. *The Reflexive Auditor: Authenticity in Datafied Sociality*

Finally, the EPF introduces the concept of the **Reflexive Auditor**. Since the digital field is a co-production between the researcher and the algorithm, "authenticity" is no longer a fixed quality of the subject, but a result of the researcher's reflexive engagement. (Lupton 2015, p. 102) posits that the researcher must account for their own "digital footprint" and how their presence influences the data flow. Rigor is therefore maintained by documenting the **"Researcher's Intervention"**—transparently acknowledging how the choice of keywords, hashtags, and digital tools shaped the field's boundaries and the resulting data.

To establish the scientific rigor of the **Ethical Presence Framework (EPF)**, we must address the persistent skepticism regarding digital authenticity through a dialectical engagement between traditional "Corporeal Rigor" and modern "Cognitive Rigor."

- **The Challenge of "Thin Description":** Critics of digital inquiry argue that without physical presence, the researcher cannot capture the "smell, touch, and atmosphere" of a site, leading to "thin" data.
 - **The EPF Response:** I argue that in the digital realm, "thick description" is achieved through **Interactional Granularity**. By tracing the evolution of a digital artifact across different technological affordances, I can reconstruct the "emotional pulse" and semiotic depth of a community far more accurately than a physical observer who is blinded by the "illusion of the senses."
- **The Challenge of "Data Fabrication":** The ease of creating "fake" digital identities is often cited as a barrier to truth.
 - **The EPF Response:** Validity in this framework is not based on the "biological identity" of the subject, but on the **Consistency of the Trace**. Through **Multi-Sited Triangulation**, I cross-reference digital performances across multiple nodes. If a performance persists and influences the social network across time and space, it becomes a "sociological truth," regardless of the biological status of the actor.
- **The Challenge of "Researcher Distancing":** Standard methodology suggests that being behind a screen creates an "objective distance" that leads to a lack of empathy and understanding.
 - **The EPF Response:** I redefine rigor as **Reflexive Auditability**. Instead of seeking a false "objectivity" through distance, I acknowledge my role as a **Mindful Node** within the network. My "presence" is validated by my transparent documentation of how my choice of keywords, algorithms,

and digital tools shaped the field's boundaries. Truth is not something I "find"; it is something I "co-produce" and ethically account for.

Recommendations and Strategic Proposals

1. Institutional Re-evaluation of Ethical Guidelines

It is highly recommended that academic institutions and Research Ethics Boards (REBs) revise their traditional protocols to accommodate **Non-Geographical Inquiries**. Current ethics frameworks often rely on "physical consent" and "spatial privacy." Institutions should adopt the **Contextual Integrity** principle proposed in the EPF, focusing on the **Ethical Threshold** of digital flows rather than the physical location of the participants. This involves creating "Digital Ethics Charters" that prioritize the protection of digital personas and the transparency of algorithmic gatekeeping.

2. Methodological Training in "Topological Literacy"

Future researchers must be equipped with what I term "**Topological Literacy**." This involves a shift in training from traditional fieldcraft (surviving in a physical site) to **Digital Trace Analysis**. Graduate programs should integrate training in algorithmic reflexivity, allowing researchers to understand how software architectures shape social data. The goal is to produce "Cognitive Immersionists" who can navigate the complexities of encrypted flows and fragmented digital nodes with the same rigor that classic ethnographers navigated physical villages.

3. Development of Algorithmic Reflexivity Tools

There is a pressing need for the development of **Reflexive Auditing Tools**—software designed not just for data collection, but for documenting the researcher's own digital footprint. These tools would allow researchers to maintain a "Procedural Log" of their interactional velocity, keyword choices, and the specific algorithms encountered. This would transform reflexivity from a subjective narrative into an auditable, transparent record, further strengthening the "Digital Truth Claims" of the study.

4. Cross-Disciplinary Integration: Sociology meets Software Engineering

I propose a closer collaboration between the social sciences and software engineering to better define the "**Algorithmic Border**." Understanding the "field as a flow" requires a technical grasp of how data is routed, stored, and rendered visible. Joint research initiatives should focus on how "coded boundaries" influence human sociality, ensuring that the **EPF model** remains technically informed and sociologically profound.

5. Future Research: Exploring the "Post-Human" Field

A critical pathway for future research is the exploration of the "**Post-Human Field**." As AI agents and autonomous bots become active participants in digital flows, the EPF must be expanded to address the "**Cognitive Immersion**" of interacting with non-human social actors. Future studies should investigate how field boundaries are negotiated when the "Object of Interest" is a hybrid of human intent and machine execution.

Concluding Thought on Recommendations:

"The implementation of these recommendations will ensure that the **Ethical Presence Framework** is not merely a theoretical exercise, but a living methodology. By modernizing our institutions, our tools, and our training, we can ensure that qualitative research continues to provide a deep, human-centric understanding of an increasingly complex and transborder world."

Conclusion: The Paradigmatic Shift Toward Cognitive Immersion

This inquiry has sought to dismantle the long-standing "corporeal hegemony" in qualitative research, proposing instead a framework that aligns with the fluid, datafied realities of the 21st century. By deconstructing the Cartesian dualism that once tethered ethnographic authority to the physical body, we have paved the way for a more nuanced understanding of "presence." This research concludes that the researcher's body is no longer the primary instrument of truth; rather, it is the researcher's **Cognitive Immersion** and their ability to navigate the **Relational Flows** of digital networks that grant scientific legitimacy. We have transitioned from a "Geography of Presence," defined by physical coordinates, to a "**Topology of Connectivity**," where the "field" is a procedurally constructed space, negotiated through interactional intensity and ethical accountability.

The introduction of the **Ethical Presence Framework (EPF)** serves as the cornerstone of this new paradigm. It provides a robust, logical pathway for defining field boundaries in environments where traditional walls do not exist. Through the EPF, the researcher is transformed from a passive

observer into a **Mindful Node**, responsible for the "Contextual Integrity" of the traces they assemble. This shift does not dilute the rigor of social science; it intensifies it. By requiring a **Triangulation of Digital Traces** and a continuous **Reflexive Audit**, the EPF ensures that the authenticity of a social phenomenon is validated through the consistency of its digital performance across multiple platforms and nodes.

In summary, the future of qualitative research in a transborder world lies in our ability to embrace **De-territorialized Inquiry**. As we move forward, the "field" must be understood as an emergent property of human and algorithmic agency—a flow that we do not merely "visit," but one that we ethically inhabit. This study offers not just a new methodology, but a new ontological stance: one that recognizes that in a world without borders, the most profound insights are discovered not by "being there" physically, but by "**thinking through**" the complex, networked architectures of human experience.

❖ **Glossary of Key Methodological Concepts**

This glossary provides concise definitions for the specialized terminology used in the **Ethical Presence Framework (EPF)** and the **Geography of Cognitive Immersion**.

Term	Concise Explanation
Cognitive Immersion	A state where the researcher’s authority is derived from deep mental and symbolic engagement with digital data, rather than physical presence in a location.
Relational Flow	The view that the "field" is not a static place, but a dynamic stream of interactions, data movements, and connections between human and non-human actors.
Algorithmic Agency	The capacity of software, code, and algorithms to act as "gatekeepers" that shape, filter, and influence the social reality and data visibility in digital fields.
De-territorialization	The process by which social activities and research fields are detached from fixed geographical locations or national borders.
Epistemological Critique	A philosophical examination of the origins and limits of knowledge; in this study, it questions why "being physically there" is considered the only source of truth.
Contextual Integrity	An ethical principle suggesting that privacy is defined by the norms of a specific social context; data is private if its use violates the users' expectations within that flow.
Interactional Velocity	A metric used to define field boundaries based on the frequency, speed, and intensity of social exchanges rather than physical distance.
Digital	The methodological ability to follow the

Traceability	"breadcrumbs" or digital footprints left by actors across multiple platforms to reconstruct a social phenomenon.
Technological Affordance	The specific functions and properties of a digital platform (e.g., "likes," "hashtags," "encryption") that determine how people can interact within it.
Topological Inquiry	A research approach that focuses on the <i>patterns of connectivity</i> and relationships between nodes, rather than the physical area those nodes occupy.

List of References

1. Pink, S., Horst, H., Postill, J., Hjorth, L., Lewis, T., & Tacchi, J. (2016). *Digital Ethnography: Principles and Practice*. SAGE.
2. Lupton, D. (2015). *Digital Sociology*. Routledge.
3. Hine, C. (2015). *Ethnography for the Internet: Embedded, Embodied and Everyday*. Bloomsbury Academic.
4. Kozinets, R. V. (2020). *Netnography: The Essential Guide to Qualitative Social Media Research*. SAGE.
5. الزهراني، سعد (2021) التحول نحو الإثنوغرافيا الرقمية في الدراسات الاجتماعية. *المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية*.
6. Markham, A. N. (2017). "Ethnography in the Digital Era." In *The SAGE Handbook of Qualitative Research*. SAGE.
7. Kozinets, R. V. (2020). *Netnography: The Essential Guide to Qualitative Social Media Research*. SAGE.
8. Lupton, D. (2015). *Digital Sociology*. Routledge.
9. Ess, C. (2020). *Digital Media Ethics*. Polity Press.
10. Townsend, L., & Wallace, C. (2016). *University of Aberdeen Social Media Research Ethical Guide*. University of Aberdeen.
11. Fiesler, C., & Proferes, N. (2018). "Participant Perceptions of Twitter Research Ethics." *Social Media + Society*.

العينة في البحث السوسيولوجي مع أمثلة توضيحية أ.د. صالح العقون

جامعة الشهيد حمه لخضر. الوادي- الجزائر

salahmam@gmail.com

د. ايمان لغراب

جامعة محمد طاهري - بشار- الجزائر

roymalakloghrab@gmail.com

الملخص:

العينة هي ذلك جزء الصغير من مجتمع أكبر يتم اختياره لغرض دراسته، والمعاينة هي العملية التي يتم بها اختيار هذه العينة، والهدف هو فهم خصائص المجتمع الأكبر من خلال دراسة هذا الجزء الأصغر، مما يوفر الوقت والجهد على الباحث الاجتماعي.

هناك طرق مختلفة لاختبار العينة، منها العشوائية "الاحتمالية" حيث يكون لكل فرد فرصة متساوية او معروفة للاختيار، وهذا يساعد على تقليل التحيز وهناك طرق غير عشوائية "غير احتمالية" تعتمد على سهولة الوصول او حكم الباحث.

و بشكل مبسط العينة هي المجموعة التي ندرسها، والمعاينة هي الطريقة التي نختار بها هذه المجموعة.

الكلمات المفتاحية: العينة، البحث السوسيولوجي.

Summary

A sample is a small part of a larger population chosen for study. Sampling is the process by which this sample is selected. The Objective is to understand the characteristics of the larger population by studying this smaller part, thus saving the social researcher time and effort.

There are different methods for sampling, including random (probability) sampling, where each individual has an equal or known chance of being selected. This helps reduce bias. There are also non-random (non-probability) sampling methods, which rely on accessibility or the researcher's judgment.

Simply put, a sample is the group we are studying, and sampling is the method we use to select this group.

Key word :sample-sociology research.

مقدمة

تعتبر العينة والمعاينة من المفاهيم الأساسية في البحث العلمي، حيث تمكن الباحثين من دراسة مجموعات كبيرة ومعقدة من خلال التركيز على جزء صغير وممثل عنها فالمعاينة هي فن وعلم اختيار مجموعة صغيرة تمثل مجموعة اكبر، حيث انه بدون استخدام العينات، سيكون من المستحيل في كثير من الأحيان جمع البيانات اللازمة لإجراء البحوث في مجالات واسعة مثل العلوم الاجتماعية والطب والتسويق والاحصاء، و ينبغي ان تضمن عملية المعاينة ان النتائج المستخلصة من العينة تعكس خصائص المجتمع الأصلي بشكل دقيق قدر الإمكان مما يجعلها أداة حيوية لاتخاذ القرارات المبنية على البيانات.

ومنه نقول ان العينة هي مجموعة فرعية مختارة من مجتمع أكبر، يتم استخدامها لتمثيل هذا المجتمع في الدراسات والأبحاث.

أما المعاينة فهي العملية المنهجية التي يتم اتباعها لاختيار هذه العينة من المجتمع فالهدف من المعاينة هو الحصول على نتائج دقيقة وموثوقة من العينة، بحيث يمكن تعميمها على المجتمع الكلي الذي تمثله.

1- تعريف العينة:

هي جزء من المجتمع حيث نقوم بدراستها للتعرف على خصائص المجتمع الذي سحبت هذه العينة ولكي تصلح النتائج التي نحصل عليها للتعبير عن المجتمع لابد ان تكون العينة ممثلة للمجتمع. تعرف كذلك بأنها اجراء منهجي يعمل على توفير عدد من الوحدات بكيفيات مختلفة تكون ممثلة للمجتمع الأصلي وبالتالي تنتج هذه العملية ما يسمى بعينة او عينات المجتمع. [مهدي القصاص: 2007، ص78].

يعرفها موريس انجرس بأنها مجموعة فرعية من عناصر مجتمع البحث [موريس انجرس: 2004، ص301]

كما انها ذلك الجزء من المجتمع الذي يجري اختياره فوق قواعد وطرق عملية بحيث تمثل المجتمع تمثيلا صحيحا. [عبد المجيد لطفي: 1976، ص353].

فالعينة هي جزء من المجتمع الأصلي او مجموعة فرعية او جزئية من عناصره له خصائص مشتركة وبها يمكن دراسة الكل بدراسة الجزء. [الخياط: 2009، ص82].

2 - تعريف المعاينة:

هي مجموعة الإجراءات او العمليات التي تسمح بانتقاء مجموعة فرعية من مجتمع البحث بهدف تكوين عينة. [انجرس: 2006، ص301].

يعرفها "معن خليل عمر" بأنها انعكاس شامل لصفات مجتمع الأصل انما بشكل مصغر، وتعني أيضا نسبة ثابتة مأخوذة من مجتمع الأصل، وهذه النسبة تساعد على الوصول الى مجتمع الدراسة. وفي الوقت نفسه تقدم له قواعد للتنبؤ عن مستقبل الظاهرة او المشكلة المدروسة. [قريشي: 2005/2006].

و تضمن هذه المعاينة مجموعة من العمليات التي تهدف الى بناء عينة تمثيلية لمجتمع البحث المستهدف. [انجرس: 2006، ص301].

وعليه وكتعريف اجرائي نقول ان العينة هي ذلك الجزء من المجتمع الكلي الذي يختاره الباحث لغرض تطبيق الدراسة الميدانية عليه باعتباره ممثلا للمجتمع الكلي الذي يتواجد في اطاره. ويشترط في العينة ان تكون ممثلة للمجتمع الأصلي الذي سحبت منه حتى يمكن اعتماد نتائجها في البحث العلمي كما ينبغي ان تكون كافية كذلك .

ونشير الى ان عدد مفردات العينة ليس رقما ثابتا فهو يختلف باختلاف الموضوع المدروس وكذلك باختلاف طبيعة الموضوع ومدى توفر مفردات البحث .

3-أنواع العينات:

العينات في الدراسات البحثية والاحصائية تقسم بشكل أساسي الى فئتين رئيسيتين العينات الاحتمالية "العشوائية" والعينات غير الاحتمالية "غير العشوائية"

1-3- العينات الاحتمالية او العشوائية:

1-1-3- العينة العشوائية البسيطة: تعني ان الباحث يختار عينة الدراسة بحيث تكون الفرصة متساوية لجميع مفردات الدراسة في عملية الاختيار، أي ان تكون ممثلة لمجتمع الدراسة ويتم ذلك من حيث إعطاء كل فرد او وحدة من عينة الدراسة رقما، ومن ثم استخدام قائمة الأرقام الموجودة في معظم كتب الإحصاء لاختيار الافراد او الوحدات، ويمكن ان يتم الاختيار أيضا باستخدام الكمبيوتر او اليانصيب. [الضامن مندر عبد الحميد: 2007، ص 167].

وكمثال عن ذلك لنفترض ان باحثا يريد سحب عينة عشوائية من مجتمع البحث الذي يبلغ 1200 تلميذا من تلاميذ الثانوي وقد حدد حجمها ب120 تلميذا فطريقة السحب هنا تكون بكتابة أسماء كل التلاميذ في قصاصات ورقية ووضعها داخل صندوق ثم يسحب عشوائيا 120 ورقة، كما يمكن كذلك سحب العينة العشوائية باستخدام الجدول العشوائي حيث يرقم الباحث أسماء جميع مفردات مجتمع البحث ثم يذهب الى الجدول العشوائي ويختار عينة بحثه والملاحظ اليوم انه ونتيجة لتطور بعض برامج الكمبيوتر ان يقوم الاختيار عشوائيا للعينة عن طريق الحاسوب.

1-2- العينة المنتظمة: في هذا النوع من العينات يتم حصر عناصر مجتمع الدراسة لأصلي ثم يعطي كل عنصر رقما متسلسلا ثم تقسم عدد عناصر المجتمع الأصلي على عدد افراد العينة المطلوبة فينتج رقما معين هو الفاصل بين كل مفردة يتم اختيارها في العينة والمفردة التي تليها، بعد ذلك يتم اختيار رقم عشوائي ضمن الذي تم حسابه في الخطوة السابقة، ويكون افراد العينة هم أصحاب الأرقام المتسلسلة التي تفصل بين الرقم العشوائي المختار الترتيب الذي يليه.

وكمثال عن ذلك لنفترض ان هناك صفدراسي يوجد به 45 طالبا يمثلون مجتمع الدراسة الأصلي ونريد اختيار عينة عددها 9 طلاب وبأسلوب العينة المنتظمة، وعليه نقوم أولا بقسمة عدد عناصر المجتمع الأصلي 45 على عدد افراد العينة المطلوب 9. فيكون الناتج 5.

بعدها نختار رقما عشوائيا ضمن الأرقام من 1 الى 5 لنفرض اننا اخترنا رقم 3 فيكون هذا الرقم المفردة الأولى ثم نضيف 5 فيصبح الرقم التالي 8 فيكون ذلك هو الرقم المفردة الثانية في العينة ثم يليه الرقم 13 ثم 18 وهكذا. [عبيدات محمد وآخرون: 1999، ص 90].

1-3- العينة الطبقية: يتم اللجوء لهذه الطريقة عندما يكون مجتمع البحث غير متجانس سواء من حيث السن او النوع او المهنة، وهناك لبس في المفاهيم لدى البعض من المهتمين بالدراسات الإحصائية والذين تأثر بهم بعض من المهتمين بطرق البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، فالإحصائيون يتعاملون في بحوثهم مع ارقام، اما الانسانيون فيتعاملون مع البشر، السلوك، والمشاعر، والعواطف والاحاسيس والقيم والنظم. ولذلك نجد ان التقسيم الطبقي الذي يعنيه الاحصائيون ليس هو الذي حددناه في هذه الورقة، وبعد تحديد الباحث عينته الطبقية سواء كانت تناسبية او غير تناسبية فإنه بإمكانه ان يتم اختياراته من الطبقات المستهدفة بالدراسة بطرق الاختيار العشوائي المنتظم او العمدى وذلك بعد تحديد حجم العينة. [عقيل حسين عقيل: 1999، ص 240].

وكمثال عن ذلك باحث يريد اجراء دراسة حول موضوع توجهات أعضاء الجماعة المدرسية نحو التعليم عن بعد ونجد هنا ان عدد أعضاء الجماعة التربوية كبير كما انهم غير متجانسين اذ نجد

فهم الإداريين والأساتذة والتلاميذ وأولياء التلاميذ وعليه نجد ان الباحث هنا يسحب عينة من فئة الإداريين وعينة أخرى من فئة الأساتذة وعينة من فئة التلاميذ وعينة من فئة أولياء التلاميذ ونجد ان العينات الجزئية هذه تشكل العينة الكلية للباحث.

4-1-3- العينة العنقودية:

هي نوع من أنواع العينات الاحتمالية وفيها يلجأ الباحث الى تحديد العينة او اختيارها ضمن مراحل عدة، ففي المرحلة الأولى يتم تقسيم مجتمع الدراسة الأصلي الى شرائح او فئات بحسب معيار معين ومن ثم يتم اختيار شريحة او أكثر بطريقة عشوائية وبالنسبة للشرائح التي لم يقع عليها الاختيار في المرحلة السابقة فإنها تقسم الى شرائح او فئات جزئية أخرى ثم يتم اختيار شريحة او أكثر منها بطريقة عشوائية أيضا وهكذا يستمر الباحث حتى يتم الوصول الى الشريحة النهائية الى يقوم بالاختيار منها وبشكل عشوائي عدد مفردات العينة المطلوبة. [عبيدات محمد وآخرون: 1999، ص 93].

وكمثال عن ذلك لنفترض ان باحثا ما يريد اجراء دراسة عن العوامل المدرسية للتفوق الدراسي بالمرحلة الثانوية وكان عدد التلاميذ كبير جدا اذ يبلغ 50000 تلميذ وعدد المدرس الثانوية في المدينة كذلك كبيرا اذ يبلغ مثلا 120 ثانوية فبدلا هنا من اختيار العينة من التلاميذ وهو امر متعب جدا نتيجة للحجم الكبير يختار عينة من المدارس الثانوية ولتكن مثلا 10 مدارس اذ يقوم بترقيمتها من 1 الى غاية 120 ثم يختار عشوائيا 10 مدارس منها ثم بعد ذلك يختار العينة من العشر مدارس التي اختارها فيكون الامر اسهل عليه وقد يلجأ الباحث الى اختيار كل التلاميذ من المدارس العشر وقد يختار عينة منهم .

2-3 - العينات غير الاحتمالية او غير العشوائية:

2-3-1- العينة العمدية او الغرضية: يمكن الاختيار في هذا النوع من العينات على أساس حر من قبل الباحث، وحسب طبيعة بحثه بحيث يحقق هدف الدراسة المطلوبة مثال ذلك اختيار الطلبة الذين تكون معدلاتهم في الامتحان النهائي جيدة جدا فما فوق فقط لان هدف الدراسة هو معرفة العوامل التي تؤدي الى التفوق عند هذا النوع من الطلبة. [عامر إبراهيم قنديلجي وآخرون: 2008، ص 147].

كما نشير الى ان استخدام العينة العمدية يكون عند صعوبة او استحالة اللجوء الى العينة العشوائية كما يكون كذلك في دراسة بعض المواضيع الخاصة كالعنف مثلا او التسول او التحرش اذ نجد ان الباحث يختار مفردات العينة فيمن تتوفر فيهم هذه الخاصية فقط .

وكمثال أوضح فعند دراسة موضوع ظاهرة التسول وعلاقتها بالظروف الاسرية. فإن الباحث هنا يلجأ الى العينة القصدية او العمدية حيث تكون فقط الأشخاص الذين يمارسون التسول دون سواهم من غيرهم.

2-2-3- العينة الحصصية:

وهي مهمة في استطلاع الرأي العام لأنها تتم بسرعة أكبر و بتكاليف اقل ويتم اختيار العينات من الفئات ذات الخصائص المعينة حسب الحجم العددي للجماعات. والباحث ملزم بتعليمات معطاة مسبقا، وتشبه هذه العملية ما يتم في العينة الطبقية التي سبق ذكرها لكن العينة الطبقية

تفيد الباحث الذي يقوم بالمقابلة بينما يترك الاختيار للباحث في العينة الحصصية كي يحصل على الحصة المطلوبة من كل طبقة او فئة مما يؤدي الى بعض التحيز لاستحالة حسابها رياضيا و لعدم القدرة في حساب عامل الاختبار المسير. [أمين محمد سلام ، 1995 ، ص55
وكمثال عن ذلك باحث يريد اجراء دراسة عن اراء او توجهات أعضاء المجتمع نحو ترشيد الاستهلاك فيختار عينة حصصية حيث يأخذ حصة معينة أي عدد معين من حصة شريحة ارباب البيوت وحصة أخرى من شريحة الموظفين وحصة أخرى من شريحة الطلبة الجامعيين وهكذا تكون لكل شريحة اجتماعية حصة في العينة الكلية .

3-2-3- عينة كرة الثلج:

تقوم هذه الطريقة على اختيار فرد معين وبناءً على ما يقدمه هذا الفرد من معلومات تهم موضوع دراسة الباحث حيث يساعد هذا الشخص الباحث على اختيار الشخص الثاني الذي سيقوم باستكمال المعلومات والمشاهدات المطلوبة لذلك سميت بعينة الكرة الثلجية حيث يعتبر الفرد الأول النقطة التي سيبدأ حولها التكتيف لاكتمال الكرة أي اكتمال العينة. [عوض عدنان: 1994، ص149].
ويشيع استخدام هذا النوع من العينة في دراسة الموضوعات التي تمثل طابو في المجتمع كسلوك المتحرشين مثلا او دراسات حول المدمنين عن المخدرات حيث يكون من الصعب ان لم يكن من المستحيل على الباحث ان يحدد العينة في البداية لتعارض الظاهرة المدروسة مع قيم واعراف وقواعد المجتمع .
وعليه نجد ان الباحث هنا يقابل في البداية واحد من المدمنين والذي يدلله بدوره على مدمن ثان والمدمن الثاني يدلله على مدمن ثالث وهكذا تتزايد هذه العينة شيئا فشيئا وتشبه هذه العينة كرة الثلج اذ انها تبدأ صغيرة لكن خلال تدحرجها يتزايد حجمها شيئا فشيئا .

3-2-4- العينة العرضية:

يتم اللجوء الى هذا الصنف من العينة عندما لايتوفر للباحث أي اختيار لسحب عينة يقوم من خلالها بالقيام بالتحقق من العناصر التي تقع في يده، حيث يلعب هنا عامل الحظ بالمعنى العامي دور هام في الحصول على هذا النوع من العينة. حيث يقوم الباحث باختيار مثلا اشخاص مارين في طريق معين او داخلين الى محل معين ليحقق معهم. ويطرح هذا النوع من العينة بعض الصعوبات تتعلق أساسا بالتمثيلية وعليه بتعميم النتائج. [سعيد سبعون، 2012، ص148]
وكمثال عن ذلك يريد باحث ما دراسة موضوع : توجهات طلبة العلوم الاجتماعية نجو استخدامات الذكاء الاصطناعي في البحوث الاجتماعية. ولنفترض ان عدد طلاب الكلية هنا 3000 طالب اذن وعليه ونظرا لصعوبة تطبيق الدراسة على كل الطلبة او صعوبة استخراج عينة عشوائية اذن فقد يلجأ الباحث الى العينة العرضية اذ بعد تجهيز استمارات بحثه يذهب الى الكلية واي طالب يصادفه يمكنه ان يكون احد مفردات البحث وهكذا يوزع استماراته مع الطلبة الذي قابلهم عرضا أي صدفة حتى يكتمل العدد الذي حدده.

3-2-5- العينة النمطية:

يتم التركيز في هذا الصنف من العينة على بعض الصفات النمطية لمجتمع البحث يوجه على أساسها اختيار عينة الدراسة. فمثلا في دراسة حول تصورات الطلبة للازمة الاقتصادية العالمية

نتوجه الى طلبة العلوم الاقتصادية. ليكونوا عينة دراستنا. انطلاقا من اعتقادنا ان هؤلاء الطلبة لا يهتم اهتمام أكثر من غيرهم بالمسائل المتعلقة بالأزمة الاقتصادية. [سعيد سبعون، 2012، ص 14].
وكمثال ثان عن ذلك باحث يريد اجراء دراسة بعنوان توجهات الأكاديميين نحو معالجة ظاهرة الطلاق في المجتمع فإنه هنا يلجأ في اختيار العينة الى الأكاديميين ذوي الصلة بدراسة الظواهر الاجتماعية كالمختصين في علم الاجتماع مثلا.

3- حجم العينة في البحوث الكيفية:

عرف حجم العينة في البحوث الكيفية جدلا واسعا لدى الباحثين في البحث الاجتماعي ومناهجه، حيث اختلفت الرؤى في تحديد الحجم الأنسب للأفراد اللازمين لتحقيق اهداف هذه البحوث، حيث ذهب كوليز الى ان حجم العينة في البحوث الكيفية لا يجب ان يكون كبيرا جدا بحيث يصعب استخراج بيانات كثيفة وغنية في الوقت نفسه كما لا حظ أيضا ماندلوكسان العينة يجب ان تكون صغيرة جدا بحيث يصعب تحقيق تشبع البيانات او التشبع النظري او التكرار المعلوماتي.
(Anthony J. Onwuegbuzie, Nancy L. Leech (2007)P242)

تعتقد فيوليت الوبيز وديان وايتهيد ان البحوث الكيفية لا تهدف الى انشاء الدلالة الاحصائية للبيانات كما تسعى اليه البحوث الكمية. وهذا يعني ان عدد مفردات العينة في البحوث الكيفية لا يمكن تحديده مسبقا، ففي البحوث الكيفية لا توجد معايير رسمية شاملة لتحديد حجم العينة ومن ثم فليس ثمة قواعد تشير الى حجم العينة صغيرا وكبير بما يكفي للدراسة بشكل اساسي لذا فإن معيار ثراء المعلومات التي يتمجمعها أكثر اهمية بكثير من عدد المشاركين. Violeta Lopez, (Dean Whitehead (January 2013p127)

باختصار، حجم العينة هو موازنة بين الحاجة الى دقة والتمثيل وبين القيود العملية المتاحة. يسعى الباحثون في البحوث الكيفية الى تنوع العينة لمعالجة المفاهيم النظرية الجديدة التي تظهر اثناء تحليل البيانات عندما تصبح البيانات التي يتم جمعها مكررة ولا تظهر اي مشكلات جديدة، يتم تحقيق تشبع البيانات تشبع البيانات ويكون حينها من المناسب التوقف عن جمع البيانات مع حالات جديدة. (Lisa Gibls ; 2007p540)

فالتشبع يعتبر المعيار الاهم في تحديد حجم العينة في البحث الكيفي، فالباحث سيستمر في اخذ المعلومات من المفردات حتى تصبح المعلومات المحصل عليها مكررة وغير جديدة. الى جانب الدراسات فإن هناك عدة عوامل اخرى تتدخل في تحديد حجم العينة مثل طبيعة الجمهور لان اجراء البحوث خاصة منها الميدانية مع جمهور متعلم اسهل في جمع المعلومات من حيث عدم مواجهته لصعوبة مع افراد هذا الجمهور في تحصيل المعلومات وبالتالي يكون الوقت لصالحه في توسيع حجم العينة، اما اذا كان الجمهور المبحوث اميا او خاصا كالأطفال الصغار حيث يصعب التعامل معهم في جمع المعلومات، الشيء الذي يجعل الباحث يأخذ هذا الوضع بعين الاعتبار في تصميم العينة، اي كلما كان الجمهور متعلما بسهل عليه جمع المعلومات ويساعد في توسيع حجم العينة.

1-4- العينة الصدفية [العرضية]:

ينتقي الباحث افراد عينته بمايخدم أهداف دراسته وبناءا على معرفته دون ان يكون هناك شروط غير التي يراها هو مناسبة كم حيث الكفاءة او المؤهل العلمي او الاختصاص او غيرهما، وهذه عينة غير ممثلة لكافة وجهات النظر ولكنها تعتبر أساساً متين للتحليل العلمي ومصدراً للمعلومات ثري للمعلومات التي تشمل قاعدة مناسبة للبحث حول موضوع الدراسة. (خميس محمد عبد الله، 2004، ص 44-45).

ومثال ذلك باحث يريد اجراء دراسة بعنوان اراء الناس في جودة خدمات القطارات المخصصة لنقل الركاب فإنه هنا يذهب الى محطة القطار اين يتواجد الركاب ويبدأ في سؤال من يقابلهم وسميت بالصدفية لان الباحث يسأل من يقابلهم صدفة دون تحديد مسبق.

2-4- عينة التطوع:

تحتاج بعض الدراسات إلى متطوعين لإجراءها مثل التحدث مع البث المباشر حول موضوع محدد، أو إجراء التجارب التربوية أو النفسية، وغالباً لا تمثل هذه العينة المجتمع الدراسي، ولكنها تسهل على الباحث التعاون من قبل أفراد العينة وسرعة الإنجاز. (خميس محمد عبد الله، 2004، ص 44-45).

بمعنى ان هذا النوع من العينة تكون مفرداته اشخاص متطوعين من تلقاء انفسهم للإجابة عن أسئلة الباحث التي يطرحها في موضوعه.

5- اهمية العينة البحثية :

ان المعايينة في حياة الانسان نشاط عادي فكل واحد منها يقوم بهذه العملية يوميا خاصة اثناء اقتنائه لحاجاته المختلفة من اطعمة والبسة وغيرها حيث لا يقدم الشخص على عملية الشراء الا بعد معاينة جزء منها فوق طاوالات الباعة او في واجهات المحلات... الخ. حتى يتأكد من سلامتها الاستعمالية، وتوافقها مع رغبته الشرائية. ومن هنا نرصد عدة مهام لتقنية العينة وهي :

✓ اعتماد طريقة العينة في البحث له دواعي علمية بحثية، لان دراسة جميع مفردات المجتمع في حالات معينة يؤدي بالباحث الى الوقوع في الخطأ، نتيجة تعقد العمليات على هذا المستوى، وضخامة المجهودات اللازمة لذلك .

✓ اعتماد اسلوب العينة في انجاز بعض البحوث يعد امرا لا بد منه من اجل ضمان الدقة المطلوبة في نتائج البحث .

✓ توظيف اساسا في اختيار مفردات مجتمع البحث ذات التمثيل الكبير له .

✓ بناء نماذج مصغرة من المجتمع الكلي بغية الوصول الى نتائج قابلة للتعميم على المجتمع المستخرجة منه .

✓ تسمح بالحصول في حالات كثيرة على المعلومات المطلوبة مع اقتصاد ملموس في الموارد البشرية الاقتصادية وفي الوقت .

✓ عدم الابتعاد عن الواقع المراد معرفته لذلك يلجأ عادة في العلوم الاجتماعية لهذه التقنية وهكذا يمكن الحصول على معلومات دورية، فلو لجأنا الى المسح الشامل لما امكننا الحصول على نفس المعلومات الا بعد سنتين او ثلاث مما يفقدها قيمتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

✓ هي احدى الدعائم الاساسية للبحث الامبريقي. [علي عبد الرزاق، ابراهيم: 2002 ص 43].

6- مميزات اسلوب العينات :

- انخفاض الكلفة حيث يتم اخذ البيانات من جزء من المجتمع ممثلة لها، بحيث تكون النفقات اقل مما لو اخذت نفس البيانات بطريقة الحصر الشامل .
- الدقة: حيث تكون النتائج المتحصل عليها من العينة أكثر دقة مما لو تم الاعتماد على الحصر الشامل وذلك لان الاسلوب الاول يتيح الفرصة لتدريب الباحثين بصورة جيدة على استخدام اسلوب المعاينة أفضل من الحصر الشامل .
- اقتصاد الوقت والجهد البشري على الباحث والتوصل الى النتائج بأسرع وقت ممكن فالمعلوم عن البحث الاجتماعي انه يتطلب وقتاً وجهداً من الباحث او من فريق العمل البحثي والأكيد ان الاعتماد على العينة بدلا للمجتمع الكلي للبحث يقتصد على البحث او فريقه الجهد والوقت.

7- عيوب اسلوب العينات :

- الخطأ في اختيار العينة يؤثر على نتائج البحث. وهذا يعني ان عملية اختيار العينة وتحديد ما من مجتمع البحث يحتاج الى دراية علمية وخبرة بطريقة اختيارها وبمدى تمثيلها للمجتمع المراد دراسته .
- حجم العينة في بعض الاحيان يؤثر على نتائج البحث، اذ نشير هنا الى ضرورة ان يكون حجم العينة متناسبا مع حجم المجتمع المدروس لا نذلك يؤثر لا محالة على نتائج الدراسة فمن غير المقبول مثلا ان نأخذ عينة بحجم 100 مفردة من مجتمع دراسة حجمه الاف المفردات .
- في بعض الاحيان تحدث اخطاء نتيجة ردود فعل العينة التي يقوم الباحث بدراستها وهذا من المشكلات البحثية ذلك ان مفردات البحث الممثلة للعينة التي اختارها الباحث هم بشر إضافة الى ان نسب خطأهم او عدم فهمهم جيدا لأسئلة الباحث قد يؤثر سلبا على البحث العلمي ونتائجه.
- اختيار العينة في بعض الاحيان يؤثر على نتائج البحث .
- اختيار العينة في بعض الاحيان لا يتناسب مع نوعية الدراسة ومستواها وهذا خطأ فادح ومن غير المقبول ان يتم اختيار عينة ما تتعارض مع نوعية الدراسة فالواضح انه لكل دراسة مهما كان موضوعها او نوعها عينات بحثية ثلاثها.

خاتمة:

العينة والمعاينة مفهومان أساسيان في أي دراسة أو بحث، حيث تساعدنا العينة والمعاينة على توفير الوقت والجهد والمال، حيث يصعب أحيانا دراسة كل افراد المجتمع. وعليه فمن خلال اختيار عينة ممثلة يمكننا في كثير من الأحيان إسقاط نتائج الدراسة كالمجتمع. وعليه فمن خلال اختيار عينة ممثلة يمكننا استخلاص نتائج عامة حول المجتمع ككل، مما يفتح الباب أمام فهم أعمق للظواهر واتخاذ قرارات مستنيرة.

من خلال دراسة العينة والمعاينة وأدواتها في إطار البحث العلمي، يمكننا استخدامها وتطبيقها بشكل صحيح وفعال في مختلف المجالات، مما يضمن موثوقية النتائج ويسهم في التحليل.

قائمة المصادر والمراجع:

العربية:

1. أمين محمد سالم المناسية، قواعد البحث العلمي ومناهجه ومصادر الدراسات الإسلامية، مؤسسة رام للتكنولوجيا والكمبيوتر، الأردن، 1995.
2. الخياط ماجد محمود (2009)، أساسيات البحوث الكمية والنوعية في العلوم الاجتماعية، دار الراية للنشر والتوزيع، الأردن.
3. سعيد سبعون، الدليل المنهجي في إعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع، دار القصبة للنشر، ط2، الجزائر، 2012.
4. الضامن منذر عبد الحميد، أساسيات البحث العلمي، دار المسير، عمان، 2007.
5. عامر إبراهيم قنديلجي، ايمان السمرائي، البحث العلمي الكمي والنوعي، دار البازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2008.
6. عبد الله، محمد الشريف، مناهج البحث العلمي، دليل الطالب في كتابة الأبحاث والرسائل العلمية، ط1، الإسكندرية: مكتبة الشعاع، 1996.
7. عبد المجيد لطفي، علم الاجتماع، ط7، القاهرة، دار المعارف، 1976.
8. عبد المؤمن، علي معمر، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية، الأساسيات والتقنيات والأساليب، ط1، القاهرة، مصر: المجموعة العربية للتدريب والنشر، 2008.
9. عبيدات محمد وآخرون، منهجية البحث العلمي، القواعد والمراحل والتطبيقات، دار النشر، عمان، 1999.
10. عقيل حسين عقيل، فلسفة مناهج البحث العلمي، مكتبة مديولي 1999.
11. علي عبد الرزاق ابراهيم عبد الهادي، احمد الجوهري، المدخل الى الناهج وتصميم البحوث الاجتماعية، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2002.
12. عوض عدنان، منهج البحث العلمي، جامعة القدس المفتوحة، عمان، 1994.
13. قريشي عبد الكريم (2006/2005)، محاضرات في منهجية البحث العلمي، مقدمة لطلبة الماجستير علم التدريس، قسم علم النفس وعلوم التربية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر.
14. القصاصمهدي محمد (2007)، مبادئ الإحصاء والقياس الاجتماعي، جامعة المنصورة، مصر.
15. موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، ترجمة بوزيد صحرأوي وآخرون، دار القصبة للنشر، ط2، الجزائر، 2004.

الأجنبية:

1. Anthony J. Onwuegbuzie, Nancy L. Leech (2007) : A number of issues in qualitative researchmaking the sampling process more public, The Qualitative Report, Volume.
2. Violeta Lopez, Dean Whitehead (January 2013): Sampling data and data collection in qualitative research.
3. Lisa Gibls, michelleQeady, qaren Willis, Julie Creen ;nicky welch Jeanne daly what have sampling and data collection got to do with good qualitative research ?Aust N Z J public health. 2007 ; 31-4. doi:10.1111/j.1753-6405.2007.00140.x.

طرائق المعاينة في الدراسات الاجتماعية

د.نعيمة سليمي - أستاذ محاضر ب

جامعة الشيخ العربي التبسي-تبسة- الجزائر

naima.slimi@univ-tebessa.dz

الملخص:

هدفت الدراسة الراهنة إلى محاولة تحديد المفاهيم (المعاينة، العينة، مجتمع البحث، المسح)، ومعرفة أهمية استخدام المعاينة و الشروط الواجب توافرها في العينة، خطوات اختيار العينة، أنواع العينات (الاحتمالية وغير الاحتمالية) وطرق المعاينة وبعد استخدام العينات من الأمور العادية في مجال البحوث و الدراسات العلمية سواءا الطبيعية منها أو الاجتماعية. والعينة هي مجموعة جزئية من الأفراد أو المشاهدات أو الظواهر التي تشكل مجتمع الدراسة الأصلي، فبدلا من إجراء الدراسة على كامل مفردات المجتمع يتم اختيار جزء نم تلك المفردات وفقا لطريقة معينة، وعن طريق دراسة ذلك الجزء من المجتمع، يمكن تعميم النتائج المحصل عليها على المجتمع الأصلي.

الكلمات المفتاحية: المعاينة-العينة-مجتمع البحث.

Abstract:

The current study aims to: identify the concepts (study population, the survey, sampling, sample), and the importance of using the sampling. moreover, it shows the condition that should be exist in the samples (probability and non-probability) and methods of sampling, sampling errors.

The use of samples is something natural in the field of research and scientific studies, both natural and social. The sample is a partial group of individuals, observations or phenomena that make up the original study population. Instead of conducting the study on the entire individuals of the community; a part of theme is selected according to a given way and through the study of that part, the results obtained can be generalized on the original population.

key words: Preview-sample-research community.

مقدمة

تعد ظاهرة "المعاينة" في الدراسات الاجتماعية والثقافية واحدة من أهم الركائز المنهجية التي نقلت البث الاجتماعي من مرحلة التأمل النظري العام إلى مرحلة الضبط الإحصائي والاستقصاء الميداني الرصين. ففي ظل اتساع المجتمعات الحديثة وتداخل وحداتها، أضحي من المستحيل عمليا ومنهجيا إخضاع كافة أفراد المجتمع للدراسة (ما يعرف بالحصر الشامل)، ومن هنا برزت الحاجة إلى "العينة" كنموذج مصغر يختزل خصائص الكل في الجزء. إن اختيار طرائق المعاينة ليس مجرد إجراء تقني بسيط، بل هو قرار استراتيجي يحدد مدى صدق وموثوقية النتائج المتوصل إليها. فالباحث الاجتماعي يقف دائما أمام تحدي "التمثيلية"؛ أي كيف يمكن لمجموعة محدودة من الأفراد أن تعكس بصدق آراء وتوجهات مجتمع بأكمله. وهنا تتدخل قواعد المنهج العلمي لتقدم

خيارات تتراوح بين المعايير الاحتمالية التي تحكمها قوانين الصدفة والرياضيات، وبين المعايير غير الاحتمالية التي تفرضها أحياناً طبيعة الظواهر النوعية أو المجتمعات المغلقة.

الاشكالية

تعتمد دقة الدراسات الاجتماعية وصحتها المنهجية بشكل جوهري على مدى تمثيل البيانات المجمعة للمجتمع الأصلي المراد دراسته. ونظراً للصعوبات اللوجستية، والزمنية، والاقتصادية التي تحول دون إخضاع كافة أفراد المجتمع للبحث، اهتدى علماء الاجتماع ومناهج البحث إلى أسلوب المعاينة؛ وهو الفن المنهجي الذي يسمح باختيار جزء من الكل، شريطة أن يحمل هذا الجزء "الجيئات الخصائص" للمجتمع الأم.. لا تقتصر عملية المعاينة على مجرد اختيار عشوائي للأفراد، بل هي عملية رياضية ومنطقية معقدة تخضع لقواعد صارمة تهدف إلى تقليل خطأ المعاينة وزيادة القابلية لتعميم النتائج. وتتعدد هذه الطرائق تماشياً مع طبيعة الأهداف البحثية؛ حيث نجد المعايير الاحتمالية التي تستند إلى قوانين الاحتمال والصدفة المنظمة لضمان تكافؤ الفرص بين الجميع، والمعايير غير الاحتمالية التي تستخدم في الدراسات الكيفية أو الحالات التي يصعب فيها تحديد إطار المجتمع بدقة. يستعرض هذا المقال الأسس النظرية والتطبيقية لطرائق المعاينة، مسلطاً الضوء على كيفية اختيار النموذج الأمثل لكل سياق بحثي، ومتنولاً المعايير التي تجعل من العينة مرآة صادقة للمجتمع، بما يضمن نزاهة البحث العلمي ومصداقية مخرجاته.

-أساليب جمع البيانات:

1- أسلوب الحصر الشامل: تتحدد ملامح البحث الاجتماعي وجدواه بناء على الاستراتيجية المتبعة في استقاء البيانات من الميدان، حيث يبرز أمام الباحث مساران أساسيان يفرضان نفسيهما تبعاً لطبيعة المجتمع المدروس والإمكانات المتاحة. يتمثل المسار الأول في أسلوب الحصر الشامل، وهو المنهج الذي يقوم على استقصاء كافة الوحدات المكونة للمجتمع الأصلي دون استبعاد أي مفردة. وتتجلى قيمة هذا الأسلوب في قدرته الفائقة على تقديم صورة فوتوغرافية دقيقة للواقع، متجاوزاً بذلك احتمالات الخطأ الإحصائي أو التحيز، مما يجعله الخيار المثالي في التعدادات السكانية الكبرى أو عند دراسة المجتمعات الصغيرة والمغلقة التي تسمح حدودها الجغرافية والبشرية بالإحاطة التامة. ورغم ما يوفره هذا الأسلوب من يقين علمي، إلا أنه يصطدم غالباً بعقبات لوجستية تتمثل في ضخامة التكلفة المادية والزمنية، مما يجعل استخدامه في البحوث الفردية أو الدراسات المستعجلة أمراً بالغ الصعوبة.

2- أسلوب المعاينة: يبرز أسلوب المعاينة كبديل منهجي مرن وفعال، حيث يستعاض الباحث عن دراسة الكل بدراسة نموذج مصغر يعكس في طياته جوهر المجتمع الأم. وتستند فلسفة المعاينة إلى إمكانية استخلاص أحكام عامة وصادقة من خلال فحص جزء من المجتمع، شريطة أن يتم اختيار هذا الجزء وفق أسس علمية تضمن تمثيله لكافة التباينات الموجودة في الأصل. ويمنح هذا

الأسلوب الباحثين قدرة أكبر على التعمق في تحليل المتغيرات نظراً لتركيز الجهد على عدد محدود من المفردات، وهو ما يوفر اقتصاداً ملموساً في الموارد والوقت. إلا أن نجاح هذا المسار يظل رهيناً بمدى دقة الباحث في اختيار نوع العينة المناسب وقدرته على تقليص الفجوة بين نتائج العينة وواقع المجتمع، وهو ما يعرف في الأدبيات المنهجية بمواجهة خطأ المعاينة، لضمان الانتقال الآمن من النتائج الخاصة إلى التعميمات الكلية.

المعاينة كعملية لاختيار العينة: تنتقل عملية البحث من مرحلة التخطيط النظري إلى حيز التنفيذ الإجرائي من خلال عملية المعاينة، وهي العملية الديناميكية التي يتم بموجبها اختيار مجموعة فرعية من الأفراد أو الوحدات من مجتمع الدراسة الأصلي. لا تعد هذه العملية مجرد اختيار عشوائي أو عفوي للمفردات، بل هي "هندسة منهجية" تهدف إلى استخراج نموذج مصغر (العينة) يمتلك القدرة على محاكاة خصائص المجتمع الكلي وتجسيد تبايناته بداخل هذا الحيز الضيق (جلاطو الجبالي، 2007، 22). تتأسس عملية اختيار العينة على منطق التمثيلية الاستدلالية، حيث يسعى الباحث من خلال قواعد اختيار صارمة إلى ضمان أن كل سمة جوهرية في المجتمع الكبير قد وجدت طريقها إلى العينة المختارة. تبدأ هذه العملية بتحديد دقيق للمجتمع المستهدف، يليه وضع "إطار للمعاينة" يضم كافة الوحدات المتاحة، وصولاً إلى تحديد الحجم الأمثل للعينة الذي يوازن بين اعتبارات الدقة الإحصائية وبين الإمكانيات المتاحة. إن جوهر نجاح هذه العملية يكمن في قدرة الباحث على تحديد نواذعه الشخصية، والاعتماد على طرائق اختيار موضوعية تحي النتائج من الانحياز، مما يجعل من العينة "مرآة عاكسة" تسمح بتعميم النتائج المستخلصة منها على المجتمع الأم بيقين علمي مبني على حسابات الاحتمالات ومنطق البحث السوسيولوجي. (أحمد بدر، 1996، 12)

مجتمع البحث والعينة: يستوجب الضبط المنهجي في الدراسات الاجتماعية التمييز الدقيق بين مفهومين متداخلين يمثلان طرفي العلاقة في الاستدلال العلمي، وهما مجتمع البحث والعينة. فالمجتمع البحثي (Population) يمثل المدى الكلي أو "المجموعة الأم" التي تشمل كافة المفردات أو الأفراد الذين تجمعهم خصائص محددة يسعى الباحث لدراستها؛ فهو يمثل الحيز الشامل الذي تقع ضمنه الظاهرة المدروسة، سواء كان هذا المجتمع بشرياً كأفراد مجتمع معين، أو مؤسساتياً، أو حتى مادة وثائقية. وبناء على ذلك فإن المجتمع هو المستهدف النهائي من النتائج، والوعاء الذي يسعى الباحث في نهاية المطاف إلى فهم تفاعلاته وتعميم الأحكام عليه.

في المقابل، تظهر العينة (Sample) كجزء مستقطع ومختار بعناية من هذا المجتمع الكلي، فهي تمثل الوحدة الإجرائية التي تخضع فعلياً للقياس والملاحظة وجمع البيانات. ولا تكتسب العينة شرعيتها العلمية من حجمها فحسب، بل من مدى قدرتها على أن تكون نموذجاً ميكروسكوبياً يختزل كافة تباينات واتجاهات المجتمع الأصلي. فالعلاقة بينهما هي علاقة الجزء بالكل؛ حيث تعمل العينة كقاعدة انطلاق معرفية، بينما يظل المجتمع هو أفق التعميم. والفرق الجوهري هنا يكمن في أن المجتمع هو "الهدف" الذي قد يصعب حصره مادياً، بينما العينة هي "الوسيلة" التقنية التي تتيح للباحث الوصول إلى حقائق ذلك المجتمع بأقل جهد وتكلفة ممكنين، مع الالتزام بشرط

التمائل بين خصائص العينة المختارة وخصائص المجتمع المسحوبة منه لضمان سلامة الاستدلال العلمي. (أحمد بدر، 1996، 18).

-مجتمع البحث: إن الظاهرة التي يأخذها الباحث بالدراسة تعلمنا إلى حد ما على من ستمت الدراسة تلك: هل هم أشخاص؟ أم هي أشياء؟ فعلى سبيل المثال، لو كان البحث يهتم بأحد ضروب السلوك الانحرافية-السرقية أو إدمان المخدرات -فهنأ يمكن أن تتجه الدراسة إلى التحقيق مع الأشخاص الذين يتميزون بضروب السلوك تلك، في مقابل ذلك، إذا كانت الدراسة تريد معرفة خصائص قيم ما في إنتاج أدبي أو فني ما، فإن التحقق يتم على دعائم أدبية وفنية. و عليه يمكن القول إن التحقق يتم على ذلك العالم (univers) الذي يضم الذي يضم الأشخاص أو الأشياء الذين والتي تمسهم و تمسها الظاهرة محل الدراسة، أي كل الأشخاص الذين ينضون تحت الظاهرة محل الدراسة و كل الأشياء التي تغطيها هذه الظاهرة. فإن عدنا إلى المثال الذي وضعنا، فيتعلق الأمر بكل الأشخاص الذين يتميزون بضروب سلوك انحرافي (الذي هو محل الدراسة)، و كل الإنتاج الأدبي أو الفني الذي نجد خصائص قيم معينة. يمكن القول إذن إن التحقق على عالم (البحث) هكذا إذا عندما يختار الباحث ظاهرة ما للدراسة، فإنه باختيارها هذا. و يمكن إعطاء تعريفاً آخر لمجتمع البحث مع مورييس أنجريس بأنه "مجموعة عناصر لها خاصية أو عدة خصائص مشتركة تميزها عن غيرها من العناصر الأخرى و التي يجري عليها البحث أو التقصي (ربعي، عثمان، 2000، 18)". يتكون مجتمع البحث أو عالم البحث أو المجتمع الأم الذي يحدد أساسها بالظاهرة محل الدراسة من وحدات أو عناصر تجمع بينها صفات أو خصائص معينة، و يمكن أن يتم التحقق أو اختيار الفرضيات عليها.

فإن أراد الباحث دراسة كيف ينظر الطالب الجامعي الجزائري إلى التغيرات السياسية التي عرفتها بعض بلدان العالم العربي، فإن مجتمع البحث هو كل الطلبة الجامعيين الجزائريين. و كذلك عندما نريد دراسة موقف المتعاقدين الجزائريين فيما يخص المعاشات فيتعلق الأمر بكل المتعاقدين في الجزائر من قرارات الحكومة الجزائرية كعالم البحث أو مجتمع البحث. لقد عرفنا من الظاهرة محل الدراسة كيف نتوجه نحو مجتمع البحث. إن مجتمع البحث أو عالم البحث يتميز ببعض الخصائص أهمها: جلاطو الجيلالي، 2007، 31)

تتميز العناصر أو الوحدات المكونة لعالم أو مجتمع البحث بعددها المرتفع على العموم، و هي عبارة عن وحدات إحصائية بالتالي حسابها، مع الإشارة إلى أن "عدد عناصر مجتمع بحث معين يشكل عددها الإجمالي. هكذا نحسب مجتمع البحث بقولنا إن عدده الإجمالي يتكون من كذا عنصر (رجاء دويدري، 2000، 24). فمثلاً نستطيع أن نقول إنه إذا كان عالم أو مجتمع البحث هو الطلبة الجامعيين فإن عددهم الإجمالي (ن) طالب.

يحمل كل عنصر أو كل وحدة من مجتمع البحث صفة تشترك فيها مع الوحدات الأخرى يمكن أن يعرف أو يحدد بها هذا المجتمع و ذلك حتى يكون البحث مقبولا وقابلا للإنجاز: "لكي يكون البحث مقبولا و قابلا للإنجاز لا بد من تعريف مجتمع البحث الذي نريد فحصه، و ان نوضح المقاييس المستعملة من أجل حصر هذا المجتمع (رشيد زرواتي، 2007، 17)

العينة، المعاينة -تحديد المصطلحات -

- 1- **العينة** : هي تلك المجموعة من العناصر أو الوحدات التي يتم استخراجها من مجتمع البحث و يجري عليها الاختبار أو التحقق. على اعتبار أن الباحث لا يستطيع موضوعيا التحقق من كل مجتمع البحث نظرا الى الخصائص التي يتميز بها هذا المجتمع ، وعليه يمكن القول إن العينة هي "مجموعة فرعية من عناصر مجتمع بحث معين(سلي طابع،47).
- 2- **المعاينة:Echantillinnage**: هي ذلك الإجراء العملي الذي يسمح باستخراج تلك المجموعة الفرعية من المجموع الكلي أي استخراج العينة من مجتمع البحث : "مجموعة من العمليات تسمح بانتقاء مجموعة فرعية من مجتمع البحث بهدف تكوين عينة(سعيد صيني،25،1414) هكذا، يصل الباحث إلى استخراج مجموعة فرعية من الكل، أي استخراج عينة من المجتمع الكلي أو مجتمع البحث، عمليا عن طريق إجراء المعاينة. المعاينة هي الوسيلة العملية التي تسمح بالحصول على العينة. (زياد الطوسي،22،2001). إن عملية القيام بالمعاينة لاستخراج عينة يجري عليها الاختبار تخضع إلى شروط و مقاييس محددة ، وهي باختصار متعلقة بالتمثيلية و التعميم:
- أ- **التمثيلية**: هو مصطلح محوري في المعاينة ، بحيث لا بد أن تكون العينة المستخرجة تعكس بصفة ودية مجتمع البحث الذي أخذت منه ، و هذا يعني ان هذه العينة المستخرجة هي ممثلة لهذا المجتمع : "إن المبدأ الأساسي الذي تقوم عليه التمثيلية ، هو أن الجزء يمكن أن يكون الكل... (سهيل ذياب،19،2003). معنى ذلك أن العينة المستخرجة لا بد أن توجد فيها نفس المميزات و الخصائص و الصفات التي توجد في مجتمع البحث: "تسمى العينة تمثيلية لها تشابه العناصر التي تتكون منها مع العناصر الأخرى لمجتمع البحث(عبد الحميد البلداوي،74،2007) أو هي "ميزة عينة يتم إعدادها بطريقة تنطوي على نفس خصائص مجتمع البحث الذي أخذت منه (عبد الحميد عدس،12،1992). و يمكن أن نصل إلى هذه التمثيلية عمليا بالإجابة عن هذا السؤال: كيف تكون العينة ممثلة ؟ "مبدئيا تكون العينة ممثلة، إذا كانت الوحدات التي تكونها تم اختيارها بطريقة تجعل كل عناصر مجتمع البحث لها نفس الاحتمال للظهور في العينة(عبد الرشيد حافظ،14،2012).
- ب- **التعميم**: يرتبط هذا الشرط ارتباطا وثيقا بالشرط الأول ، إذ لا يمكن أن نصل إلى تعميم النتائج المحصل عليها من الجزء على الكل ، إن لم يكن هذا الجزء ممثل للكل ، " إذا كانت العينة ممثلة (طريقة الاختيار دقيقة ، و حجم كاف) ، يمكن لنا أن نعتقد أن المعلومات المحصل عليها من هذه العينة لا تبتعد أو تنحرف بتاتا عن معلومات المجتمع الأصلي ، و إلا فلا يمكن تعميم النتائج التي تخص العينة ذاتها فقط"(عبد الغني عماد،23،2002). ونعني بالتعميم إسقاط النتائج المحصل عليها من العينة على مجتمع البحث: "إن ما نحصل عليه من معلومات من العينة ، يجب علينا أن نستطيع تعميمه على جميع مجتمع البحث (عقيل حسين،27،1999).

وهذا ما يجعل إمكانية التعميم و ضرورة مسألة حاسمة في النتائج المحصل عليها مع عينة الدراسة ،و لن يأتي ذلك إلا من خلال ضبط مسألة التمثيلية ضبطاً جيداً: "افهم إذن -على اعتبار أن العينة يمكن أن تكون أي مجموعة فرعية من مجتمع البحث - إن المسألة الحاسمة تتعلق بمعرفة هل النتائج المتوصل إليها يمكن أن تمتد شرعياً إلى كل مجتمع البحث . وحتى حتى يكون التعميم ممكناً ،و مقبولا ،أي تكون نفس خصائص مجتمع البحث موجودة في العينة(علي عبد المومن، 2008، 33).

ودون الغوص في هذه النقطة التي طالما تم طرورها في علم الاجتماع مع مكانة الإحصائيات في علم الاجتماع بين مدافع و معارض نقول أن الباحث المبتدأ خاصة ملزم بمعرفة أبجديات المعاينة و العينة ليتمكن في الماضي قدما في مسعى البحث و اختبار فرضياته لأنه مهما كان الأمر ، "فيبدو جليا انه في ميدان المعاينة ، كما في أي ميدان آخر ، إن البحث عن الكمال المنهجي ، عادة ما يمثل كبح للبحث منه محرك فعلي له و من الأفضل القيام ببحث بأداة لا تصل إلى الكمال ... عوض عدم القيام ببحث على الإطلاق بحجة أننا لم نثر على الأداة الكاملة (غريب أحمد، 1997، 19).

- أخطاء المعاينة: على الرغم من الدقة المنهجية التي قد يتبعها الباحث في اختيار عينته، إلا أن الانتقال من دراسة الكل إلى دراسة الجزء يظل محفوفاً باحتمالات التباين بين نتائج العينة وواقع المجتمع الأصلي، وهو ما يُعرف في الأدبيات المنهجية بأخطاء المعاينة. وتنقسم هذه الأخطاء بشكل أساسي إلى نوعين يختلفان في مصدرهما وطرق معالجهما:

1- النوع الأول هو "خطأ المعاينة العشوائي": أو خطأ الصدفة، وهو نتاج طبيعي لعدم دراسة كافة أفراد المجتمع، حيث تظل هناك دائماً فجوة احتمالية مهما كانت العينة ممثلة، وهذا النوع من الأخطاء يمكن تقديره إحصائياً والتحكم فيه عبر زيادة حجم العينة، فكلما اتسع حجم العينة تناقصت فجوة الخطأ واقتربت النتائج من الدقة المطلقة.

2- أما النوع الثاني والأكثر خطورة فهو "خطأ التحيز (Bias Error)" ، وهو خطأ لا يعود لصدفة الاختيار بل لخلل في الإجراءات المنهجية التي اتبعها الباحث. ويحدث هذا التحيز عندما يميل الباحث -بقصد أو دون قصد- إلى اختيار أفراد يمتلكون خصائص معينة لا تعكس تنوع المجتمع الحقيقي، أو بسبب اعتماد "إطار معاينة" ناقص وغير محدث يغفل فئات هامة من المجتمع. كما يندرج تحت هذا النوع أخطاء عدم الاستجابة، حيث يمتنع جزء من العينة عن المشاركة، مما يؤدي إلى تشويه البيانات النهائية. وخلافاً لخطأ الصدفة، فإن أخطاء التحيز لا تعالج بزيادة حجم العينة، بل تتطلب مراجعة نقدية صارمة لأسلوب الاختيار وأدوات جمع البيانات لضمان نزاهة البحث العلمي وقابلية نتائجه للتعميم.

- الإجراءات العملية لاستخراج العينة أو طرق المعاينة: هناك إجراءات يتم استعمالهما في المعاينة للحصول على عينات ممثلة و هما الإجراء الاحتمالي و الإجراء غير الاحتمالي . مع الإشارة إلى

وجود تحديدات أخرى لهذين الإجراءين. فبالنسبة إلى الإجراء الاحتمالي فنجد كذلك عبارات العشوائية و الصدفة. في حين نجد بالنسبة إلى الإجراء غير الاحتمالي عبارات الموجه القصدي.

هكذا تكون الحظوظ متساوية بالنسبة إلى كل وحدة أو عنصر من مجتمع البحث ليكون ضمن العينة التي سيتم استخراجها وهذا يعني أنه لا يوجد أي محدد مسبقاً يعطي لعنصر معين فرص الظهور في العينة أكثر من العناصر والوحدات الأخرى وأن الصدفة هي التي جعلت هذا العنصر أو ذاك يظهر في العينة: "تشارك هذه العينات في لجوئها إلى عامل الصدفة في تعيين العناصر التي سيتم التحقق عليها، لكن الصدفة لا تعني "كيفما جاء"، أو "حسب المزاج"... بل تعني الصدفة تلك الحالة التي يكون فيها لكل عناصر مجتمع البحث احتمال معروف و غير معدوم الانتماء إلى العينة (فايز النجار، 2009، 32). و حتى يتم هذا الإجراء و يتحقق ، لابد من توفر شرط أساسي ، يتمثل في ضرورة وجود قائمة مستفيضة لوحدات مجتمع البحث تسمى بـ "قاعدة السبر" : "بالفعل ، فإن أول شرط أن تكون هناك قائمة مستفيضة لعناصر المجتمع الذي نريد دراسته ، و هذا ما نسميه بقاعدة السبر (فضيل وآخرون، 1999، 28). يحتاج الباحث إلى قائمة تشمل كل وحدات مجتمع البحث ، حيث يمكن القيام بسحب عشوائي للعناصر التي ستكون العينة : "في كل الحالات ، نحتاج ، للقيام بسحب عشوائي ، إلى قاعدة السبر ، أي قائمة تحتوي على كل عناصر مجتمع البحث من دون أن يحذف أي واحد منها أو يتم تكراره (محمد عباس، 2007، 56). تتشكل خارطة العينات في البحوث الاجتماعية وفقاً للمعيار الذي يتبعه الباحث في اختيار أفرادها، حيث تنقسم بشكل جذري إلى صنفين رئيسيين يختلفان في الفلسفة المنهجية وفي القدرة على تعميم النتائج:

أولاً العينات الاحتمالية (Probabilistic Samples) : تقوم هذه العينات على مبدأ "تكافؤ الفرص"، حيث يكون لكل مفردة في المجتمع الأصلي فرصة معروفة ومحددة سلفاً للظهور في العينة، مما يتيح للباحث استخدام القوانين الإحصائية لتعميم النتائج. فاطمة صابر، 2002، 14).

1- العينة العشوائية: يتميز هذا الصنف من العينات بنوع من السهولة في استخراجها ، حيث "نسحب مباشرة من قاعدة السبر العناصر التي تشكل العينة العشوائية البسيطة بإعطاء لكل فرد فرصة متساوية للظهور في العينة (محمّد عبيدات، 1999، 44) . و علينا أن نحدد هنا معنى عبارة بسيطة حيث أن "مصطلح بسيط يعني أن السحب سيتم بطريقة مباشرة على أساس قاعدة مجتمع البحث" 1. أو على أساس قاعدة السبر . ويبقى المشكل أحياناً في قاعدة السبر ذاتها: "إن المشكل التقني الوحيد... يتمثل في وضع القائمة و إعطائها أرقاماً (مندر الضامن، 2007، 63).

إن السهولة في الإجراء في حد ذاته تكون مضمونة عندما تتوفر الشروط الجيدة لقاعدة السبر: "ولما ننتهي من وضع قاعدة السبر ، نقوم بتقييم العناصر من 1 إلى ن ، ثم نقوم بسحب عدد معين من الأرقام ، و هذا العدد من الأرقام التي تم سحبها يمثل العينة".

2- العينة المنتظمة: يتم السحب في هذا النوع من العينة الاحتمالية على أرقام ، حيث يتم سحب عشوائياً سحب رقماً معيناً من مدى منتظم ، إلى أن نصل إلى العدد المطلوب

للعيينة، و يتميز ببساطته أساسا ، ويتم اللجوء إليه خاصة إذا كانت وحدات أو عناصر مجتمع البحث كبيرة . إن المدى المنتظم هو الشرط الأساسي في سحب هذا النوع من العينة وهو علاقة تجمع بين حجم مجتمع البحث و حجم العينة : "تتكون العينة من أفراد يتم سحبهم على مدى ثابت ، و يتم سحب العنصر الأول عشوائيا فقط . هذا المدى عبارة عن العلاقة بين حجم مجتمع البحث و حجم العينة ، أي عكس معدل السبر . ولنوضح الفكرة نعطي المثالي الآتي :

لنفرض أننا نريد سحب عينة منتظمة مكونة من 200 أستاذ في الطب من مجتمع بحث يضم 4000 أستاذ في الطب. يمكننا أن نسحب المدى الثابت أو المنتظم من خلال قسمة 4000 على 20 نحصل على 20. ، المدى الثابت أو المنتظم هو 20.

نختار بعد ذلك رقما عشوائيا من 1 إلى 20 ، وليكن 15. طبعا يمكننا عمليا أن نجري السحب بإحضار 200 علبة أو أي شيء آخر نضع فيها أوراقا صغيرة تحمل أرقاما تبدأ من 1 إلى 20 في العلبة الأولى التي سحبنا منها الرقم 15 . ثم نذهب إلى العلبة الثانية التي تحمل الأرقام من 21 إلى 40 ، والثالثة من 41 إلى 60 وهكذا دواليك إلى أن نصل إلى آخر علبة تحمل رقم 3981 إلى 4000 حيث نضيف في كل مرة 15 إلى آخر عدد يحدد المدى.

مثلا: 15، 15+20، 15+40، 15+60، 15+80، 15+100، 15+120، إلى غاية 15 + 3980 . هكذا نحصل على عينة تحتوي 200 أستاذ في الطب.

3- **العينة الطبقية:** في هذا الصنف من العينات الاحتمالية يتم تقسيم مجتمع البحث إلى مجموعات فرعية متجانسة أو منسجمة على أساس خصائص معينة ، تسمى طبقة (Strate) ثم نسحب عشوائيا عينة من كل طبقة ، على أن تكون عينة الدراسة ، حاصل جمع عينات الطبقات: "تتمثل في تقسيم مجتمع البحث الذي نريد دراسته إلى مجتمعات بحث فرعية تسمى بالطبقات ، ثم نسحب عشوائيا عينة من كل طبقة ، ويمثل مجموع العينات التي تم اختبارها هكذا العينة النهائية التي ستخضع للتحليل مع الإشارة إلى تقسيم مجتمع البحث إلى طبقات يكون على أساس أهداف الدراسة سيما على أساس ما نريده من فرضيات البحث ، بحيث تساعدنا متغيرات الفرضيات و بناءها على إنشاء هذه الطبقات. مثلا : دراسة حول الخصائص السوسيولوجية للجزائريين الذين قضوا عطلة الصيف خارج الوطن في الفترة جويلية – أوت 2011 . فيمكن ان نقسم مجتمع البحث هذا الى طبقات على أساس خصائص : الجنس، السن، المستوى التعليمي الدخل الشهري، الحالة العائلية، الخ. ستحمل عينة الدراسة إذن كل هذه الخصائص .

4- **العينة العنقودية:** تكمن ميزتها الأساسية في كون أن سحبها يمر "بائنين أو أكثر من العمليات المتتالية ، أي هي نتاج لعدة مرات من السحب العشوائي المتتالية و المحددة طبعا بأهداف البحث لمجموعات من الوحدات أو العناصر ، إذ لا يكون قاعدة السبر هنا قائمة على وحدة أو عنصر واحد بل على مجموعة من العناصر لأن هذا الصنف من العينة " يتطلب معرفة محدودة نسبيا بمجتمع البحث الكلي : وعليه ليست هناك حاجة لوجود قائمة شاملة للأفراد المكونين لهذا المجتمع. أو قائمة اسمية لهم ، أي قاعدة سبر .

فمثلا دراسة حول العائلات في الجزائر و أنماط الاستهلاك . يمكننا أن نختار ولايات من البلاد كعنقود أول ثم نختار من هذه الولايات مدن ، كوحدات عنقودية ثانوية ثم نسحب عشوائيا مرة أخرى بعض الأحياء من كل مدينة ، لنسحب مرة ثالثة من الوحدة العنقودية للآباء ، من كل حي مجموعة من العائلات التي سنحقق عليها.

ثانيا العينات غير الاحتمالية (Non-Probabilistic Samples) :في هذا الصنف، لا تتدخل قوانين الصدفة في الاختيار، بل يعتمد الباحث على معايير ذاتية أو تقديرية تفرضها طبيعة البحث، وغالباً ما تُستخدم في الدراسات الاستكشافية أو الكيفية حيث يصعب حصر المجتمع. إن المبدأ الذي يركز عليه هذا الإجراء غير الاحتمالي هو أن اختيار الوحدات التي سوف تمثل العينة هو اختيار موجه أو مقصود، وليس هناك صدفة أو احتمال متساو لكل العناصر للظهور في العينة ، بل يعرف الباحث إلى حد من هذه العناصر التي سيتم اختيارها في العينة.

1- العينة بالحصص او الحصصية: تقوم على مبدأ نقل نفس توزيعات أو نسب خصوصيات مجتمع البحث على العينة، وهذه الخصوصيات يكون اختيارها على أساس أهداف البحث ، أي على أساس ما نريد التحقق منه من الفرضيات .في هذا الإطار يجب أن تكون هذه الصفات أو الخصوصيات التي نختارها في العينة قابلة للملاحظة في وحدات مجتمع البحث، كما يتعين على الباحث كذلك أن يعرف توزيعها ونسبها في مجتمع مجتمع البحث هذا: "تعتمد المعاينة الحصصية على بعض مميزات مجتمع البحث التي نسعى لإعادة إنتاجها في صورة نسب في العينة . إن استعمالها يتطلب منا إذن امتلاك بعض المعطيات الرقمية حول مجتمع البحث. فمثلا إذا اخترنا خاصية أو صفة الجنس لإظهارها في العينة ، فلا بد أن نعرف توزيع هذه الخاصية او نسبها في مجتمع البحث الذي أخذت منه العينة . فإذا كانت نسبة الإناث في مجتمع البحث تقدر بـ 55% من مجموع الوحدات ونسبة الذكور تقدر بـ 45% من مجموع هذه الوحدات ، ففي العينة المختارة على أساس خاصية الجنس، فلا بد أن تحتوي على 55% و 45% من الذكور ، أي أن حصة الإناث في العينة هي 55% ، في حين أن حصة الذكور تقدر بـ 45% . وحتى نوضح الأمور جيدا ، نعطي المثال الآتي:

بحث سوسيولوجي حول الطموح المهني لدى الأجراء في المؤسسة الاقتصادية الجزائرية. اجبر ، و نلجأ الى استخراج عينة حسب الفئة المهنية ، لان فرضية الدراسة تريد ان نضع علاقة الطموح المهني و الفئة المهنية.

تم تحديد عدد أفراد العينة بـ 120 فرد:

نأتي إلى تحديد مؤشرات الفئة المهنية بهذه المؤسسة و هي : إطار سام ، إطار متوسط ، عمال تنفيذ.

بعد ذلك نحاول تحديد نسب كل من إطار سامي، إطار متوسط ، عمال تنفيذ ، حيث كانت تلك المؤسسة تضم 50 إطار سام ، 200 إطار متوسط 950 إطار عامل تنفيذ . وللحصول على نسبهم المئوية. نلجأ إلى عملية حسابية بسيطة و هي طريقة القاعدة الثلاثية البسيطة.

"فبالنسبة إلى إطار سام :لدينا:

$$\% 4.17 = \frac{100 \times 50}{1200} = 1 \text{ س } \begin{cases} 100 \leftarrow 1200 \\ 50 \leftarrow 1 \text{ س}_1 \end{cases}$$

بالنسبة إلى إطار متوسط: لدينا:

$$\% 16.67 = \frac{100 \times 200}{1200} = 1 \text{ س } \begin{cases} 100 \leftarrow 1200 \\ 200 \leftarrow 2 \text{ س}_2 \end{cases}$$

بالنسبة إلى إطار عامل تنفيذي: لدينا:

$$\% 79.16 = \frac{100 \times 50}{1200} = 1 \text{ س } \begin{cases} 100 \leftarrow 1200 \\ 950 \leftarrow 3 \text{ س}_3 \end{cases}$$

على العينة إذا تحتوي على 4.17 % إطار سام، 16.67 % إطار متوسط، 79.16 % إطار عامل تنفيذي.

تسمح لنا هذه النسب بأن نعرف كم نأخذ من إطار سام و إطار متوسط و إطار عامل تنفيذي في عينتنا التي تتكون من 120 فرد.

و يمكن أن نحصل على عدد أفراد العينة الذين يمثلون الفئات المهنية داخل المؤسسة من النسب الممثلة للعينة على النحو التالي بالنسبة لإطار سامي :

$$\% 5.004 = \frac{4.17 \times 120}{100} = 1 \text{ ع } \begin{cases} 100 \leftarrow 120 \\ 4.17 \leftarrow 1 \text{ ع}_1 \end{cases}$$

بالنسبة لإطار متوسط:

$$\% 20.004 = \frac{16.67 \times 120}{100} = 2 \text{ ع } \begin{cases} 100 \leftarrow 120 \\ 16.67 \leftarrow 2 \text{ ع}_2 \end{cases}$$

بالنسبة لعامل تنفيذي :

$$\% 94.992 = \frac{79.16 \times 120}{100} = 2 \text{ ع } \begin{cases} 100 \leftarrow 120 \\ 79.16 \leftarrow 3 \text{ ع}_3 \end{cases}$$

تضم العينة في هذا المثال إذن : 5- إطارات سامية، 20 إطار متوسط، و 95 عامل تنفيذي.

2- العينة العرضية: يتم اللجوء إلى هذا الصنف من العينة عندما لا يتوفر للباحث أي

اختيار لحسب عينة إلا القيام بالتحقق على العناصر التي "تقع في يده" حيث يلعب هنا عامل الحظ بالمعنى العام دور هام في الحصول على هذا النوع من العينة، حيث يقوم العامل باختيار مثلاً أشخاص مارين في طريق معين أو داخلين إلى محل معين ليحقق معهم. يطرح هذا النوع من العينة بعض الصعوبات تتعلق أساساً بالتمثيلية و عليه بتعميم النتائج .

- عينة المتطوعين : حيث يقوم الباحث بالاتصال بأفراد معينين يقبلون أن يجري عليهم الاختبار. ويبدو أن هذا الصنف من العينة يتعلق ببعض الظواهر التي لا يبدو من السهل من الوهلة الأولى الخوض فيها أو القيام بتجارب حولها مثل المسائل المتعلقة بالممارسات الجنسية أو تجارب طبية علاجية معينة: "عادة ما يتم استعمال عينات مكونة من متطوعين في علم النفس، و في البحث

الطبي ، وفي العلوم الاجتماعية التطبيقية ، أي في كل من الحالات التي يبدو فيها من الصعب مسائلة أشخاص حول مواضيع تعتبر لأسباب ثقافية تابوهات (ممارسات جنسية مثلا) أو تفرض عليهم تجربة (دواء ، علاج) قد تركز فيها آلام محرجة أو حتى خطيرة ...و مثلما يشير إلى ذلك اسمها ، فإن هذه التقنية تتمثل في الاتصال بمتطوعين ليكونوا عينة . و يطرح هذا الصنف من العينة مسألة تمثيلية العينة و الطابع الهش لإمكانية تعميم النتائج المحصل عليها .

- **العينة النمطية :** يتم التركيز في هذه العينة على بعض الصفات النمطية لمجتمع البحث يوجه على أساسها اختيار عينة الدراسة. فمثلا في دراسة حول تصورات الطلبة للضرورة الاقتصادية العالمية ، نتوجه إلى طلبة العلوم الاقتصادية ليكونوا عينة دراستنا ، انطلاقا من اعتقادنا أن هؤلاء الطلبة لديهم اهتمام أكثر من غيرهم بالمسائل المتعلقة بالضرورة الاقتصادية .

3- **العينة التراكمية أو عينة الكرة الثلجية:** و يتم الحصول على هذا الصنف من العينة عندما يطلب الباحث من شخص أو عدة أشخاص أن يدلوه أو يرشدوه نحو أشخاص آخرين من معارفهم و يملكون نفس المميزات و الخصائص التي عندهم و التي على أساسها اختارهم الباحث لينتموا إلى العينة : "إن عينة الكرة الثلجية هي عينة تتمثل في إضافة نواة من الأفراد ...كل أولئك الذين هم في علاقة ...بهم ، وهكذا دواليك". ويتم اللجوء إلى هذا الصنف خاصة عندما لا تكون لدى الباحث معرفة كافية بالوسط الذي يريد دراسته ، أي أن هذا الوسط لا يقدم وضوحا اجتماعيا ما ، فمثلا عندما يريد الباحث دراسة ما يعرف "بالحرقة" حيث يمكن للباحث الذي يتمكن من العثور على واحد منهم أن يصل إلى آخرين مثله لأن عادة ما يلجأ الفرد "الحرق" إلى "الحرقة" مع آخرين.

خاتمة:

تأسيسا على ما تم بسطه في هذا المقال ، يخلص الباحث إلى أن عملية المعاينة في الدراسات الاجتماعية تمثل الجسر الرابط بين النظرية السوسولوجية والواقع الميداني ، وهي ليست مجرد إجراء تقني بسيط ، بل هي هندسة منهجية متكاملة تتطلب دقة عالية في اختيار النموذج الذي يختزل خصائص المجتمع الأم. إن المفاضلة بين أسلوب الحصر الشامل وأسلوب المعاينة ، ثم الانتقال لتحديد نوع العينة سواء كانت احتمالية ترتكز على مبادئ تكافؤ الفرص والتعميم الإحصائي ، أو غير احتمالية تستجيب لمتطلبات الفهم النوعي والعميق ، تعكس في جوهرها مدى نضج الباحث وقدرته على مواءمة أدواته مع طبيعة الظاهرة المدروسة. و تظل القيمة العلمية لأي دراسة اجتماعية مرتبطة ارتباطا وثيقا بمدى نزاهة الباحث في التعامل مع أخطاء المعاينة ، وقدرته على تقليص الفجوة بين البيانات المجمعة وبين الواقع الفعلي للمجتمع. فالعبرة في البحث العلمي لا تكمن في ضخامة حجم البيانات ، بل في مدى صدق تمثيلها للواقع وقدرتها على الصمود أمام النقد المنهجي. إن إتقان فنون المعاينة يمنح الدراسات الاجتماعية صفتها العلمية ، ويحولها من مجرد ملاحظات عابرة إلى حقائق استدلالية تساهم في بناء المعرفة الإنسانية وتفسير تعقيدات الحياة الاجتماعية بأسلوب يتسم بالموضوعية والموثوقية ، مما يجعل من اختيار العينة حجر الزاوية في بناء أي مشروع بحثي يسعى للرصانة والتميز.

قائمة المراجع:

1. أحمد بدر، أصول البحث العلمي و مناهجه ، ط9 ، (القاهرة ، المكتبة الاكاديمية 1996).
2. جلاطوجيالي، الاحصاء مع تمارين و مسائل محلولة ، ط7 (الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون ، 2007).
3. ربحي مطصفي عليان ، عثمان محمد غنيم ، مناهج و اساليب البحث العلمي (النظرية و التطبيق) ، ط1 (عمان ، دار صفاء للنشر و التوزيع ، 2000).
4. رجاء وحيد دويدري ، البحث العلمي.(أساسياته النظرية و ممارسته العلمية) ، ط1 ، (دمشق ، جار الفكر ، 2000).
5. رشيد زرواتي ، مناهج وادوات البحث العلمي في العلوم الاجتماعية ، ط1 ، (الجزائر، دار الهدى عين مليلة ، 2007).
6. زياد احمد الطويسي ، مجتمع الدراسة و العينات ، (مديرية تربية لواء البتواء، 2001/2000).
7. سلمي طابع، مناهج البحث و كتابة المشروع المقترح للبحث، (مشروع الطريق الودية الى التعليم العالي)، (القاهرة ، مركز تطوير الدراسات العليا و البحوث، دون تاريخ نشر).
8. سعيد اسماعيل صبيحي، قواعد أساسية في البحث العلمي، (المدينة المنورة ، 1414 هـ).
9. سهيل رزق ذياب ، مناهج البحث العلمي ، (فلسطين، غزة ، 2003).
10. عبد الحميد عبد المجيد البلداوي، أساليب البحث العلمي و التحليل الاحصائي، (التخطيط للبحث و جمع و تحليل البيانات يدويا و باستخدام برنامج SPSS) ، ط1 ، الاصدار3، (عمان ، دار الشروق للنشر و التوزيع، 2007).
11. عبد الحميد عدس وآخرون ، البحث العلمي (مفهومه و ادواته و أساليبه)، (عمان ، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع ، 1992).
12. عبد الرشيد بن عبد العزيز حافظ، أساسيات البحث العلمي، ط1، (جدة، مركز النشر العالمي، مطابع جامعة الملك عبد العزيز ، 2012).
13. عبد الغني عماد ، البحث الاجتماعي (منهجيته ، مراحل، تقنياته) ط1، (لبنان: منشورات جزروس برس ، 2002).
14. عقيل حسين عقيل، فلسفة مناهج البحث العلمي ، (مكتبة مدبولي 1999).
15. علي معمّر عبد المؤمن مناهج البحث في العلوم الاجتماعية (الأساسيات و التقنيات و الأساليب) ط1، (ليبيا: منشورات جامعة 7 أكتوبر ، 2008).
16. غريب سيد احمد، تصميم و تنفيذ البحث الاجتماعي ، (الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية ، 1997).
17. فاطمة عوض صابر ، ميرقت على خفاجة ، أسس و مبادئ البحث العلمي، ط1 ، (الاسكندرية، الاسكندرية، مكتبة و مطبعة الاشعاع الفنية 2002).
18. فايز جمعة صالح النجار و آخرون ، أساليب البحث العلمي (منظور تطبيقي)، (عمان: دار الحامد للنشر و التوزيع، 2009).
19. فضيل دليو و آخرون ، أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية (الجزائر: دار البعث قسنطينة، 1999).
20. محمد خليل عباس و آخرون ، مدخل الى مناج البحث في التربية و علم النفس ، ط1 ، (عمان: دار المسيرة للنشر و التوزيع ، 2007).
21. محمد عبيدات و آخرون ، منهجية البحث العلمي (القواعد و المراحل و التطبيقات)، ط2 (الأردن، دار وائل للطباعة و النشر، 1999).
22. مندر عبد الحميد الضامن ، أساسيات البحث العلمي ، ط1، (عمان، دار المسيرة للنشر و التوزيع والطباعة ، 2007).

الاستبيان بين النظرية والميدان

د. زموري زينب

جامعة ورقلة - الجزائر

ملخص :

يعالج هذا المقال الاستبيان بوصفه الأداة المركزية في البحث السوسيولوجي، لا باعتباره تقنية جاهزة لجمع المعطيات فحسب، فهو بناء نظري ومنهجي وميداني، حيث يتطلب الانطلاق من الإشكالية والفرضيات، وتحويل المفاهيم إلى مؤشرات وأسئلة قابلة للتحليل. كما يوضح المقال شروط صياغة الأسئلة، وضبط المتغيرات، واختيار نمط التطبيق بالإضافة إلى أهمية الاختبار القبلي والتدريب والتميز والتنظيف، مع إبراز حدود الاستبيان ومشكلاته الميدانية، ليصل في خلاصته إلى أن جودة الاستبيان ترتبط بقدرته على الربط بين النظرية والممارسة وبين دقة القياس وحساسية الواقع الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: الاستبيان، البحث السوسيولوجي، الأجرة، القياس الاجتماعي، الصدق والثبات.

Abstract

This article examines the questionnaire as a central instrument in sociological research, not merely as a ready-made technique for data collection, but as a theoretical, methodological, and field-based construct. It requires starting from the research problem and hypotheses and transforming concepts into measurable indicators and analyzable questions. The article further discusses the conditions for question formulation, variable specification, and the selection of an appropriate mode of administration, while emphasizing the importance of pretesting, researcher training, coding, and data cleaning. It also highlights the limitations of questionnaires and the challenges associated with their field implementation. The study concludes that the quality of a questionnaire depends on its ability to bridge theory and practice, as well as to reconcile measurement accuracy with the sensitivity and complexity of social reality.

Keywords: Questionnaire- Sociological Research- Operationalization - Social Measurement- Validity And Reliability

مقدمة

يعتبر الاستبيان من بين الأدوات المركزية ومهمة في البحث السوسيولوجي، فمن خلاله يتم جمع معطيات منظمة حول الآراء والاتجاهات والسلوكيات والخصائص الاجتماعية لفئات واسعة متنوعة من المبحوثين. وتتمثل أهميته في كونه أداة بسيطة أو جاهزة للاستعمال المباشر لكن هو في الحقيقة عبارة عن بناء نظري ومنهجي وميداني معقد، فهو يبدأ من الإشكالية والفرضيات والمفاهيم حيث يتم تحويل هذه المفاهيم إلى مؤشرات وأسئلة، منها إلى بيانات قابلة للتحليل والتفسير. لذلك فإن الاستبيان يقع في صميم العلاقة بين النظرية والممارسة: فالنظرية تمنحه المعنى، والمنهج يمنحه البناء، والميدان يختبر صلاحيتها

وانطلاقاً من الأدبيات المنهجية، يُعرّف الاستبيان بأنه وسيلة منظمة لجمع معطيات تخص الأفراد حول أوضاعهم وآرائهم وسلوكياتهم، أو حول جماعات ومؤسسات اجتماعية ينتمون إليها، مثل الأسرة أو المدرسة، ويتم ذلك بطرح الأسئلة نفسها على جميع المبحوثين وبالطريقة نفسها، مع اعتماد نظام موحد في ترميز الإجابات، حتى تُفسّر اختلافات الإجابات بوصفها ناتجة عن اختلاف المبحوثين لا عن اختلاف طريقة طرح السؤال (Siniscalco & Auriat, p: 3). وفي المقابل، لا يُنظر إلى الاستبيان سوسيولوجياً بوصفه تقنية محايدة لجمع المعلومات فقط، بل بوصفه علاقة اجتماعية بين الباحث والمبحوث، تتأثر بدرجة الثقة، وبطريقة صياغة السؤال، وبالسباق الذي تتم فيه الإجابة؛ لذلك فإن ما يقدمه المبحوث من أجوبة يرتبط بشروط التواصل بينه وبين الباحث (Ranganathan & Caduff, 2023 p:152).

وانطلاقاً من هذا الطرح يتمحور المقال حول الإجابة على التساؤل التالي: كيف ينتقل الاستبيان في البحث السوسيولوجي من كونه وثيقة أسئلة إلى أداة علمية لبناء المعرفة الاجتماعية؟ وما العوامل التي تتحكم في صلاحيته النظرية والمنهجية والميدانية؟ حيث تكمن الإجابة من خلال ثلاثة محاور رئيسية: الإطار النظري للاستبيان، والبناء المنهجي له، ثم تطبيقه في الميدان.

أولاً: الإطار النظري للاستبيان

1. الاستبيان بوصفه أداة لانتاج المعرفة الاجتماعية:

إن الاستبيان لا يبدأ من لحظة توزيع الورقة أو نشر الرابط الإلكتروني للمبحوثين، بل يبدأ من سؤال علمي هو التساؤل الرئيس للبحث. فالباحث لا يجمع البيانات لمجرد الجمع، ولا يطرح الأسئلة لأن الموضوع يثير اهتمامه فقط، بل ينطلق من مشكلة بحثية يريد فهمها أو تفسيرها أو اختبار علاقة معينة بين متغيراتها. ولهذا فإن أول شرط في بناء الاستبيان هو تحديد الإشكالية: ما الظاهرة التي نريد دراستها؟ لماذا تستحق الدراسة؟ ما المفاهيم التي تتكون منها؟ ما المتغيرات التي تتدخل فيها؟ وما نوع البيانات التي نحتاج إليها للإجابة عن سؤال البحث؟

فإذا كان موضوع الدراسة، مثلاً، هو «علاقة استعمال شبكات التواصل الاجتماعي بالمشاركة السياسية لدى الطلبة»، فلا يكفي أن يسأل الباحث: «هل تستعمل مواقع التواصل الاجتماعي؟» لأن هذا السؤال لا يفسر شيئاً تقريباً. بل يجب أولاً تحديد المقصود بالاستعمال من خلال مجموعة الأسئلة المتعلقة بطبيعة هذا الاستعمال وتعمل على تفكيكه مثل: هل يتعلق الأمر بعدد الساعات؟ نوع المنصة؟ طبيعة المحتوى؟ التفاعل بالنشر أم الاكتفاء بالمشاهدة؟ وهل يتعلق الأمر باستعمال ترفيهي أم معرفي أم سياسي؟ أيضاً يجب تحديد المقصود بالمشاركة السياسية: هل هي التصويت، متابعة الأخبار، الانخراط في حزب، مناقشة القضايا العامة، المشاركة في حملات رقمية، أو التوقيع على عرائض؟ ومن هنا يظهر أن الاستبيان لا يسبق النظرية، بل يأتي بعدها بوصفه ترجمة ميدانية لها.

أما من الناحية النظرية، أو ما يسمى بالمقاربة النظرية، فتتمثل وظيفتها في تحديد الزاوية التي يختار الباحث أن يرى الظاهرة من خلالها. فإذا اعتمد الباحث نظرية الرأسمال الاجتماعي، فقد يفترض أن كثافة العلاقات الاجتماعية والثقة المتبادلة تزيد المشاركة المدنية والسياسية. أما إذا

اعتمد مقارنة التنشئة السياسية، فقد يركز على أثر الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام. وإذا انطلق من نظرية اللامساواة، فقد يبحث في أثر الطبقة الاجتماعية والمستوى التعليمي والدخل والمجال الجغرافي في فرص المشاركة. ومن هنا فإن الاستبيان لا يكون محايداً تماماً، لأنه يعكس دائماً تصوراً نظرياً يحدد ما يسأل عنه الباحث وما لا يسأل عنه.

وفي هذا السياق تظهر أهمية «الانتقاء النظري للواقع» في بناء الاستبيان؛ أي إن كل استبيان يختار جزءاً من الواقع الاجتماعي ويترك أجزاء أخرى. فعلى سبيل المثال، حين يختار الباحث قياس المشاركة السياسية من خلال التصويت فقط، فإنه يستبعد أشكالاً أخرى من المشاركة مثل النقاش الرقمي أو الاحتجاج أو المقاطعة أو النشاط الجماعي. وعندما يقيس الفقر من خلال الدخل فقط، فقد يهمل أبعاداً مثل السكن والصحة والتعليم والشعور بالإقصاء. لذلك فإن الاستبيان ليس مرآة كاملة للواقع، بل أداة منظمة لرؤية الواقع وفق زاوية محددة مسبقاً. (كيفي، وآخرون، د.ت، ص: 136)

ترى الأدبيات الحديثة أن الاستبيان لا يصلح لكل الأسئلة البحثية؛ فبعض الظواهر تحتاج إلى مقابلات معمقة أو ملاحظة مباشرة أو تحليل وثائق، خاصة عندما يكون الهدف فهم المعاني الذاتية أو التفاعلات اليومية الدقيقة. لذلك، لكل طريقة بحثية حدودها؛ فالاستبيان لا يقدم إلا نوعاً معيناً من الأدلة الإمبريقية أو الميدانية، مما يفرض على الباحث أن يسأل نفسه منذ البداية: هل الاستبيان هو الأداة الأنسب لهذا الموضوع؟ فإذا أراد الباحث فهم تجربة التمييز داخل مؤسسة عمل، يكون الاستبيان مناسباً لقياس انتشار الشعور بالتمييز بين العاملين، لكنه غير كاف لفهم تفاصيل التجربة وآليات إنتاجها ومعانيها الذاتية؛ وهنا يكون الجمع بين الاستبيان والمقابلة أكثر فاعلية. (Ranganathan & Caduff, 2023 p:153).

الاستبيان بين القياس الاجتماعي والواقع المركب

يقوم الاستبيان على فكرة القياس الاجتماعي؛ أي تحويل الظواهر، من أفعال وسلوكيات اجتماعية، إلى معطيات منظمة قابلة للتصنيف والمقارنة والتحليل، غير أن القياس في العلوم الاجتماعية يختلف عن القياس في العلوم الطبيعية بسبب خصوصية موضوعه، أي الإنسان بما يحمله من ذاكرة وتمثيلات ومصالح ومخاوف وتوقعات، فالمبحوث لا يقدم دائماً «الحقيقة» كما هي، بل يقدم ما يفهمه من السؤال، وما يتذكره، وما يرغب في التصريح به، وما يعتقد أنه مقبول اجتماعياً، لذلك ينبغي أن يدرك الباحث أن الاستبيان لا يقيس الواقع مباشرة، بل يقيس تصريحات المبحوثين وتمثيلاتهم حول الواقع، فعندما يسأل الباحث: «هل تقرأ كثيراً؟» فهو لا يقيس فعل القراءة بدقة، بل يفتح المجال لتأويلات مختلفة، فقد تعني «كثيراً» قراءة كتاب أسبوعياً عند شخص، وقراءة منشورات قصيرة يومياً عند آخر، أما إذا سأل: «خلال الأيام السبعة الماضية، كم ساعة تقريباً قضيتها في قراءة كتب أو مقالات دراسية أو ثقافية؟» فإن السؤال يصبح أكثر تحديداً من حيث الزمن والمضمون، وكلما زاد التحديد قلّ الغموض وارتفعت جودة الإجابة. (كما يشير دليل مراكز السيطرة على الأمراض والوقاية منها إلى أن «كل قياس بواسطة الاستبيان يتضمن غالباً عنصراً من خطأ القياس»، وأن مصادر الخطأ تشمل مشكلات تصميم الأسئلة، وأخطاء المبحوثين، وأخطاء الباحثين الميدانيين، وأخطاء الترميز والمعالجة.) (McDonald

16-7: et al, 2003). وعليه فإن مهمة الباحث ليست إلغاء الخطأ نهائياً، لأن ذلك يبدو مستحيلاً، بل تقليله إلى أدنى حد ممكن من خلال صياغة دقيقة، وتطبيق موحد، واختبار قبلي، وترميز منظم.

وتتمثل خطورة خطأ القياس في أنه قد يؤدي إلى بناء استنتاجات غير صحيحة، فإذا كان السؤال غامضاً أو موجهاً أو حساساً بطريقة غير مناسبة، فإن البيانات الناتجة عنه قد تبدو رقمية ومنظمة، لكنها لا تعبر عن الظاهرة المدروسة (Brancato et al., 2006, pp: 11-1). فالأرقام لا تكون علمية بمجرد كونها أرقاماً بل تكون علمية عندما تكون نتيجة عن أسئلة صادقة وموضوعية ومنهج مضبوط، وعليه فانه لا يجب على الباحث أن ينخدع بالشكل الكمي للاستبيان لأن القيمة العلمية للنتائج مرتبطة بجودة الأداة التي أنتجتها.

ومن بين الأمثلة الواضحة للحالة السابقة هو سؤال الدخل، فلو سأل الباحث: «هل دخلك جيد؟» فهو يترك التقدير للمبحوث، وقد يرى شخص أن دخله جيد لأنه يغطي الضروريات، بينما يرى آخر أن الدخل نفسه ضعيف لأنه يقارنه بمستوى معيشة أعلى. أما إذا سأل: «ما متوسط الدخل الشهري للأسرة؟» ثم قدم فئات محددة، فانه يقترب أكثر من القياس الدقيق (FAO, 2020PP:5-9)، وعلى الرغم من هذا التغيير قد يظل السؤال حساساً، وهناك احتمالية لرفضه من طرف بعض المبحوثين والحل هنا هو استعمال مؤشرات بديلة مثل نوع السكن، عدد الغرف، ملكية بعض الأجهزة، أو مستوى تعليم الوالدين، بحسب طبيعة الدراسة. (Siniscalco & Auriat, 2005, pp: 40-4).

3. من المفهوم إلى المؤشر: الإجراءية بوصفها قلب الاستبيان:

تُعد الأجراء أهم عملية نظرية في بناء الاستبيان، وتعني تحويل المفاهيم المجردة إلى مؤشرات قابلة للملاحظة والقياس (Brancato et al, 2006, pp. 15-16) فمفهوم «الاندماج الاجتماعي» مثلاً لا يمكن قياسه بسؤال مباشر مثل: «هل أنت مندمج اجتماعياً؟» لأن المبحوث قد لا يفهم المفهوم، أو قد يفهمه بطريقة تختلف عن فهم الباحث. نفسه (بوترعة، 2018، ص: 291)، لهذا يجب تفكيكه إلى أبعاد من بينها: الاندماج الأسري، الاندماج المهني، الاندماج الجماعي، الشعور بالانتماء، الثقة في المحيط الاجتماعي، والمشاركة في الحياة المحلية، ثم بعد ذلك تتحول هذه الأبعاد إلى مؤشرات، مثل عدد العلاقات الاجتماعية الداعمة، المشاركة في أنشطة الحي، الانتماء إلى جمعية، الشعور بالأمان، أو تكرار التواصل مع الأسرة. (سيدي صالح، 2022، ص: 138-139)

وبناءً على ما توصلت إليه الأدبيات الأوروبية في تصميم الاستبيانات، فإن بناء الأداة لا يبدأ بصياغة الأسئلة مباشرة، بل بتحديد الإطار المفاهيمي وتشغيل المفاهيم، لأن المفاهيم النظرية تحتاج إلى اختيار دقيق لسمات إمبيريقية أو مؤشرات قابلة للملاحظة في المسح، ومن هذا المنطلق يجب أن يكون كل سؤال في الاستبيان مرتبطاً بمؤشر، وكل مؤشر مرتبطاً ببعد، وكل بعد عائداً إلى مفهوم داخل الإطار النظري للبحث. (Brancato & al., 2006, p: 16)

مثال ذلك مفهوم «الرأسمال الثقافي». لا يمكن أن نسأل المبحوث: «هل تمتلك رأسمالاً ثقافياً؟» لأن هذا سؤال أكاديمي ومبهم، لكن بالمقابل يمكن تحويل المفهوم إلى أسئلة تفكيكية مثل: ما المستوى التعليمي للأب؟ ما المستوى التعليمي للأم؟ كم كتاباً تقريباً يوجد في البيت؟ هل تزور المكتبة؟ هل تشارك في أنشطة ثقافية؟ هل يساعدك أحد أفراد الأسرة في الدراسة؟ هل تناقش

قضايا ثقافية أو اجتماعية داخل البيت؟ (بوترعة، 2018، ص: 291) فمن خلال هذه الأسئلة، يصبح المفهوم النظري قابلاً للقياس الميداني، دون أن يفرض الباحث لغته النظرية على المبحوث. إن تحديد المفاهيم، وصياغة التعاريف الإجرائية، وتحديد المؤشرات، خطوات أساسية قبل بناء أسئلة الاستبيان، وهي كلها مرتبطة بفرضيات البحث، فكل مؤشر يمكن أن يؤدي إلى سؤال أو أكثر، وكل جزء من وثيقة الاستبيان ينبغي أن يقابل مفهوماً أو متغيراً داخل الفرضية لذلك فإن الاستبيان الجيد ليس هو الأطول أو الأكثر تفصيلاً بصورة عشوائية، بل هو الأكثر ارتباطاً بمفاهيم البحث وفرضياته (سيدي صالح، 2022، صص: 138-139)، ويمكن أن نسوق مثلاً آخر هو مفهوم «الثقة المؤسسية»، فهذا المفهوم لا ينبغي قياسه بسؤال عام مثل: «هل تثق في المؤسسات؟» لأن المؤسسات متعددة، والثقة فيها قد تختلف من مؤسسة إلى أخرى. لذلك يمكن تفكيكه إلى مؤشرات مثل: الثقة في المدرسة، والثقة في الجامعة، والثقة في البلدية، والثقة في القضاء، والثقة في وسائل الإعلام، والثقة في الجمعيات. (Brancato et al, 2006, p:121)، ثم يُسأل المبحوث عن درجة ثقته في كل مؤسسة عبر سلم محدد، وبذلك يصبح القياس أكثر تفصيلاً ويتيح المقارنة بين أنماط الثقة المختلفة (بوترعة، 2018، ص: 293).

4. العلاقة بين الفرضيات والمتغيرات والأسئلة

ينبغي أن تكون الأسئلة امتداداً مباشراً لفرضيات البحث، والفرضية ليست عبارة نظرية معزولة، بل هي تصور لعلاقة بين متغيرين أو أكثر، ويجب أن تتحول هذه العلاقة إلى بيانات يمكن اختبارها (Siniscalco & Auriat, 2005, pp: 5-7) فإذا صاغ الباحث فرضية تقول: «كلما ارتفع المستوى التعليمي للأسرة زادت المشاركة الثقافية لدى الأبناء»، فعليه أن يقيس المستوى التعليمي للأسرة من جهة، ويقيس المشاركة الثقافية لدى الأبناء من جهة أخرى. أما إذا لم يدرج أسئلة حول تعليم الوالدين أو المشاركة الثقافية، فلن يكون قادراً على اختبار فرضيته.

ويتطلب ذلك أن يضع الباحث خريطة تربط بين الفرضيات والمتغيرات والمؤشرات والأسئلة (سيدي صالح، 2022، صص: 137-138) فمثلاً، المتغير «المشاركة الثقافية» يمكن قياسه عبر مؤشرات مثل حضور الندوات، زيارة المعارض، قراءة الكتب، مشاهدة البرامج الوثائقية، أو المشاركة في النوادي الثقافية. وكل مؤشر من هذه المؤشرات يتحول إلى سؤال أو مجموعة أسئلة. هذه الخريطة تمنع التشتت، وتجعل كل سؤال يؤدي وظيفة محددة داخل البحث.

ومن الأخطاء الشائعة أن يضيف الباحث أسئلة لأنها «مهمة» أو «مفيدة» دون أن تكون مرتبطة مباشرة بالإشكالية أو الفرضيات. وهذا يؤدي إلى استبيان طويل وممل، ويزيد عبء الإجابة على المبحوث، وقد يضعف جودة البيانات. (McDonald & al, 2003, P:13)، لذلك فإن الاقتصاد في الأسئلة ليس اختصاراً سطحياً، بل هو شرط منهجي، فكل سؤال يجب أن يبرر وجوده داخل الأداة.

كما أن الربط بين الفرضية والسؤال يضمن وحدة البحث، فإذا كانت الفرضية تتعلق بعلاقة البطالة بالشعور بالإقصاء الاجتماعي، فلا يكفي قياس الوضع المهني فقط، بل ينبغي قياس مؤشرات الإقصاء مثل ضعف المشاركة الاجتماعية، الشعور بعدم التقدير، تراجع العلاقات، ضعف الثقة في المستقبل، أو الإحساس بعدم العدالة. أما إذا اكتفى الباحث بسؤال: «هل أنت

عاطل عن العمل؟» فلن يستطيع تحليل البعد السوسيولوجي للبطالة. (Siniscalco & Auriat, 2005, pp: 6-8)

5. حدود الاستبيان في البحث السوسيولوجي

رغم أهمية الاستبيان، ينبغي الاعتراف بحدوده فهو قوي في قياس التوزيعات والاتجاهات والعلاقات بين المتغيرات، لكنه أقل قدرة على التقاط المعاني العميقة والتجارب الفردية المعقد، (Ranganathan & Caduff, 2023, pp: 152-153)، فإذا أراد الباحث معرفة نسبة الشباب الذين يثقون في المؤسسات، فالاستبيان مناسب، أما إذا أراد فهم كيف تشكلت هذه الثقة أو لماذا انهارت، فقد يحتاج إلى مقابلات أو مجموعات نقاش (Brancato & al, 2006, p. 19)، وتوضح أن الاستبيانات «مفيدة في جمع كميات كبيرة من البيانات بسرعة وتكلفة منخفضة، وتسمح بالمقارنة بين المجموعات والمواقع»، لكنها لا تلتقط إلا المعلومات التي تسمح بها العلاقة المنظمة بين الباحث والمبحوث وما يكون المبحوث مستعداً لتقديمه (Ranganathan & Caduff, 2023, p: 153) لذلك لا يجب أن يتحول الاستبيان إلى أداة مهيمنة تُفرض على كل موضوع، بل ينبغي أن يلاءم طبيعة السؤال البحثي. وتكون هذه الحدود بارزة في القضايا التي لها علاقة بالهوية أو الدين أو السياسة أو العلاقات الأسرية أو العنف، ففي هذه المجالات لا تكون الإجابة هي مجرد نقل للمعلومة، بل قد تكون مرتبطة بالذات وما تحمله من معاني ومشاعر كالخوف أو الحرج أو الرغبة في الظهور بصورة معينة، لذلك فإن الباحث يمكنه استخدام الاستبيان في قياس الانتشار العام للظاهرة، لكنه قد يحتاج إلى أدوات كيفية مثل المقابلة لفهم المعاني والسياقات. (Brancato & al, 2006, p:17)

ثانياً: البناء المنهجي للاستبيان

1. مراجعة الأدبيات وتحديد أهداف الدراسة

البناء المنهجي هو المرحلة التي يتحول فيها التصور النظري إلى أداة قابلة للتطبيق، وتبدأ هذه المرحلة بمراجعة الأدبيات والدراسات السابقة؛ لأن الباحث لا يبدأ عمله من فراغ، بل يستفيد من الدراسات السابقة في معرفة كيفية معالجة الموضوع، والمؤشرات التي استُعملت، والأسئلة التي أثبتت فعاليتها، والأخطاء التي ينبغي تجنبها. كما يمكن أن يستفيد من مقاييس موجودة أصلاً، أو يعدلها وفق السياق الاجتماعي والثقافي للدراسة (Brancato & al, 2006, p: 14). وتوصي أدلة تصميم الاستبيان بضرورة مراجعة الأدبيات، والتحقق من وجود مسوح سابقة، وتحليل تقارير الاختبار الخاصة بدراسات مشابهة لتجنب تكرار المشكلات نفسها (FAQ, 2020, p:7)، فعلى سبيل المثال، إذا كان الباحث يدرس الرضا المهني، يمكنه الاطلاع على مقاييس الرضا المعروفة، لكنه لا ينقلها حرفياً دائماً، بل يكييفها بما يتلاءم مع متغيرات موضوعه، مثل طبيعة المؤسسة، ولغة العاملين، وسياق العمل المحلي. (Siniscalco & Auriat, 2005, pp: 72-73)

بعد مراجعة الأدبيات أو الدراسات السابقة، تأتي هنا مرحلة تحديد الأهداف والتي لا يجب أن تكون عامة مثل: «دراسة الشباب والبطالة»، بل يجب تحويلها إلى أهداف دقيقة، مثل قياس مدة البطالة، معرفة طرق البحث عن العمل، تحليل أثر المستوى التعليمي في فرص التشغيل، واستكشاف علاقة البطالة بالشعور بالإقصاء أو فقدان الثقة في المستقبل، هذه الأهداف تتحول

لاحقاً إلى محاور داخل الاستبيان وهي: البيانات الشخصية، المسار التعليمي، الخبرة المهنية، البحث عن العمل، الدعم الأسري، التمثلات، والطموحات (غرابية وآخرون، 1977، ص: 45) وتكمن أهمية تحديد الأهداف في أنها تحمي الباحث من تضخم الأداة. فغياب الهدف الواضح يؤدي غالباً إلى إضافة أسئلة كثيرة لا تخدم التحليل، بينما تجعل الأهداف المحددة كل محور وكل سؤال مرتبطاً بوظيفة معرفية واضحة، وبذلك يصبح الاستبيان أداة مركزة، لا وثيقة مثقلة بأسئلة عامة. (FAO, 2020, pp: 5-6)

في هذه المرحلة يمكن للباحث أن يبيّن ما يسمى «جدول المواصفات المنهجية»، بحيث كل هدف مرتبط بمحور، وكل محور بمتغيرات، وكل متغير بمؤشرات، وكل مؤشر بسؤال أو أكثر، إن هذا الجدول يساعد على اكتشاف الثغرات والنقائص قبل النزول إلى الميدان، فإذا وجد الباحث هدفاً لا تقابله أسئلة، فهذا يعني أن الاستبيان لن يجيب عنه وإذا وجد أسئلة لا تقابل أي هدف، فهذا يعني أنها زائدة ويجب حذفها أو إعادة تحريرها. (سبدي صالح، 2022، صص. 137-139).

2. تحديد المتغيرات وبناء خطة تحليل أولية

إن تحديد المتغيرات خطوة مهمة في البناء المنهجي للاستبيان. والمتغير هو خاصية تختلف من فرد إلى آخر، مثل العمر، الجنس، الدخل، المستوى التعليمي، نوع السكن، درجة الثقة، عدد ساعات استعمال الانترنت، أو مستوى المشاركة الجموعية. وهنا يجب على الباحث أن يميز بين المتغيرات المستقلة والتابعة والوسيطة والضابطة؛ فإذا كان البحث يدرس أثر المستوى التعليمي في المشاركة الجموعية، يكون المستوى التعليمي هو المتغير المستقل، والمشاركة الجموعية هي المتغير التابع، بينما قد يكون العمر والجنس والدخل متغيرات ضابطة (غرابية وآخرون، 1977، ص: 48)

من الأخطاء الشائعة أن تُصاغ الأسئلة قبل التفكير في التحليل. والصواب أن يضع الباحث خطة تحليل أولية قبل كتابة الأسئلة؛ فإذا أراد مقارنة المشاركة بين الذكور والإناث، يجب أن يسأل عن الجنس، وإذا أراد دراسة العلاقة بين الدخل والثقة في المؤسسات، يجب أن يدرج سؤالاً مناسباً عن الدخل أو مؤشراً بديلاً مثل نوع السكن أو مهنة الوالدين. (FAO, 2020, pp: 7-8) ويشير دليل CDC إلى أن بناء الأسئلة ينبغي أن ينطلق من قائمة المتغيرات التي طورها الباحث، وأن إعداد جداول تحليلية أولية يساعد على تحديد المتغيرات الضرورية وتجنب الأسئلة الهامشية (McDonald, 2003, p: 13)، فعلى سبيل المثال إذا كان هدف الدراسة قياس «الرضا الجامعي»، فلا يكفي طرح سؤال واحد هو: «هل أنت راض عن الجامعة؟» لأن الرضا مفهوم يتصل بجوانب متعددة من الحياة الجامعية مثل التدريس، والإدارة، والخدمات، والمكتبة، والأنشطة، والعلاقات بين الطلبة والأساتذة. لذلك يجب تفكيك الرضا إلى أبعاد وصياغة أسئلة لكل بعد، وبذلك يصبح التحليل أكثر دقة؛ فقد تُظهر النتائج أن الطلبة راضون عن التدريس، لكنهم غير راضين عن الخدمات الإدارية. (سبدي صالح، 2022، صص. 137-139)

كما أن بناء خطة التحليل يساعد على تحديد مستوى القياس حيث تكون المتغيرات متنوعة، فبعضها تكون اسمية مثل الجنس أو الحالة العائلية، وبعضها ترتيبية مثل المستوى التعليمي، وبعضها كمية مثل العمر أو عدد ساعات الاستعمال ويؤثر مستوى القياس في نوع التحليل الممكن لاحقاً، لذلك فإن التفكير في التحليل ليس مرحلة لاحقة تماماً، بل يبدأ منذ بناء الاستبيان،

بالإضافة إلى ذلك يجب تحديد المتغيرات الخلفية أو السوسيو-ديموغرافية التي تساعد في تفسير النتائج، فالعمر والجنس والمستوى التعليمي والمهنة والدخل ومكان الإقامة ليست مجرد معلومات تعريفية، بل قد تكون مفاتيح تفسيرية، على سبيل المثال قد تختلف الثقة في المؤسسات بين الشباب والكبار، أو تختلف المشاركة الثقافية بين سكان المدن وسكان المناطق الريفية، أو يتأثر استعمال التكنولوجيا بالمستوى التعليمي. لذلك يجب الحذر والدقة في ادراج هذه المتغيرات و استخدامها بالقدر الذي تخدم به التحلي (McDonald & al, 2003, p:13).

3. صياغة الأسئلة: الدقة، البساطة، والحياد

صياغة السؤال هي الأساس في الاستبيان، وعليه يجب أن تكون الأسئلة واضحة وبسيطة ومحددة وغير إيحائية وغير مركبة (Brancato et al, 2006, pp: 29–30) فعندما يكون السؤال غامضاً ينتج إجابات غامضة، والسؤال الموجه ينتج تحيزاً، والسؤال المركب يجعل المبحوث يجيب عن أكثر من فكرة في الوقت نفسه. (FAO, 2020, pp: 8–10) مثال ذلك السؤال المركب: «هل أنت راض عن الأستاذة والإدارة والخدمات الجامعية؟» فقد يكون المبحوث راضياً عن الأستاذة وغير راض عن الإدارة، لذلك يجب فصل السؤال إلى ثلاثة أسئلة مستقلة (Brancato & al, 2006, p: 46). كما ينبغي أن يضع الباحث نفسه في مكان المبحوثين؛ فما يبدو واضحاً للباحث قد لا يكون واضحاً لهم، لذا يجب تجنب الأسئلة الغامضة والمركبة، و الصياغات التي تدفع المبحوث نحو إجابة معينة، واستعمال عبارات بسيطة ومألوفة داخل مجتمع البحث (بوترعة، 2018، ص:292) ومن أمثلة السؤال السيئ: «ألا ترى أن غياب الوعي المدني لدى الشباب هو سبب ضعف المشاركة السياسية؟» فهذا سؤال إيحائي يقدم الإجابة مسبقاً ويفترض أن الشباب يفتقدون الوعي المدني، والأفضل أن نسأل: «ما الأسباب التي تجعلك لا تشارك في الأنشطة السياسية؟» مع بدائل متعددة، مثل عدم الاهتمام، عدم الثقة في الأحزاب، ضيق الوقت، عدم توفر المعلومات، الخوف من العواقب، أو أسباب أخرى، مع إضافة سؤال مفتوح عند الحاجة (Brancato & al, 2006p: 10).

كما يجب تجنب الأسئلة الافتراضية البعيدة عن تجربة المبحوث. فالسؤال: «ماذا كنت ستفعل لو كنت مسؤولاً عن الجامعة؟» قد يكون مفيداً في بعض الدراسات الاستكشافية، لكنه لا يقيس سلوكاً فعلياً. أما سؤال: «هل سبق أن شاركت في اجتماع طلابي خلال السنة الحالية؟» فهو أكثر ارتباطاً بالخبرة الواقعية، فالاستبيان خاصة عندما يكون كمياً يحتاج إلى أسئلة مغلقة تتيح للمبحوث الإجابة بناءً على تجربة أو معرفة محددة (بوترعة، 2018، ص:297).

4. تجنب التحيز اللغوي والاجتماعي في الأسئلة

من أهم شروط بناء السؤال الجيد تجنب التحيز، فالتحيز قد يكون لغوياً عندما تتضمن صياغة السؤال حكماً مسبقاً، كما قد يكون اجتماعياً عندما يشعر المبحوث أن إجابة معينة هي الأكثر قبولاً (Siniscalco & Auriat, 2005, pp: 34–36). مثلاً «هل توافق على أن الطلبة غير المهتمين بالثقافة هم سبب تدهور الجامعة؟» هذا السؤال موجه يجعل المبحوث فئة معينة المسؤولة، أما الصياغة المحايدة فهي: «في رأيك، ما العوامل التي تؤثر في الحياة الثقافية داخل الجامعة؟»، كما ينبغي تجنب الأسئلة التي تثير شعور المبحوث بالذنب أو الإدانة (Brancato & al, 2006, pp: 49–51) فمثلاً، السؤال التالي: «لماذا لا تشارك في الأعمال التطوعية مثل المواطن الصالح؟» هذا

السؤال يتضمن حكماً أخلاقياً، فكان من الجدير طرحه هكذا: «هل شاركت في عمل تطوعي خلال السنة الماضية؟» ثم «ما الأسباب التي حدّت من مشاركتك؟» بهذه الصياغة، لا يشعر المبحوث بأنه موضع اتهام، فبالتالي تزداد احتمالات الحصول على إجابة صادقة.

وتزداد أهمية الحياد في الموضوعات الحساسة مثل السياسة، الدين، الدخل، العنف، العلاقات الأسرية، أو السلوكيات غير المقبولة اجتماعياً. في هذه الحالات، يجب أن تكون اللغة هادئة وغير اتهامية، وأن يُضمن للمبحوث السرية، وأن توضع الأسئلة الحساسة في موقع مناسب داخل الاستبيان، لا في بدايته، ومن بين أشكال التحيز أيضاً ترتيب البدائل أو الخيارات، فإذا وُضعت بدائل معينة في البداية دائماً، فقد يختارها بعض المبحوثين بسرعة دون قراءة باقي الاختيارات، وإذا كانت البدائل غير متوازنة، كأن تشمل ثلاث إجابات إيجابية وإجابة سلبية واحدة، فإن السؤال يدفع نحو اتجاه معين، لذلك يجب الحرص أن تكون البدائل متوازنة، وأن تغطي المجال الممكن للإجابة (PSR, n.d., pp. 2-3).

5. أنواع الأسئلة وأشكال الإجابة

يتضمن الاستبيان عادة أنواعاً مختلفة من الأسئلة: مغلقة، مفتوحة، شبه مغلقة، أسئلة اختيار واحد، أسئلة اختيار متعدد، أسئلة سلمية، وأسئلة مصفوفة، الأسئلة المغلقة تسهل الترميز والتحليل الإحصائي، لكنها قد تقيد المبحوث إذا لم تكن البدائل شاملة، أما الأسئلة المفتوحة فتسمح بإجابات أكثر حرية، لكنها تتطلب جهداً كبيراً في الترميز والتحليل، لذلك يمكن استخدامها في الدراسة الاستطلاعية لاكتشاف فئات الإجابة، ثم تحويلها إلى أسئلة مغلقة في النسخة النهائية (غرابية وآخرون، ص: 59-61).

تقدم الاستبيانات المنظمة بدائل محددة مسبقاً، مما يسهل التجميع والتحليل الكمي، لكنها قد تكون مقيدة إذا كانت البدائل محدودة، وقد تدفع المبحوث إلى إدخال تجربته في صيغة لا تعبر عنها بدقة (Ranganathan & Caduff, 2023, p: 153). لذلك من المفيد أحياناً إضافة خيار «أخرى، اذكر»، خاصة عندما لا يكون الباحث متأكداً من شمول كل البدائل (بوترعة، 2018، ص: 29)، ومن أمثلة أنواع الأسئلة: سؤال اختيار واحد مثل: «ما وضعك المهني الحالي؟ طالب، عامل، عاطل عن العمل، متقاعد، أخرى». وسؤال اختيار متعدد مثل: «ما الوسائل التي تعتمد عليها في متابعة الأخبار؟ التلفزيون، الصحف، مواقع التواصل، المواقع الإلكترونية، الأصدقاء، الأسرة»، أما سلم ليكرت فيستخدم لقياس الاتجاهات مثل: «أوافق بشدة؛ أوافق؛ محايد؛ لا أوافق؛ لا أوافق بشدة»، وينبغي استعماله بحذر مع صياغة عبارات واضحة وغير طويلة. (Ranganathan & Caduff, 2023, p:15)

أما أسئلة المصفوفة، فهي مفيدة عندما نريد قياس مواقف متعددة بالبدائل نفسها، مثل الثقة في مؤسسات مختلفة. لكن الإكثار منها قد يؤدي إلى الملل أو الإجابات الآلية، لهذا السبب يجب أن تكون قصيرة ومنظمة بصرياً، وإذا كانت العينة ذات مستوى تعليمي محدود، فهنا قد تكون المصفوفات المعقدة غير مناسبة لها، لأنها تتطلب قراءة دقيقة وانتباهاً عالياً، ومن الجدير بالاهتمام أن يختار الباحث شكل الإجابة وفق طبيعة المتغير، فإذا كان المتغير كمياً مثل العمر، فمن الأفضل أن يُسأل عنه بالرقم لا بالفئات، لأن الرقم يمكن تحويله لاحقاً إلى فئات، بينما

العكس ان كان غير ممكن، أما إذا كان السؤال حساساً مثل الدخل، فقد تكون الفئات أفضل من الرقم المباشر، لأنها تقلل من الحرج الذي يتحملة المبحوث (Brancato & al., 2006, p. 37) في هذه الحالة يظهر أن شكل الإجابة ليس مسألة تقنية فقط، بل هي قرار منهجي متعلق بطبيعة الموضوع والمبحوثين والتحليل. (سيدي صالح، 2022، صص: 138-139)

6. ترتيب المحاور والتصميم البصري

إن ترتيب أسئلة الاستبيان له أهمية لا تقل عن صاغتها، فهو ليس مجموعة أسئلة مفككة بل مسار تواصل يمتد من العام إلى الخاص عبر محاور محددة، وعادة ما يبدأ الاستبيان بأسئلة سهلة وعامة، مثل الجنس والعمر والوضع الدراسي أو المهني، ثم ينتقل إلى الموضوع الأساسي، وبعد ذلك إلى الأسئلة الأكثر حساسية، أما الأسئلة التي قد تسبب حرجاً، مثل الدخل أو المواقف السياسية أو السلوكيات الخاصة، فيفضل عدم وضعها في البداية. (PSR, n.d, pp. 1-2). تشير الأدبيات الأوروبية إلى أن تصميم الاستبيان يشمل تطوير الإطار المفاهيمي، وكتابة الأسئلة وترتيبها، واستخدام عناصر التصميم البصري، وأن الصياغة والبنية والتخطيط يجب أن تؤدي جميعها إلى نتائج صادقة وموثوقة (Brancato & al, 2006, p:19)، فالشكل البصري ليس مسألة جمالية فقط، بل يؤثر في فهم السؤال، والانتقال الصحيح بين الأسئلة، وتقليل أخطاء الإدخال، فعلى سبيل المثال إذا كان السؤال لا يخص إلا المتزوجين يجب أن تكون تعليمات الانتقال واضحة: «إذا كانت إجابتك غير متزوج، انتقل إلى السؤال رقم 15»، وإذا غابت التعليمات أو كانت غير واضحة، فقد يجيب غير المتزوجين عن أسئلة لا تخصهم، مما يؤدي إلى تناقضات في البيانات، كذلك ينبغي أن تكون الخطوط واضحة، والفراغات كافية، والبدائل مرتبة، حتى لا يشعر المبحوث بالإرهاق. (Brancato & al, 2006, p. 54, FAO, 2020, p: 34)

وتزداد أهمية التصميم البصري في الاستبيانات الذاتية والإلكترونية، لأن المبحوث لا يجد باحثاً يرشده، فإذا كان الاستبيان مليئاً بالأسئلة أو غير منظم، فقد يتخلى عنه المبحوث قبل اتمامه، لذلك يكون تصميم الاستبيان مقسماً إلى محاور، وأن تظهر تعليمات الإجابة بوضوح، وأن تكون الأسئلة مرقمة، وأن يكون الانتقال بين الصفحات متسلسلاً ومنطقياً، كما لا يجب الإكثار من الأسئلة في صفحة واحدة، لأن ذلك يؤدي بالمبحوث إلى الملل والازعاج من طوله. (FAO, 2020, p:34)

7. اختيار نمط التطبيق

يجب على الباحث أن يختار نمط تطبيق الاستبيان وفق أهداف دراسته وخصائص العينة والموارد المتاحة والظروف المحيطة به، فهناك استبيان يطبقه الباحث وجهاً لوجه، واستبيان هاتفي، وخرزاتي يملؤه المبحوث، واستبيان إلكتروني، ولكل نمط مزاياه وحدوده، فالاستبيان الذي يطبقه الباحث يسمح له بتوضيح التعليمات ورفع نسبة الاستجابة، لكنه قد يزيد تأثير الباحث في المبحوث، أما الاستبيان الذاتي فهو مناسب للموضوعات الحساسة لأنه يمنح المبحوث خصوصية أكبر، لكنه يفترض مستوى معيناً من القراءة والفهم، كما أن الاستبيان الذي يديره الباحث يسمح بطرح أسئلة أكثر تعقيداً وبمراقبة عملية جمع البيانات، لكنه أعلى كلفة، بينما يكون الاستبيان الذاتي أقل كلفة وقد يزيد راحة المبحوث في الموضوعات الحساسة، لكنه أقل فاعلية في فهم الأسئلة ومتابعة قواعد الانتقال (McDonald & al , 2003)p:18، لذلك إذا كان البحث يتعلق

بسلوكيات حساسة كالعنف الأسري أو تعاطي المخدرات، فقد يكون الاستبيان الذاتي أو الإلكتروني أكثر ملاءمة، أما إذا كان الموضوع معقداً ويتطلب شرحاً، فالمقابلة المعيارية قد تكون أفضل.

وهناك جانب آخر في عملية اختيار الباحث للاستبيان وهي مسألة الفجوة الرقمية، فالاستبيان الإلكتروني قد يكون مناسباً للطلبة أو الموظفين الذين يستعملون الانترنت يومياً، لكنهم المقابل قد يستبعد فئات لا تملك وصولاً سهلاً إلى التكنولوجيا أو أنها لاتحسن استخدامها نظراً لظروف معينة، وهذا الاستبعاد وهذا يعني إن هناك تحيزاً في اختيار العينة، لهذا لا يكفي أن يكون النمط سهلاً للباحث بل يجب أن يكون مناسباً للمبحوثين أيضاً. (Brancato &, 2006, p: 14)

ثالثاً: التطبيق الميداني للاستبيان

1. الاختبار القبلي: من المسودة إلى الأداة النهائية

عد الاختبار القبلي مرحلة حاسمة في الانتقال من المسودة إلى الأداة النهائية، فما يبدو واضحاً عند الباحث قد يتضح في الميدان أنه طويل، أو غامض، أو ممل، أو غير مناسب للغة المبحوثين، لذلك يسمح الاختبار القبلي للباحث بأن يختبر الأداة على عينة صغيرة تشبه مجتمع الدراسة، ومن خلاله يلاحظ الصعوبات قبل أن تتحول إلى أخطاء في الدراسة الأساسية، ومن بين المزايا التي تنتج عن ذلك: فحص صياغة الأسئلة، وتحديد مشكلات الأسئلة المفتوحة، ومعرفة ما إذا كانت مستويات القياس ملائمة، وما إذا كان مجتمع البحث والعينة محددين بصورة صحيحة، كما يساعد على تدريب الباحثين وتقدير طول الاستبيان (Siniscalco & Auriat, 2005, p: 22)

وهذا يعني أن الاختبار القبلي ليس إجراءً شكلياً، بل لحظة مراجعة علمية وعملية للأداة، كما يكشف الفرق بين لغة الباحث ولغة المبحوث، فيعمل على تبسيط بعض المفاهيم لصالح المبحوثين، فقد يعتقد الباحث أن مصطلحاً مثل «المشاركة المدنية» واضح، بينما يراه المبحوث غامضاً، وعندئذ يمكن استبداله بأسئلة أكثر مباشرة مثل: «هل شاركت في نشاط تطوعي؟»، «هل حضرت اجتماعاً لجمعية؟»، «هل وقعت عريضة؟»، أو «هل ساهمت في حملة محلية؟».

بالنسبة للعينة فيجب أن تُختار عينة الاختبار بعناية، فإذا كان الاستبيان موجهاً إلى طلبة الجامعة مثلاً فيجب اختباره على طلبة من تخصصات ومستويات مختلفة لا على زملاء الباحث فقط، وإذا كان موجهاً إلى سكان حي شعبي فلا يكفي اختباره على أفراد ذوي مستوى تعليمي عالٍ، وفي أثناء تطبيق الاختبار على الباحث أن يتفطن إلى بعض الجوانب والمتمثلة في: ما إذا كانت الأسئلة مفهومة لدى المبحوثين؟ ما هي البدائل الناقصة؟ هل هناك أسئلة محرجة؟ هل أن الاستبيان طويل من حيث حجم الأسئلة؟ هل تعليمات الانتقال واضحة؟ (McDonald & al., 2003, p:13)

وتوصي اليونسكو، في خطوات الاختبار القبلي، بأن يراجع الباحث ما إذا كان كل بند ينتج نوع المعلومات المطلوبة، وما إذا كان المبحوثون يفهمون الأسئلة، وما إذا كان ترتيب الأسئلة منطقياً، وهل كانت بعض الأجزاء مكررة أو مملة، وهل كان الاستبيان طويلاً أكثر من اللازم (Siniscalco & P:23). وبناءً على ذلك، يعدل الباحث الصياغة، ويحذف الأسئلة الزائدة، ويضيف البدائل الناقصة، أو يغير ترتيب المحاور.

2. تدريب الباحثين وضبط العلاقة الميدانية

إذا كان الاستبيان سيطبق من طرف باحثين ميدانيين، فإن تدريبهم يصبح شرطاً أساسياً، فمثلاً في الاستبيان المعياري يفترض أن تُطرح الأسئلة بالطريقة نفسها على جميع المبحوثين، لكن إذا قام باحث بشرح السؤال بطريقة معينة وشرحه زميله بطريقة مختلفة، فإن الفروق في الإجابات قد تعود إلى طريقة الشرح لا إلى مواقف المبحوثين، لذلك يجب تدريب الباحثين على قراءة الأسئلة كما هي واحترام ترتيبها، وعدم توجيه المبحوثين، وتسجيل الإجابات بدقة، ومن أهداف تصميم الاستبيان أن «تُفهم الأسئلة بالطريقة نفسها، وأن تحدد نوع الإجابة المطلوبة، وأن تسأل عما يستطيع المبحوث تقديمه وما يرغب في تقديمه، وأن تُدار الأسئلة بطريقة موحدة» (McDonald & al., 2003)، وهذا يوضح أن التدريب ليس إجراءً إدارياً فقط بل جزء من ضمان جودة البيانات. اما فيما يخص العلاقة الميدانية بين الباحث والمبحوث فيجب أن تُبنى على الاحترام والثقة، فالاستبيان ليس عملية استخراج معلومات فقط بل علاقة اجتماعية مؤقتة بين الباحث والمبحوث، ومن حق المبحوث أن يعرف لماذا يُسأل، وكيف ستُستخدم إجاباته، وأن مشاركته اختيارية، وأن له الحق في عدم الإجابة عن أي سؤال، وهذا يعتبر مطلباً حاسماً في البحوث الصحية والاجتماعية إذ تُعد حماية السرية والخصوصية جزءاً من أخلاقيات البحث، كما يجب توضيح الهدف والمخاطر والفوائد بلغة يفهمها المبحوث كشرط أساسي للموافقة المستنيرة (McDonald & al., 2003).

3. مشكلات الميدان: الرفض، التحيز، والمرغوبية الاجتماعية:

قد يواجه الباحث في الميدان رفض المشاركة، أو إجابات ناقصة، أو إجابات سريعة وغير دقيقة، أو إجابات اجتماعية مقبولة لا تعبر عن الواقع، وتظهر مشكلة «المرغوبية الاجتماعية» عندما يعطي المبحوث جواباً يعتقد أنه أفضل أخلاقياً أو اجتماعياً كأن يبالغ في عدد الكتب التي يقرأها، أو يقول إنه يشارك في الانتخابات، أو يخفي سلوكاً يعتبره المجتمع غير مقبول، فالاستبيان لا يسجل هنا الممارسة الفعلية بل يسجل ما يقوله المبحوث عن ممارسته، فعلى سبيل المثال الاستبيان حول الغداء يقيس ما يقول الناس إنهم يأكلونهما ما يأكلونه فعلياً، كما أن الأسئلة الحساسة عن الكحول أو المخدرات أو السلوك الجنسي غالباً ما تُنتج إجابات مثالية ومقبولة اجتماعياً (Ranganathan & Caduff, 2023)، وينطبق الأمر نفسه في السوسولوجيا على موضوعات التدين، والسياسة، والعنف، والرشوة، والعلاقات الأسرية، والسلوكيات الاستهلاكية. ومن أجل تقليل هذا التحيز، يمكن الاعتماد على صياغة محايدة للأسئلة، وضمان السرية، وتجنب اللغة الاتهامية، ووضع الأسئلة الحساسة في منتصف الاستبيان أو نهايته، واستخدام الاستبيان الذاتي في بعض الحالات، كما يمكن اللجوء إلى تحديد الفترة الزمنية لتقليل الغموض، مثل: «خلال الثلاثين يوماً الماضية» بدل «هل تفعل ذلك عادة؟» لأن السؤال المحدد زمنياً وفي مضمونه يساعد المبحوث على التذكر ويقلل التأويل. (FAO, 2020, pp:12–135)

وهناك امر هام أيضا يجب على الباحث إن يكون على دراية به وهو أن الرفض ليس دائماً مشكلة تقنية بل قد يكون مؤشراً اجتماعياً، كأن يرفض المبحوث المشاركة لأنه لا يثق في المؤسسات، أو أنه يخشى استعمال البيانات ضده، أو لأنه تعب من الاستبيانات التي لا يرى لها أثراً، لذلك فإن بناء

الثقة وشرح الهدف، واحترام وقت المبحوث، تعتبر كلها عناصر مهمة في تحقيق استجابة افضل للمبحوثين. (Brancato & al, 2006, pp: 32–33)

4. إدارة عدم الاستجابة وجودة البيانات

إن عدم الاستجابة من أبرز التحديات الميدانية وقد تكون كلية عندما يرفض الفرد المشاركة في الاستبيان كله، أو جزئية عندما يجيب عن بعض الأسئلة ويترك أخرى، وتختلف أسباب عدم الاستجابة من مبحوث إلى آخر لكن في معظمها تدور حول طول الاستبيان، أو حساسية الأسئلة، أو ضعف الثقة في الباحث، أو غموض الهدف، أو الإرهاق، أو عدم اقتناع المبحوث بأهمية الدراسة. (بوترعة، 2018، ص: 295) ، ولهذا يجب أن يأخذ الباحث هذه الأسباب بعين الاعتبار عند بناء الاستمارة، فيعمل على تقليل العبء وتوضيح الغرض وتبسيط اللغة واحترام وقت المبحوث. ويجب كذلك التمييز بين عدم الاستجابة العشوائية وغير العشوائية فمثلاً إذا امتنع أصحاب الدخل المرتفع عن الإجابة عن سؤال الدخل أكثر من غيرهم، فإن البيانات ستتحاز نحو فئات معينة ، وإذا رفضت النساء الإجابة عن أسئلة العنف الأسري بسبب الخوف أو الحرج، فإن النتائج قد تقلل من حجم الظاهرة ، لذلك لا يكفي حساب عدد الإجابات فقط، بل يجب تحليل طبيعة الأسئلة التي تُركت دون إجابة، والفئات التي امتنعت عن المشاركة وعليه

فإن المراقبة المستمرة خلال الجمع وبعده يمكن الباحث من مراجعة الاستبيانات يومياً أثناء العمل الميداني، لاكتشاف الأخطاء مبكراً، فإذا لاحظ أن سؤالاً معيناً يتركه معظم المبحوثين فارغاً، فهذا يعني هناك ثغره فقد يكون السؤال غامضاً أو حساساً أو موضوعاً في مكان غير مناسب، وإذا لاحظ أن باحثاً ميدانياً يحصل دائماً على إجابات متشابهة بطريقة غير طبيعية، فقد يحتاج الأمر إلى مراقبة طريقة التطبيق (Brancato & al, 2006, pp: 116–119)

كما تشمل جودة البيانات أيضاً مراقبة الاتساق الداخلي فإذا أجاب المبحوث بأنه لم يعمل مطلقاً، ثم أجاب لاحقاً عن سؤال يتعلق بعدد سنوات الخبرة المهنية فهذا التناقض يجب اكتشافه، وإذا ذكر أنه غير متزوج، ثم أجاب عن عدد الأبناء، فهناك خطأ في الانتقال أو الفهم، لذلك يجب أن تتضمن الأداة تعليمات واضحة، وأن تراجع البيانات قبل التحليل النهائي (بوترعة، 2018، ص. 293)

5. الترميز، التنظيم، والتحليل

بعد جمع البيانات تأتي مرحلة الترميز والإدخال والتنظيم والتحليل ، وهنا تظهر أهمية كل المراحل السابقة فإذا كانت الأسئلة واضحة والبدايل دقيقة كان الترميز سهلاً ، أما إذا كانت الإجابات المفتوحة كثيرة دون خطة ترميز، فقد يصبح التحليل معقداً ومرهقاً، فمثلاً من الضروري التمييز بين «لا أعرف»، و«لا ينطبق»، و«رفض الإجابة» لأن كل واحدة تحمل معنى مختلفاً، كما يجب تحديد كيفية التعامل مع القيم المفقودة وفحص التناقضات الداخلية، فعلى الباحث أن يحدد الأسئلة التي ستنشئ كل متغير، وكيف سترمز، وما وحدات القياس، وكيف ستعالج القيم المفقودة، وهل ينبغي التمييز بين الإجابات المجهولة والرفض، وكيف ستعالج الإجابات غير المتوقعة (al , 2003 & McDonald, p:21)، وهذا يعني أن التفكير في التحليل لا يبدأ بعد جمع البيانات بل منذ بناء الأداة.

أما من حيث الصدق والثبات، فالصدق يعني أن السؤال يقيس فعلاً ما أُريد له أن يقيسه والثبات يعني اتساق القياس إذا أعيد في ظروف مماثلة، فالصدق قد يكون صدق محتوى أو صدقاً تنبؤياً أو صدقاً تلازمياً، أما الثبات فيرتبط بالحصول على نتائج متقاربة عند تكرار القياس، ويمكن

التحقق منه بإعادة الاختبار عدة مرات أو بإدراج أسئلة متقاربة تقيس المعنى نفسه (Auriat, 2005; niscalcoi, p:28).

إن مرحلة التنظيف لا تعني فقط حذف الأخطاء، بل تشمل فهمها، فإذا ظهرت قيم مفقودة كثيرة في سؤال معين، يجب أن يسأل الباحث نفسه: هل السؤال حساس؟ هل البدائل غير مناسبة؟ هل موقع السؤال غير ملائم؟ وإذا كانت الإجابات المفتوحة تكشف إجابات ومعاني لم يتوقعها الباحث، فقد يكون هذا مؤشراً على أن الأداة لم تنجح في تغطية كل أبعاد الظاهرة. ومن هنا يمكن للبيانات نفسها أن تكشف حدود الاستبيان.

6. العودة من البيانات إلى التفسير السوسيولوجي

إن مهمة الباحث لا تنتهي عند إنتاج الجداول والنسب؛ فغاية الاستبيان هي إنتاج معرفة سوسيولوجية. وعليه، لا يكتمل التحليل علمياً إلا عندما تعود البيانات إلى الإطار النظري الذي انطلقت منه. فإذا أظهرت النتائج، مثلاً، أن الطلبة ذوي الخلفية الأسرية المتعلمة أكثر مشاركة في الأنشطة الثقافية، فإن الباحث لا يكتفي بوصف الفارق، بل يفسره في ضوء مفاهيم مثل الرأسمال الثقافي، التنشئة، الموارد الرمزية، أو فرص الوصول إلى المعرفة، حسب المقاربة التي انطلق منها. وإذا أظهرت النتائج ضعف الثقة في مؤسسة معينة، فإن التفسير قد يرتبط بتجارب المبحوثين، أو بصورة المؤسسة، أو بمستوى الخدمات، أو بالسياق السياسي والاجتماعي العام (سيدي صالح، 2022، ص: 138-139).

وهنا يظهر معنى الاستبيان بين النظرية والممارسة الميدانية فالنظرية توجه بناء الأداة والميدان يختبرها، والبيانات تعود لتغني النظرية أو تعدلها، لذلك لا ينبغي أن يكون التحليل مجرد قراءة وصفية للجداول والنسب، بل يجب أن يكون تفسيراً سوسيولوجياً يربط الأرقام بالبنى الاجتماعية وبالسياقات الثقافية وبالتجارب اليومية للمبحوثين، فالاستبيان لا ينتج معرفة اجتماعية بمجرد جمع الإجابات، بل عندما تُفهم هذه الإجابات في ضوء سؤال علمي واضح وهو سؤال البحث الأول (بوترعة، 2018، ص: 290)، فمثلاً إذا كانت نتيجة الاستبيان أن الشباب أقل ثقة في الأحزاب السياسية من كبار السن هنا لا يجب الاكتفاء بالنسبة، بل يجب على الباحث أن يفسر ويحلل من خلال طرح أخرى مثل: هل يرتبط ذلك بتجارب الشباب مع البطالة؟ هل يعكس ضعف تمثيلهم داخل المؤسسات؟ هل يرتبط بثقافة سياسية رقمية جديدة؟ هل توجد فروق بين الذكور والإناث أو بين المناطق؟ هكذا تتحول النسبة إلى مدخل للتفسير، لا إلى نتيجة نهائية مغلقة (سيدي صالح، 2022، صص: 138-139).

خاتمة

من خلال الطرح السابق يتضح لنا أن الاستبيان في البحث السوسيولوجي لا ينتقل من كونه مجرد وثيقة أسئلة إلى أداة علمية لإنتاج المعرفة الاجتماعية إلا عندما يُبنى ضمن نسق بحثي متكامل يبدأ من الإشكالية والفرضيات وينتهي بالتفسير السوسيولوجي للمعطيات، فالقيمة العلمية للاستبيان لا تكمن في شكله التقني أو في قدرته على جمع بيانات كمية فحسب، بل في مدى ارتباطه

بالإطار النظري، ودقة أجراً المفاهيم، وقدرته على تحويل الظواهر الاجتماعية المركبة إلى مؤشرات قابلة للقياس دون فقدان حساسيتها وسياقاتها الاجتماعية، بالإضافة إلى ذلك فإن أن صلاحية الاستبيان تتحدد بمجموعة مترابطة من العوامل النظرية والمنهجية والميدانية، فمن الناحية النظرية، ترتبط صلاحيته بوضوح الإشكالية واتساق الفرضيات وتحديد المفاهيم بدقة، ومن الناحية المنهجية، تعتمد على جودة بناء المتغيرات والمؤشرات، وحياد صياغة الأسئلة، وملاءمة أنماط الإجابة، والربط بين أهداف الدراسة وخطة التحليل. أما ميدانياً، فتتوقف فعاليته على حسن اختيار نمط التطبيق، وإجراء الاختبار القبلي، وتدريب الباحثين، وضبط العلاقة مع المبحوثين، وتقليل تحيزات الاستجابة والمروية الاجتماعية ومشكلات عدم الاستجابة وعليه، فإن الاستبيان لا يكون أداة علمية لمجرد أنه ينتج أرقاماً أو جداول، بل لأنه يسمح بإنتاج بيانات ذات معنى سوسيولوجي يمكن تفسيرها في ضوء النظرية والسياق الاجتماعي، فكلما نجح الباحث في تحقيق التوازن بين دقة القياس وتعقيد الواقع الاجتماعي، وبين متطلبات المنهج وخصوصية الميدان، أصبح الاستبيان أكثر قدرة على إنتاج معرفة علمية موثوقة تفسر الظواهر الاجتماعية بدل الاكتفاء بوصفها، وفي هذه الحالة فقط تبرز وظيفة الاستبيان بوصفه حلقة وصل بين النظرية والممارسة الميدانية، وبين المعرفة الأكاديمية وفهم الواقع الاجتماعي.

المراجع

- 1-بوترعة، بلال. (2018). بعض الاعتبارات المنهجية في استخدام الاستبيان في البحوث الاجتماعية. مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، 25.
- 2-سيدي صالح، صبرينة. (2022). الإجراءات المنهجية لبناء الاستبيان والتحقق من صلاحيته. مجلة دراسات، 11(11).
- 3-غرايبة، فوزي، وآخرون. (1977). أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية. كلية الاقتصاد والتجارة، الجامعة الأردنية.
- 4-كيفي، ريمون، وفان كامبهود، لوك. (د.ت.). دليل الباحث في العلوم الاجتماعية. دار القصة

المراجع الأجنبية

- 1-Brancato, G., Macchia, S., Murgia, M., Signore, M., Simeoni, G., Blanke, K., Körner, T., Nimmergut, A., Lima, P. .
- 2-Paulino, R., & Hoffmeyer-Zlotnik, J. H. P. (2006). Handbook of recommended practices for questionnaire development and testing in the European Statistical System. European Statistical System.
- 3-Food and Agriculture Organization of the United Nations. (2020). Handbook for questionnaire design. FAO Statistical Standard Series.
- 4-McDonald, J. A., Burnett, N., Coronado, V. G., & Johnson, R. L. (2003). Questionnaire design: Reproductive Health Epidemiology Series, Module 5. Centers for Disease Control and Prevention, U.S. Department of Health and Human Services.
- 6-Ranganathan, P., & Caduff, C. (2023). Designing and validating a research questionnaire: Part 1. Perspectives in Clinical Research, 14(3). https://doi.org/10.4103/picr.picr_140_23.
- 7-Siniscalco, M. T., & Auriat, N. (2005). Questionnaire design: Quantitative research methods in educational planning, Module.
8. UNESCO International Institute for Educational Planning

الاستبيان في البحوث السوسولوجية خطوات تطبيقية في التصميم، اختبار الصدق والثبات

د عبان عبد القادر -أستاذ محاضراً

جامعة قاصدي مرباح ورقلة- الجزائر

abbane.abdelkader@univ-ouargla.dz

الملخص:

تعتمد البحوث الاجتماعية في مرحلة جمع البيانات، على العديد من الأدوات التي تساعد الباحث في الوصول إلى بيانات أولية حول الموضوع المراد دراسته، ومن بين أهم هذه الأدوات نجد أداة الاستبيان، التي تعتبر من الأدوات الكثيرة وشائعة الاستخدام في الوسط البحثي السوسولوجي، لكن ما لاحظناه من خلال تدريسنا وإشرافنا على مذكرات التخرج للطلبة، هو عدم إلمامهم بالخطوات والأساليب العلمية الصحيحة لبناء وتصميم أداة بحثية (استبيان) تسهم بشكل كبير في الوصول إلى نتائج علمية دقيقة، ذلك أن القاعدة التي نتبعها وننادي بها دائماً، هي أن الاستبيان إذا صُلح، صُلحت معه نتائج البحث العلمي، وإذا فسد، فسدت معه نتائج البحث العلمي.

الكلمات المفتاحية: الاستبيان-البحث السوسولوجي- الصدق - الثبات.

Abstract

Social research relies on various tools during the data collection stage to assist the researcher in obtaining primary data regarding the subject under study. Among the most prominent of these tools is the questionnaire, which is one of the most widely used instruments in sociological research.

However, through our teaching and supervision of student graduation theses, we have observed a lack of familiarity with the correct scientific steps and methods for constructing and designing a research tool. A well-designed questionnaire contributes significantly to achieving accurate scientific results. The fundamental principle we always follow and advocate for is: if the questionnaire is sound, the research results will be sound; if it is flawed, the research results will be flawed.

Keywords: Questionnaire-Scientific Research – Validity – Reliability.

مقدمة:

تعتمد البحوث السوسولوجية على مجموعة من الأدوات في مرحلة جمع البيانات، ربما تكون أداة الاستبيان في مقدمتها، خاصة في البحوث السوسولوجية الوصفية الكمية، ولعل تجربتنا الشخصية في التدريس والإشراف ومناقشة مذكرات وأطروحات التخرج، كشفت أن معظم البحوث الكمية خاصة، ربما مانسبته 95 % تستخدم الاستبيان كأداة رئيسية وأولية في جمع البيانات الخاصة بالظاهرة المراد دراستها، إلا أنها لا تخلو من بعض الأخطاء التي يمكن أن يقع فيها الطالب أو الدارس أو الباحث في علم الاجتماع، التي تجعل من هاته الاداة البحثية، عقيمة عديمة

الفائدة، ضعيفة المصدقية، لا يمكن أن تؤدي مهمتها بالشكل المطلوب، أو ربما تنعكس أخطاءها على نتائج البحث النهائية.

انطلاقاً من هذا الواقع الذي يكشف أخطاء منهجية وإحصائية في تصميم الاستبيان والوقوف على مدى صدقه وثباته، جاءت هذه الورقة البحثية لتسلط الضوء على هاته الأداة المهمة من حيث تعريفها وتبيان كيفية تصميمها وبناءها، وأخيراً معالجتها، وإختبارها وتجربتها قبل تطبيقها على العينة البحثية.

1- البحث السوسيولوجي:

قد لا يمكننا تعريف البحث السوسيولوجي ما لم نوضح معنى البحث العلمي
البحث العلمي

تختلف تعريفات البحث العلمي باختلاف أنواع البحوث ومجالاتها، أهدافها ووسائلها وأدواتها، إلا أنها تتفق في الشكل والغاية وعليه:

- البحث العلمي : مجموعة من النشاطات والجهود الهادفة إلى اكتشاف المعارف وتنميتها وتحليلها وتركيبها ومحاولة الاستفادة منها (ملحس، 1960، ص 24).
- "فاندالين" يعرف البحث العلمي على أنه: المحاولة الدقيقة النافذة للتوصل إلى حلول للمشكلات التي تؤرق الإنسان وتحيره (صوفان وآخرون، 2012، ص 4).

-البحث السوسيولوجي:

لعل الفرق بين البحث العلمي والبحث السوسيولوجي يكمن في التخصص أي أن البحث العلمي يشمل كافة فروع العلم بينما يتخصص البحث السوسيولوجي في دراسة الظواهر المرتبطة بالسلوك البشري داخل الجماعة

وعلى هذا يمكن تعريف البحث السوسيولوجي بأنه جهود منظمة ومنهجية موجهة إلى كشف القوانين التي تحكم المجتمعات الإنسانية في حركتها وسكونها وتقديم تفسيرات لها وتحديد ماهيتها (عزي، 1992، ص 38).

البحث السوسيولوجي : هو مجموعة الأنشطة التي يقوم بها الباحث وفق منهج معين بغرض الوصول إلى حقائق اجتماعية مرتبطة بالظواهر محل الدراسة.

2- تعريف الاستبيان:

الاستبيان: هو منظومة متكاملة ومتناسقة من الفقرات (العبارات) الموزونة التي تقيس سمة معينة (متغير أو خاصية) أو اتجاه المبحوثين حول قضية ما تشملهم أو ظاهرة هم فاعلون رئيسيون فيها. (علي عبد الرزاق جلي، 2012، ص 254)

يتبين لنا من خلال هذا التعريف أن الاستبيان عبارة عن مجموعة من الفقرات المتناسقة والمتكاملة فيما بينها، لتشكل في النهاية نظام إستخباراتي معلوماتي، الغرض منها معرفة رأي المبحوثين حول قضية ما أو ظاهرة هم جزء من صناعتها أو قياس سمة لدى الأشخاص

الموضوعين تحت الدراسة، وتكون فقرات الاستبيان موزونة بغرض إعطائها درجات رقمية من أجل ترميزها وتفسيرها في الحاسوب ومعالجتها بالبرامج الحاسوبية.

3- تصميم الاستبيان:

الاستبيان هو مجموعة من الفقرات (المؤشرات) التي يتم وضعها فيه كي تقيس مجموعة من السمات (الأبعاد)، لذلك كي تكون هذه الأداة فعالة في عملية القياس فإنه يتوجب تصميم الاستبيان وفق طريقة مقياس ليكرت الخماسي أو الرباعي أو الثلاثي أو الثنائي، حيث يعد مقياس ليكرت نوع من أنواع المقاييس التي يستخدمها الباحث عند جمع البيانات وخاصة عند الدراسات والأبحاث التي تقيس الاتجاهات، وهو يصنف ضمن المقاييس الرتبوية، حيث يتكون المقياس الخماسي مثلاً من مجموعة من المحاور (الأبعاد) وكل محور (بعد) يتكون من مجموعة من المؤشرات التي هي عبارة عن مجموعة من البنود أو العبارات أو الفقرات التي يجب عليها المبحوث، وتكون في مقابلها مجموعة من البدائل (الإستجابات) وعددها خمسة بدائل لأجل هذا سمي بالخماسي، بحسب عدد البدائل والتي تكون في الغالب كما يلي: (معارض بشدة - معارض - محايد - موافق - موافق بشدة)، والتي تأخذ أوزان (درجات) يتم التعامل معها كأرقام كمية، ويتم تغيير البدائل (الإستجابات) بحسب طبيعة وفرضيات وأهداف الدراسة التي يسعى الباحث للوصول إليها.

لهذا ليس شرطاً أن تكون بدائل محاور الاستبيان موحدة أو هي نفسها، فيحدث أن تكون بدائل المحور الثاني مختلفة عن بدائل المحور الأول وباقي المحاور كذلك.

رغم أن الاستبيان يمكن تصنيفه إلى عدة أصناف بحسب نوع الأسئلة التي توضع فيه، فإذا كانت الأسئلة مغلقة سمي باستبيان مغلق، وإذا كانت الأسئلة مفتوحة سمي استبيان مفتوح، واستبيان شبه مغلق،... إلخ، ولكن أفضل استبيان والذي يتسم بالدقة في جمع البيانات وكذلك الذي يساعد الباحث في تكميم البيانات (الحصول على بيانات كمية) واختبار فرضيات بحثه والوصول إلى نتائج دقيقة هو تحويل الاستبيان إلى مقياس بأحد الطرق التالية:

تصميم الاستبيان وفق مقياس ثلاثي يأخذ الشكل التالي:

الإستجابات			المحور الأول	
أبداً	أحياناً	دائماً	عنوان الفقرة	رقم الفقرة
				01
				02
				03
				04
				05

تصميم الاستبيان وفق مقياس رباعي يأخذ الشكل التالي:

الإستجابات				المحور الأول	
غير راض بشدة	غير راض	راض	راض بشدة	عنوان الفقرة	رقم الفقرة
					01
					02
					03
					04
					05

تصميم الاستبيان وفق مقياس خماسي يأخذ الشكل التالي:

الإستجابات					المحور الأول	
معارض بشدة	معارض	محايد	موافق	موافق بشدة	عنوان الفقرة	رقم الفقرة
						01
						02
						03
						04
						05

4- درجات الإستجابات:

ذكرنا في بداية تعريفنا للاستبيان بأنه يساعد في تكميم البيانات، ذلك أننا نعطي درجة لكل مبحوث مقابل كل إستجابة يختارها للفقرة (العبارة)، وفي النهاية يصير لدينا مجموع درجات كل مبحوث على المحور (البعد) تساعدنا تلك الدرجات في عملية اختبار الفرضيات، وكذلك معرفة عدد ونسبة الأشخاص الموافقين أو المعارضين أو المحايدين لكل بند وللمحور (البعد) ككل، ولهذا يتم منح الدرجات كما يلي:

الإستجابة	معارض بشدة	معارض	محايد	موافق	موافق بشدة
الدرجة	1	2	3	4	5

- حيث المبحوث الذي يختار إستجابة (معارض بشدة) يتحصل على درجة (1)
- والذي يختار إستجابة (معارض) يتحصل على درجة (2).
- والذي يختار إستجابة (محايد) يتحصل على درجة (3).
- والذي يختار إستجابة (موافق) يتحصل على درجة (4).
- والذي يختار إستجابة (موافق بشدة) يتحصل على درجة (5).

5- تفرغ الاستبيان وترميزه:

1-5- تعريف التفريغ: تفريغ البيانات هو تحويل البيانات من الشكل الورقي إلى الشكل الإلكتروني وذلك بتفريغ محتوى إستمارة الاستبيان في برامج حاسوبية كي يسهل التعامل معها ومعالجتها بشكل آلي.

2-5- تعريف الترميز: ترميز البيانات هو تحويل البيانات الكيفية إلى بيانات كمية من خلال إعطاء رمز أو رقم مقابل قيمة أو استجابة للمبحوثين في الاستبيان، كي نستطيع استخدام المعاملات الإحصائية مع البيانات المجمعة، وعملية الترميز تعد كمعرف للبيانات التي من خلالها يستطيع البرنامج الحاسوبي التعرف على معنى وقيمة تلك البيانات من خلال الرموز أو الأرقام التي تأخذها، فمثلا إذا كان لدينا متغير الجنس فإننا سنرمز للذكور بالرمز 1 والإناث بالرمز 2، فعندما ندخل القيمة 1 للبرنامج فإنه يتأكد مباشرة أن هذه القيمة المدخلة تعبر عن شخص ذكر.

- وسيكون شكله في برنامج SPSS عند عملية تفريغه كما يلي:



	النوع_الإجتماعي	السن	المستوى_التعليمي	الحالة_الإجتماعية	الخبرة_المهنية	1س	2س	3س	4س	5س
1	1	22	4	1	2	5	5	5	4	4
2	2	45	4	1	10	4	4	4	3	3
3	2	35	4	2	4	5	5	5	5	5
4	2	34	2	1	8	5	5	5	5	5
5	2	29	3	2	3	4	4	4	4	4
6	2	44	4	2	7	5	3	4	4	3
7	2	24	2	3	2	5	4	4	4	4
8	1	28	2	2	4	5	5	4	4	4
9	1	33	2	2	5	5	4	5	5	3
10	1	36	4	2	5	3	3	5	5	4

6- اختبار صدق الاستبيان (Validity):

1-6- تعريفه:

معامل الصدق هو اختبار يسمح لنا بمعرفة هل هذا الاستبيان صادق في قياس السمة (البعد أو المتغير) التي وضع لأجله أم لا، وأن يكون قادرا على التمييز بين الأداء القوي والأداء الضعيف في السمة أو الخاصية أو القدرة التي يقيسها، ويشير الصدق إلى مدى صلاحية درجات المقياس (الاستبيان) للقيام بتفسيرات معينة.

2-6- أنواعه:

هناك العديد من أنواع اختبارات الصدق التي يجريها الباحث على الاستبيان منها (الصدق الظاهري - صدق التكوين الفرضي - الصدق التنبؤي - الصدق التلازمي - صدق الإتساق الداخلي - الصدق التمييزي - الصدق الذاتي - الصدق العاملي) وسنركز على ما يحتاجه الباحث الاجتماعي في اختبار استبيانته:

6-2-1- الصدق الظاهري:

تعتمد هذه الطريقة على مدى تمثيل عبارات الاستبيان تمثيلا صحيحا للمجال المراد قياسه، وهو ما يطلق عليه بالصدق الظاهري أو صدق المحكمين أو صدق المحتوى أي هذا النوع من الصدق يكون فيه دور للخبراء ومجموعة من المحكمين رأي في مدى صلاحية هذا المقياس (الاستبيان) لما أعد له، من حيث البنود والأسئلة وعددها وبدائلها.. إلخ، وبشروط في هذا النوع من الصدق ما يلي:

- أن يكون هناك تنوع في الخبراء (المحكمين) من حيث تخصصاتهم العلمية.
- أن يكون عدد المحكمين كافيا وكبيرا بدرجة تسمح بأخذ أكبر قدر من آرائهم.
- أن يتم المزج بين الخبراء العلميين والخبراء العمليين، أي أن يكون هناك محكمين أكاديميين يشغلون في الجانب العلمي، ومحكمين مهنيين يشغلون وظائف عملية لها صلة بموضوع البحث أو الدراسة. (عبان عبد القادر، 2024، ص 131)

6-2-2- صدق الإتساق الداخلي (الصدق البنائي):

الاتساق الداخلي أو صدق البناء يقصد به أن كل فقرة من فقرات الاستبيان تسير في نفس المسار الذي يسير فيه الاستبيان ككل، وفي هذه الحالة يتم حساب معامل الارتباط بين درجة كل فرد في فقرة في الاستبيان على حدى مع مجموع درجات الفرد في المحور (البعد) بأكمله، أو يتم حساب معامل الارتباط بين درجة كل فرد في فقرة في الاستبيان على حدى مع مجموع درجات الفرد في كل بعد (محور) من الأبعاد (محاور) الاستبيان على حدى مع مجموع درجات الفرد في الاستبيان بأكمله، حيث إذا كانت الفقرة التي ترتبط ارتباطا ضعيفا أو ارتباطا غير دالا بينها وبين المحور الذي تنتهي إليه (أي مستوى المعنوية Sig أكبر من مستوى الدلالة $\alpha = 0.05$) فإننا نقوم بإحدى الحلول التالية: (Cohen Jacob, 1988; P 133)

- تعديل صياغة الفقرة ربما لأن المبحوثين لم يفهموا محتواها.
 - زيادة حجم العينة الإستطلاعية وإعادة توزيع الاستبيان عليهم.
 - حذف هذه الفقرة لأنها لا تنتهي إلى المحور (البعد).
- وكلما زادت قيمة معامل الارتباط للفقرة دل هذا على شدة ارتباط الفقرة بالمحور الذي تنتهي إليه، أما الفقرة التي تكون قيمة معامل الارتباط لها بالسالب فإنه يتوجب علينا أن نتحقق من أمرين وهما:

- التحقق من صحة إدخال البيانات، لربما تم عكس الدرجات فمثلا موافق بشدة يجب أن تأخذ الدرجة 5 فتم إعطاؤها الدرجة 1 وهكذا مع باقي الإستجابات، وذلك بإعادة ترميز الفقرة.
- النظر في صياغة الفقرة فلربما تم صياغتها بطريقة سلبية أي أنها تقيس عكس اتجاه وأهداف البحث.

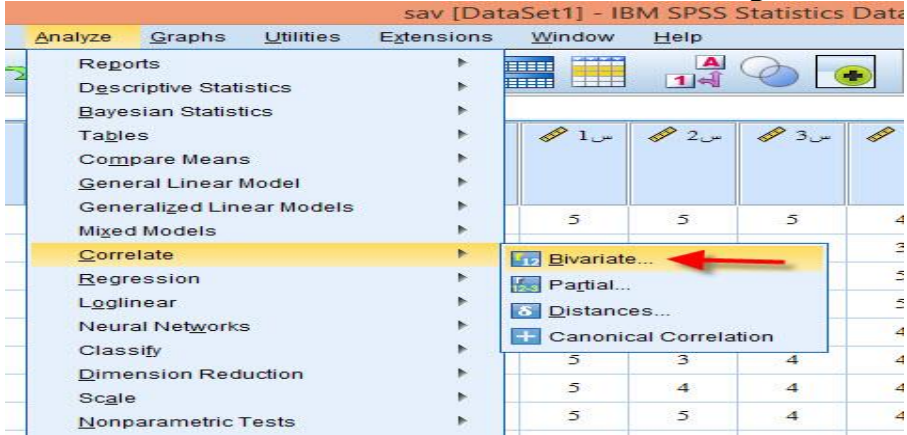
وإذا تم التأكد من النقطتين الهامتين الماضيتين، فإننا ندرك تماما بأن هاته الفقرة هي فقرة سالبة تسير عكس اتجاه وأهداف الدراسة.

ملاحظة: يتم حساب صدق الاتساق الداخلي لكل محور (بعد) على حدة إذا كان الاستبيان مقسّم إلى محاور (أبعاد) وكل محور يقيس سمة تختلف عن المحاور (الأبعاد) الأخرى.

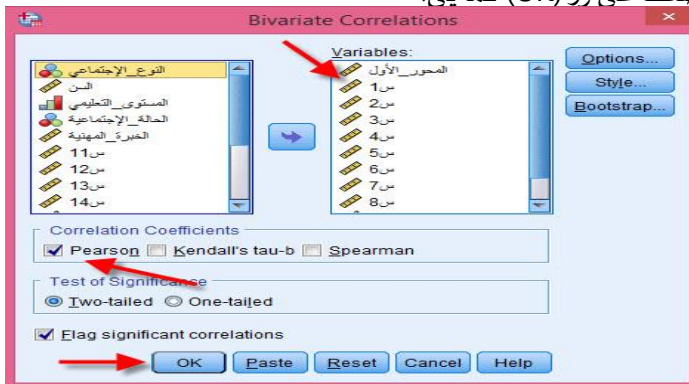
تطبيقه على برنامج SPSS:

يتم حساب صدق الاتساق الداخلي لحساب معامل الارتباط بين درجة كل فرد في فقرات الاستبيان على حده مع مجموع درجات الفرد في المحور (البعد) بأكمله باستخدام برنامج SPSS بالحاسوب كما يلي:

1- نذهب إلى قائمة (Analyze) ثم نزل إلى خيار (Correlate) ثم نخرج لنا نافذة فرعية نختار منها (Bivariate) كما يلي:



2- نخرج لنا نافذة بها مستطيلين، المستطيل الأول يحتوي على جميع المتغيرات (الفقرات) الموجودة في البرنامج، أما المستطيل الثاني فنقوم بإرسال الفقرات التي تنتهي إلى المحور الأول فقط كي نحسب العلاقة الارتباطية بينها وبين المحور الأول الذي تنتهي إليه، ثم نؤشر على معامل الارتباط (Pearson) ونضغط على زر (OK) كما يلي:



3- نخرج لنا مصفوفة الارتباطات بين المحور الأول والفقرات التي تنتهي إليه، ونركز على الدلالة المعنوية (Sig) حيث يجب أن تكون أقل من مستوى الدلالة $\alpha = 0.05$ كي نعد أن الفقرة ترتبط ارتباطاً دالاً مع المحور الذي تنتهي إليه كما يلي:

Correlations

	السور الأول	1س	2س	3س	4س	5س	6س	7س	8س	9س	10س
السور الأول Pearson Correlation	1	,350	,584"	,424'	,653"	,799"	,654"	,561"	,440'	,635"	,809"
Sig. (2-tailed)		,058	,001	,020	,000	,000	,000	,001	,015	,000	,000
N	30	30	30	30	30	30	30	30	30	30	30

4- يتم قراءة والتعليق على النتائج كما يلي:

رقم الفقرة	قيمة الارتباط	مستوى الدلالة Sig	الدلالة الإحصائية
01	0.350	0.058	ارتباط غير دال
02	0.584	0.001	ارتباط دال
03	0.424	0.020	ارتباط دال
04	0.653	0.000	ارتباط دال
05	0.799	0.000	ارتباط دال
06	0.654	0.000	ارتباط دال
07	0.561	0.001	ارتباط دال
08	0.440	0.015	ارتباط دال
09	0.635	0.000	ارتباط دال
10	0.809	0.000	ارتباط دال

- نلاحظ من خلال هذا الجدول بأن الفقرات رقم (02 + 03 + 04 + 05 + 06 + 07 + 08 + 09 + 10) ارتباطها دال مع المحور لأن مستوى المعنوية Sig أقل من مستوى الدلالة $\alpha = 0.05$ وتتراوح قيم معاملات ارتباطها بين (0.424 و 0.809).

- بينما نجد أن الفقرة رقم (01) ارتباطها غير دال مع المحور لأن مستوى المعنوية Sig أكبر من مستوى الدلالة $\alpha = 0.05$ وبالتالي يجب علينا القيام بالإجراءات السابق ذكرها، آخرها حذف الفقرة.

3-2-5- الصدق التمييزي:

1- تعريفه: ويطلق عليه بصدق المقارنة الطرفية، لأنه في هذا النوع يتم التمييز بين أداء وقدرات المبحوثين، ويعني قدرة الاستبيان أو كل فقرة من فقرات المقياس على التمييز بين أصحاب القدرة العالية وأصحاب القدرة المنخفضة في سمة أو صفة أو قدرة أو مهارة معينة، ويركز هذا النوع من الصدق أن يكون الاستبيان أو الفقرة قادرة على أن تميز بين نوعين من الاستجابات والقدرات (عالية ومنخفضة)، كما يتم حساب معامل الصدق وفق طريقة المقارنة الطرفية، من أجل التأكد من أن الأداة المستخدمة في البحث صادقة لما هي تقيسه أم لا.

2- حسابه: في هذه الحالة يقوم الباحث بترتيب درجات أفراد عينة الدراسة من أصغر درجة إلى أكبر درجة، ويقوم بتقسيم عينة الدراسة حسب الدرجات التي تحصل عليها كل فرد في العينة إلى 3 مستويات: مستوى درجات قوية ومستوى درجات ضعيفة ومستوى درجات متوسطة، والباحث هنا يأخذ فقط مستوى الدرجات القوية بنسبة 33 % من مجموع عينة الدراسة، وكذا ومستوى الدرجات الضعيفة بنسبة 33 % من مجموع عينة الدراسة، ويقارن بينهما من خلال تطبيق اختبار T لعينتين مستقلتين من أجل معرفة معامل الصدق للأداة المستخدمة في الدراسة، ويقوم بمقارنة قيمة الدلالة الإحصائية (Sig) للاختبار الإحصائي (T) التي يعطيها لنا برنامج SPSS مع مستوى الدلالة $\alpha = 0.05$ فإذا كانت قيمة الدلالة الإحصائية (Sig) أقل من أو تساوي مستوى الدلالة $\alpha = 0.05$ دل هذا على أن هناك فرق ذو دلالة إحصائية بين درجات المبحوثين، ما يفسر أن الاستبيان صادق فيما أعد له ويميز بين قدرات ودرجات المبحوثين، وإذا كانت قيمة الدلالة الإحصائية (Sig) أكبر تماماً من مستوى الدلالة $\alpha = 0.05$ دل هذا على أنه لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية بين درجات المبحوثين، ما يفسر أن الاستبيان غير صادق فيما أعد له ولا يستطيع أن يميز بين قدرات ودرجات المبحوثين. (Susan A Nolan, Thomas E Heinzen, 2012, P278)

3- تطبيقه على برنامج SPSS: يتم حساب صدق المقارنة الطرفية باستخدام برنامج SPSS بالحاسوب كما يلي:

1- نرتب درجات الاستبيان ككل من أصغر درجة إلى أكبرها كما يلي:

المحور_الدرجة	الإستبيان_كل	VS
34,00	73,00	
33,00	74,00	
37,00	74,00	
35,00	74,00	
33,00	74,00	
38,00	76,00	
44,00	80,00	
36,00	80,00	
37,00	80,00	
37,00	80,00	
38,00	81,00	
35,00	81,00	
38,00	81,00	
42,00	81,00	
39,00	84,00	
39,00	84,00	
41,00	84,00	

2- نأخذ ما نسبته 33 % من مجموع الدرجات تمثل مجموعة الدرجات الضعيفة و33 % تمثل مجموعة الدرجات القوية ونفتح ملف جديد وننسخ فيه المجموعتين كما يلي:

VS	الدرجة	المجموعة
1	73,00	1
2	74,00	1
3	74,00	1
4	74,00	1
5	74,00	1
6	76,00	1
7	80,00	1
8	80,00	1
9	80,00	1
10	80,00	1
11	92,00	2
12	97,00	2
13	100,00	2
14	100,00	2
15	100,00	2
16	100,00	2

Value Labels

Value:

Label:

Add

Change

Remove

"الدرجات الضعيفة" = 1

"الدرجات القوية" = 2

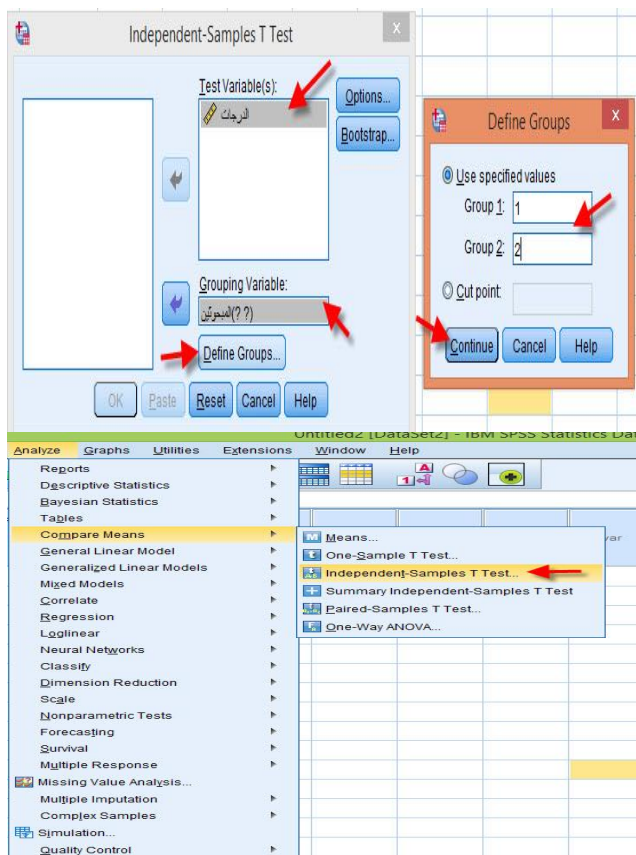
Spelling...

OK

Cancel

Help

3- ثم نذهب إلى قائمة (Analyze) ثم نزل إلى خيار (Compare Means) ثم نخرج لنا نافذة فرعية نختار منها (Independent Samples T Test) كما يلي:



4- تظهر لنا النتائج التالية، وهي تبين أن هذا الاستبيان صادق في التمييز بين درجات وقدرات المبحوثين، حيث كانت قيمة Sig التي تساوي (0.000) أقل من مستوى الدلالة $\alpha=0.05$

→ T-Test

[DataSet2]

Group Statistics				
المسوقين	N	Mean	Std. Deviation	Std. Error Mean
الدرجات المتوسطة	10	76,5000	3,10018	,98036
الدرجات العالية	10	98,9000	2,60128	,82260

Independent Samples Test									
Levene's Test for Equality of Variances					t-test for Equality of Means				
	F	Sig.	t	df	Sig. (2-tailed)	Mean Difference	Std. Error Difference	95% Confidence Interval of the Difference	
الدرجات								Lower	Upper
Equal variances assumed	2,560	,127	-17,503	18	,000	-22,40000	1,27976	-25,08867	-19,71133
Equal variances not assumed			-17,503	17,473	,000	-22,40000	1,27976	-25,09449	-19,70551

5- يتم قراءة والتعليق على النتائج كما يلي:

الدرجات	N	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	T	Sig	مستوى الدلالة	درجة الحرية	إتخاذ القرار
الدنيا	10	76.50	3.10	-17.503	0.000	0.05	18	دال
العليا	10	98.90	2.60					إحصائيا

- يتبين لنا من خلال الجدول أن قيمة اختبار T دالة عند مستوى 0.05 لأن قيمة Sig أقل منها، ما يؤكد أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين درجات المبحوثين الدنيا والعليا ما يثبت أن الاستبيان صادق لما أعد له.

(6)- اختبار ثبات الاستبيان (Reliability)

1-6- تعريفه:

ثبات الاستبيان يعني دقته وإتساقه في القياس وعدم تناقضه مع نفسه، أي أنه ثابت في كل مرة يتم تطبيقه على الأشخاص ولا تتغير سماته، ويعكس معامل الثبات مدى ثبات درجة الفرد وثبات ترتيبه مقارنة مع الآخرين إذا تكرر تطبيق الاستبيان عليه مرة أخرى. فالمقياس (الاستبيان) الثابت يعطي نفس النتائج تقريبا إذا كان يقيس نفس الشيء مرات متتالية، والثبات يعني الإستقرار في النتائج للفرد أو الاستبيان. ويشترط في قيمة معامل الثبات ألا يقل عن 0.70 (يمكن قبول حتى قيمة 0.60) كي نقول أن الاستبيان ثابت، أما إذا كانت القيمة أقل من 0.70 فإنه يتوجب علينا حذف الفقرات التي تضعف من قوة ثبات الاستبيان.

2-6- أنواعه: هناك العديد من أنواع اختبارات الثبات منها: (طريقة الاختبار وإعادة الاختبار - طريقة الصور المتكافئة - معامل ألفا كرونباخ - معامل كودر ريتشاردسون - طريقة التجزئة النصفية)، وسنركز على الاختبارات التي يمكن للباحث الاجتماعي تطبيقها في دراسته.

1-2-6- معامل ألفا كرونباخ (Cronbach's Alpha):

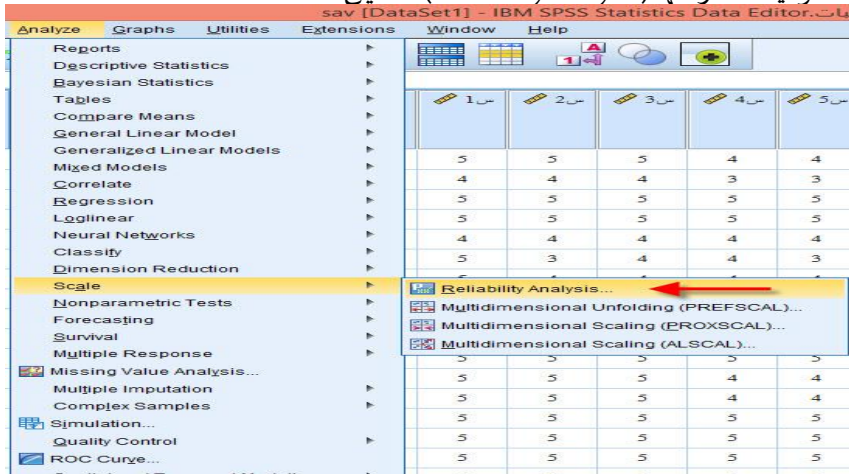
1- تعريفه: يستخدم معامل ألفا كرونباخ في حساب ثبات الاستبيان، وكذلك التعرف على العبارات أو المفردات التي تؤدي إلى خفض أو رفع معامل الثبات الكلي لأداة القياس عند حذفها، وحساب معامل الثبات الكلي في حالة غيابها، وتستخدم طريقة معامل ألفا كرونباخ عندما تكون الاستبيانات ذات الإستجابة الثنائية (نعم ولا) أو متعددة الإستجابات (موافق، محايد، معارض،... إلخ)، وفي حالة ما إذا كان الاستبيان منقسم إلى مجموعة من المحاور (الأبعاد) فإنه يتوجب حساب معامل ألفا لكل محور (بعد) على حدة مستقل عن المحاور الأخرى.

2- تفسير قيمته: يتم تفسير قيمة معامل ألفا كرونباخ وفق الجدول التالي (George & Mallery, 2003):

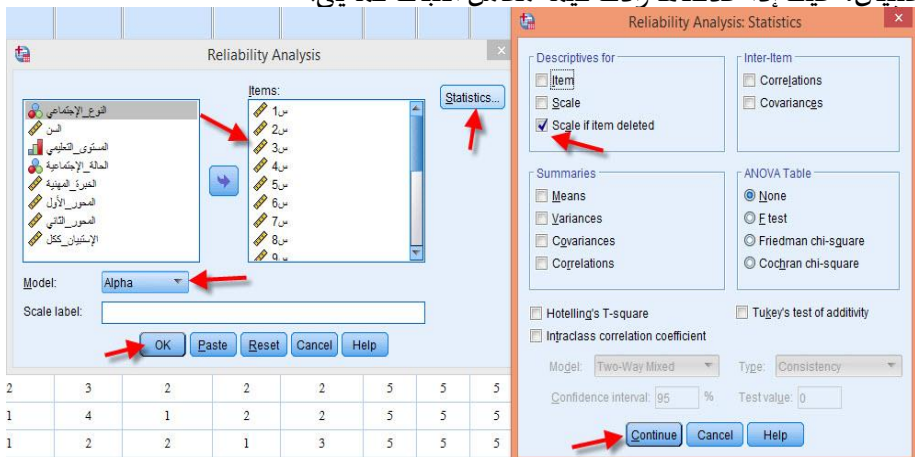
ألفا كرونباخ	التفسير
$\alpha \geq 0.9$	ممتاز
$0.9 > \alpha \geq 0.8$	جيد

مقبول	$0.8 > \alpha \geq 0.7$
مشكوك فيه	$0.7 > \alpha \geq 0.6$
ضعيف	$0.6 > \alpha \geq 0.5$
غير مقبول	$\alpha < 0.5$

3- تطبيقه على برنامج SPSS: يتم حساب معامل الثبات وفق طريقة ألفا كرونباخ باستخدام برنامج SPSS بالحاسوب كما يلي: 1- نذهب إلى قائمة (Analyze) ثم نزل إلى خيار (Scale) ثم نخرج لنا نافذة فرعية نختار منها (Reliability Analysis) كما يلي:



2- تظهر لنا نافذة نقوم بإرسال الفقرات التي تنتهي إلى المحور إلى المستطيل الثاني ونختار اختبار (Alpha) ونضغط على زر (Statistics) ونضغط على خيار (Scale if Item Deleted) في حالة ما إذا كانت قيمة معامل ألفا أقل من 0.70 لأن هذا الخيار يبين لنا الفقرات التي تضعف من قوة ثبات الاستبيان، حيث إذا حذفناها زادت قيمة معامل الثبات كما يلي:



3- يبين لنا الجدول الصغير أن قيمة معامل ألفا كرونباخ تساوي 0.891 وهي كبيرة ما يعني أن هناك ثبات قوي للاستبيان، أما الجدول الثاني الكبير فيبين لنا في العمود الأخير (Cronbach's

(Alpha if Item Deleted) الفقرات التي تضعف من قوة الاستبيان حيث إذا حذفناها زادت من قوته، ونحن هنا في هذا المثال لسنا بحاجة إلى حذف أي فقرة، لأن قيمة معامل ألفا كرونباخ كانت أكبر من 0.70 وهو يعكس ثبات قوى للاستبيان:

Reliability Statistics	
Cronbach's Alpha	N of Items
.891	20



Item-Total Statistics				
	Scale Mean if Item Deleted	Scale Variance if Item Deleted	Corrected Item-Total Correlation	Cronbach's Alpha if Item Deleted
1. سن	81,87	95,154	,139	,896
2. سن	82,07	88,961	,548	,885
3. سن	81,90	93,403	,418	,889
4. سن	82,07	91,720	,497	,887
5. سن	82,57	81,564	,761	,877
6. سن	82,17	88,075	,654	,882
7. سن	81,97	92,861	,369	,890
8. سن	81,97	94,654	,209	,894
9. سن	82,07	90,478	,476	,887
10. سن	82,23	87,289	,724	,881
11. سن	81,77	94,530	,432	,889
12. سن	82,20	86,441	,599	,883
13. سن	82,33	85,678	,736	,879
14. سن	82,17	89,799	,673	,883
15. سن	82,50	90,879	,295	,894
16. سن	82,77	81,564	,728	,878
17. سن	82,60	85,421	,660	,881

4- يتم قراءة والتعليق على النتائج كما يلي:

أبعاد المقياس	ألفا كرونباخ	عدد الفقرات
البعد الأول	0.891	20
البعد الثاني	0.799	07
البعد الثالث	0.705	06
البعد الرابع	0.801	10

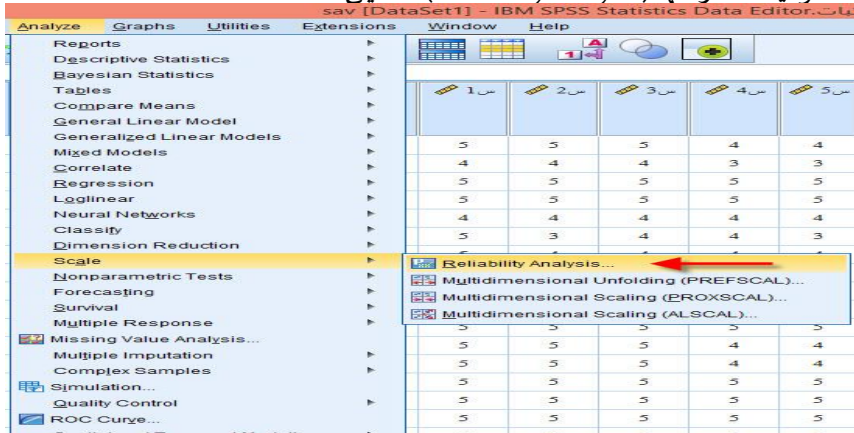
يتبين لنا من خلال الجدول بأن قيمة معامل ألفا كرونباخ لأبعاد المقياس مرتفعة وهو ما يثبت أن معامل ثبات المقياس مرتفع.

2-2-6 أسلوب التجزئة النصفية (Split Half):

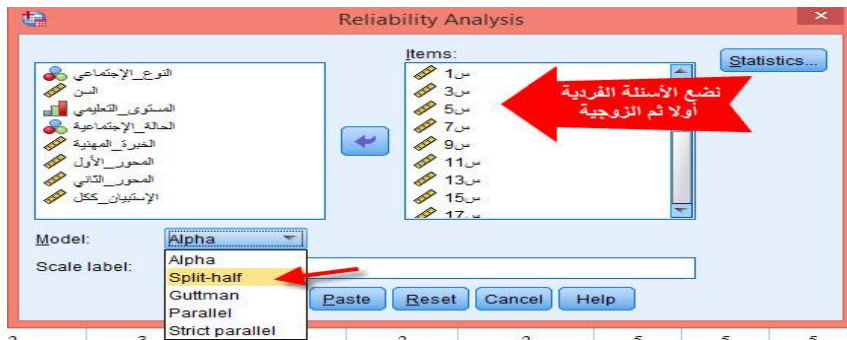
1- تعريفه: تعتمد هذه الطريقة على تقسيم الاستبيان إلى نصفين، النصف الأول تكون فيه الفقرات التي تحمل التقييم الفردي (1، 3، 5، 7، ... إلخ) والنصف الثاني تكون فيه الفقرات التي تحمل التقييم الزوجي (2، 4، 6، 8، ... إلخ) ويتم حساب معامل الارتباط بين النصفين، وتصحيح قيمة معامل الارتباط بمعادلة سبيرمان - براون (Spearman-Brown) لأن النتيجة الأولية لمعامل الارتباط هي نتيجة نصفية (جزئية) وبالتالي يتم تعديلهما. (Frederick J Gravetter, Larry B Wallnau, 2017, P 485)

ولا يشترط أن تكون عدد الفقرات الفردية متساوية في العدد مع الفقرات الزوجية، لأننا نحسب مجموع درجات المبحوثين في الفقرات الفردية، ومجموع درجاتهم في الفقرات الزوجية ونحسب معامل الارتباط بين المجاميع.

2- تطبيقه على برنامج SPSS: يتم حساب معامل الثبات وفق طريقة التجزئة النصفية باستخدام برنامج SPSS بالحاسوب كما يلي: 1- نذهب إلى قائمة (Analyze) ثم نزل إلى خيار (Scale) ثم نخرج لنا نافذة فرعية نختار منها (Reliability Analysis) كما يلي:



2- تظهر لنا نافذة نقوم بإرسال الفقرات التي تحمل التقييم الفردي أولاً ثم نرسل الفقرات التي تحمل التقييم الزوجي إلى المستطيل الثاني ونختار اختبار (Split - half) ونضغط على زر (OK) كما يلي:



3- تظهر لنا نتيجة معامل الارتباط النصفية ويساوي 0.864 وبعد تصحيحه بمعادلة سبيرمان- براون صارت قيمة معامل الارتباط تساوي 0.927 وهي أكبر من 0.70 ما يبين أن معامل ثبات الاستبيان قوي.

Reliability Statistics

Cronbach's Alpha	Part 1	Value	,772
		N of Items	10 ^a
	Part 2	Value	,819
		N of Items	10 ^b
Total N of Items			20
Correlation Between Forms			,864
Spearman-Brown Coefficient	Equal Length		,927
	Unequal Length		,927
Guttman Split-Half Coefficient			,926

a. The items are: 1, 3, 5, 7, 9, 11, 13, 15

b. The items are: 17, 19

c. The items are: 2, 4, 6, 8, 10, 12, 14, 16

d. The items are: 18, 20

4- يتم قراءة والتعليق على النتائج كما يلي:

قيمة معامل الثبات	معامل الارتباط قبل التصحيح	تصحيح معامل الارتباط بمعادلة سبيرمان- براون
0.864	0.927	0.927

يتبين من خلال الجدول أن قيمة معامل الارتباط بعد التصحيح تساوي 0.927 وهي قيمة مرتفعة جدا ما يبين أن معامل ثبات المقياس مرتفع جدا.

خاتمة:

في الأخير ممكن ان نقول، و ننبه الطالب والباحث في ميدان العلوم الاجتماعية، أن تصميم الاستمارة (الاستبيان) وقياس صدقها وثباتها حجر الزاوية في البحث العلمي فالاستمارة المصممة بعناية تضمن جمع بيانات دقيقة وموثوقة، بينما يؤكد الصدق أنها تقيس ما وُضعت لقياسه، ويضمن الثبات اتساق النتائج واستقرارها عند تكرار تطبيقها في ظروف مماثلة.

قائمة المراجع:

أولاً: باللغة العربية

- 1- جلبي علي عبد الرزاق ، (2012) المناهج الكمية والكيفية في علم الاجتماع، مصر: دار المعرفة الجامعية.
- 2- صوفان ممدوح عبد المنعم وآخرون ، دليل اخلاقيات البحث العلمي، كلية العلوم، فرع دمياط، دط، 2012.
- 3- عبان عبد القادر، (2024)، التكميم والتصميم في علم الاجتماع، الجزء 01، الجزائر: دار فكرة كوم للنشر والتوزيع.
- 4- عزي عبد الرحمان، البحث العلمي الاجتماعي (بعض الموازنات والاولويات)، حوليات الجامعة، عدد 07، 1992.
- 5- ملحس ثريا عبد الفتاح، منهج البحوث العلمية للطلاب الجامعيين، دط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1960.

ثانياً: باللغة الإنجليزية

1. Cohen Jacob, (1988), Statistical Power Analysis For The Behavioral Sciences, 2ed, USA: Lawrence Erlbaum Associates Publishers.
2. Frederick J Gravetter, Larry B Wallnau, 10ed, (2017), Statistics for the Behavioral Sciences, United States: Cengage Learning.
3. George, D., & Mallery, P. (2003). SPSS for Windows step by step: A simple guide and reference. 11.0 update, (4th ed), Boston: Allyn & Bacon.
4. Susan A Nolan, Thomas E Heinzen, 2ed, (2012), Statistics for the Behavioral Sciences, United States: Worth Publishers.

الاستمارة البحثية

أ.د. بهتون نصر الدين

bahtoune.nasreddine@univ-khenchela.dz

أ.د. لندة شنافي

chenafi.lynda@univ-khenchela.dz

جامعة عباس لغرور. خنشلة- الجزائر

الملخص

تقدم هذه الورقة العلمية تصورا منهجيا حول عملية جمع البيانات في البحوث الاجتماعية الميدانية باعتبارها مرحلة حاسمة يتم من خلالها تحويل الفرضيات النظرية إلى بيانات تجريبية قابلة للقياس والتحليل وتتركز على الاستبيان كأداة بحثية أساسية، حيث تتناول تعريفه وأنواعه وخطوات تصميمه وقواعد صياغة الأسئلة ومجالات استخدامه وإجراءات التحقق من صحته وطرق إدارته ومزاياه وعيوبه، بالإضافة إلى مقارنته بأدوات جمع البيانات الأخرى.

فاختيار أداة البحث يستند إلى طبيعة المشكلة، حيث أن كل أداة مناسبة لأنواع معينة من الدراسات دون غيرها. وفي علم الاجتماع، يُعد الاستبيان مفيدًا بشكل خاص لدراسة المعتقدات والاتجاهات والنزعات والثقافة التنظيمية وجودة الحياة المهنية، لأنه يتيح الوصول إلى عينات كبيرة ومتفرقة جغرافيًا بتكلفة منخفضة نسبيًا. فبنود الاستبيان هي تعبير مباشر عن فرضيات الدراسة، وهي مصممة لإنتاج استجابات موحدة يمكن تحليلها إحصائيًا. كما تؤكد هذه الورقة على أهمية التصميم الدقيق والاختبار التجريبي وفحوصات الصلاحية والموثوقية لضمان الدقة العلمية. لأداة الاستبيان.

الكلمات المفتاحية: الاستبيان - البحث الاجتماعي - جمع البيانات - الصلاحية والموثوقية.

Summary:

This introduction presents data collection in social field research as a decisive stage through which theoretical hypotheses are transformed into measurable and analyzable empirical data. It focuses on the questionnaire as a primary research tool, examining its definition, types, design steps, question formulation rules, fields of use, validation procedures, administration methods, advantages, disadvantages, and its practical comparison with other data collection tools. The text also emphasizes that the choice of research instrument depends on the nature of the problem, since each tool is suitable types of studies and not for others. In sociology, the questionnaire is especially useful for studying beliefs, attitudes, tendencies, organizational culture, and professional quality of life, because it allows access to large and geographically dispersed samples at relatively low cost. The text further explains that questionnaire items are a direct expression of the study's hypotheses and are designed to produce standardized responses that can be statistically analyzed. It also highlights the importance of careful construction, pilot testing, and validity and reliability checks to ensure scientific rigor.

Keywords - Questionnaire- Social research- Data collection- Validity and reliability -Sociology

مقدمة

يعد جمع البيانات في إطار الدراسات الميدانية الاجتماعية مرحلة فاصلة من خلالها يتم تحويل الفرضيات النظرية إلى بيانات تجريبية قابلة للقياس والتحليل ، وسنحاول في هذه الورقة البحثية أن نركز على الاستمارة البحثية (الاستبيان) كأداة أساسية، مع التعمق في تعريفها، أنواعها، خطوات تصميمها، شروط صياغة أسئلتها، مجالات استخدامها، آليات تحكيمها، طرق إجرائها، مميزاتها وعيوبها، كما سيتم تضمينها مقارنة منهجية مع أدوات أخرى لتوضيح السياق العملي لتطبيقها والاستفادة منها .

فعندما يختار الباحث مشكلة ما هذا يتطلب منه تحديد الأدوات التي سيعتمدها لجمع المعطيات و البيانات حول إشكالية دراسته ، فوسائل جمع البيانات تختلف تبعاً لاختلاف المشاكل المراد دراستها ، فمعظم الدراسات تتطلب استخدام أدوات و تقنيات من خلالها يتم جمع المعطيات الميدانية، لذا فإننا نجد أن هناك أدوات يمكن أن تستخدم في دراسات معينة بينما لا يمكن أن نستخدمها في دراسات أخرى وقد يلجأ الباحث إلى استخدام أكثر من وسيلة واحدة لتجميع البيانات وهذا قد يكون مرغوباً فيه ، ومن بين الأدوات الأكثر استخداماً لجمع البيانات و المعطيات في الدراسات الميدانية نجد استمارة الاستبيان وسنحاول فيما يلي التعرف عليها .

1- تعريف الاستبيان:

كلمة الاستبيان هي مرادف للكلمة اللاتينية "Questionnaire"، حيث تعرف على أنها " قائمة من الأسئلة تعد بشكل جيد لمعرفة آراء ومعتقدات واتجاهات الآخرين نحو موضوع معين " (العربي بلقاسم فرحاتي، 2012، صفحة 281) ، فهو بذلك أداة تمكننا من الحصول على الحقائق وتجميع البيانات عن الظروف والأساليب القائمة بالفعل ، ويعرفه عبد الباسط محمد بأنه " مجموعة من الأسئلة التي ترسل إلى الأشخاص الذين يصعب الوصول إليهم أو مقابلتهم وجها لوجه لاستفتائهم حول موضوع أو مشكلة معينة " (نبيل أحمد عبد الهادي، 2006، صفحة 54)

والاستبيان يعتمد على إعداد مجموعة من الأسئلة مكتوبة كنشرة في جريدة أو مجلة أو إذاعة وبرنامج تليفزيوني أو بواسطة صندوق البريد أو عن طريق البريد الإلكتروني، توجه لمجموعة من المبحوثين يقومون بملئها.

و في علم الاجتماع، يُستخدم الاستبيان لقياس ظواهر جماعية مثل ثقافة المنظمات أو جودة الحياة المهنية، حيث نجده مثلاً في دراسات التنظيم الجزائري يساعد في كشف ديناميكيات الولاء الاجتماعي مقابل الكفاءة، فالاستبيان يختلف عن الأدوات الأخرى بتوحيده الإجابات، مما يتيح تحليلاً إحصائياً قوياً، والأسئلة التي تتضمنها استمارة الاستبيان ماهي إلا تجسيد حقيقي للفروض العلمية التي يتم تحديدها في بداية الدراسة والبحث.

2- أنواع الاستبيان:

للاستبيان عدة أنواع، يمكن أن نحددها تبعاً لنوع الأسئلة التي تتضمنها، حيث يقوم الباحث بإعداد استمارة للاستبيان، ويمكن أن نصنف الأنواع بناءً على حرية الإجابة وقابليتها للإحصاء واستناداً لذلك يمكن تحديدها وفق ذلك فنجد:

- الاستبيانات ذات الأسئلة المفتوحة
- الاستبيانات ذات الأسئلة المغلقة
- الاستبيانات نصف مفتوحة (أو النصف مغلقة)
- الاستبيانات المتضمنة صور بدل الأسئلة

1-2- الاستبيانات ذات الأسئلة المفتوحة

هذا النوع هو الأكثر استخداما من طرف الباحثين ، حيث يتم من خلاله تلقي إجابات تحمل طابع التنوع وأكثر توسعا ، وهذا ما يشكل صعوبة لدى الباحث في عملية التفرغ و التبويب ، في المقابل هذا النوع من الاستبيانات يمنح للمبحوث الحرية في تحديد اتجاهاتهم ، كما يستخدم أيضا في المواضيع المتعلقة باستطلاع الآراء غير المعروفة سابقا كاملة ، وتتيح المجال للتعبير عن وجهات نظر الباحث بصورة تفصيلية ، حيث يمنح فرصة للكشف عن دوافعهم ويعطي الفرصة لإجابات أخرى غير متوقعة ، مثال: "صف كيف يؤثر الهرم الإداري على إبداعك في العمل؟" هذا السؤال مناسب لاستكشاف ثقافات تنظيمية جديدة.

2-2- الاستبيانات ذات الأسئلة المغلقة

في هذا النوع من الاستبيانات يتوجه الباحث إلى وضع عدة احتمالات للإجابات الممكنة عن أسئلته ، ويتوجه إليه الباحث لأنه الأكثر سهولة من حيث عملية تفرغ ، وهو على نوعين:

- النوع الأول: يعتمد في تحديد الإجابات على الثنائيات (نعم / لا) ، (لا اعرف / كلا) ، (نعم / لا أدري).
- النوع الثاني: يتم فيه تحديد مجموعة من الاحتمالات للإجابة عن السؤال ، وهنا قد يختار المبحوث إجابة واحدة أو كلها ، وهذا ما ينطبق على مقياس Likert = 1 شديدا الرفض إلى 5 = شديدا الموافقة).

3-2- الاستبيانات نصف المفتوحة (أو نصف المغلقة):

في هذا النوع يتم المزج بين أسئلة الاستبيان المفتوح والمقيد ، ويشترط هنا ان يكون الباحث ملما بالطرق الإحصائية وكيفية معالجة ذلك احصائيا ، وهذا ما يتيح لنا الموازنة بين الكم/الكيف.

4-2- الاستبيانات المتضمنة صور بدل الأسئلة:

يستخدم بهدف قياس التصورات البصرية للسلوك الاجتماعي وهو نوعان:

- 1-4-2 النوع الأول: يقوم الباحث بتحويل أسئلته إلى صور أو رسوم خاصة عندما يكون التعامل مع الأطفال أو الأميين وكل من ليس له القدرة على القراءة أو الكتابة.
- 2-4-2 النوع الثاني: وهو ان المبحوث يقوم بكتابة كل ما يتصوره عن الرسوم المعروضة له وهي تتيح للباحث معرفة تمثيلات المبحوث حول الصورة المعروضة.

3- أساليب إجراء الاستبيان (وجيه محجوب ، 2005 ، صفحة - 161 - بالتصرف)
يتم اجراء الاستبيان وفق أسلوبيين :

- بالأسلوب المباشر
- بالأسلوب غير المباشر.

1-3- الأسلوب المباشر:

يعتمد هذا الأسلوب على تسليم الاستبيانات مباشرة للمبحوثين سواء بشكل فردي أو جماعي، وهذا ما يتيح للباحث أو من ينوب عنه ضمان تسليم كل الاستبيانات، ويتم هذا الأسلوب وفق طريقتين:

1-1-1- طريقة التسليم والاستلام: وهو ان يقوم الباحث /ينوب عنه على تسليم الاستبيان الى كل مفردات بحثه، وبعدها يقوم بإعادة استرجاعها بنفس طريقة التسليم.

2-1-3- طريقة التسليم الجماعي: وهنا يقوم الباحث بجمع المبحوثين ويشرح لهم الهدف من البحث ثم يقوم بتوزيع الاستبيان، وبعدها يجمعها مباشرة.

2-2- الأسلوب غير المباشر:

وفق هذا الأسلوب يقوم الباحث بتوزيع الاستبيان بأسلوب غير مباشرة أي أن عملية التوزيع تكون إما عن طريق إرسالها عبر البريد أو الهاتف أو عن طريق الصحف والمجلات، كما يمكن أن توزع عن طريق الاذاعة والتلفاز.

4 - خطوات تصميم وبناء استمارة الاستبيان:

تعد عملية تصميم وبناء استمارة الاستبيان أمرا مهما في تحديد مدى قابليته للتطبيق وبلوغ الهدف من استخدامه فعدم تصميمه تصميمًا دقيقًا قد يؤدي إلى عدم دقة الإجابات.

ولذا فقبل ان يتجه الباحث الى خطوة تصميم وبناء استمارة الاستبيان لابد من:

- تحديد نوع البيانات والمعلومات التي يرغب الباحث في جمعها في ضوء الإشكالية والفروض التي تم صياغتها

- القيام بالدراسة الاستطلاعية لميدان الدراسة والتي من خلالها يتحدد مجتمع البحث والعينة

- تنظيم المعلومات المطلوبة في ضوء أبعاد الظاهرة المراد قياسها وترتيبها ترتيبًا منطقيًا

- تحديد شكل استمارة الاستبيان من حيث الطول وعدد الأسئلة المتوقعة لكل بعد أو محور بحيث يراعى في ذلك ألا يكون الطول الكلي يبعث عن الملل.

- تحديد شكل الاستمارة من حيث نوعها (أسئلة أم بنود وفقرات) بحيث يلائم نوع المعلومات التي يرغب في جمعها

- تحديد شكلها من حيث البدائل (صيغة عادية أو ليكارت أو غيرها)

- اعداد التعليمات المفصلة لشرح الغرض ونطاق الدراسة

و بعدها يتم تصميم استمارة الاستبيان وفق مراحل وخطوات أساسية تضمن صلاحيتها يمكن أن نحدد فيما يلي : (عدنان أحمد مسلم، 2003، الصفحات 47-53)

1-4 التصميم الأولي، ويتضمن ما يلي:

أ-الصفحة الخارجية أو صفحة الواجهة: لابد ان يتم فيها تحديد الهيئة المشرفة على البحث، عنوان البحث واسم و/أو أعضاء فريق العمل والسنة، مع تضمينها جملة من التعليمات والملاحظات المتعلقة بكيفية ملأ الاستمارة مع تحديد الهدف من البحث مع التأكيد على ضرورة طمأنة المبحوث من خلال عبارة أن "الاستمارة تحوي أسئلة ستستخدم إلا لأغراض علمية فقط، وتسلم بالسرية"

ب- الصفحة الثانية: وهي صفحة البيانات العامة أو الشخصية وعادة ما تتضمن معلومات حول العمر، النوع، الحالة المدنية الحالة التعليمية، مكان الإقامة ... الخ، وتتحدد في ضوء متطلبات وأهداف البحث ومتغيراته ولا يتعداها، الهدف منها هو تكوين صورة عامة عن المبحوث

ج- الصفحة الثالثة: وقد تكون أكثر لأنها تحتوي على الأسئلة التي تترجم أبعاد ومؤشرات الفروض و/أو الأسئلة التي تحديدها في إشكالية البحث،

وفي الغالب في نهاية الاستبيان يتم طرح سؤال مفتوح عام ويكون مثلاً على هذه الشاكلة : هل لديك اقتراح حول البحث؟ أكتبها، واكتب ما تراه مناسباً، حيث تفيد هذه الأسئلة في التحليل الاجتماعي وفي تجاوز الثغرات الكامنة بالبحث إن وجدت .

2-4 التصميم الاختباري أو التجريبي:

تخضع الاستثمار كباقي أدوات جمع البيانات للتجريب والاختبار قبل تطبيقها، وهو التصميم الأولي ذاته، حيث يعرض على المختصين والذين لهم خبرة في العمل الميداني، وبعد الاطلاع عليه وطرح الملاحظات حوله، تستدرك هذه الملاحظات من قبل الباحث ثم يقوم بتجريب الاستثمار على مجموعة من الأفراد، ويفضل أن يكونوا من العينة وهو ما تم الإشارة إليه سابقاً بالدراسة الاستطلاعية، حيث يلاحظ الباحث كيف تملأ الاستثمار وما هي الصعوبات التي يواجهها أثناء طرح الأسئلة حيث يحدد الأسئلة غير المفهومة أو التي يجب تعديلها أو توضيحها أكثر. قصد التحقق من صلاحيتها ودرجة موثوقيتها من حيث الصدق و الثبات من خلال تطبيق المعالجة الإحصائية المناسبة لذلك (مقياس ألفا كرونباخ)

3-4 التصميم النهائي:

في هذه المرحلة يكون بناء وتصميم الاستثمار جاهزاً للنزول بها إلى ميدان الدراسة، بعد تعديلها وتجاوز كل الملاحظات التي طرحت حولها .

بالإضافة إلى ما تم ذكره، لابد أن نؤكد أن الأسئلة التي تتضمنها استثمار الاستبيان لابد أن تتوفر فيها مجموعة من الشروط من حيث البناء و الصياغة نوجزها في: (العربي بلقاسم فرحاتي، 2012، الصفحات 284-285)

- أن تكون العبارات واللغة المستعملة واضحة وفي متناول فهم المبحوثين.
- أن تصاغ العبارات والأسئلة بأسلوب بسيط، منظم، منسق ويتضمن دلالة ومعنى واضح.
- ألا تكون العبارة مركبة من معنيين أو متغيرين أو تتضمن إجابتين.
- أن تصاغ فقرات أو أسئلة الاستثمار بحيث تؤدي إلى إجابات تسمح للباحث بتحويلها إلى كم قابل للقياس والتحليل.
- ألا تتطلب الأسئلة الإجابة المباشرة التي قد تثير مخاوف العينة (السياسية، الدينية أو السلطوية ... الخ)
- أن يتقلص فيها عنصر التأويل ما أمكن بحيث لا تقبل إلا تأويل واحداً.
- أن تكون العبارات أو الأسئلة محايدة غير إيحائية ولا تؤدي إلى تأثيرات أو توجيه مقصود للإجابات المراد الحصول عليها مسبقاً.
- ألا تسبب العبارات أي ضيق أو إحراج للمبحوث.

- أن تحمل عنصر التشويق

5- مميزات وعيوب الاستبيان:

1-5 - مميزات الاستبيان

- قليل التكاليف، فهو يوفر الجهد والمال
- إمكانية جمع عدد أكبر من المعلومات من عدد كبير من مفردات مجتمع البحث.
- يسمح للمبحوث بالتفكير أثناء الإجابة
- سهل التوزيع و الجمع
- لا يحتاج إلى متطلبات مادية ومالية كبيرة .
- يسمح بالحصول على بيانات وكعطيات لا يمكن الحصول عليها من مصادر أخرى بأقل وقت.

2-5 عيوب الاستبيان (ربيعي مصطفى عليان، 2001، صفحة 102)

- على الرغم من أن طريقة الاستبيان هي الطريقة الأكثر شيوعاً في الدراسات الميدانية، إلا أنه كثيراً ما يساء استخدامها وفيما يلي أهم عيوبه : (أحمد بدر ، 1982 ، صفحة 347)
- قد تكون المعلومات التي يسأل عنها الباحث معروفة من مصادر أخرى وبالتالي فإنه يسبب للمبحوث كثير من الضيق عند الإجابة.
- فشل الباحث في خلق ما يشجع المبحوث على الرد، حيث يجب على الباحث أن ينسق استبيانه وتنظيمه وتنظيمها منطقياً.
- أن يشمل الاستبيان أسئلة يعتبرها المبحوث تافهة لا أهمية لها وبالتالي فهو يرى بأنها هدر لجهوده ووقته.
- أن يشمل الاستبيان على أسئلة غير مفهومة ومهمة وتحتل إجابات متعارضة
- قد تتطلب الإجابة بنعم أو لا إجابات متعددة يختار منها المبحوث الإجابة ولكن جون شرح للمطلوب، وهنا يكون احتمال أن تكون الإجابات غير صحيحة، وبالتالي وجود تعليمات واضحة يساعد على صحة الإجابات.
- الاستبيان الطويل قد يخلق الملل لدى المبحوث خاصة إذا كانت لديه التزامات فقد يترك عدداً من أسئلة الاستبيان بدون اجابة دون ان يعرف الباحث السبب وراء ذلك.. وبالتالي لابد أن يكون الاستبيان مختصراً حتى لا يأخذ من وقت المبحوث إلا القليل. وهذا يؤثر في صدق الاستبيان ويقلل من موثوقية البيانات المسجلة
- تحيز الباحث أو رغبته في الحصول على إجابات ذات طابع خاص وذلك لرغبته في إثبات صحة فرضه من خلال استخدام الأمثلة الإيجابية وهذا يتنافى والقواعد الموضوعية للبحث العلمي.
- تؤدي العينة غير الممثلة إلى إفشال قيمة الدراسة.
- ظروف التي وضع فيها المبحوث عند الإجابة عن الاستبيان، قد تؤثر على إجاباته.

- قلة طرق الكشف عن الصدق والثبات.
- من الصعب معرفة من لم يتم بإعادة الاستبيان لعدم وجود ما يحدد هويته الاسمية
- يحتاج الاستبيان الى المتابعة للحصول على العدد المناسب من نسبة الاسترداد، لأنه عادة يكون العدد قليل إذا لم يتم تسليم الاستبيانات واستلامها باليد.

6- مقارنة بين استمارة الاستبيان و أدوات جمع البيانات الأخرى:

الأداة	المزايا	العيوب	مثال
استبيان	-يتيح كم واسع من البيانات -إحصائي	-سطحي -متحيز	رضا موظفي الإدارات
مقابلة	-متعمق -كيفي -توضيحي	-مكلف - متحيز	ثقافة ، عمل ، تمثلات
ملاحظة	تفيس سلوك حقيقي	سلوك وقتي	تفاعلات العاملين داخل المصانع
وثائق	موضوعي تاريخي	غير كامل	سجلات توظيف

مثال تطبيقي عن بناء وتصميم استمارة بحث :

يهدف هذا الاستبيان إلى دراسة مدى تأثير العمل بنظام المناوبة على الحياة الأسرية،
تعليمات : يرجى التكرم بالإجابة بكل صراحة على الأسئلة، علماً أن الإجابات ستستخدم لأغراض
البحث العلمي فقط

أولاً: البيانات العامة (شخصية – مهنية) (يرجى الإجابة عليها بدقة لأهميتها في الموضوع)

-النوع: ☐ ذكر | ☐ أنثى

-العمر: ☐ أقل من 24 | ☐ 24-34 | ☐ 35-45 | ☐ أكثر من 45

-الحالة العائلية: ☐ أعزب | ☐ متزوج | ☐ مطلق | ☐ أرمل

-طبيعة نظام المناوبات الحالي:

☐ مناوبات صباحية / مسائية / (دوامين)

☐ مناوبات ليلية دائمة

☐ نظام التناوب الكامل (صباح، مساء، ليل)

ثانياً : التوفيق بين العمل والالتزامات الأسرية

-هل يسمح لك نظام المناوبات بقضاء وقت كافٍ مع أفراد عائلتك؟

☐ نعم، دائماً ☐ أحياناً ☐ نادراً ما يحدث ذلك

-هل تجد صعوبة في التوفيق بين مواعيد عملك والتزاماتك مع أبنائك وشريك حياتك؟

☐ لا توجد صعوبة ☐ صعوبة متوسطة ☐ صعوبة كبيرة جداً

-هل التزاماتك المهنية تضطرك الى الاعتذار عن الكثير من المناسبات العائلية ؟

☐ نادراً ☐ في بعض الأحيان ☐ غالباً ما يحدث ذلك

- هل نظام المناوبات يسبب لك ضغطاً نفسياً ويؤثر على تعاملك مع عائلتك؟

□ لا أشعر بذلك □ إلى حد ما □ نعم، بشكل كبير

ثالثاً: نظام المناوبة والعلاقات الاجتماعية خارج الأسرة

- هل يمنعك نظام المناوبات من الانخراط في أنشطة اجتماعية (نادي، أصدقاء، عمل تطوعي)؟

□ نعم □ إلى حد ما □ لا

- كيف ترى تواصلك مع أصدقائك في ظل نظام عملك الحالي؟

□ تواصل مستمر وجيد □ تواصل متقطع □ عزلة اجتماعية شبه تامة

- هل مؤسستك تراعي الظروف الاجتماعية لموظفيها عند وضع جدول المناوبات؟

□ نعم، تراعي ذلك بشدة □ تراعي ذلك أحياناً □ لا تراعي ذلك أبداً

رابعاً: الرضا والمقترحات

- هل تفضل العودة إلى نظام العمل الإداري بدل المناوبات؟

□ نعم، بالتأكيد □ ربما (حسب الظروف) □ لا، أفضل المناوبات

- بشكل عام، كيف تقيم تأثير عملك الحالي على حياتك الاجتماعية؟

□ تأثير إيجابي □ تأثير محايد □ تأثير سلبي

الخاتمة

من خلال ما تم التعرض اليه في هذه الورقة العلمية يمكننا أن نستنتج أن عملية بناء استمارة الاستبيان كأداة أساسية لجمع المعطيات والبيانات البحثية، تعتبر خطوة أساسية ضمن مرحلة أساسية من مراحل البحث العلمي وهي مرحلة تنفيذ البحث في شقه الميداني، فهي عصب مركزي يتيح للباحث الوصول الى البيانات التي تسمح له من إثبات أو نفي فرضياته أو تساؤلات بحثه وفق أطر علمية ومنهجية مضبوطة تستند الى شروط وضوابط منهجية دقيقة لا يمكن الاستغناء عنها أو تجاوزها ضماناً لموثوقية هذه الأداة وموقعها ضمن مختلف الخطوات و المراحل المحددة للبحث الاجتماعي الميداني.

قائمة المراجع:

- 1- أحمد بدر . (1982). أصول البحث العلمي ومناهجه . الكويت : وكالة المطبوعات عبد الله حرمي .
- 2- العربي بلقاسم فرحاتي. (2012). البحث الجامعي بين التحرير والتصميم والتقنيات (المجلد ط 1). عمان، الاردن : دار أسامة للنشر و التوزيع.
- 3- ربيعي مصطفى عليان. (2001). البحث العلمي أسسه، مناهجه وأساليبه، إجراءاته. عمان، الأردن: بيت الأفكار الدولية.
- 4- عبدالرحمن بن عبد الله الواصل. (1999). البحث العلمي . المملكة العربية السعودية : وزارة المعارف شعبة الاجتماعيات.
- 5- عدنان أحمد مسلم. (2003). البحث الاجتماعي الميداني، خطوات التصميم والتنفيذ (الإصدار 3، المجلد 1). دمشق، سوريا : منشورات جامعة دمشق.
- 6- نبيل أحمد عبد الهادي. (2006). منهجية البحث في العلوم الإنسانية (الإصدار 1). عمان، الأردن : الأهلية للنشر والتوزيع.
- 7- وجيه محجوب. (2005). أصول البحث العلمي ومناهجه (المجلد ط 2). عمان، الاردن: دار المناهج للنشر والتوزيع.

الفرضيات في البحث الاجتماعي

د. غطاس محمد السعيد

mohammedsaid.ghettas@univ-biskra.dz

الملخص:

يعد البحث الاجتماعي التجريبي منهجاً علمياً صارماً يهدف إلى دراسة الظواهر الاجتماعية من خلال معالجة متغير مستقل (السبب) لقياس تأثيره على متغير تابع (النتيجة) في بيئة محكمة. ويعتمد هذا المنهج على الملاحظة، وصياغة الفرضيات، والتجريب للتحقق من صحة الفرضيات، كما يعتبر أداة محورية لتفسير السلوك الاجتماعي وتطوير النظريات. تمثل الفرضيات في البحث الاجتماعي تخمينات ذكية أو إجابات مؤقتة لمشكلة البحث، حيث تصاغ كعلاقات متوقعة بين متغيرين (مستقل) وواحد أو أكثر من المتغيرات التابعة، وتكون قابلة للاختبار التجريبي. وتهدف هذه الفرضيات إلى توجيه البحث، وتحديد نطاقه، واختبار النظريات. يهدف هذا المقال إلى استقصاء الفرضيات في البحث الاجتماعي، واستكشاف طبيعتها، وأنواعها، وتطبيقاتها. ويأتي المقال بعنوان الفرضيات في البحث الاجتماعي، ويندرج ضمن المحور الأول: بين المقاربات النظرية وتنظير الظواهر الاجتماعية، وينقسم فرعياً إلى القسم الثالث: الفرضيات أنواعها، كيفية تطبيقها في البحث الاجتماعي، والانتقال من البناء إلى المقاربة الإجرائية الكلمات المفتاحية: الفرضيات، البحث، اجتماعي، المنهجية التجريبية.

Abstract: Experimental social research is a rigorous scientific method that aims to study social phenomena by addressing an independent variable (cause) to measure its effect on a dependent variable (effect) in a controlled environment. It relies on observation, hypothesis formulation, and experimentation to verify the validity of the hypotheses, and is a pivotal tool for interpreting social behavior and developing theories.

Hypotheses in social research are intelligent guesses or tentative answers to the research problem. They are formulated as expected relationships between two (independent) and one or more dependent variables and are amenable to empirical testing. They aim to guide the research, define its scope, and test theories.

This article aims to investigate hypotheses in social research, exploring their nature, types, and applications. Titled "Hypotheses in Social Research," it falls under the first theme, "Between Theoretical Approaches and Theorizing Social Phenomena," and is further subdivided into the third section, "Hypotheses (Their Types, How to Apply Them in Social Research, and the Transition from Construction to Procedural Approach)."

Keywords: Hypotheses; Research; Social; Experimental Methodology.

مقدمة:

لأن البحث الاجتماعي كغيره من البحوث الذي لا ينشأ من فراغ حيث يمر بجملة خطوات تتمثل في وضع وصياغة خطة البحث، اختيار وإعداد أدوات البحث، مرحلة العمل الميداني ومرحلة معالجة البيانات الميدانية واستخلاص النتائج وكتابة التقرير النهائي.

وتتعدد مناهج البحث الاجتماعي، ويكفي البحث الاجتماعي نسبة للمنهج المعتمد كالمناهج الاجتماعية الوصفية والاجتماعي التحليلي والاجتماعي التاريخي والاجتماعي التجريبي، وينفرد الاجتماعي التجريبي عما سواه من أنواع البحوث بوجود الفرضيات عوض التساؤلات.

جاء هذا الموضوع ليسلط الضوء على "الفرضيات في البحث الاجتماعي"، وحتى يتسنى للباحث الإحاطة بالموضوع من جميع جوانبه قسمه إلى محورين اثنين، حيث خصص الأول لمفاهيم

الفرضية ومكوناتها ومعايير صياغتها، في حين خصص الثاني. لتوظيف الفرضيات في البحث الاجتماعي.

المحور الأول: الفرضية في البحث الاجتماعي مفاهيم ومكونات ومعايير صياغة: بعد ضبط مشكلة البحث أو الظاهرة المراد دراستها ومراجعة الدراسات السابقة ذات الصلة، ينبغي على الباحث صياغة فرضيات واضحة تقترح حلولاً مؤقتة أو مبدئية. تُختبر هذه الفرضيات باستخدام أساليب ووسائل مناسبة لبيان مدى صحتها أو عدمها.

أولاً. مفهوم الفرضية (Hypothesis): حتى يتسنى للباحث الوقوف على مفهوم الفرضية جدير بالذكر الوقوف على تعريف المصطلح لغة واصطلاحاً.

1. تعريف الفرضية لغة: مادة (ف رض) فرض: قَرَضَ الشيءُ يَفْرُضُ فُرُوضاً: اتسع والخشبة وفيها يَفْرُضُ قَرَضاً: حزها وفلانكذا: قدره ولا حظ بهقله وتصوره والقاضي الفريضة: قدرها وحكم بها؛ وفرض الله الأحكام على عباده سنّها وأوجها وفلانكذا: أداه وجعله له فريضة وله: خَصَّهُ به. فرض الحيوان يَفْرُضُ فَرَاضَةً: كَبَّرَ وأسْن، فهو فارض، وهي فارض وفَارِضَةٌ. أفرضت الماشية بلغت النصاب ووجب فيها الفريضة والفلانكذا: جعله له فريضة وفلاناً شيئاً: أعطاه قَرَضَ الشيء تفريضاً: أوجبه والخشبة حزها، والتشديد للتكثير. افترضَ الجند أخذوا عطاياهم والباحث: اتخذ فرضاً ليصل إلى حل مسألة وفلاناً: أعطاه فريضة والله الأحكام على عبادو: سنّها وأوجها. (روبين، 2009، ص 570-571)

الشاهد هنا هو ما يدخل في مجال البحث العلمي - أعني في الاختصاص - أي ما يقوم به الباحث من اتخاذ فرضاً ليصل إلى حل مسألة ما.

2. تعريف الفرضية اصطلاحاً: بعد أن تتحدد المشكلة لدى الإنسان، قد يبرز دلائل لديه عن الحل أو الحلول الممكنة بناء على الخلفية التي تكونت عنده حولها. ولكن نظراً إلى أنه يمكن أن يكون الخل المفترض صحيحاً أو خطأ، يسمى فرضاً حتى يتم اختباره وتبين صحته أو خطأ (العساف، 1995، ص 19).

فالفرضية هي تفسير أولي ومؤقت للظاهرة أو مجموعة ظواهر عينة، أو المشكل محدد. أولي ومؤقت لأنه مازال يحتاج إلى تحقق سواء بالعودة إلى فحص منطقي أو فحص تجريبي. (الفاربي وآخرون، 1994، ص 198)

وتعرف على أنها: "تعتبر الفرضية (Hypothesis) إجابة مؤقتة عن سؤال البحث، إطاراً مفسراً للظواهر. تقترح تفسيراً للظاهرة المدروسة كخيطة يهتدي به الباحث موضحاً إياه أي اتجاه سيتبع للتأكد مما اقترحه، بزوله للميدان." (نفوسي، 2016، ص 127)

وحسب عباس وآخرون (2009): "أنها حل مؤقت لمشكلة ما، أو تخمين ذكي من قبل الباحث لحل مشكلة، أو هي تنبؤات الباحث عن نتائج بحثه، ويمكن أن تكون هي الإجابات المتوقعة لمشكلة لبحث أو الأسئلة المتفرعة عنها" (ص 57)

وعليه يمكن القول بأن الفرضية هي حل أو إجابة مؤقتة لسؤال أو مشكلة لتفسير ظاهرة اجتماعية هي في حاجة لتفسير وتعليل من قبل الباحث استناد إلى مصادر أو دراسات وقرائن سابقة.

ثانيا. مكونات الفرضية: تتكون فرضيات البحث واختبارها من عناصر أساسية تساعد الباحث على صياغة توقعات دقيقة وواضحة، هذه المكونات تضمن أن تكون الفرضية قابلة للاختبار وتوجه البحث نحو جمع البيانات وتحليلها بطريقة علمية، وفيما يلي نوضح مكونات الفرضية لضمان نتائج دقيقة وموثوقة:

1. المتغير المستقل: هو المتغير الذي يتحكم فيه الباحث لمعرفة تأثيره على المتغير التابع، يمثل السبب المحتمل للتغير في نتائج الدراسة ويشكل أساس الفرضية، تحديده بدقة يسهل تصميم طرق القياس والتحليل الإحصائي.

2. المتغير التابع: هو المتغير الذي يقيس تأثير المتغير المستقل، يعكس النتائج أو التغيرات الناتجة عن تدخل الباحث أو التغير في الظروف، يساعد تحديده بدقة على فهم العلاقة بين المتغيرات بشكل واضح.

3. العلاقة المتوقعة: تصف نوع العلاقة بين المتغيرات سواء كانت سبب وتأثير أو ارتباط إيجابي / سلبي، وتوضح هذه العلاقة التوقعات التي يحاول الباحث اختبارها أثناء الدراسة، صياغتها بدقة تعتبر جزءاً أساسياً من فرضيات البحث واختبارها، حيث تساعد على توجيه تصميم البحث وتحليل البيانات بطريقة علمية ومنهجية.

4. الفرضية الصفرية (H0): هي الفرضية التي تفترض عدم وجود تأثير أو علاقة بين المتغيرات، تستخدم كمرجع المقارنة للنتائج الفعلية وتحديد صحة الفرضيات الأخرى، تمثل نقطة البداية لاختبارات الفرضيات الإحصائية في البحث العلمي.

5. الفرضية البديلة (H1): تعكس وجود تأثير أو علاقة متوقعة بين المتغيرات هي ما يحاول الباحث إثباته أو دعمه بالبيانات والتحليل الإحصائي، صياغتها يجب أن تكون دقيقة لتسهيل عملية اختبارها وتحليل النتائج.

6. الإطار الزمني والمكاني: يحدد نطاق الدراسة من حيث الزمان والمكان، يساعد هذا في توجيه جمع البيانات وجعل النتائج أكثر دقة وملاءمة، يوضح حدود البحث ويجعل تطبيق الاختبارات أكثر وضوحاً وموضوعية.

7. الوضوح والدقة: يجب أن تكون صياغة الفرضية سهلة الفهم وخالية من الغموض الفرضية الواضحة تسهل على الباحثين الآخرين اختبارها أو إعادة تطبيق الدراسة الدقة في الصياغة تعزز مصداقية البحث وتجعل النتائج أكثر موثوقية. (محمد ، 2026)

ثالثاً. معايير وشروط صياغة الفرضيات في البحث الاجتماعي: هناك عدة شروط لصياغة فرضية سليمة، تتوقف عليها نتائج البحث وموضوعيتها، وفي هذا المقام نذهب في الاتجاه نفسه الذي ذهبت إليه "أمريو وردية -" حيث يحدد مجموعة من الشروط على النحو الآتي: 1. الإيجاز والوضوح: ويتحقق من خلال تقديم تعاريف إجرائية المفاهيم فروض البحث؛ 2. الشمول والربط أي اعتمادها على جل النظريات والحقائق المتوفرة لتفسير أكبر قدر ممكن من الظواهر؛ 3. قابليتها للاختبار يستوجب اختيار الفرضيات أو الاحتمالات التي يمكن دراستها وذلك لضمان القدرة على التوصل الى نتائج؛ 4. عدم التأثر بالقيم: لا يجب على الباحث أن يسمح للقيم أن تؤثر في صياغة الفروض؛ 5. خلوها من التناقض: لا يجب أن تتضمن الفرضيات العناصر المتناقضة

مع بعضها البعض؛ 6. تعدد الفرضيات: يشترط تعدد الفرضيات في البحث العلمي وذلك لوجود عدة احتمالات ولا يصح الاعتماد على فرض واحد وهو ما ينقص من أهمية البحث ويحد من جدواه؛ 7. عدم تحيزها: أي عملية صياغة الفرضيات تتم قبل جمع البيانات لتفادي التحيز أثناء إجراء البحث؛ 8. يجب أن تكون محددة: وهو ما يمكن تحقيقه من خلال توضيح صاحب الدراسة للعلاقات المتوقعة بين المتغيرات والبيئة المحيطة بها؛ 9 توفر الظروف والإمكانات المناسبة لاختبار الفروض هناك بعض الفروض في بعض المجالات تستدعي توفر الإمكانيات اللازمة للتحقق منها وهو ما يجعل الباحث يتجنب هدر الوقت في اعتماد فرضيات لا يمتلك أدوات التحقق من صحتها؛ 10. عدم تعارضها مع قوانين الطبيعة التي سلمنا بها من قبل أو قوانين الفكر أو المنطق؛ 11. يجب أن تكون محدودة العدد لمنع تشتت الذهن ولكي يتمكن من إخضاعها للتجربة. (أمريو، 2021، ص 337-338)

ويضيف أبو علام ثلاثة شروط نبينها كمايلي:

12. تحديد علاقة بين متغيرين: يجب أن يحدد الفرض العلاقات المتوقعة بين المتغيرات. فلا يذكر الفرض مثلاً أن محرك السيارة لن يعمل وأن هناك خللاً في أسلاك السيارة بل يجب أن يصاغ الفرض بحيث يحدد العلاقة بين تعطل المحرك وما بالأسلاك من خلل. فيصاغ الفرض على النحو التالي: يؤدي الخلل الموجود بأسلاك السيارة إلى تعطل محركها، ويجب أن تكون العلاقة المحددة في الفرض بين متغيرين فقط. ويلاحظ أن المشكلة قد تحدد العلاقة بين عدد من المتغيرات وبخاصة عندما تكون المشكلة مركبة. أما الفرض فيجب أن يحدد علاقة بين متغيرين فقط. ولذلك نجد أنه في حالة المشكلات المركبة يكون لدينا عدة فروض، يعالج كل منها جانباً من المشكلة وبحيث لا يتناول الفرض إلا متغيرين فقط.

13. أن يكون للفرض قوة تفسيرية: يجب أن يعطي الفرض تفسيراً للعلاقة بين المتغيرات. وهذا معيار واضح ولكنه مهم نفرض مثلاً أننا نحاول تشغيل السيارة ولكن شيئاً لا يحدث. فإذا وضعنا فرضاً أن السيارة لا تعمل لأنك نسيت حقيبتك في المنزل لا يمكن أن يكون هذا الفرض تفسيراً مقبولاً لعدم دوران محرك السيارة. أما إذا ذكرنا أن المحرك لا يعمل لأن البطارية ضعيفة، فإن هذا يكون تفسيراً يصح اختباره.

14. أن يكون للفرض أساس منطقي: ينص المعيار الخامس على وجود أساس منطقي يدعم الفرض ويكون مستمداً من نظرية، أو بحوث سابقة، أو خبرة شخصية. (أبو علام، 2006، ص 134-135)

مما سبق نستخلص أن الفرضيات في البحث العلمي عموماً والبحث الاجتماعي خصوصاً تستوجب جملة من الشروط (المعايير) قصد صياغتها نوجزها فيمايلي: الإيجاز والوضوح، الشمول والربط، قابليتها للاختبار، عدم التأثير بالقيم، خلوها من التناقض، تعدد الفرضيات، عدم تحيزها، يجب أن تكون محددة، توفر الظروف والإمكانات المناسبة لاختبار الفروض، عدم تعارضها مع قوانين الطبيعة، يجب أن تكون محدودة العدد.

رابعاً. مصادر اشتقاق الفرضيات في البحث الاجتماعي: يمكن للباحث أن يستقي فرضياته البحثية من عدة مصادر، ويمكن توضيحها في العناصر الآتية:

(أ). تعد المكتسبات المعرفية والعلمية التي يملكها الباحث مصدر مهم لصياغة فرضية، وقراءاتها وإطلاعه في الموضوع المدروس يشكل قاعدة أساسية أيضا لطرح فرضية لموضوعه، كما أن الاطلاع على الدراسات السابقة يعد مصدر آخر الصياغة فرضية سليمة.

(ب). الاستطلاع الميداني الذي يقوم به الباحث حول موضوعه، من شأنه أن يساعده في انتقاء فرضيته العلمية.

تعد نتائج الدراسات السابقة مصدر الصياغة الفرضيات، بحيث يستفيد الباحث من تلك النتائج ويحاول توظيفها في مشكلة بحثه من جهة، صياغة فرضياته من جهة أخرى. (قاسمي، 2020، ص 79)

(ج). المدخل النظري الذي يتبناه الباحث في تحليل وتفسير موضوعه، يعد مادة خام الصياغة فرضية، بمعنى أن الباحث عندما ينتقي مدخل نظري معين يفسر من خلاله النتائج، في هذه الحالة تعد النظرية مصدر لصياغة فرضيات البحث.

(د). كما يمكن صياغة الفروض بطريقة استقرائية من ملاحظات السلوك، أو بطريقة استنباطية من النظريات أو من نتائج البحوث السابقة. (أبو علام، 2006، ص 127)

(هـ) أهمية الأطر النظرية في بناء الفرضيات: فحسب شهاب (2024) كما أورده (Kerlinger, 1986, p 18)، "الإطار النظري عبارة عن مجموعة من المفاهيم والتعريفات والافتراضات المترابطة التي تشكل منظورا عاما للظاهرة معينة أو مجال معين من الواقع الاجتماعي حيث تمكن هذه الأطر النظرية الباحثين من وضع أبحاثهم في سياق أكبر وتوفير أساس الصياغة الفرضيات وأسئلة البحث. كما تأتي الأطر النظرية من مصادر مختلفة، بما في ذلك النظريات الموجودة المفاهيم الأساسية من مجال البحث تصميمات البحث السابقة والافتراضات إذ يلعب الأطر النظرية دورا مهما في بناء الفرضيات في العلوم الاجتماعية. إذ يعتبر الإطار النظري أساسا مفاهيميا وتحليليا لأي دراسة، وموجها معرفي التطوير أسئلة البحث الفرضيات وإجراءات جمع البيانات وتحليلها. كما يساعد الإطار النظري أيضا على ربط البحث بمجموعة المعرفة الحالية، مما يسمح للباحثين في مجال العلوم الاجتماعية ببناء فرضياتهم البحثية على ضوء النظريات والنتائج التي تتيحها الأطر النظرية" (ص 277).

عطفا على ما سبق نستخلص أن من أهم مصادر صياغة الفرضيات في البحث الاجتماعي هي تراكم المكتسبات المعرفية والعلمية، المداخل النظرية وكثرة الاطلاع عليها والاستطلاعات الميدانية ناهيك عن الفجوات المتعلقة بالدراسات السابقة.

(و). أهمية الفرضيات في البحث الاجتماعي: حسب سي محمد (2009) إن الفرضيات في البحث السوسيولوجي لا تأتي من فراغ بل نتيجة لعمل نظري وميداني في آن واحد، ويتم عن طريق الملاحظة، وجمع المعلومات وتصنيفها وتوضيح الارتباطات بينها، وتكون لدى الباحث فكرة واضحة نسبيا عن موضوع بحثه. حيث عبر عن ذلك وعبر "مايكل بولاني" عن الفرضية كونها إجابات مبدئية محتملة تستدعي التحقيق وهي لا تخضع للصدفة بل لوجود معطيات تؤكد احتمالات

قوية لصدقها بقوله: "أن جوهر المنهج العلمي هو انتقاء فرضيات للاختبار لها حظ كبير في أن تكون صادقة(سي محمد ، 2009 ، ص 43).

ويضاف إلى ما سبق ذكره من أهميات فوائد ما يلي:

- تؤدي إلى الانتقال من الجانب التجريدي إلى الجانب الملموس أي نقل الأفكار إلى الواقع.
- تساهم في تدقيق وتحديد أبعاد الإشكالية عند الباحث وتحديد العلاقة بين مختلف العناصر والمعلومات ما يؤدي إلى تفكيكها وفهمها بشكل أفضل،
- عزل وتفكيك المعلومات المرتبطة بالإشكالية وبموضوع البحث.
- تساهم الفرضيات في توجيه الباحث وتقريبه من خلال تركيز اهتمامه بفحص الفرضيات المصاغة وتجنبيه المعلومات التي لا تتناسب مع أهداف بحثه.
- تعتبر بمثابة موجه ودليل الباحث وتؤثر في ملاحظاته وتجاربته.
- توجيه التفسير العلمي من خلال الاستنتاجات والعلاقات بين مختلف المتغيرات.
- تؤدي الفرضيات إلى التوصل إلى النتائج من خلال تأكيد الفرضيات أو نفيها.
- تشكل أساس ومصدر النظريات العلمية، حيث أن عملية البحث وفحص الفرضيات يسمح إلى التوصل إلى النتائج التي تنطبق على إشكاليات أخرى وهو ما يسمح بتبني نظريات قادرة على الإجابة على بعض الإشكاليات.
- تساهم في توسيع معارف الباحثين من خلال إقبالهم على البحوث ومنه إسهامهم في الكشف عن حقائق جديدة.(أمريو ، 2021 ، ص 339)

وعليه فالفرضيات ليست مجرد نخمين مؤقت بل هي مادة تستدعي من الباحث إخضاع أداة جمع البيانات ميدانيا للتحقق من صحة الفرضية من عدمه وهذا لا يكون إلا في البحث الاجتماعي التجريبي. فلولا الفردية لما تمكن الباحث من الوصول على مخرجات البحث ليتسنى له لاحقا من تعميم نتائج بحثه.

خامسا. أسس وقواعد صياغة الفرضيات العلمية: لكي يتمكن الباحث من اختبار الفرضيات بأسلوب علمي ودقيق، فإنه لا بد من صياغة فرضيات الدراسة وفق أسس وقواعد تساعد على ذلك، ومن أهم هذه الأسس ما يلي:

أ- توخي الدقة والوضوح عند صياغة الفرضيات واختصارها بأسلوب لغوي بسيط ما أمكن ذلك. ب يفضل صياغة الفرضيات على شكل علاقات بين متغيرات وبشكل يجعلها قابلة للقياس والاختبار.

ج- ضرورة أن تصاغ الفرضيات بما يتلاءم مع طبيعة ومحتوى المشكلة أو الظاهرة قيد الدراسة وبشكل يعمل على تفسيرها بناء على هذه الأسس.

أنواع الفرضيات في البحث الاجتماعي: يمكن تصنيف أنواع الفرضيات استنادا إلى ثلاثة طرق هي:

1. الفرضية البحثية.
2. الفرضية الإحصائية(نفي- اثبات)
3. وفق عدد المتغيرات

1- الفرضية البحثية (البديلة): وهي الفرضية التي تنشأ عن طريق الملاحظة، أو من خلال نظريات تصف المشكلة المراد دراستها، وتشمل:

1.1- الفرضية الموجهة: وهي الفرضية التي تصف العلاقة المباشرة بين المتغيرات، أو تأثر متغير بمتغير آخر، أو للدلالة على وجود فروقات بين المتغيرات، مثال: كلما زادت مشاهدة الفرد للتلفاز قل تحصيله الدراسي، أو كلما زادت رقابة الآباء على الأبناء زاد تحصيلهم الدراسي.

2.1- الفرضية غير الموجهة: وهي الفرضية التي تؤكد أن هناك علاقة بين المتغيرات، بالإضافة إلى وجود فروقات بينها، ولكن دون معرفة اتجاه هذه العلاقة. مثال: توجد علاقة بين التحصيل الدراسي وانتظام الطلبة في الدوام، ففي هذا المثال لم يتم معرفة ماهية العلاقة بين التحصيل الدراسي وانتظام الطلبة إن كانت إيجابية أو سلبية. (دروم وآخرون، 2020، ص 387)

2- الفرضية الإحصائية: وتشمل:

2. (أ) طريقة الإثبات: وتعرف الفرضيات في مثل هذه الحالة بالفرضيات المباشرة وتصاغ على شكل يؤكد وجود علاقة سالبة أو موجبة بين متغيرين أو أكثر. أمثلة:

(1أ) يوجد اختلاف ذو دلالة إحصائية في عدد مرات الأكل خارج المنزل بين النساء العاملات والنساء غير العاملات.

(2أ) يوجد فرق بين أداء طلبة التوجيهي العلمي وطلبة التوجيهي الأدبي في مادة مبادئ الإحصاء.

2. (ب) طريقة النفي: تعرف الفرضيات في هذه الحالة بالفرضيات الصفيرية وتصاغ بأسلوب ينفي وجود علاقة بين متغيرين أو أكثر. أمثلة:

(ب 1) لا يوجد فرق له دلالة إحصائية في النهج الحياتي بين النساء العاملات والنساء غير العاملات.

(ب 2) لا يوجد فرق بين تحصيل الطلبة وتحصيل الطالبات في مقرر مبادئ الرياضيات. (عليان و غنيم، 2000، ص 72)

إذا نستنتج أن من بين تصنيفات الفرضيات طريقة الإثبات وتتضمن تصنيفين هما الإثبات وهو ما يصطلح عليه كذلك الإيجاب أي الفرضية الموجبة ويرمز لها بـ H_1 والنفي وهو ما يصطلح عليها الفرضية الصفيرية ويرمز لها بـ H_0 .

3. وفق الشكل (عدد المتغيرات): كما يمكن حسب (Lasvergnas 1987)، أن نميز بين ثلاثة أشكال أساسية: الفرضية أحادية المتغير (univariate) الفرضية ثنائية المتغيرات (bivariate) والفرضية متعددة المتغيرات (multivaric). نبينها كما يلي:

1.3 الفرضية أحادية المتغير: تركز الفرضية أحادية المتغير على ظاهرة واحدة بهدف التنبؤ بتطورها ومداها الفقر يزداد في العالم منذ عشر سنوات، هو مثال عن فرضية أحادية المتغير: وليس على الباحث سوى حصر كلمة الفقر وتقييمها. إن البحث في هذه الحالة لا يعني أنه سيكون قصير بالضرورة ولكن سيركز أكثر على مراحل دون أخرى. نفس الحالة تظهر بالنسبة إلى الفرضية

التي تجزم أن ما يكلفه فصل الشتاء لمدينة الكيبك يزداد منذ عشرون سنة: وعليه سيأخذ البحث الميزة الوصفية.

2.3. **الفرضية ثنائية المتغيرات:** تعتمد الفرضية ثنائية المتغيرات على عنصرين أساسيين يربط بينهما التنبؤ. إنه الشكل المتعود عليه بالنسبة إلى الفرضية العلمية التي تهدف إلى تفسير الظواهر. إن هذه العلاقة الموجودة بين عنصرين يمكن أن تظهر في شكل تغير مشترك (covariation)، بمعنى أن إحدى الظاهرتين تتغير بتغير الظاهرة الأخرى. هذا هو الأساس الذي قامت عليه الفرضية التي تربط بين نوع المنطقة ونسبة المواليد وتلك التي تتضمن العلاقة بين ارتقاء المداخل والاستهلاك الكبير لتذاكر اليناصيب. إننا نتحدث من الناحية الإحصائية عن الارتباط (comelation) بين هذين العنصرين. إن العلاقة ثنائية المتغيرات يمكن أن تكون من جهة أخرى علاقة سببية، انطلاقاً من تقديم أحد العنصرين وكأنه سبب للآخر. هكذا يكون الأمر لما نجزم أن استمرار مدة زواج ما هو نتاج لتشابهات اجتماعية للزوجين

3.3. **الفرضية متعددة المتغيرات:** تجزم الفرضية متعددة المتغيرات بوجود علاقة بين ظواهر متعددة. قد يصرح، مثلاً، أن النساء اللواتي لهن نسبة خصوبة أكثر انخفاض من الأكثر تعلماً والأكثر مكافأة والأكثر تمدناً الخصوبة والتعلم والمكافأة والتمدد هي حدود مترابطة مع بعضها البعض ويمكن تقديم هذه الحدود الأربعة، على غرار الفرضية ثنائية المتغيرات، وكأنها مترابطة أو ضمن بعد سبي، أي أن ظاهرة ما أو أكثر هي سبب لظاهرة أخرى أو أكثر. هكذا. يمكن أن نفرض أن التمدن يرفع من نسبة التعلم لدى النساء، والذي بدوره يكون له أثر في الخصوبة وفي المكافآت. إن الارتباط، من جهته. لا يمكن أن يقترح إلا تغير متبادل بين هذه الحدود الأربعة دون الافتراض أن بعض الظواهر تسببت في ظهور أخرى. (أنجرس، 1996، ص 155-156)

4. **التصنيف حسب طريقة الاشتقاق:** كما يمكن تصنيف أنواع الفرضيات في البحث الاجتماعي إلى تصنيفات أخرى وتشمل:

1.4. **بطريقة استقرائية:** وذلك بناء على ملاحظة الجزء للوصول إلى تعميمات تفسر ظاهرة يحاول الباحث من خلالها صياغة قانون أو نظرية.

2.4. **بطريقة استنباطية:** بمعنى أنه يتم تحديد الفرضية من خلال نظرية موجودة فيتم اللجوء إليها إما "لدعم هذه النظرية أو لتطويرها أو لمنافستها". (نفوسي، 2016، ص 128-129)

المحور الثاني. توظيف الفرضيات في البحث الاجتماعي: يعتبر توظيف الفرضيات في البحث الاجتماعي خطوة منهجية جوهرية لتحويل التساؤلات النظرية إلى دراسة ميدانية قابلة للقياس والتحقق الفرضية هي تخمين ذكي أو إجابة مؤقتة لمشكلة البحث، تساعد في توجيه الباحث نحو جمع بيانات محددة وذات صلة.

أولاً. اختبار الفرضية في البحث الاجتماعي: يعد اختبار فرضيات البحث جزءاً أساسياً من عملية البحث العلمي: حيث يتم استخدام الأدلة والبيانات للتحقق من صحة، أو عدم صحة الفرضيات التي تم وضعها، ويتم تصميم الاختبارات بطريقة منهجية للتحقق من مدى توافق البيانات المتاحة مع الفرضية المطروحة. (محمد، 2023)

1. عناصر اختبار الفرضيات: الفرضية في العلوم الاجتماعية يجب أن تكون قابلة للاختبار، مما يعني أنه يمكن التحقق منها أو دحضها من خلال الملاحظة التجريبية وتحليل البيانات. وللتأكد من أن الفرضية قابلة للاختبار، يجب أن تتضمن العناصر التالية:

1.1 المتغيرات (Variables): حسب (Supino, 2012) المتغيرات هي عنصر أساسي في التأكد من أن الفرضية قابلة للاختبار، لأنها تساعد في تحديد المفاهيم والظواهر التي سيتم التحقيق منها من طرف الباحث في دراسته وذلك من خلال تقديم بيان واضح ومحدد حول العلاقة بينهما، حيث يجب أن تعكس فرضية البحث استنتاجاً حول المتغيرات وأن تكون قابلة للاختبار. للاختبار. تستلزم الفرضيات الأكثر شيوعاً عبارات حول "المتغيرات" والتي بدورها يمكن تصنيفها وفقاً لمستوى قياسها (خصائص القياس) أو وفقاً لدورها في الفرضية، متغيرات مستقلة تابعة، وسيط، تحكم أو متداخلة..

2.1 الاتجاهية (Directionality): حسب (ZACH & APRIL, 2021, 29) اتجاه الفرضية هو معيار مهم لضمان قابليتها للاختبار في الواقع، فإن الفرضية التي تصوغ تنبؤاً واضحاً بشأن اتجاه التأثير المتوقع تكون أكثر تحديداً وبالتالي فهي أكثر قابلية للاختبار من الفرضية التي لا تصدر تنبؤات اتجاهية. يمكن أن يكون الاتجاه موجباً للتأثير موجب في الاتجاه المتوقع.

3.1 النوعية والدقة (Specificity): حسب (Berkson, 1989) تعتبر النوعية والدقة جانباً مهماً في صياغة فرضية قابلة للاختبار. إذ يجب أن تكون الفرضية محددة ودقيقة بدرجة كافية ليتم اختبارها تجريبياً لأن الفرضية المحددة بدقة، هي التي تنص بوضوح على العلاقة بين المتغيرات التي تتم دراستها وتوفر تنبؤاً واضحاً لما يتوقع حدوث.

4.1 القابلية للدحض / الرفض (Falsifiability): حسب (Jhangiani, 2019, p. 42) وهو معيار اقترحه كارل بوبر (Karl Popper). هو معيار لتقييم النظريات العلمية المفترضة، والتي بموجبها تكون النظرية علمية، فقط إذا كان من الممكن من حيث هذا المبدأ إثبات أنها خاطئة (Britannica, 2016, p. 24). هذا المعيار مهم لضمان أن الفرضية قابلة للاختبار وهو بمثابة طريقة تأسيسية للعلوم التجريبية وبدئية علمية أساسية. إذ يجب أن تكون الفرضية الجيدة قابلة للدحض مما يعني أنه يجب أن يكون من الممكن جمع الأدلة التي من شأنها أن تنكر الفرضية إذا كانت خاطئة بالفعل. (شبيب، 2024، ص 277-279)

إذا مما سبق نستخلص أن اختبار الفرضيات يتطلب توافر جملة عناصر تتمثل في لمتغيرات، الاتجاهية، النوعية والدقة والقابلية للدحض / الرفض..

ثانياً. تحقيق الفرضيات: بعد وضع الفرضيات ونقدها، ينبغي أن نقوم بعملية تحقيق الفرضية، وهذه العملية تشمل التجريب بالمعنى الدقيق، كما تشمل الروح العامة التي يجب أن تسود في كل تجربة. إن المنهج التجريبي إبان تحقيق الفرضيات ينقسم إلى قسمين:

1.. منهج سلمي أو استيعادي: وفيه نقوم بتحديد نطاق أو مجال الفرضيات، فنفترض ما يمكن افتراضه من أجل تفسير ظاهرة من الظواهر، ثم نستبعد من الفرضيات ما لا يتفق يقيناً مع

الحقائق المسلم بها من قبل القوانين الثابتة. فالقوانين الثابتة هي القوانين التي لا مجال بعد - على أصح الآراء - للشك فيها، مثل أن سرعة الضوء أكبر من سرعة الصوت.

2. المنهج الايجابي: وفيه نحاول أن نثبت صحة الفرضيات في كل الأحوال المتغيرة الممكنة بأن تتنوع الظروف ونطيل في التجربة ونغير أيضا في الأشياء المستعملة لإجراء التجربة وهذا التنوع المستمر مع بقاء حدوث الظاهرة نستطيع أن نثبت صحة الفرضية يقينا وهذا ما يسمى باسم منهج التضافر في التغيير"،

فعن طريق هذين المنهجين نحقق الفرضية، إن تحقيق الفرضية إنما يتم بالنسبة لأحوال جزئية من تجمعها وتضافر القراءات التي تقدمها، وتوافق النتائج التي تنتهي إليها، وبذلك نستطيع أن نصل إلى إثبات أن الرابطة صحيحة وبالتالي نثبت صحة الفرضية.

ثالثا. متى يمكن قبول الفرضيات: إن فحص الفرضيات واختيارها يهدف إلى التحقق من إمكانية قبولها أو رفضها، فالفروض تعتبر مقبولة إذا استطاع الباحث أن يجد دليلا واقعيًا ملموسًا يتفق مع جميع ما ترتب عليها، فالفرضيات لا تثبت على أنها حقائق ولكن وجود يقين مطلق، وتزداد درجة الاحتمال إذا تمكن الباحث من إيجاد عدد من الأدلة التي تؤيد الفرضية.

إن التوصل إلى هذه يعني أن الباحث استطاع أن يحضر الأدلة التي تمكنه من قبول الفرضية وبذلك يقدم الباحث حلا لمشكلة البحث.

رابعا. متى يتخلى الباحث عن فرضيته: إن عدم قدرة الباحث على إيجاد الأدلة التي تؤيد صحة الفرضية لا يعني أنها غير صحيحة وأنها يجب أن تلغى، وأن يبحث عن فرضية أخرى غيرها، فالباحث قد لا يعثر على الأدلة المؤيدة ليس لعدم وجود الأدلة، ولكن لأن إمكانيات الباحث لم تساعده في إيجاد هذه الأدلة، وفي هذه الحالة تبقى الفرضية قائمة ويبقى إمكان البحث عنها متوافرة.

أما إذا استطاع الباحث أن يجد أدلة تعارض هذه الفرضية وتثبت عدم صحتها فإنه مضطر لأن يعلن ذلك وبالتالي يجب أن يتخلى عن الفرضية، ولا يستطيع الباحث أن يتمسك بفرضيات خاطئة حتى ولو كانت مغرية فكل الفرضيات التي يضعها الباحثون يمكن أن يدخل عليها بعض التعديل في أثناء البحث، وقبل أن يصل الباحث إلى إثبات فرضية ما فإنه قد يمر بعشرات الفرضيات الخاطئة والتي يتخلى عنها. (دروم وآخرون ، 2020 ، ص 389-390)

عطفا على ما سبق يمكن القول إن تحقيق الفرضيات يتم عن طريق الدراسة المدنية من خلال تطبيق أداة جمع البيانات التي تتوفر فيها جملة من الخصائص السيكمترية كالصدق والثبات وبعد تفريغ البيانات ومعالجتها يدويا أو آليا بواسطة البرامج الإحصائية يلي ذلك عرض النتائج وتحليلها وتفسيرها ومن ثم قبول أو رفض الفرضيات.

الخاتمة:

الفرضيات في البحث الاجتماعي هي صياغة تربط بين متغيرين أو أكثر وهي عبارة عن تخمين أو بمثابة إجابة مؤقتة لسؤال طرحه الباحث ويسعى من خلاله لإثبات العلاقة أو دحضها، تتطلب صياغتها توافر جملة من المعايير، ويستند توظيفها في البحث الاجتماعي منهجا تجريبيا لاختبارها ميدانيا بواسطة تقنيات من تقنيات جمع البيانات كما تتطلب اخضاع هذه البيانات معالجة

إحصائية ومن تم تحليل مخرجات هذ المعالجة وتفسير نتائج المعالجة الذي يفضي في النهاية لقبول أو رفض الفرضية مع التبرير.

1. قائمة المصادر والمراجع:

2. أحمد دروم ، طارق هزريشي، و سعيدي بن شهرة . (2020). الفرضيات العلمية وبناء الأهداف وعلاقتها بالنتائج البحثية. *مجلة الباحث للعلوم الرياضية والاجتماعية*، 03(01)، 392-386.
3. الوزنة سي محمد . (2009). دور نموذج التحليل وعلاقته بالمعرفة السوسولوجية- دراسة إمبريقية- رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية . جامعة الجزائر.
4. بسنت محمد. (2023، 10 28). اختبار فرضيات البحث. تاريخ الاسترداد 03 05، 2026، من سندك: <https://www.sanadkk.com/blog/post/1438>
5. حسين روبين. (2009). *معجم النفاثس المدرسي* (الطبعة الأولى). بيروت: دار النفاثس للطباعة والنشر والتوزيع.
6. دينا محمد . (2026، 03 26). *فرضيات البحث واختبارها*. تاريخ الاسترداد 03 05، 2026، من اتقان: <https://itqanx.com/blog/post/2645>
7. راجي مصطفى عليان، و عثمان محمد غنيم . (2000). *مناهج وأساليب البحث العلمي النظرية والتطبيق* (الطبعة الأولى). عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.
8. رجاء محمود أبو علام . (2006). *مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية* (الطبعة الخامسة). مصر: دار النشر للجامعات.
9. صالح بن حمد العساف. (1995). *المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية* (الطبعة الأولى). الرياض: مكتبة العبيكان.
10. صونيا قاسي . (2020). استخدام الفرضيات والتساؤلات في البحث الأكاديمي. *مجلة الميدان للدراسات الرياضية والاجتماعية والإنسانية*، 03(02)، 83-74.
11. عادل شهب. (2024). الفرضية في أبحاث العلوم الاجتماعية. *مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية*، 09(01)، 288-275.
12. عبد اللطيف الفاربي، محمد آيت موي، عبد العزيز الغرضاف، و عبد الكريم غريب. (1994). *معجم علوم التربية مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك* (الطبعة الأولى). الدار البيضاء: دار الخطابي للطباعة والنشر.
13. لمياء مرتاض نفوسي. (2016). *تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية* (الإصدار د.ط.). الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.
14. محمد خليل عباس، محمد بكر نوفل، محمد مصطفى العبيسي، و فريال محمد أبو عواد. (2009). *مدخل إلى مناهج البحث في التربية وعلم النفس* (الطبعة الثانية). عمان : دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
15. موريس أنجرس. (1996). *منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية تدريبات عملية* (الطبعة الثانية). (بوزيد صحراوي، كمال بوشرف، و سعيد سبعون، المترجمون) الجزائر: دار القصة للنشر. (2006)
16. وردية أمرو . (2021). الفرضيات في العلوم الإنسانية والاجتماعية وأهميتها في البحث العلمي. *مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية*، 05(04)، 343-327.

المنهج المختلط مفهومه وخصائصه- أهميته وأنماطه

ط.د. بن حنة غنية

جامعة حمة لخضر- الوادي- الجزائر

الملخص

يتطلب البحث في علم الاجتماع خطوات منهجية علمية، تقود الباحث إلى دراسة شاملة تحيط بالظاهرة من كل الجوانب، وتكسب البحث دقة وتحقق أهدافه، وقد تنوعت الأساليب والطرق البحثية التي يعتمد عليها الباحثون في إجراء دراساتهم فهناك الطريقة الكمية، والكيفية، والمختلطة، هذه المنهجية التي تجمع بين الاتجاه الكيفي والاتجاه الكيفي.

في هذه الدراسة نحاول الإحاطة بموضوع المنهج المختلط الذي يجمع بين اتجاهين بحثيين كبيرين في العلوم الاجتماعية، حيث التطرق لمفهوم المنهج المختلط، خصائصه، مبررات استخدامه، وأنواعه، والتحديات التي تواجه الباحثين في تطبيق هذا المنهج.

الكلمات المفتاحية: المنهج- المنهج الكمي- المنهج الكيفي- المنهج المختلط.

Summary:

Research in sociology requires systematic scientific steps that lead the researcher to a comprehensive study that encompasses the phenomenon from all aspects, providing accuracy to the research and achieving its objectives. The research methods and approaches used by researchers in conducting their studies have varied; there are quantitative, qualitative, and mixed methods. This methodology combines both qualitative and quantitative approaches.

In this study, we attempt to cover the topic of mixed methods, which brings together two major research approaches in the social sciences. We will address the concept of mixed methods, its characteristics, justifications for its use, its types, and the challenges researchers face in applying this methodology.

Keywords: Curriculum - Quantitative Method - Qualitative Method - Mixed Method

1. الإشكالية:

سعى الإنسان للبحث عن الأسئلة التي تشغله وإيجاد حلول للمشكلات التي تواجهه، فلجأ إلى استخدام طرقاً مختلفة لتفسير الظواهر الإنسانية، وقد تعددت هذه الطرق، فقد اعتمد على الحواس والخبرة الذاتية، والمحاولة والخطأ والتجربة، ثم انتقل إلى التأمل والحوار العقلاني، وتطور تفكيره بعدها فأصبح أكثر تنظيماً، مما ساعده على في الوصول إلى معرفة أكثر دقة، وبات يدرس الأشياء بموضوعية تبتعد عن التعصب والتحيز.

و يتبنى الباحثون في دراساتهم طرقاً ومناهج مختلفة، نظراً لأهميتها، كما قال لوندبرغ "Ludebreg ليس الموضوع هو الذي يصنع العلم بل المنهج" (مادلين، 1993، صفحة 41).

والواقع أن أغلب الباحثين في العلوم الاجتماعية يؤكدون بأنه لا يوجد أسلوب واحد صالح للاستعمال في البحث في هذا الحقل العلمي، وعلى هذا الأساس انقسم هؤلاء الباحثين إلى ثلاثة فئات، الأولى اتجه إلى تبني المنهج الكمي في أبحاثه والذي يركز على لغة الأرقام وقابلية الظواهر للقياس، بينما يذهب الفريق الثاني إلى إتباع المنهج الكيفي والذي يعتمد على فهم الظواهر ووصفها، واتجاه ثالث رأى أن اعتماد منهج أو طريقة واحدة في إجراء البحوث غير كاف، ولا يمكن الباحثين من الإجابة على جميع تساؤلات الدراسة و تقديم تفسيرات شاملة لها، واقترحوا التوفيق بين الاتجاهين السابقين بتبني منهج يجمع بين المقاربتين الكمية والكيفية في دراسة واحدة، والذي يعرف بالمنهج المختلط، وهذا الدمج من شأنه أن يزيد من التوضيح والشمولية، و يعطي الدراسة فهما معمقا، ويستطيع الباحث التغلب على نقاط الضعف في كل منهج، إضافة إلى دقة في النتائج. فما هو مفهوم المنهج المختلط، وما أهميته؟ وما هي أهم أنواعه؟

قبل التطرق لمفهوم المنهج المختلط، يتعين علينا تقديم تعاريف للمصطلحات الآتية:

2 مفهوم المنهج:

هو مجموعة من الإجراءات والطرق الدقيقة المتبناة من أجل الوصول إلى نتيجة، و هو مسألة جوهرية، وعلى الباحث الالتزام باحترام المسعى الذي يعتبر طريقة دقيقة و منظمة، وهو مسعى صارم لكي يكون مقبولا، وتكون نتائجه ملائمة، فإنه يتطلب الصرامة، وإتباعه بطريقة منظمة و محترمة (أنجرس، صفحة 36).

هو أسلوب للتفكير و العمل يعتمد عليه الباحث أفكاره وتحليلها و عرضها والوصول بها إلى نتائج و حقائق حول الظاهرة المدروسة، ويمتاز هذا الأسلوب بالمرحلية بمعنى أنه يتكون من مجموعة مراحل متسلسلة ومتربطة التي تؤدي كل منها إلى المرحلة الموالية (ربجي، صفحة 37).

- المنهج الكمي: تعددت التعاريف حول المنهج الكمي، إلا أن أغلبها يجمع على أنها بحوث تهتم بالتحقيق العلمي للظواهر، وتستخدم الأرقام في تحليل بياناتها، وتخضع لشروط الصدق والثبات، وتعالج بياناتها إحصائيا، ويمكن تعميم نتائجها.

- المنهج الكيفي: هو طريقة لجمع و تحليل البيانات وتفسيرها بشكل سردي ومنطقي، لأجل فهم ظاهرة اجتماعية معينة، ويركز على الفهم العميق للظواهر الاجتماعية عن طريق مشاركة الأنشطة الاجتماعية التي يقوم بها المشاركون الحقيقيون (محمد ع.، صفحة 259).

من خلال ما سبق يتضح أن المنهج الكمي يختلف عن المنهج الكيفي، فالبحث الكمي يركز على لغة الأرقام، بينما يعتمد المنهج الكيفي على الفهم.

1-2 مفهوم المنهج المختلط:

يعتبر مجال طرق البحث المختلط جديد نسبيا، حيث ينبع من العمل الرئيسي في تطويره من أواسط إلى أواخر الثمانينات، ولكن أصوله تعود إلى أبعد من ذلك، ففي 1959، استخدم كامبل و فيسك طرق متعددة لدراسة الصفات النفسية بالرغم أن طرقهم كانت مقاييس كمية، ودفع عملهم هذا الآخرين في البدء جمع أشكال متعددة من البيانات، مثل الملاحظات، المقابلات، الاستطلاعات التقليدية، كانت الآراء حول هذه الطرق تتمثل في أنها متحيزة، وان جمع الطرق

يقوم بإبعاد نقاط الضعف في كل طريقة، ومن ذلك ظهر مصطلح تثليث مصادر البيانات، ومع مطلع التسعينات اتجهت الطرق المختلطة نحو الدمج وظهرت فكرة التكامل في أنواع مختلفة من التصاميم البحثية (فرج، 2017، صفحة 33).

- هو طريقة لإجراء البحوث تركز على وجمع تحليل و دمج البحوث الكمية والبحوث النوعية، وهذه الطريقة توفر فهما شاملا للظاهرة موضوع الدراسة (رضا، 2021، صفحة 12).

- المنهج المختلط هو ذاك المنهج الذي يوظف الباحث فيه الأسلوبين الكمي والكيفي بغية الإحاطة الشاملة بموضوع دراسته، والوصول إلى وصف وتحليل وتفسير للظاهرة المدروسة (باسم، طرائق البحث الاجتماعي الكمية، 2017، صفحة 25).

- هو منهجية و طريقة للبحث في المجالات الاجتماعية و السلوكية، و الصحية التي يجمع فيها الباحث كلا من الجانب الكمي المغلق، والبيانات النوعية ويدمجها، ثم يستخلص استنتاجات من التكامل الذي يوفر رؤية لا تتجاوز ما يمكن تعلمه من البيانات الكمية أو النوعية (Creswell, 2022, p. 02).

- وهي طريقة تمزج بين المناهج الكمية والمناهج الكيفية في بحث واحد، بحيث تبدو غير منفصلة، وفي هذه العملية يقوم الباحث باستكشاف آراء المبحوثين، ثم جمع البيانات وتحليلها، عن طريق أدوات جمع المعلومات، بعد تحديد المتغيرات، والتحقق من دقة المعلومات، وظهر هذا النوع من البحوث كنتاج لدمج البحث الكمي والنوعي، وبعد ظهور مشكلات تستدعي دراسة كمية و نوعية في الحين نفسه، فهدف هذه البحوث تكامل بيانات متعددة لفهم ظاهرة أو مشكل في أحد المجالات كعلم الاجتماع مثلا، وهو تلك البحوث التي توظف المناهج الكمية والنوعية في دراسة واحدة، لهدف الكشف عن الظواهر (حفيفة، 2022، صفحة 1115).

- ويقصد بمناهج البحث المختلط إتباع إستراتيجية بحث تستخدم أكثر من منهج بحث واحد، بحيث يمكن أن تجمع في هذه الطريقة المنهجين الكمي و الكيفي (بوالفلل، البحث الاجتماعي بين المقاربتين الكمية و الكيفية و مناهج البحث المختلطة، 2018، صفحة 316).

- ويذهب يوسف الحسيني إلى أن البحث المختلط **Mixed Research** هو نوع من أنواع الدراسات البحثية التي يستعمل فيها مناهج وتقنيات و أساليب البحث الكمي والبحث الكيفي في دراسة بحثية واحدة، يهدف من خلالها تحسين جودة البحث، شرط أن يلتزم الباحث بالافتراضات الأساسية للمنهجين (يوسف، 2020، صفحة 21).

- وكذا تم تعريف المنهج بأنه منهجية بحث في حد ذاته، أو هو تصميم بحث له افتراضاته و طرقه الخاصة لتوفير التوجيهات لجمع البيانات من مصادر متعددة في دراسة واحدة (Saraswati, Sagun, & Ram A, 2021, p. 23)

من خلال ما سبق نلاحظ أن أغلب التعاريف تتفق أن المنهج المختلط، هو جمع أو دمج للمنهجين الكمي و الكيفي في دراسة واحدة، تهدف إلى فهم أعمق لموضوع الدراسة.

3- خصائص المنهج المختلط:

يتميز منهج البحث المختلط بجملة من الخصائص نذكرها كالآتي:
يجمع بين البحث الكمي الدقيق الذي يقيس حجم وتكرار الظاهرة والبحث النوعي الذي يكتشف الفهم ومعني الظواهر.

يستخدم طرق بحثية مختلفة مثل المقابلات و التجارب التدخلية.
يدمج الأساليب بشكل مقصود بهدف الاستفادة من نقاط قوة كل منهما (Vicki L, Ann, John W, Katherine Clegg و، صفحة 5).

من هنا يتضح أهمية تكامل الأسلوبين الكمي والكيفي من أجل فهم أعمق للمشكلات البحثية.

4- مبررات استخدام المنهج المختلط:

يجب على الباحثين أن يوضحوا أسباب استخدام أساليب البحث المختلط، لأن هذا الإجراء يساعدهم على اختيار التصميم الأنسب لدراساتهم، ومعالجة أسئلتها:

1- التثليث: يستخدم بهدف التحقق مرة أخرى من النتائج التي توصلوا إليها ، من خلال مقارنة النتائج الكمية و النوعية، لتأكيد صحة النتائج.

2. التكامل: يستخدم عند الحاجة لشرح نتائج معقدة، للوصول إلى صورة أوضح تكون هذه الطريقة مفيدة بشكل خاص عندما تكون النتائج الكمية ذات دلالة إحصائية ولكن تفتقر إلى المعنى العملي، أو عندما تحتاج النتائج النوعية إلى مزيد من التوضيح.

3. التطوير: يستخدم عند تصميم استبيان أو اختبار جيد ، تتضمن هذه الفكرة استخدام نتائج طريقة واحدة للمساعدة في تطوير أو إبلاغ الطريقة الأخرى. يمكن أن يشمل ذلك استخدام النتائج النوعية لتطوير وتأكيد أداة للجزء الكمي، أو استخدام النتائج الكمية لتحديد المشاركين أو المجموعات المحددة للجزء النوعي.

4. البدء: هذه هي المرحلة التي يرغب فيها الباحث ونفي استكشاف الاختلافات في النتائج من طرق مختلفة. من خلال مقارنة وجهات نظر مختلفة ، يمكنهم تطوير تفسيرات جديدة لما يدرسون. يستفيد هذا من نقاط القوة في كل نهج لتوضيح وتحديد سياق وإثراء النتائج العامة ، بدلاً من التركيز على حلال تناقضات.

5. التوسع: عندما يرغب الباحثون في معرفة المزيد عن شيء ما، يمكنهم استخدام الطرق المختلطة. تسعى هذه الفكرة إلى توسيع نطاق الدراسة من خلال استخدام الطرق المختلطة للتحقيق في مكونات مختلفة من موضوع البحث (McLeod, 2024, p. 4).

تري رجاء محمود علام أن استخدام المنهج المختلط في البحوث يعود لأسباب منها:

- عندما يتوفر لدى الباحث بيانات كمية، وبيانات نوعية معا.
- عند الانتقال من مرحلة إلى أخرى في البحث، فمثلا عند استطلاع البيانات كيفيا لبناء الأداة أو التعرف على بعض المتغيرات التي يمكن اختيارها في دراسة كمية أخرى.

- عند إجراء بحث كمي، ويريد الباحث الحصول على تفاصيل لا يمكن الحصول عليها كميًا.
- ويمكن إجراء دراسات مختلطة في حال رغبة الباحث في إضافة عنصر كيمي إلى دراسة كمية، فمثلا عندما لا تهتم بعض الكليات بالدراسات الكيفية فإنه يمكن للطالب في هذه الحالة، أن يستعين بالتصميم المختلط بهدف تقديم مشروع يحتوي على عناصر كمية و أخرى كيفية(رجاء، 2011، صفحة 330).
- و تشير ليلى الطويل أن المعرفة في العلوم الاجتماعية مجزأة و مشتتة، وهذا الانفصال ليس بسبب خصوصية المشاكل التي يبحثون فيها، بل بسبب خصوصية الطريقة المتبعة في الدراسة، ولتقليل ذلك يمكن للباحثين استخدام طريقتين أو أكثر في جمع البيانات.
- وجود ضرورة لذلك، أي أن بعض البحوث العلمية تستدعي دمج المنهجين الكمي والنوعي.
- توافر الشروط المطلوبة للجمع، كشروط التخصص الموضوعي، والتكليف الموضوعي المنهجي.
- وجود إمكانيات، وإلمام الباحث بمناهج وأدوات كلا النوعين من البحث الكمي و النوعي وطرق استخدامها(عامر و إيمان، 2018، صفحة 42).
- أن مشكلة البحث لا يمكن فهمها باستخدام أسلوب بحث واحد.
- صعوبة تعميم نتائج البحث باستخدام أسلوب بحث واحد، فمثلا يستخدم الاستبيان إلى جانب المقابلة للحصول على عدد كبير من المبحوثين، مما يسمح بتعميم النتائج.
- رغبة الباحثين في تحسين نتائج الدراسة ودعمها باستخدام أكثر من أداة.
- تحقيق أهداف البحث من خلال أساليب ومراحل بحثية معينة، وهذا يكون في الدراسات الكبيرة طويلة المدة(محمد، 2019، صفحة 239).
- تحقيق التكامل بين المنهجين الكمي والكيفي، لأن منهج واحد غير كافٍ لدراسة المشكلات البحثية، لذا أشار الباحثين لأهمية استخدام هذا الدمج بين الطريقتين، وهذا ما يزيد من دقة النتائج.
- الوصول إلى أعلى درجة من المصداقية والثقة في الدراسة، وهذا لا يتأتى في ظل استخدام أسلوب بحث واحد(حفيظة، 2022، صفحة 1119).
- يعد البحث بالطرق المختلطة خيارا رائعا عندما لا تكون البيانات الكمية أو النوعية وحدها غير كافية للإجابة على سؤال البحث، من خلال جمع وتحليل كل من البيانات الكمية والنوعية في نفس الدراسة مما يمكن الباحث من استخلاص استنتاجات أكثر فائدة(Teamov, 2023).
- ومن الأسباب التي تدعو الباحثين لاستخدام المنهج المختلط في البحوث، أن كلا النوعين مكمل للآخر، وبالتالي ستكون قيمة مضافة في الجمع بينهما(Sagun, Saraswati, و Ram A, 2021، صفحة 28).

5- : أهمية استخدام المنهج المختلط في البحث:

قد يكون المزج بين طريقتين أفضل من استخدام طريقة واحدة لأنه من المرجح أن يوفر رؤى غنية لبحث الظواهر التي لا يمكن فهمها بشكل كامل باستخدام الأساليب النوعية أو الكمية فقط.

❖ يمكن للتصميم المختلط الأساليب دمج وتآزر ومصادر البيانات المتعددة التي لا يمكن أن تساعد في دراسة المشكلات المعقدة.

❖ يسمح للباحثين البحث عن رؤية واسعة لدراساتهم من خلال تمكينهم من رؤية الظاهرة من وجهات نظر وعدسات بحثية مختلفة.

❖ يمكن أن توفر عمقا يمكن الباحث من الحصول على نظرة أعمق لهذه الظاهرة من خلال البيانات (Sagun, Saraswati, و Ram A، 2021، صفحة 27)

❖ التثليث: أو التكميل: ويقصد به توظيف أكثر من أسلوب لجمع البيانات، من أجل التأكد من صحة النتائج.

❖ التوسع في فهم حيثيات المشكلة المدروسة.

❖ تطوير أساليب تم توظيفها في الدراسة، مثلا استخدام بيانات المبحوثين في تطوير استبيان مستخدم في الدراسة.

➤ يرى مايلز و هوبرمان أن هذا النوع من البحوث يقدم مزيجا قويا، فعند تقويم نتائج البحث الكمية والنوعية تتمكن من إعطاء صورة مركبة للظواهر الاجتماعية(رجاء، 2011، صفحة 330). استخدام المنهج المختلط بإمكانه توفير مزايا مختلفة من بينها: تخفيض نسبة التحيز في نتائج الدراسة.

➤ فهم أكبر للظواهر ومواضيع الدراسة.

➤ إعطاء حرية للباحثين لتوظيف أدوات البحث.

➤ الإجابة على أغلب أسئلة الدراسة، وتجاوز نقاط الضعف، وهذا من شأنه أن يعطي نتائج دقيقة.

➤ رؤية الظاهرة من وجهات نظر بحثية مختلفة.

➤ يفتح آفاق جديدة للاستفسارات المستقبلية (Sagun, Saraswati, و Ram A، 2021، صفحة 27)

وقد تم تحديد أهمية المنهج المختلط في النقاط التالية:

1. يستخدم كأداة مهمة في الدراسة، عندما لا تكون الأداة المستخدمة كافية.

2. يستخدم عندما تحتاج أجوبة أفراد العينة العامة إلى توضيح.

3. يستخدم كمصدر مهم للمعلومات، عندما تكون معلومات الظاهرة المدروسة غير كافية.

4. يستخدم في تفسير النتائج الأولية؛ في حال كان المنهج المستخدم لا يكفي للوصول لنتائج مفيدة في البحث.

5. يستخدم في تعميم النتائج الاستكشافية التي تنتج بسبب ضيق عينة الدراسة، أو عدم توفر دراسات سابقة حول مشكلة الدراسة.

6. يستخدم في تطوير الدراسات السابقة ذات الصلة بالموضوع البحثي.

7. يستخدم لفهم أحد أهداف البحث من خلال المنهج الكمي أو النوعي؛ لفهم الأهداف الأخرى (BTS, 2022).
8. يغطي جميع جوانب الموضوع تغطية شاملة.
9. يزيد كمية بيانات البحث.
10. يثري طبيعة بيانات البحث.
11. يسهل إجراءات الدراسة، بحيث يشكل إجراء ما نقطة للارتكاز الذي يليه.
12. يجري مقارنات في الدراسات الطولية (سوتيربوس، 2017، صفحة 281).

6-: خطوات استعمال المنهج المختلط:

1. أن يقوم الباحث بتحديد ما إذا كانت الدراسة تحتاج إلى الأساليب المختلطة أم لا.
2. أن يقوم الباحث بتحديد الأساس المنطقي لدراسة الأساليب المختلطة.
3. أن يقوم الباحث بتحديد الإستراتيجية التي يتم من خلالها جمع البيانات ونوع التصميم.
4. أن يقوم الباحث بتطوير الأسئلة الكمية والنوعية والطرق المختلطة.
5. أن يجمع الباحث البيانات الكمية والنوعية.
6. أن يحلل الباحث البيانات بطريقة منفصلة أو متزامنة.
7. أن يكتب الباحث التقرير كدراسة واحدة أو على مرحلتين (BTS, 2022).

7: أنواع تصميمات البحوث المختلطة:

قبل مناقشة أنواع تصميمات البحوث المختلطة، يجلب النظر إلى بعض الجوانب التي تؤثر على تصميم إجراءات دراسة الطرق المختلطة وهي أربع جوانب مهمة:

- 1 التوقيت: يجب على الباحث معرفة توقيت جمع البيانات سواء كان على مراحل أو بالتسلسل، أو مجمعة في نفس الوقت.
 - 2 الترجيح: وهو العامل الثاني الذي يدخل في تصميم البحوث المختلطة، ومعناه إعطاء الأولوية أو الوزن للبحث الكمي أو النوعي، وأحياناً يكون متساوياً لكليهما.
 - 3 الخلط أو الدمج: ومعناه دمج أسئلة البحث، وهنا يتعين على الباحث طرح سؤالين: متى يتم الدمج؟ وكيف يتم الدمج، هل الدمج في عدة مراحل أم في مرحلة واحدة. أما الإجابة الثانية فهل على الباحث أن يدمج البيانات في مرحلة جمع البيانات أم في تحليلها، أو في تفسيرها.
 - التنظير: العامل الأخير يقصد به هل التوجه النظري يوجه التصميم بأكمله أم في بعض مراحله، فقد تكون النظرية صريحة أو ضمنية في دراسة الأساليب المختلطة.
- و عندما يقرر الباحث إجراء دراسة مختلطة المناهج عليه أن يختار نوعاً من أنواع التصميمات المتعارف عليها في البحوث المختلطة، لأن لكل نوع خصائص وأهداف، حيث قام الباحثون بإدراج أنواع مختلفة للتصاميم البحوث المختلطة، وفيما يلي سنعرض التصميمات المختلفة للبحوث المختلطة (Creswell J. W., 2009, p. 192).

وتنقسم التصميمات إلى قسمين: الأنماط التسلسلية، و الأنماط المتزامنة.

أ- الأنماط التسلسلية: تتضمن ما يلي:

- النمط التسلسلي التفسيري:

في هذا النوع من البحوث يجمع الباحث البيانات الكمية ويحللها، يليها جمع البيانات بطريقة كيفية، انطلاقاً مما توصل إليه نتائج البيانات الكمية، على سبيل المثال يقدم الباحث ببناء مقياس بهدف رصد التضامن والتفاعل في العاملين، ثم يقوم بدراسة حالة على العمال، ثم تقليل من أجل معرفة الدوافع الخفية والواقعية لوجود انخفاض في تفاعل العمال (هاني، 2023، صفحة 158، 159).

- النمط التتابعي الاستكشافي: هذا التصميم هو تسلسل عكسي للتصميم التتابعي التوضيحي، فالباحث يبدأ بالبحث النوعي ليستكشف وجهات نظر المشاركين، ثم يتم تحليل البيانات والمعلومات المستخدمة لبناء المرحلة الكمية، فتستخدم المرحلة النوعية هنا لبناء أداة قياس تناسب العينة، أو لتحديد الأدوات المناسبة لاستخدامها في المرحلة الكمية، أو لتحديد المتغيرات التي تحتاجها الدراسة الكمية (فرج، 2017، صفحة 34).

- التصميم التسلسلي التحويلي: في هذا النوع يبدأ الباحث بالبيانات الكمية أولاً، ثم يليها البيانات النوعية أو العكس، وهنا يبدأ بالكم ثم کیف، أو العكس، تبعاً لأهداف دراسته، بعدها يدمج البيانات في المراحل اللاحقة للدراسة (حفيظة، 2022، صفحة 1120).

الأنماط المتزامنة: في هذا النوع يقوم الباحث بجمع البيانات الكمية و النوعية في نفس الوقت، و يعد هذا النوع من أصعب النماذج من الأنماط المتسلسلة. ومن أنواعها:

ب- **مركب المتزامن:** يعتبر هذا التصميم ذو اتجاه واحد، يقوم فيه الباحث بجمع و تحليل البيانات الكمية و کیفية، في نفس الوقت، ويتم جمع البيانات في مرحلة تفسير و مناقشة و نتائج الدراسة، مما يمكن الباحث من فهم المشكل وإيجاد أجوبة عن أسئلة البحث المركب الشبكي المتزامن: يركز هذا النمط على جمع البيانات الكمية و النوعية في نفس التوقيت، و يستخدم هذا النمط في حالة أن البيانات الثانوية لا فائدة لها بدون البيانات الأساسية، و في حال عدم كفاية نوع واحد من البيانات لدراسة المشكل، و يستخدم في رغبة الباحث توظيف المنهجين الكمي و کیفي في دراسة كمية أو کیفية (إيمان، 2016، صفحة 120).

- **المركب التحويلي:** في هذا النوع من التصميم يقوم الباحث بتبني نظرية اجتماعية كموجه لدراسته، ويتم جمع البيانات الكمية ثم يحللها، وبعدها يجمع البيانات النوعية، و يحللها وبعدها يفسر النتائج في ضوء المنهجين الكمي و کیفي (العفيفي، 2023).

1-7 الأنماط الأساسية للبحث المختلط

النمط	طريقة جمع البيانات	درجة الاهتمام بالمنهج	مستوى الدمج
التفسيري	تسلسلي	الأولوية للمنهج الكمي	التحليل الكمي يوجه کیفي كمي ----- کیفي
الاستكشافي	تسلسلي	الأولوية للمنهج کیفي	التحليل کیفي يوجه الكمي کیفی ----- کمي

المركب	متزامن	الأولوية للمنهج الكمي و الكيفي معا	خلال عمليتي التحليل و التفسير كمي+ كيفي
الشبيكي	متزامن	الأولوية للمنهج الكمي أو الكيفي	ينطوي كل منهج بحثي على منهج بحثي آخر.
التحويلي	تسلسلي و متزامن	الأولوية للمنهج الكمي أو الكيفي	التحليل الكمي يوجه الكيفي أو التحليل الكيفي يوجه التحليل الكمي.

جدول يوضح الأنماط الأساسية للبحث العلمي (إيمان، 2016، صفحة 117)

8- : التحديات التي تواجه البحوث المختلطة:

هناك الكثير من العوائق التي تواجه الباحثين عند توظيف المنهج المختلط في الأبحاث:

- **التعقيد:** يكون البحث باستعمال الأسلوب المختلط أكثر تعقيدا من البحث الذي يركز على منهج واحد، لأن على الباحث أن يجمع البيانات من مصادر مختلفة، وتوظيف أدوات وأساليب متعددة، مما يجعل عملية البحث تستغرق وقتا وتكاليف أكثر.
- **تحديات التكامل:** إن جمع و دمج البيانات ذات الصبغة الكمية بالبيانات الكيفية من شأنه أن يصبح مسألة صعبة، لأن تحليل هذين النوعين من البيانات يتم وفق أساليب متعددة، تفرض على الباحثين الدقة في والصرامة في الوصول للنتائج النهائية للدراسة (Rambabu, Sushil, Dinesh, Sandesh, Lok Raj, و 2023، صفحة 4).
- وعلى الرغم من أن استخدام المنهج المختلط قد يؤدي إلى نتائج أكثر ثباتا و صدقا من نتائج الدراسات التي تستخدم طريقة واحدة، يشكك عددا من الباحثين في مدى فائدة هذه الإجراءات البحثية، وقد أشار بعضهم إلى أن توسيع نطاق البحث لا يؤدي بالضرورة إلى نتائج أفضل. يصعب إعادة تطبيق البحث المختلط وتكراره.
- ليس التثليث أكثر قيمة من الطريقة الأحادية التي قد تكون مناسبة وأكثر فائدة في بعض الحالات. لا يلائم المنهج المختلط دراسة جميع الظواهر الاجتماعية (سوتيربوس، 2017، صفحة 281).
- وعلى الرغم من مزايا البحث المختلط وشعبته بين الباحثين، قد يعتبره العلماء تصميمًا يمكن أن يسبب متاعب للباحث عندما لا تتوفر لديه القدرة على التعامل مع الطريقتين معا (Saraswati, Ram A و Sagun، 2021، صفحة 27).

9- خاتمة:

تساعد مناهج البحث الطلبة والباحثين على فهم الحقائق والظواهر، وكيفية دراستها، و يعتبر المنهج المختلط من أهم الأساليب البحثية التي تعين الباحثين تحقيق أهداف البحث، وتقدم فهما أوضح للظاهرة، و تبنيها و قد يؤدي بالبحث العلمي إلى الارتقاء. فهو من المفاهيم التي تؤكد التعدد المنهجي للباحثين، من خلال دمج البيانات الكمية و الكيفية في نفس الوقت، وهذا ما يتيح كذلك تفسيرات أكثر دقة حول القضايا الاجتماعية المعقدة، مما يؤدي إلى صدق النتائج و موثوقيتها، ويساعد في تفسيرها، وقد أكد الباحثون أهمية هذا المنهج، في التغلب على المعوقات التي تظهر عند الاعتماد على منهج واحد في الدراسة، علاوة على أنه يعطي للباحث حرية استخدام جميع تقنيات

البحث، من أجل تنفيذ بحثه، ويتعين على الباحث وهو يتبنى المنهج المختلط أن يكون على دراية تامة بمفهومه، و طريقة تنفيذه، و أنماطه.

وعلى الرغم من الأهمية البالغة للأساليب المختلطة، إلا أنها تواجه صعوبات وعراقيل كثيرة، كما أن تطبيق هذا المنهج لا يزال قليلا بالمقارنة مع المنهجين الكمي والكيفي خاصة في حقل علم الاجتماع.

10- المراجع:

1. Creswell John W ,Carroll Klassen Ann ,Plano Clark Vicki L و ,Smith Katherine Clegg .*Best Practices for Mixed Methods*.Office of Behavioral and Social Sciences Research.
2. Dawadi Saraswati ,Shrestha Sagun و ,Giri Ram A .(2021) .Mixed Methods Research: Adiscussion on its Types, Challenges, and Criticisms .*Journal of Practical Studies in Education*.23 ،
3. Dovetail Editorial Teamov .(2023 ,02 20) .Dovetail من الاسترداد .
[https://dovetail.com/research/mixed-methods-research./](https://dovetail.com/research/mixed-methods-research/)
4. Jhon W Creswell .(2022) .*A Concise Introduction to Mixed Methods Research*. Los Angeles: SAGE Publications.
5. John W. Creswell .(2009) .*research design qualitative quantitative and mixed methods approaches*.London: SAGE Publications Ltd.
6. Saul McLeod .(2024) .Mixed Methods Research Guide With Examples .*ResearchGate*.
7. Sharma Lok Raj ,Bidari Sandesh ,Bidari Dinesh ,Neupane Sushil و , Sapkota Rambabu .(2023) .Exploring the Mixed Methods Research Design: Types, Purposes .*Global Academic Journal of Linguistics and Literature*.4 ،(1) 5 ،

8. إبراهيم الدسوقي إيمان. (2016). استخدام منهج بحث الطرائق المركبة في دراسات الادارة التربوية: دراسة تحليلية لبعض نماذج الانتاج الفكري المنشور بالدوريات المتخصصة. مجلة كلية التربية، 167 (1)، 120.

9. إبراهيم بوالفلل. (2018). البحث الاجتماعي بين المقاربتين الكمية و الكيفية و مناهج البحث المختلفة. *حواشيات جامعة الجزائر 1*، 32 (1).

10. ابراهيم هاني. (2023). تكامل المنهجين الكمي والكيفي في سبيل نجاح البحوث السوسولوجية الميدانية دراسة سوسولوجية. 11 (01).

11. أكاديمية BTS. (2022, 02 21). *أكاديمية BTS*. تم الاسترداد من <https://www.bts->

[academy.com/blog_det.php?page=147](http://www.ck12.org/academy.com/blog_det.php?page=147)

title=%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D9%87%D8%AC_%D8%A7
&_%D9%84%D9%85%D8%AE%D8%AA%D9%84%D8%B7
nbsp;%D9%88%D8%A3%D9%87%D9%85%D9%8A%D8%AA%D9%87_
%D9%81%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%AD%D8%AB_%D
.8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D

12. الحسيني الإمام يوسف. (2020). منهجيات البحث المختلط في التربية. مجلة تربويات الرياضيات، 23 (9)، 21.

13. بن عبد الجبار بن معيوض السلمي محمد. (2019). استخدام منهج البحث المختلط في أبحاث تعليم اللغة العربية وتعلّمها. *المجلة العلمية لكلية التربية- جامعة أسيوط* ، 239.

14. خليفي حفيظة. (2022). البحوث المختلطة واستخدام المقاربتين الكمية والكيفية في الدراسات السوسيولوجية دراسة ميدانية. مجلة المعيار، 26 (5)، 1115.
15. سارانتاكوس سوتيريوس. (2017). البحث الاجتماعي. قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
16. سرحان باسم. (2017). طرائق البحث الاجتماعي الكمية. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
17. طارق العفيفي. (2023). المنهج المختلط. تم الاسترداد من <https://drasah.com/Description.aspx?id=7667>.
18. عبد العال النعبي محمد. طرق و مناهج البحث العلمي. عمان: مؤسسة الوراق للنشر و التوزيع.
19. غراوتز مادلين. (1993). مناهج العلوم الاجتماعية منطق البحث في العلوم الاجتماعية. دمشق: المركز العربي للتعريب و الترجمة.
20. قنديلجي عامر، و السامرائي إيمان. (2018). البحث العلمي الكمي و النوعي. عمان: دار اليازوري.
21. محمد صوان فرج. (2017). البحث العلمي المفاهيم الأفكار، الطرائق و العمليات. الجزائر: ابن النديم للنشر و التوزيع.
22. محمد علام رجاء. (2011). مناهج البحث العلمي في العلوم النفسية و التربوية. القاهرة: دار النشر للجامعات.
23. مسعد السعيد رضا. (2021). المنهج المختلط: مدخل تكاملي لدمج البيانات الكمية و النوعية في البحث التربوي. مجلة تربويات الرياضيات، 24 (5)، 12.
24. مصطفى عليان ربيعي. البحث العلمي: أسسه. مناهجه و أساليبه. وإجراءاته. الأردن: بيت الأفكار الدولية.
25. موريس أنجرس. منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية. الجزائر: دار القصبة للنشر و التوزيع.

Toward an Anthropological Methodological Hybridity in Contemporary Sociological Research: Participant Observation with a Renewed Spirit in Interrogating Latent Meaning

HibaBouarroudj, Associate Professor (Grade B)

Member of the Social Development and Community Service Laboratory (LSDSS), University of El Oued(Algeria);

bouarroudj-hiba@univ-eloued.dz

Abstract : This article seeks to explore a different epistemological horizon that transcends traditional methodological moulds in the social sciences, which we term "methodological hybridity". The study stems from the premise that the historical separation between sociology and anthropology has led to a kind of "cognitive flattening" in understanding contemporary social phenomena. Therefore, the article proposes reclaiming the technique of "participant observation" from the anthropological field and injecting it back into contemporary sociological research with a renewed spirit. It does not merely settle for external observation but immerses itself in "social action" to interrogate its latent meanings. This methodological approach aims to demonstrate how this amalgamation can grant the social researcher the ability to transform silent daily practices into deeply interpretable cultural texts. This establishes a "more humanized" sociology capable of touching the essence of the human experience amid the complexities of liquid modernity.

Keywords: Methodological Hybridity, Anthropology-Sociology, Participant Observation, Renewed Spirit, Latent Meaning, Contemporary Sociological Research.

ملخص:

يسعى هذا المقال إلى التعرف على أفق إبستمولوجي مغاير يتجاوز القوالب المنهجية التقليدية في العلوم الاجتماعية، وهو ما نستخدم عليه بـ "الهجنة المنهجية". حيث تنطلق الدراسة من فرضية مفادها أن الانفصال التاريخي بين السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا قد أدى إلى نوع من "التسطيح المعرفي" في فهم الظواهر الاجتماعية المعاصرة، ومن ثم، يقترح المقال استعادة تقنية "الملاحظة بالمشاركة" من الحقل الأنثروبولوجي وإعادة ضخها في البحوث السوسيولوجية المعاصرة بروح متجددة، فهي لا تكتفي بالرصد الخارجي، بل تنغمس في "الفعل الاجتماعي" لاستنطاق معانيه الكامنة. هدفت هذه المقاربة المنهجية إلى تبين كيف يمكن لهذا التمازج أن يمنح الباحث الاجتماعي القدرة على تحويل الممارسات اليومية الصامتة إلى نصوص ثقافية قابلة للتأويل العميق، مما يؤسس لسوسيولوجيا "أكثر أنسنة" قادرة على ملامسة جوهر التجربة الإنسانية في ظل تعقيدات الحداثة السائلة. الكلمات المفتاحية: الهجنة المنهجية، الأنثروبولوجيا - السوسيولوجية، الملاحظة بالمشاركة، الروح المتجددة، المعنى الكامن، البحوث السوسيولوجية المعاصرة.

• I n t r o d u c t i o n

Contemporary social sciences are witnessing radical transformations in their epistemological and methodological approaches, driven by the necessity to keep pace with the increasing complexities of social reality. Contemporary social phenomena, with their intertwining of the local and the global, have surpassed the explanatory capacity of the classical methodological tools that have prevailed in the sociological tradition. In this context, a central problematic has emerged: the growing inadequacy of purely quantitative methods which largely rely on statistical generalization and the quantitative measurement of behavior to encompass the semantic and symbolic dimensions of social experience. Although the classical sociological tradition has undeniably contributed to understanding "macro-social structures" and

the general laws governing social interaction, it has often remained captive to what might be called "structuralism". This approach treats society as an objective entity outside human will, while conversely ignoring the "social actor" as a producer of meaning and a bearer of experience. Herein lies the pivotal role of anthropology, which is distinguished by its ability to delve into "minor details" and read daily practices as "cultural texts" encoded with significance.

Modern humans today live in a state of perplexing "social liquidity", where clear boundaries between systems have dissolved. Social ties have become so complex that classical sociological approaches which merely touch the "surface" of a phenomenon are insufficient for comprehending reality. The contemporary world no longer speaks solely the language of cold numbers and dry statistical data. Rather, it whispers dense meanings and hidden symbols that require a trained "anthropological ear" to capture the subtle interactions within the structure of a social phenomenon. This work presents itself as a cognitive "manifesto" calling for emancipation from the captivity of traditional tools that have, in many studies, turned society into a "cold laboratory" and the researcher into a mere technician recording observations without reaching their core. Today, we advocate for a "methodological hybridity" that acts as an epistemological bridge, crossing us from the narrowness of superficial description to the expansiveness of deep interrogation. We consider the renewed spirit we propose for the "participant observation" technique to be, in essence, an act of cognitive rebellion. The field is no longer just a space for data collection, but becomes a space for incarnation and identification. The sociological researcher here does not observe society from a transcendent window, but immerses themselves in its daily fabric, listening to the silence of the respondents just as much as to their words. They do so believing that social truth does not lie in the answers of ready-made questionnaires, but in those "small gaps" and tremors that people leave behind as they go about their spontaneous lives.

This article seeks to achieve a set of epistemological and methodological objectives, which can be summarized as follows:

- Establishing the Paradigm of "Methodological Hybridity": The pivotal goal is to formulate a theoretical framework that transcends the historical rupture between sociology and anthropology. It merges them into a single cognitive vision capable of reading social reality with both depth and breadth simultaneously, ensuring the integration of the "macro" and the "micro".
- Redefining "Participant Observation" with a Modernist Spirit: The study aims to rescue this tool from its classical mold associated with primitive societies, transforming it into an "existential practice". This allows the contemporary sociological researcher to immerse themselves in the field as an active subject interrogating meanings, rather than as a neutral observational machine claiming "cold objectivity".
- Deconstructing the "Fetishism of Numbers" in Sociological Research: The paper seeks to critique excessively quantitative approaches that have emptied society of its humanity and reduced it to statistical units. Instead, it

champions "deep qualitative analysis", which views human behavior as a symbolic text requiring interpretation, not mere counting.

➤ Interrogating the Meanings Hidden Behind Social Action: Providing methodological tools that grant the sociological researcher the ability to access the "unspeakable" in daily discourses. It decodes practices that classical research ignores under the pretext of statistical insignificance.

➤ Humanizing the Scientific Method: Returning "the human" to the center of the research process. It transforms sociology from a science that studies "societies" as silent monoliths into a science that understands "humans" as creative beings of meaning, stories, and symbols.

1. In the Etymology of Crossing: Breaking the Rupture and Reclaiming the Cognitive Spirit

1.1. Undermining the Walls of Specialization: From "Forced Separation" to "Fruitful Hybridity"

The social sciences have long been imprisoned within the narrow cells of specialization, where isolating walls were built between sociology and anthropology under the guise of "methodological independence" and academic distinction. However, this separation has produced a cognitive deficiency in understanding the contemporary complexities of social reality. It was founded on the premise that society is a "cold structure" measurable quantitatively (Sociology), while culture is an "exotic spirit" confined to narrative societies (Anthropology). In other words, can it be said that social research is entirely "correct", or is it inevitably confined to a series of approximations and debatable opinions?. From a methodological perspective, what are the consequences of separation versus close engagement with the social phenomena under study?. This has been a core issue in sociology, especially in anthropology, where the differences between qualitative and quantitative studies are sharp, and where barriers between cultural differences are often high. Can one minimize the tendency of interviewers to beg or guide respondents toward preconceived answers?(Calhoun, 22/04/2026, 15:56).

Therefore, it appeared to us that Marcel Gauchet presents his intellectual project, "transcendental anthropo-sociology", in its relationship to the positive sciences (Anthropology and Sociology in particular), with two faces: "rupture and continuity". His project only bears the character of sociology provided it frees itself from its ideological illusion that elevates it above history and drops it into the trap of "social realization". This realization means reaching the utmost self-awareness in a transparent manner, a point at which it wrongly assumes it can offer absolute knowledge about itself. Thus, sociology (in Gauchet's project) cannot be a science unless it is aware of its belonging to the social field, which is a symbolic alterity to itself. Consequently, scientific practice will not be the uncovering of a deep, invisible level contained within social reality such as general laws in functionalist theory or class struggle in Marxism but rather the discovery of what is hidden within the visible itself. It is the discovery of what is laid out in this very empirical reality, yet remains invisible at the same time. It is tantamount to that transcendent element existing within the

empirical itself, to the point that there is no justification for any separation between them in his view. This is because what defines the social space is not what is hidden from view and seen only by the scientist. Rather, the foundation of it all resides in what is apparent and manifest to the naked eye, which the scientist must catch up with and uncover. Or let us say: what the scientist must do is shed light on the horizons of meaning that allow what appears to appear. Perception, for instance, occurs through the body and the brain, but we do not see our eyes and brains at the exact moment we see or perceive the world. In this context, we can understand the new formulation of the dichotomy affirmed by Gauchet's philosophical achievement as a whole, which is the visible and the invisible (Al-Basri, 22/04/2026, 14:34).

This "illusion of independence" has often turned sociological research into something resembling a "morgue". It dissects the limbs of human experience to fit theoretical molds, causing the spirit to vanish and meaning to dry up. Hence, this article does not advocate for a mere superficial collaboration between the two disciplines. Instead, it aspires to demolish those isolating walls from their foundation to make way for what might be called "hybrid bridges". These bridges are not merely technical passageways, but spaces for cognitive crossing that allow the researcher to practice a "positive betrayal" of their narrow specialization. They borrow the anthropologist's eye to see the "macro-structures" and use the "ethnographic microscope" to analyze subtle interactions.

1.2. Resurrecting "Meaning" in the Body of Sociology: From "Number" to "Lived Experience"

Resurrecting "meaning" in the body of sociology represents a process of "cognitive resuscitation" for a body exhausted by the coldness of quantification and the frost of mathematical models that have long tried to reduce human existence to boxes and tables. Under the weight of rigid scientism, the social phenomenon transformed into a mere pulseless "number". It became a mute statistic that settles for tracking final outcomes without daring to question the internal processes that created them. Accordingly, the sociologist Max Weber sought to understand human behavior within the society to which it belongs, rather than merely observing institutions and their development from the outside without considering the key actors in this evolution. Weber distinguishes between "actual understanding" and "motivational understanding". For him, actual understanding can be rational understanding of ideas, non-rational actual understanding through emotion, or rational actual understanding through contracts. As for understanding action, it raises the problematic of the symbolic aspect of the action or the action under observation. Thus, it is considered more developed than the former, especially since it searches for what lies beyond the meaning derived from this action by analyzing the relationships between meanings. Therefore, Weber developed ideal types for various meanings: (meaning as a cognitive, i.e., objective, signifier within a system of meanings; meaning as a concept aimed at reaching subjectivity, which is an internal, understanding, and communicative

subjectivity; and finally, meaning as a functional concept influenced by objective relations). Meaning, then, is what establishes social action. The latter cannot be understood except through it (Adnani, 22/04/2026, 15:10). Borrowing the anthropological spirit is not just a cosmetic addition; it is an act of "reclaiming" the essence of sociology as a science of humans, not a science of things. Through this, we seek to transform the phenomenon from a "cold statistical unit" into a "lived experience". It is an experience that pulsates with life, feeds on symbols, and resides in everyday details. The transition from "number" to "experience" necessarily means acknowledging that behind every statistical recurrence lies a unique human story. Behind every general trend exist existential struggles and subjective representations that cannot be grasped from afar. Here we arrive at the concept of "humanizing the social phenomenon," by shifting from a "sociology of bodies" that counts human movements in space, to a "sociology of being" that interrogates the connotations of those movements. Meaning is considered the marrow that grants the sociological bones their ability to move. Without it, sociological research remains a mere dissection of the "corpse of society". The renewed spirit we propose here requires us to stop treating respondents as "subjects of study" and to start treating them as "producers of meaning". We must treat them as beings who give their reality taste and color through their rituals, their silence, and their fractures.

2. Participant Observation: The Renewed Spirit and Mechanisms of Interrogation

2.1. Renewing Participant Observation: From "Classical Description" to "Contemporary Sociological Analysis"

Our universities, in teaching sociology, have not kept pace with the emerging methodological and intellectual turn that began to crystallize in what is called contemporary critical sociology. This turn began in the late 1920s and early 1930s with the "Frankfurt School", based on Marxist analyses, and was called "microsociology" because it focuses on individual actions and behaviors based on the common sense of individuals and groups. This critical microsociological science bases its theories on the personal nature of individuals performing their expected roles from occupying specific positions or statuses within group culture. Microsociology schools became popular primarily in the United States, and their research was dominated by culturalist-functionalist approaches. These approaches focused on: (an approach based on the logic of the actor's interactivity within the network of individuals concerned with them in the group or local community, and the falsity of the "macro-social," entity-based, or holistic consciousness of social phenomena). Therefore, they confined their research fields to ethnic and sectarian groups fortified by media and education, constituting the "micro-cultural" components of the larger society. These schools relied on sociography, which paves the way for sociological analysis through "participant observation" and monographs, to understand the social field under study (Baalbaki, 23/04/2026, 11:38). Participant observation is no longer merely a "technique" for data collection; under methodological hybridity, it has become an "engagement

act" that rewrites the social researcher's relationship with the subject. The renewal here touches upon three fundamental levels:

➤ Transition from the "Stranger" to the "Familiar": In classical anthropology, the researcher observed the "distant other" (the tribe). In the renewed spirit, however, the researcher observes the "close self", as they practice participant observation within their institution, their neighborhood, and the digital spaces in which they live. We say, then, that the renewal here lies in the researcher's ability to "defamiliarize" everyday reality, i.e., seeing the familiar through the eyes of a "discoverer" who sees for the first time what people are accustomed to passing by without notice.

➤ Observation as a Process of "Deconstruction," Not Just "Recording": The renewed spirit rejects "photographic observation" that settles for monitoring apparent behavior. It is a "sociological observation" par excellence, searching for "balances of power" and "hierarchical structures" within simple action. When a researcher observes a "queue in a government department", they do not record the movement of bodies; rather, they deconstruct the citizen's relationship with authority, representations of time, and spatial conflicts.

➤ The Researcher as a "Sensory" and Cognitive Tool: Renewal requires the researcher to be "immersed" and not merely a distant observer. The renewed spirit demands invoking the senses, emotions, and body language as tools for understanding, which transforms observation from a "cold" tool into an "interactive" process that produces knowledge from within the lived experience.

Committing to objectivity in social research, particularly that concerning the study of humans at work, requires a great deal of attention to the general context of the social phenomenon under study. This is so the researcher can grasp the phenomenon's circumstances and avoid prejudgments as much as possible. Therefore, the sociological researcher should take a conscious and active position regarding the research proceedings and draw their conclusions from within the lived or observed phenomenon. This requires the researcher to move beyond a fleeting glance at phenomena and conduct an anthropological residency, as Professor Aktouf calls it (Thabeti, 25/04/2026, 13:18). In this detail, we have clarified that participant observation is no longer "just sitting and writing down"; it has become an "intelligence strategy" that allows the contemporary sociological researcher to penetrate beyond social veils.

2.2. Techniques for Interrogating Latent Meaning: Penetrating the "Unspoken" and the "Symbolic"

From Ricoeur's focus on meaning in myths and dreams, he challenges structuralism on the grounds that in its search for structure it ignores the dilemma of the "latent meaning" behind these myths. He uses the Hebrew Talmudic tradition as evidence, stating: the structural method cannot uncover the meanings of the symbols in this tradition, and only hermeneutics can uncover this meaning as a historical meaning. Lévi-Strauss responds with the transformation of meaning and its instability, arguing that it changes from era to era, and that the external researcher, unlike the native of the society, is incapable of discovering meaning in the phenomenon.

Hence, they must search for its structure to reach the system. This attack on structuralism influenced Goldmann to link (meaning and structure). He determines that meaning is a necessary matter in structure, and it is clear that when we say human activity has meaning, we also concede that this meaning is part of the structure. It is necessary to point out that Goldmann modified the concept of structure itself and linked it to human consciousness. For Goldmann, human consciousness is not detached from a person's position in a specific class within a particular society. The writer, as Goldmann sees them, is a distinct subject in whom class consciousness manifests, but this consciousness is expressed in art through structure and not in isolation from it (Abu Zayd, 24/04/2026, 12:34). The ultimate goal of hybridity is to reach the latent meaning, which is that submerged part of the social iceberg that explicit words do not reveal. Interrogating this meaning requires the use of precise epistemological techniques, which are as follows:

➤ Reading "Unspoken Language" (Social Coding): Latent meaning often hides in gestures, silence, spatial organization, and the choice of colors or clothing. The tool of participant observation, with its renewed spirit in contemporary social research, treats reality as a "semiological text". Interrogating meaning here signifies the ability to translate "silence" into sociological connotations. When a respondent refrains from an action, this abstention carries a "latent meaning" that might be stronger than the action itself.

➤ Analyzing "Paradoxes" Between Word and Deed: One of the most powerful interrogation techniques is monitoring the gap between what people say (in interviews) and what they do (in observation). Here the genius of hybridity emerges. Latent meaning is always found in those "gray areas" between official discourse and actual behavior. Interrogating this gap is what reveals the "true value system" of the society, far from idealistic claims.

➤ Contextuality as an Interpretive Tool: Meaning cannot be interrogated in isolation from its overall context. The renewed spirit in observation links the particular (individual action) to the universal (social system). Interrogation here means asking questions like: "Why does this action acquire this meaning in this specific time and place?". It is defined as a process of "epistemological excavation" in which participant observation is transformed from a "descriptive tool" into a "par excellence explanatory tool".

Accordingly, Ricoeur's study distinguishes between univocal, specific symbols and equivocal, multi-meaning symbols. The former are signs pointing to a single meaning, such as symbols in symbolic logic. The latter are the domain of "hermeneutics", to deal with symbolic texts having multiple meanings. Such texts may form a semantic unit, as in myths, having a completely coherent external surface meaning while simultaneously possessing a deeper internal significance. Hermeneutics is the system by which the deep significance lying beneath the manifest content is revealed (Mustapha, 25/04/2026, 14:46). Here, we have provided a "theoretical guide" on how to transform the naked eye into an "analytical microscope" that interrogates the core of contemporary phenomena.

3. The Bet on "Humanized Sociology"

Ultimately, the "methodological hybridity" advocated by this article does not merely represent a technical response to the shortcomings of tools; rather, it is an "epistemological turn" that restores consideration for the human being at the heart of the social phenomenon. The core conclusion we arrive at is that the traditional separation between sociology and anthropology has produced fragmented knowledge. The former excelled at monitoring structures, while the latter navigated through symbols, whereas reality lies in the hybrid zone between them. Thus, participant observation comes with its renewed spirit as outlined by the article, which does not stop at the limits of collecting field data. It transforms into an act of "excavation into the collective consciousness", where the researcher becomes a tool for interrogating the silence of the marginalized and decoding everyday life. From this, we conclude that "latent meaning" is not a ready-made given waiting to be discovered, but rather a joint construction that emerges in the encounter between the researcher's subjectivity and the field's objectivity.

This trend opens the door to a "humanized sociology" a sociology that does not fear "subjectivity" if it is conscious and reflexive, and is not satisfied with explanation if it does not lead to "deep understanding". Therefore, the bet of hybridity is ultimately a bet on restoring the sovereignty of meaning over the sovereignty of the number, and on the depth of interpretation over the superficiality of description. This ensures that contemporary sociological research remains a living tool, capable of touching the essence of social being in its most subtle symbolic details.

• Conclusion

Based on the foregoing, we conclude that the call to adopt "methodological hybridity" is not merely an intellectual luxury or a passing methodological choice. Rather, it is a necessity imposed by the complexities of contemporary social reality, which can no longer be encompassed through ready-made templates or one-dimensional explanations. Invoking the anthropological spirit into the heart of sociological practice, and through the technique of "participant observation with its renewed spirit", opens vast horizons for many researchers. It allows them to move from merely "monitoring the social phenomenon" to "living it," and from merely "describing behavior" to "interrogating the latent meaning" within its depths.

The true bet posed by this article lies in the ability to transform sociological research from a "laboratory of numbers" into a "space for interpretation". It is a space where the rigor of structural analysis meets the depth of penetrating everyday symbols and representations. Thus, the path of hybridity is the path toward a "humanized sociology" a sociology that restores the social actor's voice, the field's dynamism, and the method's flexibility. This is so that social science remains in a continuous dialogue with the complexities of human being, capable not only of explaining the world but of understanding its meanings hidden behind the veil of the familiar.

• References

➤ Al-Basri, Abdelrahim. "The Religious and the Political in the Thought of Marcel Gauchet (Towards a Philosophical Grounding for the Paths of Independence)". Quoted from Google Books website, Retrieval Date: 22/04/2026. At time: 14:34. Available at the link:

https://books.google.dz/books?id=HmM3EQAAQBAJ&pg=PA352&dq=%D8%A7%D9%86%D9%81%D8%B5%D8%A7%D9%84+%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7+%D8%B9%D9%86+%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%B3%D9%8A%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7&hl=fr&newbks=1&newbks_redir=0&source=gb_mobile_search&sa=X&ved=2ahUKEwjRxiW4wIGUAXWPhf0HHX_tO_UQ6AF6BAGKEAM#v=onepage&q&f=false

➤ Calhoun, Craig. "Dictionary of the Social Sciences". Quoted from Google Books website, Retrieval Date: 22/04/2026. At time: 15:56. Available at the link:

https://books.google.dz/books?id=LyqkEAAAQBAJ&pg=PA608&dq=%D8%A7%D9%86%D9%81%D8%B5%D8%A7%D9%84+%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7+%D8%B9%D9%86+%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%B3%D9%8A%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7&hl=fr&newbks=1&newbks_redir=0&source=gb_mobile_search&sa=X&ved=2ahUKEwj_p6XoyIGUAXXT9bsIH e3PEMAQ6AF6BAGLEAM#v=onepage&q=%D8%A7%D9%86%D9%81%D8%B5%D8%A7%D9%84%20%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7%20%D8%B9%D9%86%20%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%B3%D9%8A%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7&f=false

➤ Adnani, Ikram. "Sociology of Religion and Politics in Max Weber". Quoted from Google Books website, Retrieval Date: 22/04/2026. At time: 15:10. Available at the link:

https://books.google.dz/books?id=p22sDQAAQBAJ&pg=PA33&dq=%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D9%86%D9%89+%D9%81%D9%8A+%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%B3%D9%8A%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7&hl=fr&newbks=1&newbks_redir=0&source=gb_mobile_search&sa=X&ved=2ahUKEwiL39Gw5IGUAXUIhf0HHXYvJyIQ6AF6BAGPEAM#v=onepage&q=%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D9%86%D9%89%20%D9%81%D9%8A%20%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%B3%D9%8A%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7&f=false

➤ Baalbaki, Ahmad. "The Ideology of Development in the Shadow of Open Markets and Closed Identities". Quoted from Google Books website, Retrieval Date: 23/04/2026. At time: 11:38. Available at the link:

https://books.google.dz/books?id=z6tWDwAAQBAJ&pg=PT8&dq=%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%84%D8%A7%D8%AD%D8%B8%D8%A9+%D8%A8%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B4%D8%A7%D8%B1%D9%83%D8%A9+%D9%81%D9%8A+%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D9%84%D9%8A%D9%84+%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%B3%D9%8A%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A&hl=fr&newbks=1&newbks_redir=0&source=gb_mobile_search&sa=X&ved=2ahUKEwj05yf3YOUAXWohP0HHRaBfKQ6AF6BAGLEAM#v=onepage&

[q=%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%84%D8%A7%D8%AD%D8%B8%D8%A9%20%D8%A8%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B4%D8%A7%D8%B1%D9%83%D8%A9%20%D9%81%D9%8A%20%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D9%84%D9%8A%D9%84%20%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%B3%D9%8A%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A&f=false](https://books.google.dz/books?id=7ccXEQAQAQBAJ&pg=PT23&dq=%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%84%D8%A7%D8%AD%D8%B8%D8%A9%20%D8%A8%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B4%D8%A7%D8%B1%D9%83%D8%A9%20%D9%81%D9%8A%20%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D9%84%D9%8A%D9%84%20%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%B3%D9%8A%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A&f=false)

➤ Abu Zayd, Nasr Hamid. "**Problematics of Reading and Mechanisms of Interpretation**". Quoted from Google Books website, Retrieval Date: 24/04/2026. At time: 12:34. Available at the link:

https://books.google.dz/books?id=7ccXEQAQAQBAJ&pg=PT23&dq=%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D9%86%D9%89+%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%A7%D9%85%D9%86&hl=fr&newbks=1&newbks_redir=0&source=gb_mobile_search&sa=X&ved=2ahUKEwiK6cO86oOUAxXi5AIHHYFYM2kQ6AF6BAGKEAM#v=onepage&q=%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D9%86%D9%89%20%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%A7%D9%85%D9%86&f=false

➤ Thabti, El-Habib. "**Using the Participant-Observation Methodology to Develop and Humanize Job Analysis and Description Tools (An Attempt at Epistemological Positioning and Methodological Grounding)**". Quoted from Google website, Retrieval Date: 25/04/2026. At time: 13:18. Available at the link:

https://www.google.com/url?sa=t&source=web&rct=j&opi=89978449&url=https://grh-mascara.yolasite.com/resources/%25D8%25A7%25D8%25B3%25D8%25AA%25D8%25AE%25D8%25AF%25D8%25A7%25D9%2585%2520%25D9%2585%25D9%2586%25D9%2587%25D8%25AC%25D9%258A%25D8%25A9%2520%25D8%25A7%25D9%2584%25D9%2585%25D9%2584%25D8%25A7%25D8%25AD%25D8%25B8%25D8%25A9%2520%25D9%2580%2520%25D8%25A7%25D9%2584%25D9%2585%25D8%25B4%25D8%25A7%25D8%25B1%25D9%2583%25D8%25A9.pdf&ved=2ahUKEwjJ44P59oOUAxWEnf0HHRqdIr8QFnoECB0QAQ&usg=AOvVaw2lNBdH_POKqW2wzoRgser

➤ Mustafa, Adel. "**Understanding Understanding (An Introduction to Hermeneutics: Theory of Interpretation from Plato to Gadamer)**". Quoted from Google Books website, Retrieval Date: 25/04/2026. At time: 14:46. Available at the link:

https://books.google.dz/books?id=ZTM1EAAAQBAJ&pg=PT9&dq=%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D9%86%D9%89+%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%A7%D9%85%D9%86+%D9%88%D8%AA%D9%81%D8%B3%D9%8A%D8%B1+%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%85%D8%B2%D9%8A&hl=fr&newbks=1&newbks_redir=0&source=gb_mobile_search&sa=X&ved=2ahUKEwjEuIvbiYSUAxVkrIHRqgAc0Q6AF6BAGJEA#v=onepage&q=%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D9%86%D9%89%20%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%A7%D9%85%D9%86%20%D9%88%D8%AA%D9%81%D8%B3%D9%8A%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%85%D8%B2%D9%8A&f=false

البحث الاجتماعي بين المنهج الكمي والكيفي من جدلية التعارض إلى براديغم التكامل المنهجي والمعرفي

د. هدى قيزح أستاذ محاضر - ب

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي- الجزائر

مخبر التنمية الاجتماعية وخدمة المجتمع

kizah-houda@univ-eloued.dz

الملخص: يتناول هذا المقال إشكالية العلاقة بين المنهجين الكمي والكيفي في البحث الاجتماعي، في سياق التحولات الإبيستيمولوجية التي أعادت تشكيل المعرفة السوسيولوجية، حيث نهدف من خلاله إلى تأكيد فكرة أن هذا التعارض بين المنهجين ليس مطلقا، بل يعكس اختلافا في التصورات والمنطلقات أكثر مما يدل على التناقض في الأهداف، كما يبرز أن كل منهج يمتلك أدواته وحدوده، الأمر الذي يجعل من الاعتماد على أحدهما بشكل حصري مقارنة قاصرة عن استيعاب تعقد الظواهر الاجتماعية. وفي هذا الإطار، يبين المقال أن تجاوز هذه الثنائية يكون ممكنا من خلال تبني رؤية تكاملية تقوم على التوظيف المنسجم للمقاربتين، بما يسمح بتحقيق فهم أعمق وأكثر شمولية للواقع الاجتماعي، وعليه نخلص إلى أن التكامل المنهجي والمعرفي يشكل مدخلا أساسيا لتطوير البحث الاجتماعي، بالانتقال من منطق الإقصاء إلى منطق الانفتاح والتكامل في إنتاج المعرفة.

الكلمات المفتاحية: المنهج، المنهج الكمي، المنهج الكيفي، البحث الاجتماعي، البراديغم

Abstract: This article addresses the problematic relationship between quantitative and qualitative approaches in social research, in the context of the epistemological shifts that have reshaped sociological knowledge. Through it, we aim to emphasize that this conflict between the two approaches is not absolute, but rather reflects a difference in perceptions and starting points more than it indicates a contradiction in goals. It also highlights that each approach has its own tools and limitations, which makes relying on one of them exclusively an approach that is incapable of comprehending the complexity of social phenomena.

In this context, the article shows that overcoming this duality is possible by adopting an integrative vision based on the harmonious use of the two approaches, which allows for a deeper and more comprehensive understanding of social reality. Therefore, we conclude that methodological and epistemological integration constitutes a fundamental entry point for the development of social research, by moving from the logic of exclusion to the logic of openness and integration in the production of knowledge.

Keywords: Method, quantitative method, qualitative method, social research, paradigm.

مقدمة:

برزت ضمن الديناميكيات العلمية الحديثة تحولات عميقة على المستويين الإبيستيمولوجي والمنهجي للبحث الاجتماعي، وهذا بفعل تعقد الظواهر الاجتماعية وتداخل أبعادها البنيوية والرمزية، الأمر الذي جعل من الاقتصار على مقارنة منهجية واحدة رهانا محدود الأفق في فهم الواقع الاجتماعي وتفسيره. وفي هذا السياق برزت إشكالية العلاقة بين المنهج الكمي والمنهج الكيفي كإحدى القضايا المركزية التي استأثرت باهتمام الباحثين وبالأخص المهتمين بالقضايا المنهجية، حيث اتخذت في بداياتها طابعا جدليا قائما على التعارض والتمايز والتفاضل، قبل أن تتجه نحو إلى إمكانية التكامل المنهجي والمعرفي في البحوث الاجتماعية.

انطلاقا من هذا التحول، لم يعد النقاش يدور حول أفضلية منهج على آخر بقدر ما أصبح ينصب على شروط توظيف كل منهما وحدود اشتغالهما، وكذا إمكانات التقاطع بينهما في إطار براديغم

بحثي يتجاوز ثنائية الفصل نحو أفق التركيب، وهو ما يقتضي ضرورة إعادة النظر في الأسس المفاهيمية التي تؤطر البحث الاجتماعي، وضبط دلالات مفاهيمه المركزية، بما يسمح في بناء تصور منهجي منسجم وقادر على استيعاب تعددية المقاربات المنهجية والنظرية. وعليه يسعى هذا المقال إلى معالجة إشكالية العلاقة بين المنهج الكمي والمنهج الكيفي، من خلال مقارنة تحليلية تركيبية تنطلق من التأصيل المفاهيمي، عبر ضبط المفاهيم الأساسية وتحديد العلاقات التي تربط بينها وتصنيف أنماط البحث الاجتماعي، مروراً بإبراز الخلفيات الإستمولوجية التي توجه تصميم البحوث الاجتماعية، ثم الوقوف عند المحددات المنهجية المؤطرة لها. كما يتناول المقال جدلية التباين بين المنهجين الكمي والكيفي من حيث المنطلقات والأدوات والغايات، قبل أن يفتح في الأخير على إمكانات تجاوز هذه الجدلية نحو براديجم التكامل المنهجي والمعرفي، بما يتيح بناء معرفة اجتماعية أكثر شمولية ودقة.

بهذا المعنى، نسعى في مقالنا هذا للإسهام في إعادة صياغة النقاش المنهجي في حقل البحوث الاجتماعي، من خلال الانتقال من منطق التقابل والإقصاء إلى منطق التكامل والتكافؤ والتداخل بين مختلف مراحل البحث، بما يعزز من قدرة الباحث على مقارنة الظواهر الاجتماعية في تعقدها وتعدد مستوياتها.

الإشكالية:

عرف البحث الاجتماعي على امتداد فترة زمنية طويلة هيمنة تصور منهجي قائم على ثنائية التعارض بين المنهج الكمي والمنهج الكيفي، حيث ارتبط كل منهما بخلفيات إستمولوجية متباينة؛ فالأول يستند إلى النزعة الوضعية التي تركز على القياس والتفسير والتعميم، في حين يركز الثاني على المقاربة التأويلية التي تعطي الأولوية للفهم والسياق والمعنى، غير أن تعقد الظواهر الاجتماعية وتداخل أبعادها إلى جانب التحولات التي عرفها الفكر المنهجي المعاصر، أظهر محدودية هذا الطرح الثنائي، وفتح المجال أمام بروز توجه جديد يدعو إلى تجاوز منطق التعارض نحو تبني براديجم قائم على التكامل المنهجي والمعرفي.

بناء على ذلك، تتمحور إشكالية هذا المقال حول بحث الكيفيات التي يمكن من خلالها الانتقال من جدلية التعارض بين المنهجين إلى منطق التكامل بينهما، ومدى قدرة هذا التحول على إنتاج معرفة اجتماعية أكثر شمولاً وعمقاً. ولأجل ذلك جاءت هذه المساهمة البحثية للإجابة على التساؤل المحوري الآتي:

- إلى أي مدى يمكن تجاوز جدلية التعارض بين المنهج الكمي والمنهج الكيفي في البحث الاجتماعي، بالانتقال نحو براديجم قائم على التكامل المنهجي والمعرفي؟
والذي تفرعت عنه الأسئلة فرعية الموالية:

- ما المقصود بالمنهج الكمي، المنهج الكيفي؟
- ما المقصود بالبحث الاجتماعي و ماهي أنواعه؟
- ما المقصود بالبراديجم؟

- ما هي الخلفيات الاستيمولوجية التي تحدد مسارات البحث الاجتماعي؟
- ما هي أهم الاختلافات بين المناهج الكمية والمناهج الكيفية في البحوث الاجتماعية؟
- هل يمكن تحقيق التكامل المنهجي والمعرفي في البحوث الاجتماعية؟

أولاً- البناء المفاهيمي:

تعد عملية تحديد المفاهيم وضبط معانيها أحد المرتكزات الأساسية في البحوث العلمية، إذ لا يمكن أن يحقق البحث درجة من الدقة والاتساق دون تحديد واضح ومنظم للمفاهيم التي يقوم عليها، فهي ليست مجرد ألفاظ لغوية بقدر ما هي أدوات تحليلية تسهم في تنظيم وتوجيه مسارات البحث، بالأخص في مجال البحوث الاجتماعية التي تتسم بتعدد موضوعاتها وتداخل أبعادها، مما يفرض على الباحث الاجتماعي ضرورة ضبط الجهاز المفاهيمي بشكل يضمن وضوح الرؤية لاحقاً. لأجل ذلك سنحاول فيما يلي توضيح دلالة كل من: المنهج، المنهج الكمي، المنهج الكيفي، البحث الاجتماعي، البراديفم،

1 -التأصيل المفاهيمي: ضبط الدلالات، تحديد العلاقات وتصنيف الأنواع

1 - 1 - تعريف المنهج:

- يعرف المنهج: بأنه مجموعة القواعد التي تنظمها عملية البحث وتحدد مساراتها المتبعة خلاله. (الجولاني، 2006، صفحة ص101)

- كما يعبر عن: جملة المبادئ والقواعد والإرشادات التي يجب على الباحث إتباعها، بغية الكشف عن العلاقات العامة والجوهرية والضرورية التي تخضع لها الظواهر موضوع الدراسة. (بريك، 2003، صفحة ص17)

- يرى كريزويل (John W Creswell) أن المنهج: عملية تحقيق للفهم مستندة على التقاليد المتميزة لمنهج البحث العلمي التي تقوم بالكشف عن مشكلة اجتماعية، ويقوم الباحث ببناء صورة معقدة وشمولية ويحلل الكلمات ويضع تقريراً يفصل فيه وجهات نظر الأفراد والباحثين ثم يقوم بإجراء الدراسة في الموقف الطبيعي، ويجب ألا ينظر إلى البحث النوعي على أنه بديل سهل للبحث الإحصائي أو الكمي باعتباره يتطلب التزاماً واسعاً بالوقت في مجال الدراسة والمشاركة في شكل من أشكال البحث الاجتماعي والإنساني والعلمي الذي لا يمتلك أدلة ثابتة أو إجراءات محددة. (زهواني، 2025، صفحة ص162)

يمكننا القول أن دلالة المنهج في سياق ميدان العلوم الاجتماعية يشير إلى: مجموع الإجراءات والخطوات المنظمة التي يعتمدها الباحث السوسيولوجي في جمع البيانات وتحليلها وتفسيرها، بهدف الوصول إلى نتائج علمية قابلة للتحقق حول الظاهرة الاجتماعية المدروسة.

1 - 2 - المنهج وبعض التسميات القريبة من مفهوم المنهج:

المنهج ليس مصطلح أحادي المعنى في العلم، حيث أن استعماله عادة ما يكون مقروناً بنعت يحدد ما هو المنهج المأخوذ بعين الاعتبار: مناهج كمية، كيفية...، كما تتقاطع بعض التسميات جزئياً مع كلمة منهج شكلاً ومضموناً مثل: كلمة المقاربة (Approche)، فقد يتبنى باحث ما المقاربة الماركسية أو التفاعلية التي يجب أن تظهر من الإشكالية والفرضيات، مروراً بالأدوات وصولاً إلى

النتائج، ومع هذا فإن اعتماد هذا الباحث أو ذاك على مقارنة ما لا يعني بالضرورة إتباعه حرفياً للنظرية محل المقارنة باعتبار عامل الزمان والمكان اللذان يفصلان بين المقاربة و الموضوع محل الدراسة، بحيث يجب الانتباه من أجل عدم الوقوع في فخ الحشو المعرفي والقطيعة بين النظرية والميدان.

كما يتداخل المنهج مع النموذج النظري أو نموذج التحليل (Paradigme D'Analyse)، هذا الأخير يتداخل بدوره مع المقاربة النظرية وهو مجموعة من الأطر، والمفاهيم النظرية والتطبيقية الخاصة بميدان معرفي معين وهو أشمل نوعاً ما من المقاربة ويندرج ضمن المنهج بصفة عامة، حيث يتم توظيفه من خلال القراءة السوسيولوجية للنتائج كما يحمل البعد الإيديولوجي رغم أنه يفرض حسب طبيعة الموضوع مثل: نموذج التحليل الوظيفي، النموذج الصراع، التفاعلي الرمزي... إلخ. (زهواني، 2025، صفحة 161)

إذن: تقوم العلاقة بين المنهج ونموذج التحليل على أساس تكامل وتفاعل وتداخل وظيفي كبير، حيث يحدد نموذج التحليل الإطار النظري ويحدد أنماط وطبيعة العلاقات بين المتغيرات بينما يوفر المنهج الأدوات والإجراءات التطبيقية لاختبار هذا النموذج إمبيريقياً، مع وجود إمكانية لإعادة صياغة وبناء النموذج التحليلي وهذا بتأثير المعطيات الميدانية، ما يؤكد على طابع المرونة في العلاقة بينهما.

1 - 3 - أنواع المناهج في البحوث الاجتماعية:

تعد المناهج العلمية الركيزة الأساسية التي يقوم عليها البحث في مجال العلوم الاجتماعية، حيث تمكن الباحث من فهم وتحليل الظواهر الاجتماعية بطريقة منظمة وموضوعية من خلال القياس والتعميم وفقاً للمنهج الكمي أو بالاعتماد على المنهج الكيفي الذي يركز على الفهم العميق للسياقات والمعاني، وعليه سنحاول فيما سيأتي إبراز دلالة المنهجين والكشف عن أهميتهما المنهجية والمعرفية في البحوث الاجتماعية:

1 - 3 - 1 - المنهج الكمي في البحث الاجتماعي (Quantitative Method):

ظهر الاهتمام بالمنهج الكمي في الثلاثينيات من القرن السابع عشر (ق17)، مع أولى المساهمات التاريخية في تصميم تجريبي لفرنسيس بيكون (Francis Bacon)، وهو من المناهج التي يقترح تطبيقها في الموضوعات التي تتمتع بخصائص ثلاث: قابلية الملاحظة، سببية واضحة وموضوعية عالية. (الخرابشة، 2012، صفحة 93)

تنطلق فلسفة المنهج الكمي من مبدأ أن الحقيقة الاجتماعية تقع مستقلة وبشكل خارج الذهن وأنه يمكن من خلال أساليب رياضية وتقنيات إحصائية معينة كتلك الموجودة في العلوم الطبيعية (الفيزياء، الكيمياء، البيولوجيا) الوصول إلى هذه الحقيقة وقياسها، حيث نجد سان سيمون يدعو إلى تطبيق المنهج الفيزيولوجي في علم الاجتماع وسماه بالفيزيولوجيا الاجتماعية، وشبهه سبنسر المجتمع الإنساني بالكائن العضوي، ووضع أوغست كونت قواعد المنهج في دراسة الظواهر السوسيولوجية من خلال: الملاحظة، التجربة والمقارنة. (إبراهيم، 2023، الصفحات 155 - 156).

يعود اهتمام الباحثين بالمنهج الكمي في ميدان العلوم الاجتماعية وتحديدًا "أصحاب النزعة الوضعية للانتصارات التي أحرزتها العلوم الطبيعية، حيث ساد الاعتقاد في جدوى تبني مناهج العلوم الطبيعية في دراسة الظواهر الاجتماعية، على أساس أن العلم هو العلم ووحدة المنهج العلمي يجب أن تحافظ عليها مهما كانت ظروف البحث والدراسة، وأصبحت التقديرات الرقمية والمعدلات الإحصائية في نظر أصحاب هذا المنهج هي اللحن المميز للبحوث العلمية، وأصبح سلوك الناس والجماعات مرادفاً لمعدلات رياضية يستطيع الباحث التنبؤ عن طريقها بالسلوك الاجتماعي والفرد، فالمنهج الكمي حسيهم هو المنهج الوحيد لتحقيق الموضوعية. (غريب، 2023، صفحة 326)، فمن خلال تقنياته المتعددة يفترض القدرة على تحويل الظاهرة إلى عدد من المؤشرات العددية القابلة للعد والقياس، حيث يهتم بجمع البيانات من خلال استخدام أدوات القياس الكمي، إذ تتم المعالجة باستخدام الأساليب الإحصائية للوصول إلى نتائج معينة على ضوء تساؤلات وفرضيات تم وضعها مسبقاً. (دشلي، 2016، صفحة 40)، ما يعني أن المنهج الكمي ببساطة هو عملية شرح الظواهر بواسطة الإجراءات البحثية الامبريقية. (هس بيبروليفي، 2011، صفحة 40)،

1 - 3 - 2 - المنهج الكيفي في البحث الاجتماعي (Qualitative Method):

يمثل المنهج الكيفي في البحث الاجتماعي أحد أهم المقاربات في الحقل السوسيولوجي والتي تركز على فهم الظواهر الاجتماعية في سياقها، من خلال تحليل الأحداث، المواقف والمعاني؛ فهو لا يسعى إلى القياس الكمي أو التعميم الإحصائي بقدر ما يهتم بالتفسير والتحليل العميق، والكشف عن الأبعاد والدلالات الاجتماعية، الرمزية والثقافية التي تحكم الممارسات الاجتماعية، وقد برز هذا المنهج بصورة جلية في خضم التحولات الإبيستيمولوجية التي شهدتها العلوم الاجتماعية، أين تم الانتقال من النزعة الوضعية إلى المقاربة التأويلية، "وهي نظرية العلم الأوروبية، حيث كانت المناهج الكيفية حاضرة دائماً في البحث العلمي، ليس فقط علم الاجتماع، وإنما الأثروبولوجيا، علم النفس، التاريخ، فكانت تغطي مساحة واسعة في البحوث الاجتماعية والإنسانية، ويمثل هذا الفريق أنصار الفلسفة البنائية الاجتماعية، بزعمه أن العلوم الاجتماعية مختلفة عن العلوم الطبيعية، على أساس أن لسلوك الإنساني وجهين هما: وجه خارجي والآخر داخلي، وأن ثمة تفاعلاً وتداخلاً بينهما، بحيث أن الكشف عن ارتباطات السلوك الاجتماعية ونتائجه يجب أن يستند إلى منهج قادر على فهم التفاعل بين هذين الوجهين، وأفضل منهج في هذا الصدد هو المنهج الكيفي." (غريب، 2023، صفحة 326)، حيث ستخدم المناهج الكيفية بصفة أساسية في إنتاج معطيات حول الخبرات والمعاني الشخصية للفاعلين الاجتماعيين، بهدف دراسة عمق الظاهرة من خلال العملية التفاعلية التي تربط بين الباحثين عينة الدراسة. (بالقسم، 2023، صفحة 91)، وبالتالي يمكن المنهج الكيفي من الوصول إلى نتائج بطرق غير إحصائية، تفترض وجود حقائق وظواهر يتم بناءها من خلال وجهات نظر الأفراد والجماعات المشاركة في البحث، ومن بين الطرق المختلفة التي يعتمد عليها المنهج الكيفي نجد: البحث الانثنوغرافي، دراسة الحالة، الملاحظة بالمشاركة، ومن هنا فهذا المنهج يستند على البعد الذاتي والخبرة الإنسانية التي هي دائمة التغير وفقاً لمعطيات الزمان والمكان. (عابد، 2018، صفحة 239)، حيث يركز على "دراسة الظاهرة في

ظروفها الطبيعية باعتبارها مصدرا مباشرا للبيانات، فيستخدم: الكلمات، الصور وليس الأرقام، وعلى الملاحظة بالمشاركة، إجراء المقابلات المتعمقة، وفحص وتحليل الوثائق في جمع البيانات." (Bryman, 2004, p. 118)، وهذا بغرض "فهم الظاهرة موضوع الدراسة بحصر معنى الأقوال التي تم جمعها أو السلوكيات التي تمت ملاحظتها" (Angers, 1997, p. 60) عن طريق الملاحظة العلمية المبنية على الأسس والقواعد العلمية، وعليه ينصب الاهتمام هنا أكثر على حصر معنى الأقوال التي يتم جمعها والسلوكيات التي تمت ملاحظتها لهذا يركز الباحث أكثر على دراسة الحالة أو دراسة عدد من الأفراد ومحاولة فهم مواقفهم ورائهم من خلال السلوكيات والتصرفات التي ينتجونها، باعتبار أن المادة الميدانية البيانات، والنتائج ليست سوى ثمرة المناهج المستخدمة، إلا أنه لا يمكن فصل المادة عن المنهج المستخدم: فما يخلص إليه الباحث الميداني يرتبط ارتباطا وثيقا بكيفية الوصول إليه لذلك لا يجوز تجاهل المنهج الذي استخدم في جمع تلك المادة، بل يجب أن يمثل مكونا أساسيا ومهما من مكونات البحوث الميدانية. (إيمرسون وآخرون، 2010، صفحة 71)

2 - البحث الاجتماعي: الدلالة والأنواع

2-1 - تعريف البحث الاجتماعي (Social Research):

- ينظر عبد الباسط حسن علي للبحث الاجتماعي على أنه: الدراسة العلمية المنظمة لظاهرة معينة باستخدام المنهج العلمي بهدف الوصول إلى حقائق يمكن توصيلها والتحقيق صحتها. (الخواجة، 2010، صفحة 41)

- كما يعرف بأنه: عملية تقصي مقصود ودقيق، ومنظم لوقائع أو ظواهر أو أحداث اجتماعية من أجل اكتشاف ماهيتها والوصول إلى القوانين التي تحكم العلاقات بينهما، وتفسيرها بإتباع المنهج العلمي، من أجل إقرار المعرفة العلمية بالظواهر الاجتماعية، مما يساعد على فهمها ومن ثم التنبؤ بها وتوجيه مسارها. (نعيم، 1994، صفحة 70).

- أما "Gauthier Benoit" فيرى أنه: نشاط يهدف إلى البحث الموضوعي عن معارف تتعلق بمسائل واقعية. (Gauthier, 2009, p. 05)

- ويرى "Monett" أن البحث الاجتماعي يعبر عن: الدراسة أو إعادة الدراسة المنتظمة للحقائق الاجتماعية من خلال جمع بيانات أولية مباشرة عن القوى الاجتماعية أو الاقتصادية أو النفسية التي تؤثر في هذه الحقائق أو الظواهر.

- تشير البحوث الاجتماعية أيضا إلى: عملية إنتاج المعرفة عن العالم الاجتماعي والإجابة عن أسئلة حوله، حيث تستخدم مجموعة من الأساليب والأدوات، تتسم هذه العملية بالتصور والتخطيط المسبقين والتنظيم والانتظام، وتستخدم المنهج العلمي. (باسم، 2017، صفحة 49)

- ويمثل أيضا البحث الاجتماعي الأداة العقلية التي تسمح للعلماء الاجتماعيين بدخول ميادين أو موضوعات ذات أهمية خاصة أو عامة غير معروفة له بحثا عن إجابات لتساؤلاتهم. (سارانتاكوس، 2017، صفحة 59)

إذن: فالبحث الاجتماعي هو: عملية علمية منهجية تهدف إلى دراسة الظواهر الاجتماعية وفهمها وتحليلها، من خلال جمع المعطيات بطريقة منظمة، ثم تفسيرها للوصول إلى نتائج يمكن تعميمها أو الاستفادة منها في حل المشكلات الاجتماعية أو تطوير المعرفة في مجال العلوم الاجتماعية.

2 - 2 - أنواع البحوث الاجتماعية:

تتعدد البحوث الاجتماعية بتعدد الأهداف العلمية التي يسعى الباحث الاجتماعي إلى تحقيقها، وباختلاف طبيعة الظواهر المدروسة ومستوى المعرفة المتوفر حولها، لذلك لم يعد كافياً الاعتماد على نمط واحد من البحث لفهم الواقع الاجتماعي المركب، حيث برزت تصنيفات متعددة يختار الباحث من بينها وفقاً لطبيعة مشكلة الدراسة وتساؤلاتها وأهدافها، ويمكننا حصر هذه التصنيفات وفق معيار الأهداف من خلال ما سيأتي:

- **البحث الاستكشافي (الاستطلاعي) (Exploratory Research):** يستخدم هذا النوع من البحوث عندما تكون الظاهرة غير واضحة أو قليلة الدراسة، حيث يهدف إلى استكشاف الموضوع وفهم أبعاده الأولية، وصياغة تساؤلات أو فرضيات يمكن اختبارها لاحقاً، يتم الاعتماد على أدوات جمع البيانات مثل: المقابلات المفتوحة أو الملاحظة، بغرض فتح المجال المعرفي ولتحديد معالم المشكلة.

- **البحث الوصفي (Descriptive Research):** يهدف إلى وصف الظاهرة كما هي في الواقع وصفاً دقيقاً ومنظماً من خلال تحديد خصائصها وانتشارها وعلاقاتها، يستخدم أدوات مثل: الاستبيان أو الملاحظة المنظمة.

- **البحث التفسيري (Explanatory Research):** يركز على تفسير العلاقة بين المتغيرات والكشف عن الأسباب أو العوامل المؤثرة في الظاهرة محل الدراسة، يعتمد غالباً على اختبار الفرضيات واستخدام أساليب تحليلية.

3 - البراديغم (Paradigm):

- البراديغم كلمة يونانية تتركب من شطرين: "Para" والتي تفيد الشمول و "Digma" وتعني المثال أو النموذج، أما اصطلاحاً فقد استخدم البراديغم أول مرة من قبل الباحث توماس كوهن "Kuhn" في مؤلفه: بداية التصورات العلمية سنة 1962، قصد توصيف العمليات الانتقالية التي تطرأ على نماذج نظرية معينة في مرحلة زمنية محددة، وتشمل تلك الانتقالات المقدمات والفرضيات التي تتأسس وفقها تلك النماذج عند مواجهة الباحثين لإشكالات مستعصية يصعب تفسيرها وحلها، بالاستناد إلى ما هو متوفر من خلفيات وتفسيرات تنظيرية، ومن ثم فإن تجاوز ذلك العجز يتطلب ظهور براديغم جديد. (محرز وواضح، 2023، صفحة 56)

- يرى كوهن أن البراديغم يعني: مجموعة القوانين والتقنيات والأدوات بنظرية علمية والمسترشدة به، والتي بواسطتها يمارس الباحثون عملهم ويديرون نشاطهم. ويتضمن البراديغم: قوانين وتعريفات وتعميمات رمزية، نماذج ميتافيزيقية واعتقادات، القيم، نماذج في شكل معارف ضمنية تكتسب عن طريق ممارسة العلم. (سراي، 2017، الصفحات 374 - 375)

- تعريف آخر يبين أن البراديغم يعتبر بمثابة: المنظور الإرشادي الخاص بنوعية معينة من البحوث دون غيرها، التي تسهل على الباحثين عملية البحث العلمي في إطار هذا البراديغم، كونها تقدم لهم

الآليات التي بموجبها يتم توجيه البحث والتحكم العلمي له للوصول وضبط النتائج، كما تخضع هذه البراديفيمات على أساس الفكر الاستيمولوجي إلى مدرستين كبيرتين كمية و كيفية (هابه، 2022، صفحة 247).

يمثل البراديفيم بصورة بسيطة الإطار المرجعي الشامل الذي يحدد رؤية الباحث للواقع، ويضبط اختياراته المعرفية والمنهجية والإجرائية، من حيث طبيعة الظاهرة المدروسة، وكيفية دراستها، وأدوات تحليلها، فيتجاوز ثنائية التعارض بين المنهج الكمي والكيفي، حيث يوظفهما بصورة تكاملية بهدف تحقيق فهم أدق وأشمل وأكثر عمقا للواقع الاجتماعي، من خلال الجمع بين التفسير الكمي العام والتحليل الكيفي المتعمق.

ثانياً - الخلفيات الاستيمولوجية في تصميم البحوث الاجتماعية:

لا يقتصر البحث الاجتماعي باعتباره نشاطا علميا على توظيف أدوات وتقنيات منهجية فحسب، بل يركز أساسا على خلفيات معرفية عميقة توجه مختلف مراحلها، واستنادا إلى هذا الطرح تمثل الخلفيات الاستيمولوجية البنية الفكرية التي تحدد تصور الباحث لطبيعة الواقع الاجتماعي، ولمصدر المعرفة وحدودها، وللكيفية التي يمكن بها مقارنة الظواهر الاجتماعية وفهمها، سنحاول فيما سيأتي توضيح هذه الخلفيات التي تستند إليها البحوث الاجتماعية:

- 1 - البراديفيم الوضعي (Positivism Paradigm): من وجهة النظر الاستيمولوجية يميز هذا البراديفيم تميزا واضحا بين الباحث كشخص محايد والواقع الذي يتم تناوله والذي يفترض أنه بعيد عن تأثيرات الباحث العلمي، لكون ماهيته المعرفية مستقلة - أنطولوجيا - عن إرادة الأفراد وهو يخضع لقوانين الطبيعة، وبالتالي فموضوعاته البحثية تكون قابلة للملاحظة والقياس إمبيريقيا.
- 2 - البراديفيم التأويلي (Interpretivism Paradigm): يدعو هذا البراديفيم إلى دراسة المعاني الذاتية وتصورات الفاعلين، والمعاني الممكنة للنص... وليس ما يقوله النص ظاهريا. (دليو، 2023، صفحة 26).

نستخلص من ذلك أن كل اختيار منهجي سواء تعلق الأمر بتحديد الإشكالية أو باعتماد منهج كمي أو كيفي، إنما يستند ضمنا إلى تصور إستيمولوجي معين، يرتبط بما يعرف بالبراديفيم الذي يؤثر رؤية الباحث السوسولوجي ويوجه ممارسته العلمية، ولأجل ذلك فإن استحضار هذه الخلفيات لا يعد ترفا نظريا، بل شرطا أساسيا لضمان الاتساق الداخلي للبحث الاجتماعي، ولتعزيز قدرته على تفسير الظواهر الاجتماعية في سياقها المركب والمتغير.

سنحاول من خلال الجدول المبين في الأسفل إبراز تصنيف البراديفيمات تبعا لطبيعة البحوث الكمية والكيفية ولرجعيتها النظرية الاستنباطية - الاستقرائية:

جدول رقم 01: تصنيف مرجعيات المناهج الكمية والكيفية.

نوع المناهج	النظرية	الانطولوجيا (ماهية المعرفة)	الاستيمولوجيا (نظرية المعرفة)
كمية	استنباطية	موضوعية (الواقع الاجتماعي مستقل عن إرادة الأفراد)	وضعية
كيفية	استقرائية	ذاتية (الواقع نتاج عمليات اجتماعية - بناء اجتماعي)	تأويلية

المصدر: (دليو، 2023، صفحة 25)

يجدر بنا الإشارة إلى أن الأستاذ الدكتور فضيل دليو قد أكد من خلال مقاله استخدام الباراديغمات في البحوث العلمية، أنه يمكن جعل الباراديغمات ثلاثة أنواع: باراديغم كمي وثان كيمي وثالث مختلط (Mixed Methods) أي المنهج الذي يجمع بينهما (كمي - كيمي).

ثالثاً - المحددات المنهجية المؤطرة للبحوث الاجتماعية:

يشكل البحث في مجال علم الاجتماع أداة أساسية لفهم الظواهر الاجتماعية وتحليلها بطريقة علمية غير أن هذا النوع من البحوث لا يتم بطريقة عشوائية غير مضبوطة، بل يخضع لجملة من المحددات تجبر الباحث على ضرورة التقيد بها حتى تكون ممارساته البحثية أكثر موضوعية ودقة، إذ نجد أن نوع البحث يختلف باختلاف الأهداف وطبيعة الموضوع المدروس، أو من خلال ربط الدراسة بنوع المنهج المستخدم، وكذلك باختلاف أسلوب البحث والمنطلقات المنهجية والإبستمولوجية التي توجه الباحث، وهو ما يجعل تصنيف البحوث الاجتماعية خطوة ضرورية لفهم آليات اشتغاله وتحديد أنسب الأساليب لمعالجة الإشكاليات المطروحة. وسنتطرق فيما سيأتي لأهم الضوابط المنهجية التي على أساسها يتم تصنيف البحوث الاجتماعية:

➤ من ناحية صياغة الأهداف: تعرف الأهداف بالكلمات التي تبتدئ بها، لذا يجب أن يراعى في البحث العلمي الكلمات التي تصاغ بها.

- إذا كان البحث استكشافياً فأهدافه تدور حول استكشاف أمر ما، (مفهوم، حالة تصنيفات...)، لذا يفضل صياغة الأهداف بكلمات تدل على الاستطلاع والاستكشاف مثل: الكشف عن، التأكد من، التعرف على، محاولة بناء، استيضاح وغيرها من الكلمات الدالة على عدم الإلمام بالمعلومات الكافية بالموضوع أو عدم وضوح أبعاده وهذا صلب مضمون البحوث لاستكشافية.

- إذا كان البحث وصفيًا: فإن أهدافه تدور حول الوصف مثالاً: تحديد الخصائص والأسباب، الدور وتحديد العلاقات الارتباطية بين المتغيرات، وعليه يجب صياغتها بكلمات تدل على الوصف مثل: تحديد، الخروج بنموذج، محاولة إثبات، إبراز دور، وغيرها من الكلمات الدالة على السعي لتحديد خصائص الموضوع المدروس كما هو في الواقع.

- إذا كان البحث تفسيريًا: فإن أهدافه تدور حول اختبار العلاقة السببية والتحقق من التأثيرات بين المتغيرات، وعليه تصاغ أهدافه بكلمات مثل: تحديد الأثر، تفسير تجربة، تفسير علاقة التنبؤ بمستقبل وضع الظاهرة.

➤ من ناحية تحديد تساؤلات الإشكالية: تختلف التساؤلات المطروحة في البحوث الاجتماعية والتي تدل عليها الأدوات الاستفهامية الموظفة لطرح الأسئلة:

- البحوث الاستكشافية: تأتي تساؤلاتها معبرة عن السؤال: ماذا، ماهي؟ أو ماهو؟

- البحوث الوصفية: تأتي تساؤلاتها معبرة عن السؤال: أين؟ متى؟ كيف؟

- البحوث التفسيرية: تأتي تساؤلاتها معبرة عن السؤال: لماذا، ما تأثير (س) في (ص)؟

➤ من ناحية صياغة فرضيات الدراسة:

- في البحوث الاستكشافية: هذا النوع من البحوث لا يتطلب صياغة الفرضيات، لأنها تستهدف الاستكشاف المعلوماتي العام فقط، أو الحصول على بيانات أولية لصياغة أو وضع فرضية

وصفية أو تفسيرية. إلا أن هناك من يرى إمكانية وضع فروض في البحوث الاستكشافية لكنها تكون مرنة وأقل دقة.

- في البحوث الوصفية: تعتبر فرضياتها أكثر دقة وهي عبارات تقريرية عامة، قد تكون فرضيت ذات متغير واحد أو متغيرين أو أكثر (يمكن صياغتها بالتعبير عن عدة أنواع من العلاقات)، واختبار هذه الفرضيات، يكون إمبيريقيا باستخدام أساليب إحصائية خاصة باختبار الفرضيات. يمكننا اختصار علاقة نوع البحث بالفرضيات في قاعدة عامة تقول أن:

نوع البحث ← يحدد نوع الفرضية ← التي تحدد نوع الصياغة وفقاً لطبيعة العلاقة المحتملة بين المتغيرات

وتكون فرضيات البحوث الوصفية:

- فرضيات وصفية بمتغير واحد: هدفها التأكد من وجود صفة أو خاصية في فئة اجتماعية معينة لذا يكون اختبارها بسيطاً بالنسب المئوية أو المعدلات أو الملاحظة المباشرة.
- فرضيات وصفية بمتغيرين أو أكثر: تخص علاقات الارتباط، يكون فيها تغير نسبي في المتغير المستقل في الاتجاه نفسه أو في الاتجاه المعاكس في المتغير التابع والعلاقة بين المتغيرات لا تكون سببية، وصياغتها تأتي بـ: كلما كلما أو (س) أقل أو أكبر من (ص).
- فرضيات البحوث التفسيرية: فيها العلاقة بين المتغيرين تكون سببية أو علاقة تبعية أو تأثير ، أي أن (س) يؤثر في (ص) لذلك يجب التأكد من أن (س) يحدث قبل (ص) واختبارها يكون إمبيريقيا باستخدام أساليب إحصائية خاصة باختبار الفرضيات.
- من ناحية تحديد المنهج وأدوات جمع البيانات: يتحدد اختيار المنهج المتبع في الدراسات الاجتماعية وأدوات جمع البيانات تبعاً لنوعها:
- إذا كان البحث استكشافياً: يمكن استخدام منهج المسح الاجتماعي أو المنهج التاريخي، والأدوات مثل: الملاحظة واستشارة ذوي الرأي والخبرة وأهل الاختصاص.
- إذا كان البحث وصفيًا: يمكن استخدام منهج المسح الاجتماعي، المنهج التاريخي، دراسة الحالة، تحليل المضمون، المنهج الأثروبولوجي، والاستعانة بأدوات المقابلة البسيطة أو المقننة، الملاحظة بالمشاركة أو دون مشاركة.
- إذا كان البحث تفسيرياً: يستخدم المنهج التجريبي بالمعنى الاجتماعي، لتكون بذلك التجربة أداة هذا النوع من الدراسات على اعتبار أن التجربة في أبسط معانيها ملاحظة الظاهرة تحت ظروف معينة يتم التحكم فيها.

➤ من ناحية تحديد حجم العينة: يرتبط نوع البحث سواء كان كمياً أو كيفياً بحجم عينته، وحتى وإن بدا الأمر محسوماً مع بعض الخلافات بالنسبة للبحوث الكمية فإنه ليس كذلك بالنسبة للبحوث الكيفية. (وشنان و شلابي، 2022، الصفحات 264 - 266)، حيث نجد بعض الاجتهادات من طرف الباحثين والمختصين تحدد حجم العينة المناسبة في البحث، لعل أبرزها

ما قدمه الأستاذ الدكتور: فضيل دليو في مقاله الموسوم باختيار العينة في البحوث الكيفية أين يبرز بعض الاقتراحات المتعلقة بتحديد حجم العينة بنبيها في الجدول الموالي:

الجدول رقم 02: بعض المقترحات للحجم العيني الأدنى الأكثر تصميما وشيوعا في البحوث الكمية والكيفية.

نوع البحث	الحد الأدنى المقترح لحجم العينة
علائقي - ارتباطي Correlational	64 مشاركاً بالنسبة للفرضيات وحيدة الطرف (ذات المتغير الواحد) و 82 بالنسبة للفرضيات ثنائية الطرف (ذات المتغيرين).
سببي - مقارنة Causal – Comparative	51 مشاركاً عن كل مجموعة بالنسبة للفرضيات وحيدة الطرف (ذات المتغير الواحد) و 64 بالنسبة للفرضيات ثنائية الطرف (ذات متغيرين).
تجريبي Experimental	21 مشاركاً عن كل مجموعة بالنسبة للفرضيات وحيدة الطرف (ذات المتغير الواحد).
دراسة حالة Case Study	3 – 5 مشاركين
الإثنوغرافي Ethnographic	مجموعة ثقافية واحدة / 30 – 50 مقابلة

المصدر: (دليو، 2014، صفحة 15).

رابعاً - جدلية المنهج الكمي والكيفي في البحوث الاجتماعية:

يعد النقاش حول المنهج الكمي والمنهج الكيفي من أبرز الإشكالات المنهجية والإبستمولوجية التي طبعت حقل العلوم الاجتماعية وتحديدًا البحوث الاجتماعية، بالنظر إلى ما يعكسه كل منهما من تصورات مختلفة حول طبيعة الظاهرة الاجتماعية وكيفية دراستها، فبينما ينطلق المنهج الكمي من مرجعية وضعية تقوم على القياس والموضوعية والتعميم، يتأسس المنهج الكيفي على مقاربة تفسيرية/تأويلية تُعنى بالفهم العميق للسياقات والمعاني الاجتماعية، وهذا من خلال إدراك المعاني التي يمنحها الفاعلون الاجتماعيون لأفعالهم في إطار سياقهم الواقعي، "وقد استطاع ماكس فيبر (Max Weber) بعبقريته كبيرة أن يبني منهجاً كيفياً، حيث تقوم سوسيولوجيا الفهم عنده على منهجية تتضمن ثلاثة فترات نوعية وهي:

فهم المعاني التي يعطيها الفرد لأفعاله، ثم يأتي بعد ذلك تأويل المعاني المفهومة أي نقلها من معاني المعرفة واللغة العامة البسيطة إلى معاني اللغة العلمية من طرف الباحث، وهنا يمكن أن تتدخل الذات الفاهمة في موضوع فهمها دون قصد منها؛ مما يؤثر سلباً على موضوعية المعرفة المنتجة، ثم يأتي بعد ذلك التفسير الذي يعني الوقوف على الأسباب التي أدت إلى ظهور الفعل، أي البحث عن الدوافع الاجتماعية والموجهات الثقافية التي حكمت الفعل وبهذه العملية يقوم بتعميق عملية

الفهم، ففي اعتقاده أن التفسير ليس تفسير سببي ظاهري خارجي كما في المنهج الوضعي في العلوم الطبيعية، بل هو تفسير فهمي. "(بن عيسى وبغدادى، 2015، صفحة 988).
بناء على ذلك تتجلى جدلية العلاقة بين المنهجين ليس بوصفها مجرد اختلاف تقني في الأدوات، بل باعتبارها تعبيراً عن تباين في الخلفيات المعرفية والمنهجية، الأمر الذي يستدعي بنا الوقوف عند أوجه هذا الاختلاف وتحليل دلالاته في البحث الاجتماعي، من خلال مقارنة دقيقة ومختصرة تبرز مستويات التباين بينهما، بوضوح الجدول الموالي:

الجدول رقم 03: أوجه الاختلاف بين المنهج الكمي والمنهج الكيفي:

مجال المقارنة	المنهج الكمي	المنهج الكيفي
الهدف	يقيس الظواهر ويحدد العلاقات بين المتغيرات واختبار، وإلى تعميم النتائج لاحقاً.	الفهم والتفسير العميق للمعاني والتجارب الإنسانية في سياقها.
طبيعة البيانات	رقمية قابلة للقياس الإحصائي.	وصفية مثل: النصوص، المقابلات، الملاحظات
أدوات البحث	مقننة مثل: الاستبيان والاختبارات،	مرنة مثل: الملاحظة المتعمقة والملاحظة بالمشاركة.
العينة	كبيرة وممثلة للمجتمع البحثي.	صغيرة وقصدية.
التحليل	إحصائي.	تفسيري وتأويلي.

المصدر: (من إعداد الباحثة).

تجدر الإشارة إلى أن الاختلاف بين المنهجين لا يعني التعارض المطلق، بل يعكس تبايناً في البراديجم المعرفي بمعنى وجود اختلاف إبستمولوجي، حيث يقوم الكمي على النزعة الوضعية بينما يرتبط الكيفي بالمقاربة التأويلية، أي الوضعية مقابل التأويلية، ما يفتح المجال نحو إلزامية تجسيد نزعة تقوم على أساس التكامل المنهجي في البحوث الاجتماعية.

خامساً – براديجم التكامل المنهجي والمعرفي وإعادة تشكيل مسار البحث الاجتماعي:

يشكل التحول الإبستمولوجي العميق في البحث الاجتماعي منطلقاً جوهرياً لإعادة التفكير في العلاقة بين المنهج الكمي والمنهج الكيفي، حيث تجاوز منطق الثنائية المتعارضة ليؤسس إلى مقاربة متكاملة تجمع بين المنهجين، بعدما أظهرت الممارسة البحثية وجود قصور لا يتيح الإحاطة الكاملة بالظواهر الاجتماعية، بالنظر لتعدد أبعادها وتداخل مستوياتها بين ما هو قابل للقياس وما هو مرتبط بالفهم والتأويل، من هذا المنطلق برزت المقاربة التكاملية كخيار منهجي ضروري يتجاوز حدود الانقسام التقليدي من خلال توظيف أدوات وأساليب كل من المنهج الكمي والكيفي في إطار من الانسجام والتكامل والتناسق، الأمر الذي من شأنه المساهمة في إنجاز بحوث سوسيولوجية أكثر شمولاً ودقة، ويعزز من قدرة الباحث على تفسير الظواهر الاجتماعية بصورة متوازنة تجمع بين التفسير الكمي والتحليل الكيفي.

نعني بالتكامل المنهجي "طريقة الجمع أو المزج لسلسلة من البيانات النوعية والكمية في دراسة تقوم على منهج مختلط، كما يعبر عن طريقة يجمع بها الباحث البيانات التي تحتاج إلى الارتباط بنوع من أنواع تصاميم المنهج المختلط." (Fetters & Outthers, 2017, p. 300)، وعليه يتجلى هذا التكامل من خلال "الجمع ما بين الاستنباط (الكيفي) والاستقراء (الكمي)، فالاستنباط يعرف بالتفكير التأملي بينما الاستقراء يعني ملاحظة الظواهر وتجميع البيانات عنها بهدف التوصل إلى تعميمات حولها، فالاستنباط يبدأ بالنظريات التي تستنبط منها الفرضيات ثم ينتقل بها الباحث إلى عالم الواقع بحثاً عن البيانات لاختبار صحة هذه الفرضيات، ففي الاستنباط ما يصدق على الكل يصدق على الجزء ولذا يحاول الباحث أن يبرهن على أن ذلك الجزء يقع منطقياً في إطار الكل ويستخدم القياس لإثبات صدق حقيقة معينة، وإذا توصل الباحث إلى نتيجة عامة عن طريق الاستقراء (الكمي) فمن الممكن أن تستخدم كقضية في الاستنباط (الكيفي)". (القاسم، 2021، صفحة 353)، بهذه الطريقة يتجاوز براديجم التكامل المنهجي والمعرفي النظرة الاختزالية التي طبعت الجدل التقليدي بين المنهج الكمي والمنهج الكيفي لعقود، ليمهد بذلك لتثبيت مقاربة منهجية متكاملة وشاملة في فهم الظواهر الاجتماعية، فهو لا يقوم على المفاضلة أو الإقصاء، بل على مبدأ التكامل والتساند الوظيفي بين المناهج، بحيث يتم الاستفادة من كل منهج وفق ما يتيح من أدوات وقدرات تفسيري، فيعمل على تعميق الفهم من خلال الجمع بين المعطيات الكمية التي تقدم مؤشرات قابلة للقياس والتعميم، والمعطيات الكيفية التي تكشف معاني ودلالات وسياقات معينة، وهو ما من شأنه الرفع من مصداقية النتائج أو مخرجات البحث الاجتماعي من خلال التحقق من الظاهرة عبر أكثر من مصدر وأداة، في الصدد يؤكد كل من Sevhest&Sidani أناعتماد مناهج البحث المختلطة من شأنه التقليل من بعض المشكلات الملزمة لكل منهج على حدى، فاستخدامنا كلا من التقنيات الكيفية والكمية يمكننا من جمع وتوحيد نقاط القوة لكلا المنهجين. (Sevhest. & Sidani S, 1995, p. 77)

إضافة إلى ذلك يدعم هذا التكامل مرونة التصميم البحثي، حيث يتيح للباحث السوسيولوجي اختيار وتكييف الأدوات والمنهجيات وفق طبيعة الإشكالية بدل التقيد الصارم بمنهج واحد، وهذا ما يجعله أكثر ملائمة لتعدد الظواهر الاجتماعية التي لا يمكن الإحاطة بها من زاوية واحدة، فيعزز بذلك التكامل المنهجي والمعرفي الانفتاح الإبيستمولوجي، من خلال تجاوز الحدود الصارمة بين المدارس الفكرية، بدمج مقاربات متعددة في إطار معرفي موحد، مما يسهم في إنتاج معرفة سوسيولوجية أكثر ديناميكية وقدرة على تفسير الواقع الاجتماعي المتغير. وقد أقر ذلك الأستاذ الدكتور إبراهيم بوالفللفي مقاله الموسوم بـ: البحث الاجتماعي بين المقاربتين الكمية والكيفية ومناهج البحث المختلطة أنه: "لا يوجد كم دون كيف وفي الغالب العكس صحيح على أساس أن التعارض بين المقاربات أو المناهج أو المعطيات الكمية من جهة والكيفية من جهة أخرى يبدو غير ذي أساس نظري صلب، بعيداً عن التعارض فإن الكم والكيف يتكاملان"، ويضيف في هذا السياق لا يوجد بالضرورة فصل راديكالي مؤسس على بديهيات فلسفية بين كلا المقاربتين (الكمية والكيفية).

كما يؤكد أنه الأستاذ الدكتور إبراهيم بوالفلفل أنه "منذ بداية التسعينات من القرن الماضي رفض العديد من الباحثين أطروحة التضاد بين المقاربتين، وبدوا في الدفاع عن الموقف البراغماتي الذي يتبنى الطرح القائل: أن كلا المقاربتين الكمية والكيفية مهمة جدا وعلينا المزاوجة بينهما في نفس البحث، بذلك يشكل هذا البراديغم نقلة نوعية في البحوث الاجتماعية من منطق التعارض إلى منطق التفاعل والتكامل، بما يمكن من إنتاج معرفة سوسيولوجية أكثر دقة وواقعية (بوالفلفل، 2018، الصفحات 313 - 314)، فالتعارض الذي حكم العلاقة بين المنهجين الكمي والكيفي لم يعد ذا جدوى إستمولوجية. وقد أفضى إلى تطور النقاش وبروز وعي علمي يتجاوز منطق التقابل الإقصائي نحو تبني براديغم التكامل المنهجي والمعرفي، بوصفه أفقا نظريا وإجرائيا قادرا على استيعاب تعقد الظواهر الاجتماعية، ويجب الانتباه إلى نقطة مهمة وهي أن التكامل بين المقاربتين لا يفهم باعتباره مجرد تجميع تقني للأدوات، بل هو اختيار منهجي مؤسس على ملائمة الإشكالية البحثية، بما يتيح تحقيق قدر أعلى من المصادقية والتفسيرية في إنتاج المعرفة العلمية، ومن ثم يغدو الرهان المنهجي في البحوث الاجتماعية حاليا قائما على عقلنة التعدد المنهجي وتوجيهه في إطار رؤية تكاملية منسجمة، تجعل من تنوع الأدوات مدخلا مهما لإنشاء التحليل السوسيولوجي لا مبررا للانقسام المعرفي في البحث الاجتماعي.

إن التكامل المنهجي والمعرفي في البحث الاجتماعي لا يقتصر على تجاوز الثنائية بين المقاربتين الكمية والكيفية، بل يمتد لإعادة تشكيل مساراته المختلفة بالانتقال إلى نمط أكثر ديناميكية بدلا عن النمط الخطي القائم على التسلسل المرحلي الصارم، الذي يبدأ بتحديد الإشكالية وينتهي بعرض النتائج بشكل يعكس في كثير من الأحيان تصورا مثاليا مغلقا لسيروية البحث لا ينسجم في الغالب مع واقع الممارسة الميدانية، حيث يضطر الباحث أحيانا إلى إعادة النظر في أدواته وفرضياته ومسارات تحليله بشكل متكرر أثناء عملية جمع المعطيات وتفسيرها، ما يفرض إعادة التفكير في هذا النمط بالبحث عن بدائل أكثر مرونة وقدرة على استيعاب دينامية الواقع الاجتماعي.

البحث الاجتماع يوفقا لهذه الرؤية ليس مسارا مغلقا يبدأ بالتساؤلات المبرزة للإشكالية البحثية وبصياغة الفرضيات واستخلاص النتائج، بل سيروية ديناميكية تقوم على التفاعل المستمر الذي يسمح بالتداخل بين مختلف مراحل البحث، من خلال إمكانية الرجوع إلى المعطيات وإعادة تفسيرها أو التعديل في أدوات وتقنيات الدراسة وفق ما يكشفه الواقع الميداني، كما يقوم هذا التصور على التكامل بين المنهجين الكمي والكيفي بطريقة مرنة، فالمعطيات الكيفية يمكن أن تسهم في بناء المؤشرات الكمية، وقد تدفع النتائج الكمية الباحث السوسيولوجي نحو التحليل الكيفي من أجل تعميق الفهم وتفسيرها بصورة أكثر شمولاً، فهذا المعنى يتحول التكامل المنهجي من مجرد جمع بين أدوات مختلفة إلى منطق بحثي تفاعلي يقوم على أساس التغذية الراجعة والتداخل بين مستويات التحليل، بما يسمح ببناء معرفة أكثر انسجاما مع طبيعة الظواهر الاجتماعية وتعقيداتها وتغيرها المستمر.

خاتمة:

يبدو جليا أن الإشكال المنهجي في البحث الاجتماعي لم يعد مرتبطا بالمفاضلة بين المنهج الكمي والمنهج الكيفي، بل بكيفية توظيفهما بما ينسجم مع طبيعة الظواهر المدروسة، فالتعارض الظاهري بينهما يعود أساسا إلى اختلاف خلفياتهما الإبيستمولوجية، دون أن يعني ذلك استحالة الجمع بينهما، حيث يرتبط البحث بمدى انسجام الاختيارات المنهجية مع الإشكالية والإطار النظري أكثر من ارتباطه بالانحياز لمنهج معين، ومن ثم يبرز براديجم التكامل المنهجي والمعرفي كأفق علمي يسمح بتخطي الثنائية المنهجية عبر توظيف تكاملي واع لمزايا كل من المقاربتين المنهجيتين، ويمتد إلى إعادة بناء مسار البحث الاجتماعي يتجاوز النمط الخطي نحو نمط يقوم على التداخل والتغذية العكسية بين مختلف مراحل البحث، فصبح بذلك عملية ديناميكية بعيدة عن الجمود والتراتبية التي تميز خطواته، لأجل ذلك يقتضي تطوير مستوى البحث الاجتماعي تبني رؤية منهجية منفتحة قادرة على الاستفادة من التعدد المنهجي والحركية في مراحل إعداداته بغرض الفهم والتحليل المعمق والدقيق للواقع الاجتماعي، وهو ما من شأنه تعزيز القيمة العلمية والمعرفية للبحوث الاجتماعية.

المراجع:

➤ المراجع باللغة العربية:

الكتب:

1. روبرت إيمرسون، وآخرون (2010)، البحث الإثنوغرافي في العلوم الاجتماعية، ترجمة: هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة.
2. سرحان باسم (2017)، طرائق البحث الاجتماعي الكمية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان.
3. سمير نعيم (1994)، المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية، ط5، دار الهاني للطباعة، القاهرة. مصر
4. سوتيربوس سارانتاكوس (2017). البحث الاجتماعي، ترجمة: شحدة فارح، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان.
5. شارلين هس بيبير، بتريسيا ليفي (2011)، البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية، ترجمة: هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة. مصر.
6. عمر محمد عبد الله الخرابشة (2012)، أساليب البحث العلمي، دار وائل، عمان، الأردن.
7. فادية الجولالي (2006)، تصميم البحوث الاجتماعية وتنفيذها، المكتبة المصرية، الإسكندرية، مصر.
8. كمال دشلي (2016)، منهجية البحث العلمي، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، حماه، سوريا.
9. محمد ياسر الخواجة (2010)، البحث الاجتماعي أسس منهجية ونماذج تطبيقية، القاهرة، مصر.
10. يوسف بريك (2003)، مناهج البحث في علم الاجتماع، منشورات جامعة دمشق، دمشق، سوريا.

المجلات العلمية:

1. إبراهيم بوالفل (2018)، البحث الاجتماعي بين المقاربتين الكمية والكيفية ومناهج البحث المختلطة، حوليات جامعة، الجزائر 1، العدد 32.
2. أمال محرز، نوال واضح (2023)، علوم الإعلام والاتصال بين الانتماء الإبيستمولوجي والتأصيل البراديغمي، مجلة بحوث ودراسات في الميديا الجديدة، المجلد 04، العدد 01.
3. أماني عبد الرزاق أحمد غريب (2023)، التكامل المنهجي بين المناهج الكمية والكيفية في دراسة الظواهر الاجتماعية. مجلة جامعة حضر موت للعلوم الإنسانية، المجلد 20، العدد 02، اليمن.

4. حكيمة وشنان، صالح شلاي (2022)، المحددات المنهجية لأنواع البحوث الاجتماعية، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 22، العدد 02.
5. سعاد سراي (2017)، البراديفم في علوم الإعلام والاتصال بين الضرورة المنهجية والصعوبات الإجرائية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 48.
6. طارق هابه (2022)، دور البراديفمات السوسيولوجية في بناء نظرية الفعل التواصلي ليورغن هابرماس، مجلة الإعلام والمجتمع، جامعة الوادي، المجلد 06، العدد 10.
7. عبد القادر سيدي عابد (2018)، دقة (مصادقية) نتائج البحث العلمي في دراسة الظاهرة النفسية بين المنهج الكمي والمنهج الكيفي، دراسة ميدانية بجامعة الشلف، مجلة التنمية البشرية، جامعة وهران 2، العدد 10.
8. عمر زهواني (2025)، المنهج الكيفي في الدراسات السوسيولوجية، مجلة الجامع في الدراسات النفسية والعلوم التربوية، جامعة مسيلة، المجلد 10، العدد 1.
9. فضيل دليو (2014)، اختيار العينة في البحوث الكيفية، مجلة بحوث ودراسات في الميديا الجديدة، جامعة المسيلة، المجلد 03، العدد 03.
10. فضيل دليو (2023)، استخدام الباراديفمات في البحوث العلمية، مجلة الزَّهير للدراسات والبحوث الاتصالية والإعلامية، جامعة الجزائر 3، المجلد 03، العدد 02.
11. محسن بالقسم (2023)، المنهج الكيفي والكمي في الدراسات الاجتماعية: النظرية والممارسة. مجلة التكامل في بحوث العلوم الاجتماعية والرياضية، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، المجلد 7، العدد 1.
12. محمد المهدي بن عيسى، وخيرة بغداداي (2015)، المنهج الكيفي في المعرفة السوسيولوجية: الفهم والتأويل بين الفلسفة وعلم الاجتماع، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد 33.
13. ميادة القاسم (2021)، الفوارق بين المناهج الكيفية والمناهج الكمية في البحوث الاجتماعية (دراسة لتحقيق التكامل البحثي بين المنهجين)، المجلة العربية للنشر العلمي، الأردن، العدد 30.
14. هاني إبراهيم (2023)، تكامل المنهجين الكمي والكيفي في سبيل نجاح البحوث السويولوجية الميدانية (دراسة سوسيولوجية تحليلية، مجلة الذاكرة، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، المجلد 11، العدد 01.

➤ References inforeignlanguages :

Books :

1. Angers, M (1997), Initiation pratique à la méthodologie des sciences humaines, Alger: casbah université.
2. Bryman, A (2004), Quantity Quality in social Research, London and New York.: Taylor and francis e-library.
3. Gauthier, B (2009), Recherche Sociale : De la problématique a la collecte des données, 5ed. Québec: Presses de l'université de Québec.
- ScientificJournals :
1. M Fettes, Outhers, (2017), The Mixed Methodes Research Integration Trigoly and its Dimensions .Journal of Mixed Methodes Research11,03.
2. Sevhest. L, & Sidani S, S. (1995), Quantitative and qualitative methods : Is There an alternative Evaluation and Program Planning 18, 77.

جدلية الكمي والكيفي في البحث الاجتماعي من الأرقام إلى المعاني

د. بوزيان خير الدين - أستاذ محاضر - أ-

جامعة الشيخ العربي التبسي. تبسة - الجزائر

الملخص: يتناول هذا المقال العلاقة بين المنهج الكمي والمنهج الكيفي في البحث الاجتماعي من خلال بيان خصائص كل منهما ومجالات اشتغاله، فالمنهج الكمي يعتمد على جمع المعطيات القابلة للقياس وتحليلها بهدف الكشف عن العلاقات والأنماط العامة داخل الظواهر الاجتماعية، بينما يركز المنهج الكيفي على فهم المعاني والتجارب والسياقات التي تنتج داخلها الظواهر الاجتماعية، كما يناقش المقال كيفية انتقال الاهتمام من الاقتصار على المؤشرات القابلة للقياس إلى العناية بالأبعاد التفسيرية والثقافية للواقع الاجتماعي، ويبين أن المنهجين لا يمثلان بالضرورة اتجاهين متعارضين، بل يمكن توظيفهما بصورة تكاملية بحسب طبيعة الموضوع وأهداف البحث، ويخلص إلى أن دراسة الظواهر الاجتماعية تزداد اتساعا حين تجمع بين التحليل القائم على المعطيات القابلة للقياس والفهم التفسيري للمعاني الاجتماعية. الكلمات المفتاحية: المنهج الكمي، المنهج الكيفي، تحليل الظواهر الاجتماعية، التأويل الاجتماعي، التعدد المنهجي

Abstract:

This article examines the relationship between quantitative and qualitative approaches in social research by outlining the characteristics and fields of application of each method. The quantitative approach relies on the collection and analysis of measurable data in order to identify relationships and general patterns within social phenomena, whereas the qualitative approach focuses on understanding the meanings, experiences, and contexts through which social phenomena are produced. The article also discusses the shift from an exclusive focus on measurable indicators toward greater attention to the interpretive and cultural dimensions of social reality. It further argues that the two approaches should not necessarily be viewed as contradictory, but rather as complementary methods whose use depends on the nature of the subject matter and the objectives of the research. The article concludes that the study of social phenomena becomes more comprehensive when it combines analysis based on measurable data with an interpretive understanding of social meanings.

Keywords: Quantitative Methodology, Qualitative Methodology, Analysis of Social Phenomena, Social Interpretation, Methodological Pluralism

مقدمة:

يشكل سؤال المنهج في العلوم الاجتماعية أحد أكثر الإشكالات تعقيدا وحسما في آن واحد، نظرا لارتباطه بطبيعة الموضوع الإنساني ذاته، بما يحمله من تشابك وتعدد في الأبعاد والمعاني، فمنذ نشأة هذه العلوم، ظل التوتر قائما بين اتجاهين رئيسيين: اتجاه يسعى إلى إضفاء الطابع العلمي الصارم على الظواهر الاجتماعية عبر القياس الكمي والتحليل الإحصائي، واتجاه آخر يؤكد خصوصية الظاهرة الإنسانية، ويرى أنها لا تختزل في الأرقام، بل تتطلب فهما عميقا لمعانيها وسياقاتها الثقافية والرمزية. ومن هنا برزت جدلية المنهج الكمي والمنهج الكيفي بوصفها تعبيراً عن هذا الانقسام الإستمولوجي.

لقد أسهم المنهج الكمي في إرساء دعائم الموضوعية والدقة، من خلال تحويل الظواهر الاجتماعية إلى متغيرات قابلة للقياس، مما أتاح إمكان التعميم والتنبؤ، غير أن هذا التوجه، رغم أهميته، تعرض لانتقادات متزايدة بسبب نزوعه إلى اختزال الإنسان في معطيات رقمية، متجاهلا أبعاد التجربة الإنسانية الغنية، في المقابل، برز المنهج الكيفي كرد فعل إبستمولوجي، مؤكدا أن فهم الظواهر الاجتماعية يقتضي الولوج إلى عوالم الفاعلين الاجتماعيين، واستكشاف الدلالات التي يضيفونها على أفعالهم وممارساتهم.

وعليه لم تعد المسألة تتعلق بمجرد اختيار تقني بين أدوات بحث مختلفة، بل أصبحت تعبيرا عن رؤيتين متباينتين للمعرفة: رؤية تفسيرية تسعى إلى الكشف عن القوانين العامة، ورؤية تأويلية تهدف إلى الفهم العميق للمعاني، ومن هذا المنطلق، يطرح هذا المقال إشكالية مركزية مفادها: هل العلاقة بين المنهج الكمي والمنهج الكيفي في البحث الاجتماعي علاقة تعارض إبستمولوجي، أم أنها علاقة تكامل معرفي يفرضه تعقيد الظاهرة الاجتماعية؟

ينطلق هذا البحث من فرضية أساسية مفادها أن التباين بين المنهجين لا ينبغي أن يفهم بوصفه صراعا إقصائيا، بل باعتباره تكاملا وظيفيا يثري البحث العلمي ويمنحه شمولية أكبر، ولتحقيق ذلك، يعتمد المقال مقاربة تحليلية نقدية تستند إلى تفكيك الأسس الإبستمولوجية لكل من المنهجين، مع إبراز حدود كل منهما وإمكانات التقاطع بينهما، وصولا إلى التأكيد على أهمية المنهج المختلط بوصفه أفقا منهجيا معاصرا في العلوم الاجتماعية.

وبهذا يسعى المقال إلى إعادة التفكير في جدلية "الأرقام والمعاني"، ليس بوصفها ثنائية متعارضة، بل كأفق معرفي مركب يتيح فهما أكثر عمقا وإنسانية للواقع الاجتماعي.

أولا - الإطار النظري والإبستمولوجي:

1- مفهوم المنهج في العلوم الاجتماعية:

يعد المنهج في العلوم الاجتماعية مجموعة من القواعد والإجراءات المنظمة التي يعتمد عليها الباحث لدراسة الظواهر الاجتماعية وفهمها، سواء من حيث تفسيرها أو تأويلها، ولا يقتصر المنهج على كونه أداة تقنية، بل يتجاوز ذلك ليعكس رؤية معرفية محددة لطبيعة الواقع الاجتماعي وإمكانات معرفته (غزيل، 2023، صفحة 862)، فالاختيار المنهجي ليس محايدا، بل يرتبط بخلفية إبستمولوجية تحدد كيفية بناء المعرفة وحدودها، ومن ثم فإن دراسة المناهج في العلوم الاجتماعية تستدعي النظر إليها في إطارها الفلسفي والمعرفي، لا مجرد أدوات إجرائية.

1-1- الأسس الإبستمولوجية للمنهج الكمي:

ينبني المنهج الكمي على خلفية وضعية تستلهم نموذج العلوم الطبيعية، حيث يفترض أن الظواهر الاجتماعية تخضع لقوانين يمكن اكتشافها عبر الملاحظة والقياس (محمد، 1991، صفحة 251)، ويستند هذا التوجه إلى مبادئ الموضوعية، الحياد، وإمكانية التحقق التجريبي، مما يقتضي تحويل الظواهر إلى متغيرات قابلة للقياس الكمي، كما يعتمد على أدوات إحصائية تهدف إلى الكشف عن العلاقات السببية والتعميم على مجتمع الدراسة.

غير أن هذا الأسس الإبستمولوجي يفترض ضمنا إمكانية فصل الذات الباحثة عن موضوعها، وهو ما أثار انتقادات واسعة، خاصة من قبل الاتجاهات التأويلية التي ترى أن الظواهر

الاجتماعية لا يمكن فهمها بمعزل عن المعاني التي يمنحها الفاعلون لها (محمد، 1991، صفحة 252). وبالتالي، فإن المنهج الكمي، رغم قوته التفسيرية، يظل محدودا في استيعاب الأبعاد الرمزية والثقافية.

1-2- الأسس الإستمولوجية للمنهج الكيفي:

يقوم المنهج الكيفي على خلفية تأويلية- فهمية-، ترى أن الواقع الاجتماعي بناء إنساني يتشكل من خلال التفاعلات والمعاني التي ينتجها الأفراد (إبراهيم، 2010، صفحة 75)، ومن هذا المنطلق، يهدف البحث الكيفي إلى فهم الظواهر من داخلها، عبر تحليل الخطابات والتجارب والسياقات التي تمنحها دلالتها.

ويرتكز هذا المنهج على مبدأ أن المعرفة ليست انعكاسا موضوعيًا للواقع، بل هي نتاج تفاعل بين الباحث وموضوعه، مما يضيف طابعا ذاتيا نسبيا على النتائج (إبراهيم، 2010، صفحة 72)، كما يستفيد من مقاربات مثل الفينومينولوجيا والإثنوغرافيا، التي تركز على التجربة المعيشة والمعنى الكامن وراء السلوك.

وعليه فإن المنهج الكيفي يقدم بديلا إستمولوجيا للمنهج الكمي، قائما على الفهم بدل التفسير، وعلى المعنى بدل القياس، دون أن يعني ذلك القطيعة التامة معه، بل يفتح المجال لإعادة التفكير في العلاقة بينهما في إطار تكاملي أو متعدد.

2- المنهج الكمي: الخصائص والحدود

1-2- تعريف المنهج الكمي وأدواته:

يعرّف المنهج الكمي بوصفه مقارنة علمية تهدف إلى دراسة الظواهر الاجتماعية من خلال تحويلها إلى بيانات رقمية قابلة للقياس والتحليل الإحصائي (بلقاسم، 2023، صفحة 94)، ويقوم هذا المنهج على تحديد متغيرات دقيقة، وصياغة فرضيات قابلة للاختبار، ثم التحقق منها باستخدام أدوات منهجية صارمة. ومن أبرز هذه الأدوات: الاستبيانات المغلقة، الاختبارات المعيارية، التجارب، وتحليل البيانات الإحصائية باستخدام برامج متخصصة. ويفترض هذا المنهج إمكانية ضبط الظاهرة المدروسة والتحكم في شروطها، بما يسمح بإعادة التجربة والتحقق من النتائج، وهو ما يعزز طابعه العلمي.

2-2- مزايا المنهج الكمي:

يتميز المنهج الكمي بعدة خصائص جعلته يحتل مكانة مركزية في البحث الاجتماعي، من أبرزها (علام، 2013، صفحة 81):

- الدقة والموضوعية: إذ يعتمد على أدوات قياس معيارية تقلل من تدخل الذات الباحثة.
- إمكانية التعميم: حيث تسمح العينات التمثيلية بتعميم النتائج على مجتمع أوسع.
- القدرة على اختبار الفرضيات: من خلال تحليل العلاقات بين المتغيرات واكتشاف الروابط السببية.

- إمكانية التنبؤ: بفضل النماذج الإحصائية التي تسمح باستشراف الاتجاهات المستقبلية. وقد ساهمت هذه المزايا في تعزيز مكانة المنهج الكمي كأداة فعالة في دراسة الظواهر القابلة للقياس، خاصة في مجالات مثل علم الاجتماع الكمي وعلم النفس التجريبي.

3-2- حدود المنهج الكمي:

رغم ما يقدمه المنهج الكمي من دقة وصرامة، إلا أنه لا يخلو من حدود وإشكالات، من أهمها (بلقاسم، 2023، صفحة 101):

اختزال الظاهرة الاجتماعية: حيث يتم تبسيط الظواهر المعقدة إلى أرقام، مما قد يؤدي إلى فقدان المعنى.

إهمال السياق: إذ غالباً ما يتم فصل الظاهرة عن سياقها الثقافي والاجتماعي.

صعوبة فهم الدوافع والمعاني: لأن الأرقام لا تعبر بالضرورة عن التجارب الذاتية للأفراد.

الافتراض المسبق للحياد التام: وهو افتراض محل نقد، نظراً لتأثير اختيارات الباحث في تصميم الدراسة.

وعليه، فإن المنهج الكمي، رغم قوته التفسيرية، يظل قاصراً عن الإحاطة الكاملة بالظواهر الاجتماعية، خاصة تلك التي تتسم بالتعقيد والبعد الرمزي.

3-3- المنهج الكيفي: الخصائص والحدود:

تعريف المنهج الكيفي وأدواته:

يعرف المنهج الكيفي بوصفه مقاربة بحثية تهدف إلى فهم الظواهر الاجتماعية من خلال تحليل المعاني والتجارب التي يعيشها الأفراد في سياقاتهم الطبيعية (الحمداني، 2006، صفحة 171)، وعلى خلاف المنهج الكمي، لا يسعى هذا المنهج إلى القياس أو التعميم الإحصائي، بل يركز على التفسير العميق للظواهر كما يدركها الفاعلون الاجتماعيون.

ويعتمد على أدوات مرنة مثل المقابلات المعمقة، الملاحظة بالمشاركة، تحليل الوثائق والخطابات، والدراسات الإثنوغرافية، كما يتميز بانفتاحه على تطور أسئلة البحث أثناء العمل الميداني، مما يمنحه طابعاً ديناميكياً.

3-1- مزايا المنهج الكيفي:

يوفر المنهج الكيفي مجموعة من المزايا التي تجعله ضرورياً في دراسة الظواهر الإنسانية المعقدة، من أبرزها (Bryman, 2012, p. 380):

العمق في الفهم: إذ يتيح تحليلاً غنياً للتجارب والمعاني التي يصعب اختزالها في أرقام.

المرونة المنهجية: حيث يمكن تعديل أدوات البحث وفق تطور المعطيات الميدانية.

الاهتمام بالسياق: يدرس الظواهر في بيئتها الطبيعية، مع مراعاة أبعادها الثقافية والاجتماعية.

إبراز صوت الفاعلين الاجتماعيين: من خلال نقل تجاربهم وتصوراتهم بشكل مباشر.

وقد أسهمت هذه الخصائص في جعل المنهج الكيفي أداة مركزية في مجالات مثل علم الاجتماع التفسيري والأنثروبولوجيا.

2-3- حدود المنهج الكيفي:

رغم أهميته يواجه المنهج الكيفي عدداً من التحديات، من أبرزها (سامية، 2000، صفحة 115):

- صعوبة التعميم: نظراً لاعتماده على عينات صغيرة وغير تمثيلية.

- إشكالية الذاتية: حيث يتأثر البحث بخلفية الباحث وتفاعله مع الميدان.

- تعقيد تحليل المعطيات: بسبب طبيعتها غير المهيكلة وتعدد دلالاتها.

- محدودية التحقق التجريبي: إذ يصعب إعادة نفس الدراسة في نفس الشروط. وعليه فإن المنهج الكيفي، رغم قدرته على الفهم العميق، يظل بحاجة إلى التكامل مع مناهج أخرى لتعزيز مصداقية نتائجه.

ثانيا - جدلية الكمي والكيفي في البحث الاجتماعي

1- أوجه التعارض بين المنهجين:

تظهر المقارنة بين المنهج الكمي والمنهج الكيفي وجود اختلافات جوهرية تمس طبيعة المعرفة وأدوات إنتاجها، فالمنهج الكمي يستند إلى رؤية وضعية تفترض وجود واقع موضوعي مستقل يمكن قياسه وضبطه، بينما ينطلق المنهج الكيفي من تصور تأويلي يرى أن الواقع الاجتماعي بناء رمزي يتشكل عبر التفاعلات الإنسانية (بلفاسم، 2023، صفحة 113).

كما يختلف المنهجان في طبيعة الأدوات، فالكمي يعتمد على القياس الإحصائي والمعطيات الرقمية، في حين يركز الكيفي على اللغة والخطاب والتجربة المعيشة. ويترتب عن ذلك اختلاف في النتائج: فالأول يسعى إلى التعميم، بينما يهتم الثاني بالخصوصية والسياق.

هذا التباين دفع بعض الباحثين إلى اعتبار العلاقة بينهما علاقة تعارض إبستمولوجي يصعب تجاوزه، نظرا لاختلاف منطلقاتهما الإبستمولوجية.

2- أوجه التكامل والتداخل:

رغم هذا التعارض الظاهري، برز اتجاه معاصر يؤكد على إمكانية التكامل بين المنهجين، انطلاقا من الاعتراف بحدود كل منهما (غنيم، 2000، صفحة 159)، فالمنهج الكمي يوفر صورة عامة واتجاهات كلية للظاهرة، لكنه يعجز عن تفسير معانيها العميقة، في حين يقدم المنهج الكيفي فهما دقيقا للسياق، لكنه يفتقر إلى قابلية التعميم.

ومن هنا فإن الجمع بينهما يتيح مقاربة أكثر شمولاً، حيث يمكن استخدام النتائج الكمية كمنطلق للدراسة الكيفية، أو توظيف التحليل الكيفي لتفسير المعطيات الإحصائية، كما يمكن دمج الأدوات داخل دراسة واحدة، بما يعزز مصداقية النتائج وثراءها.

ويعكس هذا التوجه وعيا إبستمولوجيا متقدما، يرى أن تعقيد الظواهر الاجتماعية يفرض تعددية منهجية بدل الانغلاق داخل مقاربة واحدة.

1-1 المنهج المختلط (Mixed Method) كنموذج معاصر:

2-1 يمثل المنهج المختلط أحد أبرز تجليات التكامل بين الكمي والكيفي في البحث الاجتماعي المعاصر، حيث يجمع بين التحليل الإحصائي والفهم التأويلي ضمن تصميم بحثي واحد، ويهدف هذا المنهج إلى الاستفادة من مزايا كل مقاربة، مع تقليل حدودها، من خلال توظيف أدوات متعددة بشكل تكاملي.

ومن أبرز أشكال هذا المنهج (Bouziane, 2026, p. 57) :

التصميم التتابعي (كمي ثم كيفي أو العكس)

التصميم المتوازي (استخدام المنهجين في نفس الوقت)

التصميم التفسيري (توظيف الكيفي لتفسير النتائج الكمية)

وقد أثبت هذا النموذج فعاليته في دراسة الظواهر المعقدة، مثل قضايا التربية، الهوية، والعنف الاجتماعي، حيث يتطلب الفهم الجمع بين القياس والتأويل. وعليه فإن المنهج المختلط لا يمثل مجرد حل تقني، بل يعكس تحولا إبستمولوجيا نحو تجاوز الثنائيات التقليدية في البحث العلمي.

ثالثا - تطبيقات ميدانية عملية: نحو تفعيل التكامل المنهجي:
1- نموذج دراسة كمية:

تظهر الدراسات الكمية قدرتها على تقديم صورة عامة ودقيقة حول الظواهر الاجتماعية من خلال تحليل البيانات الرقمية، فعلى سبيل المثال، يمكن إجراء دراسة حول ظاهرة التسرب المدرسي عبر توزيع استبيان على عينة واسعة من التلاميذ، بهدف قياس نسب التسرب، وتحديد العوامل المرتبطة به مثل المستوى الاقتصادي، التحصيل الدراسي، والبيئة الأسرية والمدرسية. وتحلل هذه المعطيات باستخدام أدوات إحصائية تسمح باستخلاص علاقات ارتباطية أو سببية، مما يوفر قاعدة بيانات مهمة لصناع القرار التربوي.

2- نموذج دراسة كيفية:

في المقابل يمكن مقارنة نفس الظاهرة من منظور كيفي، عبر إجراء مقابلات معمقة مع التلاميذ المنقطعين عن الدراسة، أو ملاحظة سلوكهم داخل محيطهم الاجتماعي. يهدف هذا النوع من الدراسات إلى فهم الدوافع الذاتية للتسرب، مثل فقدان الدافعية، الإحساس بالفشل، أو تأثير العلاقات الاجتماعية داخل المدرسة. كما يتيح الكشف عن معان لا يمكن رصدها بالأدوات الكمية، كتصورات التلاميذ عن المدرسة أو علاقتهم بالمعلم. وهكذا يقدم المنهج الكيفي قراءة تفسيرية عميقة للظاهرة، تكمل المعطيات الرقمية.

3- نموذج دراسة تكاملية (كمية- كيفية):

تتجلى أهمية التكامل المنهجي في الدراسات التي تجمع بين المقاربتين ضمن تصميم بحثي واحد، ففي دراسة حول العنف المدرسي مثلا، يمكن البدء بجمع بيانات كمية عبر استبيان لقياس مدى انتشار الظاهرة، وأنواعها، والفئات الأكثر عرضة لها. ثم تستكمل الدراسة بمقابلات نوعية مع التلاميذ والأساتذة، بهدف فهم الأسباب العميقة للعنف، مثل التوترات الاجتماعية، أو أنماط التنشئة، أو طبيعة المناخ المدرسي. ويتيح هذا الدمج بين المنهجين تقديم نتائج أكثر شمولاً، تجمع بين الدقة الإحصائية والعمق التفسيري، مما يعزز من مصداقية البحث وفعاليته التطبيقية.

رابعا - نحو إعادة قراءة ثنائية الكمي والكيفي:

تكشف الدراسة التحليلية للمنهجين الكمي والكيفي أن الثنائية التقليدية بينهما لم تعد كافية لفهم تعقيد البحث الاجتماعي المعاصر، فالتعارض الذي صاغته الوضعية الكلاسيكية بين القياس والفهم لم يعد يعكس واقع الممارسة البحثية الحالية، حيث تتداخل الأدوات وتتشابك المقاربات بشكل متزايد (Bouziane, 2026, p. 58).

ومن ثم فإن النظر إلى المنهجين بوصفهما نقيضين منهجين صارمين يؤدي إلى تبسيط مخل لطبيعة المعرفة الاجتماعية.

1- حدود كل مقارنة وإمكانات تجاوزها:

يتضح من خلال التحليل أن المنهج الكمي، رغم قوته في إنتاج معطيات دقيقة وقابلة للتعميم، يظل محدوداً في قدرته على تفسير المعاني والدلالات التي تمنح الظواهر الاجتماعية طابعها الإنساني.

في المقابل يوفر المنهج الكيفي فهماً عميقاً للسياقات والتجارب، لكنه يواجه صعوبة في التعميم والتحقق الصارم من النتائج.

هذا التباين لا يعني ضعفاً في أحد المنهجين بقدر ما يعكس طبيعة وظيفية مختلفة لكل منهما داخل الحقل العلمي.

2- التكامل المنهجي كأفق إبستمولوجي:

تؤكد النتائج أن التكامل بين المنهج الكمي والمنهج الكيفي لم يعد خياراً تقنياً فحسب، بل أصبح ضرورة إبستمولوجية يفرضها تعقيد الظواهر الاجتماعية.

فالباحث العلمي المعاصر يتجه نحو نماذج أكثر مرونة، تسمح بدمج القياس الإحصائي مع التحليل التفسيري، بما يضمن فهماً أكثر شمولاً للواقع الاجتماعي.

ومن هذا المنظور، لا ينظر إلى المنهج المختلط كمجرد حل وسط، بل كتحويل في طريقة بناء المعرفة نفسها، حيث يتم تجاوز الثنائيات الصارمة نحو مقاربات تركيبية أكثر انفتاحاً.

خاتمة:

تخلص هذه الدراسة إلى أن العلاقة بين المنهج الكمي والمنهج الكيفي ليست علاقة إقصاء أو تناقض، بل علاقة تكامل منهجي يهدف إلى بناء فهم أشمل وأعمق للظواهر الاجتماعية، فقد أبانت المقاربة الكمية عن قدرتها على تقديم صورة رقمية دقيقة تساعد في القياس والمقارنة والتعميم، بينما كشفت المقاربة الكيفية عن بعدها التفسيري الذي يمنح للظواهر الاجتماعية معناها الإنساني والسياقي.

وعليه فإن الانتقال من "الأرقام إلى المعاني" لا يعني التخلي عن أحد المنهجين لصالح الآخر، بل يعني إعادة التوازن بين الدقة الإحصائية والعمق التفسيري، بما يسمح بإنتاج معرفة اجتماعية أكثر شمولية وواقعية، كما تؤكد الدراسة أن مستقبل البحث الاجتماعي يتجه نحو المناهج المدمجة (Mixed Methods) التي توظف قوة المنهجين معاً لتجاوز محدودية كل واحد منهما على حدة.

وبذلك تصبح جدلية الكمي والكيفي مدخلاً أساسياً لفهم تطور البحث الاجتماعي المعاصر، وإعادة التفكير في أدوات إنتاج المعرفة في العلوم الإنسانية والاجتماعية.

المراجع

1. أمزيان محمد محمد. (1991). *منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية*. فرجينيا، و.م.أ: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
2. بلقاسم غزيل. (2023). *مناهج البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية*. مجلة آفاق علمية (02)، الصفحات 876-858.
3. رجاء محمود أبو علام. (2013). *مناهج البحث الكمي والنوعي والمختلط*. عمان، الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع.
4. عبد الله إبراهيم. (2010). *علم الاجتماع (السوسولوجيا)*. بيروت: المركز الثقافي العربي.

5. عليان ربحي مصطفى وعثمان محمد غنيم. (2000). *مناهج وأساليب البحث العلمي-النظرية والتطبيق*. عمان، الأردن: دار صفاء.
6. محسن بلقاسم. (2023). المنهج الكيفي والكمي في الدراسات الاجتماعية-النظرية والممارسة. *مجلة التكامل في بحوث العلوم الاجتماعية والرياضية* (1)، الصفحات 90-116.
7. محمد جابر سامية. (2000). *منهجيات البحث الاجتماعي والاعلامي*. القاهرة، مصر.
8. موفق الحمداني. (2006). *مناهج البحث العلمي: أساسيات البحث العلمي*. عمان، الأردن: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع.
9. Bouziane, K. (2026, 01). Epistemological Limits in the Scientific Study Of Social Phenomena. *Journal Social Studies And Researches* (03), pp. 46-60.
10. Bryman, A. (2012). *Socia Research Methods* (Vol. 04). Press: Oxford University.

الإثنوغرافيا الرقمية وإعادة تشكيل الميدان البحثي تحولات الملاحظة والتفاعل والمنهجية في البيئة الافتراضية.

د. سمية سنوسي – أستاذ محاضر - ب -

جامعة الشهيد العربي التبسي - تبسة - الجزائر

Soumaya.senoussi@univ-tebessa.dz

ملخص الدراسة:

شهدت البحوث الكيفية خلال السنوات الأخيرة تحولات منهجية عميقة بفعل التوسع المتسارع للفضاءات الرقمية، الأمر الذي أدى إلى إعادة النظر في العديد من أدوات البحث وأساليبه، وعلى رأسها المنهج الإثنوغرافي. وفي هذا السياق برزت الإثنوغرافيا الرقمية باعتبارها مقاربة بحثية تسعى إلى فهم الممارسات الاجتماعية والتفاعلات الإنسانية داخل البيئات الافتراضية، من خلال تتبع أنماط التواصل والتفاعل التي تتم عبر المنصات الرقمية.

تنطلق هذه الورقة من محاولة مناقشة التحولات التي مست مفهوم الميدان في البحث الإثنوغرافي، حيث لم يعد مرتبطاً فقط بالحضور الفيزيائي المباشر، بل أصبح يمتد إلى فضاءات رقمية تتشكل فيها علاقات اجتماعية ورمزية جديدة. كما تتناول الورقة التحول الذي عرفته الملاحظة بالمشاركة، والتي انتقلت من المعيشة الميدانية التقليدية إلى أشكال جديدة من التفاعل عبر الشاشة، تفرض على الباحث إعادة التفكير في موقعه ودوره داخل العملية البحثية. وتعتمد الورقة على قراءة تحليلية للأدبيات الأجنبية التي تناولت الإثنوغرافيا الرقمية، من أجل إبراز خصائصها المنهجية، والكشف عن أوجه الاختلاف بينها وبين الإثنوغرافيا التقليدية، إضافة إلى مناقشة طبيعة البيانات الرقمية المتعددة الوسائط، والتحديات المرتبطة بمصادقية المعطيات، والهوية الافتراضية، وحدود الخصوصية والأخلاقيات البحثية داخل البيئات الرقمية. وتخلص الورقة إلى أن الإثنوغرافيا الرقمية لا تمثل مجرد امتداد تقني للإثنوغرافيا التقليدية، بل تعكس تحولاً في تصور الميدان وأدوات إنتاج المعرفة، بما ينسجم مع طبيعة المجتمعات المعاصرة التي أصبحت التفاعلات الرقمية جزءاً أساسياً من بنيتها الاجتماعية والثقافية. الكلمات المفتاحية: الإثنوغرافيا، الإثنوغرافيا الرقمية، الميدان الرقمي، المنهجية، الملاحظة بالمشاركة، البيئة الافتراضية.

Abstract :

The rapid expansion of digital environments has led to profound methodological transformations in qualitative research, prompting scholars to reconsider many research tools and approaches, particularly ethnography. In this context, digital ethnography has emerged as a research approach concerned with understanding social practices and human interactions within virtual environments through the analysis of digitally mediated communication and participation.

This paper examines the transformations affecting the notion of the “field” in ethnographic research, which is no longer limited to direct physical presence but now extends to digital spaces where new forms of social and symbolic relations are produced. It also discusses the shift in participant observation from traditional face-to-face immersion to new forms of interaction conducted through screens, requiring researchers to rethink their role and position within the research process.

The paper is based on an analytical reading of major international literature on digital ethnography in order to highlight its methodological characteristics and identify the main differences between digital and conventional ethnography. It further addresses the nature of multimodal digital data and discusses methodological and ethical challenges related to data credibility, virtual identity, privacy, and research ethics in online environments.

The paper concludes that digital ethnography should not be viewed merely as a technological extension of conventional ethnography, but rather as a transformation in the understanding of the field and the production of knowledge in ways that correspond to the realities of contemporary digitally mediated societies.

Keywords: Ethnography, Digital Ethnography, Digital Fieldwork, methodolgy, Participant Observation, Virtual Environment.

1. إشكالية الدراسة:

شهدت المجتمعات المعاصرة تحولات عميقة بفعل الثورة الرقمية، حيث أصبحت التكنولوجيا الرقمية والإنترنت جزءاً لا يتجزأ من الحياة اليومية للأفراد والجماعات، مما أدى إلى انتقال جزء كبير من التفاعلات الاجتماعية والثقافية من المجال الواقعي إلى المجال الافتراضي. فقد أفرزت المنصات الرقمية فضاءات جديدة للتواصل الاجتماعي، تمارس داخلها أشكال متنوعة من التفاعل، وتبنى فيها الهويات والعلاقات الاجتماعية، وتنتج من خلالها معان ورموز ثقافية جديدة. ولم يعد المجتمع الرقمي مجرد امتداد تقني للمجتمع الواقعي، بل أصبح مجالاً اجتماعياً قائماً بذاته، له قواعده الخاصة وأنماط تفاعله المميزة.

وقد فرض هذا التحول تحديات جوهرية على مناهج البحث في العلوم الاجتماعية، خاصة المناهج الكيفية التي تعتمد على دراسة الظواهر الاجتماعية في سياقاتها الطبيعية. ويأتي المنهج الإثنوغرافي في مقدمة هذه المناهج، باعتباره قائماً على الملاحظة بالمشاركة والمعايشة المباشرة داخل الجماعات الاجتماعية بهدف فهم الممارسات الثقافية والمعاني الاجتماعية من الداخل. غير أن انتقال جزء معتبر من التفاعلات الإنسانية إلى الفضاء الرقمي جعل من الصعب الاكتفاء بأدوات الإثنوغرافيا التقليدية، التي كانت تعتمد على الحضور الفيزيقي المباشر داخل الميدان.

ففي البيئة الرقمية لم يعد "الميدان" مكاناً جغرافياً محسوساً، بل أصبح فضاءً افتراضياً تمارس داخله أنماط متعددة من التفاعل الاجتماعي عبر الشاشة. وهذا التحول فرض إعادة النظر في مفهوم الملاحظة بالمشاركة، حيث انتقل الباحث من الحضور الميداني المباشر إلى الحضور الرقمي التفاعلي، ومن مراقبة السلوك الواقعي إلى تحليل السلوك الرقمي والآثار الإلكترونية للتفاعل الاجتماعي. ومن هنا ظهرت الإثنوغرافيا الرقمية باعتبارها مقاربة منهجية جديدة تسعى إلى توظيف أدوات الإثنوغرافيا داخل البيئات الرقمية من أجل فهم الثقافات والممارسات الاجتماعية الناشئة داخل الفضاءات الافتراضية.

غير أن هذا الانتقال من الملاحظة التقليدية إلى الملاحظة بالمشاركة عبر الشاشة يثير إشكالات منهجية ومعرفية متعددة؛ إذ يطرح تساؤلات حول طبيعة الميدان الرقمي، ومدى قدرة الباحث على

تحقيق الفهم العميق للتفاعلات الاجتماعية في غياب الحضور الفيزيقي المباشر، فضلاً عن التحديات المرتبطة بمصادقية البيانات الرقمية، وحدود المشاركة، وإشكالات الخصوصية والأخلاقيات البحثية في الفضاء الرقمي.

ومن هذا المنطلق، تتمحور إشكالية هذه الدراسة حول محاولة فهم طبيعة التحول الذي عرفته الممارسة الإثنوغرافية في ظل البيئة الرقمية، وكيف أسهمت الإثنوغرافيا الرقمية في إعادة تشكيل الملاحظة بالمشاركة بما يتلاءم مع خصائص المجتمعات الافتراضية، وما نتج عن ذلك من تغيرات في دور الباحث وفي طبيعة الميدان وأدوات إنتاج المعرفة الاجتماعية.

وعليه يمكن صياغة الإشكالية الرئيسية في السؤال التالي:
إلى أي مدى أسهمت الإثنوغرافيا الرقمية في إعادة تشكيل الميدان البحثي والممارسة الإثنوغرافية في ظل انتقال التفاعلات الاجتماعية إلى الفضاءات الرقمية؟ ويندرج ضمن هذا السؤال الرئيس عدد من التساؤلات الفرعية:

- ❖ ما المقصود بالإثنوغرافيا الرقمية، وما الأسس المنهجية التي تقوم عليها؟
- ❖ كيف أعادت البيئة الرقمية تعريف مفهوم الميدان الإثنوغرافي؟
- ❖ ما طبيعة التحول الذي طرأ على الملاحظة بالمشاركة عند انتقالها من المجال الواقعي إلى المجال الرقمي؟
- ❖ ما أبرز التحديات المنهجية والأخلاقية التي تواجه الباحث في الإثنوغرافيا الرقمية؟
- ❖ ما الآفاق المستقبلية للإثنوغرافيا الرقمية في دراسة المجتمعات الافتراضية؟

2. أهداف الدراسة:

تهدف هذه الورقة إلى تحليل التحولات المنهجية والمعرفية التي عرفها البحث الإثنوغرافي في ظل البيئة الرقمية، من خلال دراسة انتقال الميدان البحثي من المجال الواقعي إلى الفضاءات الافتراضية، وما نتج عن ذلك من تغير في طبيعة الممارسة الإثنوغرافية وأدوار الباحث وآليات إنتاج المعرفة الكيفية.

كما تسعى الورقة إلى:

- الكشف عن خصوصية الإثنوغرافيا الرقمية باعتبارها مقارنة منهجية لدراسة التفاعلات الاجتماعية داخل البيئات الافتراضية .
- إبراز التحولات التي مست مفهوم الميدان الإثنوغرافي في السياق الرقمي .
- تحليل طبيعة التفاعل البحثي عبر الشاشة وانعكاساته على الملاحظة بالمشاركة .
- مناقشة الإشكالات المنهجية والأخلاقية المرتبطة بإنتاج البيانات الرقمية وتوظيفها في البحث الكيفي .
- استشراف آفاق الإثنوغرافيا الرقمية في دراسة المجتمعات المعاصرة في ظل التطور المتسارع للتقنيات الرقمية.

3. الإطار النظري والمنهجي للإنثوغرافيا الرقمية:

1.3.1.1.3. الإنثوغرافيا التقليدية وأسسها المنهجية:

1.1.3. مفهوم الإنثوغرافيا التقليدية: تعد الإنثوغرافيا من المناهج الكيفية الأساسية في العلوم الاجتماعية، إذ تهدف إلى فهم السلوك الإنساني في سياقه الثقافي والاجتماعي من خلال الانخراط المباشر في البيئة المدروسة. وقد نشأ هذا المنهج في الأنثروبولوجيا الاجتماعية بوصفه أداة لفهم حياة الجماعات البشرية من الداخل، اعتماداً على الوصف التفصيلي للممارسات اليومية والعلاقات الاجتماعية والرموز الثقافية. ولا تقتصر الإنثوغرافيا على جمع البيانات فقط، بل تسعى إلى تفسير المعاني التي يضيفها الأفراد على سلوكياتهم داخل سياقهم الاجتماعي والثقافي، الأمر الذي يجعلها منهجاً تفسيريّاً يركز على المعنى أكثر من القياس الكمي. (Atkinson, 2007, p. 3) ويؤكد Atkinson وHammersley أن الإنثوغرافيا تقوم على دراسة الأفراد في بيئاتهم الطبيعية، مع التركيز على التفاعل المباشر والملاحظة الدقيقة للسلوكيات اليومية، بما يسمح بفهم البنية العميقة للممارسات الاجتماعية. فالمعرفة الإنثوغرافية لا تُبنى على الملاحظة السطحية، بل على التفاعل المستمر مع الفاعلين الاجتماعيين، بما يمكن الباحث من إدراك المعاني الضمنية والرموز الثقافية الكامنة وراء السلوك الاجتماعي.

ويعني ذلك أن الإنثوغرافيا تركز على مبدأ "الفهم من الداخل"، أي محاولة فهم العالم الاجتماعي من وجهة نظر المشاركين أنفسهم، وهو ما يمنح هذا المنهج قدرة تفسيرية كبيرة في تحليل الظواهر الاجتماعية والثقافية المعقدة (Atkinson, 2007, p. 6).

2.1.3. الملاحظة بالمشاركة في الإنثوغرافيا التقليدية: تُعتبر الملاحظة بالمشاركة الأداة المنهجية المحورية في البحث الإنثوغرافي، إذ تتيح للباحث الجمع بين المشاركة الفعلية في حياة الجماعة وبين ملاحظة سلوك أفرادها وتحليل أنماط التفاعل السائدة بينهم. ويُنظر إلى هذا الأسلوب بوصفه الوسيلة الأكثر فاعلية للوصول إلى فهم عميق للممارسات الاجتماعية، لأنه يتيح للباحث التفاعل المباشر مع الفاعلين داخل سياقهم اليومي، وليس فقط مراقبتهم من الخارج. (Spradley, 1980, p. 54)

وتكمن أهمية الملاحظة بالمشاركة في قدرتها على الكشف عن الأبعاد غير الظاهرة للسلوك الاجتماعي، مثل الرموز الضمنية، والمعاني الثقافية، وأنماط العلاقات الاجتماعية، وهي عناصر يصعب الوصول إليها عبر أدوات البحث الأخرى. فالملاحظة بالمشاركة لا تقتصر على تسجيل ما يحدث، بل تسعى إلى تفسير دلالاته الثقافية والاجتماعية (Spradley, 1980, p. 58).

كما أن هذا الأسلوب المنهجي يفترض حضوراً ميدانياً طويل الأمد، يسمح للباحث ببناء علاقة ثقة مع أفراد الجماعة، وفهم العادات والممارسات من داخل السياق الذي تنتج فيه. ومن هنا ارتبطت الإنثوغرافيا التقليدية بالحضور الفيزيقي المباشر بوصفه شرطاً لإنتاج معرفة دقيقة وعميقة حول الحياة الاجتماعية (Atkinson, 2007, p. 87).

2.2. نشأة الإنثوغرافيا الرقمية وخصائصها:

1.2.3. ظهور الإنثوغرافيا الرقمية: مع الانتشار الواسع للإنترنت وتزايد الاعتماد على البيئات الرقمية في التواصل والتفاعل الاجتماعي، برزت الحاجة إلى تطوير المناهج الكيفية التقليدية

لتتلاءم مع الفضاءات الرقمية الجديدة. فقد أصبحت المنصات الرقمية فضاءات اجتماعية حقيقية تُمارس فيها أنماط متنوعة من التفاعل وتشكل داخلها الهويات والانتماءات، وهو ما استدعى توسيع نطاق الإثنوغرافيا ليشمل هذه البيئات الجديدة. (Hine, 2000, p. 8) وترى Christine Hine أن الإنترنت ليس مجرد وسيلة لنقل المعلومات، بل هو فضاء اجتماعي وثقافي قائم بذاته، يحتوي على ممارسات اجتماعية ورمزية يمكن إخضاعها للدراسة الإثنوغرافية. ومن هذا المنطلق ظهرت الإثنوغرافيا الرقمية بوصفها منهجًا يهدف إلى دراسة التفاعلات الاجتماعية في البيئات الرقمية عبر الملاحظة بالمشاركة وتحليل الممارسات الإلكترونية. (Hine, 2000, p. 14)

2.2.3 خصائص الإثنوغرافيا الرقمية: تتميز الإثنوغرافيا الرقمية بعدة خصائص تجعلها امتدادًا نوعيًا

للإثنوغرافيا التقليدية، أولها أن الميدان الإثنوغرافي أصبح فضاءً افتراضيًا مفتوحًا، تُمارس داخله التفاعلات الاجتماعية عبر وسائط رقمية متعددة. وهذا يعني أن الباحث لم يعد مضطراً إلى التواجد الجسدي داخل الجماعة المدروسة، بل يمكنه الانخراط في المجتمع الرقمي ومتابعة تفاعلاته عن بُعد. (Kozinets, 2010, p. 23)

كما أن البيانات في الإثنوغرافيا الرقمية تتنوع بين النصوص الرقمية، والصور، والتعليقات، والمحادثات الإلكترونية، والرموز التفاعلية، مما يوفر للباحث كمًّا كبيراً من البيانات الاجتماعية والثقافية القابلة للتحليل. وتشير Pink إلى أن هذه البيئة الرقمية تنتج أنماطاً جديدة من البيانات تتطلب أدوات مرنة لفهم الممارسات الاجتماعية الرقمية وتفسيرها.

ومن خصائص هذا النمط من الإثنوغرافيا كذلك المرونة الزمنية والمكانية، إذ يمكن للباحث تتبع التفاعلات الاجتماعية في أوقات متعددة ومن أماكن مختلفة، مما يمنح البحث الإثنوغرافي بعداً أكثر اتساعاً مقارنة بالملاحظة التقليدية (Pink, 2016, p. 42).

وعليه يمكننا التعقيب وفق تسلسل نظري متدرج يبدأ بتأصيل الإثنوغرافيا التقليدية باعتبارها منهجاً كيفياً قائماً على الفهم من الداخل، مما يعكس انتماءه للمقاربة التأويلية في العلوم الاجتماعية. حيث تبرز أهمية الملاحظة بالمشاركة كأداة مركزية تسمح بالكشف عن المعاني الضمنية والرموز الثقافية عبر التفاعل المباشر مع الفاعلين الاجتماعيين. كما تم التأكيد على أن المعرفة الإثنوغرافية تُبنى من خلال المعاشاة الميدانية وليس الملاحظة السطحية، وهو تصور كلاسيكي يعزز قيمة الحضور الفيزيقي. غير أن هذا الطرح يظل جزئياً لأنه لا يناقش تأثير الباحث أو تحيزه أثناء عملية الملاحظة. إضافة إلى ذلك نجد أن الإثنوغرافيا الرقمية، تم إعادة تعريفها بوصفها فضاء افتراضياً تمارس داخله التفاعلات الاجتماعية. وبعد هذا التحول نقلة إستراتيجية مهمة، إذ لم يعد الواقع الاجتماعي مرتبطاً بالمكان بل بالشبكات الرقمية. أيضاً تتنوع البيانات الرقمية من خلال اعتمادها على الوسائط المتعددة، مما يوسع نطاق التحليل الإثنوغرافي. كما تم الإشارة أيضاً إلى المرونة الزمنية والمكانية التي تتيحها البيئة الرقمية مقارنة بالملاحظة التقليدية. ومع ذلك، يمكن الوقوف على الطابع الوصفي الذي تم التطرق إليه، حيث لم

يتم تناول بشكل كاف التحديات المنهجية مثل مصداقية البيانات أو غياب المؤشرات غير اللفظية، مما يحيلنا إلى بعد التعميق النقدي لتحقيق توازن تحليلي أشمل.

4. الانتقال من الملاحظة التقليدية إلى الملاحظة بالمشاركة عبر الشاشة: 1.4 إعادة تعريف الميدان الإثنوغرافي في البيئة الرقمية:

1.1.4 الميدان الإثنوغرافي في المقاربة التقليدية: اعتمدت الإثنوغرافيا التقليدية على تصور واضح للميدان باعتباره فضاءً جغرافياً ملموساً، يتواجد فيه الباحث داخل الجماعة المدروسة من أجل مراقبة الحياة اليومية والتفاعلات الاجتماعية في سياقها الطبيعي. وكان هذا الحضور الميداني شرطاً أساسياً لفهم الأنماط الثقافية والسلوكية داخل الجماعات الاجتماعية، لأن المعاني الاجتماعية تُبنى في سياق التفاعل المباشر بين الأفراد داخل البيئة الواقعية (Atkinson, 2007, p. 37).

وقد ارتبط هذا الفهم للميدان بمبدأ "المعايشة الميدانية"، حيث ينتقل الباحث إلى موقع الجماعة، ويقيم داخله

لفترة تسمح له بفهم العلاقات الاجتماعية والرموز الثقافية والممارسات اليومية. ويشير Hammersley وAtkinson إلى أن الميدان الإثنوغرافي التقليدي يقوم على الانخراط المباشر في الحياة الاجتماعية للأفراد، لأن التفاعل المباشر يوفر للباحث إمكانية ملاحظة التفاصيل الدقيقة التي تشكل البنية الثقافية للجماعة (Atkinson, 2007, p. 40).

غير أن هذا التصور أصبح موضع مراجعة مع انتقال كثير من التفاعلات الاجتماعية إلى البيئات الرقمية، حيث نشأت مجتمعات افتراضية تتجاوز الحدود المكانية التقليدية، وأصبحت العلاقات الاجتماعية تتشكل عبر المنصات الرقمية بصورة مستقلة عن المجال الجغرافي المباشر (Hine, 2015, p. 55).

2.1.4 الميدان الرقمي بوصفه مجاًلاً للملاحظة الإثنوغرافية: أدت التحولات الرقمية إلى توسيع مفهوم الميدان الإثنوغرافي، فلم يعد مقصوراً على الحيز الجغرافي المادي، بل أصبح يشمل البيئات الرقمية التي تُمارس داخلها التفاعلات الاجتماعية والثقافية. فالمنصات الرقمية مثل المنتديات وشبكات التواصل الاجتماعي وغرف النقاش الإلكترونية تمثل فضاءات اجتماعية حقيقية تنتج فيها الهويات والعلاقات والرموز الثقافية، وهو ما يمنحها صفة "الميدان" في الدراسة الإثنوغرافية (Hine, 2000, p. 65).

ويؤكد Robert Kozinets أن المجتمعات الرقمية تُعد فضاءات اجتماعية فعلية وليست مجرد قنوات تواصل، لأن الأفراد يمارسون داخلها أشكالاً من الانتماء والتفاعل الرمزي والتعبير الثقافي، وهي جميعاً ممارسات قابلة للدراسة الإثنوغرافية. ولذلك فإن الباحث يمكنه دراسة هذه المجتمعات بوصفها حقولاً اجتماعية قائمة بذاتها، لها قواعدها الرمزية والثقافية الخاصة. هذا التحول أدى إلى إعادة بناء مفهوم "الميدان"، بحيث أصبح فضاءً شبكياً مفتوحاً ومتعدد المواقع، يُدار عبر وسائط رقمية، ويُمارس فيه الأفراد تفاعلات اجتماعية ذات معنى. وهو ما أتاح للإثنوغرافيا الرقمية توسيع نطاق البحث الاجتماعي ليشمل البيئات الافتراضية بوصفها مجالات حقيقية لإنتاج المعنى الاجتماعي (Kozinets, 2010, p. 80).

2.4 الملاحظة بالمشاركة عبر الشاشة:

1.2.4 من الملاحظة المباشرة إلى الملاحظة الرقمية: تقوم الملاحظة بالمشاركة في الإثنوغرافيا التقليدية على حضور الباحث داخل الميدان ومشاركته في الحياة اليومية للجماعة المدروسة، حيث يلاحظ السلوكيات ويتفاعل مع الأفراد في سياقهم الطبيعي. غير أن البيئات الرقمية فرضت شكلاً جديداً من الملاحظة يعتمد على التفاعل عبر الوسائط الإلكترونية، حيث أصبحت الشاشة أداة مركزية لمتابعة الممارسات الاجتماعية وتحليلها (Hine, 2000, p. 89).

وترى Christine Hine أن الإثنوغرافيا الرقمية لا تلغي الملاحظة بالمشاركة، بل تعيد تشكيلها في إطار البيئة الرقمية، بحيث ينتقل الباحث من الحضور الجسدي المباشر إلى الحضور الرقمي التفاعلي. ويصبح هذا الحضور قائماً على التفاعل مع المستخدمين داخل المنصات الرقمية، ومتابعة الأنشطة والحوارات والممارسات الاجتماعية عبر الشاشة.

وهذا التحول لا يغير فقط أداة الملاحظة، بل يغير طبيعة الحضور الإثنوغرافي نفسه، حيث يصبح الباحث جزءاً من البيئة الرقمية من خلال التفاعل الافتراضي، مما يسمح له بفهم المعاني الاجتماعية التي تنتج داخل هذه البيئات الجديدة (Hine, 2015, p. 103).

2.2.4 الشاشة كوسيط للمشاركة الإثنوغرافية: في الإثنوغرافيا الرقمية أصبحت الشاشة وسيطاً منهجياً رئيسياً للملاحظة والمشاركة، فهي الأداة التي يدخل من خلالها الباحث إلى المجتمع الرقمي، ويتابع عبرها التفاعلات والسلوكيات والممارسات الثقافية. ولم تعد الشاشة مجرد وسيلة لنقل المعلومات، بل أصبحت بيئة تفاعلية تنتج داخلها أشكال من الحضور الاجتماعي والرمزي. وتشير Pink إلى أن الشاشة تمثل "مساحة للممارسة الاجتماعية"، لأن الأفراد لا يستخدمونها فقط للتواصل، بل يبنون عبرها علاقاتهم وهوياتهم وممارساتهم اليومية. ومن هنا فإن الملاحظة عبر الشاشة تعني تحليل هذه التفاعلات بوصفها ممارسات اجتماعية وثقافية ذات دلالات عميقة. كما أن هذا النمط من الملاحظة يمنح الباحث إمكانية تتبع السلوكيات الرقمية بصورة مستمرة، ورصد الأنماط التفاعلية داخل المجتمعات الرقمية، بما يتيح بناء فهم إثنوغرافي للثقافات الرقمية الناشئة (Pink, 2016, p. 88).

3.4 التحولات المنهجية الناتجة عن الملاحظة الرقمية:

1.3.4 تحول طبيعة البيانات الإثنوغرافية: أدى الانتقال إلى البيئة الرقمية إلى تغيير طبيعة البيانات الإثنوغرافية، حيث لم تعد الملاحظة مقتصرة على السلوكيات الظاهرة داخل الميدان الواقعي، بل أصبحت تشمل البيانات الرقمية الناتجة عن التفاعل الإلكتروني، مثل المنشورات، والتعليقات، والصور، والرسائل، والرموز التعبيرية، وسجلات النشاط الرقمي. ويرى Murthy أن هذه البيانات تمثل "أثراً رقمياً" تعكس ممارسات الأفراد داخل الفضاء الرقمي، وتوفر

للباحث مادة غنية لتحليل التفاعلات الاجتماعية والثقافية. كما أن الطابع الرقمي لهذه البيانات يسمح بتوثيق التفاعل بصورة أكثر دقة واستمرارية مقارنة بالملاحظة التقليدية (Murthy, 2008, p. 845).

2.3.4 تحول دور الباحث في البيئة الرقمية: لم يعد الباحث في الإثنوغرافيا الرقمية مجرد ملاحظ ميداني حاضر داخل جماعة محلية، بل أصبح فاعلاً رقمياً يتنقل بين المنصات والمجتمعات الافتراضية، ويشارك في التفاعلات الرقمية بوصفه عضواً أو مراقباً أو مشاركاً في إنتاج الخطاب الرقمي (Kozinets, 2010, p. 95).

وتشير Sarah Pink إلى أن هذا التحول يفرض على الباحث امتلاك مهارات جديدة تتعلق بفهم الثقافة الرقمية، وتحليل الممارسات الإلكترونية، وإدارة حضوره الرقمي بطريقة منهجية، لأن التفاعل داخل البيئات الرقمية يخضع لقواعد ثقافية ورمزية تختلف عن البيئات الواقعية. وهكذا فإن الملاحظة بالمشاركة عبر الشاشة لم تغتبر أدوات البحث فقط، بل أعادت صياغة دور الباحث وطبيعة علاقته بالميدان والمشاركين، وهو ما يمثل تحولاً منهجياً جوهرياً في الممارسة الإثنوغرافية المعاصرة (Pink, 2016, p. 94).

نستنتج مما سبق أن التحول نحو الإثنوغرافيا الرقمية لم يقتصر على تغيير فضاء البحث فقط، بل مس البنية المنهجية للممارسة الإثنوغرافية ذاتها. فانتقال التفاعلات الاجتماعية إلى البيئات الرقمية أدى إلى إعادة بناء مفهوم الميدان، الذي لم يعد مرتبطاً بالحضور الفيزيقي المباشر، بل أصبح فضاء شبكياً تنتج داخله العلاقات والرموز والممارسات الاجتماعية بصورة افتراضية ومتعددة الوسائط.

كما أدى هذا التحول إلى إعادة صياغة الملاحظة بالمشاركة، حيث انتقل الباحث من المعيشة الميدانية التقليدية إلى أشكال جديدة من الحضور الرقمي القائم على التفاعل عبر الشاشة وتتبع الأنشطة الرقمية داخل المنصات الافتراضية. ونتيجة لذلك أصبحت البيانات الإثنوغرافية أكثر تنوعاً واستمرارية، بما توفره البيئات الرقمية من آثار إلكترونية قابلة للحفظ والتحليل وإعادة التتبع.

غير أن هذا التحول يطرح في المقابل إشكالات منهجية ومعرفية تتعلق بحدود التفاعل الرقمي، ومدى قدرة الباحث على بناء فهم عميق للمعاني الاجتماعية في غياب الاتصال الوجيه المباشر، إضافة إلى التحديات المرتبطة بمصداقية الهوية الرقمية وأخلاقيات البحث داخل الفضاءات الافتراضية. ومن ثم فإن الإثنوغرافيا الرقمية لا تمثل مجرد تطوير تقني لأدوات البحث الكيفي، بل تعكس تحولاً أعمق في طبيعة إنتاج المعرفة الاجتماعية وفي علاقة الباحث بالميدان والمبحوثين داخل المجتمع الرقمي.

5. التحديات المنهجية والأخلاقية و آفاق الإثنوغرافيا الرقمية:

1.5 التحديات المنهجية في الإثنوغرافيا الرقمية:

1.1.5 إشكالية الهوية الرقمية ومصداقية البيانات: من أبرز التحديات المنهجية التي تواجه الإثنوغرافيا الرقمية مسألة التحقق من هوية المشاركين داخل البيئات الرقمية. ففي المجتمعات التقليدية يستطيع الباحث التفاعل المباشر مع الأفراد والتأكد من هوياتهم الاجتماعية، بينما تسمح البيئات الرقمية باستخدام أسماء مستعارة وهويات افتراضية قد لا تعكس الواقع الاجتماعي الحقيقي للمشاركين. وهذا يثير إشكاليات تتعلق بمصداقية البيانات ومدى تمثيلها الفعلي للممارسات الاجتماعية للأفراد.

ويشير **Murthy** إلى أن غياب اليقين بشأن هوية المشاركين يشكل تحدياً أساسياً أمام الباحث الإثنوغرافي الرقمي، لأن كثيراً من التفاعلات الإلكترونية تتم عبر هويات رقمية قد تكون جزئية أو رمزية، الأمر الذي يجعل عملية تفسير البيانات أكثر تعقيداً مقارنة بالملاحظة التقليدية (Murthy, 2008, p. 842).

كما أن البيئة الرقمية تسمح بدرجات عالية من إعادة تشكيل الهوية وتقديم الذات، حيث يمكن للأفراد إدارة

صورهم الاجتماعية بطرق مختلفة عن الواقع المباشر، مما يفرض على الباحث ضرورة توخي الحذر في تحليل الخطاب الرقمي وربطه بالبنية الاجتماعية الفعلية. (Kozinets, 2010, p. 126)

2.1.5 غياب المؤشرات غير اللفظية وتعقيد التفسير: تستفيد الإثنوغرافيا التقليدية من حضور الباحث المباشر الذي يمكنه من ملاحظة تعبيرات الوجه، ولغة الجسد، ونبرة الصوت، والسياق الاجتماعي المحيط بالتفاعل، وهي عناصر ضرورية لفهم المعاني الضمنية للسلوك الاجتماعي. أما في البيئة الرقمية فإن كثيراً من هذه المؤشرات يغيب أو يتحول إلى أشكال رمزية مختزلة، مثل الرموز التعبيرية أو الصيغ النصية، وهو ما يحد من قدرة الباحث على التقاط الأبعاد غير اللفظية للتفاعل الاجتماعي. (Pink, 2016, p. 102)

وتؤكد **Christine Hine** أن غياب الإشارات الجسدية يجعل فهم السياق الاجتماعي أكثر صعوبة، لأن الباحث يعتمد بدرجة كبيرة على المحتوى النصي أو المرئي المنشور داخل المنصات، دون القدرة على الوصول الكامل إلى الظروف المحيطة بالتفاعل. وهذا قد يؤثر على عمق التفسير الإثنوغرافي ودقته.

كما أن البيئات الرقمية تنتج أنماطاً جديدة من التعبير الرمزي قد يصعب تفسيرها دون معرفة دقيقة بثقافة المنصة وسياقها التفاعلي، مما يجعل الباحث مطالباً بفهم القواعد الثقافية الخاصة بالمجتمع الرقمي الذي يدرسه (Hine, 2015, p. 138).

2.5 التحديات الأخلاقية في الإثنوغرافيا الرقمية:

1.2.5 الخصوصية والموافقة المستنيرة: تطرح الإثنوغرافيا الرقمية قضايا أخلاقية معقدة، لعل أبرزها مسألة الخصوصية وحدود استخدام البيانات المنشورة على الإنترنت. ففي البيئات التقليدية يمكن للباحث الحصول على موافقة المشاركين بصورة مباشرة وواضحة، أما في البيئة الرقمية فإن طبيعة الفضاء الإلكتروني تجعل الحدود بين المجال العام والخاص أكثر غموضاً، إذ قد تكون البيانات منشورة علناً ولكن أصحابها لا يتوقعون استخدامها في البحث العلمي.

وتشير **Beneito-Montagut** إلى أن وجود البيانات على المنصات الرقمية لا يعني بالضرورة أنها متاحة أخلاقياً للاستخدام البحثي، لأن المستخدمين قد ينشرون محتوهم ضمن سياق اجتماعي معين، لا ضمن توقع بأن يصبح هذا المحتوى موضوعاً للتحليل الأكاديمي (Beneito-Montagut, 2011, p. 724).

لذلك تبرز ضرورة التزام الباحث بمبدأ الموافقة المستنيرة كلما أمكن ذلك، مع احترام توقعات المشاركين المتعلقة بالخصوصية، وعدم استخدام البيانات بطريقة قد تسبب ضرراً مباشراً أو غير مباشر لأصحابها (Pink, 2016, p. 119).

2.2.5 حماية البيانات والتمثيل الأخلاقي للمشاركين: يتحمل الباحث في الإثنوغرافيا الرقمية مسؤولية أخلاقية تتعلق بحماية البيانات الشخصية للمشاركين، خصوصاً في ظل سهولة تتبع المعلومات الرقمية وربطها بأصحابها. ولذلك يجب اتخاذ إجراءات لحماية الهوية الرقمية، مثل إخفاء الأسماء والبيانات التي قد تسمح بالتعرف على المشاركين. (Kozinets, 2010, p. 140)

وترى Pink أن التمثيل الأخلاقي للمشاركين لا يقتصر على حماية الهوية فقط، بل يشمل أيضاً تقديم تفسيرات عادلة وغير مضللة لممارساتهم الرقمية، لأن الباحث يمتلك سلطة تأويل الخطاب الرقمي، وهذه السلطة يجب أن تُمارس بمسؤولية أخلاقية عالية.

كما ينبغي مراعاة حساسية البيانات الرقمية التي قد تحتوي على معلومات شخصية أو تفاعلات ذات طابع خاص، وهو ما يجعل المسؤولية الأخلاقية في البحث الرقمي أكثر تعقيداً من البحث الميداني التقليدي. (Pink, 2016, p. 126)

3.5 آفاق الإثنوغرافيا الرقمية في البحث الاجتماعي:

1.3.5 تطور أدوات البحث الإثنوغرافي الرقمي: مع تطور الوسائط الرقمية، أصبحت الإثنوغرافيا الرقمية مجالاً واعداً في البحث الاجتماعي، حيث تطورت أدوات الملاحظة والتحليل لتشمل تتبع التفاعلات متعددة الوسائط، وتحليل الشبكات الاجتماعية، ورصد السلوكيات الرقمية عبر الزمن. وقد أتاح ذلك للباحثين إمكانات أوسع لفهم الممارسات الاجتماعية في البيئات الرقمية بصورة أكثر عمقاً.

و يشير Kozinets إلى أن تطور البيئات الرقمية يفرض على الباحث الإثنوغرافي تطوير أدواته باستمرار، بحيث يصبح قادراً على التعامل مع البيانات الرقمية المعقدة، وفهم التفاعلات المتعددة الأبعاد التي تنتج داخل المجتمعات الافتراضية. (Kozinets, 2010, p. 161)

2.3.5 مستقبل الإثنوغرافيا الرقمية: تشير الاتجاهات الحديثة إلى أن الإثنوغرافيا الرقمية ستصبح أكثر أهمية مع تطور تقنيات الذكاء الاصطناعي، والواقع الافتراضي، والميتافيرس، حيث ستظهر أشكال أكثر تعقيداً من التفاعل الاجتماعي الرقمي تتطلب مقاربات منهجية جديدة. وهذا يعني أن الإثنوغرافيا الرقمية لن تكون مجرد امتداد للإثنوغرافيا التقليدية، بل ستتحول إلى حقل منهجي قائم بذاته داخل العلوم الاجتماعية.

وترى Christine Hine أن مستقبل الإثنوغرافيا مرتبط بقدرتها على مواكبة تحولات البيئة الرقمية، وتطوير أدوات تسمح بفهم الممارسات الاجتماعية في فضاءات متغيرة باستمرار، وهو ما يجعلها أحد أكثر المناهج قدرة على دراسة المجتمع الرقمي المعاصر. (Hine, 2015, p. 181)

تكشف التحولات المرتبطة بالإثنوغرافيا الرقمية أن التغير الذي عرفه البحث الإثنوغرافي لا يقتصر على انتقال الدراسة من المجال الواقعي إلى المجال الافتراضي، بل يتعلق بإعادة بناء التصورات المنهجية التي يقوم عليها البحث الكيفي في حد ذاته. فالبيئة الرقمية أفرزت أنماطاً جديدة من التفاعل الاجتماعي تتسم بالسهولة والتغير المستمر، حيث تتداخل الحدود بين الواقعي والافتراضي، وبين الحضور المباشر والحضور الشبكي، الأمر الذي يجعل فهم الظواهر الاجتماعية أكثر تعقيداً مقارنة بالمجتمعات التقليدية ذات البنية المكانية الواضحة.

وفي هذا السياق، لم تعد مهمة الباحث مقتصرة على ملاحظة السلوك الاجتماعي وتفسيره، بل أصبحت ترتبط بقدرة أكبر على فهم البنى الرقمية التي تنتج التفاعل نفسه، بما تتضمنه من خوارزميات ومنصات وآليات توجيه للخطاب والتواصل. وهو ما يعني أن دراسة المجتمع الرقمي لا تنفصل عن فهم الوسائط التقنية التي تتحكم في إنتاج المعنى وتشكيل العلاقات الاجتماعية داخل الفضاءات الافتراضية.

كما أن الطبيعة المتغيرة للبيئات الرقمية تجعل الميدان الإثنوغرافي فضاء مفتوحا وغير مستقر، إذ يصعب تحديد حدوده الزمنية والمكانية بصورة دقيقة، بخلاف الميدان التقليدي الذي كان يقوم على جماعة اجتماعية ومجال جغرافي واضحين. وهذا ما يفرض على الباحث اعتماد قدر أكبر من المرونة المنهجية في تتبع التفاعلات الرقمية وتحليلها، مع ضرورة الموازنة بين الانخراط في البيئة الافتراضية والحفاظ على المسافة التحليلية اللازمة لإنتاج معرفة علمية دقيقة.

ومن جهة أخرى، فإن تعقيد البيئة الرقمية لا يرتبط فقط بكثافة البيانات أو تنوع أشكال التواصل، بل يتصل أيضا بالطابع المتسارع للتحويلات التقنية، حيث تتغير المنصات وأنماط الاستخدام بصورة مستمرة، مما يجعل أدوات البحث وأساليبه في حاجة دائمة إلى المراجعة والتطوير. ولذلك أصبحت الإثنوغرافيا الرقمية مطالبة بتجاوز النقل الحرفي لأدوات الإثنوغرافيا التقليدية نحو بناء مقاربات أكثر قدرة على استيعاب خصوصية المجتمعات الرقمية وتحولاتها المتواصلة.

وعليه، فإن أهمية الإثنوغرافيا الرقمية لا تكمن فقط في توسيع مجال البحث الاجتماعي، وإنما في إسهامها في إعادة التفكير في طبيعة المعرفة الكيفية وحدودها داخل المجتمع الرقمي المعاصر، خاصة في ظل التحويلات المتسارعة التي تشهدها تقنيات الاتصال والتفاعل الافتراضي.

6. خاتمة:

يتضح من خلال هذا البحث أن الإثنوغرافيا الرقمية لم تعد مجرد امتداد تقني للإثنوغرافيا التقليدية، بل أصبحت تعكس تحولا في طبيعة الممارسة البحثية داخل العلوم الاجتماعية، نتيجة انتقال جزء كبير من التفاعلات الإنسانية إلى البيئات الرقمية. وقد أدى هذا التحول إلى إعادة النظر في مفهوم الميدان الإثنوغرافي، الذي لم يعد مرتبطاً فقط بالمجال الجغرافي المباشر، بل أصبح يشمل الفضاءات الافتراضية بوصفها مجالات اجتماعية تُنتج داخلها أنماط جديدة من التواصل والهوية والمعنى.

كما أسهمت البيئة الرقمية في إعادة تشكيل آليات البحث الكيفي، من خلال بروز أنماط جديدة من الملاحظة والتفاعل وإنتاج البيانات، الأمر الذي فرض على الباحث تطوير أدواته المنهجية بما يتلاءم مع خصوصية المجتمعات الرقمية وطبيعة التفاعل الشبكي المتسارع. ولم يعد الحضور البحثي قائماً على المعاشاة الميدانية التقليدية فقط، بل أصبح يرتبط أيضاً بمتابعة الممارسات الرقمية وتحليل الخطابات والتفاعلات التي تتم عبر المنصات الإلكترونية.

ومن جهة أخرى، أبرزت الإثنوغرافيا الرقمية أن دراسة المجتمعات الافتراضية تقتضي تجاوز التصورات التقليدية للبحث الاجتماعي، خاصة في ظل تعقد العلاقات الرقمية وتداخل الأبعاد التقنية والثقافية داخل الفضاء الشبكي. وهو ما يجعل الباحث مطالباً بفهم السياقات الرقمية وآليات اشتغال المنصات

الإلكترونية، إلى جانب امتلاك قدرة تحليلية تسمح بتفسير الممارسات الاجتماعية في بيئات تتسم بالتغير المستمر والسيولة التواصلية.

وعليه، فإن أهمية الإثنوغرافيا الرقمية تتجاوز مجرد دراسة التفاعل عبر الإنترنت، لتصبح مقارنة منهجية قادرة على تفسير التحولات الاجتماعية والثقافية التي أفرزها العصر الرقمي، خاصة مع التطور المتسارع لتقنيات الاتصال والذكاء الاصطناعي والفضاءات الافتراضية، وهو ما يمنحها مكانة متزايدة داخل البحوث الكيفية المعاصرة.

7. قائمة المراجع المعتمدة:

1. Hine Christine.(2015) .*Ethnography for the Internet*.Bloomsbury.journal of ethnography, V6,N5.
2. Hine Christine .(2000) .*Virtual Ethnography*,journal academy,v1,sage.
3. Kozinets Robert .(2010) .*Netnography*.Sage.
- 4.Martyn Hammersley&Paul Atkinson .(2007) .*Ethnography: Principles in Practice*.Routledge.
5. Montagut Roser Beneito- .(2011) .*Ethnography Goes Online*.Qualitative Research.
6. Murthy Dhiraj .(2008) *Digital Ethnography*V42,N4 .Sociology.
7. Pink Sarah .(2016) .*Digital Ethnography: Principles and Practice*.Sage.
8. Spradley James P. .(1980) .*Participant Observation*.Holt, Rinehart and Winston.

وهم الحياد الكمي وسلطة التأويل الكيفي: أي منهج لفهم الواقع الاجتماعي؟

د. براى توفيق أستاذ محاضر- ب

toufik..brai@univ-tebessa.dz

د. حافى فاطمة أستاذ محاضر- ب

fatma.hafi@univ-tebessa.dz

جامعة الشهيد الشخش العربي التبسي تبسة- الجزائر

ملخص

تناول هذه الدراسة إشكالية العلاقة بين البحوث الكمية والبحاث الكيفية في فهم الواقع الاجتماعي، من خلال إبراز الجدل العلمي حول أي المقاربتين أكثر قدرة على تفسير الظواهر الاجتماعية. تنطلق الدراسة من أن هذا الاختلاف لم يعد مقتصرًا على الجانب التطبيقي، بل امتد إلى مستوى التسمية والفهم المنهجي والمعرفي للبحث العلمي.

توضح الدراسة أن الدراسات الكمية تقوم على القياس الإحصائي، الموضوعية، والتعميم، حيث تهدف إلى اختبار الفرضيات وبناء علاقات سببية اعتمادًا على بيانات رقمية وأدوات منظمة. في المقابل، تركز الدراسات الكيفية على الفهم العميق للظواهر الاجتماعية من داخل سياقها، عبر الملاحظة والمقابلات وتحليل المعاني، مع اعتماد المرونة والاستقراء وبناء النظرية.

كما تكشف الدراسة وجود فروق جوهرية بين المنهجين على مستوى طبيعة البيانات، دور الباحث، أهداف البحث، ونوع التحليل، دون أن يعني ذلك تفوق أحدهما على الآخر، بل إن لكل منهما وظيفة علمية مميزة.

وتخلص الدراسة إلى أن الحل الأمثل لتجاوز هذا التباين هو اعتماد المقاربة المختلطة، التي تجمع بين قوة التفسير الكمي وعمق الفهم الكيفي، بما يسمح ببناء معرفة علمية أكثر شمولاً وواقعية في دراسة الظواهر الاجتماعية.

Abstract

This study examines the problematic relationship between **quantitative and qualitative research** in understanding social reality, highlighting the scholarly debate over which approach is more capable of explaining social phenomena. The study posits that this divergence is no longer confined to the **empirical application** but has extended to the levels of nomenclature, methodological understanding, and the **epistemological** foundations of scientific research.

The study elucidates that **quantitative research** is grounded in statistical measurement, objectivity, and generalizability, aiming to test hypotheses and establish causal relationships through numerical data and structured instruments. Conversely, **qualitative research** focuses on the in-depth understanding of social phenomena within their context, utilizing observation, interviews, and the analysis of meanings, while relying on flexibility, **induction**, and theory-building.

Furthermore, the study reveals fundamental distinctions between the two methodologies regarding the nature of data, the researcher's role, research objectives, and the type of analysis. These differences do not imply the superiority of one over the other; rather, each serves a distinct scientific function.

The study concludes that the optimal solution to transcend this variance is the adoption of a **mixed-methods approach**. By integrating the explanatory

power of quantitative analysis with the interpretive depth of qualitative understanding, researchers can construct a more comprehensive and realistic body of scientific knowledge in the study of social phenomena.

مقدمة:

شهدت العلوم الاجتماعية منذ نشأتها جدلاً إبستمولوجياً عميقاً حول طبيعة المعرفة العلمية وحدود الموضوعية في دراسة الظواهر الإنسانية، حيث انقسم الباحثون بين اتجاه يؤمن بإمكانية إخضاع الواقع الاجتماعي لقوانين القياس الكمي الصارم، واتجاه آخر يرى أن الفعل الاجتماعي لا يمكن فهمه إلا من خلال تأويل المعاني والدلالات التي ينتجها الفاعلون داخل سياقاتهم الثقافية والتاريخية.

وقد تجسد هذا الانقسام في الصراع المنهجي بين المقاربة الكمية التي رفعت شعار الحياد العلمي والقياس الموضوعي، والمقاربة الكيفية التي جعلت من الفهم والتأويل مدخلاً أساسياً لاستكشاف تعقيد الظواهر الاجتماعية.

غير أن الادعاء الكمي بالحياد ظل محل نقد واسع، خاصة مع تصاعد الاتجاهات النقدية والتأويلية التي كشفت أن أدوات القياس ليست بريئة تماماً من الخلفيات النظرية والإيديولوجية التي تشكلها، وأن اختيار المؤشرات، وبناء الفرضيات، وتفسير النتائج، يخضع بدوره لسلطة الباحث ورؤيته للعالم الاجتماعي.

وفي المقابل، وُجّهت للمناهج الكيفية انتقادات تتعلق بسلطة التأويل واحتمال انزلاق الباحث نحو الذاتية وإعادة إنتاج الواقع وفق تمثالاته الخاصة، مما أعاد طرح سؤال الشرعية العلمية وحدود المصدقية في البحث الاجتماعي.

إن هذا التوتر بين «وهم الحياد» في المقاربة الكمية و«سلطة التأويل» في المقاربة الكيفية لا يعكس مجرد اختلاف تقني في أدوات البحث، بل يكشف عن اختلاف أعمق يتعلق بطبيعة الحقيقة الاجتماعية ذاتها: هل هي حقيقة قابلة للقياس والتعميم؟ أم أنها بناء رمزي متعدد المعاني لا يُفهم إلا عبر التأويل والسياق؟

ومن هنا تبرز أهمية إعادة التفكير في العلاقة بين المنهجين بعيداً عن التقابلات التقليدية، عبر مقاربة نقدية تسعى إلى فهم حدود كل منهج وإمكاناته في تفسير الواقع الاجتماعي المركب.

يسعى هذا المقال إلى مناقشة الإشكالية الإبستمولوجية المرتبطة بثنائية المنهج الكمي والمنهج الكيفي، من خلال تحليل الأسس الفكرية التي يقوم عليها كل منهج، والكشف عن حدود ادعاء الموضوعية في البحث الكمي، مقابل مساءلة سلطة التأويل في البحث الكيفي، وصولاً إلى بحث إمكانية التكامل المنهجي باعتباره أفقاً أكثر قدرة على فهم تعقيد الظاهرة الاجتماعية المعاصرة.

1. الاختلافات في التسمية:

كما ذكرنا سالفاً، فقد اختلف الباحثون في تسمية الطرق الكمية والكيفية، ويرجع الفهم لعدة أسباب لعل من بينها الخلفية المنهجية لكل باحث، أو الطريقة التي نقل بها المفهوم من اللغة اللاتينية إلى العربية، فمن يسميها مناهج كمية وكيفية يستند في ذلك لفكرة مفادها، أن البحث أو الدراسة مادامت تسير وفق منهج علمي معين، وهذا الأخير أي المنهج يتسم بطبيعة إما كمية أو

كيفية، فيصح إطلاق تسمية المنهج عليها، كما قام الكثير منهم بنقل كلمة METHOD إلى العربية وترجمتها على أنها منهج، ولكن وبالعودة للترجمة العلمية الصحيحة للكلمة نجد أنها طريقة. أما الذين يسمونها دراسات أو بحوث (وهو المرجح والقريب للصحة)، فمبررهم أن هذه الأخيرة تعتمد على طريق إما كمية أو كيفية، سواء في اختيار عيناتها، أو المناهج التي تسير وفقها، أو طرق تحليل بياناتها، وبالتالي لا يصح تسميتها بالمناهج، لأن المنهج شيء والبحث أو الدراسات شيء آخر، فالأول محتوى في الأخير، وهو جزء منه مهما بلغت أهميته بالنسبة له، وهو جزء من كل مركب، بل يصح تسميتها بالبحوث أو الدراسات.

أما الذين يطلقون عليها مقاربات، فنجد أنهم حين يعرفونها يقولون بأنها تلتط الطرق، أو تلك البحوث، وهم لا يختلفون كثيراً سواء تعلق الأمر بالتسمية أو المضامين مع الذين يسمونها دراسات أو بحوث، ولتزع اللبس عن ذلك سوف نتعرض لمفهوم كل طريقة، من أجل الوصول لفهم جيد ومحاولة التبرير، المنطقي للتسمية.

1.1 مفهوم البحوث الكمية

البحوث الكمية هي تلك التي تقترح تطبيقها في الحقول والموضوعات التي تتمتع بخصائص ثلاث: قابلة للملاحظة، سببية واضحة، وموضوعية عالية ولا نقول تامة.

إن تلك الخصائص هي ما تميز موضوعات أو مواد العلوم التجريبية (على أن نضع جانباً العلوم الرياضية والمنطقية). وتبعاً لذلك يجري إطلاق اسم المناهج التجريبية (أو الامبريقية) على تلك التي يقترح أو يمكن تطبيقها على مادة أو موضوعات العلوم تلك (محمد شياً، 2018، ص 05)

كما تعرف باعتبارها البحث التجريبي المنهجي لظاهرة يمكن ملاحظتها على نحو ما، وتكميمها بواسطة أدوات إحصائية أو رياضية، أو بواسطة تقنيات الكمبيوتر، ويعتمد المنهج الكمي على القيام بالبحث بشكل عملي من خلال استخدام الإحصاءات، والاستبيانات للحصول على النتيجة المطلوبة إذ يتم بجمع النتائج، والبيانات (المطيري، 2020، ص 251) حول ظاهرة معينة باستخدام أدوات قياس كمية تطبق على عينة من المجتمع لكنها تمثله، وتتم معالجة التي يتم جمعها بطريقة إحصائية للوصول إلى نتائج عملية قابلة للتعميم على مجتمع البحث كاملاً (الخرابشة، 2012، ص 93).

من خلال ما سبق يتبين جلياً أن البحث الكمي هو الفحص المنهجي للظواهر الاجتماعية، باستخدام النماذج الإحصائية والنظريات الرياضية لتطوير قاعدة المعرفة العلمية وتجميعها وصقلها، كما يوفر نتائج قابلة للتعميم، ويتميز باختبار الفرضيات، واستخدام عينات كبيرة، ومقاييس موحدة، ومنهج استنتاجي، وأدوات منظمة بصرامة لجمع البيانات.

2.1 مفهوم البحوث الكيفية

المناهج الكيفية مجال بحثي جديد تقريبا، انطلق ببطء في النصف الثاني من القرن العشرين، ثم تسارع تطوره في العقود الثلاثة الأخيرة، فبات له أدبيات، ومجالاته العلمية، ومؤتمرات. وأدواته لم تستقر بعد، وهناك باستمرار كلام على أدوات وتقنيات جديدة تستخدم في المناهج الكيفية (حمد شياً، 2018، ص 07). ويقصد بالبحث النوعي أو الكيفي إجراء دراسات بحثية اعتماداً على الملاحظات الميدانية والمقابلات للحصول على معلومات دون اللجوء إلى الاستخدامات الإحصائية.

ويتطلب ذلك في أغلب الأحيان مشاركة أفراد المجتمع في الفعاليات البحثية التي يمارسها الباحث، لذلك تدعى البحوث النوعية أو الكيفية بالبحوث القائمة على الملاحظة بالمشاركة ويختلف مقدار مشاركة الباحث مع أفراد الدراسة المستهدفين باختلاف طبيعة الدراسة. (موفق الحمداني ، 2006، ص171)

كما يعرف البحث الكيفي على أنه البحث الذي يعتمد على دراسة الظاهرة في ظروفها الطبيعية باعتبارها مصدرا مباشرا للبيانات وتستخدم بياناته الكلمات والصور وليس الأرقام ويعتمد في جمع بياناته على الملاحظة بالمشاركة وإجراء المقابلات وفحص وتحليل الوثائق والمقابلة المتعمقة.. (Bryman, Alan, ,2005, p118)

وهناك ثلاث خصائص تميز البحث الكيفي:

- أن له نظرة استقرائية للعلاقة بين النظرية والبحث، مع أن الأولى مستوحاة من الثانية.
- إن الوضعية المعرفية تصفه بأنه تفسيري بمعنى أنه وعلى عكس تبني النموذج العلمي الطبيعي في البحث الكمي، فإن التأكد فيه يكون على فهم العالم الاجتماعي من خلال تفحص ترجمة ذلك العالم عبر المشاركين.
- الوضعية الأنطولوجية تصفه بأنه بنائي، والذي يعني أن الملكيات الاجتماعية هي نتاج التفاعل بين الأفراد، وليس ظاهرة خارجة أو منفصلة عن أولئك الذين ساهموا في بنائها.

2. الفروق المعرفية والمنهجية بين البحث الكمي والكيفي

يختلف العلماء في مجال مناهج وطرق البحث الاجتماعي في تصنيف البحوث وتقسيمها، من يقسمها حسب طبيعتها إلى بحوث أساسية نظرية وبحوث تطبيقية وهذا النوع من التقسيم هو الأكثر دلالة على نوعين من البحوث حسب مناهجها إلى بحوث كمية وبحوث كيفية. حيث يكون الفرق والاختلاف في طريقة عرض وتقديم البيانات، فبينما يقدم البحث الكمي النتائج بطريقة إحصائية في الغالب، ممثلة بالأرقام يكون عرض البيانات الكيفية بطريقة سردية، باستخدام الكلمات. وبأشكال ورسومات أحيانا، ونادرا ما يعرض بيانات رقمية. (قندليجي ، عمان، 2012، ص42)

ولكن على الرغم من تقسيم البحث بهذه الطريقة، أي ضمن جوهر النظرية والتطبيق، فإن طبيعة مناهج البحث الاجتماعي تجربنا على تصنيف هذا النوع من البحث إلى كمي ونوعي. في هذه الحالة، نظهر الفرق بين التحليل الكمي والنوعي بطرق مختلفة، بعد أن شرحنا التحليل الكمي والنوعي بشكل كامل.

ولا تعني الفروق بينهما أنه توجد أفضلية بينهما، لأنه لكلهما دور أساس في مسار البحث العلمي، لكن تحدد الفوارق بغية توعية الباحث بها. وتتمثل هذه الفوارق بين البحث الكمي وكيفي في مجموعة من الاختلافات في مسألة متعددة نوجزها فيما يلي:

- اختبار النظريات في البحث الكمي مقابل تطوير النظريات في البحث الكيفي: إذا كان البحث الكمي يركز على اختبار النظريات وتعديلها، فإن البحث الكيفي يركز على تطويرها. إن هدف البحث الاجتماعي ليس اختبار الفرضيات، وإنما تكوين الفرضيات والنظريات،

ويرى شتراوس وغلانسر أن اكتشاف النظريات عن البيانات مهمة أساسية لعلماء الاجتماع مثل اختبار النظريات فمن خلال غلانسر أنه لا لزوم للخلاف بين بناء النظرية وبين اختبارها فالوظيفة ثان ضرورتان ويقتضي بعضهما بعضا. (عراي، 2007، ص78).

• **ثبات الحقائق في البحث الكمي في مقابل الديناميكية ومرونة الحقائق في البحث الكيفي:** يؤمن البحث الكمي بأن الحقائق التي تجمع حول سلوك الأفراد ضد طبيعة ثابتة لا تتغير أما البحث الكيفي فهو أكثر مرونة فاعترفوا بالطبيعة الديناميكية المتغيرة للحقيقة (زيتون 2004، ص250) وكما يؤخذ على البحث الكمي انه جامد وساكن لأنه يهمل الطابع الديناميكي والعمليات للسلوك المبحوث من خلال منهجيتها المقننة والمحددة أما البحث الكيفي فهو دينامي ومناسب لفهم التغيرات التي تطرأ على موضوع البحث بل ان المقابلات المفتوحة مثلا تمكن من فهم الأحداث والتطورات ولكن هذا لا يعني ان المناهج الكمية غير مفيدة هنا المنهجين الكم والكيف مناسبان لعرض التغير لكن الفرق يكمن في أن الأول يفهم التغير من الخارج بينما يهتم الثاني بالمعاش الذاتية و يفهم التغيرات من الداخل ويفهم التغيرات من الداخل.

• **موضوعية البيانات في البحث الكمي في مقابل ذاتية البيانات في البحث الكيفي:** يركز الباحث في البحث الكمي على البيانات الرقمية الموضوعية غير ذات السلطة والتأثير بمشاعر الأفراد وأحاسيسهم أي يعتمد على قياسات كمية خالية من القيم ومن ثم تتسم بالموضوعية ويحاول فهم الحقائق من منظور خارجي في حين تهتم الدراسة الكيفية بالبيانات التي تعكس هذه المشاعر والأفكار وليست خارجة عنها أي انه يبحث من منظور داخلي أيعتمد على التفسيرات ويتصف بالذاتية وتؤدي الذاتية من وجهه النظر الذاتية إلى نتائج ينقصها الصدق والثبات (زيتون، 2004، ص ص248-250).

• **المنطلقات والفرضيات عن العالم:** للبحث الكمي نظره فلسفيه تفترض وجود حقائق اجتماعيه وموضوعيه معزولة عن المشاعر ومعتقدات الأفراد ويتم قياسها بأدوات مناسبة تتوفر فيها الخصائص الأساسية من صدق وثبات بينما يفترض البحث الكيفي وجود مؤثرات وحقائق ظاهريه متعددة يتم بناؤها اجتماعيا من خلال وجهات نظر الأفراد والجماعات للمواقف ويسلموا ويسلم البحث الكيفي بأن السلوك الإنساني يكون مرتبط بالبيئة التي تجري بها نشاطات ومعاليم البحث ويعيش فيها المبحوثون بينما تدعو البحوث الكمية إلى عزل السلوك الإنساني عن المحيط الذي يتواجد فيه الأفراد المعنيين بالبحث.

• **هدف البحث:** يسعى البحث الكمي إلى بناء علاقات وتفسير أسباب التغيرات في الحقائق الاجتماعية المقاصدة وتحاول الدراسات الكمية الوصول إلى عموميات غير مرتبطة بالسياق ولا البيئة الاجتماعية التي الذي نفذ فيه الدراسة، أما البحث الكيفي فهو أكثر اهتماما بفهم الظاهرة الاجتماعية من منظور المشاركين انفسهم في العالم الاجتماعي فالعالم الاجتماعي لا يستطيع فهم السلوك الإنساني بدون فهم الاطار الذي يفسر فيه

الأفراد أفكارهم وأفعالهم ويتم التوصل إلى هذا الإطار من قبل الباحثين خلال جمع البيانات وتحليلها. (بو زينة 2007، ص 32..)

● **ثبات نتائج البحث الكمي في مقابل صدق نتائج البحث الكيفي:** تسعى البحوث الكمية والكيفية على حد سواء لتحقيق الثبات والصدق ولكن يركز البحث الكمي بشكل رئيسي على الثبات أي الحصول على نفس النتائج عند تكرار التجربة والحصول على صوره حقيقيه لما يدرس (زيتون، 2014، ص 251).

● **اهتمام البحث الكمي بما هو جزئي في مقابل اهتمام البحث الكيفي بما هو كلي:** إن البحث الكمي يدرس الظواهر الاجتماعية للبنى الاجتماعية أيا لأجزاء للكيات والسبب في ذلك هو انه يريد عزل هذه الظواهر عن سياقاتها الاجتماعية كحال الظواهر الطبيعية؛ بمعنى أن الباحث الاجتماعي يقوم بتحديد المتغيرات وعزل أخرى عن الظاهرة المدروسة وبعد ذلك يبدأ بالتحقق منها أما البحث الكيفي فينتقد هذا المنهج وينطلق من دراسة البنى الاجتماعية والمجتمع كل ويؤكد على أن الظواهر الاجتماعية لا يمكن عزلها عن السياق الاجتماعي من أول من أولويه الكل على الجزء ودراسة الظواهر في سياقها الاجتماعي فيسعى بذلك لتكوين رؤيه كليه كامله عن موضوع الدراسة بينما يدرس البحث الاجتماعي الكمي الظواهر الجزئية.

● **استقرائية البحث الكمي يقابله استنتاجية البحث الكيفي:** إن المنهج الكامل موجه نحو التفسير الاستقرائي واختبار الفرضيات أما المنهج الكيفي فيركز على بناء النظريات دون التشكيك في شرعيه الاختبار وفي البحث الكيفي يحتل تكوين النظريات مركز الصدارة والفرضيات تكتسب من الحق الاجتماعي الذي يتم بحثه وعليه فان تكوين الفرضيات (استقرائي) يتجه من الملاحظة إلى النظرية.

● **يسأل البحث الكمي عن الأسباب (لماذا) في مقابل سؤال البحث الكيفي بـ(كيف):** إن المنهج الكمي تفسيري أي يسال عن الأسباب بينما المنهج الكيفي هو تأويلي يسال منهج كيف. فهناك منهج كيف ومنهج لماذا (القاسم، 2021، ص 347)

● **منهجيته وإجراء الدراسة:** تجري البحوث الكمية وفقا لإجراءات وخطوات تتابعية معدة إعدادا محتما مسبقا يسترشد به الباحث أما في الدراسات الكيفية هناك قدر أكبر من المرونة في ما يتعلق بخطه البحث فالباحث الكيفي يستخدم تصميم ناشئا خلال عمله جمع البيانات تم بناؤه مسبقا قبل جمع البيانات حيث يستخدم تصميميما تجريبييا وصفيا للتقليل الخطأ في موقف معين أيا الخبرة الإنسانية بشكل كلي أولا لذا فان الباحث يأخذ من المقابلات الاستطلاعية الأولى تخمينات تتطور لاحقا إلى فرضيات يعمل على تأكيدها أو نفيها من خلال بقيه معلومات مقابلات وملاحظاته ثم يخرج بالتفسيرات والنتائج.

● **تحليل البيانات وتفسيرها:** يتم تحليل البيانات في البحث الكمي بعد الانتهاء من جمع كل البيانات بينما يتم تحليل البيانات في البحث الكيفي أثناء جمعها وهذا النوع من التحليل يساعد على تحديد الخطوة التالية للبحث في مقابلاته وطبيعة أسئله وإضافة إلى التحليل أثناء

جمع البيانات في البحث الكيفي هناك تحليل شامل في نهاية جمع البيانات لذا يستغرق وتحليل البيانات في البحث الكيفي وقتاً أطول من تحليل البيانات في البحث الكمي. ومن جانب آخر لا تركز البحوث الكيفية على الطرق الرقمية في تفسير البيانات المجمعة بأسلوب سردين إنشائي يعتمد التعبير بعبارات وجمل توضح ماهية وطبيعة تلك الظواهر. إن التعارض الحاصل في قضية الكمي والكيفي مرده المزايا التي تتمتع بها كل مقارنة، ودفاع كل طرف عن مقارنة معينة يعود للعيوب التي يراها في المقارنة الأخرى وفيما يلي سنستعرض أهم مزايا وعيوب كل مقارنة.

إن من مزايا الأسلوب الكمي أنه يوفر تغطية واسعة لمجموعة من المواقف. بالإضافة إلى ذلك، فإن الدراسات الكمية تتميز بالسرعة في الانجاز وموفرة للموارد الاقتصادية، وبشكل عام فهذه الطريقة مناسبة عندما يكون الوقت والموارد محدودة.

ومع ذلك، فإن من بين مساوئ هذا النهج هو أنه غير مرن ومصطنع إلى حد ما. فهو يوفر القليل من الفهم تجاه ردود الأفعال والانطباعات التي يظنها الأشخاص عند محاولة الحصول على معلومة منهم حول الظاهرة موضوع الدراسة، ونتيجة لذلك، يصعب التنبؤ بأي تغييرات على الموضوع المدروس في المستقبل. وكمثال للتوضيح أكثر قد يكون البحث الكمي قادراً على إعطاء فكرة عامة عن العلاقة بين الأداء الوظيفي والكفاءات الإدارية، ولكنه قد تفشل في توفير تفاصيل حول كيفية اختلاف العلاقة لكل فرد ولماذا، وبالتالي، قد لا يكون مفيداً جداً في توليد النظريات أو فهم القضايا بدقة.

إن نقاط الضعف التي تنتج من النهج الكمي تمثل نقاط قوة للنهج النوعي، والذي لديه القدرة على النظر إلى عمليات التغيير بمرور الوقت. بواسطة إجراء المقابلات وملاحظة الظاهرة في سياق زمني غير محدد حتماً، بحيث يوفر أفضل فهم للمعاني التي يقصدها الناس، نتيجة لهذا، فهي أفضل أداة يستخدمها الباحثون الذين يريدون أن يكونوا قادرين على تكوين استنتاجات قد ترتقي لتكوين نظريات في نهاية دراساتهم. علاوة على ذلك، فمن خلال التحدث إلى الناس ومراقبتهم، فإن الباحث يضمن لحد كبير حدوث الظاهرة وسلوك الأفراد بشكل طبيعي في بيئتها الخاصة بدلاً من أن تكون بشكل مصطنع لا يمكنه من الفهم الجيد للظاهرة.

● وبالرغم من المزايا العديدة للمقارنة النوعية فإنها لا تخلو من عيوب بأي حال من الأحوال. وبما أن عملية البحث في معظم الأحيان تعتمد على مقابلات متعمقة وملاحظات دقيقة فإن جمع البيانات يستغرق قدراً كبيراً من الوقت والجهد والموارد المالية. ومن ثم فهي ليست مناسبة للدراسات التي تتطلب محدودية الوقت، كما أن البيانات التي يجمعها الباحث وفق هذه المقاربة يصعب السيطرة عليها والتحكم فيها، وعلى سبيل المثال لا الحصر، من المستحيل أن يحافظ الباحث على نفس الوتيرة والشخصية وردة الفعل خلال المناقشة عند إجراء المقابلة مع أفراد هم أصلاً مختلفون في السلوك وردود الأفعال، ولكل شخصية تميزه، وهذا راجع إلى حقيقة أن الباحث في كثير من الأحيان يشجع المبحوثين على التحدث عن أشياء لا صلة لها بموضوع البحث من وقت لآخر، وسبب ذلك محاولة مراوغة المبحوث أو

السعي لبعث الاطمئنان في نفسه.....الخ، ونتيجة لذلك ، قد يكون تحليل البيانات وإيجاد تفسير لها أمراً شديداً الصعوبة. (عراي، 2007، ص78).

والجدول التالي يبين مقارنة بين البحث الكمي والكيفي

البحث الكمي	النوعي / البحث الكيفي	وجهة المقارنة
الهدف	فهم الظواهر بعمق وتفسيرها	قياس الظواهر والتعميم
طبيعة البيانات	كلمات، ملاحظات، صور	أرقام وإحصاءات
طريقة التحليل	تفسيري، تحليل محتوى	(SPSS...) إحصائي
المنهج	استقرائي	استنتاجي
حجم العينة	صغير وقصدي	كبير ويمثل المجتمع
أدوات جمع البيانات	مقابلات، ملاحظة، وثائق	استبيانات مغلقة، اختبارات
طبيعة النتائج	غير قابلة للتعميم غالباً	قابلة للتعميم
دور الباحث	مشارك وتفسيري	محاذ وموضوعي
نوع الأسئلة	كيف؟ ولماذا؟	ماذا؟ كم؟ إلى أي مدى؟
المرونة	عالية/تصميم مرمر	منخفضة/تصميم صارم
العلاقة مع النظرية	بناء النظريات	اختبار النظريات

يبين الجدول السابق عن اختلاف بنيوي عميق بين المنهج الكمي والمنهج النوعي، لا يقتصر على مستوى الأدوات والإجراءات، بل يمتد إلى طبيعة الرؤية العلمية للواقع الاجتماعي ومنطق إنتاج المعرفة داخل العلوم السوسيولوجية. فالمنهج الكمي يتأسس على هدف مركزي يتمثل في تفسير الظواهر واختبار الفرضيات، من خلال البحث عن علاقات قابلة للقياس بين المتغيرات، وهو ما يجعله موجهاً نحو التعميم وبناء نتائج يمكن إسقاطها على مجتمع أوسع. في المقابل، يتجه المنهج النوعي نحو الفهم العميق للظواهر، حيث لا يسعى إلى تعميم النتائج بقدر ما يركز على استكشاف المعاني والدلالات التي يبنها الأفراد في سياقاتهم الاجتماعية.

ويتجلى هذا الاختلاف بوضوح في طبيعة البيانات التي يعتمد عليها كل منهج؛ إذ يقوم المنهج الكمي على معطيات رقمية يتم تحويلها إلى مؤشرات إحصائية قابلة للتحليل، بينما يركز المنهج النوعي على معطيات وصفية تتجسد في الخطابات والتجارب والسرديات، ما يسمح بالغوص في البعد الذاتي للفاعلين الاجتماعيين. ومن هنا، تختلف أيضاً طريقة التحليل، حيث يعتمد المنهج الكمي على أدوات إحصائية دقيقة تهدف إلى اختبار الفرضيات، في حين يقوم المنهج النوعي على تحليل تفسيري تأويلي يسعى إلى تفكيك المعاني واستخلاص الأنماط الكامنة في الخطاب والسلوك.

وعلى مستوى المنطق المنهجي، يتبنى المنهج الكمي مقارنة استنباطية تنطلق من نظرية أو فرضيات جاهزة يتم اختبارها ميدانياً، بينما يعتمد المنهج النوعي مقارنة استقرائية تنبثق فيها المفاهيم من المعطيات الميدانية ذاتها. ويترتب عن ذلك اختلاف في حجم العينة وطبيعة اختيارها، حيث يسعى المنهج الكمي إلى عينات كبيرة ممثلة إحصائياً لضمان التعميم، في حين يكتفي المنهج النوعي بعينات صغيرة يتم اختيارها بشكل قصدي بهدف تحقيق أكبر قدر من الفهم والتعمق.

كما يظهر التباين في أدوات جمع البيانات؛ فالمنهج الكمي يوظف أدوات معيارية مغلقة مثل الاستبيانات، تضمن توحيد الإجابات وسهولة معالجتها إحصائياً، بينما يعتمد المنهج النوعي على أدوات مرنة كالمقابلات المعمقة والملاحظة بالمشاركة، التي تتيح التقاط تعقيد الظواهر الاجتماعية. وينعكس هذا الاختلاف أيضاً على طبيعة النتائج، حيث ينتج المنهج الكمي معرفة قابلة للتعميم لكنها قد تبدو محدودة من حيث إدراك المعنى، في حين يوفر المنهج النوعي معرفة عميقة ومشبعة بالسياق، لكنها تظل محدودة من حيث قابلية التعميم.

أما دور الباحث، فيتخذ موقعين مختلفين في كلا المنهجين؛ ففي المنهج الكمي يُفترض فيه الحياد والانفصال النسبي عن موضوع الدراسة حفاظاً على الموضوعية، بينما في المنهج النوعي يُعدّ الباحث فاعلاً أساسياً في إنتاج المعرفة، يتفاعل مع الميدان ويؤثر فيه ويتأثر به، ما يستدعي حضوراً نقدياً وانعكاسياً دائماً. ويوازي ذلك اختلاف في طبيعة الأسئلة، حيث تكون مغلقة ومحددة في المنهج الكمي، مقابل أسئلة مفتوحة ومرنة في المنهج النوعي، الأمر الذي يعكس أيضاً درجة المرونة في كل منهج، إذ يتميز الأول بالصرامة والثبات، بينما يتسم الثاني بالمرونة وقابلية التعديل.

وأخيراً، تتحدد العلاقة مع النظرية بشكل متباين؛ فالمنهج الكمي ينطلق من نظرية قائمة يسعى إلى اختبارها، بينما يعمل المنهج النوعي على بناء النظرية من داخل المعطيات أو إعادة صياغتها. وبذلك، يتضح أن المقارنة لا تعكس تعارضاً بقدر ما تكشف عن تكامل وظيفي، حيث يساهم كل منهج في إضاءة جانب معين من الظاهرة الاجتماعية، وهو ما يفسر الاتجاه المتزايد نحو اعتماد المقاربات المختلطة في البحوث السوسيولوجية المعاصرة (عبيدات وآخرون، 2011، ص 64)

3. ما هو البديل.....؟

في ظل التجاذبات والتعارض بين أنصار المقاربة الكمية والمقاربة الكيفية، ومن أجل تجاوز غيوب كل مقاربة، وكذا الاستفادة من مزايا كل منها، اقترح العديد من الباحثين اللجوء لتبني المقاربة الكلية وتسمى أيضاً بالمقاربة المختلطة، فالحل عندما يواجه الباحثون في علم الاجتماع مشكلة مع التعميم وفهم الأفكار، من الأفضل دمج كلا المقاربتين كلما أمكن ذلك. ففي معظم الحالات، يمكن أن يبدأ البحث بنهج كمي من أجل جمع الحقائق المناسبة لاكتساب فهم عام بشأن ظاهرة معينة. وبعد ذلك ينتهي بنهج نوعي من أجل فهم جيد للحقائق المعممة. كما يمكن أن تبدأ الدراسة بنهج نوعي للبحث المتعلق بالحقائق الجديدة عبر استخدام دراسة الحالة أو الملاحظة بالمعايشة للفهم الجيد للظاهرة محور الدراسة، وينتهي بنتائج تكون الأساس لتطوير الاستبيان الذي يؤدي إلى الدراسة الكمية، لذا وجب على الباحث الجيد في العلوم الاجتماعية التعرف على فوائد الحصول على أفضل ما في المقاربتين خلال الجمع بين تقنيات الكمي والنوعي. في نفس الوقت، سعيًا لتحسين الأساليب المختلفة لضمان جودة البحث.

وفي هذا السياق يرى Trochim أنه يجب على الباحثين ألا ينشغلوا في الاختلافات بين البحث النوعي والكمي. لأن جميع البيانات الكمية تستند إلى الأحكام النوعية؛ ويمكن وصف جميع البيانات النوعية ومعالجتها. Trochim, W. M. K. (2006)

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة، يمكن القول إن الجدل القائم بين المقاربة الكمية والمقاربة الكيفية لا ينبغي أن يُفهم باعتباره صراعاً لإثبات تفوق أحدهما على الآخر، بقدر ما هو اختلاف في الرؤية المنهجية لكيفية دراسة الواقع الاجتماعي وفهمه. فكل مقاربة تنطلق من أسس معرفية وأدوات تحليلية خاصة بها، وتساهم بطريقة متميزة في إنتاج المعرفة العلمية.

لقد أظهرت الدراسة أن المنهج الكمي يتميز بالدقة والموضوعية وإمكانية التعميم، في حين يمنح المنهج الكيفي عمقاً في الفهم وتفسيراً للسياقات الاجتماعية والمعاني التي يحملها الفعل الإنساني. ومن هنا فإن الاختصار على أحدهما فقط قد يؤدي إلى إغفال جوانب مهمة من الظاهرة المدروسة. وعليه، فإن الاتجاه نحو المقاربة المختلطة يمثل خياراً علمياً أكثر نضجاً وواقعية، لأنه يسمح بالجمع بين قوة التفسير الكمي وعمق التحليل الكيفي، بما يضمن إنتاج معرفة اجتماعية أكثر شمولاً ودقة. وبالتالي، فإن مستقبل البحث في العلوم الاجتماعية يتجه نحو التكامل المنهجي بدل الثنائية المتصارعة، في سبيل فهم أعمق وأكثر اتساعاً للواقع الاجتماعي المعقد.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المراجع باللغة العربية:

1. بو زينة، فريد كامل، وآخرون. (2007). (مناهج البحث العلمي: طرق البحث النوعي) ط2. عمان: دار المسيرة.
2. الحمداني، موفق، وآخرون. (2006). (مناهج البحث العلمي: أساسيات البحث العلمي) ط1. عمان: مؤسسة الأوراق للنشر والتوزيع.
3. الخرابشة، عمر محمد عبد الله. (2012). (أساليب البحث العلمي) ط2. عمان: دار وائل.
4. زيتون، كمال عبد الحميد. (2004). (منهجية البحث التربوي والنفسي من المنظور الكمي والكيفي) ط1. القاهرة: عالم الكتب.
5. شياً، محمد. (2018). (المنهجيات الكمية والكيفية في العلوم الإنسانية والاجتماعية) محاضرة أقيمت في المعهد العالي للدكتوراه. الجامعة اللبنانية، 8 أكتوبر 2018.
6. عبيدات، ذوقان، وآخرون. (2011). (البحث العلمي: مفهومه، أدواته، أساليبه). عمان: دار الفكر.
7. عرابي، عبد القادر. (2007). (المناهج الكيفية في العلوم الاجتماعية). دمشق: دار الفكر.
8. القاسم، ميادة. (2021). الفوارق بين المناهج الكيفية والمناهج الكمية في البحوث الاجتماعية: دراسة لتحقيق التكامل البحثي بين المنهجين. المجلة العربية للنشر العلمي، (30).
9. قندليجي، عامر إبراهيم. (2012). (البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والإلكترونية) ط3. عمان: دار المسيرة.
10. المطيربندر ناهي مخلف، العلاقة بين المنهج الكمي والكيفي مع تعريف لكل منهج ومميزاته وعيوبه واستخداماته. قسم الدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود.

ثانياً: المراجع باللغة الأجنبية

1. Bryman, A. (2005). *Research Methods and Organization Studies*. London & New York: Routledge.
2. Bryman, A. (2012). *Social Research Methods* (4th ed.). Oxford: Oxford University Press.
3. Trochim, W. M. K. (2006). *The Qualitative Debate*. Research Methods Knowledge Base. <http://www.socialresearchmethods.net/kb/qualmeth.php> (accessed 17/06/2022).

البحوث الاجتماعية من الوصف والتفسير العلمي الى التصميم والتطبيق التقني نحو منهج سوسيو تقني جديد ' مبتكر' في مجال العلوم الاجتماعية"دراسة تحليلية

د.بيه برناوي

مخبر علم النفس العصبي المعرفي والاجتماعي

bernaoui-bia@univ-eloued.dz

أ. عائشة برناوي

Achadzb@gmail.com

جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي – الجزائر

الملخص:

تتناول هذه الورقة البحثية التحول العلمي للبحوث الاجتماعية. بحيث أصبحت هذه الأخيرة تتميز بالمرونة في البحث من بحوث اجتماعية تشتمل على الوصف والتفسير العلمي الى بحوث سوسيو تقنية في مجال العلوم الاجتماعية تشمل التصميم والتطبيق التقني. و باستحداث هذا التوجه السوسيو تقني الجديد الذي يراعي المتطلبات الاجتماعية للعصر الرقمي مما يجعل من هذه الدراسات البحثية اكثر نجاعة في التطبيق الفعلي وذات قيمة مجتمعية وهذا ما يؤدي الى إمكانية ظهور منهج سوسيو تقني جديد وفق هذا التوجه السوسيو تقني الجديد الذي يظهر في صورة البحوث السوسيو تقنية في مجال العلوم الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: البحوث الاجتماعية، البحوث السوسيو تقنية، المنهج السوسيو تقني، التوجه السوسيو تقني. التصميم. التطبيق التقني. مبتكر.

Abstract:

This research paper examines the scientific transformation of social research. Social research has become more flexible, shifting from purely descriptive and interpretive social research to socio-technical research within the social sciences, encompassing design and technological application. This new socio-technical approach, which considers the social demands of the digital age, makes research studies more effective in practical application and more valuable to society. This, in turn, could lead to the emergence of a new socio-technical methodology, manifested in socio-technical research within the social sciences.

Keywords Social research, socio-technical research, socio-technical methodology, socio-technical approach, design, technological application, innovative.

1. مقدمة:

تتصف البحوث الاجتماعية بعدة خصائص مترابطة، مما يجعلها من البحوث الرائدة التي تؤدي دورا فاعلا هاما في شتى المجالات العلمية والأكاديمية، إذ أسهمت هذه الأخيرة في تقدم العديد من الدول وتطورها سواء من الناحية الاجتماعية أو التكنولوجية أو الثقافية أو الاقتصادية والسياسية وغيرها... فالبحوث الاجتماعية باعتبارها نتيجة لجهود باحثين ودارسين في مجال

العلوم الاجتماعية بتفردھا بدراسة الحياة الاجتماعية.و التي تطورت عبر مراحل وحقب وازمنة طويلة من خلال البحث في المشكلات الاجتماعية ومدى تفاعلھا مع البيئة المجتمعية التي رافقت تطور الحياة الاجتماعية ككل متأثرة بذلك بالعديد من العوامل والاحداث الاجتماعية التي شهدھا العالم مما عزز حضورھا القوي وانعكس ذلك على تطور النوعي للأدوات جمع البيانات و مناهج البحث التي تعتبر ضرورة حتمية و أساسية في هذه البحوث بهدف رسم معالم منهجية دقيقة. اذ تقوم هذه الأخيرة على الاستقصاء المنظم الذي يهدف الى إضافة معارف علمية جديدة يتم اختبارھا بهدف التحقق العلمي باستخدام مناهج علمية.و التي بدورها تمثل في جملة من القواعد العامة تحدد الإجراءات العلمية والعمليات العقلية .

وبالتالي اعتمدت هذه البحوث على عدة مناهج كمفاهيم قابلة للتطبيق في مجال العلوم الاجتماعية اذ تتميز بمحاولة فهم وتفسير الظواهر من اجل الوصول الى مرحلة التعميم كون المادة المدروسة للظاهرة الاجتماعية لها خاصية التعقيد.مما يصعب ضبطھا وقياس موضوعھا.

وفي ضل التطور العلمي والتكنولوجي في عصر رقمي تشكل توجه سوسيوتقني جديد في مجال العلوم الاجتماعية. اذ أصبحت البحوث الاجتماعية من البحث في عملية الوصف والتفسير العلمي الى التصميم والتطبيق التقني من خلال التطبيق الفعلي.وبذلك تنتقل منهجية التفكير بربط الجوانب الاجتماعية والتقنية في محاولة الاستفادة من هذا المزج العلمي الذي يساهم في حل المشكلات الاجتماعية والتقنية المعقدة ويتقاطع مع العديد من التخصصات الاجتماعية مع نظيراتها من العلوم التقنية وبالتالي ظهور ما يسمى بنهج سوسيوتقني جديد يمزج بين الجانبين السوسيولوجي و التقني 'التكنولوجي'. وبهذا التوجه في البحوث الاجتماعية من الوصف والتفسير الى التصميم والتطبيق التقني الذي انعكس على منهجية التفكير بإمكانية انشاء منهج سوسيوتقني جديد يراعي متطلبات هذه البحوث ذات توجه سوسيوتقنية .

ومنه طرح التساؤل التالي: كيف تحولت البحوث الاجتماعية من خاصية الوصف والتفسير الى خاصية التطبيق الفعلي والتصميم التقني ؟

2. أهمية الدراسة:

تكمن أهمية موضوع دراسة في القيمة العلمية التي يحقق من خلالها أي باحث نتائج ايجابية يمكن الاستفادة منها في مجالات عدة :العلمية أو المنهجية أو العملية أو التطبيقية أو حتى اجتماعية .

وبالتالي تتمثل أهمية هذه الدراسة البحثية في كونھا تسلط الضوء على التحول الذي عرفته البحوث العلمية في مجال العلوم الاجتماعية في الآونة الأخيرة. بحيث أصبحت البحوث الاجتماعية من اعتمادھا على الوصف والتفسير العلمي الى التصميم والتطبيق التقني، اذ لم يعد البحث الاجتماعي مجرد أداة لفهم الواقع بل تجاوز ذلك الحدود الضيقة واصبح وسيلة فاعلة للتدخل الفعلي وتقديم حلول اكثر فعالية بتصميم أدوات علمية مدعمة بالجانب التقني الرقمي. باعتبار ان هذه الدراسة تركز أساسا على نقطة مفصلية في البحث الميداني التطبيقي والمتمثلة في التكامل بين البعد ين النظري والتطبيقي الذي شكلا ترابط وثيق الصلة بين جوانب الاجتماعية والتقنية مما عزز جودة وفعالية هذه البحوث السوسيوتقنية.

كما تكمن أهمية هذه الموضوع في كونها تعزز إمكانية ظهور منهج سوسيوثقني جديد يعالج الاختصار القائم للبحوث الاجتماعية التقليدية على الجوانب الوصفية. مما يجعل البحوث السوسيوثقنية أكثر نجاعة في التطبيق الفعلي للحلول و التي استدعت الحاجة لضرورة بناء منهج جديد يواكب التغيرات التي طرأت على البحوث الاجتماعية وتشكل المحور الأساسي في استكشاف حقيقة و إثراء معرفة جديدة لأي دراسة علمية باعتبارها أساس نجاح الباحث و توجيهه.

3. أهداف الدراسة: يهدف من خلال هذه الورقة البحثية الى تحقيق اهداف رئيسية نذكرها أولاً - يهدف هذا البحث الى محاولة فهم كيف تحولت البحوث الاجتماعية من خاصية الوصف والتفسير الى خاصية التطبيق الفعلي والتصميم التقني .

ثانياً - الهدف من هذه الورقة للبحثية هو التركيز على هذا التوجه العلمي الجديد من خلال تأصيله العلمي والبحث على بؤادر الظهور الأولى.

ثالثاً - تقديم رؤية حول إمكانية ظهور منهج سوسيوثقني جديد في مجال العلوم الاجتماعية وذلك من خلال عوامل عدة تعكس التوجه جديد الذي اخذ منحى اخر من خلال المزاوجة بين مجلي العلوم الاجتماعية والعلوم التقنية (التكنولوجية).

4. الاطار المفاهيمي للدراسة:

1.4. تعريف البحوث الاجتماعية:

تعرف البحوث الاجتماعية على انها "عملية تقصي مقصود ودقيق، ومنظم لوقائع أو ظواهر أو أحداث اجتماعية من أجل اكتشاف ماهيتها والوصول الى القوانين التي تحكم العلاقات بينها وتفسيرها بالإنباع المنهج العلمي، من أجل إقرار المعرفة العلمية بالظواهر الاجتماعية مما يساعد على فهمها ومن ثم التنبؤ بها وتوجيه مسارها" (عادل احمد، وعزالدين، 2019، 165).

بمعنى أن البحوث الاجتماعية هي بحوث علمية يقوم الباحث من خلالها بعدة خطوات محددة تهدف لتحقيق غاية معينة. فهو نشاط علمي يتم من خلاله استخدام عدة مناهج علمية بهدف التحقيق الميداني للخروج بنتائج تفسر الظاهرة الاجتماعية لكشف حقيقة ما وذلك عبر تقنيات وأدوات علمية.

2.4. تعريف البحوث السوسيوثقنية:

يعرف إيمري (1980) أن البحث السوسيوثقني يدور حول المنافع المتبادلة المستمدة من تقاطع العناصر الاجتماعية والتقنية". (Papagiannidis, 2022, 207).

وبالتالي فالبحوث السوسيوثقنية هي تلك البحوث العلمية في مجال العلوم الاجتماعية التي توازن بين الجوانب الاجتماعية والتقنية وتشير الى تلك الترابط الحتمي لبناء حلول مجتمعية.

فالبحوث السوسيوثقنية هي الطريقة التي يستخدمها العلماء الاجتماعيون والمهتمون بالدراسة في مجالات اجتماعية بمختلف تخصصاتها الفرعية كعلم الاجتماع وعلم النفس وعلوم التربية وغيرها. والتي يهدف من خلالها دراسة الظواهر الاجتماعية بمختلف الزوايا من خلال التحقق العلمي بالاستخدام طرائق ومناهج علمية ومن ثم الوصول الى نتائج واستخلاصات تقودهم الى التطبيق العملي من خلال تصميم تقنيات وتطبيقات عملية للمنتجات او الخدمات التي تلبى الاحتياجات ...

ومنه تصبح البحوث السوسيوثقافية هي تلك البحوث الاجتماعية بطبيعتها والتي يستعين من خلالها الباحث الاجتماعي الى الجانب التقني في إيجاد حل تطبيقي عملي وهذا بعد استخلاص نتائج دراساته الميدانية ثم دمج الجانب الاجتماعي مع الجانب التقني.

3.4. تعريف المنهج:

1.3.4 تعريف المنهج: هو الطريق الواضح والمستقيم، الذي يقضي بصحيح السير فيه الى غاية مقصودة، بسهولة ويسر ومن هذا الأصل جرى استعمال لفظ المنهج، لتعني بوجه عام "وسيلة محددة توصل الى غاية معينة". نهج نهجاً تعني اتخذ منهاجاً أو طريقاً للوصول الى غاية. (الخولي، 2020، 24)

وبالتالي فالمنهج في اللغة العربية هو على وزن مفعول والمفعول بفتح الميم اسم مكان، وبكسرهما اسم آلة، والمنهج من النهج وهو: الطريق، وقد نهج الطريق بينه، والمنهاج الطريق المستقيم، وأنهج الطريق وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً بيناً.

2.3.4. اصطلاحاً:

فهو: "مجموع الطرائق الرئيسية التي يسلكها الباحث أثناء جمعه للمعطيات التي سيختبر بها فروضه، موظفاً مجموعة من الأدوات والتصاميم التي تتناسب وخصوصيات هذه الطرائق". (بن جخل، 2019، 13)

أي ان المنهج بهذا التعريف هو الطريق المستقيم وهو وسيلة محددة توصل الى هدف وغاية معينة.

كما عرف المنهج باعتباره: "فن التنظيم الصحيح لسلسلة الافكار من الكشف عن المعرفة حين نكون بها جاهلين أو للبرهنة عليها للآخرين أو اثباتها" (بني يونس، 2018، 11)

وبالتالي يشير المنهج الى مجمل العمليات العقلية والى طريقة التفكير في البحث والتقصي للمعلومة من مصادرها والتحقق من صحتها.

ويعرف أيضاً بأنه: "آلية إيجابية فعالة لتعامل الانسان مع وقائع عالمه، تقوم على التأزر والتحاوّر بين قدرات الذهن ومعطيات الحواس، وهذه آلية كامنة في كل عقل بشري". (العيّمش، 2021، 55)

ومن خلال هذه التعريفات حول المنهج الذي يعبر عن الأسلوب او الطريقة او الكيفية التي يتحقق من خلالها الباحث عن نتائج دراسته بهدف الوصول الى غاية معينة.

4.4. تعريف المنهج السوسيوثقافي:

هو منهج يركز على الترابط بين أداء النظم الفرعية الاجتماعية والتكنولوجية للمنظمة، وعلاقة المنظمة ككل بالبيئة التي تعمل فيها". (2022, 206 papagiannidis).

فالمنهج السوسيوثقافي هو نشاط علمي يعتمد على الجوانب التطبيقية في دراسة الظواهر الاجتماعية. بحيث يعتمد على تقاطع المجالين (الاجتماعي – التقني) للخروج بحول أكثر فعالية. ومنه نستنتج أنه نشاط علمي يتبعه الباحث في مجال العلوم الاجتماعية. بحيث يجمع هذا النشاط بين عملي الوصف والتفسير الاحداث الاجتماعية والتصميم والتطبيق الفعلي في البحوث

الاجتماعية من خلال تحويل نتائجها الميدانية الى حلول مبتكرة مستندة على الجانبين الاجتماعي والتقني.

5.4. تعريف النظرية السوسيوثقافية للمنهج السوسيوثقافي:

يؤكد منظور السوسيوثقافي أن المنظمات تتكون من أفراد ينتجون منتجات أو خدمات باستخدام تقنية معينة، وأن كل فرد منهم يؤثر على تشغيل التقنية وملاءمتها، بالإضافة الى تصرفات الأفراد الذين يشغلونها".
(papagiannidis, 2022, 206).

6.4- مفهوم التوجه السوسيوثقافي:

يعبر مفهوم التوجه السوسيوثقافي على نهج علمي جديد انتهجه الباحثين والدارسين والمهتمين في مجال العلوم الاجتماعية في دراساتهم وبحوثهم الاجتماعية. بحيث أصبحت البحوث الاجتماعية لا تكتفي بتشخيص الظاهرة الاجتماعية ووصفها في بيئتها الاجتماعية فقط. بل تجاوزت تلك الحدود الضيقة وأصبحت من خلال نتائج هذه الدراسات تضيف حلولاً وتصميمات تقنية مستندة على تقنيات التكنولوجيا في ذلك.

وبالتالي يتجه الباحث في العلوم الاجتماعية من خلال نتائج دراساته من الوصف والتفسير الدقيق الى إيجاد حل تقني متمثلة في تصميمات وابتكارات جديدة، في عدة المجالات كالمجال العلوم الاجتماعية، الشعبة علوم التربية، التخصص. تربية خاصة

مثالاً كيف يتم تكيف أطفال الإعاقة السمعية:

الموضوع . الإعاقة السمعية للأطفال

العنوان الدراسة . المميزات النفسية للمعاقين سمعياً واستراتيجية تأهيلهم

نتائج الدراسة . تصميم برنامج تأهيلي للأطفال المعاقين سمعياً

حل تقني. منصة الكترونية تعنى بالتأهيل بهذه الفئة من الأطفال المعاقين سمعياً يديرها اخصائيين تربويين ونفسانيين واطفونيين.

وبالتالي هذا النوع من التوجه الذي خلقته الحاجة الاجتماعية كضرورة حتمية في انتقال بالبحوث الاجتماعية من مرحلة التفسير والوصف بهدف التعميم الى التصميم التقني والتطبيق الفعلي بالاستفادة من تقنيات تكنولوجيا توابك العصر.

5.التاصيل النظري للمنهج السوسيوثقافي:

1.5. بواذر ظهور التوجه السوسيوثقافي

لقد شهدت الساحة العلمية والأكاديمية تحولاً ملحوظاً يجمع بين التطور والتوجه البحثي في مجال البحوث الاجتماعية من خلال فرض عدة طرق مستحدثة تجمع بين عدة تخصصات في مختلف زوايا من البحث مما صعب مهمة النظر في طبيعة المشكلات المجتمعية وتعدد أنواعها. بحيث أصبحت الظواهر الاجتماعية أكثر تعقيداً مما كانت عليه في السابق وبالتالي ظهرت بواذر جديدة وممهدة لاستحداث توجه جديد يواكب هذه التغيرات في منظومة البحوث الاجتماعية من بحوث تقليدية تعتمد في استنتاجاتها على الوصف الدقيق والتفسير الى بحوث ترتكز على حلول تطبيقية اعتمدا على الجانبين الاجتماعي والتقني على حد سواء.

وهذا ما يؤكد عالم الذكاء الاصطناعي رانجيت سينغ في Data & Society (2024)، بقوله 'نقوم بإجراء أبحاث سوسيو تقنية. ببساطة، فإن البحث السوسيو تقني يفترض أن مشكلات التكنولوجيا في جوهرها مشكلات اجتماعية'. (Singh,2024,9)، وهنا يؤكد سينغ على وجود ترابط بين المجالين الاجتماعي والتقني على حد سواء .

ومع هذا التقاطع بين مجالين (اجتماعي - تقني) الذي يعد من بين العوامل والأسباب لظهور بوادر جليلة تظهر الهدف من هذا التوجه السوسيو تقني الذي يعتبر قديم النشأة وحديث المظهر في إمكانية تطبيقه على البحوث الاجتماعية الذي اضفى عليها صبغة جديدة ومبتكرة في نتائجها وحتى في طريقة التفكير في حل المشكلات التي تعانيها المجتمعات بضرورة اللجوء الى تصميمات تطبيقية في حل هذه المعضلات التي يشهدها العالم في هذا العصر الرقمي.

ومع هذا التوجه الجديد في البحث الذي يركز أساسا على نهج سوسيو تقني جديد والذي يهتم بربط علاقة تفاعلية بين الجانبين الاجتماعي والتقني والدمج بينهما واهتمامه بالجانب التطبيقي الفعلي.

هذا النهج الذي استحدث حديثا بعد عدة دراسات وابحاث في المجال كانت له جذور تاريخية للنظرية السوسيو تقنية في مجال الأنظمة الاجتماعية و المنظمات وبالتالي يمكن القول حسب هذه النظرية فقد تم 'اقتراح لنهج سوسيو تقني للاعتراف بأهميته في المجتمع. كما أن الجوانب الاجتماعية ذات أهمية بالغة في عملية التصميم. وبالتالي فالبحوث الاجتماعية تستفاد بشكل كبير من هذا الجانب'. (2022,206papagiannidis).

وبالتالي كانت هذه النظرية السوسيو تقنية الأثر البالغ في ظهور بوادر هذا التوجه في مجال العلوم الاجتماعية ومن ثم إمكانية ظهور منهجا جديدا يراعي متطلبات هذه الدراسات والأبحاث الاجتماعية - التقنية.

2.5. الجذور النظرية للتوجه السوسيو تقني:

وكانت البدايات الأولى لمرجعية النهج السوسيو تقني في بدايات القرن الماضي على يد عدد من الرواد الأوائل الذين حاولوا ربط النظام الاجتماعي بالنظام التكنولوجي بهدف معرفة التفاعل بينهما في بيئة عمل. وبالتالي ترجع الجذور الأولى لهذا التوجه للنظرية السوسيو تقنية في خمسينيات القرن الماضي وبالتالي توثق كأول مرحلة تمهيدية لوجود نهج جديد يعنى بالترابط الاجتماعي - التقني في مجال العلوم الاجتماعية.

1.2.5. المرحلة الأولى ما بين (1950 الى 1981)

أولا: النظرية السوسيو تقنية

1. نشأة النظرية السوسيو تقنية

نشأت النظرية الاجتماعية التقنية في خمسينيات القرن الماضي في معهد تافيس توك بلندن بقيادة "تريست" و "بامفوت" و "أيمري" وكانت نتاجا لبحوث علمية قائمة على الصناعة التي ركزت على تعدين الفحم، وبنيت هذه النظرية على أساس النظم المفتوحة ووعدت بنموذج جديد يتعدى الضرورة التكنولوجية السائدة آنذاك، لصالح نهج ينظر الى البشر على أنهم أكثر من مجرد إمدادات لآلات كما إنحرف النموذج السوسيو تقني المقترح عن فكرة إمكانية الاستغناء عن

الناس الى منظور ينظر فيه الى الأفراد باعتبارهم "موردا يجب تطويره" وتشجيع التعاون والالتزام والبيئة المخاطرة على عكس المنافسة والاعترا ب والحد الأدنى من مستويات المخاطرة على التوالي". (2022,206papagiannidis).

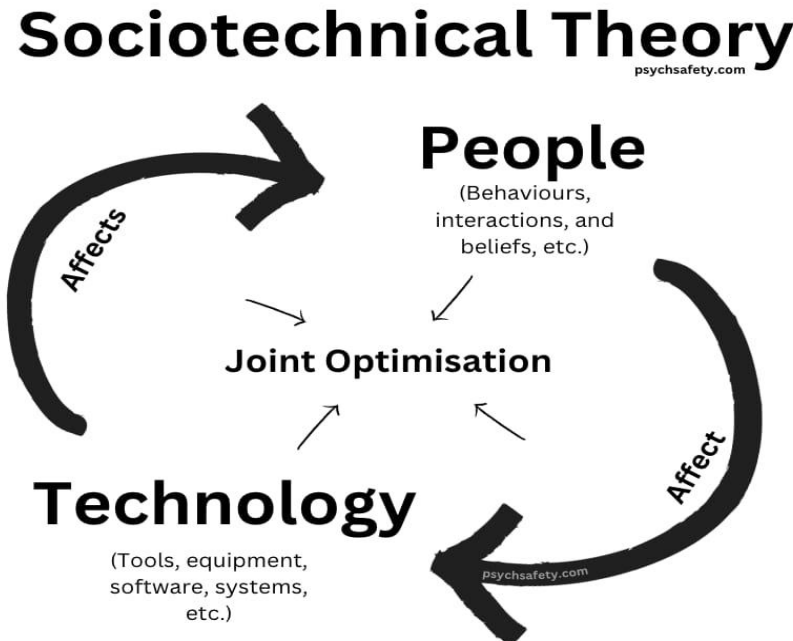
فالنظرية سوسيوتقنية هي نظرية تنظيمية تتصور عملاً معيناً أو نظاماً آخر في ضوء أنظمة الفرعية الاجتماعية والتقنية المكونة له، بهدف تحقيق نجاح النظام من خلال التحسين المشترك. 2. الفكرة الأساسية للنظرية :

تتضمن هذه النظرية في جوهرها فكرة مفادها: أن تصميم وأداء أي نظام تنظيبي لا يمكن فهمه وتحسينه إلا إذا تم الجمع بين الجوانب "الاجتماعية" و "التقنية" ومعاملتها كأجزاء مترابطة في نظام معقد". (<https://business.leeds.ac.uk>)

وبالتالي تنظر النظرية السوسيوتقنية بصورة عامة الى مصطلح (السوسيوتقني) على حسب تعبيرها على تلك الترابط الوثيق الصلة بين الجانبين الاجتماعي والتقني.

كما تسعى هذه النظرية الى تحديد وفهم الصلة بين الجوانب الاجتماعية والتقنية للمنظمة (كوفانو، 2024، 2) مما يعكس اهتمامها بتجربة الانسان داخل الأنظمة. (H Walker. 2008. 18). 3. نموذج النظرية السوسيوتقنية

الشكل رقم يبين مخطط لنموذج النظرية السوسيوتقنية
الشكل رقم (1) يبين مخطط لنموذج النظرية السوسيوتقنية (Iterum, 2023, 1)



2.2.5. المرحلة الثانية مابين (1981)

ثانيا نظرية النظم السوسيو تقنية (STS) :

1. نشأة النظرية السوسيو تقنية (STS) :

وهي كتطوير لما جاءت به النظرية السوسيو تقنية و هي نهج متعدد التخصصات تركز على تفاعل بين العناصر الاجتماعية التقنية داخل المنظمة، فهو يدرك أن المنظمات ليست تقنية أو اجتماعية بحتة ولكنها مزيج من الاثنين معا، مما تؤكد النظرية على الحاجة الى تصميم أنظمة عمل تأخذ في اعتبار العوامل البشرية والتكنولوجيا لتحسين الأداء والكفاءة ورفاهية الموظفين، نشأت في مجال التطوير التنظيمي ولها تطبيقات في مختلف الصناعات".

(Roba& Michael, 2022, 206)

2. مبادئ النظرية السوسيو تقنية (STS) :

ومن أهم مبادئها:

التفاعل بين العوامل الاجتماعية والتقنية: داخل المنظمة من خلال خلق الظروف اللازمة أو دون المستوى الأمثل أداء".

(كوفانو، 2024، 2)

الأول: يتعلق بطبيعة التفاعلات بين المكونات الاجتماعية التقنية في تحديد درجة نجاح النظام. الثاني: يتعلق بمدى ملائمة العوامل الاجتماعية التقنية للمنظمة، مما يؤدي الى حالة مثالية للنظام الأعلى، تمت تسمية هذه الملائمة رسميا بالتحسين المشترك، والذي يشير بشكل أساسي الى الاعتبار المتساوي للعناصر التقنية والبشرية طوال عملية التصميم أو إعادة التصميم الاجتماعي التقني وهذا يستلزم تحقيق أفضل تطابق بين متطلبات الأنظمة الاجتماعية التقنية يتم تنفيذ مبادئ النظرية، وبشكل خاص مبدأ التحسين المشترك من خلال عملية التصميم الاجتماعي التقني أو إعادة تصميم أو بعض أشكال التدخل الاجتماعي التقني الأخرى اعتمادا على وحدة التحليل في كل مشروع. (كوفانو، 2024، 2)

وبالتالي يشير مفهوم التحسين المشترك حسب هذه النظرية الى 'إنتاج ونشر المعلومات مثل المعلوماتية'.

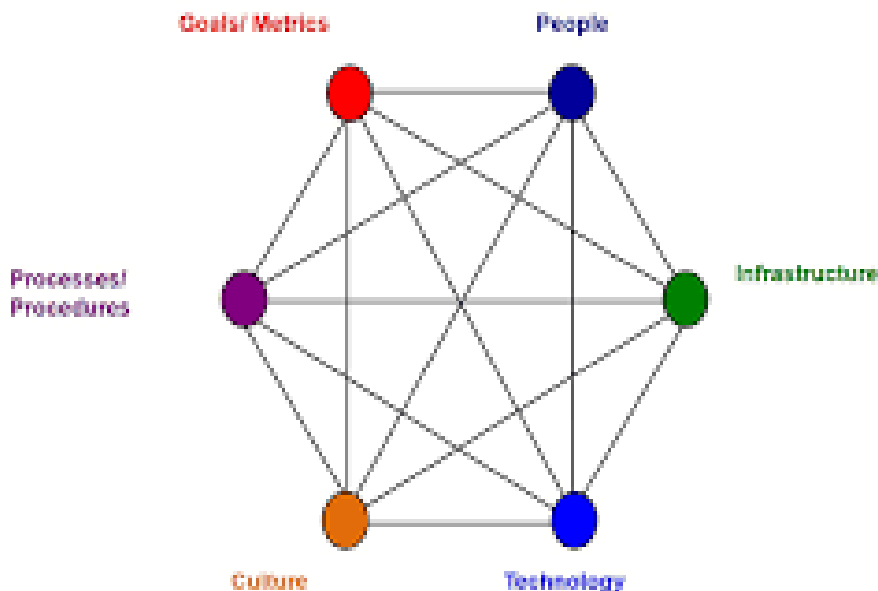
(H Walker, neville , paul, Danial. 2008. 30_H Walker)

وبالتالي فالمنظور السوسيو تقني منظور نظري و فلسفي، باعتباره نهجا متكون من مزيج من اجتماعي وتقني واعد في انحرافه عن الحتمية التكنولوجية وتأكيده على التحسين المشترك للأنظمة الفرعية الاجتماعية التقنية من الناحية المثالية، مما يؤدي هذا النهج الى نتائج مفيدة للطرفين.

3. نموذج النظرية السوسيو تقنية (STS) :

ولقد اعتمد هذا النموذج معهد تافيس توك واستمر على مستوى العالم من قبل شخصيات رئيسة مثل هارولد ليفات. والبرت تشيرنز. وكين ايسون. واينيد مومفورد وغيرهم .

الشكل رقم (2) يبين نموذج النظرية السوسيو تقنية (STS) :



المصدر .عن موقع جامعة ليدز (<https://business.leeds.ac.uk>)

4 . الفرق بين نموذجي النظرية السوسيو تقنية والنظرية السوسيو تقنية (STS) :

الجدول رقم (01.) : يبين الفرق بين النموذج الاجتماعي التقني القديم والجديد (تريست،

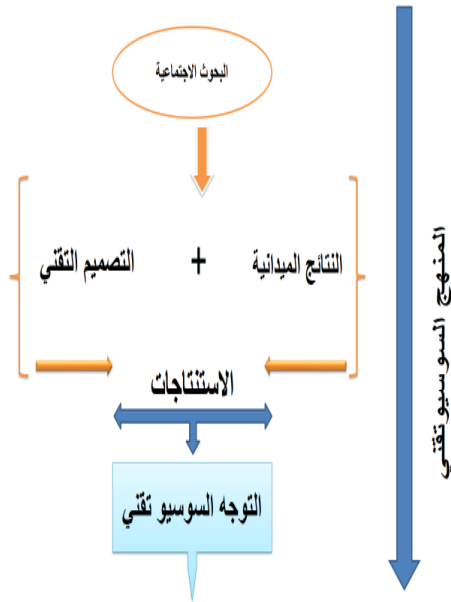
(1981)

النموذج القديم	نموذج جديد
الضرورة التكنولوجية	التحسين المشترك
الناس كامتداد للآلة	يُعتبر الناس مكملين للآلة
الناس كقطع غيار يمكن الاستغناء عنها	الأفراد كمورد يجب تطويره
أقصى قدر من تقسيم المهام، مهارات بسيطة ومحدودة	تجميع المهام الأمثل، مهارات واسعة متعددة
الضوابط الخارجية (المشرفون، الموظفون المتخصصون، الإجراءات)	الضوابط الداخلية (الأنظمة الفرعية ذاتية التنظيم)

مخطط تنظيمي طويل، على الطراز الاستبدادي	مخطط تنظيمي مسطح، أسلوب تشاركي	المصدر مقال نظرية السوسيوتقنية (Roba & Mich
المنافسة، واللعب التنافسي	التعاون، روح الزمالة	
لأغراض المنظمة فقط	أهداف الأعضاء والجمعية أيضًا	
الاغتراب	التزام	
انخفاض المخاطرة	ابتكار	

(ael, 2023, 9

5. خطوات المنهج النظرية السوسيوتقنية (STS) :
- حسب نظرية السوسيوتقنية تتمثل خطوات المنهج على ثلاثة خطوات وهي
- خطوات المنهج النظمي sts:
- التعريف بالمشكلة
 - بناء الحل
 - التقييم (lan sommerville)
- الشكل رقم (3)يبين مراحل تشكل التوجه السوسيوتقني من اعداد الباحثين



ثالثاً. إمكانية ظهور منهج سوسيو تقني جديد:

ان التحول في البحوث العلمية في مجال العلوم الاجتماعية وما شملته من تطورات بحثية وعلمية أدى بها الى التفكير في إمكانية وجود منهج علمي جديد يراعي الجوانب النظرية والتطبيقية بعد القصور الذي شهدته بعض المناهج العلمية والتي اكتفت بعملية الوصف العلمي لفهم الظاهرة الاجتماعية وبالتالي تسجل قصورا منهجيا لا يواكب التوجه السوسيو تقني القائم على التقاطع الفعلي للجوانب الاجتماعية والتقنية ومنه استحداث منهج سوسيو تقني مبتكر يوازن بين متطلبات البحوث السوسيو تقنيّة الجديدة .

مثال .

المجال . العلوم الاجتماعية

الشعبة . علوم التربية

التخصص . تربية خاصة

أولاً . الجانب النظري للبحوث السوسيو تقنيّة

المشكلة . كيف يتم تكيف أطفال الإعاقة السمعية

الموضوع . الإعاقة السمعية للأطفال

العنوان الدراسة . المميزات النفسية للمعاقين سمعياً واستراتيجية تأهيلهم .

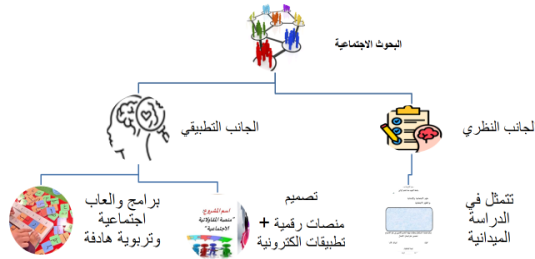
نتائج الدراسة . تصميم برنامج تأهيلي للأطفال المعاقين سمعياً

ثانياً . الجانب التطبيقي للبحوث السوسيو تقنية

بناء الحل تقني . وهو عبارة على تصميم فعلي تطبيقي لمخرجات ونتائج الدراسة الميدانية والمتمثل في . (تطبيقات الكترونية . منصات رقمية . أو اختراع ألعاب اجتماعية وتربوية هادفة وغيرها ...

مثال . منصة الكترونية تعنى بالتأهيل لهذه الفئة من الأطفال المعاقين سمعياً يديرها اخصائيين تربويين ونفسانيين وارطفونيين .
ثم يتم التقييم والمتابعة .

الشكل رقم.(4) يبين مسار المنهج في السوسيو تقني في البحوث الاجتماعية.



المصدر: اعداد الباحثان

رابعا . امثلة والنماذج لبحوث السوسيو تقنية:

النموذج الاول: في مجال علم اجتماع

منصة: المقاولاتية الاجتماعية

تعريفها:

هو تطبيق الكتروني ذو اهداف اجتماعية وتوجيهية . تهتم بشؤون الطلبة أصحاب المشاريع المبتكرة والأعمال الريادية لشعبة العلوم الاجتماعية والإنسانية من خلال تقديم إرشادات واستشارات في مجال المقاولاتية ومتابعة حيثيات وتطورات مشاريع في مجال العلوم الاجتماعية.

اهدافها:

- تبسيط مفهوم المقاولاتية في ميدان العلوم الاجتماعية وتطبيقه على ارض الواقع .
- مرافقة طلبة أصحاب المشاريع
- تضليل بعض صعوبات التي قد يتعرض لها هؤلاء الفئة من خلال الإجابة عن تساؤلات.

الفئة المستهدفة:

هم كل طالب يحمل في فكره ريادة الأعمال في مقاولاتية في مجال العلوم الاجتماعية .

نموذج ثاني: في مجال علم النفس

منصة: تربيتي

تعريفها:

هي منصة نفسو-اجتماعية .ارشادية.تهتم بشؤون أولياء الأمور الذين لديهم أطفال 'مرض طيف التوحدي' والذين يفتقدون الى كيفية التعامل مع أبنائهم المرضى. هؤلاء الفئات الحساسة وبالتالي توفر هذه المنصة خدمات واستشارات لهؤلاء الفئة مع العناية التامة بالصحة النفسية للوالدين.

اهدافها:

- إرشادات وتوجيهات للأولياء الأمور حول كيفية رعاية أبنائهم ذوي اضطراب طيف التوحد.
- تقديم حلول علمية وعملية وفنية للأولياء الأمور.
- الرعاية التامة للصحة النفسية للأولياء الأمور.

الفئة المستهدفة:

هم كل ولي امر من (اب او ام او معا) لديه طفل يعاني من طيف التوحدي يبلغ من العمر ثلاثة سنوات الى خمسة عشر سنة.

النموذج الثالث: في مجال علوم التربية

لعبة تربوية تحفيزية

تعريفها:

هي لعبة تحفيزية لفئة الأطفال صعوبات التعلم والتي بدورها لها عدة وظائف لتنمية قدراتهم العقلية والحركية وتعزيز ادراكاتهم. كما انها تعزز الثقة بالنفس لدى الطفل الذي يعاني من صعوبات التعلم النمائية.

اهدافها:

- تنمية القدرة الذهنية والعقلية على عملية التذكر والانتباه للأطفال صعوبات التعلم النمائية.

- تحفيز وتطوير حركات نمائية لدى هذه الفئة

- تعزيز عملية الادراك لدى أطفال صعوبات التعلم النمائية.

- زيادة بناء ثقة بالنفس.

الفئة المستهدفة:

أطفال الروضات وطور الابتدائي من سنة ثلاثة سنوات الى ستة سنوات. والذين يعانون من صعوبات التعلم النمائية.

خاتمة:

وبعد عرضنا لهذه الورقة البحثية تبين انه هناك توجه من طرف الباحثون في مجال العلوم الاجتماعية الى تبني منهج سوسيوتقني جديد يحاكي وقائع الدراسات والبحوث الاجتماعية بصيغة جديدة. بحيث أصبحت البحوث الاجتماعية تجمع بين ما هو اجتماعي وتقني بهدف إيجاد حلول أكثر فعالية وبالتالي فهي تراعي متطلبات العصر الحديثة. ولا تكتفي بالنظر الى المشكلات الاجتماعية كونها تحتاج الى حلول اجتماعية فحسب. بل أصبحت تهدف الى الحلول التطبيقية والفعالية. وأصبح من الضرورة الحتمية إيجاد منهج سوسيوتقني يراعي هذه الدراسات والأبحاث العلمية.

قائمة المراجع

1. بن جخدل، سعد الحاج (2019) ثلاثة مناهج للبحث العلمي رائد (مفاهيم وتصاميم)، ط 1، دار البداية ناشرون وموزعون، المملكة الأردنية الهاشمية.
2. بني يونس، أسماء عبد المطلب (2018) دليل المبتدئ الى المناهج العامة في البحث العلمي، ط 1، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان.
3. الخولي يمني طريف (2020) مفهوم المنهج العلمي، مؤسسة الهنداوي، المملكة المتحدة.
4. سومرفيل، إيان وغوردون، باكستر (2011). الانظمة الاجتماعية والتقنية: من أساليب التصميم الى هندسة النظم، 23(1). ص ص 4_17.
5. دعاء عادل احمد، علياء عبد الله عزالدين (2019). البحوث الاجتماعية ودورها في تنمية المجتمع المصري، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة المنوفية، مجلة بحوث كلية الآداب.
6. العيمش، محمد (2021) منهجية أو طريقة تطبيق مناهج العلمية في العلوم الاجتماعية، كلية الآداب واللغات، جامعة ابن خلدون، ملحقه قصر الشلالة بتيارت، الجزائر، مجلة أفانين الخطاب، د 01.02).
7. كوفانو، جينارو (2024). ماهي نظرية النظم التقنية؟.
1. https://business.leeds.ac.uk/research-stc/doc/socio-technical-systems-theory?utm_source=chatgpt.com 15 افريل 2026
2. H Walker, Guy, neville, A Stanton, paul Mtthew salmon, Danial P Jenkins (2008). Arview of Sociatechnical Systems Theory .A Classic Concept for New Command and Control Paradigms. Article in Theoretical Issues in Ergonomics Science. Novembre
3. Papagiannidis, Savvas (,2022) :The oryhub Book, Newcastle upon Tyne ،
4. Singh, Ranjit (2024). Reframing Our Relationship to Technology How to Think Like a Sociotechnical Researcher . Ranjit Singh Senior Researcher, AIMLab .
5. Roba, Abbas & Michael, Katina (2023). Socio-Technical Theory.

التحليل النقدي للخطاب في البحث الاجتماعي: الأسس النظرية وآليات التوظيف والنماذج التطبيقية.

د علي حامد

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي - الجزائر

ملخص: يسعى هذا المقال إلى إبراز أهمية التحليل النقدي للخطاب في البحث الاجتماعي، باعتباره مقارنة منهجية تسعى إلى تجاوز القراءة اللغوية الظاهرة للخطاب نحو الكشف عن علاقته بالسياقات الاجتماعية وبنيات السلطة والهيمنة، كما يبين أيضا الأسس النظرية التي يقوم عليها هذا المنهج، خاصة في تقاطعه مع السوسيولوجيا واللسانيات والدراسات الثقافية، كما يتناول آليات توظيفه في البحث الاجتماعي من خلال تحديد متن الدراسة، وتحليل البنيات اللغوية والدلالية، وربطها بوظائفها الاجتماعية والإيديولوجية.

ويشير المقال كذلك على بعض النماذج التطبيقية التي تبرز فاعلية هذه المقاربة في دراسة الخطابات السياسية والإعلامية والرقمية. ليبرهن على أن التحليل النقدي للخطاب يشكل أداة فعالة لفهم الواقع الاجتماعي وتأويل آليات إنتاج المعنى وإعادة إنتاج علاقات القوة داخل المجتمع. الكلمات المفتاحية: التحليل النقدي للخطاب، البحث الاجتماعي، السلطة، الإيديولوجيا، النماذج التطبيقية.

Abstract: This article aims to highlight the importance of Critical Discourse Analysis in social research as a methodological approach that goes beyond the surface linguistic reading of discourse to uncover its relationship with social contexts and structures of power and domination. It discusses the theoretical foundations of this approach, particularly at the intersection of sociology, linguistics, and cultural studies, while emphasizing its relevance for understanding discourse as a social practice rather than merely a linguistic product.

The article also examines the mechanisms of applying this approach in social research through the selection of the corpus, the analysis of linguistic and semantic structures, and their connection to social and ideological functions. It further refers to some applied models that demonstrate the effectiveness of this method in studying political, media, and digital discourses. The study concludes that Critical Discourse Analysis is an effective tool for understanding social reality and interpreting the processes of meaning production and the reproduction of power relations within society.

Keywords: Critical Discourse Analysis, Social Research, Power, Ideology, Applied Models.

مقدمة

شهد البحث الاجتماعي في العقود الأخيرة اهتمامًا متزايدًا بالخطاب بوصفه مدخلًا أساسيًا لفهم الظواهر الاجتماعية وتحليل أنماط اشتغال السلطة داخل المجتمع. فالخطاب لم يعد يُنظر إليه باعتباره مجرد وسيلة للتعبير أو نقل المعنى، بل أضحى يُفهم بوصفه ممارسة اجتماعية تنتج الدلالات، وتعيد تشكيل التمثيلات، وتسهم في تكريس علاقات القوة والهيمنة أو مقاومتها. ومن هنا برزت أهمية المقاربات التي تتعامل مع الخطاب في ارتباطه بسياقه الاجتماعي والثقافي والسياسي، وفي مقدمتها التحليل النقدي للخطاب.

يعد التحليل النقدي للخطاب من المقاربات المنهجية التي مكّنت البحث الاجتماعي من تجاوز القراءة الشكلية للنصوص والخطابات إلى تحليل أبعادها الضمنية، والكشف عن ما تتضمنه من رهانات إيديولوجية وتمثيلات اجتماعية وعلاقات غير متكافئة للقوة. كما تستمد هذه المقاربة

أهميتها من قدرتها على الربط بين المستويات اللغوية والدلالية والتداولية من جهة، وبين البنيات الاجتماعية التي تنتج الخطاب وتعيد إنتاجه من جهة أخرى، بما يجعلها أداة فعالة في دراسة عدد من الخطابات المتداولة داخل الفضاء الاجتماعي، سواء كانت سياسية أو إعلامية أو رقمية أو مؤسسية.

وانطلاقاً من ذلك، يسعى هذا المقال إلى الوقوف عند الأسس النظرية التي يقوم عليها التحليل النقدي للخطاب، وبيان آليات توظيفه في البحث الاجتماعي، مع إبراز أهم مجالات تطبيقه وإمكاناته في فهم الواقع الاجتماعي وتأويل دينامياته الرمزية. وفي هذا السياق، تتحدد إشكالية الموضوع في السؤال الآتي: إلى أي حد يمكن اعتبار التحليل النقدي للخطاب مقارنة منهجية فعالة في البحث الاجتماعي، قادرة على الكشف عن العلاقة بين البنيات اللغوية للخطاب وبين ما تختزنه من تمثيلات وإيديولوجيات وعلاقات قوة داخل المجتمع؟

أولاً: الإطار المفاهيمي والنظري للتحليل النقدي للخطاب

تزايد الاهتمام بالخطاب داخل حقل البحث الاجتماعي المعاصر، حتى غدا من المفاهيم الأساسية في دراسة الظواهر الاجتماعية وتحليلها. ويعود ذلك إلى أنّ الخطاب لم يعد يُنظر إليه باعتباره مجرد أداة لغوية لنقل المعاني أو التعبير عنها، بل بوصفه ممارسة اجتماعية ورمزية تسهم في إنتاج الدلالة، وصياغة التمثيلات، والمشاركة في تشكيل الواقع الاجتماعي. وانطلاقاً من هذا الفهم، فإن دراسة الخطاب تقتضي النظر في السياقات الاجتماعية والثقافية والسياسية التي يتم ضمنها إنتاج النصوص والأقوال وتداولها وتلقيها. ومن هنا برزت أهمية التحليل النقدي للخطاب داخل العلوم الاجتماعية، لما يتيح من تجاوز القراءة السطحية للخطاب إلى الكشف عن ما يتضمنه من علاقات سلطة، وخلفيات فكرية، وآليات تأثير رمزي (فطومة، 2019).

في هذا الإطار، يُفهم الخطاب على أنه جملة من الممارسات اللغوية والرمزية التي تتشكل داخل شروط اجتماعية معينة، وتعبّر عن تصورات ومواقف وتمثيلات لا تقف عند المستوى الشكلي للغة. لذلك لا يمكن النظر إليه باعتباره نصّاً منفصلاً عن سياق إنتاجه، بل باعتباره نسقاً دلاليّاً يرتبط بفاعلين اجتماعيين ومؤسسات وبظروف تاريخية وبمواقع متفاوتة من حيث النفوذ والتأثير. ومن ثم تنبع أهميته التحليلية في البحث الاجتماعي من قدرته على إظهار الكيفية التي تتكون بها المعاني داخل المجتمع، والطرائق التي تُمنح بها بعض الرؤى والمصالح طابع الشرعية، فضلاً عن دوره في إعادة إنتاج أشكال التفاوت والهيمنة من خلال اللغة وآليات التمثيل والتداول (فطومة، 2019).

لا ينحصر التحليل النقدي للخطاب في تتبع المظاهر اللغوية للنصوص أو الوقوف عند سماتها الأسلوبية، وإنما يتجاوز ذلك إلى استكشاف الصلات التي تربط الخطاب بالبنية الاجتماعية، واللغة بالسلطة، والمعنى بالإيديولوجيا. ومن هذا المنطلق، فإنه يتميز عن تحليل الخطاب بمعناه العام؛ إذ بينما ينصرف هذا الأخير في الغالب إلى دراسة بنية النص وآليات تربيته وتداوله، يذهب التحليل النقدي للخطاب إلى مستوى أعمق يفسر الخطاب في ضوء الشروط الاجتماعية التي أنتجته، ويكشف ما قد ينطوي عليه من علاقات هيمنة ولا مساواة وأشكال تمثيل غير متوازنة. لذلك يُنظر إليه بوصفه مقارنة عابرة للتخصصات، تستمد أدواتها من اللسانيات والسوسولوجيا والنظرية النقدية والدراسات الثقافية (منية، 2016).

تقوم هذه المقاربة على جملة من الأسس النظرية التي تمنحها خصوصيتها داخل البحث الاجتماعي. ويتمثل الأساس الأول في النظر إلى اللغة باعتبارها فعلاً اجتماعياً لا أداة محايدة، إذ تسهم في إنتاج المعاني وفي تنظيم العلاقات بين الفاعلين داخل المجتمع. أما الأساس الثاني فيتجسد في الصلة الوثيقة بين الخطاب والسلطة، ذلك أن التحكم في إنتاج الخطاب أو في شروط تداوله يمنح صاحبه قدرة على التأثير في التصورات الجماعية وتوجيه الوعي العام. ويقوم الأساس الثالث على أن الإيديولوجيا لا تعبر عن نفسها دائماً بشكل صريح، بل قد تتوارى داخل الاختيارات اللفظية، والبنى الحجاجية، وطرائق التمثيل، وآليات الإقضاء أو التبرير. أما الأساس الرابع، فيتمثل في أهمية السياق، لأن الخطاب لا يمكن فهمه فهماً دقيقاً إلا إذا أُعيد إلى شروط إنتاجه الاجتماعية والتاريخية والثقافية والمؤسسية (منية، 2016).

في هذا السياق، يُعدّ نورمان فيركلاف من أبرز الأسماء التي أسهمت في ترسيخ التحليل النقدي للخطاب وتطويره، إذ نقل الاهتمام بالخطاب من حدود النص بوصفه بنية لغوية إلى اعتباره ممارسة خطابية واجتماعية في آن واحد. وتبين الإحالات الأكاديمية العربية إلى كتابه تحليل الخطاب: التحليل النصي في البحث الاجتماعي المكانة المركزية التي يحتلها هذا العمل في وصل التحليل النصي بحقول البحث الاجتماعي، كما يظهر حضور كتابه الخطاب والتغيير الاجتماعي ضمن المراجع العربية التي يُعتمد عليها في هذا المجال. ويعكس هذا التصور النظري فهماً للخطاب لا يكتمل إلا من خلال ربط النص بالممارسة الاجتماعية، وبالإطار المؤسسي الذي يحدد شروط إنتاجه وتداوله وتأثيره (قطومة، 2019).

إلى جانب إسهامات فيركلاف، يبرز تيون فان دايك بوصفه أحد الأسماء المؤسسة في مجال التحليل النقدي للخطاب، ولا سيما من خلال عنايته بالعلاقة التي تربط الخطاب بكل من السلطة والمعرفة والإدراك الاجتماعي. وتفيد الأدبيات العربية التي اعتمدت على كتابه الخطاب والسلطة بأن جهده لم يقتصر على دراسة البنى الخطابية في بعدها اللغوي، بل امتد إلى تحليل الآليات التي تمارس بها النخب والمؤسسات نوعاً من الهيمنة الرمزية عبر توجيه الخطاب العام، وصياغة تمثيلات مخصصة للفاعلين الاجتماعيين وللقضايا والأحداث. وبذلك أسهم فان دايك في توسيع أفق التحليل النقدي للخطاب، بحيث لم يعد منحصر في النص ذاته، بل صار معنياً أيضاً بالأبعاد الذهنية والاجتماعية التي تجعل من الخطاب وسيلة لإنتاج الهيمنة وإعادة ترسيخها (تيون، 2014).

كذلك لا يستقيم فهم الأساس النظري للتحليل النقدي للخطاب بمعزل عن الأفق الفكري الذي أتاحته النظرية النقدية، ولا عن الإسهامات التي قدمها ميشال فوكو في تناول العلاقة بين الخطاب والمعرفة والسلطة. ويكشف الحضور المتواتر لهذه المرجعيات في البليوغرافيات العربية المتصلة بتحليل الخطاب أن هذا الحقل لم ينشأ من داخل اللسانيات وحدها، بل تداخلت في تشكيله قضايا الهيمنة، والشرعية الاجتماعية، ودور المؤسسة في إنتاج المعنى وتوجيهه. ومن ثم، فإن التحليل النقدي للخطاب لا يتعامل مع اللغة بوصفها موضوعاً قائماً بذاته، وإنما ينظر إليها باعتبارها عنصراً داخل بنية اجتماعية أوسع تتقاطع فيها المصالح والتمثيلات والمؤسسات وما يُعدّ حقيقة داخل المجتمع (قطومة، 2019).

ومن جانب آخر، تبين الكتابات العربية الحديثة في هذا الحقل، ومن بينها أعمال منية العبيدي، أن التحليل النقدي للخطاب وجد في الخطاب الإعلامي مجالاً تطبيقياً بارزاً، غير أن حضوره لم يعد مقتصرًا على هذا المجال وحده، بل امتد ليشمل الخطاب السياسي والتربوي والثقافي والرقعي. ويعكس هذا التوسع مرونة هذه المقاربة وقدرتها على التعامل مع أنماط خطابية متنوعة، ما دامت تُفهم باعتبارها ممارسات اجتماعية تكشف عن آثار السلطة والإيديولوجيا والسياق. كما أن هذا الامتداد يعزز من موقع التحليل النقدي للخطاب داخل البحث الاجتماعي، لأنه يتيح تناول النصوص والخطابات باعتبارها مدخلًا لفهم المجتمع وآلياته، لا مجرد مواد لغوية مغلقة على ذاتها (منية، 2016).

انطلاقًا من ذلك، يتأسس الإطار المفاهيمي والنظري للتحليل النقدي للخطاب على فهم الخطاب بوصفه ممارسة اجتماعية فاعلة في إنتاج المعنى، وعلى النظر إلى اللغة باعتبارها فضاءً تتداخل فيه علاقات السلطة وتمثيلات الإيديولوجيا وأنماط التمثيل الاجتماعي. وبناء على هذا التصور، لا تتحدد أهمية هذه المقاربة في البحث الاجتماعي بمجرد تحليل مضمون الخطاب، وإنما في قدرتها على مساءلة طرائق صياغته، وتحديد الجهة التي تنتجه، والجهة التي يتوجه إليها، والسياق الذي يُنداول فيه، والوظائف الاجتماعية أو السياسية أو الرمزية التي يؤديها. ومن هنا تتجلى القيمة العلمية للتحليل النقدي للخطاب باعتباره أداة نظرية ومنهجية تتيح للباحث تجاوز المستوى الظاهر للنص، والانتقال إلى استجلاء البنيات الاجتماعية التي تمنحه دلالتة وتحدد مجالات اشتغاله وتأثيره (نورمان، 2015).

ثانيًا: آليات توظيف التحليل النقدي للخطاب في البحث الاجتماعي

تنبع أهمية التحليل النقدي للخطاب في البحث الاجتماعي من كونه لا يظل حبيس المستوى النظري، بل يتيح الانتقال إلى معالجة إجرائية لخطابات واقعية داخل المجتمع. فهو لا يقتصر على فحص البنيات اللغوية في ذاتها، وإنما يسعى إلى بيان علاقتها بشروط الإنتاج والتداول وبأنماط التأثير التي تمارسها داخل الحقل الاجتماعي. ومن ثم فإن توظيفه في البحث الاجتماعي يفترض إدراكًا لأسسه المنهجية وللخطوات التي تجعل من الخطاب مادة قابلة للتحليل السوسيولوجي، بدل النظر إليه كمعطى لغوي منفصل عن سياقه. وفي هذا الإطار، تؤكد الأدبيات العربية أن التحليل النقدي للخطاب يجمع بين النظر إلى النص في بنيته الداخلية وبين ربطه بقضايا الإيديولوجيا والسلطة والهيمنة في الواقع الاجتماعي (إبراهيم، 2022).

2-1 تحديد موضوع البحث وصياغة الإشكالية

تنطلق إجراءات توظيف هذه المقاربة منهجيًا من تعيين موضوع الدراسة وبناء إشكاليتهما بصورة دقيقة. فالخطاب لا يُتناول هنا بوصفه غاية مستقلة، وإنما باعتباره منفذًا لتحليل ظاهرة اجتماعية، أو تفكيك علاقة قوة، أو فهم تمثيل جماعي، أو الكشف عن آليات الشرعنة والإقصاء. لذلك تكتسب صياغة السؤال البحثي أهمية خاصة، لأنها ترسم زاوية الاقتراب من المادة الخطابية وتحدد ما إذا كان الهدف هو تتبع مظاهر الهيمنة في خطاب سياسي، أو رصد إنتاج الصور النمطية في خطاب إعلامي، أو تحليل سبل بناء الشرعية داخل خطاب مؤسساتي أو رقعي. وتؤكد الكتابات العربية الحديثة أن التحليل النقدي للخطاب لا يحقق جدواه العلمية إلا حين يُدرج

ضمن إشكالية اجتماعية واضحة، بدل أن يُختزل في معاناة شكلية للغة أو للأسلوب (إبراهيم، 2022).

2-2 اختيار متن الدراسة أو corpus: تلي ذلك مرحلة اختيار متن الدراسة أو المدونة الخطابية، وهي من الخطوات الإجرائية الأساسية في هذا النوع من الأبحاث. ويقتضي هذا الاختيار تحديد المادة التي ستخضع للتحليل تحديداً دقيقاً، سواء تعلّق الأمر بخطب سياسية، أو مواد صحفية، أو محتويات رقمية، أو بيانات مؤسسية، أو وثائق ذات طابع تربوي. ولا يتم هذا الانتقاء بصورة عشوائية، بل ينبغي أن يستند إلى ضوابط علمية واضحة، من أبرزها مدى ارتباط المتن بإشكالية البحث، وقدرته على تمثيل الظاهرة موضوع الدراسة، وإمكان قراءته في ضوء سياقه الاجتماعي والتاريخي. ومن هذا المنطلق، لا يُنظر إلى النص باعتباره بنية لغوية مغلقة، وإنما بوصفه نتاجاً اجتماعياً يكشف عن أثر المؤسسة والفاعل والسياق والجمهور الذي يتوجه إليه. لذلك تؤكد الأدبيات المرجعية في التحليل النقدي للخطاب أهمية بناء مدونة منضبطة تتيح إنجاز تحليل منهجي متماسك (نورمان، 2009).

2-3 تحديد السياق: ولا يستقيم تحليل المتن الخطابي دون استحضار السياق الذي نشأ فيه، لأن السياق في التحليل النقدي للخطاب ليس عنصراً مكماً أو ثانوياً، بل يمثل أحد الشروط الأساسية للفهم والتأويل. ويشمل هذا السياق مختلف الأبعاد الاجتماعية والسياسية والثقافية والتاريخية والمؤسسية التي أحاطت بإنتاج الخطاب، إلى جانب صلته بالفاعل الذي أنتجه وبالجهة التي يتوجه إليها. فالخطاب السياسي، على سبيل المثال، لا يمكن فهمه خارج شروطه الظرفية والسياسية، كما أن الخطاب الإعلامي لا يُقرأ بمعزل عن منطق المؤسسة المنتجة له وعن رهانات التأثير والتوجيه التي تؤطره. ولذلك تؤكد الأدبيات العربية في هذا المجال أن مركزية السياق والتاريخ تمثل أحد الأسس الجوهرية في التحليل النقدي للخطاب، بما يوسع مجال التحليل من حدود النص إلى شروط إنتاجه الاجتماعية (سعيد، 2021).

2-4 تحليل المستويات اللغوية والدلالية والحجاجية: بعد تحديد المتن وإحاطة السياق بعناصره الأساسية، يتجه الباحث إلى فحص المستويات اللغوية والدلالية والحجاجية التي يتشكل منها الخطاب. وتشمل هذه المرحلة دراسة الألفاظ المعتمدة، وطرائق التسمية والوصف، وصيغ الإحالة، واستعمال الضمائر، والبناء النحوي، والتكرار، والحذف، والاستعارة، وأدوات التوكيد، فضلاً عن الأساليب الحجاجية ووسائل الإقناع. غير أن الغاية من هذا التحليل لا تتمثل في الوقوف عند الظواهر اللغوية في حد ذاتها، بل في بيان الوظائف الاجتماعية التي تؤديها داخل الخطاب. فقد يدل اختيار لفظ معين على نزعة إلى الإقصاء أو التضخيم أو إضفاء المشروعية، كما قد تكشف بنية حجاجية مخصصة عن محاولة لتوجيه المتلقي نحو موقف محدد، وقد تسهم بعض طرائق التمثيل في ترسيخ صورة نمطية أو في بناء ثنائية تقابل بين "نحن" و"هم". ومن هنا تؤكد الدراسات العربية التطبيقية أن خصوصية التحليل النقدي للخطاب تكمن في انتقاله من قراءة العلامة اللغوية إلى استجلاء آثارها الاجتماعية والإيديولوجية (إبراهيم، 2022).

2-5 الكشف عن المضامين الإيديولوجية وعلاقات القوة: ولا تنحصر هذه المرحلة في تحليل البنية السطحية للخطاب، بل تمتد إلى استكشاف ما ينطوي عليه من مضامين إيديولوجية وأشكال

متنوعة من علاقات القوة. وهنا تتضح فرادة التحليل النقدي للخطاب مقارنة بغيره من المقاربات، لأنه يصل بين التمثيلات اللغوية وبين البنيات الاجتماعية التي تسهم في إنتاج اللامساواة أو في شرعنتها أو في حجتها. فالمقاربة لا تكتفي بالسؤال عما يقوله النص، بل تتجاوز ذلك إلى مساءلة الكيفية التي يُقال بها، والجهة التي تتكلم، والطرف الذي يُقدّم بصورة إيجابية أو سلبية، والمصالح التي يخدمها هذا البناء الخطابي. وعلى هذا الأساس يصبح تحليل الخطاب أداة لفهم الكيفيات التي تُمارس بها السلطة، سواء في صورتها المباشرة أو الرمزية، وكيف يمكن للغة أن تتحول إلى وسيلة للإقناع أو الهيمنة أو الضبط الاجتماعي. وقد أظهرت المراجع العربية التي تناولت إسهامات فان دايك وفيركلاف أن الخطاب العمومي قد يغدو مجالاً لإعادة إنتاج السيطرة من خلال توجيه المعاني وصياغة التمثيلات المتداولة داخل المجتمع (فطوم، 2019).

6-2 الربط بين التحليل النصي والتفسير الاجتماعي: ومن الآليات الأساسية في هذا المنهج أيضاً وصل التحليل النصي بالتفسير الاجتماعي، لأن المعطى اللغوي لا يكتسب قيمته البحثية الحقيقية إلا إذا أُدرج ضمن شبكة العلاقات الاجتماعية الأوسع التي تمنحه معناه. لذلك لا تتوقف مهمة الباحث عند حدود استخراج المؤشرات الخطابية، بل تتجاوز ذلك إلى تأويلها في ضوء بنية المجتمع، وطبيعة الفاعلين الاجتماعيين، واختلال موازين القوة، وأنماط الشرعية والتطبيع السائدة. ومن هنا يتضح أن التحليل النقدي للخطاب يشغل على مستويات متعددة، إذ يجمع بين القراءة الدقيقة لجزيئات النص وبين تفسير الظاهرة الاجتماعية في أفقها العام. وقد بينت الأدبيات التي عرضت لمقاربة فيركلاف أن أهمية هذا المنهج تكمن في قدرته على وصل النص بالممارسة الخطابية وبالممارسة الاجتماعية ضمن إطار تحليلي متكامل (نورمان، 2009).

7-2 حدود التعميم: كما يقتضي توظيف التحليل النقدي للخطاب في البحث الاجتماعي إدراكاً لأهمية العينة الخطابية وحدود ما يمكن تعميمه انطلاقاً منها. فليست جميع الخطابات متساوية من حيث صلاحيتها لإنتاج نتائج قابلة للتفسير العلمي، كما أن الاعتماد على عينة محدودة أو غير متوازنة قد يفضي إلى خلاصات جزئية أو متسعة. لذلك يتعين على الباحث أن يوضح الأسس التي اعتمدها في اختيار النصوص، والفترة الزمنية التي يشملها التحليل، والحيز الاجتماعي أو الإعلامي الذي تنتمي إليه المادة المدروسة، حتى يكتسب البناء المنهجي قدرًا أكبر من الدقة والصرامة. وفي هذا الإطار، تنبه الدراسات العربية التطبيقية إلى أن قوة التحليل النقدي للخطاب لا ترتبط فقط بغناه المفاهيمي، بل كذلك بمدى انضباط إجراءاته في انتقاء المادة وربطها بإشكالية بحثية محددة (إبراهيم، 2022).

ومن الناحية التطبيقية، يمكن توظيف هذه المقاربة في مجالات متعددة داخل البحث الاجتماعي، مثل تحليل خطابات الفاعلين السياسيين، أو خطاب الصحافة حول قضايا الهجرة والبطالة والمرأة، أو خطاب المؤسسات التربوية والإدارية، أو المحتوى المتداول في المنصات الرقمية. ويمنح هذا التنوع المنهجي للتحليل النقدي للخطاب قدرة على التكيف مع موضوعات اجتماعية متجددة، شرط أن يحافظ الباحث على الانضباط في الانتقال من النص إلى السياق، ومن المؤشر اللغوي إلى التفسير الاجتماعي. لذلك يمكن القول إن هذه المقاربة لا تُستخدم كإجراء لغوي صرف، بل كأداة

منهجية لفهم المجتمع من خلال خطابه، وتتبع الكيفيات التي يُنتج بها المعنى، وتُعاد بها صياغة التصورات والشرعيات داخل المجال العام.

استناداً إلى ما تقدم، يمكن القول إن توظيف التحليل النقدي للخطاب في البحث الاجتماعي يقوم على مسار منهجي متكامل ومترابط، ينطلق من صياغة الإشكالية، ويمر باختيار المتن، وتحديد السياق، وفحص البنية اللغوية والحجاجية، ثم الكشف عن المضامين الإيديولوجية وعلاقات القوة، لينتهي إلى تفسير النتائج في ضوء معطيات الواقع الاجتماعي. وعلى هذا الأساس، فإن نجاعة هذه المقاربة لا ترتبط فقط بما توفره من أدوات مفاهيمية، بل تتوقف أيضاً على قدرة الباحث على توظيفها ضمن بناء منهجي منظم، يجعل من الخطاب مادة اجتماعية قابلة للفهم والتأويل والمساءلة النقدية. (نورمان، 2009).

ثالثاً: النماذج التطبيقية وحدود المقاربة

بعد الوقوف عند الأسس النظرية للتحليل النقدي للخطاب وآليات توظيفه في البحث الاجتماعي، تبرز أهمية الانتقال إلى جانبه التطبيقي، باعتبار أن القيمة العلمية لأي مقاربة منهجية لا تتحدد فقط بما تؤسسه من مفاهيم، بل أيضاً بما تتيحه من إمكانيات في تحليل نماذج خطابية واقعية. ومن هذا المنطلق، يسعى هذا المحور إلى إبراز أهم المجالات التطبيقية للتحليل النقدي للخطاب، مع التوقف عند أبرز الحدود المنهجية التي قد تواجه الباحث أثناء توظيف هذه المقاربة في دراسة الظواهر الاجتماعية.

1-3 التحليل النقدي للخطاب من التأصيل النظري إلى التطبيق الواقعي: تتحدد الأهمية التطبيقية للتحليل النقدي للخطاب في قدرته على تجاوز الإطار النظري إلى معالجة خطابات واقعية تنتمي إلى مجالات اجتماعية متنوعة. فلم يعد استعمال هذه المقاربة مقصوراً على النصوص السياسية التقليدية، بل امتد ليشمل الخطاب الإعلامي والتربوي والرقعي والمؤسسي، نظراً إلى ما تنتجه هذه المجالات من تمثيلات ومعاني، وما تؤديه من دور في إعادة تشكيل علاقات القوة والشرعية داخل المجتمع. وفي هذا السياق، تبرز دراسة محمود سيد محمد علي لتؤكد الحضور اللافت للتحليل النقدي للخطاب في مقاربة الخطاب الإعلامي العربي، بوصفه مجالاً يكشف عن الأبعاد الإيديولوجية المضمرة، وعن الكيفيات التي يُمثل بها الفاعلون الاجتماعيون داخل الخطاب (سعيد، 2021).

2-3 الخطاب السياسي بوصفه مجالاً تطبيقياً للتحليل النقدي: يُعدّ الخطاب السياسي من أبرز الحقول التي يجد فيها هذا المنهج مجالاً تطبيقياً خصباً، لأن وظيفته الأساسية تتصل بإنتاج الشرعية، والتأثير في الرأي العام، وبناء تصورات جماعية حول الدولة والهوية والمصلحة العامة. ويتيح التحليل النقدي للخطاب، في هذا الإطار، تتبع الكيفيات اللغوية التي يلجأ إليها لتبرير القرارات، أو لإضفاء طابع المشروع على مواقف بعينها، أو لصياغة ثنائيات دلالية من قبيل: نحن/هم، الإصلاح/الفوضى، الشرعية/التهديد. كما يمكنه الكشف عن الآليات الحجاجية التي تُوظف لتدعيم موقع فاعل سياسي أو للنيل من شرعية خصم سياسي (لطفي، 2014).

3-3 الخطاب الإعلامي وإعادة بناء الواقع الاجتماعي: يحتل الخطاب الإعلامي موقعاً محورياً ضمن المجالات التطبيقية للتحليل النقدي للخطاب، لأن وسائل الإعلام لا تكتفي بعرض الوقائع كما هي،

بل تسهم في إعادة تشكيلها من خلال الانتقاء والترتيب والتسمية والتأطير. ولهذا تُعد هذه المقاربة مناسبة لفهم الكيفية التي تُبنى بها الأخبار، وتُختار بها المفردات، ويُمنح من خلالها بعض الفاعلين حضوراً أوسع من غيرهم، كما تكشف عن التصنيفات الرمزية التي قد تفضي إلى تكريس التحيز أو الإقصاء أو التطبيع مع أوضاع بعينها. وقد أظهرت دراسات عربية حديثة أن أهمية هذه المقاربة لا تنحصر في تحليل اللغة الصحفية وحدها، بل تمتد إلى ربطها بالبنية المؤسسية للإعلام وبالخلفيات السياسية والثقافية التي تؤثر إنتاج الخطاب الإعلامي وتداوله (محمد، 2022).

4-3 الخطاب الرقمي وتحولات الفضاء التداولي: ويمثل الخطاب الرقمي بدوره حقلاً متجدداً لتطبيق التحليل النقدي للخطاب، ولا سيما مع الاتساع المتواصل لفضاءات التواصل الاجتماعي والمنصات الرقمية. ففي هذا المجال لا تُنتج الخطابات داخل الأطر المؤسسية التقليدية وحدها، وإنما تتشكل أيضاً في فضاءات سريعة الانتشار ومتداخلة التأثير، حيث يتقاطع البعد الفردي مع الجماعي، والأنّي مع الرمزي، والتواصل مع التعبوي. ومن ثم يتيح التحليل النقدي للخطاب في هذا السياق فحص الكيفيات التي تُصنع بها الصور النمطية، وتُتداول من خلالها خطابات الكراهية، وتُعاد عبرها صياغة الرأي العام، كما يساعد على فهم الأشكال المستجدة للشرعية والاحتجاج والتعبئة داخل الفضاء الرقمي (سعيد، 2021).

5-3 الخطاب التربوي والمؤسساتي وآليات الشرعنة: ويمكن كذلك الاستفادة من هذه المقاربة في تحليل الخطاب التربوي والمؤسساتي، حيث تتجاوز اللغة وظيفة الإبلاغ إلى أداء أدوار أكثر عمقاً في تشكيل التصورات الرسمية، وتوزيع المواقع، وترسيخ أنماط معينة من الامتثال أو الشرعية التنظيمية. فالوثائق التربوية والإدارية والبرامج المؤسسية لا تقتصر على نقل المعلومات، بل تمارس أيضاً وظيفة تنظيمية وقيمية، من خلال توجيه ما ينبغي التفكير فيه، وتحديد الصيغة الملائمة للحدث عن قضايا بعينها، ورسم الأنماط المقبولة في تمثيل الفاعلين الاجتماعيين. ومن هنا يتيح التحليل النقدي للخطاب الكشف عما إذا كانت هذه الخطابات تسهم في إعادة إنتاج علاقات التفوق أو التهميش أو المركزية المؤسسية داخل الفضاء الاجتماعي (لطي، 2014).

6-3 اتساع التأويل بوصفه حداً منهجياً: على الرغم من اتساع مجالات التطبيق التي يتيحها التحليل النقدي للخطاب، فإنه لا يخلو من حدود منهجية تستوجب قدرًا من الحذر في استعماله. ويأتي في مقدمة هذه الحدود اتساع مجال التأويل، إذ إن الباحث لا يكتفي في هذه المقاربة بوصف المؤشرات اللغوية، بل يعمل على تفسيرها في ضوء السلطة والإيديولوجيا والسياق الاجتماعي، وهو ما قد يفضي أحياناً إلى اختلاف القراءات وتباين النتائج بين الباحثين. لذلك فإن فاعلية هذا المنهج تظل رهينة بمدى الدقة في وصل المعطيات النصية بخلاصاتها الاجتماعية، حتى لا ينزلق التحليل إلى تأويلات غير منضبطة أو إلى إسقاطات تتجاوز ما يسمح به النص والسياق (سعيد، 2021).

7-3 إشكالية اختيار المتن وتمثيلية العينة: ويتصل حدٌ آخر بإشكالية انتقاء المتن ومدى تمثيلته للظاهرة موضوع الدراسة. فالمادة الخطابية التي يعتمد عليها الباحث قد لا تكون، في بعض الحالات، كافية لإسناد استنتاجات واسعة، خاصة حين تكون العينة محدودة أو مختارة من غير سند منهجي واضح. لذلك يظل بناء مدونة خطابية منضبطة، وتمثيل النصوص المختارة للظاهرة المدروسة تمثيلاً مناسباً، من الشروط الأساسية في الدراسات التي توظف هذه المقاربة. ويزداد الأمر تعقيداً

مع تعدد السياقات وتشابكها، بما قد يجعل التمييز بين الأبعاد اللغوية والمؤسسية والسياسية والثقافية مسألة تحتاج إلى قدر كبير من الدقة المنهجية (محمد، 2022).

3-8 ضرورة التكامل مع أدوات منهجية أخرى: ويتعلق حدُّ ثالث بأن هذه المقاربة، على الرغم من أهميتها، لا تكون كافية في جميع الحالات للإحاطة بكل أبعاد الظاهرة الاجتماعية. فهي تُظهر بفعالية أنماط التمثيل وآليات الهيمنة داخل الخطاب، غير أنها قد تحتاج، في بعض الدراسات، إلى أن تُستكمل بأدوات أخرى مثل المقابلة، أو الملاحظة، أو تحليل المضمون، أو غيرها من المناهج الكيفية، حتى تتضح صورة الظاهرة على نحو أشمل. فالبحث الاجتماعي لا ينصرف إلى النصوص وحدها، بل يتناول أيضًا الممارسات والفاعلين وشروط التلقي والتأثير. لذلك تزداد فاعلية التحليل النقدي للخطاب حين يُوظف ضمن تصميم بحثي أوسع ومتكامل، بدل التعامل معه بوصفه أداة مكتفية بذاتها في كل السياقات (فطومة، 2019).

اجتماعاً، يمكن القول إن النماذج التطبيقية للتحليل النقدي للخطاب تؤكد غناه المنهجي واتساع مجال اشتغاله داخل البحث الاجتماعي، سواء في دراسة الخطاب السياسي أو الإعلامي أو الرقمي أو المؤسسي. غير أن قوة هذه المقاربة لا تعفي الباحث من الانتباه إلى حدودها، خاصة ما يتعلق بالذاتية التأويلية، وتمثيلية المتن، والحاجة إلى التكامل مع أدوات منهجية أخرى. وبهذا المعنى، فإن التحليل النقدي للخطاب يظل أداة فعالة في فهم الواقع الاجتماعي، متى استُخدم داخل بناء بحثي منظم يجمع بين دقة التحليل النصي وصرامة التفسير الاجتماعي (إبراهيم، 2022).

خاتمة

توضح المعطيات السابقة أن التحليل النقدي للخطاب تجاوز كونه مقارنة لغوية تنشغل بالبنية الشكلية للنصوص والخطابات، ليغدو أداة منهجية ذات أهمية واضحة في البحث الاجتماعي، لما يوفره من قدرة على تفسير الصلات القائمة بين اللغة والمجتمع، وبين إنتاج المعنى وآليات إعادة إنتاج السلطة. فالخطاب، من هذا المنظور، لا يقتصر على عكس الواقع الاجتماعي، بل يسهم أيضاً في تشكيله وتوجيهه وصوغ التمثيلات المرتبطة به، وهو ما يجعل دراسته مدخلاً أساسياً للكشف عما تنطوي عليه الخطابات المتداولة في الفضاء الاجتماعي من أنماط الهيمنة والشرعنة والإقصاء.

لقد تبين أن أهمية التحليل النقدي للخطاب تتأسس، أولاً، على مرجعياته النظرية التي تتعامل مع الخطاب بوصفه ممارسة اجتماعية وثقافية لا تنفصل عن سياقها، بدل النظر إليه كتركيب لغوي مستقل عن شروط إنتاجه. كما تتحدد، ثانياً، من خلال آليات تشغيله داخل البحث الاجتماعي، عبر انتقاء المتن، وضبط السياق، وتحليل العلامات اللغوية والدلالية والحجاجية، ثم وصلها بالبنى الاجتماعية والإيديولوجية التي تحدد معنى الخطاب ووظيفته. أما ثالثاً، فقد كشفت التطبيقات المختلفة عن فاعلية هذه المقاربة في دراسة نماذج واقعية متعددة، ولا سيما في مجالات الخطاب السياسي والإعلامي والرقمي والمؤسسي، بما يتيح فهمًا أدق للطرائق التي تتشكل بها التمثيلات الاجتماعية وتُعاد من خلالها صياغة علاقات القوة داخل المجتمع..

يمكن القول إن التحليل النقدي للخطاب يشكل فعلاً مقارنة منهجية ذات فاعلية في البحث الاجتماعي، لأنه يتيح للباحث النفاذ من المستوى الظاهر للخطاب إلى ما ينطوي عليه من دلالات

ضمنية، كما يمكنه من تجاوز التحليل اللغوي المحض نحو تفسير الأدوار الاجتماعية والإيديولوجية التي يؤديها الخطاب. غير أن هذه الفعالية لا تقوم تلقائياً، وإنما تظل مرتبطة بمدى الانضباط المنهجي في توظيف المقاربة، وبالقدرة في اختيار المتن، وبالقدرة على وصله بسياقه المناسب، فضلاً عن الوعي بما قد يعتريها من حدود، مثل اتساع مجال التأويل، وتعدد الحيات الكامل أحياناً، والحاجة في بعض الحالات إلى الاستعانة بأدوات منهجية مكملّة.

إن أهمية للتحليل النقدي للخطاب داخل البحث الاجتماعي لا تنحصر في كونه وسيلة للكشف عن المضامين الإيديولوجية وعلاقات السلطة الكامنة في الخطابات، بل تمتد أيضاً إلى ما يتيح للباحث من أفق أوسع لفهم المجتمع عبر خطاباته، واستكشاف ما تنطوي عليه من رهانات رمزية ومعرفية وسياسية. ومن هذا المنطلق، يمكن اعتبار هذه المقاربة من المقاربات البارزة في مناهج البحث الاجتماعي المعاصرة، لأنها تُمكن الباحث من الجمع بين قراءة النص وتحليل المجتمع، وبين التأطير النظري والمعالجة التطبيقية، بما يسهم في إنتاج معرفة علمية أكثر عمقاً واتصالاً بتحويلات الواقع الاجتماعي.

المراجع

1. الزليطني محمد لطفي (2014). من تحليل الخطاب إلى التحليل النقدي للخطاب. الخطاب، 9، ص ص 36-9.
2. العبيدي، منية. (2016). التحليل النقدي للخطاب: نماذج من الخطاب الإعلامي. عمان: دار كنوز المعرفة العلمية.
3. بكار سعيد. (2021). التحليل النقدي للخطاب: مفهومه ومقارباته. الخطاب، 16، ص ص 443-476.
4. بن مكي فتومة. (2019). محاضرات موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر: تخصص: اتصال و علاقات عامة. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
5. -علي، محمود سيد محمد. (2022). التحليل النقدي للخطاب الإعلامي: المفهوم، الأسس النظرية ومداخل التحليل. المجلة العلمية لبحوث العلاقات العامة والإعلان، ص ص 581-604.
7. علي، محمود سيد محمد. عجوة، علي السيد إبراهيم. (2022). التحليل النقدي للخطاب الاعلامي: المفهوم، الأسس النظرية ومداخل التحليل. المجلة العلمية لبحوث العلاقات العامة والإعلان، 3، ص ص 581-604.
8. فان دايك، تيون. (2014). الخطاب والسلطة. (غيداء العلي، المترجمون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.
9. فيركلاف، نورمان. (2009). تحليل الخطاب: التحليل النصي في البحث الاجتماعي. (طلال وهبة، المترجمون) بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
10. فيركلاف، نورمان. (2015). الخطاب والتغير الاجتماعي. (محمد عناني، المترجمون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.

تحليل المحتوى عبر البرامج الرقمية: دراسة نظرية تطبيقية

د. عائشة لشهب

أستاذ محاضر – ب-

جامعة الشهيد حمة لخضر- الوادي

lacheheb-aicha@univ-eloued.dz

ملخص: تهدف الدراسة إلى إبراز أهمية تحليل المحتوى كمدخل لفهم الخطابات الرقمية، من خلال توضيح الإطار النظري والتطبيقي العملي على خطاب رقمي رسمي لوزير التعليم العالي والبحث العلمي. وعلى المستوى التطبيقي سعت الدراسة إلى تحليل مضمون الخطاب. وكشف القضايا و التمثلات المرتبطة بالجامعة واقتصاد المعرفة. اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي باستخدام أداة التحليل برنامج MAXQDA في تفريغ الخطاب وترميزه وتصنيف وحداته الدلالية ضمن فئات تحليلية منظمة. واجهت الدراسة صعوبات تتعلق بتفريغ المادة السمعية البصرية وبناء فئات تحليل دقيقة. أما النتائج يؤكد الخطاب على أهمية المرافقة من خلال الحرص على دعم الطلبة ومرافقتهم في مشاريعهم. كما نجد أن الخطاب يقدم صورة جديدة للجامعة باعتبارها مكانا لإنتاج المعرفة والثروة ويربط بين الجامعة والاقتصاد المعرفي.

كلمات مفتاحية: الجامعة، تحليل، اقتصاد المعرفة، الرقمية.

Summary : The study aims to highlight the importance of content analysis as an entry point for understanding digital discourses, by clarifying the theoretical framework and practical application to an official digital speech by the Minister of Higher Education and Scientific Research. At the applied level, the study sought to analyse the content of the discourse. Revealing issues and representations related to the university and the knowledge economy. The study relied on the descriptive analytical approach using the MAXQDA analysis tool to transcribe and encode discourse and classify its semantic units into organized analytical categories. The study-encountered difficulties related to transcribing audio-visual material and constructing accurate analysis categories. As for the results, the speech emphasizes the importance of accompaniment by ensuring that students are supported and accompanied in their projects. We also find that the discourse presents a new image of the university as a place for producing knowledge and wealth and links the university with the knowledge economy.

Keywords: university, analysis, knowledge economy, digital.

مقدمة:

يعد تحليل المحتوى من أهم المناهج التي يعتمدها الباحثين في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، إذ تتيح للباحث فهم وتحليل المحتوى بشكل منظم. ومع التحول نحو الوسائط الرقمية، لم يعد هذا التحليل يقتصر على النصوص المكتوب فقط، بل أصبح يشمل الفيديو والصوت والصورة، نظرا لانتشارها عبر وسائل التواصل الاجتماعي. ويعد خطاب وزير التعليم العالي والبحث العلمي مثالا مناسباً للدراسة، لأنه يجمع بين الطابع الرسمي والتوجه التنموي، ويعكس رؤية حول الجامعة والاقتصاد المعرفة.

1- إشكالية:

تتطلب هذه الدراسة من تساؤل رئيسي هو: كيف يساعد تحليل المحتوى الرقمي باستخدام برنامج MAXQDA في فهم المعاني والأفكار داخل خطاب وزير التعليم العالي والبحث العلمي؟

الأسئلة الفرعية:

- ما هي أهم المحاور التي يتناولها الخطاب؟

- ما لقيم والأفكار التي يكشفها تحليل الخطاب؟

2- أهمية الدراسة:

- توضح دور تحليل المحتوى في فهم الخطابات الرقمية.

- تبين فائدة استخدام برنامج MAXQDA في تحليل البيانات النوعية.

3-الأهداف:

- تحليل مضمون خطاب الوزير التعليم العالي والبحث العلمي

- التعرف على أهم المحاور التي يتناولها الخطاب

4-المنهج:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لتحليل خطاب وزير التعليم العالي والبحث العلمي.

المبحث الأول: الإطار النظري:

1-تحليل المحتوى:

التحليل: إن التحليل عملية ملازمة للفكر الإنساني، تستهدف إدراك الأشياء والظواهر بوضوح من خلال عزل عناصرها بعضها عن بعض، ومعرفة خصائصها أو سمات هذه العناصر وطبيعة العلاقات القائمة بينها، وهذه الفكرة العامة لعملية التحليل بغض النظر عن أساليبه وأغراضه. (حامد، 2012، صفحة 66)

المحتوى: هو عبارة عن رموز لغوية يتم تنظيمها بطريقة معينة ترتبط بشخصية الفرد-مصدر- وسماته الاجتماعية... فيصبح مظهرًا من مظاهر السلوك يميزه عن غيره من الأفراد، ويستهدف جمهورًا محدد بسماته واحتياجاته واهتماماته ليدرك ما في المحتوى من معاني وأفكار فيتحقق اللقاء والمشاركة بين المصدر والجمهور. (عبد الحميد، 1983، الصفحات 13-14)

تحليل المحتوى: تقنية غير مباشرة تطبق على مادة مكتوبة مسموعة أو سمعية بصرية، تصدر عن أفراد أو جماعات أو تتناولها والتي يعرض محتواها بشكل غير رقمي أنها تسمح بالقيام بسحب كمي أو كيفي. (شتاتحة، 2018، صفحة 91)

تحليل المضمون هو تحويل محتويات وسائل الاتصال والاعلام من بيانات كيفية إلى بيانات كمية، بالاعتماد على عدة تقنيات منهجية، ويهدف من وراء ذلك الى دراسة العلاقات بين متغيرات موضوع الدراسة، وليس الهدف من تحليل مضامين وسائل الاعلام هو الحصول على تكرارات ونسب فقط، وانما القيام بتحليل تلك النسب والتكرارات وتفسيرها بغية الإجابة عن تساؤلات الدراسة. (حمدي، 2017، صفحة 51)

1-2-أنواعه:

تحليل المحتوى الكمي: يقوم على إجراءات يتم بموجبها تفكيك النص أو عينة النصوص وترجمة الأفكار والاصطلاحات والرموز التي ترد فيها إلى مدلولات ومؤشرات رقمية، يمكن تحليلها والتوصل من خلالها على مناهج موضوعية دقيقة. أي ترجمة المحتوى إلى أرقام ونسب وأعداد ثم حساب التكرار لتحديد مواقع الاهتمام أو التهميش فحضور المصطلح أو غيابه في المضمون يعطي تفسيرات ودلالات تقيد الباحث. (مهيرة، 2018، صفحة 4)

تحليل المحتوى الكيفي: يصف (Philipp Mayting) تحليل المحتوى الكيفي كمجموعة من التقنيات لتحليل مختلف أنواع النصوص بطريقة منتظمة، وذلك بغرض دراسة الأفكار والمواضيع الأساسية المتضمنة في النص وليس مجرد دراسة للمحتوى الظاهر فقط. وهو أيضا مقارنة للتحليل المنضبط أمبريقي ومنهجيا للنصوص ضمن سياقها الاتصالي الحقيقي، ويتم ذلك عن طريق اتباع مجموعة من القواعد التحليلية المرتبطة بالمحتوى ونماذج الخطوة بخطوة، دون الاعتماد على طريقة التكميم غير المناسبة. ويبني النموذج الذي يعتمد في تحليل المحتوى الكيفي من خلال الجمع بين نقاط قوة نماذج تحليل المحتوى (السابقة) وبين المحتوى الاتصالي الخفي للمحتوى محل الدراسة والسياق الآني. (بن بوزيان، 2022، صفحة 598)

1-3- شروط تحليل:

حدد العالم (Bernard Berelson) بعض الشروط في تحليل المضمون:

- ❖ يجب أن يكون تحليلنا موضوعيا، وهنا يعني أننا نعيد اختبار ذلك التحليل من طرف باحثين آخرين بحيث لا يستعملون نفس الإجراءات والأدوات، فنصل على نفس النتيجة شريطة أن تكون في نفس الظروف، بعبارة أوضح أن يتسنى لباحثين آخرين بنفس التقطيع ونفس التجزئة والجدولة، والابتعاد في تحليل الخطاب عن ذاتية الباحث.
- ❖ أن يكون التحليل منتظما، أي بطريقة منهجية، والمقصود هنا أن الباحث مر كل ما هو في المضمون له علاقة بالمشكلة المدروسة حتى يتفادى أي اختيار تعسفي أو نتعامل فقط مع الفئات الموافقة مع أطروحة الباحث.
- ❖ لا بد أن تعامل مع المضمون أو المحتوى البين والظاهر، وهذا من أجل ان نتجاوز الأحكام والقوالب الفكرية الجاهزة، أي لا بد ان تعامل بما هو ظاهر وبين حتى لا نخلط وحتى نتفادى الوقوع في الا مضمون، أي: يجب أن نتعامل مع النص في ذاته ولذاته. (شرفة، صفحة 120)

1-4- خطوات تحليل المحتوى:

يعتمد تحليل المحتوى عند توظيفه لدراسة المشكلات العلمية على عدد من الخطوات المنهجية، ويختلف الباحثون في تقسيم تلك الخطوات فمنها ما ينتمي إلى خطوات المنهج العلمي العام، ومنها ما ينتمي للبحث العلمي بصفة عامة، وأخرى تميزه عن غيره من المناهج والتي تعتبر من سماته الخاصة. ومن أبرز الخطوات المنهجية لتحليل المحتوى ما يلي:

- ✓ تحديد موضوع البحث أو المشكلة البحثية.
- ✓ اختيار مجتمع الدراسة.
- ✓ اختيار العينة المناسبة من مجتمع الدراسة.
- ✓ اختيار وتحديد وحدات التحليل.
- ✓ تحديد فئات المضمون
- ✓ وضع نظام للتعبير الكمي.
- ✓ ترميز البيانات.

✓ تحليل البيانات وتفسيرها.

✓ استخلاص النتائج. (مبيرة، 2018، الصفحات 4-5)

-تحديد مجتمع البحث: مجموع مكونات القاعدة التي سوف يتم حولها تحليل المحتوى، مثل الجرائد، الأفلام، الكتب الصور.

-تحديد عينة البحث: العينة هي مجموعة من الوحدات المختارة من مجتمع البحث والتي تحاول تمثيله جيدا، وتكون بمثابة الإطار الذي عليها يتم تحليل المحتوى فعلا. (تمار، 2017، الصفحات 130-131)

2-تحليل المحتوى الرقمي:

يتضمن تعاريف متعدد نظرا لكونه يدمج كل وثيقة رقمية يمكن تخزينها داخل دعامة أو نقلها عبر وسيلة لنقل المعلومة على الخط، هذه المحتويات يمكن أن تكون كتابية أو سمعية بصرية منظمة داخل قاعدة المعطيات أو غير منظمة، فالمحتوى الإلكتروني إذن هو كل وثيقة رقمية متعددة الوسائل الإعلامية منظمة أو غير منظمة على الخط أو خارجه. وتستعمل اللغة المتداولة مصطلح المحتوى الإلكتروني من أجل تعيين القيمة المضافة الإعلامية التي تمنحها المنصات على الخط بمعنى الامتداد الوثائقي أو الموزع من طرف موقع على الخط ويستعمل أيضا مصطلح إدارة المحتوى من أجل تعيين المقاربات والمنهجيات المنبثقة من التنظيم البنيوي والإداري لمحتويات موقع ما على الخط. (علوي و مسرورة، 2020، صفحة 66)

من أهم الأساليب العلمية التي تعود بفعالية سواء منها ما تعلق بسحب عينة من مجتمع البحث أو ما تعلق بالملاحظة بالمشاركة، هو الأسلوب "غير الاحتمالي" أو العينة العمدية، رغم مساوئها والمتمثلة في عدم القدرة على تعميم النتائج ولكن الوصول إلى نتائج علمية قيمة كما يمكن تجاوز هذه المساوئ من خلال الموازنة بين تحليل المضمون والدراسة الميدانية، ومن بين أهم العينات المستخدمة في الدراسات على المجتمعات الافتراضية والتي أثبتت فعاليتها "العينة المتاحة الحصصية، كرة الثلج، وهي الأكثر استخداما في هذا المجال" مع توخي الحذر وضرورة ضبطها وفلترتها من المفردات التي لا تتوافر فيهم خصائص مجتمع البحث. (جدعون، 2022)

1-2-صعوبات تحليل المحتوى الرقمي:

- صفحات الويب غنية بالمعلومات والوثائق ومحتواه يحتاج منهجية علمية دقيقة وموحدة بين كل الباحثين للحصول على نتائج بحث واقعية. وفي هذا المجال نلاحظ قلة المراجع المنهجية التي تطرقت الى كفاءات /تقنيات التحليل الرقمي التي تختلف عن تلك المتعلقة لتحليل المضمون التقليدي.

- ايزال بعض الباحثين قلبي الخبرة في التعامل مع برامج الويب، فالمهارات التطبيقية هي مفتاح الوصول الى خصائص وشروط تطبيق تقنية التحليل المضمون الرقمي، هذا الأخير الذي يختلف من صفحة إلى أخرى (صفحات فايسبوك، تغريدات التويتر...)

- معظم الدراسات المتوفرة حول قياس تأثير الانترنت على سلوك الأفراد من حيث الأبعاد الاقتصادية والسياسية والاجتماعية...لكن المحتوى الإلكتروني هو موضوع بحد ذاته يحتاج الى دراسات معمقة تشرح عناصره وتبحث في منهجية تحليله بأسلوب علمي.

-هناك مشكلة التحليل مع الشرح العميق للمعاني واستخراج الدلالات وعدم الاكتفاء بالتقييم السطحي. خاصة انه لا توجد تقنية موحدة لجمع المادة العلمية/البيانات ومن ثم الترميز والتحليل لأنها مادة-مواضيع متغيرة، متسارعة وقابلة للمسح والاضافة والتغيير عبر الزمن ونعلم أن الباحث عند استخدام تحليل المضمون لابد أن تتسم وحدات تحليله بنموذج موحد-على الأقل ثابت. (قاسم وعلان، 2025، الصفحات 65-66)

2-3-الأدوات الرقمية:

❖ برنامج Node XL :

هي أداة لتحليل الشبكات الاجتماعية تتكامل مع برنامج Microsoft Excel، ويمكنك من خلالها تحويل البيانات من منصات مثل X (المعروفة سابقًا باسم Twitter) و Reddit و Flickr و Wikipedia وغيرها، إلى تصورات ثاقبة. يُمكن Node XL المستخدمين من استيراد البيانات وتحليلها وعرضها بشكل مباشر بنقرة زر واحدة. (<https://www-smrfoundation->). وهو برنامج يؤسس لآليات متقدمة في الدراسات الإعلامية تنسجم وطبيعة الشبكات الاجتماعية وتعقيدات الاعلام الجديد. ويقدم هذا البرنامج خيارات عدة في جمع البيانات وتبويبها وتحليلها وتصويرها، باستخدام برنامج، وإنشاء شبكة من بيانات الشبكة الاجتماعية، وإنشاء شبكات دلالية (Semantic Networks)، ومطالعة نماذج من الأبحاث المنشورة ومراجعتها باستخدام برنامج NodeXL في الاعلام. وسميت الأداة بهذا الاسم اختصار لعبارة: اكتشاف الشبكات في برنامج Excel، أو بالإنكليزية (Network Overview, Discovery and Exploration for Excel). (مرازقة، 2021، صفحة 161)

❖ برنامج MAXQDA :

برنامج احترافي لتحليل البيانات النوعية والكمية المختلطة يعمل على نظامي Windows و MAC، تحليل المقابلات والتقارير والجداول والاستطلاعات عبر الانترنت والمجموع والهدف ومقاطع الفيديو والملفات الصوتية والأدب والصور وغير ذلك الكثير، تم إصداره في عام 1989، ولديه تاريخ طويل في تزويد الباحثين بأدوات تحليلية قوية ومبتكرة وسهلة الاستخدام تساعد على نجاح المشاريع البحثية. (شادلي، 2025، صفحة 641)

ويمكن اختصار تعريف برنامج بأنه تحليل البيانات بمساعدة الكمبيوتر. ميزة البرنامج أنه يسمح بعمليات أكثر كفاءة وفعالية، وهو يستخدم في العديد من المجالات الأكاديمية، مثل علم الاجتماع، علم النفس، العلوم السياسية، علوم الاعلام والاتصال، الطب وعلوم التعليم، وهو أيضا أداة شائعة لرجال الاعمال والباحثين في المجال التجاري. (مرازقة، 2021، صفحة 162) ادخال الذكاء الاصطناعي في تحليل المحتوى: تسهل ميزة "المساعدة الذكية" وهي وحدة إضافية تعتمد على الذكاء الاصطناعي في برنامج -عملية تحليل المحتوى. تصور العلاقات MAXMaps يعد أداة لإنشاء الخرائط مفاهيمية يمكن على سبيل المثال انشاء نماذج توضح العلاقة بين الفئات والفئات الفرعية. (<https://www.maxqda.com>)

وينقسم الترميز إلى عدة أنواع:

الترميز المنظم Structured coding

الترميز الوصفي Descriptive coding

الترميز المفتوح Open coding - ترميز المشاعر Emotion coding (شادلي، 2025، صفحة 642)

المبحث الثاني: الإطار التطبيقي:

1- تقديم العينة:

جدول رقم 1 يمثل بيانات الفيديو الذي طبقت عليه الدراسة

عنوان الفيديو	سكيكدة: السيد بداري يؤكد على أهمية المرافقة المستمرة للمؤسسات الناشئة وتثمين جهودها
قناة اليوتيوب	ALGÉRIE PRESSE SERVICE وكالة الأنباء الجزائرية
تاريخ نشر الفيديو	2025/06/22
تاريخ تحميل الفيديو	2026/04/28
مجال الفيديو	رسمي
اللغة	اللغة العربية
عدد المشاهدات	166
رابط الفيديو	https://youtu.be/FK-H-bSFj5g?si=uTlK74zgl3rsKRnB
مدة الفيديو	2:36 دقيقة.

اعداد الباحثة

من خلال الجدول يوضح اختيار عينة قصدية لفيديو خطاب الوزير التعليم العالي والبحث العلمي بالجزائر البروفيسور كمال بداري الفيديو عبارة عن خطاب في زيارة الوزير لجامعة سكيكدة 2025 ويعتبر الفيديو عينة مناسبة حيث يجمع الخطاب بين البعد السياسي والتعليمي. خضع الفيديو لتحليل محتوى في برنامج MAXQDA حيث يتيح ترميز مقاطع الفيديو بدقة واستخراج الفئات التحليلية بدقة ويساهم في تجاوز بعض صعوبات تحليل المحتوى الرقمي.

2- التحليل الزمني:

تم تقسم الفيديو إلى مقطعين من بداية الفيديو إلى ال دقيقة 01:14 عرض بصري من خلال زيارة الوزير للجامعة والإنجازات (هذا الجزء لا يحتوي على صوت). من الدقيقة 1:15 حتى نهاية الفيديو: خطاب وزير التعليم العالي وهو ما تم التركيز عليه في التحليل هذا الفيديو.

3-بناء شبكة الترميز:

تم تحليل محتوى فيديو خطاب الوزير كمال بداري في جامعة سكيكدة باستخدام تحليل المضمون في برنامج MAXQDA انطلق الترميز من قراءة أولية شاملة بالاستماع للفيديو، ثم تم تجزئة الخطاب إلى وحدات مضمون صغيرة.

وضع ترميز أولي (Open Coding) يعكس مفردات الخطاب ومحاورة الأساسية.

المحاور الأساسية:

المحول الأول حول دور الجامعة مثل: (الجامعة والتنمية - الجامعة واقتصاد المعرفة)
المحور الثاني حول المؤسسات الناشئة واقتصاد المعرفة: (الابتكار-المؤسسة الناشئة -اقتصاد المعرفة)

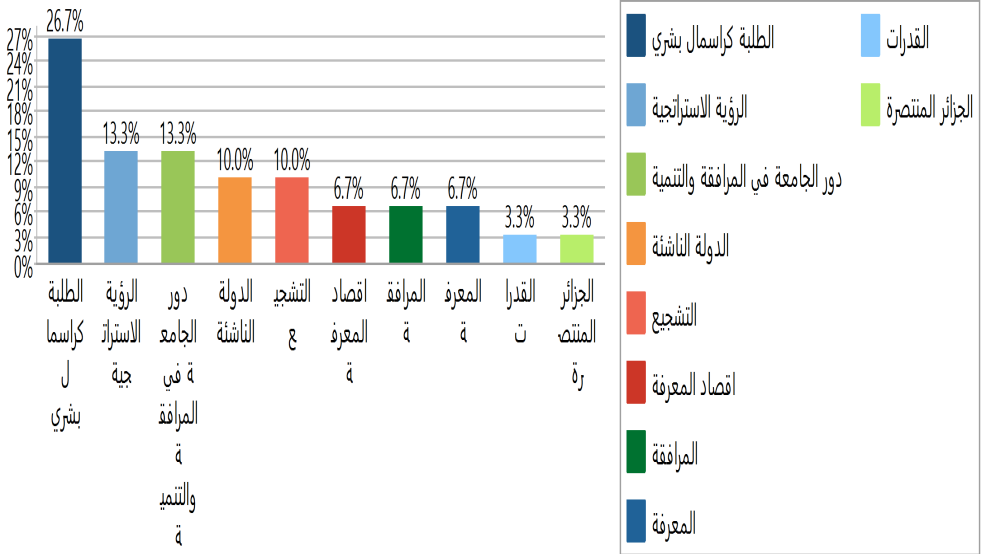
المحور الثالث حول الطلبة الجامعيين مثل:(طلبة رواد اعمال-راس مال بشري-التحفيز والمراقبة)
جدول رقم 2 يمثل الفئات الترميز من خلال الفيديو محل الدراسة

Percentage	Frequency	
25.00	4	الرؤية الاستراتيجية
50.00	8	الطلبة كـرأسمال بشري
25.00	4	دورالجامعة في المرافقة والتنمية
100.00	16	TOTAL

إعداد الباحثة معطيات برنامج MAXQDA

تظهر نتائج تحليل المضمون باستخدام برنامج أن خطاب وزير التعليم العالي والبحث العلمي بالجزائر البروفسير كمال بداري يركز الخطاب بدرجة أساسية على الطلبة الجامعيين في المرافقة في أعمالهم باعتبارهم رأسمال بشري بنسبة 50 بالمائة ، وهو ما يعكس اهتمام بدور الكفاءات الشابة كقوة دافعة للابتكار حيث تكرر في الخطاب وصف هذه الفئة "بأنتم " وهذا يدل على أن الطلبة الجامعيين لم يعد ينظر لهم كمتلقين للمعرفة بل كفاعل اقتصادي في المقابل توزعت حسب التحليل بالتساوي الفئات بين الرؤية المستقبلية للدولة الجزائرية في خطابه "ب25 بالمائة و "دور الجامعة في المرافقة والتنمية" بنسبة 25 بالمائة، وهو ما يشير إلى نوع من التوازن في التوجه العام ضمن اطار اقتصاد المعرفة وربط التكوين الاكاديمي بمتطلبات السوق حيث ربط بين "السوق والخدمة " وهو ما يعكس تكامل بين الدولة والجامعة والطالب.

الشكل رقم 1 يمثل محاور الترميز محل الدراسة



إعداد الباحثة معطيات برنامج MAXQDA

تظهر الأعمدة البيانات المستخرجة من برنامج MAXQDA أن فئة الرؤية الاستراتيجية جاءت متمحورة حول ثلاث مضامين أساسية هي: اقتصاد المعرفة. "الجزائر المنتصرة" و"الدولة الناشئة" ما يدل على حضور خطاب مستقبلي ربط التنمية بالمعرفة ويؤكد توجهها نحو بناء دولة قائمة الكفاءات والموارد البشرية حيث تم تصريح في "2027".

أما فئة الطلبة الجامعيين فقد تضمنت رموزا فرعية هي: التحفيز، المعرفة، القدرات، وهو ما يشير إلى النظر إلى الطالب باعتباره موردا استراتيجيات وعنصرا فاعلا في التنمية حيث صرح "أنتم وأنتم" أنتم الذين تحملون قدرات اقتصاد المعرفة" ويكشف ارتفاع حضور هذه المضامين عن اهتمام الخطاب بتنمية مهارات الطلبة. وفيما يخص الجامعة فقد شملت التشجيع والمرافقة ما يعكس تصورا للجامعة باعتبارها مؤسسة داعمة.

الشكل رقم 2 يمثل سحابة الكلمات الفيديو محل الدراسة

الناشئة أنتم هو المنتصرة

إعداد الباحثة معطيات برنامج MAXQDA

تظهر سحابة الكلمات أن الخطاب المرتبط بالمؤسسات الناشئة يتمحور أساسا حول تأكيد أهميتها حيث برزت كلمات مثل "الناشئة" و "المعرفة" و "الجزائر" "سوق" و "أنتم" بحجم أكبر ما يدل على مركزيتها في النص.

كما يعكس حضور مفاهيم مثل "الدولة" ارتباط هذا الخطاب بالإطار الرسمي في حين تشير كلمات مثل "الزيارة" إلى أن هذا الطرح في زيارات ميدانية. ولا يمكن في هذا السياق اغفال مفهوم "المرافقة" الذي يشكل عنصرا جوهريا في الخطاب من خلال التأكيد على الدعم والمتابعة بشكل مستمر.

ويجدر التنويه منهجيا إلى أنه تم تفريغ النص يدويا عبر الاستماع إلى الفيديو وكتابته في ملف Word ثم إدخاله إلى برنامج MAXQDA، نظرا لعدم توفر نص مرفق ومع قصر الفيديو تم نقل الخطاب كاملا بما يعزز دقة التحليل، وبشكل عام تكشف السحابة عن خطاب يبنى على أهمية المؤسسات الناشئة والتأكيد على مرافقتها.

4-نتائج الدراسة:

أظهر تحليل خطاب الوزير الذي أكد فيه على المرافقة لم يكن الخطاب مجرد معلومات بل كان تفاعليا ويقدم صورة جديدة للجامعة لإنتاج المعرفة مع ربطها باقتصاد المعرفة ودور الطلبة في التنمية "الجزائر المنتصرة".

خاتمة:

توصلت الدراسة إلى أن تحليل المحتوى من أهم المناهج في فهم الخطابات الرقمية، حيث يساعد تحليل المحتوى على كشف المعاني الواضحة والخفية ومن جهة أخرى كيف تبني داخل المحتوى. كما ساعد استخدام الترميز في برنامج على تنظيم المعطيات وتقسيمها إلى فئات، مما ساعد على فهم المعاني والعلاقة بين "سوق العمل-سوق الخدمات -سوق الابتكار" وتوصي الدراسة: بتوسيع الاعتماد على تحليل المحتوى ليشمل الفيديوهات والخطابات الرقمية، وعدم الاكتفاء على النصوص المكتوبة فقط. ودعم تكوين الباحثين في استخدام أدوات التحليل الرقمي، خاصة ما يتعلق بتحليل المواد السمعية البصرية.

قائمة المراجع:

1. اسماعيل مرازقة. (ديسمبر، 2021). استخدام البرمجيات في تحليل الشبكات الاجتماعية برنامجا NodeXL و MAXQDA كأنموذجين. مجلة رقمنة للدراسات اعلامية والاتصالية، الصفحات 157-165.
2. إلياس شرفة. (بلا تاريخ). تحليل المعطيات وقراءته كيفيا(منهج تحليل المضمون). مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية العدد 16، الصفحات 116-124.
3. أم الخير شتاتحة. (ديسمبر، 2018). تحليل المحتوى كمنهج أم كتقنية مع نماذج عملية. مجلة العلوم القانونية والاجتماعية جامعة زيان عاشور بالجلفة. العدد الثاني عشر، الصفحات 89-114.
4. بثينة مهيبة. (2018). بعض الاشكاليات المنهجية في دراسات الاعلام الالكتروني. تحليل المحتوى الاعلامي في المواقع الاعلامية والصحفية الالكترونية (. جامعة الامير عبد القادر للعلوم الانسانية. الصفحات 1-21)
5. خالد حامد. (2012). منهجية البحث في العلوم الاجتماعية والانسانية. الجزائر: جسر للنشر والتوزيع.
6. زينة جدعون. (ديسمبر، 2022). صعوبة تطبيق تحليل المحتوى في الفضاء الرقمي. مجلة الحوار الثقافي، الصفحات 148-170.
7. سمية قاسم، و أنيسة علان. (جوان، 2025). مفاهيم ومكونات تحليل المحتوى الرقمي وصعوباته المنهجية. مجلة متيجة للدراسات الانسانية المجلد 5 العدد 2، الصفحات 60-67.
8. عبد الحق شادلي. (9، 2025). ثمثالات القيم والأخلاقيات في العصر الرقمي تحليل مضمون نوعي لفيفديو يوتيوب باستخدام برنامج MAXQDA. مجلة الباحث. المدرسة العليا للاساتذة الشيخ العلامة مبارك بن محمد ابراهيمي الميلي الجزائري-بوزريعة-الجزائر. المجلد 17. العدد 02، الصفحات 633-653.
9. عبد الرحيم بن بوزيان. (ديسمبر، 2022). تحليل المحتوى بين الكم والكيف. مجلة الإعلام والمجتمع. المجلد 06. العدد 02، الصفحات 583-607.
10. محمد الفاتح حمدي. (2017). منهجية البحث في علوم الاعلام والاتصال (دروس نظرية وتطبيقات). عمان-الاردن: دار اسامة للنشر والتوزيع.
11. محمد عبد الحميد. (1983). تحليل المحتوى في بحوث الاعلام. جدة: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة.
12. هند علوي، و محمود مسرورة. (7، 2020). المحتوى الرقمي العربي عبر شبكة الانترنت اقتراح تصميم بوابة عربية لادارة المحتوى الرقمي. مجلة علوم المعلومات، علم الأرشفة وعلم المكتبات. المجلد رقم 04. العدد رقم 01، الصفحات 62-88.
13. يوسف تمار. (2017). مناهج وتقنيات البحث في الدراسات الاعلامية . الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

14. <https://www.maxqda.com>

15. <https://www.smrfoundation.org>

منهجية تحليل المحتوى: الأسس النظرية والتطبيقات العملية

د. إيهاب الأخضر - جامعة تونس

lak.iheb88@gmail.com

أ. لطيفة بن حسن - جامعة تونس

benhalatifa2022@gmail.com

ملخص البحث: تهدف هذه الدراسة إلى تقديم إطار منهجي شامل لتحليل المحتوى بوصفه من أهم مناهج البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية. تستعرض الورقة الأسس النظرية لهذا المنهج وتطوره من التحليل الكمي إلى المقاربات التي تجمع بين الكمي والنوعي. كما تتناول أنواع تحليل المحتوى، بما في ذلك التحليل الكمي والنوعي والموجه والرقمي. وتبرز الدراسة أهمية هذا المنهج في تحليل الظواهر الاتصالية والثقافية وفهم المعاني الكامنة في النصوص. كما تقدم الخطوات الإجرائية لتحليل المحتوى، بدءاً من صياغة أسئلة البحث واختيار العينة، وصولاً إلى الترميز والتحليل والتفسير. وتعرض الورقة نماذج تطبيقية في مجالات الإعلام والتربية والعلوم الاجتماعية. كما تناقش التحديات المنهجية والتقنية المرتبطة بتحليل المحتوى، إضافة إلى الاعتبارات الأخلاقية. وتخلص الدراسة إلى تقديم توصيات لتعزيز دقة وفعالية استخدام هذا المنهج في البحوث العلمية المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: تحليل المحتوى، المنهجية البحثية، التحليل الكمي، التحليل النوعي.

Abstract: This study aims to present a comprehensive methodological framework for content analysis as a key research method in the social and human sciences. It reviews the theoretical foundations of content analysis and traces its development from purely quantitative approaches to integrated quantitative and qualitative methods. The paper discusses the main types of content analysis, including quantitative, qualitative, directed, and digital approaches. It highlights the importance of this method in analyzing communicative and cultural phenomena and uncovering underlying meanings in texts. The study also outlines the procedural steps of content analysis, from formulating research questions and selecting samples to coding, analysis, and interpretation. In addition, it presents practical applications in media, education, and social sciences, while addressing methodological challenges and ethical considerations.

The study concludes with recommendations to enhance the accuracy and effectiveness of content analysis in contemporary research.

Keywords: Content Analysis, Research Methodology, Quantitative Analysis, Qualitative Analysis

1. مقدمة:

يُعدّ تحليل المحتوى من أبرز المناهج البحثية التي اعتمدها الباحثون في مختلف التخصصات العلمية، إذ يُمثّل حلقة وصل بين الظواهر اللغوية والاتصالية وبين التفسيرات والتحليلات الموضوعية. وقد شهد هذا المنهج تطورات جوهرية منذ نشأته في مطلع القرن العشرين، حيث انتقل من مجرد أداة للوصف الكمي البسيط إلى منهجية متطورة قادرة على التعامل مع البيانات النوعية والتحليلات المعقدة.

تهدف هذه الورقة إلى تقديم إطار نظري شامل لتحليل المحتوى يتناول مفهومه وأنواعه وخطواته التطبيقية، مع استعراض نماذج تطبيقية تُساعد الباحثين في استخدام هذه المنهجية بفعالية في دراساتهم البحثية.

تكمن أهمية دراسة تحليل المحتوى في كونه يُقدم للباحثين أداة منهجية صارمة قادرة على التعامل مع كم هائل من البيانات النصية والسمعية البصرية بطريقة منهجية وموضوعية. كما أنه يُتيح للباحثين دراسة أنماط الاتصال ورصد الاتجاهات وتفسير المعاني الكامنة وراء النصوص، مما يجعله خياراً مثالياً للدراسات الإعلامية والاجتماعية والتربوية والنفسية. وفي ظل الانفجار المعلوماتي الرقمي الذي يُميز عصرنا الحالي، تبرز الحاجة الماسة إلى فهم هذا المنهج وتطبيقه بشكل منهجي ودقيق، حيث يُساهم في تحليل المحتوى الرقمي على منصات التواصل الاجتماعي وفي الصحافة الإلكترونية وفي مصادر المعلومات المتنوعة.

تتناول هذه الورقة عدة محاور أساسية تبدأ بالإطار المفاهيمي لتحليل المحتوى، ثم تنتقل إلى استعراض أنواعه المختلفة وخصائص كل نوع، وتُسلط الضوء على أهميته ومجالات استخدامه، ثم تطرح خطواته التفصيلية التي يُمكن للباحثين اتباعها. كما تستعرض الورقة نماذج تطبيقية من الواقع البحثي العربي والأجنبي، وتختتم بتوصيات وإرشادات للباحثين الراغبين في استخدام هذا المنهج في دراساتهم. تعتمد الورقة على مجموعة من المراجع العربية والأجنبية المتخصصة التي تغطي جوانب متعددة من تحليل المحتوى، مما يُضفي عليها عمقاً أكاديمياً وشمولية في المعالجة.

2. الإطار المفاهيمي لتحليل المحتوى:

يُعرّف تحليل المحتوى بأنه مجموعة الخطوات المنهجية التي تسعى إلى اكتشاف المعاني الكامنة في المحتوى، والعلاقات الارتباطية بهذه المعاني، من خلال البحث الكمي والموضوعي. وقد عرّفه الباحثون بأنه أسلوب علمي ومنهجي يُستخدم لوصف وتحليل الوثائق بشكل منهجي وموضوعي، ويهدف إلى فهم الرسائل والاتصالات من خلال تصنيف وقياس محتواها. ويُعتبر أداة للباحثين لتحديد وجود كلمات أو موضوعات أو مفاهيم معينة ضمن بيانات نوعية معينة، سواء كانت هذه البيانات نصوياً مكتوبة أو تسجيلات صوتية أو مواد بصرية (درويش، 2018، ص 220).

يمكن تعريف تحليل المحتوى بأنه عملية فكرية لتجميع البيانات النوعية وتحولها إلى فئات مفاهيمية، حيث يتم تصنيف المحتوى النصي النوعي في مجموعات من الكيانات المتشابهة أو المفاهيم المتماثلة. وهذا التعريف يُبرز الطبيعة التصنيفية والتحليلية لهذا المنهج، والذي يتجاوز مجرد العد والتصنيف إلى التفسير والفهم العميق للمعاني والسياقات. كما يُمكن وصفه بأنه إجراء تحليلي منهجي ومنظم، وتفسيره لنصوص البيانات، يسعى إلى استخلاص الأنماط والمعاني من المحتوى المُحلّل.

يتضح من التعريفات السابقة أن تحليل المحتوى ليس مجرد أداة وصفية، بل هو منهجية تحليلية متكاملة تجمع بين الدقة المنهجية والمرونة في التعامل مع البيانات المختلفة. فهو يُوظف الأساليب الكمية والنوعية في آن واحد، مما يُتيح للباحثين الحصول على صورة شاملة ومتكاملة عن الظاهرة

المدرسة. وتُعدّ هذه الميزة من أهم نقاط القوة التي تُميز تحليل المحتوى عن غيره من المناهج البحثية، حيث يُمكن توظيفه في دراسات استكشافية ونوصحية وفي دراسات تأكيدية تختبر فرضيات محددة (عبيدات وآخرون، 2015، ص 280).

3. نشأة تحليل المحتوى وتطوره التاريخي:

تعود جذور تحليل المحتوى إلى بدايات القرن العشرين، حيث ظهر في بيئة دراسات الصحافة والإعلام في مدرسة الصحافة بكونومبيا. وقد شهدت هذه المنهجية تطوراً هائلاً عبر العقود، حيث انتقلت من مجرد تحليل كمي بسيط للكلمات المتكررة إلى تحليل معمق يجمع بين الأبعاد الكمية والنوعية. وقد ساعدت هذه التطورات في إبراز أهمية تحليل المحتوى في الدراسات الإنسانية والاجتماعية، وأثّرت على تطويره في السياقات الأكاديمية والبحثية المختلفة.

خلال العقود الأولى من استخدامه، اقتصر تحليل المحتوى على الدراسات الصحفية والإعلامية، حيث كان يُستخدم بشكل رئيسي في تصنيف المواد الصحفية وقياس التوجهات الأيديولوجية في الصحف والمجلات. ومع مرور الوقت، توسّع استخدام هذه المنهجية لتشمل مجالات بحثية متنوعة مثل علم النفس وعلم الاجتماع والعلوم السياسية والتربية، مما أسهم في تطوير أدوات وأساليبه وتحسين دقته وموضوعيته. وقد كان لهذا التوسع الكبير أثر كبير في إثراء الأدبيات البحثية المتعلقة بتحليل المحتوى، وجعلها أكثر ثراءً وعمقاً. في المرحلة المعاصرة، أصبح تحليل المحتوى أداة أساسية في البحث النوعي، حيث يُوظف بشكل متزايد في تحليل المحتوى الرقمي وبيانات التواصل الاجتماعي. وقد أدى هذا التحول إلى ظهور تحديات جديدة تتعلق بالتعامل مع البيانات الضخمة (Big Data) ومع المحتوى متعدد الوسائط الذي يجمع بين النصوص والصور والفيديوهات. كما أدت التقنيات الحديثة في مجال الذكاء الاصطناعي ومعالجة اللغات الطبيعية إلى تطوير أدوات جديدة لتحليل المحتوى، مما يفتح آفاقاً واسعة أمام الباحثين في هذا المجال (زررواني، 2004، ص 140).

4. الأسس النظرية لتحليل المحتوى:

يستند تحليل المحتوى إلى مجموعة من الأسس النظرية التي تُشكّل الإطار الفكري للمنهج. فمن الناحية النظرية، يقوم تحليل المحتوى على افتراض أن الكلمات والمصطلحات المستخدمة في النصوص تعكس أنماطاً ومشكلات اجتماعية وثقافية يمكن رصدها وتحليلها. كما يستند إلى مبدأ أن السياق الذي يظهر فيه المحتوى يؤثر بشكل جوهري على معناه، وبالتالي يجب على الباحث أن يأخذ في الاعتبار هذا السياق عند تحليل النصوص. ويتميز تحليل المحتوى بأنه يُعيد إنتاج الحقائق الاجتماعية من خلال التركيز على موضوعات النصوص وتراكيبها وعلاقاتها، مما يُتيح فهماً أعمق للظواهر المدروسة. من أبرز النظريات التي يستند إليها تحليل المحتوى نظرية الاتصال التي تُفترض أن الرسالة الإعلامية تحمل معاني مقصودة ومحددة يمكن تحليلها واستخلاصها. كما يستند إلى نظرية الخطاب التي تُركز على كيفية إنتاج المعاني والعلاقات السلطوية من خلال الممارسات اللغوية. وتُساهم هذه النظريات في توجيه الباحث نحو فهم أعمق للأبعاد الخفية في

النصوص، والتي قد لا تظهر من خلال التحليل السطحي المباشر. ويُمكن القول إن الأساس النظري لتحليل المحتوى يتَّسم بالتكاملية، حيث يستفيد من مقاربات نظرية متعددة تُثري عملية التحليل وتُعمِّقها (غرابية وآخرون، 2002، ص 100).

5. أنواع تحليل المحتوى:

1.5. التحليل الكمي للمحتوى (Quantitative Content Analysis):

يُعدّ التحليل الكمي للمحتوى النوع الأقدم والأكثر شيوعاً في استخدام هذا المنهج، حيث يركز على العد والقياس الموضوعي للمفردات والمفاهيم المتكررة في النصوص. ويتميز هذا النوع بتطبيق أساليب إحصائية صارمة في تحليل البيانات، حيث يُعتمد على حساب التكرارات والنسب المئوية والاستعانة بأساليب مثل تحليل التباين والارتباط لاختبار العلاقات بين المتغيرات. ويُستخدم هذا النوع بشكل واسع في الدراسات الإعلامية لقياس توجهات وسائل الإعلام ورصد أنماط التغطية الإعلامية للقضايا المختلفة.

يقوم التحليل الكمي على تحديد وحدات التحليل بشكل واضح، سواء كانت كلمات أو جمل أو فقرات أو موضوعات، ثم تُحسب تكرارات ظهور هذه الوحدات في النص المُحلَّل. ويتميز هذا النوع بالموضوعية والقابلية للتكرار، حيث يستطيع أي باحث آخر تطبيق نفس المنهجية والحصول على نتائج متشابهة. غير أنه يواجه بعض الانتقادات المتعلقة بالسطحية في التحليل، حيث قد لا يتمكن من التقاط المعاني الدقيقة والسياقات الدلالية المعقدة التي يتضمنها النص. ومع ذلك، يظل هذا النوع أداة قوية في الدراسات التي تسعى إلى قياس الظواهر بشكل موضوعي ودقيق (عبد الجواد، 2009، ص 25).

2.5. التحليل النوعي للمحتوى:

يُمَوِّل التحليل النوعي للمحتوى نهجاً مختلفاً يركز على فهم المعاني والسياقات وراء النصوص بدلاً من مجرد عدّ المفردات. ويهدف هذا النوع إلى تحويل كمية كبيرة من البيانات النصية إلى ملخص منظم ومختصر بشكل صارم. ويُجيب التحليل النوعي على أسئلة مثل "لماذا؟ وكيف؟ وماذا؟"، حيث يستكشف من خلال عملية تكرارية من الترميز والعد والتفسير العمق الدلالي للمحتوى. ويُعدّ هذا النوع أكثر مرونة من نظيره الكمي، إذ يُتيح للباحث التعمق في تحليل النصوص واستخلاص الأنماط والمعاني الخفية، تتضمن عملية التحليل النوعي للمحتوى عدة مراحل متدرجة تشمل فك السياق ثم إعادة السياق ثم التصنيف وأخيراً التجميع وتساعد هذه المراحل الباحث على الانتقال من البيانات الخام إلى تفسيرات منظمة وممنهجة. ويُعتبر هذا النوع مثالياً للدراسات الاستكشافية التي تسعى إلى فهم ظاهرة معينة بعمق، أو للدراسات التي تتناول نصوصاً معقدة تحتاج إلى تفسير دقيق. وقد تزايد استخدام هذا النوع بشكل ملحوظ في السنوات الأخيرة مع الاهتمام المتزايد بالبحث النوعي في العلوم الاجتماعية والإنسانية (طعيمة، 2008، ص 215).

3.5. التحليل النوعي الموجه (Directed Qualitative Content Analysis) :

يُقدم التحليل النوعي الموجه نهجاً متوسطاً يجمع بين مزايا التحليلين الكمي والنوعي. في هذا النوع، يبدأ الباحث بافتراضات نظرية أو أسئلة بحثية محددة، ثم يستخدم هذه الافتراضات كإطار أولي للتحليل مع إتاحة المجال لتعديل هذا الإطار بناءً على البيانات المستخرجة. يُقدم هذا البحث توضيحاً وتوطئة لأساليب، وهو طريقة تحليل محتوى نوعية موجهة تُوظف الإطار النظري في توجيه عملية التحليل مع الحفاظ على المرونة الكافية. ويُعدّ هذا النوع مفيداً بشكل خاص في الدراسات التي تستهدف اختبار نظريات قائمة أو التحقق من فرضيات محددة (عبد الحميد، 2000، ص 258).

4.5. تحليل محتوى الوسائط الرقمية:

شهد العقدان الأخيران تحولاً نوعياً في تحليل المحتوى مع ظهور المحتوى الرقمي وبيانات التواصل الاجتماعي. أصبح تحليل المحتوى الرقمي في بحوث الإعلام والاتصال يشمل تدفقاً لا نهائياً من البيانات والمعلومات الضخمة على مدار الثانية، إضافة إلى تفاعلية الجماهير غير المحدودة لتلك المحتويات. يتطلب هذا النوع من التحليل التعامل مع تنوع مصادر البيانات، من نصوص ومنشورات ورسائل إلى صور ومقاطع فيديو ورسائل صوتية. كما يفرض تحديات تتعلق بالخصوصية والأخلاقيات البحثية، والتي يجب على الباحثين أخذها بعين الاعتبار عند تصميم دراساتهم. (Bardin. 1998. P 102)

6. أهمية تحليل المحتوى وتطبيقاته:

1.6. الأهمية النظرية والعملية:

يحتل تحليل المحتوى مكانة بارزة بين مناهج البحث العلمي لعدة أسباب نظرية وعملية متكاملة. من الناحية النظرية، يُتيح هذا المنهج للباحثين دراسة الظواهر اللغوية والاتصالية بطريقة علمية صارمة، بعيداً عن التفسيرات الانطباعية التي قد تُؤثر على الموضوعية. كما يُساهم في بناء نظريات بحثية جديدة من خلال استخلاص الأنماط المتكررة من البيانات الخام، ويُعزز الفهم المعمق للسياقات الاجتماعية والثقافية التي تُنتج فيها النصوص. ومن الناحية العملية، يُقدم تحليل المحتوى أدوات قابلة للتطبيق في مجالات مهنية متنوعة، بدءاً من دراسات السوق والتسويق إلى تحليل الخطابات السياسية والدراسات الإعلامية. تُساعد هذه المنهجية على المقارنة بين وسائل الإعلام الجماهيرية من حيث موضوعاتها وتوجهاتها وأهدافها، كما يقيس مدى تطبيق وسائل الإعلام للأسس الإعلامية المهنية، ويُسهّم في تقييم المحتوى الإعلامي من منظور موضوعي. ويُتيح تحليل المحتوى للباحثين إمكانية إجراء دراسات طولية تتابع تطور الظواهر عبر الزمن، مما يُساعد في رصد التحولات والاتجاهات الجديدة. كما يُساهم في بناء قواعد بيانات ضخمة عن المحتوى الإعلامي والثقافي يمكن الاستفادة منها في أبحاث مستقبلية. وتمتد أهمية تحليل المحتوى إلى مجالات متنوعة مثل تحليل المناهج الدراسية، ودراسة اتجاهات الرأي العام،

وتقييم فعالية الحملات الإعلامية، ودراسة الخطاب السياسي والحزبي (Mucchielli, 1988, P108).

2.6. مجالات الاستخدام في البحث العلمي:

يتنوع استخدام تحليل المحتوى بشكل واسع في مختلف التخصصات العلمية، مما يجعله أحد أكثر المناهج البحثية عالمية. في مجال الإعلام والاتصال، يُستخدم لتحليل محتوى الصحف والمجلات والبرامج التلفزيونية والمواقع الإلكترونية ومنشورات التواصل الاجتماعي، ودراسة أنماط التغطية الإعلامية ورصد التوجهات الأيديولوجية للوسائل الإعلامية المختلفة. وفي مجال التربية وعلم النفس، يُوظف في تحليل المناهج الدراسية والكتب المدرسية وأدلة التعليم، ودراسة الخطابات التربوية والنفسية واستكشاف اتجاهات المعلمين والطلاب. في مجال العلوم الاجتماعية، يُطبق تحليل المحتوى في دراسة الخطابات السياسية والبرامج الحزبية والمواثيق الرسمية، وتحليل محتوى المقابلات المعمقة ومجموعات التركيز، واستكشاف التمثيلات الاجتماعية في النصوص المختلفة. وفي مجال التاريخ والعلوم الإنسانية، يُستخدم في تحليل المخطوطات التاريخية والوثائق الأرشيفية والأدبيات التراثية، مما يُتيح فهم التحولات الثقافية والحضارية عبر العصور. كما يجد تحليل المحتوى تطبيقات مهمة في مجال الدراسات الأدبية، حيث يُوظف في تحليل النص الأدبي ودراسة الأساليب البلاغية والمعجمية والبنية السردية.

3.6. مزاي تحليل المحتوى:

يتميز تحليل المحتوى بمجموعة من المزايا التي تجعله خياراً جذاباً للباحثين في مختلف التخصصات. من أبرز هذه المزايا الموضوعية، حيث يُتيح للباحثين تحليل المحتوى بشكل منتظم ومتسق معايير محددة مسبقاً، مما يُقلل من تأثير التحيز الشخصي على النتائج. كما يتميز بالقابلية للتكرار، إذ يستطيع أي باحث آخر تطبيق نفس المنهجية على نفس المحتوى والحصول على نتائج متماثلة أو متقاربة. ويتميز أيضاً بالكفاءة العالية في التعامل مع كم كبير من البيانات، خاصة في ظل توفر أدوات التحليل الحاسوبية الحديثة التي تُسرّع عملية الترميز والتصنيف. من المزايا الأخرى، المرونة في التعامل مع أنواع مختلفة من البيانات، سواء كانت نصوصاً مكتوبة أو تسجيلات صوتية أو مواد بصرية، والمرونة أيضاً في اختيار مستوى التحليل من مستوى المفردة إلى مستوى الموضوع أو الموضوعات الكبرى. كما يُتيح تحليل المحتوى إجراء دراسات مقارنة عبر الثقافات أو الفترات الزمنية المختلفة، مما يُساعد في فهم التحولات والتطورات في أنماط الاتصال والخطاب. ويتميز أيضاً بقدرته على المزج بين الأساليب الكمية والنوعية، مما يُتيح للباحثين الحصول على صورة شاملة عن الظاهرة المدروسة. كما يُعدّ من أقل المناهج تكلفة من حيث جمع البيانات، خاصة عند مقارنة بمقابلات ميدانية أو دراسات مسحية ضخمة (Mucchielli, 1988, P115).

7. خطوات تحليل المحتوى الإجرائية:

1.1. صياغة أسئلة البحث:

تبدأ عملية تحليل المحتوى بصياغة واضحة لأسئلة البحث أو أهداف الدراسة، حيث تُشكّل هذه الأسئلة الخيط الناظم لجميع الخطوات اللاحقة. ينبغي على الباحث أن يكون واضحاً في تحديد ما يسعى إلى معرفته من خلال التحليل، سواء كان ذلك وصفاً لظاهرة معينة أو مقارنة بين ظواهر أو اختبار فرضيات محددة. ويُنصح بأن تكون أسئلة البحث محددة وقابلة للقياس والتحقيق من خلال المحتوى المُحلّل. كما يجب أن تأخذ في الاعتبار الجدوى من حيث إمكانية الحصول على البيانات اللازمة والوقت والموارد المتاحة. يُساعد تطوير أسئلة البحث الواضحة في توجيه عملية اختيار العينة وجمع البيانات وتصميم نظام الترميز. ويتطلب الأمر مراجعة الأدبيات السابقة للتأكد من أن أسئلة البحث تُسهم في سد الفجوات المعرفية القائمة، وأنها تتسق مع الإطار النظري الذي يعتمد عليه الباحث. كما ينبغي أن تكون أسئلة البحث مرتبطة بمشكلة بحثية واضحة تُبرر إجراء الدراسة. ويُفضل أن تتراوح أسئلة البحث بين أسئلة عامة تستكشف ظاهرة معينة وأسئلة محددة يمكن الإجابة عليها من خلال التحليل المنهجي للمحتوى.

2.7. اختيار المحتوى والعينة:

تُعدّ هذه الخطوة حاسمة في تحديد نطاق الدراسة وصحة نتائجها، حيث يجب على الباحث تحديد المحتوى الذي سيُحلّل وفقاً لمعايير منهجية صارمة. وتتضمن هذه الخطوة تحديد المصادر التي سيتم منها العينة، سواء كانت صحفاً أو مجلات أو مواقع إلكترونية أو وثائق رسمية أو أي نوع آخر من المحتوى. كما يجب تحديد معايير الاختيار والشروط التي يجب أن تتوفر في المحتوى المُختار، مثل الفترة الزمنية والجهة المنتجة والموضوعات المطلوبة. ويُعتمد على أسلوب المعاينة المناسب، سواء كان عشوائياً أو هادفاً أو طبقياً، بناءً على طبيعة البحث وأهدافه من الضروري أن يكون حجم العينة كافياً لتحقيق أهداف الدراسة، مع الأخذ في الاعتبار محدودية الموارد والوقت المتاحة. كما يجب توثيق عملية اختيار العينة بشكل دقيق لضمان الشفافية وإتاحة إمكانية تكرار الدراسة. وفي حالة الدراسات النوعية، قد يكون الحجم الصغير للعينة كافياً إذا كان المحتوى غنياً بالمعلومات المُراد استخلاصها. ومن المهم أيضاً مراعاة التعددية والتنوع في العينة لتمثيل السياق العام للظاهرة المدروسة بشكل أفضل (الدليبي وصالح، 2014، ص 166).

3.7. تحديد وحدات التحليل:

تُمثّل وحدات التحليل العناصر الأساسية التي سيتم تحليلها وتصنيفها، وتتطلب هذه الخطوة تحديداً دقيقاً وواضحاً. تتنوع وحدات التحليل بين وحدات لغوية مثل الكلمة والعبارة والجملّة والفقرة، ووحدات موضوعية مثل الموضوع والحادثة والشخصية، ووحدات فضائية مثل الصفحة والعمود والسطر. يجب أن يكون تعريف وحدات التحليل واضحاً لا يُدخل غموضاً أو التباساً، كما يجب أن تكون موحدة التطبيق بحيث يستطيع أكثر من مُشقّر تصنيف نفس الوحدة بشكل متسق.

يعتمد اختيار وحدات التحليل على طبيعة أسئلة البحث ونوع البيانات المتاحة، حيث تُستخدم الوحدات اللغوية عادة في التحليل الكمي للمحتوى، بينما تُستخدم الوحدات الموضوعية في التحليل النوعي. ومن الضروري اختبار الاتساق في تطبيق وحدات التحليل قبل البدء في التحليل الفعلي، وذلك من خلال تطبيق نظام الترميز على عينة تجريبية وتحليل نتائجها. كما يجب تسجيل أي حالات خاصة أو استثنائية قد تظهر أثناء التحليل وكيفية التعامل معها، لضمان دقة التحليل وموثوقية النتائج (حسو الزبياري، 2011، ص 85).

4.7. بناء نظام الترميز:

يُعدّ بناء نظام الترميز من أهم الخطوات وأكثرها تحدياً في عملية تحليل المحتوى، إذ يُحدد الإطار المفاهيمي الذي سيتم من خلاله تصنيف المحتوى. يجب أن يكون نظام الترميز شاملاً ومتكاملاً ويُغطي جميع جوانب المحتوى المُراد تحليلها، مع أن يكون واضحاً ومفهوماً لأي مُشَقَّر. كما يجب أن يكون التصنيف متبادلاً واستبعاداً متبادلاً، بحيث يمكن تصنيف كل وحدة في فئة واحدة فقط ولا تداخل بين الفئات. ويُنصح أن يكون عدد الفئات محدوداً وقابلاً للإدارة، مع إمكانية دمج الفئات المتشابهة أو تقسيم الفئات العامة عند الحاجة يتضمن بناء نظام الترميز تحديد الفئات وتحديد قواعد الترميز التي تُحدد كيف سيتم تصنيف كل وحدة ضمن الفئات المختلفة. ويُفضل تطوير نظام الترميز بشكل تدريجي، بدءاً من الفئات العامة ثم الانتقال إلى فئات فرعية أكثر تحديداً. ومن الضروري اختبار نظام الترميز على عينة تجريبية لتحديد أي نقاط ضعف أو غموض في التصنيف، ثم تعديل النظام بناءً على نتائج الاختبار. كما يجب تدريب المُشَقَّرين على استخدام نظام الترميز بشكل متسق، وتوثيق أي تعديلات تُجرى على النظام أثناء عملية التحليل (سلطانية والجيلاني، 2012، ص 56).

5.7. التحليل والتفسير:

بعد اكتمال عملية الترميز، يبدأ الباحث في تحليل البيانات المُستخرجة واستخلاص النتائج. يتضمن هذا المرحلة تحليل التكرارات والنسب المئوية للفئات المختلفة في حالة التحليل الكمي، واستخلاص الموضوعات والأنماط في حالة التحليل النوعي. ومن الضروري ربط النتائج بأسئلة البحث والأهداف المحددة في البداية، وتقديم تفسيرات منطقية للنتائج المُحصَل عليها. كما يجب مقارنة النتائج مع الدراسات السابقة ذات الصلة، ومناقشة التشابه والاختلاف معها. يتطلب التحليل والتفسير مراجعة مستمرة للبيانات الخام للتأكد من صحة النتائج وتفسيراتها، خاصة في التحليل النوعي حيث قد تظهر معاني خفية لم يتم التقاطها في المرات الأولى. ومن المفيد استخدام أدوات التحليل الحاسوبية لتسهيل عملية معالجة البيانات واستخلاص الأنماط، خاصة مع البيانات الضخمة. كما يجب توثيق جميع خطوات التحليل والنتائج بشكل دقيق، مع تسجيل أي ملاحظات أو تفسيرات مهمة ظهرت أثناء العملية. ويُعزز من مصداقية التحليل تقديم أدلة من البيانات الخام أهم النتائج التي يتم استخلاصها (جبلبي، 2012، ص 147).

6.7. التحقق من صدق التحليل وثباته:

يُمثل التحقق من صدق وثبات التحليل خطوة أساسية لضمان جودة نتائج الدراسة وقابليتها للتعميم. يُعنى الصدق بالتأكد من أن نظام الترميز يقيس ما يُفترض أن يقيسه، بينما يُعنى الثبات باتساق النتائج عند تطبيق نفس النظام من قبل مُشفرين مختلفين أو في أوقات مختلفة. ومن أبرز أساليب التحقق، اختبار الصدق الظاهري من خلال عرض نظام الترميز على محكمين متخصصين للتأكد من ملاءمته وشموليته، واختبار صدق المحتوى من خلال مقارنة النتائج مع مصادر خارجية أو مع بيانات من دراسات أخرى. يُقاس الثبات عادة من خلال حساب نسبة الاتفاق بين مُشفرين مستقلين، حيث تُعتبر نسبة 80% أو أعلى مقبولة عموماً في الدراسات البحثية. ولحساب ذلك، يُطبق نظام الترميز على عينة من المحتوى من قبل مُشفرين مختلفين، ثم تُحسب نسبة الاتفاق. وفي حالة وجود اختلافات، يجب تحليل أسبابها وتعديل نظام الترميز أو توضيح قواعد التصنيف لمعالجتها. كما يُنصح بإجراء اختبار ثانٍ بعد فترة زمنية من التطبيق الأول للتحقق من استقرار النتائج، مما يُعزز من موثوقية الدراسة ككل (ابراش، 2009، ص 203).

8. نماذج تطبيقية لتحليل المحتوى:

1.1. نموذج تحليل محتوى الخطاب الإعلامي:

يُقدم نموذج تحليل محتوى الخطاب الإعلامي إطاراً منهجياً متكاملاً لتحليل الرسائل الإعلامية بأنواعها المختلفة. يركز هذا النموذج على دراسة الأبعاد الأيديولوجية والخطابية في النصوص الإعلامية، ويسعى إلى فهم كيفية إنتاج المعنى ونقله من خلال الممارسات اللغوية. ويتضمن هذا النموذج تحليل المستويات اللغوية المختلفة، من المستوى المعجمي والتراكمي إلى المستوى الدلالي والخطابي، مع مراعاة السياق الاجتماعي والثقافي الذي يُنتج فيه الخطاب. ويُساعد هذا النموذج في الكشف عن الرسائل الخفية والأجندات الأيديولوجية الكامنة وراء النصوص الإعلامية. من الأمثلة التطبيقية على هذا النموذج، دراسة التحليل الإخباري في الصحف العربية حيث يمكن تحليل الموضوعات المطروحة والاتجاهات الأيديولوجية والتوجهات السياسية من خلال تصنيف المحتوى الإخباري. كما يمكن تطبيقه في تحليل البرامج الحوارية التلفزيونية، حيث يُستخدم لتصنيف الموضوعات المطروحة ونسب الهواء الممنوحة للأطراف المختلفة والأنماط الخطابية المستخدمة. وقد تم تطبيق هذا النموذج في دراسة المحتوى الإعلامي الرقمي على شبكات التواصل الاجتماعي، مما أتاح فهم أنماط التفاعل والتأثير في الفضاء الرقمي (محمد عبد الرحمن وعلي البدوي، 2007، ص 303).

2.2. نموذج تحليل محتوى المناهج الدراسية:

يُوظف تحليل المحتوى بشكل واسع في مجال تحليل المناهج الدراسية والكتب المدرسية، حيث يُستخدم لتقييم المحتوى التعليمي من حيث الكم والكيف والموضوعية. ويشمل هذا النموذج تحليل الموضوعات المطروحة ومدى تغطيتها للمعارف المطلوبة، وتحليل الأنشطة والتمارين ومدى تناسبها مع المستويات العمرية للمتعلمين، وتحليل الصور والرسوم التوضيحية ومدى مساهمتها في تحقيق أهداف التعلم. كما يتضمن تحليل الأبعاد القيمية والأخلاقية في المحتوى ومدى انسجامها مع الأهداف التربوية المرجوة (زغيب، 2009، ص 140). من الأمثلة التطبيقية على هذا النموذج،

دراسة مهارات القراءة البيانية في كتب اللغة العربية، حيث تم تحليل محتوى كتاب اللغة العربية للصف الخامس الاعدادي في ضوء مهارات القراءة البيانية. كما تم تطبيق هذا النموذج في تحليل محتوى كتب التربية الإسلامية لتحديد القيم والمفاهيم المتضمنة فيها، وفي تحليل كتب العلوم لتحديد المفاهيم العلمية المتضمنة ومدى مناسبتها للمتعلمين. ويُساعد هذا النموذج في توفير تغذية راجعة موضوعية لمصممي المناهج والمطورين، ويُتيح مقارنة موضوعية بين الكتب المدرسية المختلفة أو بين المناهج في دول مختلفة.

3.8. نموذج تحليل محتوى المقابلات والوثائق:

يُمثل نموذج تحليل محتوى المقابلات المعمقة أحد التطبيقات المهمة لتحليل المحتوى النوعي في البحث الاجتماعي والإنساني. في هذا النموذج، يتم تحليل نص المقابلات من خلال ترميز الإجابات واستخلاص الموضوعات المتكررة، ثم تصنيفها في فئات عامة تغطي الظاهرة المدروسة. ويُساعد هذا النموذج الباحثين في التعامل مع كم كبير من المقابلات واستخلاص الأنماط العامة بدلاً من تحليل كل مقابلة على حدة. كما يُتيح مقارنات منهجية بين ين مختلفين وبين مجموعات بحثية مختلفة. من التطبيقات الأخرى، تحليل المحتوى في الدراسات التربوية والنفسية في الدوريات العربية خلال الفترة من 2010 إلى 2020، حيث تم التعرف على خصائص منهجية البحث النوعي في هذه الدراسات. كما يُستخدم تحليل المحتوى في تحليل الوثائق الرسمية والتقارير الحكومية والأدبيات البحثية السابقة، مما يُتيح فهم التطورات التاريخية والميول الفكرية في مجالات مختلفة. ويتميز هذا النموذج بالمرونة العالية في التعامل مع البيانات النوعية الغنية، مما يُساعد في استخلاص معانٍ عميقة قد لا تظهر من خلال التحليل الكمي البسيط. (Grawitz, 2000, P300)

9. تحديات تحليل المحتوى واعتباراته الأخلاقية:

1.9. التحديات المنهجية والتقنية:

يواجه تحليل المحتوى مجموعة من التحديات التي يجب على الباحثين أخذها بعين الاعتبار لضمان جودة نتائجهم. من أبرز هذه التحديات، مشكلة التحيز في اختيار العينة حيث قد يميل الباحث إلى اختيار محتوى يؤكد افتراضاته المسبقة. كما يُشكل تحدٍ كبير تحديد وحدات التحليل بشكل موضوعي، خاصة في النصوص التي تحمل معانٍ متعددة أو سياقات دلالية معقدة. ويتطلب التعامل مع البيانات الضخمة على منصات التواصل الاجتماعي تحديات تقنية تتعلق بجمع البيانات وتنظيفها ومعالجتها، حيث قد يصل حجم البيانات إلى ملايين المنشورات مما يستلزم استخدام أدوات آلية للتحليل الأولي. من التحديات الأخرى، مشكلة التفسير في التحليل النوعي حيث قد يُفسر مُشقران مختلفان نفس النص بشكل مختلف بناءً على خلفيتهما المعرفية والثقافية. كما يُشكل تحدٍ ضمان الاتساق في الترميز عبر فترة طويلة من التحليل، خاصة عندما يعمل أكثر من مُشقر على نفس المشروع. ويتطلب التعامل مع المحتوى متعدد الوسائط تطوير أساليب جديدة تدمج بين تحليل النصوص والصور والفيديوهات، مما يفرض تحديات تقنية ومنهجية إضافية. كما تبرز تحديات تتعلق بصلاحية النتائج وتعميمها، خاصة عندما تكون العينة محدودة أو غير ممثلة للمجتمع الكلي (Lazer, 1991, P52).

2.9. الاعتبارات الأخلاقية في تحليل المحتوى:

تحظى الاعتبارات الأخلاقية بأهمية متزايدة في تحليل المحتوى، خاصة عند التعامل مع بيانات من مصادر رقمية أو عند تحليل محتوى يتعلق بأفراد أو جماعات محددة. من أبرز الاعتبارات

الأخلاقية، احترام خصوصية الأفراد عند تحليل بيانات من منصات التواصل الاجتماعي أو مصادر أخرى، حيث قد يُعتبر جمع البيانات دون إذن صريح انتهاكاً للخصوصية. كما يجب مراعاة التمييز بين المعلومات العامة والمتاحة للعامة والمعلومات الخاصة التي تتطلب حماية خاصة. من الاعتبارات الأخرى، تجنب تشويه المحتوى أو انتقاء أجزاء منه لدعم حجج معينة، والحفاظ على الموضوعية في التحليل والعرض. كما يجب أن يكون الباحث دقيقاً في النتائج وعدم تضخيمها أو تشويهها، وأن يعترف بحدود الدراسة وقيودها. وفي حالة الدراسات التي تتضمن تحليل خطاب جماعات أو فئات اجتماعية معينة، يجب مراعاة الحساسية الثقافية وعدم استخدام مصطلحات مُسيئة أو أحكام قيمية. ويُنصح بالحصول على موافقة أخلاقية من الجهات المختصة عند إجراء دراسات تتضمن بيانات حساسة، وتوثيق جميع الإجراءات الأخلاقية المتبعة في البحث.

الخاتمة

قدّمت هذه الورقة إطاراً نظرياً شاملاً لتحليل المحتوى كأحد المناهج البحثية الأساسية في العلوم الإنسانية والاجتماعية. وتناولت الورقة مفهوم تحليل المحتوى ونشأته التاريخية وتطوره، واستعرضت أنواعه المختلفة من تحليل كمي ونوعي وموجه، وأبرزت أهميته ومجالات استخدامه المتنوعة في البحث العلمي. كما وُظِّفت الورقة الضوء على خطوات تحليل المحتوى الإجرائية بالتفصيل، من صياغة أسئلة البحث إلى التحقق من صدق التحليل وثباته، مما يُوفر دليلاً عملياً للباحثين الراغبين في استخدام هذه المنهجية. استعرضت الورقة أيضاً نماذج تطبيقية متنوعة لتحليل المحتوى في سياقات مختلفة، من تحليل الخطاب الإعلامي إلى تحليل المناهج الدراسية والمقابلات والوثائق. وناقشت التحديات المنهجية والتقنية والاعتبارات الأخلاقية التي يجب مراعاتها عند تطبيق تحليل المحتوى، مما يُساعد الباحثين في تجنب المشكلات المحتملة ورفع جودة دراساتهم. وقد اعتمدت الورقة على مجموعة من المراجع العربية والأجنبية المتخصصة التي تغطي جوانب متعددة من تحليل المحتوى، مما يُضفي عليها عمقاً أكاديمياً وشمولية في المعالجة.

بناءً على ما سبق، يمكن تقديم مجموعة من التوصيات للباحثين الراغبين في استخدام تحليل المحتوى في دراساتهم. أولاً، يجب الاهتمام بوضوح صياغة أسئلة البحث وتحديد أهداف الدراسة بدقة قبل البدء في عملية التحليل، حيث يُشكل ذلك الأساس الذي يُبنى عليه كل شيء آخر. ثانياً، ينبغي بناء نظام ترميز واضح ومتكامل يُغطي جميع أبعاد المحتوى المُراد تحليلها، مع اختباره على عينة تجريبية للتأكد من صدقه وثباته. ثالثاً، يُنصح بتوفير تدريب كافٍ للمُشَقِّرين على نظام الترميز لضمان الاتساق في التطبيق. رابعاً، يجب توثيق جميع خطوات عملية التحليل بشكل دقيق لضمان الشفافية وإتاحة إمكانية تكرار الدراسة. خامساً، ينبغي مقارنة النتائج مع الدراسات السابقة والتواصل مع الباحثين في نفس المجال لضمان الدقة والعمق في التفسير. سادساً، يُوصى باستخدام أدوات تقنية حديثة لتسهيل عملية جمع البيانات وتحليلها، مع الحرص على عدم الاعتماد الكامل عليها دون مراجعة بشرية. وأخيراً، يجب مراعاة الاعتبارات الأخلاقية في جميع مراحل البحث، من جمع البيانات إلى نشر النتائج، والحصول على الموافقات اللازمة عند التعامل مع بيانات حساسة. تفتح هذه الورقة آفاقاً بحثية مستقبلية متنوعة يمكن للباحثين استكشافها. من أبرز هذه الآفاق، دراسة تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تحليل المحتوى وكيفية توظيفها لتعزيز دقة التحليل وكفاءته. كما تبرز الحاجة إلى تطوير منهجيات جديدة للتعامل مع المحتوى متعدد الوسائط الذي يجمع بين النصوص والصور والفيديوهات، مما يتطلب تكاملاً بين أساليب تحليل المحتوى التقليدية وأساليب تحليل الصور والفيديوهات. كما تستحق الدراسات المقارنة

لتطبيقات تحليل المحتوى في الثقافات المختلفة اهتماماً بحثياً، حيث يمكن أن تُسهّم في فهم كيفية تأثر أنماط الخطاب بالسياقات الثقافية المختلفة .

من الآفاق المستقبلية أيضاً، دراسة تأثير التقنيات الرقمية على تحليل المحتوى، سواء من حيث جمع البيانات أو تحليلها أو عرض النتائج. كما تبرز أهمية دراسة تطبيقات تحليل المحتوى في مجال التحقق من المعلومات ومكافحة الأخبار الكاذبة، وهو مجال يكتسب أهمية متزايدة في عصر المعلومات الرقمية. ويمكن أيضاً استكشاف توظيف تحليل المحتوى في تحليل المحتوى التعليمي التكيفي والتعليم الشخصي، مما يفتح آفاقاً جديدة في مجال التربية والتعلم .

المراجع:

1. ابراش، إبراهيم. 2009. المنهج العلمي وتطبيقاته في العموم الاجتماعية. ط1. عمان: دار الشروق.
2. جبلي، علي عبد الرزاق. 2012. المناهج الكمية والكيفية في علم الاجتماع. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
3. حسو الزبياري، طاهر. 2011. أساليب البحث العلمي في علم الاجتماع. ط1. بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
4. درويش، محمود أحمد. 2018. مناهج البحث في العلوم الإنسانية. كلية الآداب جامعة المينا: مؤسسة علوم الأمة للاستشارات الثقافية.
5. الدليمي، عصام حسن وصالح، علي عبد الرحيم. 2014. البحث العلمي أسسه ومناهجه. ط1. عمان: دار رضوان.
6. ذوقان عبيدات وآخرون. 2015. البحث العلمي: مفهومة وأدواته وأساليبه. عمان: دار الفكر موزعون وناشرون.
7. زرواني، رشيد. 2004. منهجية البحث في العلوم الاجتماعية. الجزائر: دار الكتاب الحديث.
8. زغيب، شيماء ذو الفقار. 2009. مناهج البحث والاستخدامات الإحصائية في الدراسات الإعلامية. ط1. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.
9. سلطانية، بلقاسم والجيلاني حسان. 2012. أسس المناهج الاجتماعية. ط1. القاهرة: دار الفجر.
10. طعيمة، رشدي. 2008. تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية: مفهومه-أسسه-استخداماته. القاهرة: دار الفكر العربي.
11. عبد الجواد، مصطفى خلف. 2009. الإحصاء الاجتماعي المبادئ والتطبيقات. ط1. الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع.
12. عبد الحميد، محمد. 2000. البحث العلمي في الدراسات الإعلامية. ط1. القاهرة: عالم الكتب .
13. غرايبيّة فوزي وآخرون. 2002. أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية. ط6. عمان: دار وائل.
14. محمد عبد الرحمن، عبد الله وعلي البدوي، محمد. 2007. مناهج وطرق البحث الاجتماعي. ط2. مصر: مطبعة البحيرة.
15. Bardin, Laurence. 1998. L'analyse de contenu. 2éd. Paris : PUF
16. Grawitz, Madeleine. 2000. Lexique des sciences sociales, 7éd, Paris : Dalloz
17. Lazer, Judith. 1991. sociologie de la Communication de Mass. Paris : Armand colin éditeur.
18. Mucchielli, Roger. 1988. L'analyse de Contenu des Document et des Communication. 5Ed. Paris : P.U.F.

تحليل المعطيات السوسولوجية

د. قرليفة حميد

جامعة غرداية- الجزائر

monciegaloul@yahoo.fr

ملخص:

إن أحسن وسيلة منهجية تمكن الباحث من التحكم في الخطوات المنهجية هي القيام بعملية الضبط والتدقيق في كل خطوة يقوم بها حيث يقوم الباحث في هذه المرحلة بتحويل الفكرة إلى السؤال الرئيسي للبحث. إن هذا السؤال الجوهرى يجب أن يصاغ بطريقة تتوفر فيها شروط أهمها أن يكون: عام وواضح، يحمل متغيرين أو أكثر حسب الهدف المسطر للدراسة، ويحمل في طياته التحفيز على البحث والاستفسار فيكفي أن نذكر أن الأسئلة المحيرة هي التي مكنت من الاكتشافات العلمية في كل المجالات. ينطلق الباحث في عميلة التحليل انطلاقا من المعطيات التي جمعها من ميدان الدراسة وقد تكون هذه المعطيات أولية. أو ثانوية، معتمدا في ذلك على مناهج تفرضها طرق الدراسة، كما تفرض طريقة التحليل نوعا معينا من أنواع التحليل للمعطيات المجموعة.

الكلمات المفتاحية: المعطيات، التحليل السببي، التحليل الخلدوني، التحليل الوظيفي، التحليل الثقافي.

Abstract

The most effective methodological approach for a researcher to maintain control over the research process is through rigorous **precision and verification** at every stage. During this phase, the researcher transforms the initial concept into the **primary research question**.

This fundamental question must be formulated according to specific criteria; most notably, it should be **comprehensive and clear**, incorporate two or more variables depending on the study's objectives, and possess an inherent quality of **inquiry-driven provocation**. Indeed, it is often these "puzzling questions" that have paved the way for scientific breakthroughs across all disciplines.

Furthermore, the researcher initiates the **analytical process** based on data collected from the field—whether **primary or secondary**. This process is guided by methodologies dictated by the nature of the study, just as the analytical framework necessitates a specific type of data analysis.

Keywords: Data, Causal Analysis, Khaldunian Analysis, Functional Analysis, Cultural Analysis

تمهيد:

تعد المعطيات الموجودة في الواقع الاجتماعي، سواء كانت نوعية أو كمية أو سوسولوجية، وسواء جاءت مرتبة أو مبعثرة، مادة خاما بالنسبة للباحث. إذ أن قيمتها العلمية لا تتحدد إلا من خلال المعالجة التي يقوم بها الباحث أثناء دراسته للظاهرة الاجتماعية. وتتم هذه المعالجة ضمن إطار منهجي ينسجم مع موضوع البحث وأهدافه، مع ضرورة اتباع خطوات وأساليب علمية محددة تساعد على تنظيم المعطيات وتحليلها للوصول إلى نتائج دقيقة وموضوعية.

1. علاقة المنهجية بمعالجة المعطيات:

كان لديها الفضل الكبير في رسم الإطار العام للتفكير المنهجي والعلمي في دراسة المواقف والظواهر والوصول لحل، وبعد ذلك جاءت التطورات المنهجية المختلفة التي تفسر وأعطت بعدا آخر للمنهجية. استكمالا لما جاء بها، يجب على الباحث أن يراعي الخطوات التالية:

- التحكم في ميدان البحث واختياره، مع مراعاة خصوصية الميدان.

- تحديد في قلم مشكلة البحث مع تحديد مركباتها، وكذا درجة تأثير كل عنصر من عناصرها.
- تحديد الأهداف بدقة من دراسة هذه الظاهرة لأن ذلك يساعد على الوصول إليها، كما يقول الفلاسفة " من يعمل بدون أهداف لا يبلغها أبدا "
- تدقيق وتوضيح أهمية دراسته من حيث أسباب دراستها، وكذا النتائج التي يريد الوصول إليها.
- تحديد الأبعاد والمجالات التي تشملها الدراسة (المجال البشري / الجغرافي / الزمني).
- تحديد البيانات، المعطيات والمعلومات الواجب جمعها وكذا طبيعتها (كمية / كيفية).
- تحديد المناهج أو المنهج والتقنيات التي سيعتمدها في دراسة المشكلة المختارة، وكذا مصادر المعلومات والمعطيات والحقائق، وكذا الأساليب المختلفة في : جمع، ترتيب، تنظيم، تبويب، تحميل وتفسير المعطيات التي سيجمعها، وكذا في عرض النتائج المترتبة عليها.
- توضيح الافتراضات والمسلمات التي ينطلق منها، وكذا الطريقة المنهجية التي يعتمدها في اختبار الفروض.
- تلخيص وحوصلة مركزة لأهم الدراسات المرتبطة بمشكلة البحث المختارة، والتي سبق أن تم إنجازها مع التركيز على الجوانب المتضمنة في مشكلة البحث مقارنة مع ما تم إنجازها.
- الانطلاق في عرض، مناقشة وتحقيق الفروض؛ تصنيف وتبويب وتحميل وتفسير البيانات التي جمعها الباحث؛ استنتاج النتائج العامة وتقديم التوصيات عند الضرورة.
- الإخراج النهائي للبحث مقيدا بالشروط المنهجية المرتبطة بطريقة التحرير، وكذا تثبيت وتوثيق المراجع.

2. تحليل المعطيات انطلاقا من تحليل المفاهيم:

تعتبر أي دراسة أكاديمية نسقا من المفاهيم المتكاملة، وهذه المفاهيم يجب أن تستجيب لأهداف الدراسة. وعلى الباحث في هذه الحالة الجمع بين المفاهيم النظرية والمفاهيم العملية، بحيث تنسجم وتتكامل فيما بينها وتعتبر في نفس الوقت عن الاختيار النظري الذي اعتمده الباحث (الطالب) في تغيير الظاهرة كمقاربة لفهم الظاهرة الاجتماعية، بحيث يبدأ استعمال هذه المفاهيم من عنوان الإشكالية إلى الفرضيات إلى القسم النظري والميداني إلى غاية نتائج الدراسة. و يعتبر تحديد المفاهيم والمصطلحات العلمية الخاصة بالدراسة أحد الطرق المنهجية الهامة في تصميم البحوث (شفيق، 2006، صفحة 62) وهي مرتبطة بإشكالية البحث وفروضه وهذه العملية ليست بالأمر اليسير والهن حيث يصعب تحديد بعض المفاهيم تحديدا دقيقا، إذ تعد من أهم المراحل التي يمكن أن يقوم بها الباحث عند إعداد موضوع دراسته بحيث يتم التعرف من خلاله بدقة على المفهوم المستخدم.

فهنا كانت المسألة الاجتماعية التي نطرحها أو الفرضية التي نريد إثباتها، تواجهنا دائما مسألة وضع أو بناء المتغيرات، أي ترجمة المفاهيم إلى عمليات بحث محددة. فكلما متغير قد جاءت من الرياضيات و الفيزياء النظرية معنى لا يفتأ يتسع باستمرار، و أصبح يستخدم لفهم نتيجة تقسيم

مجموعات من الأشياء بحسب معيار أو عدة معايير نوعية، و من هنا يجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار أن التصنيف الذي ينطبق على المتغير الأول هو اسمي و التصنيف الذي ينطبق على المتغير الثاني منظم. فمسألة وضع المتغيرات إذن هي مسألة ترجمة المفاهيم إلى دلائل، و المقصود الانتقال من التعريف المجرد أو من الدلالة الإضافية البديهية للمفاهيم الاجتماعية إلى معايير تسمح بتحديد تصنيف لهذه المتغيرات. (Boudon.R & Lazarsfeld, 1966, p. 27.36)

يصف ب. لازارسفيلد (P. Lazarsfeld) هذه العملية الانتقالية بمراحلها الأربعة حيث يرى أن:

1.2. بيان المفهوم مجازياً: يرى ب. لازارسفيلد أن المسائل الكلاسيكية لعلم اجتماع التنظيم و العمل هي تحليل و قياس مفهوم الإدارة، و لكن هل يمكن اعتبار الإدارة هي نفسها رئيس العمال، و منذ ذلك الحين بذل علماء الاجتماع في المنظمات كل ما في وسعهم لتوضيح هذا المفهوم و إعطائه مضمونا ملموسا أكثر.

2.2. توصيف المفهوم: في هذه المرحلة نهدف إلى تحليل عناصر هذا المفهوم إلى أبعاد، و يمكن استنتاجها تحليلياً من المفهوم العام الذي يشملها، و تجريبياً من العلاقة الترابطية، و على كل حال يطابق مفهوم ما بشكل عام مجموعة مركبة من الظواهر أكثر مما يطابق ظاهرة بسيطة و قابلة للملاحظة المباشرة.

3.2. اختيار المؤشرات: تتلخص هذه الخطوة في إيجاد مؤشرات للأبعاد المأخوذة و هي عملية لا تخلو من الصعوبات لأننا أن المؤشرات التي يصح استخدامها تختلف على نحو واسع بحسب الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد.

4.2. تكوين الدلائل: تتلخص في المرحلة الرابعة بجمع المعطيات الأولية الحاصلة خلال المراحل السابقة. إذ بعد تجزئة مفهوم إلى ستة أبعاد يتم وضع قياس واحد استناداً إلى هذه المعلومات.

هذا من الضروري تحديد المفاهيم منذ الوهلة الأولى للدراسة، ويظهر ذلك من خلال العنوان، و يبرز فيها المتغير التابع و المتغير المستقبل.

- المتغير المستقبل يؤثر في المتغير التابع.
- المتغير التابع يتأثر بالمتغير المستقبل = النتيجة.
- الفرضية = المتغير التابع + المتغير المستقبل.
- الفرضية = النتيجة + المتغير المستقبل.

كما يجب أن تظهر المتغيرات في الإشكالية، أو حتى على شكل أبعاد والفرضيات وفي كل مراحل الدراسة.

فدراسة العلاقة بين المتغيرات و الذي نقصده هنا هو تحليل العلاقات التي تربط فيما بينها، فهذه العلاقات المتبادلة تعد في معظم الأحيان نقطة انطلاق لدراسة اجتماعية (بودون و رينو، 2010، صفحة 37.38). فمثلاً لو نعد إلى كتاب إيميل دوركهايم حو الانتحار جهداً منه لشرح بعض العلاقات البدائية من هذا النوع من العلاقات.

ومن هنا نلاحظ أنه كلما كان المفهوم متفرقا وثرى من حيث الأبعاد، وكانت الأبعاد ثرية من حيث المؤشرات أعطى إمكانية الشراء في التحليل وتوسيع احتمالات جمع المعلومات الميدانية وكلما تنوعت المتغيرات زادت احتمالات توسيع التحليل.

3. المعطيات والبيانات:

المعطيات هي المادة العلمية الخام التي يقوم الباحث بجمعها، و عملية جمع المعطيات في حد ذاتها المرحلة الثالثة من البحث في البحوث الاجتماعية، و هي المرحلة التي يدخل فيها الباحث حقيقة في اتصال بالواقع الميداني. و لكن يجب عليه قبل ذلك أن يحدد بدقة وحدات مجتمع البحث بحدته، أي العناصر التي سيتحصل من خلالها على المعطيات و المعلومات الضرورية لبحثه، ولا يمكن لنا الإغفال عن في هذه المرحلة البحثية عن عملية التحقق من المعطيات، حيث نقوم بتقييم المعطيات المتحصل عليها بهدف التأكد من أنها قابلة للاستعمال بغرض التحليل.

إن المعلومات المتحصل عليها أثناء عملية الجمع هي معطيات خام لذا يجب تحضيرها بهدف تحليلها. للقيام بذلك، لا بد من ترتيبها و تهيئتها، و ترتيب هذه المعطيات الخام يتضمن ترميزها، التحقق منها، و تحويلها و مراجعتها، و تهيئة هذه المعطيات يمكن أن يتم بطرق مختلفة تسمح بوصف و توضيح و تفسير و إنشاء العروض التي نريد إبرازها، و ينبغي كل فرد أو وثيقة يقدم معلومات ثم تسجيلها في سند لتسهيل التحليل اللاحق، كما يتعين أيضا، و ذلك حسب الحالة ترقيم إجابات الأشخاص أو الوحدات المأخوذة من الوثائق.

كما يجب الإشارة إلى نقطة مهمة هي المعطيات الأولية والمعطيات الثانوية.

1.3. المعطيات الأولية: هي معطيات يقوم الباحث بجمعها أول مرة عن طريق توظيف أدوات جمع البيانات أو المعطيات (الملاحظة، الاستمارة، المقابلة).

و المصدر الرئيس للمعطيات الأولية هو الجماعات و الأفراد (موظفين، طلاب، طالبات، ربات بيوت) أو المنظمات.

2.3. المعطيات الثانوية: هي معطيات موجودة من قبل يمكن للباحث الحصول عليها بدون بذل جهد أو توظيف أدوات جمع المعطيات، و هي المعطيات التي تم جمعها وترتيبها وتحليلها لأغراض أخرى غير أغراض البحث، و تشير تلك التسمية إلى طبيعة البيانات وليست إلى أنها ثانوية.

والمعطيات الثانوية توفر التكاليف على الباحث و تساعد في سرعة الحصول عليها، كما أنه يستحيل تجميعها بواسطة الباحث مثل تعداد السكان، كما والمعطيات الثانوية توفر بيانات تاريخية عن فترات سابقة للظاهرة المدروسة، و تكمن القيمة العلمية لتلك المعطيات ف والمعطيات الثانوية في تحديد معالم الظاهرة وبلورة المشكلة.

كما يمكنه الحصول عليها من مؤسسات مختلفة، كالمحكمة، المستشفيات، مؤسسات ثقافية، جمعيات... الخ.

ملاحظة: كل من نوع من المعطيات يفرض على الباحث استعمال منهج معين فالمعطيات المتوفرة والمتحصل عليها تفرض علينا استعمال منهج معين.

تمثل التقنيات مراحل عمليات محدودة مرتبطة بعناصر عملية محسنة ملائمة لهدف محدد تأخذ مكانها على مستوي المراحل العملية للبحث، إنها أدوات يضعها المنهج في خدمة البحث (غراويتز، 1999، صفحة 11).

و تشمل التقنيات مختلف الوسائل التي يلجأ إليها الباحث قصد التعامل مع الواقع، وجمع المعطيات التي يتطلبها بحثه، فهي جملة الإجراءات وأدوات الاستقصاء التي تستعمل بشكل منهجي ومنظم، من أجل جمع المعطيات الأولية أي تلك البيانات الجديدة التي يتحصل عليها الباحث بنفسه، والمعطيات الثانوية والتي تضم بيانات تستند إلى معطيات موجودة من قبل ومن بين أهم الأدوات التي قمنا باستخدامها في هذا البحث.

4. الدراسة الاستطلاعية وما قبل الاستطلاعية وبناء نموذج التحليل:

تحدث أغلب كتب المنهجية عن الدراسة الاستطلاعية ولا تتحدث عن مرحلة ما قبل الاستطلاعية، وكيفية تأثيرها على سار البحث، فالدراسة الاستطلاعية سواء كانت عن طريق الملاحظة أو المقابلة تسمح لنا بجمع معطيات نوعية توجيه الدراسة، وتسمح بمعرفة مختلف الجوانب والزوايا التي نعالج من خلالها الظاهرة، ومعرفة مختلف وجهات النظر، وكيفية معايشة الظاهرة وهي معطيات تسمح لنا بضبط التساؤلات أو إعادة بنائها استجابة للواقع الموضوعي لمجتمع الدراسة، وهي بذلك تساعد بناء إشكالية خاصة عن طريق الدراسة الاستطلاعية النظرية والميدانية، وتعتبر هذه المعطيات الأولية قاعدة أساسية لما سيأتي من تحليل سوسيولوجي وهي قاعدة أقرب إلى الواقع الموضوعي لمجتمع الدراسة وتعطينا العناصر الأولية لبناء وتوجيه التحليل.

والدراسة ما قبل الاستطلاع فهي تساعد على تحديد خيارات الدراسة بداية من إمكانية إجراء الدراسة أو التراجع عنها، كما تساعد على اختيار موضوع الدراسة. مثال: أحيانا يختار الطالب في اختيار موضوع مذكرته ويتأثر بذلك بقائمة المذكرات الموجودة في المكتبات، ويسمى أنه بإمكانه اختيار موضوعه من خلال مرحلة ما قبل الاستطلاع.

ويبقى على الباحث تحديد مجال اهتمامه، فإذا كان اهتمامه فإذا كان اهتمامه في مجال المنظمات فيقوم بزيارة مؤسسة صناعية مثلا ويجري اتصالاته الأولية مع بعض العاملين للتعرف على المؤسسة، والتعرف على ظروف العمل وأهم الظواهر التي تستحق الاهتمام، ويحدد موضوعه ويجتهد فيما بعد لبناء التساؤلات الأولية وبذلك يكون الموضوع قريب من الجودة وغير مكرر.

5..أنواع التحليل الكلي والتحليلي الجزئي:

بعد استغراق الباحثين في تحليل الوحدات البنائية الكبرى للمجتمع أخذوا يتوجهون نحو تحليل الوحدات الصغرى حيث تبين أنه من الصعب فهم الكل دون التوجه نحو دراسة وتحليل أجزائه وتحليل الأجزاء والاهتمام بها على حدى يجعل الباحثين يتعمقون في تحليلها ويدققون الفهم والتحليل ويكتشفون الكثير من تفاصيل الظاهرة.

مثال :

● تحليل ظاهرة البطالة في المجتمع من المنظور الكلي يجعلنا نتوجه إلى تحليل الأداء الاقتصادي وآلياته، وتحليل الاستثمار والمشاريع التنموية وقدرتها على امتصاص البطالة، ودراسة انتقال اليد العاملة وهجرتها.

● وتحليل البطالة في المستوى الجزئي فيعطينا تفاصيل أخرى يمكن أن تسهم في حل البطالة والتي منها الفروق الجنسية والمستويات التعليمية، والعوامل الثقافية المؤثرة في اختيار الوظائف والتخصصات العلمية والمهنية.

وهناك أمثلة أخرى فقد درس كارل ماركس الصراع الاجتماعي وقدمنا تحليلا كليا لهذه الظاهرة، حيث قدمنا القوانين الاجتماعية التي تحرك الصراع وهي عوامل موجودة في المستوى الكلي ولم يقدمنا تحليلا للآليات الجزئية التي تحرك الصراع داخل المؤسسات الصناعية والإدارية، وحتى ابن خلدون قدم تحليلا كليا للصراع أو ما يسمه المغالبة.

كما يمكننا استعمال التحليل الكلي في دراسة ظاهرة التغير الاجتماعي لأن موضوع التحليل يمس المجتمع كله.

وحدات التحليل هي وحدات كبرى تتمثل في العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية والتقنية والتعليمية، والموقع الجغرافي والكوارث الطبيعية والحروب والأوبئة والهجرات السكانية الكبرى كلها عوامل تستعين بها في تحليل التغير الاجتماعي من منظوري كلي والأمر نفسه يتطبق على دراسة التنمية، التي تحتاج إلى من العناصر السابقة من أجل تحليلها.

كما يمكن أن تكون أدوات التحليل التغير داخل المؤسسة عنصر التآطير وخصائص الموارد البشرية والميزانية ودور المنافسين ومختلف المتعاملين وتأثيره الزبائين، وسياسة التكوين والتوظيف وتأثير القوانين وفي المستوى الجزئي أيضا تحويل مفهوم العصبية من التحليل الكلي إلى التحليل الجزئي فندرس داخل المنظمة من حيث أنها تؤثر في علاقات العمل وتوجه الصراعات العمل وتؤثر فيها العملية التعاونية وفي أداء العاملين.

6. أنواع التحليل السوسولوجي :

1.6. التحليل السببي : أغلب الدراسات السوسولوجية تبحث في أسباب الظاهرة الاجتماعية (موضوع الدراسة) فقد تختلف في أسباب تعدد أسباب الظاهرة. فهناك من يحللها من جانب واحد وهناك من يحللها من جوانب مختلفة، ويحتمل الباحث في اختيار السبب الأكثر موضوعية والسبب الأكثر اقترابا من الواقع الذي يمكنه تغير الظاهرة.

إن التحليل السببي هو طريقة يفترض منها الإجابة عن الاسئلة في غالب الأحيان تبدأ هذه الأسئلة بـ لماذا؟ وكيف؟، وذلك بالبحث عن عوامل السببية الخاصة بالظاهرة الاجتماعية التي هي قيد الدراسة.

على سبيل المثال: بشكل عام ينطلق أي بحث اجتماعي بسؤال من نوع لماذا؟

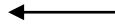
- ماهو سبب الانتحار.

- سبب تراجع التحصيل الدراسي للتلاميذ.

- ماهو سبب تراجع الإنتاجية.

وفي حالة موضوع الانتحار على سبيل المثال، نتساءل عن العوامل التي يمكن أن تكون هي نفسها ظواهر إجتماعية، أو غير إجتماعية التي تؤدي إلى اختلافات أو تغيرات في الانتحار بحسب الزمان أو المكان.

و يمكن أن نفسر مفهوم السببية بمعنى إحصائي، إن السبب (X) هو ظاهرة تنزع إحصائيا إلى تشجيع الفعل (Y) و بعبارة أخرى، يمكن أن نلاحظ عبر سلسلة من الملاحظات المماثلة أن وجود السبب (X) يجعل أكثر تكرارا وجود الفعل (Y)، و من هنا نحصل على المعادلة التالية: (X) (Y).



إن استعمال هذه الطريقة في التحليل السببي يفترض اجتماع بعض الشروط أو الظروف هي:

- ينبغي الحصول على مجموعة من العناصر على معلومات يماثل كل منها الآخر.
 - يجب أن يكون التماثل في المعلومات هو الذي يسمح فيما بعد بإجراء إحصائيات و بشكل أعم التحليل الكمي للمعطيات.
 - يجب أن تكون العناصر قيد الملاحظة أفرادا، كما يمكن أن تكون أيضا مجموعات و مؤسسات و جمعيات أو أنواع أخرى من الوحدات.
- يستند التحليل السببي إلى بناء منهجي حتى يتحقق مع وفي واقع البحث وهو يبدأ في بناء الفرضيات والملاحظة والتساؤلات ووضع المتغيرات وتحليل العلاقة التي بينها تحليلًا إحصائيًا وتحليلًا كميًا وهو الذي يكشف العلاقة السببية بين المتغيرات
- ويمكن للباحث أن يختار أهم أسباب الظاهرة ثم يضعها في الفرضيات إذ أجرى الدراسة الاستطلاعية بدقة كبيرة، فالاستطلاع الأول يعطينا أهم أسباب الظاهرة، ثم نتوجه فيما بعد إلى إبعاد الأسباب الضعيفة والأكثر ضعفا.
- وهذا يجعلنا في الأخير بأن نبنى دراستنا على تحليل متعدد المتغيرات إذ لا يمكن الرجوع إلى سبب واحد لنفس من خلالها المتغير المستقبلي ويسميه لازار سفيلد أيضا بالمتغير الاختياري أي الذي نختبر من خلاله المتغير المستقبلي.

مثلا : موضوع الاهتمام بالسياسة وربطنا ذلك بالسن وقلنا أنه المستوى التعليمي يمكن أن يدخل كمتغير اختياري لقياس الاهتمام بالسياسة وكذلك إذا قلنا بأن النجاح المدرسي يتأثر بمنطقة السكن أو المستوى الاقتصادي ولنضيف له متغير اختياري هو المستوى التعليمي للوالدين، ويمكن إقحام متغيرات وسيطة أو اختيارية في نفس الوقت لأنها تشف عن حقائق ميدانية كثيرة وأبعاد ومتنوعة للظاهرة.

2.6. التحليل الثقافي: من أكثر المقاربات اتساعا وشمولا بالنظر إلى المقاربات التي تناولها في تخصص علم الاجتماع الثقافي ذلك بأن أي فعل الاجتماعي يستدرج ضمن أي صنف من أصناف الثقافات، والأصل أن الخصائص الثقافية للمجتمع هي التي توجه الفعل الاجتماعي وتعطيه قواعد الضبط الاجتماعي المختلفة كل في مجال معين، كما نعطي المعايير التي يستند إليها كذلك. لذلك يمكن إدراج الكثير من المقاربات النظرية ضمن المقاربة الثقافية، فالتحليل الأنثروبولوجي خاصة الأنثروبولوجيا الثقافية هي من صميم التحليل الثقافي، وكذلك الظواهرية

والأنثوميتودولوجيا والنيئة الوظيفية، والتفاعلية الرمزية، بل إن الكثير من أشكال التحليل الخاص بالظواهر المختلفة داخل المنظمات الحديثة تستدرج ضمن التحليل الثقافي. فزيادة على دراسة الثقافة المنظمة فإن التنظيمات غير الرسمية والعلاقات الاجتماعية داخل المنظمة والممارسات المختلفة للفعل القيادي يمكن تفسيرها من خلال الخلفية الثقافية للجماعة التنظيمية.

مثلا: الظواهر تركز على المعاني التي يشترك فيها الأفراد والتي تكتسب صنعة الموضوعية، كما الواقع الاجتماعية كموقف يعمل من خلاله الأفراد في تناغم على صياغة العالم الذي يحبونه فيه باستمرار، وذلك نعطي صفة للثقافة على أنها صفة متدفقة، وصورة للمجتمع على أنه في حركة دورية وتغير دائم.

3.6. التحليل الخلدوني: قبل الانطلاق في أية عملية تحليل مقاربا في علميا أولا يحصى المفاهيم الخاصة بتلك المقاربة وتحديد معانيها بدقة وفي مرحلة ثانية الإشارة إلى بعض المفاهيم الإجرائية، أو المفاهيم التي اعتمد عليها الباحث التي يمكن أن تنسجم مع تلك المقاربة. مثال: ابن خلدون استعمل المفاهيم الآتية: القرابة، النصرة، العصبية الدينية، الملك، الحلف، الولاء الفيلة، المغالية، الملدات، وغيرها.

فإذا حصرنا أهم مفاهيم هذه المقاربة، يتبين استعمال المفاهيم التي نراها مناسبة لطبيعة دراستنا فندخلها في الإشكالية والفرضيات ونستعملها في مختلف مراحل الدراسة، ثم نلاحظ إذا كانت بعض المفاهيم غير مناسبة لطبيعة الموضوع أو خصائص المجتمع البحث أو لم تعد متماشية مع طبيعة العصر بل كانت متناسبة مع عصر ابن خلدون فقط، نحاول تعويضها بمفاهيم أخرى متماشية مع خصائص مجتمعنا المعاصر هذا ما نسميه بالمفاهيم الخلدونية، وهي تلك المفاهيم التي لم يقلها ابن خلدون بل طورها الباحثون استنادا إلى منطق ابن خلدون في بناء المفاهيم.

مثلا: إذا كانت عصبية الدم وعصبية الولاء والنصرة والتضحية والقرابة سائدة بقوة في زمن ابن خلدون في مجتمعات المغرب العربي، ففي عصرنا قد ضعفت في بعض جوانبها وظهرت صناف أخرى من العصب منها عصب المصالح، عصب الأجيال، وعصب الحزبية، وبذلك من المهم إعادة تكيف المفاهيم الخلدونية حتى تتماشى مع التغيرات التي شهدتها هذه المجتمعات.

وفي مرحلة ثانية نحاول تكيف ميدان الدراسة، فابن خلدون درس الدولة والمجتمع الكلي ونحن نحاول تطبيق مقاربة على مستوى الإدارة مثلا.

4.6. التحليل الوظيفي: بداية نشرع في حصر أهم مفاهيم هذه المقاربة وهي البناء، الوظيفة التوازن، التكامل، التضامن، الاندماج، التكيف، الاستقرار، الاستمرار، النظام الاجتماعي، الدور المركز، وظائف الأجزاء، الخلل الوظيفي، المنافسة، التطور، المواقف، نسق الفعل، الحاجة، أو حاجات البناء، وظائف ظاهرة ووظائف كامنة.

أما مواضع اهتمامه هي منغلقة بالأسرة والقرابة، المجتمعات القديمة والتنظيمات غير الرسمية، وكل ما يتعلق بالصرف العادات والتقاليد والطقوس الدينية، والمناهج الشعبية، وقليل ما يهتم بالمؤسسات الحديثة.

أما منهجية في التحليل فتبدأ أولاً بوصف أجزاء البناء ثم وظائف هذه الأجزاء داخل البناء، ثم العلاقات الوظيفية التي بينها ثم است (بودون و رينو ، 2010) (بودون و رينو ، 2010) خراج عوامل تحقيق الاستقرار والاستمرار داخل البناء وعوامل تجنب الاضطراب.

وهذه المقاربة لا تعطينا إمكانية تحليل السببي للظاهرة، بل تهتم بحاجات البناء وسبل ضمانها وبوظائف البناء وسبل استقرارها وتكاملها، ولا تهتم بعمليات الاضطراب والصراع لأنها حالات شاذة ونادرة، بل حالات مرضية يجب محاربتها لأن البناء يرفضها تماماً كما يرفض جسم الكائن العضوي الأجزاء الغريبة التي تؤدي إلى المرض والخلل وإلى الخلل الوظيفي.

خاتمة:

تتنوع طرق و أدوات جمع المعطيات باختلاف أنواع البحوث (كمية، نوعية) وهذا ما يفرض على الباحث نوعاً من أنواع التحليل الخاصة بالمعطيات المجموعة سابقاً، لذا على الباحث أن يختار نمط من أنماط التحليل المختلفة التي تفرضها أنواع البحوث السوسيولوجية.

قائمة المراجع:

- 1- Boudon.R, & Lazarsfeld, p. (1966). Le vocabulaire des sciences sociales. Concepts et indices. française de sociologie.
- 2- ريمون بودون، و فيول رينو . (2010). الطرائق في علم الاجتماع. (مروان بطش، المترجمون) لبنان: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع.
- 3- مادلين غراويتز. (1999). منطق البحث في العلوم الاجتماعية. (سام عمار، المترجم) دمشق: المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر.
- 4- محمد شفيق. (2006). البحث العلمي مع تطبيقات في مجال الدراسة الاجتماعية. مصر: مكتب الجامعي الحديث.

محطات إبستمولوجية للتحليل النوعي في الدراسات الإنسانية والاجتماعية

د. بن دار نسيم - أستاذ محاضراً

جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي - الجزائر

Nassima.bendar@nuiv-tabessa.dz

ملخص:

في كثير من الأحيان في مقال أو كتاب يتناول دراسة نوعية في حقل علم الاجتماع، تكون عمليات بناء المعنى غير مرئية، يتم تسليم المنطق حول التحقيق للمتلقي، لكن الباحث لا يصرح كيف وصل إلى هذا المنطق، والذي، في معظم الحالات، سبب له الكثير من المتاعب، وتطلب إنشاء وسائل منهجية للتحليل والتفسير، وشمل العشرات من الشروح وجلسات الكتابة المنهجية إلى حد ما، المتجسدة في عدة نسخ نصية، وحشد العمليات العقلية المتخصصة (التصور، التعميم، الاستدلال المتحكم فيه). بالطبع، ليس من الضروري أو الأنيق دائماً إظهار كل هذا، ولكن لا ينبغي لنا أن نعتقد أنه بما أننا لا نراه، فإنه غير موجود. هذا الورقة البحثية مخصصة لهذا السؤال، من وجهة النظر الدقيقة لعمليات وتقنيات وأساليب التحليل النوعي لبيانات في التحقيقات الميدانية النوعية في الدراسات السوسولوجية

الكلمات المفتاحية : التحليل النوعي- الباحث- التحقيق الميداني النوعي- أساليب التحليل النوعي

Abstract:

Often in an article or book dealing with Qualitative study in the field of sociology, the meaning building processes are invisible. The reasoning around the building process-sociology Meaning investigation is delivered to Recipient, but researcher does not declare how he arrived at this logic, which, in most cases, caused him a lot of trouble, required interpretation, included dozens of explanations and more or less systematic writing sessions, embodied in several text versions, and the mobilization of specialized mental processes (perception, generalization, controlled reasoning). Of course, it is not always necessary or elegant to show all this, But we should not think that as we don't see it, it doesn't exist. This Research paper Customized for this question, from a precise point of view of the processes, techniques and methods of qualitative field investigations in sociological studies data analysis, In q

Keywords: Qualitative analysis-researcher- Qualitative field investigation- Qualitative analysis methods

مقدمة

إن القول أسهل من الفعل، كما يقال عادة، خاصة وأن مهمة الباحث في الدراسات السوسولوجية، كقاعدة عامة، هي إجراء تحليله بدقة وبطريقة منهجية وموضوعية ومرنة، وفقاً للمنطق، والتي سيتم النظر فيها وسيكون قادراً على تقديم العمليات والمنطق وقواعد القرار، وأمام المواد التي جمعها، عليه أن يضع أفكاره موضع التنفيذ، ويحشد نقاطه المرجعية النظرية، ويحاول تسمية ما أحسه في الميدان أو ما يفرض نفسه عليه عندما يعيد قراءة ملاحظاته وتدويناته، وفي الوقت نفسه، يجب أن يترك نفسه متفاجئاً بما لاحظته أو بما شاركه الآخرون معه، لهذا السبب يذهب إلى الميدان: للمراقبة والاستماع. وفهم أفضل، باختصار، يرغب في القيام بعمل مفيد وعلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية، التي موضوع دراستها هو البشر وتجارهم ومجتمعاتهم، ومع ذلك، إذا حاول الباحثون منذ فترة طويلة، في هذه العلوم، الوصول إلى القياسات والكميات من أجل فهم الظواهر بوضوح وكذلك القوانين التي تحكمها، فإنهم اليوم

يفعلون نفس القدر من استخدام المواد الخطابية (الخطابات)، والأساليب النوعية لمحاولة فهم أفضل للعمليات في العمل في الديناميكيات النفسية أو التفاعلية أو الاجتماعية، ففي حالة البحث الميداني، يعد استخدام الأساليب النوعية، علاوة على ذلك، جزءاً من تقليد طويل في التخصصات (الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وعلم الاجتماع النوعي) والمنهجية (الطريقة الإثنوغرافية، وتقنيات أسس مدرسة شيكاغو) ، ، ولهذا السبب بدا من المهم بالنسبة لنا أن نبدأ بإيقاظ العقل من خلال إثارة الأسئلة الرئيسية التي يطرحها التحليل النوعي في حقل الدراسات السوسولوجية .

1- بناء الاشكالية :

شهدت العلوم الانسانية و الاجتماعية تطوراً ملحوظاً في مناهجها البحثية، حيث برز التحليل النوعي كأحد الأساليب المنهجية الأساسية لفهم الظواهر الاجتماعية في سياقاتها الطبيعية، ويعتمد التحليل النوعي على دراسة المعاني والتجارب الإنسانية من خلال أساليب متنوعة منها: المقابلات المعمقة، الملاحظة بالمشاركة، تحليل النصوص.....، مما يجعلها أداة قوية للكشف عن الأنماط والسياسات غير القابلة للقياس الكمي، ومع ذلك، يواجه التحليل النوعي تحديات منهجية و إبستمولوجية ، أبرزها مدى موضوعيته، وإمكانية تعميم نتائجه، وإمكانية التحقق من مصداقيته بالمقارنة مع المناهج الكمية، كما أن هناك جدلاً قائماً حول معايير تقييم جودة البحث العلمي ومدى قابليته للمقارنة مع الأبحاث الكمية في إنتاج المعرفة العلمية.

إن التحليل النوعي ليس من اختراع العلم، إنها أولاً وقبل كل شيء ملكة العقل التي تسعى إلى الارتباط بالعالم وبالأخرين من خلال الوسائل المختلفة التي تقدمها لها حواسها وذكاؤها ووعها، إنه، إذا جاز التعبير، نشاط يومي لكل من الفاعل والباحث، بالنسبة للباحث، علاوة على ذلك، لا يقتصر على تصور البيانات الميدانية، بل يمارس أيضاً في بناء موضوع دراسته، في اختيار المشاركين فيه، في اختيار المواقع، بل هو أيضاً تفسير وتنظير، وبالتالي، فإنه يشارك في جزء من عمل استخراج معنى المواد الكمية. وعلاوة على ذلك، فإن التحليل النوعي ليس حقيقة حصرية للبحث عن طريق التحقيق في العلوم الإنسانية والاجتماعية، بل هو أيضاً في العمل بين الأدبي، التأويل، الفلكي. (BERGEZ, 1990, pp85-90)

بناء على ما سبق، تتمثل إشكالية الورقة البحثية في التساؤل التالي: إلى أي مدى يمكن للتحليل النوعي في العلوم الإنسانية والاجتماعية أن يوفر فهماً عميقاً ودقيقاً للظواهر الاجتماعية المدروسة؟ وما هي معايير المنهجية والإجرائية كمحطة مهمة من خطوات منهجية البحث العلمي في الدراسات الكيفية – التحقيق الميداني النوعي-؟

تسعى هذه الورقة البحثية إلى استكشاف التحديات التي تواجه الباحثين النوعيين، والأفق المستقبلية لتطوير هذا المنهج في ظل صعوبات الميدان البحثي

2- مفهوم التحليل النوعي وأصوله الفلسفية :

منذ الثمانينيات، أصبح استخدام أساليب جمع البيانات النوعية (لا سيما المقابلات وملاحظة المشاركين) واسع الانتشار ومتنوعاً بشكل تدريجي خارج المجالات التقليدية لاستخدامه، ونحن الآن نعرف جيداً المسائل وطرق التعامل مع هذه الأساليب، وتكثر فيها الكتب والمقالات، ومع ذلك، لا يمكننا أن نقول الشيء نفسه عن أساليب التحليل النوعي، التي تم إنزالها منذ فترة طويلة، في

أوروبا كما في أمريكا والعلم العربي، إلى المستوى الأخير من الاعتبارات المنهجية، كما لو كان التحليل يشكل الملاذ الأخير للباحث الذي وجد هناك المكان بامتياز من أجل الأعمال اليدوية العلمية، أو ربما لأن التركيز على البحث غالبا ما يتم التركيز عليه أولا المشكلة، في السياق النظري، ولكن القليل أو لا شيء على الإطلاق فيما يتعلق بخوارزميات استخلاص المعنى، و بالتالي محاطة بهالة من الغموض، أما في العالم الأنجلوسكسوني، تطور هذا الوضع بشكل ملحوظ على مدى السنوات العشرين الماضية، وتتضاعف الأعمال المتعلقة بالتحليل النوعي بوتيرة مثيرة للإعجاب، (مصطفى الحجر، 2003، ص 56)، أما فيما يخص الفرانكفونيين، فإن الوضع مختلف تماما، فالتحليل النوعي نادرا ما يكون موضوعا لنصوص متعمقة، بل إن عددا أقل من الأعمال المخصصة له (الخواجة، 2011، ص 78)، وفي هذا السياق يتناسب عملنا، الذي يحاول إظهار كل تعقيد أعمال التحليل التي تحكم إعادة البناء النوعي والتفسير والتنظير للبيانات النوعية المنتجة في إطار التحقيق الميداني.

يمكن تعريف التحليل النوعي على أنه تقدير أولي باعتباره منهجا استطراديا لوضع السياق أو التفسير أو التنظير للتجارب المعاشة أو الظواهر المرصودة، فالمنطق في العمل هو جزء من اكتشاف المعنى وبناءه، ولا يشترط أن يكون العدد أو القياس صحيحا وسخيا وكاملا، على الرغم من أنه لا يستبعد مثل هذه الممارسات ونتيجته، في جوهرها، ليست نسبة ولا كمية، بل هي نوعية، وبعد، وامتداد، وتصور للموضوع (BLANCHET, GOTMAN, 1992, p 120) إذا كان هذا التعريف قد يبدو محددا، فسوف نلاحظ أن المناهج التي يمكن أن تستند إليه هي على العكس من ذلك عديدة ومتنوعة ومناسبة تماما لموضوعات دراسة العلوم الإنسانية والاجتماعية. ففي الواقع، التحليل النوعي هو نشاط العقل البشري الذي يحاول فهم العالم الذي يرغب في فهمه وتفسيره، أو حتى تحويله، يستدعي هذا النشاط عمليات هي عمليات التفكير النوعي للإنسان العادي الذي يفكر بذلك في العالم من حوله، مع أنواع من الإدراك والحضور في العالم موصوفة جيدا من قبل المدارس النظرية المختلفة، دعونا نلاحظ أنه بالفعل ما نسميه "الروح"، بطريقة عامة، لا يشير إلى الذكاء المفاهيمي وحده ويتعلق، بشكل أكثر عمومية، بالعلاقة مع العالم المتجسد الذي يلتبس جميع الحواس الإنسانية داخل المجتمع. (قاسيمي، 2017، ص 136) ففي سياق البحث العلمي، يتم تنظيم عمليات التفكير والحضور هذه في العالم، فهي تؤدي إلى عمليات تحليلية يتم تنفيذها بدقة، ولكن هذا لا يعني أن التحليل قابل للاختزال في هذه العمليات.

أننا سنحاول تحديد الطبيعة الأساسية للتحليل النوعي وإعطائه التعريف الأكثر اكتمالا قدر الإمكان، فجوهر التحليل النوعي هذا ليس شيئا أثريا، بل على العكس من ذلك، فهو مسألة عمليات بحثية ملموسة سيضعها الباحث في سياق البحث الأنثروبولوجي والاجتماعي بعد أن جعل من الممكن ان يحقق التحليل النوعي التأويل، باختصار أنه يتقدم مع اهتمام الباحث بشدة بجهود الفهم ومحاولات التفسير، ومع ذلك يحاول تقديم أفضل تفسير للظاهرة التي تم تحليلها. كامتداد لدراسة هذه الديناميكية.

3- معضلة اختيار المنهج النوعي في سياق التحقيق الميداني

الباحث النوعي هناك، أمام طاولة عمله، عائدا من إقامته في مجاله. إنه يحاول فهم الملاحظات الرصدية التي سجلها والمقابلة التي أجريت قبل بضعة أيام وتم تدوينها، بطريقة ما، وضعه ليس معقدا للغاية، فهو سيمارس وظيفته كباحث، للوهلة الأولى، فهو ليس في وضع أكثر إشكالية من المهندس المعماري أو المعلم أو المحامي، ولكن إذا نظرنا عن كثب، فإن نشاطه التحليلي بعيد كل البعد عن الابتذال، والعوالم التي تستدعيها وكذلك الأسس التي تقوم عليها يمكن أن تؤدي إلى تفسير الفلسفة بأكملها من ممارسة منطقها، وينابيع فلسفتها، الحجة، أصل وتكوين عالمها النظري، ونقشها في عالم الحياة في نفس الوقت الذي تنعكس فيه انعكاساتها عليها، وقدرتها المكتسبة والمتجددة على الرؤية والإبداع، التناقضات، والأشكال، والأنواع، والفئات، والمعنى الموجود بالفعل بالنسبة له وما زال يصنع، وانفتاحه البديهي على الآخر على خلفية عالم تجريبي يحاول وضعه بين قوسين، وأسس و"آلية" الوجود، ممارسة فهمه، والطابع الموروث.... (شلي 2012، ص 89)، ولكن أيضا الإشكالي لتساؤلاته، وتعلقه الثابت بالبيانات التجريبية التي مع ذلك لا تتحدث أبدا عن نفسها بطريقة مطلقة... كل هذا على المحك في نشاط التحليل النوعي.

إن الباحث النوعي المحلل الذي نصفه في هذا الورقة البحثية، وباختصار الذي يمكن أن يجسده من خلال استلزام الأسس والعمليات والاحتياجات التي نعرضها بالتفصيل، هو شخص مطلع جدا على القضايا المعرفية للبحث، إنه يعلم أن التحليل النوعي ليس ولا يمكن أن يكون مشروعا ميكانيكيا، وأنه على العكس من ذلك عمل مصنوع من عمل إنساني قريب من واقعه الاجتماعي، حساس، منته، عاكس، ومستنير، وقائم على التجربة، وهو يعلم أن البرهان في هذا المجال العلمي لا يحدث من تلقاء نفسه وأنه من الضروري إيجاد الحجة وبناءها، لذلك، فهو يقوم بجمع وتوثيق وتحديد الظواهر التي يشتغل على التحقيق فيها ويتساءل بلا كلل عن وجودها ومنطقها العام حتى لحظة قدرته على اقتراح وكشف حل للمكائد التي تطرحها مشكلته، إنه لا يتصرف كما لو كانت كل هذه العمليات بديهية. وهو يعلم أنه من المهم، في هذا المجال، تعبئة الإجراءات المناسبة، وتنظيم تنفيذها، وتنسيق العمليات المختلفة، والتقدم صوباً نحو التحليل النوعي. (MILES, HUBERMAN, 2003 , pp.133-140)

بناء على ما سبق، يتم التشكيك باستمرار في قوة الحدس والاكتشافات والاتصالات من أجل تكوين نتائج قوية وواضحة وشفافة، إنه يعلم أنه للقيام بذلك، يجب عليه أن يجد علاقة عادلة وخصبة مع بياناته ويحافظ عليها، وبالتالي يجب عليه أن يفكر ويوضح المعادلة الفكرية التي تناسب بحثه، وبالتالي يجب عليه على وجه الخصوص الجمع بين أفضل ما يمكن من التنظير الناشئ، والاستفادة من المعايير النظرية المسبقة في سياق ممارسة حساسية الفرد النظرية والتجريبية، ويتم تحقيق ذلك من خلال تأويل الحوار بين التقاليد والابتكار، والمعرفة والاكتشافات الموجودة، والبيانات والتحقيقات، حيث يكون الباحث والمشاركين والقراء أصحاب مصلحة. (MUCCHIELLI, 1996 , pp.100-110)

قد يبدو هذا الرسم التخطيطي لصورة الباحث المحلل النوعي مبهما ومفهوما إلى حد ما في هذه المرحلة، وهذا يعني أن التحليل النوعي، الذي قد يبدو أوليا وغير معقد جدا للوهلة الأولى، هو على العكس من ذلك متطلب على المستويات الأنطولوجية والمعرفية والمنهجية، فتخصيص عمل ما له

على وجه التحديد يصبح أمرا ضروريا للغاية، إذا أصبحت الاعتبارات السابقة واضحة نسبيا ومقنعة وقابلة للتنفيذ في نهاية العمل بأكمله، سيكون قد أنجز مهمته.

4- مغامرة التحليل النوعي في الميدان – محطات الاشتغال ومقاربة الواقع الميداني-

البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية هو دائما مغامرة، فالعمل الميداني النوعي بشكل خاص ينطوي على العديد من الأمور المجهولة، لأن عملياته لا يمكن التنبؤ بها مثل البحوث التجريبية على سبيل المثال. نعني بـ "التحقيق الميداني النوعي" البحث الذي يتضمن الاتصال الشخصي مع الأشخاص الخاضعين للبحث، وذلك بشكل أساسي من خلال المقابلات ومراقبة الممارسات في البيئات ذاتها التي يعمل فيها الفاعلون، يطلق على المنهج اسم "نوعي" بشكل أساسي من ناحيتين: أولا، بمعنى أن أساليبه وأدواته مصممة، من ناحية، لجمع بيانات نوعية (شهادات، ملاحظات ميدانية، صور فيديو، إلخ)، ومن ناحية أخرى، بمعنى أن ومن ناحية أخرى، تحليل هذه البيانات تحليلًا نوعيًا (أي استخلاص المعنى بدلا من تحويلها إلى نسب أو إحصائيات)؛ () ويسمى التحقيق أيضا كفيًا بالمعنى الثاني، أي أن العملية برمتها تتم بطريقة "طبيعية"، دون أجهزة متطورة أو أوضاع مصطنعة، وفقا لمنطق قريب من الناس وأفعالهم وشهاداتهم (RYAN, BERNARD, pp.79-89, 2003)، وهذا هو الحال مع تحليل البيانات الذي يستفيد من القدرات الطبيعية لعقل الباحث ويهدف إلى فهم وتفسير الممارسات والخبرات بدلا من قياس المتغيرات باستخدام الإجراءات الرياضية.

يعد البحث الميداني النوعي بمثابة مغامرة، واللحظات التي تتضمن فيها عمليات تحليل منهجية للمواد المجمعة تكون دائما بارزة، فمن الواضح أن هذه اللحظات تحدث في نهاية عملية البحث، ولا يمكن للباحث إلا أن يحلل ما جمعه، ولكن يمكنه أن يبدأ التحليل بمجرد الانتهاء من جمع المعلومات، ومن الأفضل، بالنسبة لبعض الأساليب، الجمع والتحليل البديل لتحقيق أقصى قدر من الصلاحية، ولكن كيف يختار استراتيجية التحليل المناسبة؟ ما هي الإمكانيات والتحديات؟ كيف تتم العملية برمتها وما هي مكوناتها الأساسية؟ وكيف يتم استخلاص الاستنتاجات؟، لأنها ستستمد من العمل بأكمله عناصر المعلومات التي تسمح بإلقاء نظرة عامة على مسألة اختيار التحليل النوعي والطرق المنهجية التي يقود بها الباحث بياناته الميدانية، وسوف توفر مفاتيح لفهم واستخدام الحجج والأساليب التي يتم تقديمها بعمق في جميع أنحاء العمل.

5- خريطة طريق للباحث النوعي - الأسئلة الكبرى في التحليل النوعي

للتقدم في هذه المحطة وعند هذا المستوى من الاقتراب من البيانات الكيفية، سنجيب على بعض الأسئلة العامة ستساعد إجاباتها في إطلاع الباحث النوعي على سبل التحليل والمناقشات والتوضيحات التي يتكون منها العمل البحثي الميداني النوعي:

1-5 هل هناك مجموعة متنوعة من العمليات والتقنيات التي يمكن للباحث الاستفادة منها لتلبية احتياجات التحليل النوعي المحددة؟

في الأساليب النوعية، ما يميز عمليات المعالجة أو التحليل هو، في الأساس، تنفيذ موارد الذكاء لفهم المعاني، التوفيق والمقارنات وربط البيانات، ووضعها في المنظور والتأطير، والتقاط التكرارات والقياسات وكذلك التعميمات والتوليفات تبرز هذه المعاني، ولذلك، فإن السؤال دائما هو جلب

المعنى إلى السطح من خلال العمل الفكري ، ونجد أيضا، في التحليل النوعي، فائدة معينة من أنواع مختلفة من العمليات مثل: وضع العلامات (التلوين، التمييز)؛ التعليقات التوضيحية الرسمية (الاختلافات بين العبارة، والموضوع، والفئة، وما إلى ذلك) أو غير الرسمية (فكرة، إشارة إلى المؤلف، فئة أولية، موضوع تمهيدي)؛ قوائم الجرد (المراجع التفسيرية، والمعايير النظرية، ومقتطفات من الشهادات المقنعة، وقائمة الفئات ذات، ومجموعات الخصائص الاجتماعية والديموغرافية للجهات الفاعلة)؛ الملاحظات التحليلية (المذكرات، ومحاولات النمذجة أو التنظير، والملاحظات المنهجية المنطقية)؛ التخطيطات (الشبكات المقارنة، الموثائق، الرسوم البيانية المرئية، المصفوفات) ... إلخ (عارف عثمان، 2011، ص ص 88-91)

يتم استخدام كل هذه العمليات بطرق مختلفة في التقنيات التي ظهرت على مدار الثلاثين إلى الأربعين عاما الماضية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، حيث استفاد بعضها بشكل أكبر من عمليات وضع السياق، بينما حاول البعض الآخر بدلا من ذلك الكشف عن بنيات الظواهر، فتبني هذه التقنيات الاحتياجات في سياقات تخصصية أو نظرية محددة.

2-5 هل هناك، إلى جانب هذه العمليات والتقنيات، طرق أكثر عالمية يمكن تكييفها مع المواقف البحثية المتنوعة؟

إن متطلبات البحث المتنوعة للغاية تجعل من الضروري وجود مناهج عامة يمكن اعتمادها في عدد كبير من المواقف. ثم نتحدث بعد ذلك عن الأساليب وليس عن التقنيات، لأنه في هذه الحالات لا يوجد تخصص لاستخدام محدد، لفهم المنطق الكامن وراء هذه الأساليب، يجب علينا أولا أن نسأل كيف يشرع الباحث بشكل طبيعي في تحليل المواد الخطابية (أي الملاحظات الميدانية، أو نصوص المقابلات، أو العناصر الوثائقية التي تم جمعها في موقع الدراسة)، لأن الأساليب التي سنقدمها تعتمد على المهارات العامة للعقل الذي يسعى لإنتاج المعنى، وفي حالة عدم وجود شبكة تحليل، وبعد تحديد ومقارنة العناصر الرئيسية للشهادات أو الملاحظات الميدان والمستندات، فإن هذا الباحث، سيلجأ تلقائيا إلى إحدى الاستراتيجيات الثلاث الرئيسية أو مزيج منها: الكتابة، والتساؤل، والتعليق. (SALDANA, 2009 , p.79) :

- تشير الاستراتيجية الأولى - استراتيجية الكتابة- إلى عملية تدوين الملاحظات ومحاولة فهم النص المراد تحليله من خلال الكتابة. سيقرأ الباحث النص، ثم سيضع فهمه لهذا النص على الورق، ثم سيقوم بإجراء قراءات جديدة له وكذلك المواد الأخرى التي سيتم تحليلها، وسينتج مرة أخرى تأملات وتحليلات كتابية. حتى الرضا أو حتى تقرير التحليل النهائي، تسمى هذه الإستراتيجية، التي يتم تنفيذها بشكل منهجي، بتحليل وضع الكتابة
- أما الاستراتيجية الثانية فتتمثل في الباحث الذي، في مواجهة النص، لا يتفاعل عن طريق رفع القلم للكتابة، بل يجد نفسه متسائلا، حول دراسة المادة و تحديددها، ويجب على بعض أسئلتها (بما في ذلك بعض الأسئلة التي لم تتم صياغتها بعد)، ولكنها تثير أيضا أسئلة أخرى، والتي سوف يرغب في الإجابة عليها من خلال دراسة عناصر جديدة من المجموعة. باختصار، من الأسئلة إلى الإجابات، ثم إلى الأسئلة والأجوبة الجديدة، ينتهي هذا الباحث بتوضيح

المشكلة بدقة ضمن تنسيق السؤال والجواب، عندما يستخدم أسلوب العمل هذا بشكل منهجي، فإننا نتحدث عن التحليل عن طريق الأسئلة التحليلية

- الإستراتيجية الثالثة تتمثل في محاولة فهم معنى النص المراد تحليله من خلال الشروح المكتوبة في النص أو في هوامشه على شكل كلمات أو صيغ أو جمل قصيرة، يرغب الشخص في تجميع ما يشعر به أو يكتشفه في النص، ويسعى إلى التعرف على الملاحظات أو الظواهر من خلال الإبلاغ عنها في عبارات أو موضوعات أو فئات، يشير هذا النمط من التحليل، الذي يتم إجراؤه بطريقة منهجية وصارمة، إلى ثلاث طرق رئيسية تعتمد على شكل ومستوى الشروح بالإضافة إلى هدف وموقف المحلل: يهدف التحليل الظاهري، من خلال إنتاج البيانات والقصص، إلى الفهم الحقيقي لما يقدم نفسه كما يقدم نفسه ويهدف التحليل الموضوعي، من خلال المواضيع، إلى تقديم صورة شاملة للمتن، يتطلب التحليل باستخدام الفئات المفاهيمية، والذي يعتمد على إنشاء وتنقيح الفئات الموجودة مباشرة على مستوى معين من التجريد، موقفا مفاهيميا وليس وصفيا فقط فيما يتعلق بالبيانات المراد تحليلها (MUCCHIELLI, Ibid , p120).

3-5 هل الأدوات التحليلية من تقنيات وأساليب قابلة للتبادل أم أن هناك تخصص في استخدامها؟

كما رأينا سابقا، فإن التحليل الظاهري والتحليل الموضوعي والتحليل باستخدام الفئات المفاهيمية لها أهداف تحليلية مختلفة تماما، ويترتب على ذلك أن أسلوب عمل الباحث النوعي، وفي هذه الحالات المحددة، لن تكون أنواع التعليقات التوضيحية التي سينشئها هي نفسها من طريقة إلى أخرى، هذه ليست نزوة أو خيال، وهذا يمكن أن يحدث فرقا كبيرا عندما يعتقد الباحث أنه أكمل تحليله ويجد نفسه في حيرة من أمره في التفسير، ويتساءل متى لم يعمل بشكل جيد أو يشك في قيمة الطريقة المعتمدة، وفي كثير من الأحيان، تكمن المشكلة في أنه لم يتقدم في تحليله بشكل صحيح باستخدام الأدوات المناسبة، هذا موقف متكرر إلى حد ما، ولهذا السبب، على مر السنين، تم القيام بتطوير تمييزات تشغيلية تتعلق بالعمليات التي تتكون من شرح مجموعة الدراسات الاستقصائية، أي - على سبيل المثال، الأدوات التحليلية التي يستخدمها الباحث الذي يشرح مجموعته والذي يتقدم تحليله بفضل هذه الشروح، هذه الأدوات التحليلية هي الكلمات أو التعبيرات التي يكتبها على ورقة أو على المادة نفسها (نسخ المقابلات، وملاحظات الملاحظة، والوثائق التنظيمية، وما إلى ذلك) من أجل تصنيف المقتطف المقابل أو تحديده أو تفسيره أو نظيره.

4-5 هل يتم تضمين التحليل النوعي إلى حد كبير في هذه العمليات والتقنيات والأساليب والأدوات أم أنه يمتد إلى ما هو أبعد منها بطريقة ما؟

إن التحليل النوعي ليس نشاطا مخصصا للباحثين العلميين فقط، في حياتنا اليومية، نستخدم جميعا العمليات النوعية لفهم العالم والدخول في التواصل معه، إن الاستفسار والتوثيق والتفكير والمداولة هي أنشطة عادية في عالم الحياة اليومية، وبالتالي فإن التحليل النوعي هو أولا وقبل كل شيء نشاط العقل، ويتم فهمه بالمعنى الواسع الذي يشمل جميع أشكال العلاقة مع العالم داخل المجتمع، وهو أيضا جزء من التأويل (الخواجة، مرجع سابق، ص 110، 99) أي

أنه مشروع لفهم المنطق الإنساني والاجتماعي الذي تحاول النصوص (نسخ المقابلات، وملاحظات الملاحظة) تقديمه والذي يسعى الباحث النوعي إلى تفسيره بدقة، مع الأخذ في الاعتبار كليهما هو كباحث وحامل للحساسية النظرية، وما تقدمه النصوص (والأشخاص الذين هم في أصلهم) كمكون للمعرفة، ويرتكز هذا الجهد في الفهم والتفسير على ركيزتين أساسيتين يتميز بهما عمل الباحثين في العلوم الإنسانية والاجتماعية:

أولاً: إنه يعمل، بوعي، بطريقة منهجية وصارمة، وهو مسؤول عن نتائج تحليله أمام المجتمع النقدي، و الذي يرى طوال العمل الطبيعة المنهجية والانعكاسية لعملياته التحليلية، والتي تعتمد أيضاً على عمليات التفكير النوعي

ثانياً: نشاطه كتابي وليس شفهي، أي أنه يحلل آثار مكتوبة (تتكون مادتها النوعية عادة من نسخ المقابلات أو الملاحظات الميدانية أو أي وثيقة مكونة من كلمات ويقصد تحليلها للبحث) يترك نفسه دائماً بمفرده (تتم تحليلاته باستخدام الكلمات ويتم الإبلاغ عنها في التقارير أو الأطروحات)، ويقدم وصفا للأسباب التي تجبره على اللجوء إلى الكتابة (سنقول إنه يمثل لخمس أوامر للرد الكتابي) بالإضافة إلى مستويات الكتابة (ثلاثة في العدد) المقابلة للحظات تحليله. (شلي، مرجع سابق، ص 90)

ومع ذلك، فإن العمل المنهجي للباحث لا ينبغي أن يخلق أوهاماً للمشكلة، التي كثيراً ما نواجهها في التحليل النوعي هي ما يمكن أن نطلق عليه "انعكاس الفهرسة"، والذي يتكون من استيعاب عمل التحليل، على سبيل المثال، من التصنيف إلى تمرين في وضع العلامات والتصنيف والأرشفة، يبدو الأمر كما لو أنه، استجابة لطلب إنشاء موضوع أو فئة في هامش الوثيقة، لا يمكننا أن نتخيل على الفور أي شيء آخر غير تسمية غامضة إلى حد ما، دون علامة رابط دقيقة حقاً مع محتوى الملاحظات، ولكن يسمح لنا بتلخيص الموضوع الذي تمت مناقشته بشكل تقريبي، بحيث تتبع التسميات، مقتطفاً تلو الآخر، بعضها البعض، ويكون لدينا انطباع بأننا قمنا بتحليل المادة، (قاسيمي، مرجع سابق، ص 140) ليس من المستغرب أن يتمتع مصطلح "معالجة البيانات" بشعبية كبيرة، حتى لو كان يتعلق أكثر بالتحليل الإحصائي، لأنه في الواقع معالجة البيانات يتم تنفيذها باستخدام العناوين، ولكن لكي نسهل التلاعب بالألفاظ، لنفترض أنها معاملة غير عادلة، وتفتقر بالتالي إلى الدقة والإحكام، ولا تؤدي إلى تحليل غني للمجموعات المدروسة، فلا تهدف الأدوات التحليلية التي سيتم اقتراحها في البحث الميداني إلى إنتاج تصنيفات أو ملخصات في نهاية المطاف، ولكن قبل كل شيء لها وظيفة تسمية، أي أنها تعلق، قدر الإمكان في قواعد الفن، لتسمية شيء ما، على سبيل المثال، في حالة التحليل الموضوعي، لا يقوم الباحث بتحليل النص لتلخيصه، بل يقوم بتحليله، إن إدراك ذلك يعني إحداث فرق كبير بين آليات التوليف (التلخيص)، التي تنتهي قواعدها إلى المجال الأدبي، وديناميكيات التحليل، المرتبطة هنا بعمليات الالتقاط والتحويل النفسية والاجتماعية القائمة على التجربة والظواهر الثقافية، و عليه، فإن الموضوع ليس مجموعة "عادية" من الكلمات، بل هو أداة تحليلية، فمحتواه وشكله وتوافقه مع المجموعة كلها تخضع لاعتبارات علمية، وهذا يعني أنه عندما نحدد المواضيع، فإننا لا نهتم فقط بالبحث عن

الكلمات المناسبة لتجميع التعليقات التي تم جمعها، بل تبقى أيضاً حاضرين في الوضع العام، وفي علاقة الأجزاء بالكل، وفي الأجيال القادمة لموضوعاتنا – وبالتالي إلى توازنها على كافة المستويات – باختصار لإنجاز العمل التحليلي فيما يتعلق بالأسئلة التوجيهية للبحث، وينطبق هذا أيضاً على العمل مع وضع تصور للفئات والتقنيات والأساليب الأخرى المقدمة. علاوة على ذلك، فإن التحليل النوعي يمتد بشكل جيد إلى أسفل ممارسات تحليل النصوص، حتى لو تم تنفيذها بشكل جيد، و عليه فإن إجراء التحليل النوعي يتكون بالطبع من شرح المجموعات بشكل صحيح، ولكنه يمكن أن يتكون أيضاً من المقارنة والتجميع والنمذجة والتنظير.

5-5 في عملية البحث – التحقيق الميداني في حقل علم الاجتماع-، هل يستحق التحليل النوعي مكانة مميزة؟

لقد أثار هذا السؤال مناقشات ساخنة للغاية في السنوات الأخيرة، على وجه الخصوص فيما يتعلق بتيار ما بعد الحداثة الأمريكية، الذي يرى جزء منه أن البحث هو نشاط مثل أي نشاط آخر، دون مكانة "متفوقة" من أي نوع، بل وربما يكون ضاراً عندما يخفي "تفاهته" النسبية، ومن جهتنا، (عارف عثمان، مرجع سابق، ص 140) نفضل أن نسلط الضوء على حكمة وتواضع وعاطفة الباحث، الذي تعتبر مهنة التحقيق بالنسبة له طبيعة ثانية ترقى إلى مستوى عال من الاحترافية بدلا من المساهمة في بناء الهيمنة على القضايا الاجتماعية، والسؤال الذي يتمظهر عند هذا المستوى و الذي يتمثل في التساؤل، عما إذا كان الباحث الميداني يحتل مكانة متميزة بين الأشخاص الذين يقومون بوظائف قريبة منه ومن الفئات الاجتماعية الأخرى؟.

يمكننا أن نصدق هذا بالنظر إلى أن الباحث، عادة، هو مراقب ومشارك في نفس الوقت (لاستخدام الصيغة المعروفة لهذا الغرض)، ولكن على العكس من ذلك، يمكننا أن نقول إنه ربما لا يوجد أحد في وضع أفضل من عمال الشوارع، على سبيل المثال، لفهم الحياة القاسية التي يعيشها الناس الذين يعانون من ضائقة شخصية واجتماعية بكل تناقضاتهم، من الممكن الاعتراض، في مواجهة هذا الاقتراح، على أن عين الباحث المطلعة أو التي يمكن تجسيدها بسهولة أكبر يمكن أن تجعل من الممكن أن تضع في إطار أوسع ما يميل على الفور إلى احتلال مجال رؤية الشارع العمالي بأكمله، لكن ألسنا نجري مقارنات يمكن أن تؤدي إلى تسلسلات هرمية؟ هل من المهم، وقبل كل شيء، إنشاء مثل هذه الفروق أو التدرجات؟ ونحن نختار، من جانبنا، من خلال هذا العمل، تكريم ومحاولة تجهيز عمل الباحثين الميدانيين بشكل أفضل، مع إدراكنا أنه محدود في طموحاته ودوافعه وإمكاناته، وهكذا نصل إلى السؤال الأولي بجرعة جديدة من النسبية التي سنستمر في ممارستها، لأنه في إطار التحقيق، المحدود بالضرورة، في مواجهة أشخاص- الأفراد- لا يمكن في أحسن الأحوال أن يتطرق إلى حياتهم الإجمالية إلا من قبل المحقق، فإن التحليل النوعي للشظايا المتناثرة التي تم جمعها- في إطار التحقيق دائما أكبر وأكثر ثراء من شظاياه، ودائما أكثر ظرفية وجزئية من الحالة المدروسة- حتى لو تم تنفيذها بالعلم والضمير- فإنها تمثل بالتأكيد مرحلة قوية من مراحل التحقيق، ولكن يجب أن نعرف أنها تكون في المركز أحيانا، وأحيانا في المركز المحيط، وأنه يحتل مكانا مفضلا، ولكنه ليس مكانا مميزا أبدا.

6-5 هل ينبغي إجراء التحليل النوعي دون شبكة مسبقة، حتى لا يفرض تفسيراً، أم يجب ربطه بالنظريات للكشف عن الظواهر بشكل أفضل؟

لقضاء أمسية جيدة بين الباحثين وهم يناقشون سؤالاً عصياً، هذا السؤال مثالي تماماً، هذه نقطة شائكة ترجع إلى حقيقة أنه، من ناحية، إذا ادعينا أننا قادرون على اكتشاف شيء جديد من خلال التحليل النوعي، فيجب ألا نعلم عن الشبكة، بل من ناحية أخرى، إذا كنا لا نريد إعادة اختراع العجلة وإذا أردنا أن نعرف أين نبحث لنجد أفضل، فإن الأبحاث والنظريات المتاحة ضرورية، (مصطفى الحجر، مرجع سابق، ص 91) هناك شيء واحد مؤكد، وهو أنه لإجراء تحقيق ميداني نوعي، من الضروري اتخاذ قرار بشأن هذه المسألة، لأن منطقها يعتمد إلى حد كبير على التحقق، فعندما يتم تجميع النتائج، فإن معظم ما يمكن اكتشافه يتعلق بتواتر الاستجابات وتوزيعها، ومن ناحية أخرى، في البحث الميداني، يكون الوضع أكثر تعقيداً، لأن جمع المعلومات يكون دائماً مفتوحاً جزئياً (المقابلات المتعمقة، ملاحظة المشاركين) وموضعه (في سياق حياة الممثلين)، وبالتالي فإن البحث الميداني يكون أكثر تعقيداً.

لكن، إن موقف التحقق من النظرية من شأنه أن يتناقض مع هذا الموقف من الانفتاح أو سيكون، على أقل تقدير، غير مريح للغاية، بل وحتى محرجاً، بين القراءة ومراعاة النماذج والنظريات من ناحية، وموقف الانفتاح والاكتشاف في المجال من ناحية أخرى، يجب على الباحث إيجاد التوازن الصحيح، ونطلق على هذا التوازن المعادلة الفكرية للباحث، ومن الواضح بالنسبة لنا أن هذه المعادلة الصحيحة لا تتوافق مع مفهوم الإطار النظري المأخوذ من حيث النموذج المراد التحقق منه أو علاقته الصارمة بالنظرية، ومن ناحية أخرى، فمن الواضح لنا أيضاً أن كل باحث يقترب من مجال بحثي ما ببداية ومعرفة بمختلف أنواعها، ونعتقد أن هذا الموقف النظري المبدئي يجب أن يكون موضوع تفكير منهجي، لذا فإن المعادلة الفكرية للباحث له أهمية قصوى.

6- جدلية حوصلة

شهد التحليل النوعي إضفاء الطابع الرسمي على ممارساته على مر السنين، لا سيما منذ السبعينيات، ومع ذلك، لا يزال هذا المجال من المعرفة والممارسة قيد الإنشاء، منذ وقت ليس ببعيد، تم نقل ممارسات تحليل البيانات الميدانية شفهيًا أو تجريبيًا بمعزل عن غياب الأدبيات حول هذا الموضوع، يقدم العديد من الباحثين الآن تقارير علنية عن هذا الجانب الأساسي من البحث، هذا يمتد من التقارير إلى ممارسة اختبارات النمذجة، وفي العالم الأنجلوسكسوني، يذهب إلى الكتب المخصصة لمنهج دقيق، مهما كان الحال، فإنه لا يدل على إضفاء الطابع الرسمي النهائي على المنهج النوعي، ولحسن الحظ، فإن مستخدميه، في بعض الحالات، يتناسبون معها من خلال تكيفها وتحولها في اتجاه الاستخدام الأمثل أو الظرفي، بالإضافة إلى ذلك، على طول الطريق، يستبعدون تلك الجوانب التي لا تصمد بشكل جيد لمرور الوقت أو اختبار الممارسة، هذا النوع من التطور التاريخي هو سمة مميزة، من بين أمور أخرى، وفي الأخير نجد أنفسنا أمام تساؤل هل تظل النوعية، على مر السنين مستقرة نسبياً أم يمكن أن تتطور بمرور الوقت أو وفقاً للوضع؟

قائمة المراجع المعتمدة :

المراجع باللغة العربية

- 1- مصطفى الحجر، خالد أحمد. (2003). معايير وشروط الموضوعية وفي البحث الكيفي، مجلة جامعة أم القرى للعلوم الأتربوية و الاجتماعية و النفسية المجلد (15)، العدد (2)، السعودية.
- 2- الخواجة، محمد ياسر. (2011). البحث الاجتماعي - الأسس منهجيته و نماذج تطبيقية ، العربية للنشر و التوزيع ، مصر.
- 3- عارف عثمان، محمد. (2011). المنهج الكيفي و الكمي في علم الاجتماع ، دار الثقافة للتوزيع ، القاهرة.
- 4- شلي، عبد الله. (2012). علم الاجتماع الاتجاهات النظرية و الاستراتيجيات البحثية ، المكتبة الانجلوسكسونية ، مصر.
- 5- قاسمي، ناصر. (2017). التحليل السوسيولوجي - نماذج تطبيقية -، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر.

المراجع باللغة الأجنبية

- 1- BERGEZ, Daniel.(1990).« La critique thématique », in D. Bergez et al., *Introduction aux méthodes critiques pour l'analyse littéraire*, Paris, Bordas
- 2- BLANCHET, A., GOTMAN, A..(1992). *L'enquête et ses méthodes : l'entretien*, Paris, Nathan.
- 3- MILES, M.B., HUBERMAN, A.M..(2003). *Analyse des données qualitatives*, Bruxelles, DeBoeck.
- 4- MUCCHIELLI, Alex.(1996). *Les méthodes qualitatives, Dictionnaire des méthodes qualitatives en sciences humaines et sociales*, Paris, Armand Colin.
- 5- RYAN, G.W., BERNARD, H.R..(2003). *Techniques to Identify Themes, Field Methods*, London
- 6- SALDANA, Johnny.(2009). *The Coding Manual for Qualitative Researchers*, London, Sage.

من الأرقام إلى المعنى قراءة وتحليل سوسيولوجي للجدول الإحصائية والبيانية

د. ميادة خاوي أستاذ محاضر - ب -
جامعة قاصدي مرباح - ورقلة - الجزائر

ملخص الدراسة تهدف هذه الدراسة إلى إبراز أهمية الجداول الإحصائية والرسوم البيانية في تحليل الظواهر الاجتماعية داخل علم الاجتماع، وذلك من خلال توضيح أنواعها المختلفة وبيان منهجية قراءتها وتحليلها. وقد تناولت الدراسة الجداول الإحصائية بمختلف أشكالها، مثل الجداول البسيطة، والمركبة، والتكرارية، والتقاطعية، إضافةً إلى الرسوم البيانية كالأعمدة، والخطوط، والدوائر، والمدرجات التكرارية، مع إبراز وظائف كلٍّ منها في عرض البيانات وتبسيطها. كما ركزت الدراسة على الخطوات المنهجية لقراءة الجداول، بدءاً من فهم العنوان وتحديد المتغيرات، وصولاً إلى استخراج الاتجاهات العامة وإجراء المقارنات. وتوصلت إلى أن القراءة الإحصائية وحدها لا تكفي لفهم الظواهر الاجتماعية، بل ينبغي دعمها بتحليل سوسيولوجي يربط المعطيات بالسياق الاجتماعي والثقافي. وتؤكد النتائج أن التكامل بين الإحصاء والتحليل السوسيولوجي يساهم في إنتاج معرفة علمية دقيقة، ويعزز فهم التحولات الاجتماعية المعاصرة. **الكلمات المفتاحية:** الجداول الإحصائية – الرسوم البيانية – التحليل السوسيولوجي – البيانات الكمية – الظواهر الاجتماعية

Abstract This study aims to highlight the importance of statistical tables and graphical representations in analyzing social phenomena within sociology. It focuses on identifying their different types and explaining the methodological steps required for their proper reading and interpretation. The study examines various forms of statistical tables, including simple, complex, frequency, and cross-tabulation tables, as well as graphical tools such as bar charts, line graphs, pie charts, and histograms, emphasizing their role in organizing and simplifying data. In addition, it outlines the key stages of reading tables, starting from understanding the title and identifying variables to extracting general trends and making comparisons. The findings reveal that statistical reading alone is insufficient for understanding social phenomena; rather, it must be complemented by a sociological analysis that links data to its social and cultural context. The study concludes that integrating statistical methods with sociological interpretation enhances the production of accurate scientific knowledge and improves understanding of contemporary social transformations.

Keywords: Statistical Tables – Graphical Representations – Sociological Analysis – Quantitative Data – Social Phenomena

مقدمة

تكتسي الأدوات الإحصائية أهمية بالغة في الدراسات المعاصرة داخل علم الاجتماع، لما تتيحه من إمكانيات في تنظيم المعطيات وتحويل الظواهر الاجتماعية المعقدة إلى مؤشرات قابلة للقياس والتحليل. وفي هذا السياق، تلعب الجداول الإحصائية والبيانية دوراً محورياً في تبسيط هذه الظواهر، إذ تُسهّم في عرض البيانات بشكل منظم وواضح، مما يُسهّل على الباحث إدراك العلاقات والاتجاهات الكامنة داخل المجتمع.

غير أن القيمة الحقيقية لهذه الجداول لا تكمن في عرض الأرقام فحسب، بل في القدرة على قراءتها قراءة علمية دقيقة وتحليلها في ضوء السياق الاجتماعي. وانطلاقاً من ذلك، تطرح هذه الدراسة الإشكالية التالية: كيف يمكن قراءة الجداول الإحصائية وتحليلها سوسيولوجياً بما يسمح بفهم أعمق للظواهر الاجتماعية؟

وتهدف هذه الورقة إلى التعرف على طبيعة الجداول الإحصائية وأنواعها، وبيان منهجية قراءتها، ثم إبراز سبل توظيفها في التحليل السوسيولوجي. ولتحقيق ذلك، تعتمد الدراسة على منهج وصفي تحليلي يقوم على عرض المفاهيم الأساسية وتفسيرها، وربطها بأمثلة تطبيقية، بما يسهم في بناء فهمٍ منهجيٍّ متكامل لهذا الموضوع.

ولتعميق معالجة الإشكالية، تم اعتماد مجموعة من التساؤلات الفرعية التي تهدف إلى تفكيك الموضوع وتحليله من زوايا متعددة، كما تم صياغة فرضيات علمية موجهة تسعى إلى اختبار العلاقة بين القراءة الإحصائية والتحليل السوسيولوجي، في إطار مقارنة منهجية تجمع بين البعد الكمي والتفسيري.

التساؤلات الفرعية

للإجابة عن الإشكالية الرئيسية، يمكن طرح التساؤلات التالية:

- ما المقصود بالجداول الإحصائية والرسوم البيانية في الدراسات السوسيولوجية؟
- ما أهم أنواع الجداول الإحصائية والبيانية ووظائفها في عرض البيانات؟
- ما المنهجية العلمية المعتمدة في قراءة الجداول الإحصائية وتحليلها؟
- كيف يمكن الانتقال من القراءة الإحصائية إلى التحليل السوسيولوجي؟

فرضيات الدراسة

انطلاقاً من هذه التساؤلات، يمكن صياغة الفرضيات التالية:

- تفترض الدراسة أن الجداول الإحصائية تُعد أداة أساسية في تنظيم المعطيات، لكنها غير كافية بمفردها لفهم الظواهر الاجتماعية.
- تفترض الدراسة أن القراءة المنهجية الدقيقة للجداول تساهم في الكشف عن العلاقات والاتجاهات داخل المجتمع.
- تفترض الدراسة أن التحليل السوسيولوجي يُكَمِّل القراءة الإحصائية من خلال ربط البيانات بالسياق الاجتماعي والثقافي.
- تفترض الدراسة أن الجمع بين التحليل الكمي والتفسير السوسيولوجي يؤدي إلى فهم أعمق وأكثر دقة للظواهر الاجتماعية.

1. الإطار المفاهيمي والنظري

تُعدّ الجداول الإحصائية من الأدوات الأساسية في البحث العلمي داخل علم الاجتماع، حيث تُعرّف بأنها وسيلة منظمة لعرض البيانات في شكل صفوف وأعمدة، ما يسمح بتبسيط المعلومات وتسهيل المقارنة بينها واستخلاص النتائج الدالة (Anderson, 2020, p9, R. Sweeney). أما الجداول البيانية فهي تمثيلات بصرية لهذه البيانات، تهدف إلى تحويل المعطيات الرقمية إلى أشكال مرئية تساعد على الفهم السريع والتفسير الدقيق.

ويؤكد موريس أنجرس أن استخدام الجداول في البحث الاجتماعي لا يقتصر على مرحلة العرض، بل يمثل خطوة منهجية أساسية في التحليل، إذ يساهم في الانتقال من الوصف الكمي إلى التفسير السوسيولوجي للظواهر (انجرس، 2006، صفحة 387). من جهة أخرى، يبرز (Babbie, 2016, p.

(470) أن أهمية هذه الأدوات تكمن في قدرتها على ربط المعطيات الإحصائية بالبنى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، مما يجعلها مدخلاً لفهم أعمق للواقع الاجتماعي

2-أنواع الجداول الإحصائية و الرسومات البيانية 1-1 الجداول الإحصائية

تنقسم الجداول الإحصائية إلى عدة أنواع، أهمها:

1- الجداول البسيطة (Simple Tables)

تُعرّف الجداول البسيطة بأنها جداول تعرض متغيراً واحداً فقط، حيث يتم توزيع الأفراد أو الحالات وفق خاصية واحدة، مثل الجنس أو العمر أو الحالة الاجتماعية. وتُستخدم هذه الجداول أساساً في الوصف الأولي للبيانات، إذ تُمكن الباحث من تكوين صورة عامة عن توزيع الظاهرة داخل المجتمع المدروس. على سبيل المثال، يمكن عرض توزيع الطلبة حسب الجنس (ذكور/إناث) لمعرفة البنية الديموغرافية للعينة. وتُعد هذه الجداول خطوة أولى ضرورية قبل الانتقال إلى تحليلات أكثر تعقيداً. (Anderson & Sweeney, 2020).

2. الجداول المركبة (Complex Tables)

تشير الجداول المركبة إلى الجداول التي تتضمن أكثر من متغير واحد، حيث يتم عرض البيانات بطريقة تسمح بدراسة العلاقات بين عدة خصائص في آن واحد. فمثلاً، يمكن عرض توزيع الطلبة حسب الجنس والتخصص في جدول واحد، مما يتيح فهماً أعمق للبنية الاجتماعية للعينة. وتكتسي هذه الجداول أهمية خاصة في علم الاجتماع لأنها تُمكن من الربط بين الأبعاد المختلفة للظاهرة الاجتماعية وتحليلها بشكل متعدد الأبعاد. (Babbie, 2016).

3. الجداول التكرارية (Frequency Tables)

تُستخدم الجداول التكرارية لعرض عدد مرات تكرار القيم أو الفئات داخل البيانات، سواء كانت هذه التكرارات مطلقة (عددية) أو نسبية (مئوية). وتساعد هذه الجداول على فهم كيفية توزيع الظاهرة المدروسة، مثل توزيع الدخل أو عدد ساعات الدراسة. على سبيل المثال، يمكن عرض عدد الطلبة الذين يدرسون أقل من ساعتين أو أكثر من أربع ساعات يوميًا. وتُعد هذه الجداول أساسية في التحليل الإحصائي لأنها تُظهر نمط انتشار القيم داخل المجتمع. (Triola, 2018).

4. الجداول التقاطعية (Cross-tabulation Tables)

تُعرّف الجداول التقاطعية بأنها جداول تربط بين متغيرين أو أكثر بهدف تحليل العلاقة بينهما، وهي من أهم الأدوات في التحليل الكمي. فعلى سبيل المثال، يمكن دراسة العلاقة بين المستوى التعليمي واستخدام مواقع التواصل الاجتماعي. وتسمح هذه الجداول بالكشف عن الارتباطات والاختلافات بين الفئات الاجتماعية، مما يجعلها أداة مركزية في التحليل السوسيولوجي لفهم العلاقات البنيوية داخل المجتمع. (Healey, 2014).

2-2: الرسومات البيانية

1. الرسوم البيانية بالأعمدة (Bar Charts)

تُستخدم الرسوم البيانية بالأعمدة لتمثيل البيانات الكيفية أو الكمية المنفصلة، حيث يتم عرض الفئات على المحور الأفقي والقيم على المحور العمودي. وتُعد هذه الطريقة فعالة في المقارنة بين

الفئات المختلفة، مثل مقارنة نسب البطالة بين الذكور والإناث. وتتميز بسهولة القراءة والوضوح، مما يجعلها من أكثر الأدوات استخدامًا في عرض البيانات الاجتماعية. (Triola, 2018)

2. الرسوم البيانية الخطية (Line Graphs)

تُستخدم الرسوم البيانية الخطية لتمثيل التغيرات التي تطرأ على ظاهرة معينة عبر الزمن، حيث يتم ربط النقاط بخط يوضح الاتجاه العام (تصاعد، تناقص، استقرار). على سبيل المثال، يمكن تتبع تطور نسبة البطالة خلال عدة سنوات. وتساعد هذه الرسوم على فهم الديناميات الزمنية للظواهر الاجتماعية وتحليل اتجاهاتها. (Anderson et al., 2020)

3. الرسوم البيانية الدائرية (Pie Charts)

تُستخدم الرسوم الدائرية لعرض النسب المئوية، حيث يتم تقسيم الدائرة إلى أجزاء تمثل كل منها نسبة من الكل. وتُعد مناسبة لإبراز توزيع ظاهرة معينة مثل توزيع السكان حسب الفئات العمرية. وتتميز بقدرتها على إعطاء صورة شاملة وسريعة عن نسب المكونات المختلفة داخل المجتمع. (Babbie, 2016).

4. المدرجات التكرارية (Histograms)

المدرج التكراري هو تمثيل بياني يُستخدم لعرض توزيع البيانات الكمية المتصلة، حيث يتم تقسيم القيم إلى فئات (Intervals) وتمثيل تكرار كل فئة بأعمدة متلاصقة. ويُستخدم هذا النوع من الرسوم لفهم شكل التوزيع (طبيعي، منحرف، متماثل). على سبيل المثال، يمكن استخدامه لتحليل توزيع الدخل أو الأعمار داخل عينة معينة، مما يساعد في الكشف عن أنماط التفاوت الاجتماعي. (Healey, 2014).

3- الفرق بين الجدول الإحصائي والرسم البياني

يُعد كلٌّ من الجدول الإحصائي والرسم البياني من أدوات عرض البيانات في علم الاجتماع، غير أنَّ بينهما اختلافًا من حيث الشكل والوظيفة. فالجدول الإحصائي هو تنظيم رقمي للبيانات في شكل صفوف وأعمدة، يهدف إلى تقديم معلومات دقيقة ومفصلة تسمح بإجراء مقارنات مباشرة واستخلاص نتائج كمية دقيقة. أما الرسم البياني فهو تمثيل بصري لهذه البيانات، يحوّل الأرقام إلى أشكال هندسية (أعمدة، خطوط، دوائر...) تسهّل الفهم السريع وإدراك الاتجاهات العامة. وبالتالي، يُستخدم الجدول الإحصائي عندما يحتاج الباحث إلى الدقة والتفصيل، في حين يُفضّل الرسم البياني لإبراز الأنماط والاتجاهات بطريقة مبسطة وواضحة.

4- أهمية الجداول في البحث السوسيولوجي

تكسّي الجداول الإحصائية أهمية كبيرة في البحث السوسيولوجي، لأنها تمثل أداة أساسية لتنظيم المعطيات وتحليلها بشكل منهجي. فهي تُمكن الباحث من تبويب البيانات المعقدة في صورة منظمة، مما يسهل قراءتها ومقارنتها، كما تساعد في الكشف عن العلاقات بين المتغيرات الاجتماعية مثل العلاقة بين المستوى التعليمي والدخل أو بين الجنس ونمط الاستهلاك. إضافة إلى ذلك، تساهم الجداول في دعم مصداقية البحث العلمي، إذ تسمح بتقديم نتائج واضحة وقابلة للتحقق. ومن خلال هذه الوظائف، تصبح الجداول وسيلة للانتقال من الوصف الكمي إلى التفسير السوسيولوجي للظواهر الاجتماعية.

5. منهجية قراءة الجداول الإحصائية

تتطلب قراءة الجداول الإحصائية اتباع خطوات منهجية دقيقة لضمان الفهم الصحيح للمعطيات. تبدأ العملية بقراءة عنوان الجدول لفهم موضوعه العام، ثم تحديد مصدر البيانات للتأكد من موثوقيتها. بعد ذلك يتم التعرف على المتغيرات المدروسة، سواء كانت كمية أو كيفية، يلي ذلك تحليل القيم الرقمية من حيث الأعداد والنسب والمعدلات. كما تشمل القراءة استخراج الاتجاهات العامة داخل البيانات، مثل الارتفاع أو الانخفاض أو التوازن، ثم إجراء مقارنات بين الفئات المختلفة للكشف عن الفروق أو التشابهات بينها. ويؤكد (Healey (2014) أن هذه الخطوات تسمح بالانتقال من القراءة السطحية للأرقام إلى تحليل علمي دقيق يتيح فهمًا أعمق للظاهرة المدروسة.

6. التحليل السوسيولوجي للجداول

لا يقتصر التحليل في علم الاجتماع على وصف البيانات الإحصائية، بل يتجاوز ذلك إلى تفسيرها في ضوء السياق الاجتماعي والثقافي. وفي هذا السياق، يبرز إميل دوركايم إميل دوركايم الذي أكد ضرورة دراسة الظواهر الاجتماعية باعتبارها "أشياء" قابلة للقياس والتحليل العلمي (Durkheim, 2004).

ويشمل التحليل السوسيولوجي للجداول عدة مستويات، منها تفسير الفوارق الاجتماعية مثل الفوارق الطبقية أو الجنسانية، وربط المعطيات بالظروف الاقتصادية والثقافية المحيطة بها. كما يتضمن الكشف عن العلاقات بين المتغيرات، مثل العلاقة بين التعليم والبطالة أو بين المستوى الاجتماعي وأنماط الاستهلاك، إضافة إلى توظيف النظريات السوسيولوجية في تفسير النتائج بدل الاكتفاء بوصفها. وبهذا المعنى، تصبح الأرقام الإحصائية مدخلًا لفهم البنى الاجتماعية العميقة وليس مجرد بيانات رقمية معزولة.

7. نموذج تطبيقي

للتوضيح، يمكن تقديم مثال لجدول تكراري بسيط. عنوان الجدول: توزيع الطلبة حسب عدد ساعات استخدام مواقع التواصل الاجتماعي يوميًا.

عدد الساعات يوميًا	عدد الطلبة	النسبة (%)
أقل من ساعتين	20	20%
من 2 إلى 4 ساعات	35	35%
من 4 إلى 6 ساعات	25	25%
أكثر من 6 ساعات	20	20%
المجموع	100	100%

1- القراءة الإحصائية للجدول

يعرض هذا الجدول توزيع عينة مكونة من 100 طالب حسب عدد ساعات استخدام مواقع التواصل الاجتماعي يوميًا، حيث يمثل "عدد الساعات" المتغير الأساسي للدراسة. وتُظهر المعطيات أن الفئة الأكثر تمثيلًا هي فئة الاستخدام المتوسط (من 2 إلى 4 ساعات) بنسبة 35%، ما يجعلها

النمط الغالب داخل العينة. في المقابل، تتقاسم فئة الاستخدام الضعيف (أقل من ساعتين) والاستخدام المرتفع جدًا (أكثر من 6 ساعات) أدنى نسبة، إذ تمثل كل منهما 20% من مجموع الطلبة، بينما تسجل فئة (4 إلى 6 ساعات) نسبة 25%.

انطلاقاً من هذه المؤشرات، يمكن القول إن توزيع الاستخدام يميل إلى الاعتدال، حيث تتركز أغلب القيم في الفئات الوسطى، مع وجود توازن نسبي بين الاستخدام المنخفض والمرتفع. كما تعكس هذه النتائج غياب التمرکز الحاد حول فئة واحدة، ما يدل على تنوع أنماط الاستخدام داخل العينة المدروسة في إطار علم الاجتماع.

2- القراءة السوسيولوجية للجدول

تتجاوز القراءة السوسيولوجية مجرد وصف الأرقام لتبحث في دلالاتها الاجتماعية. فسيادة فئة الاستخدام المتوسط (35%) تشير إلى أن مواقع التواصل أصبحت جزءاً من الحياة اليومية للطلبة، تُستخدم بشكل منتظم دون أن تصل بالضرورة إلى مستوى الإدمان. وهذا يعكس نوعاً من التكيف مع التحول الرقمي، حيث يدمج الطلبة هذه الوسائط ضمن أنشطتهم اليومية بشكل متوازن نسبياً.

في المقابل، تطرح نسبة 20% من الطلبة الذين يستخدمون مواقع التواصل لأكثر من 6 ساعات يومياً تساؤلات حول أنماط الاستهلاك الرقمي المكثف، إذ قد يرتبط ذلك بعوامل مثل الفراغ، أو ضعف البدائل الترفيهية، أو حتى البحث عن الانتماء داخل الفضاء الافتراضي. وقد تكون لهذه الممارسات آثار محتملة على العلاقات الاجتماعية الواقعية والتحصيل الدراسي.

أما فئة الاستخدام الضعيف (20%)، فتعكس وجود شريحة من الطلبة أقل انخراطاً في العالم الرقمي، وهو ما قد يرتبط بعوامل ثقافية أو تربوية أو بتركيز أكبر على الأنشطة الأكاديمية أو الواقعية. ويبرز من خلال ذلك أن سلوك استخدام مواقع التواصل ليس موحدًا، بل يتشكل وفق سياقات اجتماعية وثقافية متعددة.

وبناءً عليه، تكشف هذه المعطيات أن الأرقام الإحصائية تعبّر في عمقها عن أنماط اجتماعية متباينة، مما يؤكد أن تحليلها في علم الاجتماع يقتضي الربط بين المعطيات الكمية والسياق الاجتماعي لفهم الظاهرة بشكل أعمق.

وبذلك، يوضح هذا المثال كيف يمكن الانتقال من مجرد وصف إحصائي للبيانات إلى تحليل سوسيولوجي يفسر الظاهرة في سياقها الاجتماعي الأوسع.

2. عرض الجدول التقاطعي

مثال عملي على جدول تقاطعي (Cross-tabulation) مع طريقة قراءته وتحليله في إطار علم الاجتماع:

عنوان الجدول: العلاقة بين المستوى التعليمي واستخدام مواقع التواصل الاجتماعي لدى الطلبة

المستوى التعليمي	أقل من ساعتين	من 2 إلى 4 ساعات	أكثر من 4 ساعات	المجموع (النسبة %)
ليسانس	10	25	15	50%
ماستر	15	20	5	40%
دكتوراه	5	4	1	10%
المجموع	30	49	21	100%

1: القراءة الإحصائية للجدول التقاطعي

يُظهر هذا الجدول التقاطعي توزيع عينة مكوّنة من 100 طالب حسب متغيرين أساسيين: المستوى التعليمي (ليسانس، ماستر، دكتوراه) وعدد ساعات استخدام مواقع التواصل الاجتماعي يوميًا. ويُلاحظ في البداية أن فئة طلبة الليسانس تمثل النسبة الأكبر من العينة (50%)، تليها فئة الماستر (40%)، ثم الدكتوراه (10%)، ما يعكس هيمنة الطلبة في المراحل الأولى من التعليم الجامعي داخل العينة.

أما من حيث توزيع ساعات الاستخدام، فتبيّن المعطيات أن أعلى مستويات الاستخدام (أكثر من 4 ساعات يوميًا) تتركز بشكل واضح لدى طلبة الليسانس (15 طالبًا من أصل 21 في هذه الفئة)، في حين تنخفض هذه النسبة تدريجيًا لدى طلبة الماستر (5) وتكاد تكون ضعيفة جدًا لدى طلبة الدكتوراه (1 فقط). في المقابل، يظهر أن الاستخدام المنخفض (أقل من ساعتين) أكثر انتشارًا نسبيًا لدى طلبة الماستر (15) مقارنة ببقية الفئات، بينما يسجّل طلبة الدكتوراه مستويات استخدام ضعيفة ومتوسطة بشكل عام.

وعليه، يمكن استخلاص وجود اتجاه عام عكسي بين المستوى التعليمي وعدد ساعات الاستخدام؛ فكلما ارتفع المستوى التعليمي، انخفضت كثافة استخدام مواقع التواصل الاجتماعي. ويعكس هذا التوزيع تباينًا واضحًا في أنماط الاستخدام بين الفئات المختلفة داخل العينة.

2- القراءة السوسيولوجية للجدول التقاطعي

تتجاوز القراءة السوسيولوجية هذا الوصف الكمي لتبحث في دلالاته داخل علم الاجتماع، حيث يكشف الجدول عن علاقة ذات معنى بين المستوى التعليمي وأنماط استخدام مواقع التواصل الاجتماعي. فتركّز الاستخدام المكثف لدى طلبة الليسانس يمكن تفسيره بكون هذه الفئة أكثر انخراطًا في الثقافة الرقمية والشبكات الاجتماعية، إضافة إلى امتلاكها وقتًا أكبر نسبيًا مقارنة بطلبة الدراسات العليا.

في المقابل، يُظهر انخفاض الاستخدام لدى طلبة الماستر والدكتوراه نوعًا من التحول في نمط الحياة، حيث تزداد الالتزامات الأكاديمية والبحثية، ما يقلل من الوقت المخصص للأنشطة الرقمية الترفيهية. كما يمكن ربط ذلك بدرجة أعلى من الوعي بأهمية تنظيم الوقت، أو بتغيّر الأولويات من الترفيه إلى الإنتاج العلمي.

ومن زاوية أخرى، يعكس هذا التباين اختلافًا في أنماط التنشئة الأكاديمية والاجتماعية، حيث يميل الطلبة في المستويات المتقدمة إلى توظيف التكنولوجيا بشكل وظيفي (للبحث والتواصل

العلمي) بدل الاستخدام المكثف لأغراض الترفيه. كما يمكن أن تشير هذه النتائج إلى وجود علاقة بين الاستخدام المرتفع واحتمال ضعف الاندماج الأكاديمي أو البحث عن التعويض الاجتماعي داخل الفضاء الرقمي.

بناءً على ذلك، يُظهر هذا الجدول أن سلوك استخدام مواقع التواصل الاجتماعي ليس مجرد اختيار فردي، بل هو نتاج لعوامل بنيوية مرتبطة بالمستوى التعليمي، والظروف الأكاديمية، والتحولت الثقافية في المجتمع، وهو ما يؤكد أهمية التحليل السوسيولوجي في تفسير المعطيات الإحصائية بشكل أعمق.

الخاتمة

في ختام هذا المقال، يتضح أن الجداول الإحصائية والبيانية تمثل أدوات منهجية أساسية في دراسة الظواهر داخل علم الاجتماع، حيث تُمكن من تنظيم المعطيات وتبسيطها، مما يُسهّل قراءتها واستخلاص المؤشرات الدالة منها. وقد بيّنت الدراسة أن تنوع هذه الجداول، سواء كانت بسيطة، أو مركبة، أو تقاطعية، أو بيانية، يتيح للباحث إمكانيات متعددة لتحليل البيانات وفق طبيعة الموضوع المدروس وأهدافه.

كما أظهرت النتائج أن القراءة الإحصائية، رغم أهميتها في وصف المعطيات، تبقى غير كافية ما لم تُدعم بتحليل سوسيولوجي يربط الأرقام بالسياق الاجتماعي والثقافي. فالقيمة الحقيقية للبيانات لا تكمن في عرضها فقط، بل في تفسيرها والكشف عن دلالاتها العميقة، وهو ما يستدعي الجمع بين الأدوات الكمية والمقاربات النظرية لفهم الظواهر الاجتماعية بشكلٍ أكثر شمولاً.

وعليه، فإن التكامل بين الإحصاء والتحليل السوسيولوجي يُشكّل شرطاً أساسياً لإنتاج معرفة علمية دقيقة وذات معنى، خاصة في ظل التحولات المتسارعة التي يشهدها المجتمع المعاصر.

وفي هذا الإطار، يمكن فتح آفاق بحثية مستقبلية تتمثل في توظيف أدوات تحليل إحصائي أكثر تقدماً، وربطها بمقاربات نوعية، إضافةً إلى دراسة تأثير التحول الرقمي على طرق جمع البيانات وتحليلها في البحوث الاجتماعية.

توصيات تطبيقية

- ضرورة إتقان مهارات القراءة الإحصائية وعدم الاكتفاء بعرض الجداول دون تفسير علمي.
- الحرص على الربط بين النتائج الكمية والسياق الاجتماعي لتفادي التفسير السطحي للظواهر.
- اختيار نوع الجدول أو الرسم البياني بما يتناسب مع طبيعة البيانات وأهداف الدراسة.
- اعتماد المقاربة المزدوجة (كمية-نوعية) لتعزيز دقة التحليل وعمقه.
- توظيف الأدوات الرقمية والبرمجيات الإحصائية الحديثة لتحسين جودة التحليل وسرعته.
- تدريب الطلبة والباحثين على تحليل الجداول التقاطعية لما لها من أهمية في الكشف عن العلاقات الاجتماعية.

- تجنب الاعتماد على الأرقام بشكل منفصل، والعمل على تفسيرها في ضوء النظريات السوسيولوجية.
- توظيف البرمجيات الإحصائية في التحليل السوسيولوجي في ظل التحول الرقمي، أصبح توظيف البرمجيات الإحصائية عنصراً أساسياً في تحليل البيانات داخل علم الاجتماع، لما توفره من دقة وسرعة في المعالجة واستخراج النتائج. ومن أبرز هذه الأدوات SPSS، R، و Stata، Excel، حيث تُمكن الباحث من:
- إنشاء الجداول الإحصائية بمختلف أنواعها (البسيطة والتقاطعية) بسهولة
- حساب المؤشرات الإحصائية (المتوسطات، النسب، معاملات الارتباط)
- تمثيل البيانات بصرياً عبر الرسوم البيانية المختلفة
- تحليل العلاقات بين المتغيرات بدقة أعلى

مثال تطبيقي:

عند دراسة علاقة المستوى التعليمي باستخدام مواقع التواصل الاجتماعي، يمكن للباحث استخدام برنامج مثل SPSS لإنشاء جدول تقاطعي، وحساب النسب المئوية، واستخراج معاملات الارتباط، مما يسمح بالانتقال من مجرد عرض الأرقام إلى تحليل علمي دقيق.

المراجع

1. انجرس، م. (2006). منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية -تدريبات عملية-. الجزائر: دار القصة للنشر.
- 2 -Angers, M. (2006). Méthodologie de la recherche en sciences humaines: Exercices pratiques. Alger: Casbah Éditions.
- 3-Anderson, D. R., Sweeney, D. J., & Williams, T. A. (2020). Statistics for business and economics (14th ed.). Boston, MA: Cengage Learning.
- 4-Babbie, E. (2016). The practice of social research (14th ed.). Boston, MA: Cengage Learning.
- 5-Durkheim, E. (2004). The rules of sociological method. New York, NY: Free Press. (Original work published 1895)
- 6-Healey, J. F. (2014). Statistics: A tool for social research (9th ed.). Boston, MA: Cengage Learning.
- 7-Triola, M. F. (2018). Elementary statistics (13th ed.). Boston, MA: Pearson.

منهجية كتابة ملخص بحث علمي

د. سميرة عزابي

جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي- الجزائر

ملخص الدراسة

يعالج هذا المقال منهجية كتابة ملخص بحث علمي، ملخص أطروحة أو ملخص مقال. فالملخص جزء هام وأساسي في البحوث العلمية والدراسات فهو يقدم نظرة موجزة وشاملة عن محتوى الدراسة مما يساعد القارئ في فهم موضوع البحث ومدى ملائمته لموضوعه بسرعة دون قراءة البحث بالكامل، ويحكون في حدود 250 كلمة يتضمن هدف الدراسة وتساؤلاتها مجتمع الدراسة والمنهج وأهم النتائج. الكلمات المفتاحية: منهجية. ملخص. بحث علمي

Abstract:

This article addresses the **methodology of writing an abstract** for scientific research, a thesis, or a journal paper. The abstract is a vital and fundamental component of scientific research and studies; it provides a concise yet comprehensive overview of the study's content. This allows the reader to quickly grasp the research topic and its relevance to their own work without needing to read the entire document.

Typically, an abstract is limited to approximately **250 words** and includes the study's objectives, research questions, population, methodology, and key findings.

Keywords: Methodology, Abstract, Scientific Research.

مقدمة

بعد انتهاء الباحث من كتابة بحثه سواء كان مقالا أو رسالة أو أطروحة أو كتابا سيحتاج إلى كتابة ملخص شامل عن موضوعه يبين من خلاله أهم النقاط التي تناولها في بحثه ، بأسلوب علمي وتحري الموضوعية، وأن يركز على النقاط المهمة و أن يكون الملخص واضح ومفهوم دون حاجة القارئ الرجوع إلى كامل البحث حتى يعرف إن كان البحث ضمن اهتماماته أولا. يعتبر الملخص جزءا هاما وأساسيا في البحوث العلمية والدراسات حيث يقدم نظرة موجزة وشاملة عن محتوى الدراسة مما يساعد القارئ في فهم موضوع البحث ومدى ملائمته لاهتماماته قبل قراءة البحث بالكامل.

يواجه الكثير من الباحثين وخاصة الطلاب عند كتابة ملخصات رسائلهم وأطروحاتهم صعوبات في كتابة ملخص لدراسته وأكثر شيء يقلقه هو ما ذا يكتب في الملخص وما هي النقاط التي تناولها دون التطرق لكل العناصر غير ضرورية.

ومن خلال هذه الورقة البحثية سنحاول التطرق إلى العناصر التالية:

- التعريف بالملخص والفرق بينه وبين التلخيص.
- الأهمية والفائدة العلمية من الملخص.
- أسباب كتابة الملخص وأنواعه.
- خطوات كتابة الملخص وأهم المحتويات
- أهم النقاط التي يجب أن تراعى في كتابة الملخص، و النقاط التي يجب تجنبها

1. تعريف الملخص

- الملخص هو وصف قصير ومبسط لعمل موسّع، يقدم فيه الباحث صورة مختصرة عن أهداف البحث أي الغاية منه ومنهجية العمل المتبعة والأدوات المستخدمة فيه ولا يمكن أن يتجاوز طول الملخص 300 كلمة على الأكثر وأن أمكن كتابته على الأقل بلغتين لغة التحرير ولغة أجنبية أخرى، ويتبع الملخص بالكلمات المفتاحية والتي يتراوح عددها ما بين 4 و 7 كلمات تكتب نكرة.(بختي ابراهيم، 2015، 34)

- و الملخص ليس نقدًا ولا تقييمًا للعمل الذي يصفه الباحث، ومع أنه يحتوي على بعض الكلمات الرئيسية المذكورة في العمل الموسّع، يبقى الملخص مستندًا كاملاً ومبتكرًا وليس مقطعًا مقتطفًا من ذلك العمل.

- ملخص البحث العلمي هو عبارة عن نظرة عامة موجزة يقدمها الشخص حول دراسة معينة، و يكون الملخص شاملاً للدراسة، وهو الجزء الأكثر قراءة في نص المادة العلمية بعد العنوان، ومن خلال الملخص يمكن للقارئ معرفة إذا كان البحث يدخل حيز اهتمامه أو لا ومنه يقرر القارئ مواصلة القراءة من عدمها.(العسكري، 77).

كما يساعد الملخص القارئ في تكوين فكرة عامة أو لمحة موجزة عن الدراسة التي يدرسها الباحث. - وهو المعنى العام لموضوع الدراسة ومن خلاله يتم إعادة صياغة مراحل البحث ونتائجه في عدد من الأسطر باستخدام مصطلحات تناسب الدراسة وبأسلوب علمي.

إن كتابة ملخص للبحث أمر بالغ الأهمية يتطلب الدقة والاحتراف، حيث يجب تقديم نظرة عامة وشاملة وكافية عن أبرز النقاط التي يدور حولها البحث في مساحة قصيرة. وأن يكتب بلغة سهلة ومبسطة ومفهومة وواضحة للقارئ .

إن كل نوع من الملخصات يحتاج إلى طريقة مختلفة في تحريره ولكن هناك عوامل مشتركة في الملخص تتمثل في: هدف الدراسة، طريقة الدراسة والعينة، أهم النتائج، الاستنتاجات.(مصيقر عبد الرحمان، 13).

يمكن الملخص من التعرف على محتوى موضوع الدراسة أو البحث دون تفصيل أو توثيق للأدلة ويفترض أن يكون حجمه قصير قدر المستطاع.(بدر، 1994، 396)

التلخيص:

ويقصد به التعبير عن الأفكار الأساسية في الموضوع ضمن بضع كلمات دون الإخلال بالمعنى، ويتناسب حجم الملخص مع الموضوع بحسب الطول والقصر وكذا المضمون

يعتمد الباحث إلى تلخيص موضوع كامل أو فكرة بأكملها شغلت حيزًا كبيرًا من الصفحات فيصوغها بأسلوبه الخاص من غير التأثير بالمؤلف حين وضعها في الإطار والصياغة وكل ما يهتم به هنا هو الاحتفاظ بالفكرة والموضوع الرئيسي.(العسكري، 40).

الفرق بين الملخص والتلخيص: عادة ما يصعب التمييز بينهم ، وغالبا ما يكون التمييز في أسلوب الكتابة، وحجم المحتوى في كل منهما.(العسكري، 77)

2. أهمية الملخص

- مساعدة الباحث في الوصول والتعرف على الدراسات المناسبة لدراسته.

- مساعدة الباحثين في العثور على مواضيع ودراسات لبحوثهم.
- يوفر الوقت للباحث بدل قراءة جميع الدراسة يقف فقط على الملخص حتى يتعرف على الدراسة إن كانت مناسبة لدراسته أو لا.
- يساعد في فهرسة قواعد البحث (Madison—University of Wisconsin)
- 3. أهداف الملخص
- يمكن الملخص القراء من فهم الفكرة الرئيسية للموضوع بسرعة حتى يقرروا ما إذا كانوا سيقروؤون البحث كاملاً أم لا.
- ويهيئ الملخص القراء لمتابعة المعلومات والتحليلات والحجج التفصيلية في الموضوع.
- يساعد الملخص القراء على تذكر أهم النقاط الأساسية في الموضوع.
- تستخدم محركات البحث وقواعد البيانات البليوغرافية الملخصات مع العنوان لتحديد المصطلحات الرئيسية لفهرسة الدراسات المنشورة. لذلك فإن كل ما يوضع في الملخص والعنوان يعتبر أمر بالغ الأهمية لمساعدة الباحثين في العثور على مواضيع ودراسات تفيدهم. (University of Wisconsin—Madison).
- 4. أسباب تحرير الملخص
- تساعد الملخصات القارئ على أن يقرّر بسرعة ما إذا كانت الدراسة تستحق القراءة، وقد تبرز الحاجة إلى الملخصات في أنواع مختلفة من عمليات الانتقاء، مثل المنح الدراسية، والمقالات المقدمة إلى المجلات، ومقالات الكتب الجماعية المقدمة إلى النشر، والمداخلات للمشاركة بها في المؤتمرات أو ورشات العمل والملتقيات والأيام الدراسية.
- 5. أنواع الملخص
- الملخص عدة أنواع ذكرها مصيقر عبد الرحمان في كتاب دليل التحرير (13) وهي:
- ملخص الرسائل الجامعية
- وهو وصف معمق يكون بعد إتمام المذكرة، ويحتوي على أهم النقاط مثل الإشكالية والفرضيات والمنهج وأدوات الدراسة، وأخيراً النتائج المتوصل إليها.
- ملخص الملتقيات العلمية
- وهو وصف معمق لموضوع يود الباحث المشاركة به في تظاهرة علمية، يقوم بإرساله وينتظر قرار اللجنة حتى يتسنى له إتمام موضوعه.
- ملخص المقالات العلمية
- وهو وصف معمق لموضوع أو دراسة قام بها الباحث تحتوي على أهم النقاط التي جاءت في الدراسة ويرسله ضمن المقال إلى المجلة التي يريد النشر بها.
- ملخص الكتب
- لانجاز ملخص كتاب على الباحث قراءة الكتاب قراءة متأنية، ثم يقوم بتحديد الأفكار الأساسية لكل فصل أو جزء والفكرة العامة للكتاب ثم يعتمد إلى تنظيم الأفكار وصياغتها بأسلوب علمي.
- 5- ملخص الرسائل والمذكرات

يتميز ملخص المذكرات بتفاصيل أكثر، وقد يكون من صفحة إلى صفحتين ويعتمد على الأسلوب الذي تنتهجه الجامعة التي ينتسب إليها الباحث. (بختي ابراهيم، 52)

6. كتابة الملخص

إذا أراد الباحث كتابة ملخصاً لورقة بحثية ضمن مقرر دراسي أو مقالاً للمشاركة به في مجلة أو ملتقى فقد يكون للمجلات الأكاديمية متطلبات مُحددة للملخصات، مثلاً إن نسبة المساحة المخصصة لكل نوع من المعلومات في الملخص، وتسلسل عرضها، يختلفان تبعاً لطبيعة البحث ونوعه وفي بعض الحالات تكون بعض هذه المعلومات ضمنية وليست مذكورة صراحةً حيث يقدم دليل النشر الصادر عن الجمعية الأمريكية لعلم النفس، والمستخدم على نطاق واسع في العلوم الاجتماعية، إرشادات محددة لما يجب تضمينه في الملخص لأنواع مختلفة من الأبحاث نذكرها في النقاط التالية:

- أسلوب الكتابة:

- اعتماد أسلوب واضح ومفهوماً.

- استخدام الجمل المفيدة والقصيرة.

- تجنب تكرار عنوان الأطروحة أو الرسالة في الجملة الأولى من الملخص.

- تجنب استخدام المصطلحات والاختصارات غير المألوفة. (اسطفان مود، 2019، 19)

في العلوم الاجتماعية يستخدم زمن المضارع لوصف الحقائق والتفسيرات العامة التي كانت ولا تزال صحيحة، بما في ذلك التفسير السائد للظاهرة الاجتماعية قيد الدراسة. كما يستخدم الملخص زمن المضارع لوصف المنهج والنتائج والحجج وتداعيات نتائج الدراسات البحثية الجديدة، ويستخدم الباحثون زمن الماضي لوصف الأبحاث والدراسات السابقة.

أما في العلوم الإنسانية تستخدم صيغة الماضي لوصف أحداث مكتملة في الماضي (النصوص التي أنتجت سابقاً أو في سرد قصص تاريخية أو وطنية من الذاكرة)، وتستخدم صيغة المضارع لوصف ما يحدث في تلك النصوص، ولشرح أهميتها أو معناها، ولشرح الحجج المطروحة كذلك في أي مقال (Indian J Psychiatry 2011)

- الموضوعية:

يُعتبر الملخص الجزء الوحيد من البحث الذي يطلع عليه غالبية القراء فوجب على الباحث أن يحرص على ألا يُضلل حماس القراء أو تحيزهم فالتكهنات غير المبررة قد تأخذ بالبحث منحى آخر كما يُمكن أن يلحق الضرر بالمفهوم ويقوم بتضليل القراء ويؤثر سلباً على نتيجة البحث، فعلى الباحث الالتزام بالموضوعية.

تُقدّم معظم المجالات إرشادات واضحة للباحثين حول تنسيق ومحتوى أجزاء البحث المختلفة، غالباً ما تتضمن هذه الإرشادات تفاصيل حول محتوى الملخص وعلى الباحثين تعديل ملخصاتهم لتتوافق مع متطلبات المجلة التي ينوون نشر مواضيعهم فيها. كما يُنصح بمحاكاة ملخص بحث مهم، حرفياً، حول موضوع مشابه وبمنهجية مماثلة، نُشر في نفس المجلة المُقترحة للنشر، حيث يكون الملخص في صفحة جديدة، وأن تتضمن صفحة الملخص عنوان الصفحة (الموضح أعلاه). في السطر الأول من صفحة الملخص، مع وضع كلمة "ملخص" في المنتصف وبخط غامق (بدون

خط مائل أو تسطير أو علامات اقتباس). وبعدها بداية من السطر التالي، كتابة ملخصًا موجزًا لأهم نقاط الموضوع. (دون ترك مسافة بادئة)، وأن يكون الملخص عبارة عن فقرة واحدة، بمسافة مزدوجة بين الأسطر. عادةً، يتراوح طول ملخص البحث وفقًا لأسلوب APA ما بين 150 إلى 250 كلمة (Madison—University of Wisconsin)

7. محتويات الملخص

تختلف الملخصات بحسب المجال وقد تختلف الملخصات في المجال نفسه أحيانًا، فعلى سبيل المثال، يمكن أن يتضمن ملخص بحث في مجال العلوم الاجتماعية نطاق البحث، وغايته، ونتائجه، ومحتواه، وبالرغم من اختلاف الملخصات، لا بد من أن يتضمن الملخص المعلومات الأربع الأساسية التالية (APA Guide)

- هدف الدراسة: وفيها يذكر الباحث الهدف من الدراسة التي قام بها.
- تساؤل الدراسة: يتطرق الباحث للإشكال العام مع ذكر الفرضية المستخدمة في الدراسة إن وجدت.

- الأدوات والمنهج: وتتمثل الأدوات في الاستبيان أو المقابلة أو الملاحظة وغيرها من الأدوات التي يستخدمها الباحث حسب موضوع الدراسة والمنهج المتبع.
- نتائج الدراسة: وتتمثل في النتائج النهائية إذا كان مقال أو دراسة لمذكرة، أو النتائج المتوقعة إذا كان مداخلة في حال لم تكن الدراسة مكتملة بعد.

8. نقاط ينبغي أن تراعى في كتابة الملخص

- وضع هدف الدراسة في مقدمة الملخص.
- تحديد بدقة الإشكال الذي يعالجه الباحث.
- إظهار أهمية العمل.
- التفكير في عبارات رئيسية أو كلمات مفتاحية قد يستخدمها الناس للبحث عن هذا العمل بالذات وذكرها في الملخص.
- في حال كانت نتائج البحث تواجه معوّقات أو النتائج تحتاج إلى تأويل، من الأفضل استخدام كلمات تفيد الاحتمال أو الشك مثل "يمكن"، و"قد"، و"يبدو" بدل "ربما" و"لعل".
- في حال كان ملخص المشروع أطول مما ينبغي، من الأفضل الاستغناء عن الصفات غير المهمة والتعريفات التي لا تساعد القارئ على فهم الدراسة، الاستغناء عن التكرار والمعلومات غير مهمة.
- مراجعة ملخص العمل جيدًا لتصحيح الأخطاء اللغوية والمطبعية إن وجدت.
- الالتزام بعدد الكلمات المحدد والتي تزيد عن 150 وتقل عن 300

9. نقاط على الباحث تجنبها

- المصطلحات المهمة (من الأفضل استبدالها بمصطلحات واضحة ومألوفة).
- استخدام زمن المضارع عند ذكر بالهدف والنتائج، وزمن الماضى عند ذكر المنهج والعينة.
- ذكر المصادر والأرقام والجداول.
- ذكر الاقتباسات الطويلة.
- كتابة العناوين من أي نوع كانت.

- إضافة معلومات غير واردة في العمل الأساسي.
- تعريف المصطلحات، إلا إذا كان هدف العمل الموسع تغيير تعريف هذه المصطلحات أو مفهوما.
- النشأة التاريخية أو الخلفيات التاريخية.
- المقدمة أو المعلومات التقديمية. (اسطفان، 19)

10. الكلمات المفتاحية

هي مجموعة كلمات مهمة تعبر عن محتوى الدراسة ، وتستخدم من طرف الباحثين في عمليات استرجاع المعلومات من قواعد البيانات، والتي يقوم على أساسها محرك البحث بإظهار النتائج، ويعتبر اختيار الكلمات المفتاحية مهم جدا ليسهل على الباحثين استرجاع الدراسة (اسطفان، 20) يعتبر اختيار الكلمات المفتاحية المناسبة للموضوع أمراً بالغ الأهمية ففي نهاية الملخص توضع بعض الكلمات المفتاحية التي تُستخدم في فهرسة الدراسة إذا نُشرت في قاعدة بيانات حيث يساعد إدراج الكلمات المفتاحية الباحثين الآخرين في العثور على الدراسة في قواعد البيانات، توصي جمعية علم النفس الأمريكية بإدراج ما بين ثلاثة إلى خمس كلمات مفتاحية، ويتم ترك مسافة بادئة كما لو أنها بداية فقرة جديدة، وتكتب كلمة "الكلمات المفتاحية:" (بخط مائل) ثم إدراج الكلمات المفتاحية (Raimo Streefkerk, 2020).

- إرشادات لصياغة الكلمات المفتاحية:

تعبر الكلمات المفتاحية عن الموضوع المعالج في الدراسة ومحدداتها مثل الحدود الجغرافية مجتمع الدراسة... وعلى الباحث إتباع الإرشادات التالية لصياغة كلمات مفتاحية تعبر عن الموضوع المعالج (اسطفان، 20، 21):

- اختيار المصطلح الذي يحدد الموضوع مثل استخدام كلمة اختبارات الذكاء بدل كلمة اختبارات
- استبعاد الكلمات العامة استخدام تنمية المهارات بدل تنمية.
- استخدام الكلمات الشائعة استخدم كلمة هاتف بدل تلفون.
- استخدام كلمات مفردة بدل الكلمات المركبة استخدام بناء الاختبارات بدل بناء الاختبارات النفسية.
- استخدام كلمات تحمل معنى واحد أو تشكل الحروف لإيضاح المعنى مثل كلمة دين بدون شكل الحروف فهي تحمل معنى الديانة ومعنى القرض.
- استخدام كلمات تشير إلى كيانات فردية أو أسماء أعلام أو هوايات مثل: محمد، الجزائر، جامعة الوادي، اليونيسكو، جمعية العلماء المسلمين.

11. نموذج عن ملخص وفق أسلوب APA

The diagram illustrates the layout of an APA abstract document. It features a blue header bar with the text "APA abstract.docx" and a Microsoft Word icon. Below the header, the document content is shown with several labels pointing to specific elements:

- Indent 0.5"**: Points to the first line of the abstract text.
- Running head**: Points to the title "SOCIAL COMPARISONS ON SOCIAL MEDIA" at the top of the page.
- Section label**: Points to the word "Abstract" centered above the main text.
- Page number**: Points to the number "2" in the top right corner.
- Keywords**: Points to the "Keywords" section at the bottom of the abstract.
- Double spaced**: Points to the main body of the abstract text.

The abstract text reads:

The present study experimentally investigated the effect of Facebook usage on women's mood and body image, whether these effects differ from an online fashion magazine, and whether appearance comparison tendency moderates any of these effects. Female participants ($N = 112$) were randomly assigned to spend 10 min browsing their Facebook account, a magazine website, or an appearance-neutral control website before completing state measures of mood, body dissatisfaction, and appearance discrepancies (weight-related, and face, hair, and skin-related). Participants also completed a trait measure of appearance comparison tendency. Participants who spent time on Facebook reported being in a more negative mood than those who spent time on the control website. Furthermore, women high in appearance comparison tendency reported more facial, hair, and skin-related discrepancies after Facebook exposure than exposure to the control website. Given its popularity, more research is needed to better understand the impact that Facebook has on appearance concerns.

Keywords: Facebook, social media, magazine, appearance-related social comparison, body image concerns, mood

The Scribbr logo is visible in the bottom left corner of the document preview.

المصدر: Raimo Streefkerk

خاتمة

لكتابة ملخص بحث جيد على الباحث كتابة أهم النقاط التي عالجهما في موضوع بحثه ، بشكل موجز وبأسلوب علمي، أو إتباع النموذج السابع لجمعية علم النفس الأمريكية الذي يوضح النقاط الأساسية لمختلف ملخصات البحوث العلمية والذي ركز على الأسلوب المحتويات بالاضافة الى حجم الملخص.

المراجع

1. إبراهيم بخي، الدليل المنهجي لإعداد البحوث العلمية، ط4، منشورات جامعة ورقلة الجزائر، 2015.
2. العسكري عبود عبد الله، منهجية البحث في العلوم الانسانية، ط2، دار النمير، سوريا، 2004
3. بدر احمد، أصول البحث العلمي ومناهجه، المكتبة الاكاديمية، الدوحة، 1994
4. عبد الرحمان عبيد مصيقر، الدليل المختصر في كتابة البحث العلمي، المركز العربي تغذية، البحرين، 2012.
5. مود إسطفان وآخرون ، دليل صياغة الاطروحات والرسائل الجامعية العربية، شبكة المعلومات العربية التربوية، بيروت لبنان
6. Indian J Psychiatry How to write a good abstract for a scientific paper or conference presentation .2011 Apr-Jun;53(2):172–175doi: 10.4103/0019-5545.82558
7. APA Abstract (2020) | Formatting, Length, and Keywords
8. Published on November 6, 2020 by Raimo Streefkerk. Revised on January 17, 2024.
9. -an-<https://writing.wisc.edu/handbook/assignments/writing>
10. [APA Style \(7th Ed.\) Tutorial](#)